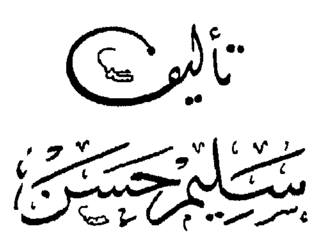




الجزء الخامس

السيادة العالمية والتوحيد



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

كانت آخر مرحلة وصلنا إليها فى مطافنا فى تاريخ أرض الكنانة وحضارتها فى الجزء السالف هى عصر « أمنحتب الثانى » الذى يعد فى نظر المؤرخين بحق آخر أبطال فراعنة مصر الذين امتشقوا الحسام ودوخوا الأمم المجاورة التى خرجت على الحكم المصرى فى النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة، من أجل ذلك كانت مدة حكمه خاتمة عهد الحروب الطاحنة، التى بدأها «أحمس الأول» فى آسيا وفاتحة عصر جديد فى تاريخ مصر والشرق معا . ولا نزاع فى أن عهد خلفه «تحتمس الرابع» كان باكورة مرحلة جديدة فى حياة الشعب المصرى وحضارته التى امتازت بطابع جديد لم يعهد من قبل فى تاريخ الأمة المصرية منذ بفجر تاريخها. فقد أغمد فراعنتها السيوف فى قرابها، وسرحت الجيوش الى أوطانها و بدأوا يجنون ثمار تلك الانتصارات الساحقة والفتوح الشاسعة التى أحرزها آباؤهم الفاتحون وعلى رأسهم «تحتمس الثالث» المؤسس الأعظم للامبراطورية المصرية أول امبراطورية فى العالم، فقد جعل هيبة مصر والفزع منها يدب فى قلوب ممالك الشرق القديم قاصيها ودانيها . وما لبثت بعد ذلك أن أخذت تلك الممالك المجاورة تدين للكنانة بالطاعة وتحمل اليها الهدايا تارة، والجزية تارة أخرى، كما أخذ جنود الحاميات المصرية الذين رابطوا فى أمهات المدن والمعاقل فى بلاد سوريا وفلسطين شمالا ، وبلاد النوبة و « كوش » جنوبا يجلبون الى بلادهم من خيرات تلك البلاد ما وصلت اليه أيديهم وما قدره لهم سلطانهم وبطشهم . والواقع أنهم غرقوا فى بحبوحة الثراء الذى كان يفيض عليهم من هذه الأصقاع ، ودب فى نفوسهم وأرواحهم الرخاوة التى تسببها الثروة الوفيرة، والأرزاق الكثيرة، والبطالة المضللة، والفراغ المغرى، حتى فسدت أخلاقهم وذهبت عنهم ريح البطولة الحربية وحب الفتح والمغامرة . وقد ضرب لهم المثل الأعلى فى ذلك ملوكهم الذين كانوا يعيشون على مجد أسلافهم العظام، غير أن هؤلاء

الفراعنة مع ذلك لم تعوزهم الحيل ولا السياسة فى حفظ كيان امبراطوريتهم العظيمة والرفع من شأنها وبقاء سلطانها كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا من غير أن يمتشقوا الحسام. وقد كانت الأحوال مهيئة لهم وقتئذ، إذ كانت كل الممالك المجاورة لاتزال لدنة العود لم تبلغ من القوة والبطش ما كانت عليه مصر وقتئذ، وقد انتهز ملوك مصر الذين كانوا لايريدون الحرب ولايميلون اليها هذه الفرصة، فأخذوا يعقدون مع هذه الأمم المحالفات، ويخطبون صداقتها بمختلف الطرق وشتى الأساليب المغرية؛ مما هيأ لمصر البقاء فترة طويلة حاملة لواء السيادة فى العالم القديم قاطبة. ومن أهم الأساليب المبتكرة التى انفرد بها فراعنة مصر وقتئذ لإحكام أواصر المصادقة والمهادنة رباط المصاهرة، ثم الذهب البراق الذى كانت تزخر به أرض مصر وممتلكاتها النوبية. وكان أوّل من اتبع هذه السياسة الفرعون «تحتمس الرابع»، الذى تزوّج من أميرة متنية، وكان بذلك أوّل من ضرب بالتقاليد الفرعونية عرض الحائط، إذ كان على الفرعون منذ أقدم العهود أن يحتفظ بالدم الالهى يجرى فى عروق أسرته وحدها، وأن يكون زواجه منحصرا فى دائرة البذرة الفرعونية الخالصة التى كانت على حسب الأساطير منحدرة من ظهر الإله «رع» أوّل من حكم مصر بالعدل والاحسان، حتى أنه كان يبيح لنفسه زواجه من أخته بل ومن بنته أيضا، ومن ثم نرى أن اختلاط مصر بالأمم المجاورة جعلها تتحرر من سياج التقاليد الموروثة التى ظلت حبيسة فيها عشرات القرون، ولقد كانت المغريات وطبائع الأحوال وسنن الرقى والتقدّم تحتم على مصر وملوكها الخروج من هذا الحصار الذهبى الذى ضربته على نفسها فى مصر الى العالم الخارجى الذى بسط أمامها صفحة جديدة خلابة لم يتمتع أهلها بمثلها منذ ظهروا على أفق التاريخ. وقد كانت هذه النهضة الجديدة لخير مصر فى بادئ الأمر، إذ ازدهرت البلاد وعمها الخير من كل النواحى، وفى كل ميدان من ميادين التقدّم العمرانى الذى ينجم عادة من اختلاط أمم متحضرة بعضها ببعض؛ ومن أجل ذلك نرى أن كل ما كان فى البلدان المجاورة من صناعات وفنون وعلوم وثقافات قد انتفعت بها مصر، مما أضفى على الحضارة المصرية

القديمة ثوبا جديدا لم تلبسه من قبل، كما أن الأمم المجاورة من جهة أخرى أخذت عن مصر الشيء الكثير من ثقافتها وحضارتها مما أنعش نفوس أقوامها ومهد لهم السبيل الى السير فى مدارج الرقى مما أيقظهم من رقدتهم وجعلهم يعملون على التحرر من الحكم المصرى الذى لم يكن فى مجموعه جائرا اذا قيس بما نراه اليوم من عسف الأمم القوية وبطشها بالدويلات الصغيرة .

وقد ظل الحكم المصرى على نهجه الجديد متخذا سياسة المصاهرة والتحالف مع الأمم المجاورة خلال حكم « أمنحتب الثالث » ، الذى ضرب المثل الأعلى فى مصاهرته لملوك الدول العظيمة وبخاصة « بابل » و « خيتا » و « متنى » ، فسارت الأحوال فى ظاهرها على ما يرام ، ولكن فاته أن هذه الأمم كانت تشب وتنمو ويعظم سلطانها على مر الأيام مسايرة لسنن الرقى فتزداد أطماعها ويعظم جشعها ، كما فاته أن الإمارات التى كانت خاضعة لمصر أخذ يدب فى نفوس أقوامها روح الاستقلال، لانصراف مصر وحكامها عنها من جهة، ومن جهة أخرى أخذت الإمارات القوية منها تغير على الضعيفة، وبخاصة عندما رأى أمراؤها أن مصر قد أصبحت متهاونة فى أمر المحافظة عليها، وأن جيوش الفرعون أصبحت لا يحفل بقوتها ولا يعتدّ ببطشها . وكان الفرعون من جانبه لا يهتم إلا بجمع الضرائب وإقامة العمائر فى الديار المصرية، والمحافظة على صداقة الأمم المجاورة له ما استطاع لذلك سبيلا دون أن يستل سيفه فى وجه أى إمارة ثائرة. والواقع أن فى عهد « أمنحتب الثالث » كانت الامبراطورية المصرية فى ظاهرها صاحبة السيادة العالمية، تعيش على ما ضيها المجيد بما تركه « تحتمس الثالث » من هيبة وخوف فى نفوس الأمم المجاورة لبلاده، وفى الأقاليم التى فتحها بحدّ السيف وحسن السياسة؛ غير أن عوامل الانحلال كانت تسرى فى دمها بسرعة مدهشة ، وإذا كانت الأشياء تقاس بأشباهها فى عصرنا الحالى فانه فى استطاعتنا أن نشبه امبراطورية « أمنحتب الثالث » بالامبراطورية الانجليزية الحاليه من بعض الوجوه . فقد

قامت دولة الانجليز بما كان لها من سيادة بحرية و بما أحرزه بحارتها العظام فى أول أمرها على منافستها أسبانيا من فتوح ومدّ سلطان عدّة قرون ، ولم يكن لينافسها فى هذا المضمار أمة أخرى بعد ذلك ، حتى أصبحت سيدة البحار، فعظمت مستعمراتها وهابتها الدول الأخرى التى كانت أقل منها نفوذا وسلطانا ، ولكنها عندما شعرت بنمو الأمم التى تنافسها أخذت فى العمل على استبقاء عظمتها بالمحالفات الودّية والسياسة الحكيمة فى حكم مستعمراتها ، ولكن الزمن كان ولا يزال يسير بخطواته السريعة فى رقىّ الدول ومبادئها الإنسانية القويمة وجعل الأمم الضعيفة تأخذ فى أسباب القوّة والأمم الناشئة تهيئ لنفسها مكانة تتفق مع شبابها ، وما لها من آمال فى المستقبل ومناهضة من يقف حجر عثرة فى سبيل تقدّمها ، واتخاذ مكانة لائقة بها ، ومن ثم أخذت الدولة الانجليزية تنحل وتضعف أمام تيار المبادئ القوية التى تغمر العالم وهى بلا شك سائرة فى طريقها المنحدرة إلى أن تتساوى بغيرها من الدول التى كانت صاحبة السيادة عليها كما حدث لمصر بعد عهد « إخناتون » ، إذ قد أصبحت دولة ثانوية بالنسبة لجيرانها . على أنه لا يمكننا أن نجزم بالوقت الذى تنزل فيه هذه الدولة نهائيا من عليائها إلى المستوى الطبعى التى هى سائرة نحوه ، مستوى الشيخوخة والهرم . ولو أتيح لمصر فراعنة على غرار « تحتمس الرابع » و « أمنحتب الثالث » فى تلك الفترة لامتدّ بقاء سلطانها الإسمى وهيبتها الظاهرة مدّة أخرى من الزمن ، ولكن شاءت الأقدار أن يتربع على عرشها بعد « أمنحتب الثالث » فتى فى مقتبل العمر وشرخ الشباب لم تكن تهمه السياسة كما يهمه أمر مذهبه الدينى الجديد . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان قد نشىء تنشئة دينية خاصة ورث مبادئها عن والده وجدّه ، وكان لبها كره كهنة « آمون » الذين طغى سلطانهم على البلاد ، وعظمت ثروتهم حتى أصبحوا بما لهم من نفوذ مملكة داخل مملكة ليس للفرعون عليها سيطرة أو سلطان حقيق . وقد حاول كل من الفرعونين السالفى الذكر الحضد من شوكة هؤلاء الكهنة والقضاء على نفوذهم فلم يستطيعا لذلك سبيلا ؛ فلما تولى « أمنحتب الرابع » عرش الملك ورث كراهية هذه الطائفة عن والده وجدّه ،

وقد كان من رأيهما إحياء عهد حكم الإله « رع » الذى يعدّ أوّل ملك حكم مصر بالقسطاس المستقيم لمناهضة «آمون» وشيعته، وبذلك بدأ على ما يظهر كهنة هذا الإله ينتعشون كما أخذوا يمدّون يد المساعدة للفرعون للقضاء على شيعة « آمون » وأنصاره . وكان الجو العالمى والوعى القومى مهيئين لهذه الفكرة بعض الشيء، وبخاصة أن المصرى كان يعرف أن معنى ديانة « رع » العدالة والصدق فى كل شيء . والواقع أن «أمنحتب» لما تسلم زمام الأمور فى البلاد وجد أن والده وجدّه كانا قد سارا نحو إعادة توحيد الإله « رع » فى صوره المختلفة، ومن ثم نعرف أن الإصلاح الذى أخذ «اخناتون» على عاتقه القيام باعلانه لم يأت بفجاءة بل جاء على مهل وبخطوات وئيدة متزنة متلاحقة انتهت بوصوله للغاية التى كان ينشد تحقيقها، فقد رأى بثاقب عقله كما رأى أسلافه من قبل أن الإله المسيطر على العالم أجمع ويشرف عليه فى كل البقاع هو الإله «رع» الذى يتمثل فى قرص الشمس (آتون). وكان هذا الإله يتخذ أشكالا متعدّدة وأسماء مختلفة، فكان يسمى « رع » ويسمى « رع حور الأفق» ويسمى «رع خبر» (أى إله الوجود) كما كان يصوّر فى صورة صقر وفى صورة إنسان برأس صقر وهكذا . وقد رأى «أمنحتب» فى بادئ أمره أن يميز إلهه على الآلهة الأخرى ، فرمز له بصورة قرص الشمس الذى تتدلى منه أشعة بأيد بشرية مانحة الخيرات، وجعله قوة خفية تظهر عظمتها ومقدار نفوذها فى هذا القرص المادى المجسم . وقد كان فى بادئ الأمر يدعى «حور أختى»(حور الأفق) و « رع » بجانب اسمه «آتون» . ثم تدرّج بعد ذلك خطوة أخرى فسماه «آتون» فقط وأقام له المعابد فى أنحاء البلاد، ولم يعارض فى ذلك كهنة « آمون » لأن إلههم كان يسمى « آمون رع » الذى يمثل إله الشمس أيضا، ولكن لم يلبث أن أخذ «أمنحتب» ينكر وجود الإله «آمون» لأنه لا يتفق مع فكرة الوحدانية التى كان يمثلها إلهه الخفى الذى كان يرمز له بقرص الشمس، هذا فضلا عن أنه كان لا يمثل فى صورة صنم قط، فقام بحملة جبارة على آمون وأصنامه وعاداته وشعائره فمحاها من الوجود . وهشم تماثيله

واسمه أينما وجد، ولذلك غير اسمه من أمنحتب الى إخناتون (سرور آتون) و بعد ذلك حمل حملته الأخيرة الشاملة على جميع الآلهة الأخرى، فحرم عبادتها وقضى على كل الشعائر التى كانت تقام لها ومحا لفظة « آلهة » أينما وجدت فى كل أنحاء امبراطوريته . ولما كانت المقاومة على ما يظهر شديدة فى « طيبة » هجرها وأقام لنفسه عاصمة جديدة وسماها «اختاتون» أى أفق آتون (تل العمارنة الحالية) وهناك أقام المعابد لإلهه الجديد الذى كان يرمز له بقرص الشمس وجعل مبادئه «العدالة» و «الحق» و «الصدق» كما حرم تصوير إلهه فى أى صورة كانت . وأخذ فى إقامة المعابد له فى جميع أنحاء الدولة المصرية ونشر فيها تعاليمه وقد كان لهذه المبادئ أثرها الظاهر فى كل نواحى الحياة المصرية وبخاصة فى الفن الذى أصبح يمثل الأشياء على حقيقتها لا على حسب القواعد الجافة المتبعة منذ أقدم العهود . و يرجع السبب فى ذلك الى أن هذا الفرعون كان يريد أن يسير على منهاج الصدق والحقائق كما هى لا يرى إلا إلها واحدا خالقا لكل شيء ولم يخلقه أحد . ولسنا مبالغين اذا عددنا «أخناتون» أوّل شخصية فى التاريخ أبرز فكرة التوحيد فى معناه الحقيقى كما نفهمه، فقد كان يسير على أسس قوامها أن الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى برأ ما فى السموات والأرض لا شريك له . وتدل كل الشواهد على أن هذه العقيدة قد انتقلت الى آسيا وضربت بأعراقها فيها وبخاصة أن «موسى» عليه السلام قد تعلم فى مصر فكان من الأنبياء المتعلمين الذين جاءوا بعد « إخناتون » وورثوا عنه فكرة التوحيد المنزلة .

غير أن هذه التعاليم لم يطل أجلها بعد موت «إخناتون»، إذ لم تكن قد تغلغلت فى نفوس الشعب و بخاصة ان معظم أتباعه لم يكونوا قد أشربوا عقائده الحقة بل كانوا قد اتبعوه لأنه الفرعون صاحب القول الفصل وحسب، وأن رجال كهنة آمون كانوا لا يزالون متسلطين على عقول الشعب ومتعصبين لعقائدهم التى ساروا عليها منذ فجر التاريخ، ولذلك لما أظهر الملوك الذين خلفوا «إخناتون» ضعفهم أمام كهنة آمون وكثرت الخلافات حول من يتولى العرش بعد موت هذا العاهل، أعطى كل ذلك الفرصة لكهنة «آمون» وأتباعه للتغلب على أتباع «آتون» ، ومحو عبادته ثانية و إعادة

عبادة «آمون» كما كانت من قبل. وقد سهل الأمر لكهنة « آمون» فضلا عما ذكرنا أن الأسرة المالكة كانت قد انقرضت بموت « توت عنخ آمون» ، وتولى زمام الأمور فى مصر جندى عظيم ممن كانوا ينتمون لعبادة « آمون » من قبل الانقلاب الذى أحدثه « إخناتون » . وهذا الجندى هو « حور محب » الذى رجعت فى عهده عبادة «آمون» الى مكانتها الأولى، وكذلك أخذ الآلهة الآخرون مكانتهم السالفة.

وقد كان من جراء انهماك «إخناتون» فى بث مبادئه الدينية التى تعدّ بحق فى نظرنا المبادئ الحقة التى يتمثل فيها كل صفات الوحدانية القويمة التى لا يتسرب إليها أى شك — وإن كانت فى نظر المصرى القديم تعدّ مبادئ الزيغ والكفر — أن ترك «أخناتون» أمر سياسة امبراطوريته ظهريا فانتشرت فيها الثورات وتخطفتها الدول الفتية التى كانت آخذة فى الظهور حول بلاده، فانتقصتها من أطرافها شيئا فشيئا خفية وبخاصة بلاد «خيتا» ونهرين، وبابل، التى كانت فى بادئ الأمر على ودّ وصفاء مع مصر، ولكن ما لبثت أن قلب بعضها ظهر المجن للفرعون عندما آنس فيه الضعف وأخذ يغير على ممتلكاته جهارا فكان لبلاد «خيتا» نصيب الأسد. وقد وضعت أمامنا الكشوف الأثرية التى ظهرت فى مصر وفى بلاد «خيتا» صفحة من أروع الصفحات فى تاريخ الشرق القديم وبخاصة فى الأصقاع التى تشمل ما يسمى الآن الوحدة العربية . ففى مصر كشفت خطابات تل العمارنة التى كتبت بالخط المسمارى وهى التى تبودلت بين مصر وحكام سوريا وفلسطين و بلاد «نهرين» «وبابل» و«خيتا» ، وفى بلدة « بوغازكوى» (خاتوشا) عاصمة بلاد «خيتا» الواقعة فى قلب آسيا الصغرى عثر على سجلات وزارة خارجية مملكة « خيتا » ، وما دار بينها وبين مصر وأمم الشرق من مكاتبات. ومن الغريب المدهش أن هذه الوثائق كلها تقدم لنا صورة عن بلاد «خيتا» تكاد تشبه فى كثير من الوجوه مركز مصر الممتاز بالنسبة لهذه الدول مما سيراه القارئ مفصلا فى مكانه .

ولقد حاولنا فى تفصيل الحقائق السالفة الذكر أن نورد المصادر الأصلية التى آعتمدنا عليها بقدر ما سمحت به الأحوال، من الوثائق المصرية « وخطابات تل العمارنه » وسجلات « بوغازى كوى» كما أننا أسهبنا فى كثير من الموضوعات

رغبة فى أن نضع أمام القارئ الباحث صورة واضحة عن هذا العصر الذى يعدّ أزهى عصور تاريخ مصر من حيث علاقاتها الخارجية مع بلاد الشرق التى تسعى لتؤلف وحدة متماسكة تقاوم بها عدوان الدول الغربية القوية، كما أنه يعدّ الفترة التى ظهرت فيها فكرة التوحيد بمعناها الحق. هذا بالإضافة إلى أنه فى هذا العصر أيضا رأينا الفراعنة يقتربون من أبناء الطبقة الدنيا من الشعب إليهم، ويتخذون منهم أعوانا وبطانة كما كانوا يتخذون منهم مربيات ووصيفات وخليلات وقوادا للجيش وضباطا بقصد مقاومة طبقة الموظفين الذين كانوا قد كوّنوا لأنفسهم طائفة بيرقراطية قوية استحوزت على كل مرافق البلاد. وقد انتهى الأمر بأن زحزحت هذه الطبقة شيئا فشيئا برجال الجيش الذين احتلوا كل الوظائف الكبرى، وفى آخر المطاف تولى الملك واحد منهم وهو « آى » ثم خلفه « حور محب » وهو جندى قوى ومشرع كبير وضع للبلاد تشريعا عظيما أصبح فيما بعد مضرب الأمثال وقبل وفاته أوصى بالملك لقائد جيوشه « رعمسيس » الذى أسس الأسرة التاسعة عشرة وهى التى أقالت مصر من عثرتها على أيدى فراعنتها واستردّت الشىء الكثير من مجدها الغابر بفضل « سيتى » الأوّل و « رعمسيس الثانى » العظيم. وسيكون ذلك موضوع الجزء التالى إن شاء الله.

شكر

وإنى أتقدّم هنا بعظيم شكرى لصديقى الأستاذ محمد النجار ناظر مدرسة سمدون الأميرية لما قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة، كما أتقدّم بوافر الثناء على حضرة الأستاذ محمد نديم مدير مطبعة دار الكتب المصرية لما بذله من جهد مشكور وعناية ملحوظة فى إخراج هذا المؤلف، ولا يسعنى إلا أن أقدّم شكرى للأستاذ محمد ابراهيم نصر الذى أبدى عناية فى كتابة أصول هذا الكتاب وبذل مجهودا مشكورا فى قراءة تجاربه كلها وعمل الفهارس معى.

والله أسأل أن يوفقنى الى ما فيه خير البلاد ومجدها ؟

نوفبر سنة ١٩٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

قد يبدو غريبا لأوّل وهلة ما ذهبنا إليه من اتخاذ عهد حكم « تحتمس الرابع » بداية عصر جديد فى سياسة النصف الثانى من حكم الأسرة الثامنة عشرة ؛ ولكن لدينا من الأسباب والمبررات ما يعضد ماذهبنا إليه ويجلو غرابته . فقد نوّهنا فى الجزء الرابع من هذا المؤلف أن « أمنحتب الثانى » كان آخر فرعون — على ما نعلم — حارب فلول الهكسوس الذين استوطنوا بلاد آسيا بعد أن أجلاهم «أحمس الأوّل» عن أرض الكنانة جملة . ولا نزاع فى أن «أمنحتب الثانى» كان قد قضى على البقية الباقية من أمراء الأقطار الأسيوية المنتسبين لقوم الهكسوس ، ولذلك لما تولى «تحتمس الرابع» لم يجد أمامه عقبات قائمة تذكر فى إخضاع من ثار من أمراء سوريا ، بل وجد أمامه أحوالا مهيئة للسير على سنن سياسة جديدة رشيدة فى معاملة من حوله من الأمم الفتية القوية التى كانت تحيط بامبراطوريته . وقد كان قوام هذه السياسة المصادقة والمهادنة والودّ الذى مكنت أواصره ووثقت عراه بالمصاهرة بينه وبين أقوى هذه الدول . والواقع أن «تحتمس الرابع» كان أوّل فرعون خرج على تقاليد آبائه منذ القدم ، إذ نراه يناشد ملك « متنى » الودّ ويطلب إليه الزواج من ابنته . وقد كانت نتيجة هذا الزواج أن توثقت عرى المحبة والصداقة بين البلدين ، وسنرى بعد أن هذه السياسة الحكيمة قد قفا أثرها أخلاف «تحتمس الرابع» مما أدّى إلى بسط سلطان مصر ونفوذها بالطرق السلمية على جميع العالم المتمدين حتى أصبحت سيادة مصر سيادة عالمية لا ينازعها فيها منازع فترة طويلة من الزمان .

ومن جهة أخرى يدل ما لدينا من معلومات على أنه قد ظهر فى عهد «تحتمس الرابع» علامات واتجاهات فى الفكر لتيارات خفية تسير ببطء وعلى مهل مبشرة بقيام انقلاب إصلاحى دينى سام غرضه القضاء على الوثنية جملة والاعتراف بإله واحد فرد صمد . وقد أخذت بذور هذه العقيدة تضرب بأعراقها فى عقول أصحاب الفكر فى مصر منذ عهد « تحتمس الرابع » حتى نضجت وأتت أكلها فى عهد « أمنحتب الرابع » الذى تسمى بأخناتون كما سنفصل فيه القول فى حينه .

هذه هى الأسباب والمبررات التى حدت بنا لاتخاذ عهد«تحتمس الرابع»فاتحة عصر جديد فى سياسة مصر العالمية والدينية .

تحتمس الرابع

١٤١٥ - ١٤٠٥



من بين اللوحات الكثيرة التي كشفت عنها أعمال الحفر التي قامت بأعبائها الجامعة المصرية حول معبد « بو الهول » ثلاث لوحات تلفت النظر غير لوحة « أمنحتب الثاني » العظيمة التي تحدثنا عنها . فإن هذه اللوحات أجمل شكلا ، وأدق صناعة من اللوحات الأخرى التي أهداها الموظفون لتمثال « بو الهول » ، وقد مثل على كل منها شاب من علية القوم ، بل أمير يقدّم قربانا لتمثال « بو الهول » ولتمثال الملك . وفي لوحتين منها كان الملك المقدم إليه القربان هو « أمنحتب الثاني » ، وفي ثلاث اللوحات قد محى عمدا اسم الأمير، وفي واحدة منها كان اسم الأمير موضوعا في طغراء . وقد محى اسم الأمير بدقة وعناية بحيث لم تمس كلمة من الكلمات التي مع الاسم بأي سوء ، كما أنه قد اتخذت الحيطة فلم يضر رمز من الرموز المقدسة، ومن ذلك نفهم أن هذا المحو قد قام به شخص يحمل في صدره ضغينة شخصية لأصحاب هذه اللوحات ، كما أنه لا يحمل أي حقد على الفرعون أو الإله الذي صوّر على اللوحة ، ومن ثم نعلم أن هذا العمل لم يكن من جانب رجال « إخناتون » . ومما يلفت النظر أن محو الاسم لم يكن قاصرا على الاسم البارز الذي كان يتبع الصورة ، بل قد تخطاه الى الاسم الذي في صلب متن اللوحة نفسها، غير أنه لحسن الحظ قد خان هذا الحاقد الذي قام بالمحو نظره، فترك لنا الاسم سليما في مكانين، ومن ثم نعلم أنه كان يسمى «أمنمأبت» ، وأنه كان يحمل ألقابا تعدّ من أعظم ألقاب الدولة وأرفعها .

والآن يتساءل المرء من هم هؤلاء الأمراء الذين مثلوا على هذه اللوحات ؟ هل هم شخص واحد ، أم هم ثلاثة شبان يحتمل أنهم إخوة ؟ ولما كان لكل منهم

غديرة شعر (شوشة) مما كان يرمز به عند المصريين القدامى لسنّ الطفولة استطعنا أن نحكم بأنهم لم يبلغوا الحلم بعد ، ولكى يكون فى استطاعتنا محاولة حل هذا اللغز ، نفحص كل لوحة على حدتها ، وسنرمز لها هنا تسهيلا لفحصها بالأحرف « ا » «ب» «حـ» ؛ فمن اللوحة الأولى (ا) نعلم أن صاحبها كان أميرا صغيرا بهى الطلعة يقدم قربانا لكل من تمثالى « بو الهول » والفرعون « أمنحتب الثانى » ، وأن الشخص الحقود الذى محا اسمه لم يلحق أى ضرر بأى اسم أو رمز إلهى . ولا نزاع فى أن هذا الفرد الذى محا الاسم لم يكن من عمال « إخناتون » لأن اسم « آمون » بقى على اللوحة لم يصبه أذى .



(١) مومية تحتمس الرابع

وفى اللوحة الثانية «ب» نجد أن الأمير الممثل عليها يشبه الأوّل، وكذلك يقدم لتمثالى « بو لهول » والملك « أمنحتب الثانى » قربانا . وقــد كان كذلك لم يبلغ سنّ الرشد كما يدل على ذلك غديرة شعره المدلاة على صدغه ، وكان يحمل ألقابا عالية وكلها بطبيعــة الحال ألقاب فخرية ، وكذلك نرى النقــوش التى نقشت فوق تمثاله تكاد تكــون صورة مطابقة للنقــوش التى على لوحة الأمير السابق ، مما يوحى بأن اللوحتــين قد تكونان لأمير واحد بعينه . وهــذه اللوحة كذلك قد أصابتها أضرار كثيرة على يد فرد أراد أن يمحــو شخصية صاحبها وحده ، ولم يكن للتعصب الدينى شأن فى إتلافها لأن كل الرموز الدينية بقيت سليمة . ومما هو جدير بالذكر أن اسم هذا الأمير كان منقوشا فى طغراء لا تزال خطوطها الخارجية ظاهرة .

أما اللوحة الثالثة « حـ » فنرى عليها أميرا يظهر أنه مثل الأميرين اللذين مثلا على اللوحتين السابقتين ، ويسمى « أمنأبت » . فقد ترك لنا اسمه فى مكانين على اللوحة أخطأهما عدوّه . أما فى بقية اللوحة فقد محى اسمه تماما . وهذا الأمير ممثل كذلك بغديرة الشعر التى تدل على الطفولة أيضا ، ويرى مقدّما القربان للإله « بو لهــول » وللملك « أمنحتب الثــانى » ، وفى منظر آخر يقدّم قربانا للإلهــة « إزيس » . من أجل ذلك يمكننا أن نستخلص مما سبق الحقائق التالية :

(١) إن اللوحات الثلاث متشابهة فى الأسلوب والصنعة وكلها من عصر واحد.

(٢) وإن اسم الأمير قد بقى لنا فى لوحتين وهو « أمنأبت » .

(٣) وأن هذا الشاب كان ابن ملك .

(٤) وأن الاسم المحو كان فى حالة واحدة موضوعا فى طغراء .

(٥) وأن هــذا الأمير كان فى لوحتين يقــدم القربان لتمثــال « بو لهــول » والملك معا .

(٦) وأن اسم أولئك الأمراء قــد محى على يد شخص معادٍ يحمل فى قلبه حقدا شخصيا لصاحب اللوحة وليس له علاقة بالملك أو بالإله « بو لهول » .

(٧) وأنه فى اللوحة الثالثة « حـ » نرى أميرا يقدم القربان لتمثال الملك ، وأن اسم الأخير قد فقد عفوا نتيجة كسر وليس نتيجة محو .

وإذا لخصنا كل النتائج التى وصلنا إليها فى هذا البحث، اتضح جليا أن أولئك الأمراء على ما يظهر أولاد الفرعون « أمنحتب الثانى »، ويحتمل أن اللوحات كذلك هى كلها كانت لأمير واحد أى لأخ أصغر « لتحتمس الرابع » . وسنرى عندما نفحص متن اللوحة الجرانيتية المنسوبة لهذا الفرعون أن « بو لهول » يتحدث فى رؤية صادقة للأمير « تحتمس » ويساومه فى أنه إذا قام بتنظيف ما يحيط بتمثاله من رمال، وحافظ عليه مما يطمس جسمه ويخفيه عن الأعين، فإنه سيمنحه تاج مصر . ومن ذلك يتضح جليا أن الأمير «تحتمس» لم يكن هو الوارث الحقيق لعرش مصر، وإلا فإن وعد « بو لهول » له يكون عديم الفائدة لأنه كان بطبيعة الحال سيخلف والده بعد موته دون منازع، ولم يكن فى حاجة لتحمل مشاق تنظيف « بو لهول » ليكافأ عليه بعرش الملك الذى كان سيئول إليه طبعيا دون مناهض . ومن ذلك يمكننا أن نزعم بحق أن إخوة الأمير « تحتمس » أو أخاه كانوا عقبة فى سبيل تولى عرش الملك، وأن « تحتمس » قد قضى عليهم بطريقة ما إما بالموت أو النفى، ثم محا بعد ذلك أسماءهم، وكل ما يشعر بوجودهم لأجل أن تنسى ذكرياتهم . ولا نزاع فى أن قصة الحلم هى محض اختراع لأجل أن يبرر موقفه أمام الرأى العام، وهذا يفسر لنا العزيمة الصادقة التى نفذ بها الشطر الذى كان عليه أن يقوم به فى المساومة .

ولعمرى لقد كان هذا التحايل للاستيلاء على عرش الملك بغير حق شرعى من البدع التى نشأت فى مصر منذ عهد الأسرة الخامسة، فمنذ ذلك العهد نجد الملوك الذين لم يكن لهم حق شرعى مطلق فى تولى العرش يختلقون أقصوصة يجعلون القوة الإلهية تتدخل فيها لتحلل لهم الاستيلاء على عرش الملك ، وأول من استعمل هذه الحيلة ملك فى الأسرة الخامسة ثم استعملها على ما يظهر

« سنوسرت الأول » ، وفى الأسرة الثامنــة عشرة شاعت وتنوعت الأساليب التى كانت تتبع وسيلة لذلك كما شاهدنا فى حالات «حتشبسوت» و«تحتمس الثالث» ، ثم « تحتمس الرابع » الذى نحن بصدده الآن .

ومما يعضد الرأى الذى أوردناه هنـا أن « أمنحتب الثـانى » كان له أولاد ذكور عديدون وقد ذكر لنا الأستاذ « فلندرز بترى » فى تاريخه عن مصر استنادا على ما دوّنه « لبسيوس » فى كتابه عن آثار مصر (L. D. III, Pl. 69a.) أن من المحتمل أن يكون « لتحتمس الرابع » إخوة يتراوح عددهم بين الخمسة والسبعة من أبيه « أمنحتب الثانى » لأنه وجد فى قبر « حكرنحح » مربى « تحتمس الرابع » منظر مثل فيــه « تحتمس » الصبى جالسا على حجر مربية ، وقـد مثل معه إخوة آخرون عديدون ، وممـا يؤسف له أنه وجد كل أسمائهم قد محيت ، وعدم ذكرهم فى أى مكان آخر يشعر بأن أخاهم «تحتمس» كان قاسيا مجحفا لآثارهم وذكرياتهم كما أساء إليهم أنفسهم (راجع .Petrie, "History", II, p. 165) . والواقع الذى يؤسف له أن هذه النظرية التى استعرضناها هنا على ضوء هذه الكشوف الحديثة لا تجعـل من « تحتمس الرابع » رجلا مثـاليا ، لأنه وإن لم يكن قـد لعب دور السفاح فى هذه الرواية المحزنة — والظاهر أنه قد قام بهذا الدور المشين لأسباب كثيرة — فإنه كان رجلا جامد القلب يحب الأثرة إلى أقصى حد ، ولا يبعد أنه كان السبب فى الحزن الذى توجعت منه أمه ، وأظهرته فى الكلمات الباقية التى وجدناها على تمثالهـا ؛ وسنرى حالة مماثلة لهذا المحو فى صورة أحد أولاد « سيتى الأوّل » ويحتمل أنه اخوة « رعمسيس الثانى » لأن صورته قـد أزيلت من منظر موقعة « سيتى الأول » ، التى على جدران معبد الكرنك غير أن فى ذلك بعض الشك .

والآن نعود إلى هذا الأمير التعس «أمنمابت» الذى وجدت لوحاته فى منطقة « بوهول » إذ لا بدّ أنه كان جريا على تقاليد الأسرة فى هذا العهد قد خرج لزيارة « بوهول » للصــيد والقنص فى تلك المنطقة التى اشتهرت بحيوانها البرى . ومن

المحتمل أنه هو و إخوته كانوا قد تعودوا الطراد فى هـذه المنطقة، وكان من بينهم ذلك الشاب الماكر الغامض الذى أصبح فيما بعد « تحتمس الرابع » ، وكان قـد اعتاد الصيد فى «وادى الغزال» (وهو اسم أطلق على صحراء «منف» وما جاورها)[1]. واللوحة الجرانيتية[1] التى أقامها بين مخالب «بوهول» قد حفظت لناقصة الحيلة التى برر بها توليه العرش بما قام به من عمل جليل لتمثال هذا الإله الذى كان يخفى فى صورته إله الشمس أعظم الآلهة المصرية قوة وسلطانا وعدالة، وعلى ذلك كان إقصاء كل مدع آخر للملك أمرا لا مفر منـه، وأن كل ما آتاه من سـفك دم و بطش بإخوته أو بالوارث الأصلى كان تنفيذا لنبوءة هذا الاله العظيم .

وهاك متن هذه اللوحة :

التاريخ وألقاب الفرعون : « السنة الأولى ، الشهر الثالث من الفصل الأول ، اليوم التاسع عشر من حكم جلالة حور ، الثور القـوى ، منشىء الضوء ، محبوب الإلهتـين ، الباقى فى الملكية مثل «آتوم» ، حور الذهبى : القوى السيف ، وصاد الأقواس التسعة ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبرورع » ابن الشمس ، «تحتمس الرابع» ، المضىء فى التيجان ، محبوب «آمون» مُعطى الحياة والثبات والرضا مثل رع مخلدا .

---

(١) لقد كان الرأى السائد عند علماء الآثار واللغة المصرية القديمة أن هذه اللوحة حديث خرافة وأنها ألفت فى العهود المتأخرة (راجع Erman, "Ein neues Denkmal von der grossen Sphinx", Sitzung Berlin Akademie (1904) 428 ff. and p. 1063 - 1064.) . غير أن الأستاذ « شبيجلبرج » برهن على أن هذا الرأى فاسد ، وأنها كتبت فعلا فى عهد هـذا الفرعون (راجع Spiegelberg, "Orient. Lit. Zeitung" (1904) 1268 ff. and 343.) .

ومع كل ذلك لم يقتنـع الأستاذ « ادورد مير » بحجج الأخير وقال عنهـا إنها خرافة ، ولها مثيـل فى اللغة المصرية القديمة وهو لوحة « بنترش » وفى البابلية خرافة سرجون .

(راجع Ed. Meyer, "Geschichte des Altertum", II, I P. 149, note 1.) .

ولكن بعد كشف لوحة « أمنحتب الثانى » القائمة بجوار لوحة « تحتمس الرابع » وغيرها من اللوحات المماثلة لا يسع الإنسان إلا الاعتراف بأنها من صنـع عصر « تحتمس الرابع » مع إصلاح ما تهشم منها فيما بعد على يد ملك تقى .

نعوت «تحتمس الثالث» : "يعيش الإله الطيب ابن « آتوم » حامى « حور أختى » ، والصورة الحية لإله الكل ، والعاهل ، ومن أنجبه «رع» ووارث «خبرى» الممتاز ، وصاحب الوجه الجميل مثل والده ، ومن خلق مجهزا بصورة «حور» عليه ، وهـو ملك ... الآلهة ؛ خطوة مع تاسوع الآلهة ، والذى يطهر عين شمس ، ومن يرضى « رع » ، والذى يجمل «طيبة» ومن يقدم الصدق للإله « آتوم » ، ومن يمنحه قاطن[1] جنوبى جداره (بتاح) ومن يقيم أثرا بالقرب اليوميـة للإله الذى خلق كل الأشياء ، ومن يبحث عن كل نافع لآلهة الجنوب والشمال ، ومن يقيم بيوتهم بالحجر الجيرى ، ومن يمنح كل قربانهم ، ابن « آتوم » من جسده «تحتمس الرابع» الذى يضىء فى التيجان مثل «رع» ، وارث حور على عرشه « منخبرو » « رع » معطى الحياة » .

«تحتمس الرابع» فى طفولته : «وعندما كان جلالته طفلا مثل «حور» الشاب فى «خميس»[2] كان جسمه مثل حامى والده « حور » ، وقد كان مثل الإله نفسه ، وقد كان الجيش مبتهجا بحبهم له ، وقد كان يعيد أعمال بطولته مثل ابن «نوت» (أى الإله « أوزير ») وأولاد الملك وكل العظماء ، وكانت شجاعته تفيض منه ...

«تحتمس الرابع» الرياضى والصياد : تأمل ! إنه قد قام بعمل كان محببا اليه على هضاب مقاطعة « منف » على جانبيها الجنوبى والشمالى ، فكان يرمى هدفا من نحاس ، و يصطاد أسودا وحيوان الصحراء الصغير ، راكبا فى عربته وجياده كانت أسرع من الريح ، ومعه اثنان من أتباعه ، ولم يكن يعلم ذلك أحد » .

مكان «تحتمس» المختار للراحة بعد الصيد : "ولما حانت ساعة الراحة لأتباعه ، كان ذلك دائما « معبد ستبت » (أى المعبد المختار وهـو الاسم الذى كان يطلق على معبد « بو لهول ») الخاص بالإله « حـو رام اخت » (وهو اسم « بو لهـول » فى عهد الدولة الحديثـة . ومعناه الإله « حور» فى الأفق ، والأفق معناه هنا الجبانة التى دفن فيها ملوك الأسرة الرابعة ، وقـد كان أول من سماها بهذا الاسم هو «خوفو») بجانب الإله « سكر » فى « روستاو » والإلهة «رننوتت» فى « إيات تامون » ... ... فى الصحراء (أى الجبانة) «وموت» صاحبة ... الشمالية ... سيدة الجدار الجنوبى ، والإلهة « سخمت » القاطنة فى الجبل فى المكان الفاخر الأزلى قبالة سيد « خرعحا » (مصر عتيقة) والطريق المقدسة للالهة المؤدية لجبانة الغربية .

---

(١) كانت تسمى مدينـه «منف » الجدار الأبيض وكان معبـد الإله « بتاح » يقع فى الجهـة الجنوبية من هـذه المدينة ولذلك أطلق عليه « قاطن جنوب جداره » أى أن الجدار الأبيض هى بلدته التى يسكن فيها .

(٢) « خميس » هى البلدة التى ولد فيها « حور » بن « إزيس » وهو الذى تولى الملك بعد والده « أوزير » وموقعها كوم الخبيزة الحالى فى شمالى الدلتا .

و يقيم تمثال «خبرى» العظيم جدا فى هذا المكان ، وهو العظيم فى شجاعته ، والذى يظله فنّ «رع» ، وهو الذى تهرع إليه ربوع « منف » وكل المدن التى بجواره رافعين أكف الضراعة إلى وجهه وحاملين القرب العظيمة لروحه " .

«تحتمس الرابع» يرى بو لهول فى رؤية صادقة : " واتفق ذات يوم أن ابن الملك المسمى « تحتمس » أتى را كبا عربتـه وقت الظهيرة ، وجلس يتفيأ ظـل الإله العظـيم فغشاه النعاس عندما كانت الشمس فى منتصف السماء ، فرأى جلالتـه إلهه المبجل ، يتكلم بفمه كما يتكلم والد مع ابنه قائلا : تأمل أنت فىّ يا بنى « تحتمس » إنى والدك « حورام اخت — خبرى — رع — آتوم » إنى سأمنحك ملكى على الأرض رئيسا على الأحياء وستلبس التاج الأبيض والتاج الأحمر على عرش الإله « جب » (إله الأرض) الأمـير الوراثى [1] — وستكون الأرض ملكك فى طولها وعرضهـا : وهى كل ما يضىء عليه الرب المهيمن . وطعام الأرضين سيكون ملكك ، وجزية كل الأقطار مدة عهود طويلة سنيها . و إنى مول وجهى شطرك وقلبى معك ، وستكون أنت المحافظ على كل أشيائى ، لأنى أشـعر بألم فى كل أعضائى . ورمال المحراب الذى أنا فيه قد غمرتنى ، فالتفت إلى لتفعل ما أرغب فيـه ، لأنى أعلم أنك ابنى وحامىّ . تأمل ! إنى معك و إنى قائدك .

ولما فرغ من كلامه هذا استيقظ ابن الملك سامعا ذلك ... فهم كلمات الإله ووضعها فى قلبه . ثم قال (لأتباعه) تعالوا دعونا نسرع إلى بيتنا فى المدينة ، و إنهم سيحافظون على ما نحضر من قربان لهذا الإله : ثيران ... ... وكل الخضر صـغيرة ، وسنقدم الثناء للإله « ونفر » (أى زير فى عالم الآخرة) ... ... «وخفرع» ، والتمثال الذى عمل « لآتوم حورام اخت » ... ... » .

مغزى اللوحة : والظاهر أن « تحتمس » بعد أن ضرب ضربته السياسية التى قضت على كل مناهض له فى التربع على العرش ، أسرع فى إنجاز ما عليـه من دين لهـذا الإله ، إذ نعلم أنه قد أزال الرمال عنه فعلا ، ولم يكتف بذلك ، بل أقام سورا حول مربض التمثال بناه من اللبن . وقد بقى الاعتقاد السائد عند علماء الآثار أن هذا السور من عمل ملوك البطالمـة ومن بعدهم إلى أن كشفت أعمال

---

(١) كان « جب » إله الأرض وكان أحد أعضاء تاسوع الآلهـة فى « هليو بوليس » وكان والد « أوزير » و« إزيس » و« نفتيس » و« ست » و« حور » الأكبر ، وكان قد حكم مصر يوما فى بداية حكم الأسرة الالهية ثم خلفه على العرش ابنه « أوزير » .

الحفر التى قامت بها الجامعة المصرية عن السور كله وظهر أنه من عمل « تحتمس الرابع » نفسه، إذ وجدنا بعض لبنات فى بناء السور نفسه عليهـا طغراء الفرعون « تحتمس الرابع » .

وقد ترك لنا هـذا الفرعون كذلك سلسلة جميلة من اللوحات التذكارية من إهدائه لهذا الإله . والظاهر أنها كانت فى الأصل مثبتة فى أحد الجدران الحافظة لتمثاله من إغارة الرمال عليه ، وهذه الجدران كانت تحيط به من كل الجهات .

وقـد كشفنا فى أثناء الحفر عن إحدى عشرة لوحة من هذه اللوحات، وكلها من الحجر الجيرى الأبيض مستديرة القمة، ويبلغ حجم الواحدة منها على وجه التقريب ٦٥ × ٤٥ سنتيمترا . وفى كل منها منظر مثل فيـه « تحتمس الرابع » إما وحده أو مع زوجه «نفرتارى» يقدّمان قربانا للالهة المختلفين، وهؤلاء هم : (١) رع : حور صاحب « سخنو »[١] (٢) « تحوت » سيد « الأشمونين » (٣) « وازيت»[٢] سيدة «ب» و«دب» = (بوتو) (أى «إبطو» الحالية بمركز دسوق)، (٤) والإله «سكر»[٣] الإله الأعظم سيد «شتيت» (٥) والإله «آمون رع» سيد ... » والإلهة « سشات » ربة الكتابة (٦) والإلهة « حتحور » سيدة شجرة الجميز (٧) والإلهة «حتحور» سيدة «إنرتى»أى بلدة جبلين (٨) والإله «آتوم» رب «هليوبوليس» (٩) والإله « بتاح» رب الصدق، والإلهة «رننوتت» صاحبة «إيات — تاموت» (وهى ربة الحصاد) ، ومن المحتمل أنها كانت تعبد هنا لتجعل الأرض القاحلة خصبة مثمرة) . وهذه اللوحات وغيرها مما كشف عنه لها أهمية خاصة ، إذ أنها تمدّنا بقائمة بأسماء الآلهة الذين كانوا يعبدون فى هذه المنطقة .

---

(١) « بلدة بالقرب من « هليوبوليس » .

(٢) وهى الإلهة العظمى للوجه البحرى .

(٣) إله الموتى القديم فى « منف » وقد وحد فيما بعد مع الإله « أوزير » .

(٤) مكان بالقرب من « مدينـة هابو » . ويعـد مكان الخشب المقدس فى المقاطعة الرابعة من الوجه القبلى .

وعلى الرغم مما يحوم فى أذهاننا من شك ، وما يعتورنا من سوء ظنّ فلا نزاع فى أنه قد قام بعمل جليل أكثر مما قام به أى فرعون ، لإزالة الرمال عن « بو لهول » وإصلاح ما حوله وإن كان قد عمل هذا ليبقى على عرش الملك آمنا مطمئنا .

ولا نزاع فى أن كهنة « عين شمس » كان لهم أثر عظيم فى تحويل الأنظار عن عبادة « آمون » وإحياء عبادة الإله « رع » ثانية ، وبخاصة أن الفراعنة كانوا قد بدءوا يشعرون بقوّة سلطان كهنة الإله « آمون » . وقد كان أوّل من حاربهم وأراد القضاء عليهم هو « تحتمس الرابع » الذى بدأت فى عهده بلا نزاع حركة إعادة عبادة « رع » ، وهى تلك الحركة التى انتهت بالإصلاح الشامل الذى تم على يد « إخناتون » ؛ ولدينا من الأدلة ما يعزز هذا الرأى ، وبخاصة اللوحة التى عثر عليها فى المعبد الصغير الذى أقامه والده « أمنحتب الثانى » من اللبن ، وأقام فيه لوحته المشهورة التى سبق الكلام عنها . وهذه اللوحة قطعة من الحجر مستطيلة الشكل محاطة بإطار مرتفع ومستطيل داخلى وطرف اللوحة مستدير من أعلى ، غير أنه قد تآكل بعض الشىء ، وهذا الجزء العلوى المستدير يشغله قرص شمس مجنح وهو الشكل العادى للإله « حور بحدت » ، وقد بدت فيه ظاهرة غريبة عن الفن والتقاليد المتبعة ، وذلك أن قرص الشمس بأجنحته المنتشرة والمكتنف بصلين قد زوّد بذراعين ويدين آدميتين ممسكتين بطغراء عظيمة كأنهما تحميانه ، واسم الملك الذى فى الطغراء قد محى ولم يبق منه إلا كلمة « تحوت » ونجد على كلا جانبى الطغراء سطرين من النقوش موجودين فى كتابتهما جاء فيهما "ليته يمنح الحياة والسعادة حور بحدت الآله العظيم ، سيد السماء المشرق من الأفق" ففى هذه العبارة إشارة صريحة إلى « حور بحدت » ولكن بصوة غير مألوفة . والواقع أن قرص الشمس المجنح يتألف فى العادة من قرص الشمس يكتنفه صلان ، ومزوّد بجناحين ، ولكنا لم نعرف قط على حسب ما وصلت إليه معلوماتنا أنه كان يزود بذراعين بشريتين

فهل معنى ذلك أن هذه أول محاولة لنشر مذهب عبادة « آتون » أو أن هذا الرسم كان من نسج خيال المفتن الذى رسم اللوحة؟ و يخيل إلىّ أن النظرية الأولى هى التى تقرب من الحقيقة، وذلك لأن اللوحة كانت قد نقشت فى عهد ليس ببعيد من عهد انتشار مذهب « آتون »، وأعنى بذلك عهد « تحتمس الرابع »، و إذا كان هـذا الفرض صحيحا برهن لنا ذلك على أن « آتون » لم يكن إلها أتى به من بلاد « سوريا » كما يظن البعض، ولكنه كان إلها مصريا خالصا، وأنه فى الواقع صورة أخرى من صور إله الشمس الذى نشأ فى « هليو بوليس » . ولا غرابة فى ذلك، فإنه قد عثر على جعران من عهد هذا الفرعون يذكر فيه إله الشمس باسمه «آتون» (راجع .J. E. A, Vol. XVII, P. 23) وقد جاء عليه النقش التالى "لقد شاهد أمراء النهرين ؛ وهم يحملون للفرعون « منخبرو رع » عند ما كان خارجا من قصره وهم يسمعون صوته مثل صـوت ابن نوت (أوزير) وقوسه فى يده مثـل ابن وارث « شو » (أى إله الأرض جب) (وبذلك يتحدث النقش عن الملك بوصفه ابن « جب » و « نوت » على حسب الآراء التقليدية) . و إذا أيقظ نفسه للقتال « وآتون » أمامه، فإنه يخرب الجبال و يطأ الأراضى الأجنبية زاحفا إلى « نهرين » و إلى « كاراى » (آخر الحدود الجنوبية) ليخضع سكان الأقاليم الأجنبية مثل رعاياه لحـكم « آتون » أبد الآبدين " .

ولا نزاع فى أن ما جاء على هـذا الجعران بالإضافة للرسم الذى ظهر على لوحة الجيزة له أهمية عظمى من الوجهة التاريخية . حقا إن الباحثين قد زعموا من قبل أن الثـورة الدينية والفنيـة التى قام بها « إخناتون » تضرب بأعراقها إلى عهـد « تحتمس الرابع » غير أن البراهين التى ذكرت لإثبات هذه الحقيقة لم تقم على أدلة أصيلة كالبرهانين اللذين قدمناهما الآن . وهـذه البراهين الثانوية على الرغم من أنها ليست قاطعة فإنها تقوى النظرية التى قدمناها وهاكها :

(١) يشير « إخناتون » على إحدى لوحات الحـدود بأنه كان يحارب كهنة « آمون » (راجع .Davies, "El Amarna", V, P. 31) .

(٢) يشاهد على قطعة حجر من «تل العمارنة» « إخناتون» يقدم قربانا للإله « آتون » وقد وصف هذا الإله بأنه يقطن بيت الفرعون « منخبرو رع » فى بيت «آتون » فى إخناتون » (راجع Schafer, "Altes und Neues zu Kunst und Religion von Tell el Amarna", A. Z., LV p. 33.) .

(٣) تشبه صور تماثيل المجاوبين التى وجدت للملك « تحتمس الرابع» تماثيل المجاوبين التى عملت «لإخناتون» فى كونها لم ينقش عليها إلا اسم الفرعون وحده، وقد خلت من كل نقش سحرى، وهذا مالا يوجد على تماثيل مجاوبين لأى ملك آخر.

(٤) يدل فن عهد «تحتمس الرابع» على أنه عصر فن جديد ينزع فى صوره إلى محاكاة الطبيعة والواقع الخ (راجع Davies, "M. M. A. XVIII, (Dec. 1923) II, P. 40 f.f.; and Frankfort, "The Mural Paintings of. El Amarna", Pl. 29.) .

(٥) عثر على قطع آثار عليها اسم «تحتمس الرابع» فى « تل العمارنة » (راجع Frankfort, ibid,) .

وعلى أية حال فلدينا فيما تقدمه هذه اللوحة وهذا الجعران برهان قاطع على أن « آتون » قد مثله لنا « تحتمس الرابع » فى صورته التى ظهر بها فيما بعد بالأيدى المتدلية منه معطية أشعة الشمس كما جاء على اللوحة ، بل كذلك قد ميزه باسمه عن إله الشمس كما جاء على الجعران ، وكذلك عبده بوصفه إله حرب نصره على أعدائه، وضمن له السيادة على سائر العالم جاعلا كل الإنسانية رعايا لقرص الشمس. ولا نزاع فى أن هذا الجعران قد نقش تذكارا لانتصار الفرعون على الأعداء فى حرب فى «آسيا » لم يعين على وجه التأكيد تاريخها . وهذا النوع من الجعارين كان منتشرا فى هذا العصر كما سلف الكلام عنه فى عهد «تحتمس الثالث» .

أما عن ديانة « إخناتون » وكيفية نشوئها وانتشارها فقد فصلنا القول فى ذلك فى فصل خاص كما سيجىء بعد .

ومن كل ما سبق نستطيع أن نستخلص أن « تحتمس الرابع » قد أقام لوحته الأولى والثانية لغرضين : الأول ليبرر اعتلاءه عرش الملك برا منه بوعده للإله « بو لهول » الذى كان يمثل إله الشمس والذى مناه بتولى عرش الفراعنة الذين يعدّ كل منهم نفسه وارث « رع » فى أرض الكنانة ، والثانى لينفذ فكرة إعادة عبادة الإله « رع » فى صورته الجديدة التى بدأت تأخذ شكلا خاصا فى أذهان الفراعنة، وتنمو تدريجا حتى أخذت صورتها النهائية فى عهد « إخناتون » كما سنرى بعد .

ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن اسم « خفرع » الذى ينسب إليه نحت تمثال « بو لهول » قد ذكر فى نقطة مهشمة من لوحة «تحتمس الرابع» الكبرى، ولذلك لا يمكننا أن نفضى بأى رأى عن سبب ذكره هنا . وكل ما يمكن إثباته فى هذا الصدد هو أن « تحتمس الرابع » لم يرع حرمة معبد « خفرع » إذ أن قطعة الحجر التى نقشت عليها اللوحة كانت مغتصبة من أحد جدران معبده الذى أقامه لهذا الإله بعينه ، ومن المحتمل جدا ، أن « تحتمس الرابع » نفسه لم يعرف كثيرا عن هذا المعبد الذى كان مطمورا فى الرمال عندما أقام لوحته أمام تمثال « بو لهول » .

حروب تحتمس الرابع : يدل ما لدينا من الوثائق حتى الآن على أن « أمنحتب الثانى » لم يقم بحروب بعد حملته الثانية المؤرخة بالسنة التاسعة من حكمه، والظاهر أنه قضى البقية الباقية من حياته فى هدوء وسكينة ملتفتا إلى تنظيم أحوال البلاد الداخلية . وفى هذا الوقت حدث تقدّم جديد فى الفتح من جانب مملكة « متنى » فى شمالى « سوريا » ، والظاهر أن المصريين لم يقوموا بمحاولة لصدّه ، وفضلا عن ذلك عقدت معاهدة مودة وصداقة بها نظمت الحدود بين البلدين .

ولما تولى «تحتمس الرابع» الحكم قام بحملة على شمالى بلاد سوريا (نهرين)، غير أن الوثائق المباشرة التى تحدثنا عن هذه الغزوة لم يكشف عنها بعد . ولا بدّ أنها

قد دونت على لوحة أو لوحات كما كان يفعل والده وجده العظيم «تحتمس الثالث»؛ غير أنه قد ترك لنا قائمة بالقرابين التى قدمها للاله فى معبد « الكرنك » بعد عودته من انتصاراته فى هذه الأصقاع، وقد أشار فيها إشارة عابرة تدل على قيامه بالحملة الأولى فى تلك الجهة، فقد ذكر أن بين هذه القرابين أشياء (قد استولى عليها جلالته من بلاد «نهرين»... الخاسئ فى حملته الأولى المظفرة (راجع Mariette, "Karnak", P. 32; Breasted, A. R. II, § 816) .

وقد أشار إلى أخبار هذه الحملة أحد رجال حرس الفرعون المسمى « أمنحتب » فى نقوش لوحة قبره (راجع Breasted, A. R. II, § 818; Sharpe, "Inscriptions", I, P. 93) .

حيث يقول : تابع الفرعون فى حملته فى الأقاليم الجنوبية والشمالية، ذاهبا من «نهرين» الى « كاراى » فى ركاب جلالته عند ما كان فى ساحة القتال ، ورفيق قدمى سيد الأرضين ، ورئيس اصطبل جلالته، وكاهن الإله « أنوريس » الأكبر « أمنحتب المرحوم » .

ومعلوماتنا عن نتائج هذه الحملة أنه قد أخمد كل الثورات التى قام بها الأمراء التابعون له ثم عاد عن طريق « لبنان » حيث أجبر الأمراء هناك على تقديم مقدار عظيم من خشب الأرز لبناء سفينة « آمون » المقدسة . ولما وصل إلى « طيبة » أسس مستعمرة للأسرى الذين أحضرهم على ما يظهر من « جيزر » « بفلسطين » فى ساحة معبده الجنازى الذى أقامه بجوار معابد أجداده على ضفة « طيبة » الغربية .

ويؤكد ما ذكرناه ما جاء فى مناظر قبر « خع ام حات »[1] الذى كان يعد من كبار أشراف هذا العصر كما كان رئيس الخزانة فى عهد « تحتمس الرابع »

(١) قبر هذا الأمير منحوت فى صخور « جبانة شيخ عبد القرنة » فى « طيبة الغربية » (رقم ١٢٠) .

(راجع Loret, "La Tombe de Kha-m-ha", Mission Arch. Franç. I, I. pp. 113-132.) . وهذا القبر قد خربه الأهالى وأخذت نقوشه وبيعت لتجار الآثار من الأوربيين ويوجد جزء كبير من هذه النقوش فى « برلين » .

و « أمنحتب الثـالث » . ومن بين مناظر قبره منظر من عهد « تحتمس الرابع » يرى فيه هذا الفرعون جالسا فى محراب من جهـة الشمال وخلفه أوان من الصناعة الأسيوية الفاخرة من الذهب والفضة وكميات عظيمة من هذين المعدنين فى هيئة حلقات ، وخلف هـذه يشاهد أمراء أسـيويون منحنين حتى الأرض ، وقـد نقش فوقهم المتن التـالى : "إحضار جزية « نهرين » بأمراء هـذه البلاد لأجل أن يلحوا فى طلب منحهم نفس الحياة . الخضوع لرب الأرضـين العظيم ، عند ما يأتون حاملين جزيتهم لرب الأرضين قائلين : امنحنا النفس الذى تعطيه يأيها الملك العظيم" .

وكذلك نجـد منظرا ممـاثلا فى مقبرة الضابط « ثانى » يرجع إلى عهد هـذا الفرعون وقـد جاء فيه : (راجع Scheil, "Tombeaux Thebains", Mission Arch. Franç. V. P. 601.) . "إحضار جزية بلاد « رتنو » وتقديم الأقاليم الشمالية ، الفضة والذهب والفيروزج وكل حجر ثمين من أرض الإله من أمراء كل الأقطار . لقد حضروا ليقدموا هـدايا للإله الطيب وليلتمسوا نفسا لأنوفهم بوساطـة كاتب الفرعون الحقيق ومحبوبه قائد الجنـود وكاتب المجندين « ثانى» " .

وقد أقام هذا الفرعون لوحة صغيرة فى معبده الجنازى فى طيبة الغربية تحدثنا عن استيطان السوريين ساحة المعبد المسورة : "استيطان قلعـة « منخبرورع » بأهـل « خارو » الذين أسرهم جلالته فى بلدة « غزا » جيزر" (راجع Petrie, "Six Temples", I, P. 7.) . وخشب الأرز الذى أحضره جلالتـه ذكر على المسلة القائمـة الآن فى « روما » حيث يشير الفرعون إلى خشب الأرز الذى قطعه فى بلاد « رتنو » (راجع Breasted , A. R. II § 838.)، وكذلك جاء ذكره على لوحة « سمن » (Smn) المحفوظة بمتحف « اللوفر » (راجع De Rouge, "Notice des Monuments", P. 153. and Text, Brugsch, "Thesaurus", VI, 1461, No. 113. Louvre C-202.) .

وفى هـذه اللوحة قد ذكر هذا الفرعون مرتين أنه فاتح « سوريا » ممـا يدل على أنه قام فى هذه الجهات بحروب مظفرة .

والظاهر أن الفرعون لم يكد يستقر به المقام فى عاصمة ملكه حتى اضطرته للقيام ثانية الثورات فى بلاد « واوات » ؛ وقد كان فى تلك الآونة مشغولا بالاحتفالات بعيد معبد « طيبة » فى اليوم الثانى من شهر « برمودة » عندما وصل إليه خبر العصيان الذى اندلع فى « واوات » . ففى اليوم الثانى ذهب الفرعون فى الصباح المبكر فى موكب حافل ليستخير الإله ويتلق منه الوحى بما عساه أن يفعل وقد بشر فعلا بالنصر . وقد قامت الحملة نحو الجنوب فى سفن أعدّت لها ، وكان الفرعون يضرب مرساه فى طريقه عند كل معبد عظيم حيث كان الآلهة يخرجون لاستقبال جلالته ويشدّون أزره لملاقاة العدوّ فى ساحة الوغى وبخاصة الإله « ددون » إله تلك البقاع الخاص ، وقد التق الفرعون بالعدوّ فى مكان ما فى بلاد « واوات » وانتصر عليه وعاد بأسلاب كثيرة ، وقد وضع الفرعون الأسرى الذين استولى عليهم وعاد بهم من تلك الجهات فى معبده الجنازى فى « طيبة » الغربية ، وقد علم المكان الذى وضع فيه هؤلاء الأسرى بلوحة نقش عليها "مستعمرة أهل بلاد « كوش الخاسئة » وهم الذين ساقهم جلالته من انتصاراته" وهاك نص لوحة « كونوسو » التى تحدثنا عن هذه الحملة (راجع L. D. III, Pl.69e) : " يعيش « حور » . (ثم يأتى بعد ذلك ألقاب الفرعون) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبرورع » معطى الحياة مخلدا . السنة الثامنة الشهر الثالث من الفصل الثانى اليوم الثانى "

إعلان العصيان : "تأمل ! لقد كان جلالته فى المدينة الجنوبية فى بلدة « الكرنك » ، وقد كانت يداه مطهرتين بطهور ملك ، وقد أدّى الاحتفالات التى تسر والده « آمون » لأنه وهبه الأبدية والخلود بوصفه ملكا موطدا على عرش « حور » . وقد حضر إنسان ليقول لجلالته : إن الأسود قد انقض من أعالى « واوات » وقد دبر العصيان على مصر . وقد جمع لنفسه كل المتوحشين وعصاة الأقاليم الأخرى " .

وحى آمون : " فذهب الملك فى سلام إلى المعبد وقت الصباح ليجعل القربان العظيم يقدم لوالده المصور لجماله . تأمل ! لقد أتى الفرعون نفسه أمام حاكم الآلهة « آمون » لينصحه فى أمر ذهابه. . . . . وليخبره عما سيحدث له ، مرشداً إياه إلى الطريق السوى ليفعل ما يرغب فيه ، كما يتكلم والد لابنه . . . . . . وقد خرج من عنده فرح القلب . . . . . . لأنه شبعه بالقوّة والنصر " .

سير الحملة جنوبا : "وبعد ذلك سار جلالته ليهزم السود فى بلاد « النوبة » وهو قوى البأس فى سفينته ... ... مثل « رع » عند مايشرق فى سفينته السماوية ... ... وجيشه الذى ينتصر به كان معه على كلا الشاطئين فى حين كان المجندون الجدد على شاطئ واحد ، وكانت السفينة (أى السفينة الملكية) مجهزة بالجرس عند ما كان الفرعون يسير نحو الجنوب مثل « نجم الجوزاء » ، وقد أضاء الجنوب بجماله . وكان الرجال يهتفون لما رأوا من شفقته والنساء يرقصن للرسول (؟) وقد كان الإله «منتو» فى «أرمنت» يحفظ كل عضو من أعضائه والإلهة «اورتى» كانت قائدته (أمامه) ، وكل إله فى الجنوب كان يمثل ... أمامه . والإلهة « نخبت » البيضاء صاحبة « الكاب » كانت تزين رأس جلالته بعصابتى ويداها كانت خلفى (لحمايته) وقد غلت لى الأقواس التسعة جميعا ... و وسوت عند مدينة « ادفو » ، وقد خرج إلى الإله الجميل لمقابلة الفرعون مثل الإله « منتو » فى كل صوره ممتشقا أسلحته وعدته وهائجا مثل الإله « ست » صاحب « كوم امبو » ... ... " .

الواقعـــة : "وقد جاء إليه جيشه العظيم العدد ... ... بسيفه الجبار ، وقد استولى الرعب منه على كل نفس ، وقـد وضع الإله « رع » الرعب منـه بين كل الأراضى مثل « سخمت » فى سـنة الندوة (الوباء) ؛ وقـد سار بعربته فى داخل الهضبة الشرقية وشق الطرق كأنه الفهد ، ... ... وقد وجد كل أعدائه مبعثرين فى الوديان الوعرة المسالك ... ..." .

وهذا الوصف للوقعة ربمـا نجده مصورا على عربة حربه التى بقى لنا جزء منها إذ نشاهده على عربة حربه هذه ومعه قوسـه (وبلطة) حربه مثل الشبل يودى بأعدائه (راجع صورة هــذه العربة فى Carter and Newberry, "The Tomb of Thoutmosis IV", P. 24, & Pls. IXff) .

آثار تحتمس الرابع : بقى «تحتمس الرابع» فى استغلال مناجم شبه جزيرة « سـينا » على غرار سـلفه فقد وجد اسمه على بعض المبانى والصـور هناك (راجع Petrie, "Researches in Sinai", P. 107, 156, 157, ibid. fig. 148, 8; Gardiner and Peet, "Sinai", I, Pls. VIII, 208. XII, 207;) .

وفى منف وجد له عقد (بوابة) عليه اسمه (راجع Quibell, "Excavations at Sakkara," (1910) P. 3) .

ومحراب على لوحة (راجع Petrie, "Memphis", VI, Pl. IV, P. 12) وقطع أساس (راجع A. S. III, P. 25.).

وفى كوم الحصن وجد له جعران جميل الصنع فى الحفائر التى عملت فى هذه الجهة حديثا (تقرير مصلحة الآثار)، وفى العرابة المدفونة عثر له على جذع تمثال من الجير الجيرى الأبيض السليسى وقد كتب الاسم على الحزام (Mariette, "Abydos", P. 350.).

وفى «دندرة» لا تزال توجد فى المعبد قطعة من آثاره كتب عليها اسمه (راجع Brugsch and Dumichen, "Recueil de Monuments Egyptiens" (Leipzig 1865-1885.)).

أما فى الكرنك فلا تعرف مبان أصلية لهذا الفرعون ولكنه نقش مناظر أضيفت للبوابة الرابعة، وقد اختفت العارضة الجنوبية (والعتب) أما العارضة الشمالية فتوجد نقوشها على جانبيها الغربى والشمالى؛ و يقول «مريت» على أية حال إن هذا الجزء قد أعاد نقشه الملك «شباكا» (راجع Mariette, "Karnak", P. 28; L. D. III, Pl. 69 d.).

وكذلك نقش هذا الفرعون قائمة بالعطايا التى قدمها «لآمون» بعد عودته من حملته الأولى فى بلاد «آسيا» على الواجهة الشرقية للحائط الذى أقامه «تحتمس الثالث» حول مسلة «حتشبسوت» ليخفى نقوشها، وكذلك ذكر تماثيل لجده وله، كما أقام تمثالا ضخما لنفسه أمام (بوابة) «تحتمس الأول» (Wiedemann, "Geschichte", P. 378.).

وكذلك عثر له على تماثيل فى «الكرنك» (راجع Legrain, "Statues", 42080-1.).

وفى «الأقصر» عثر له على لوحة (راجع Lacau, "Cat. Stele", No. 34021).

وفى «القرنة» أقام لوحة لوالده «أمنحتب الثانى» (راجع A. S. IV, P. 128-32.).

ولوحة يتعبد فيها للإلهـة « اراثيس » (Arathis) (راجـع Petrie, "Six Temples", Pl. VIII.) .

وكذلك أقام فى « القرنة » معبده الجنازى ولكنه خرب ولم يبـق منه الآن إلا بعض بقايا من القطع التى عليها نقوش. وكذلك عثر على جزء من رأس ضخم له .

وفى الأقصر نجـد صورة الملكة « موت مويا » زوج هـذا الفرعون ممثلة مع ابنها العظيم فى طفولته ولكنا لا نجدها مع الملك وذلك لأن الفرعون « أمنحتب الثالث » تنسب أبوته مباشرة للإله « آمون » (راجع "Mission Arch. Franç." XV, Figs. 203-4.) .

وقد بدأ هذا الفرعون إقامة معبد مدينة « الكاب » وأتمه وحده، وهو الذى يقول فيه : " تأمل ! لقد عمل هذا لجلالة الملك « ماعت نب رع » المجمل آثار والده الإله الطيب «منخبرورع» المسمى الخالد الأبدى (L. D. III. Pl. 80 b.)" .

وفى « أسـوان » وجدت لوحات عليها اسمـه (راجع De Morgan, "Cat. Mon." PP. 66, 73, 45, 90, 84.) .

وفى « إلفنتين » نقش اسمه على بعض قطع من المعابد (راجع De Morgan, Ibid, P. 115.) .

وفى«امدا»ذكراسمهفىنقوش المعبد(راجع Weigall,"LowerNubia"Pl.IV,2.)

وفى«حلفا» وجدت لوحات عليها اسمه (راجع P. S. B. A., (1894) 17, 18.) .

وكذلك ذكر اسمـه فى معبد « بوهن » (راجـع Maciver and Woolley, "Buhen", P. 96.) .

وكذلك وجد اسمـه فى « أريكا » (راجـع Maciver and Woolley, "Areika", P. 5.) .

وفى « كونوسو » أربعة آثار من حكم هذا الفرعون نشاهده فيها يضرب السود أمام آلهـة « النوبة » « ددون » و « حى » وخلفه تقف ملكة تلقب بالبنت

الملكية والأخت الملكية والزوجة الملكية (راجع L. D. III, Pl. 69 b.) واسمها كتب بصورة الصل على علامة « نب » ويقرأ « عرات »، ولما كانت هذه هى المرة الوحيدة التى ذكر فيها اسمها فمن المحتمل أن يكون هذا رمزا للملكة المؤلهة، ويمكن أن يشير إلى الملكة « موت موبا » . وخلافا لذلك يوجد نقش طويل نشر منه عشرون سطرا الخ كما ذكرنا آنفا .

وفى أمدا (Amada) يوجد لهذ االفرعون أعمال كثيرة، فقد ذكر اسمه على عقود (بوابات) المعبد (L. D. III, Pl. 69 f.) Champollion "Notices", 96-100.

وكذلك نشر له مناظر (L. D. III, Pl. 69, g, h, i.) وكذلك توجد صورة الفرعون (راجع Champollion, "Monuments", 45, 6.) .

وله آثار عدة فى جبل « بركل » Reisner, "The Barkal Temples in 1916", J. E. A. (1918) P. 100. فقد أقام معبدا لا تزال بقاياه هناك .

أما آثاره الصغيرة فله أشياء كثيرة منها لوحة من أثاث قصره من المرمر (راجع University College) ، وفى أبواب الملوك وجد له إناء من المرمر (راجع A. S. IV, P. 45) ، وكذلك عثر له على قطعة من إناء من المرمر . (راجع Nash, "Notes on Some Egyptian Antiquities", P. S. B. A., XXIX, P. 175

أما جعارينه : فيوجد منها عدد عظيم أهمها واحد رسم عليه صورة ابنه الأمير « تحتمس » (راجع Tyzkiewicz Coll.; Wiedemann, "Geschichte", P. 378.) كما يوجد له جعارين نقش عليها جمل مديح مثل « تحتمس الرابع » الغنى المظاهر، أو « نخار كل الأراضى » أو « مؤسس الآثار » . وقد عثر له كذلك على خاتم من الفخار المطلى وهو أقدم ما عثر عليه من هذا النوع (راجع Petrie, "History", II, P. 171, figs. 107, 108, 109.) وله جعران (راجع Chassinat, "Note sur Deux Scarabees", Rec. Trav. XXXIX, P. 110.) . وتعتبر الأعمال الخاصة التى عملت فى هذا العهد أدق صنعا من الآثار العامة الباقية .

أسرة الفرعون « تحتمس الرابع » : يحيط بأسرة هذا الفرعون شيء من الغموض والإبهام لقلة المصادر التي توضح لنا معرفتها بصورة جلية وكل ما نعرفه من النقوش التي وصلت إلينا أنه تزوج من ثلاث نساء أهمهن الملكة « موت مويا » ومعنى الاسم الإلهة « موت » في السفينة المقدسة .

آثار « موت مويا » : ومن الآثار التي تنسب إليها سفينة مقدسة نحتت من الجرانيت الجميل ، طولها سبعة أقدام ، وقد نقش عليها اسمها وألقابها (راجع B. Mus. Arundale and Bonomi, "Gallery", P. 34.) . ومن المحتمل جدا أن هذه السفينة كانت في الأصل موضوعة في معبد ابنها «أمنحتب الثالث» بالأقصر (راجع "Mission Arch. Franç". XVI. P. 63-67.) .

وكذلك عثر لها على تمثال ضخم في «دندره» (راجع Weigall, "Guide" P. 34.) كما يوجد لها رأس من الجرانيت (راجع Budge, "Sculpture" P. III.) . أما زوجه الثانية فهي « نفرتاري » وقد عثر لها على جعران موجود الآن في مجموعة « بتري » في « ينفرستي كولدج » (راجع Petrie "Scarabs and Cylinders", XXX) وزوجه الثالثة تدعى « عرات » وتلقب الابنة الملكية والأخت الملكية والزوجة العظيمة (L. D. III, Pl. 69 e.) .

وقد سميت بهذا الاسم تبركا باسم الإلهة السورية «أراثيس» (Arathis) (راجع Justen XXXVI.) ؛ أما أولاد تحتمس الذكور فلا نعرف منهم إلا ثلاثة غير « أمنحتب الثالث » الذي خلفه على العرش . أولها « تحتمس » الذي عثر له على تمثال صغير (راجع Benson and Gourlay. "Temple of Mut in Asher", P. 328.) أما الثاني فيدعى « أمنأبت » وقد عثر له على بطاقة باسمه (راجع P. S. B. A., XXV, 360.) ، وكذلك جاء ذكره في قبر « حور محب » (راجع Mission Arch. Franc. V, P. 434, Pl. II,) ، وابنه الثالث يدعى «أمنمحات» ويوجد له في المتحف البريطاني أواني أحشاء (راجع Cairo Mus. 46037-9)

وجاء ذكره فى قبر والده « تحتمس الرابع » (راجـع Carter and Newberry, "Tomb of Thothmosis IV" P. 6.) .

بنــاته : ترك هــذا الفرعون عدّة بنات عرف منهنّ تسـع جاءت أسماؤهنّ على بطاقات من الخشب وقد كنّ ينسبن خطأ للملك «تحتمس الثالث»، ومن المحقق الآن أن والدهن هو « تحتمس الرابع » (راجع Birch, "Two Rhind Papyri" Pl. XII; A. Z. XXI, P. 142.) . وله ابنة غير هؤلاء الإناث تدعى « توت آمون » (Theutamon)وجد لها أوانى أحشاء (راجعCairo Museum. 46046) كما ذكر اسمها فى قبر والدها «تحتمس الرابع » (راجع Carter and Newberry, Ibid.) .وله ابنة أخرى تدعى « تاعا » وجد لها أوانى أحشاء (راجع P. S. B. A., XXV, 359. كما ذكر اسمها فى قبر « حامل خاتم » (ibid 359) .

وفاة «تحتمس الرابع » :والظاهر أن آخر عمل صالح قام به «تحتمس الرابع» هو إقامة مسلة جده « تحتمس الثالث » التى نقشها وبقيت ملقاة فى مكانها خمسة وثلاثين عاما كما ذكر لنا «تحتمس الرابع» نفسه (راجع الجزء الرابع ص٤٥٩)؛ ثم صعد بعدها إلى السماء وهو لا يزال أخضر العود غض الإهاب، وكانت مدة حكمه لا تزيد على ثمانية أشهر وتسعة أعوام كما ذكر لنا «مانيتون» ،وقد دفن فى مقبرته التى أعدّها لنفسه فى وادى الملوك، ثم نقل منها فى عهد الفوضى التى حدثت فى نهب قبور الملوك والعظماء فى أثناء البحث عن الكنوز فى عهد «رعمسيس التاسع»، وقد أودع هو وابنه العظيم وغيرهما من الفراعنة العظام فى قبر « أمنحتب الثانى »، وبقى فى هذا المكان إلى أن كشف العالم « لوريه » عن قبر الأخير فى عام ١٨٩٨م . أما قبره هــو فكان أول سلسلة من القبور الملكية التى كشف عنها « ثيدورديفيز » وفتح فى عام ١٩٠٨ . وكان بطبيعة الحال قد نهب فى الأزمان القديمة، ولكن مع ذلك وجد فيه عدة قطع أثاث لها أهميتها وبخاصة عربة حربه التى كسى جزؤها الخشبى بالكتان ووضع عليه طبقة من الجص نقش عليها مناظر حرب بالنقش الغائر. وتعدّ

من أحسن القطع الفنية التى ورثناها من عهد الأمبراطورية المصرية، وبخاصة رسم أول موقعة حربية عرفناها من عهد الأمبراطورية . وعلى الرغم من أن مـدة حكم هذا الفرعون كانت قصيرة المدى فإن مصر بدأت فى عهده سياسة جديدة عادت على البـلاد فى المستقبل بنتائج مباشرة وغير مبـاشرة على أعظم جانب من الأهميـة فى مد سلطانها وتكوين امبراطوريتها العظيمة . وتلك كانت سياسة التحالف التى عقدت بين « مصر » وبلاد «متنى» ، وهى التى قد وطدت أركانها بزواج الفرعون من أمـيرة « متنية » الأصل . وهـذه أول مرة نعرف فيها أن ملكا مصريا تزوج من أميرة أجنبية .



(٢) تحتمس الرابع وزوجه « تى عا »

وقبـل أن ننتقل إلى حكم العاهل العظيم « أمنحتب الثالث » يجـدر بنا أن نلقى نظرة عامة عن علاقـة « مصر » بالدول المجاورة التى كانت قـد أخذت تظهر فى الأفق بصورة بارزة .

علاقات مصر بالدول المجاورة

لقـد كان من جراء توطيـد سلطان مصر فى أنحاء الامـبراطورية التى أسسها «تحتمس الثالث» بحد السيف، ثم حافظ على كيانها من بعده ابنه «أمنحتب الثانى» بمـا أوتى من قـوة وعزيمة أن ساد السلام بعـد حكمهما جيلين من النـاس . وتدل شواهـد الأحوال على أنه لم يـدر بخلد أى عاهل جاء بعدهما توسيع رقعـة امبراطوريته بعد « نهر الفرات » فى داخل آسيا . وقد خلق هذا الجو العالمى الذى كان يسوده روح السلام علاقات الود والمهادنة بين الفراعنة وملوك الأمم العظيمة المجاورة للعاهلية المصرية ؛ ولذلك كانت المراسلات التى تدور بين مصر والأمم التى حولها مفعمة بالمحبـة الخالصة والود الصادق ؛ حتى أن فرعون مصر كان يخاطب أنـداده كما يخاطب الأخ أخاه والصديق الحميم صديقـه حتى ارتفعت بينه و بينهم كل التكاليف الرسميـة . ولذلك نقرأ فى المكاتبات التى كانت تـدور بينه و بينهم أن الفرعون كان يرجو لهم كل خير كما كانوا يحبونه راجين له كل فلاح. ولكل أهل بيته وعظماء دولته وحتى خيله وعرباته و بلاده كل خير وسعادة . ولقد كانت هذه المجاملات بين الفرعون وأصدقائه من ملوك الأمم الأخرى مرعيـة لدرجة عظيمة جـدا ، حتى أن ملك بابل المسمى « بورنابورياش » (Burnaburias) عتب على « أمنحتب الرابع » وعلى زوجه « نفرتيتى » فى رسالة مظهرا ألمـه الشديد لإهمالها السؤال عنه وهو طريح الفراش . وقـد جاء رد فرعون مصر على هذا العتب رقيقا مهدئا لخاطر صاحبه إذ اعتذر إليـه فى أدب جم قائلا : " إنه لم يعلم بمرضه وأن بعـد الشقة بينهما كان السبب الوحيـد فى عدم معرفتـه المرض الذى أصابه " .

(راجع .Mercer, "The Tell Amarna Tablets," Vol. I. P. 21. No. 7) .

وقد كانت العادة المتبعة فى المراسلات بين هؤلاء الملوك أن تبدأ الرسالة بذكر اسم المرسل إليـه ثم يذكر اسم المرسل بعد ، غير أنه عثر على خطاب جاء فيه لفت نظر لمراعاة آداب الكتابة فى هذه النقطة . ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن الرسالة وصلت إلينا مهشمة ، فلم نقف على حقيقة محتوياتها ومراميها (راجع Am. 42, 15.) فقد جاء فيها لـماذا وضعت اسمك فوق اسمى ؟ غير أننا لا نعلم علاقة ذلك بما جاء فى باقى الرسالة .

المصاهرة : وكان من أهم روابط الودّ والمصافاة بين ملوك هـذا العصر المصاهرة غير أنها لم تقم على قـدم المساواة بين مصر وجيرانها وحليفاتها على وجه عام . وذلك أن ملوك مصر كانوا يستحلون لأنفسهم الزواج من بنـات الملوك حلفائهـم . وفى الوقت نفسـه كانوا يحـرمون بنـاتهم على الأمراء الأجانب مهما كانت منزلتهم ومهما عظم سلطانهم . ولقـد كانت العـادة المتبعة فى عهـد ملوك الأسرة الثامنة عشرة و بخاصة فى عهـد النصف الثانى من حـكم فراعنتها أن يتزوج الفرعون عند اعتلائه العرش من بنت أو أخت أحد الملوك العظام المصادقين له . وقـد ضرب « أمنحتب الثالث » الرقم القيـاسى فى هـذا المضمار ، إذ كان من بين نساء قصره عدة غانيات من الأمـيرات الأجنبيات اللائى بنى بهنّ . فنعلم أنه تزوج من أخت ملك بابل المسمى « كاداشما نخـرب » ثم بنى بأخته أيضا . وكذلك تزوّج من أخت ملك متنى « دوشرتا » ثم من أخته هذا إلى أنه تزوّج من بنت ملك « أرزاوا » المسمى « تارخونداراب » وهو أحد أمراء سوريا . وعلى الرغم من إسرافه فى التزوج بأجنبيات لم يرض أن تكون واحدة منهنّ ملكة شرعية على عرش البلاد . بل تزوّج من إحدى بنات الشعب وفضلها على كل الأجنبيات متخذا إياها ملكة شرعية على أريكة مصر .

ولـما سـوّلت نفس ملك بابل المسمى « كاداشمـان إنليل » له ، أن يطلب الزواج بأميرة مصرية ، كان جواب الفرعون «أمنحتب الثالث» له أن قال : "إنه

منذ القدم لم تعط بنت فرعون إنسانا" . فأجابه ملك بابل على هذا قائلا : "لماذا ؟ إنك ملك ولك أن تفعل كما يحب قلبك فإذا أعطيتنيها (أى الأميرة المصرية) فمن ذا الذى يجسر أن ينبس بأية كلمة ؛ وإذا لم ترسل أحدا فإن ذلك يعنى أنك لا ترعى أية حرمة للإخاء والصداقة ... ... ولأى سبب لا يرسل لى أخى زوجة ؟ وإذا لم ترسل أحدا فإنى سأفعل مثلك وأمتنع عن إرسال زوجة لك"[١] .

والواقع أن الفرعون المصرى على الرغم مما بينه وبين ملك «بابل» من علاقة طيبة كان يأبى أن تتضاءل نفسه وتنزل من عليائها ويجعل الدم الإلهى المصرى يختلط بدم أجنبى آخر خارج بلاده . ومع أن هذا الامتناع من جانب الفرعون كان يغضب أحيانا أصدقاءه من الأمراء جيرانه ، إلا أنه كان من جهة أخرى فى يده سلاح آخر قهار يجعلهم يأتون إليه صاغرين متزلفين . بل كان يجعلهم طوع بنانه ذلك السلاح هو الذهب الذى كانت تزخر به « مصر » وتجمعه من ممتلكاتها بالقناطير المقنطرة ، وقد كان نادرا فى البلاد الأخرى ، مما جعل الأمراء يتهافتون للحصول عليه ؛ فقد كتب « دوشرتا » ملك «متنى» للفرعون يقول : " إن الذهب فى مصر مثل التراب فى غزارته " من أجل ذلك كان يلح فى طلبه ليرسل إليه الفرعون ذهبا لا يحصى (راجع .Mercer, Ibid:19, 61; 20, 52, 71; 26, 41, 20, 136) وكذلك كان ملك «بابل» يلتمس من الفرعون دائما ، بل يلحف فى طلب الذهب لإنجاز ما كان يقوم به من الأعمال . ومن الغريب أن أحد هؤلاء الملوك كان يحرص على أن يكون ما يرسل إليه من الذهب فى شكل سبائك ليعرف مقدار صفائه وعدم غشه . والواقع أن كثيرا من أولئك الملوك قد شكوا من الذهب الذى أرسله الفرعون إليهم ، محتجين بأنه لم يكن ذهبا نضارا ، بل كان يحتوى عناصر أخرى تقلل من قيمته (راجع .Am. 7, 70; 10, 18) . وكان ملك «آشور» يطلب الذهب ليستعمله فى زخرف مبانى قصره وتزيينه (راجع .Am. 16, 14 ff: 19 ff) ؛ أما ملك «ألاشيا» (قبرص) ، فكان متواضعا فى طلباته لأنه كان يعدّ نفسه من أتباع الفرعون ، ولذلك

---

(١) راجع : .Mercer, Ibid. No. 4

كان يطلب إليه فضة، ثم يلح فى طلب زيت لشدة حاجته إليه فى بلاده . وفضلا عن ذلك كان تيار تبادل الهدايا بين ملوك « آسيا » « ومصر» لا تنقطع أسبابه، ولا أدل على ذلك من القوائم المملوءة بأنواع السلع المتبادلة بين ملوك مصر وملوك آسيا العظام . وقد جاءت هذه القوائم مفصلة مبينا فيها مقادير الهدايا كما ذكرت لنا أسماء القواد الذين كان يكلفون حملها . وكذلك ذكرت فيها أسماء الغوانى اللائى كنّ يرسلن هدايا للفرعون . ومن هذه القوائم نعلم أن « بابل » كانت مختصة بإرسال « اللازرد الأزرق » الذى كان المصرى يعدّ الحصول عليه مغنما عظيما لندرته فى بلاده . أما « قبرص » فكانت بالإضافة إلى ما تصدره من سن الفيل تشحن إليها الأخشاب والحبوب وكميات عظيمة من النحاس الذى كان يوجد فيها بمقادير وفيرة وتقص علينا الآثار أن مقدار النحاس الذى كان يرسل إلى مصر من قبرص قد قل وتضاءل وأن السبب فى ذلك يرجع إلى أن يد « ترجال » «إلهة الطاعون » قد أودت بحياة زجال ملك « قبرص »، بل اختطفت حياة ابنه مما أدى إلى شل حركة استخراج النحاس ولهذا السبب نفسه بقى رسول الفرعون الذى أرسله لهذا الغرض فى قبرص مدّة ثلاثة أعوام (راجع Am. 35,8) .

أما مملكة « كاردونياش » أى (بابل) فقد كانت العلاقات بينها وبين مصر تسير على أحسن ما يرام منذ عهد ملكها « كاراينداش » الأول (Karaindas) وهو الملك السادس عشر بالنسبة لترتيب أسرة الكاسيين (راجع Am. 10; 8) (١٤٥٠ — ١٤١٥ ق م) وهو أحد أخلاف ملوك « سنجار » (بابل) التى سجل « تحتمس الثالث » على آثاره الهدايا المقدمة إليه من أميرها . وكذلك فى عهد « أمنحتب الثانى » . ويعدّ اعتلاؤه عرش بابل خاتمة فترة طويلة مجهولة من تاريخ هذه البلاد يبلغ مداها حوالى مائتى سنة، وقد بدأ منذ عهده يكشف أمامنا عن تاريخ هذه البلاد بعض حقائق ضئيلة . فقد عثر على آجرة كتبت بالخط المسمارى فى معبد «إنا» للإله «نانايا» صاحب «أوروك» (Uruk) نعت فيها بالملك القوى

« ملك بابل » وملك « سومر » « وآكاد » وملك « كاششو » (Kassu) وملك « كاردونياش » (Kardunias) . ويلاحظ فى ألقاب هذا الملك أنه قد حرص فيها على ذكر السلالات الهامة التى يسيطر عليها ، وهو فى ذلك يختلف عن ملوك الأسر القديمة؛ على أن معظم أخلافه من ملوك الأسرة الكاسية ، كانوا لا يحملون لقب ملك على الرغم من أنهم كانوا دائما الطبقة التى يتألف منها المحاربون وأصحاب السيطرة على البلاد . ومهما يكن من أمر فإن الدولة كانت فى ظاهرها آخذة دائما فى التقمص بالثوب البابلى ؛ أما فى الداخل فإنها لم تتخـذ لونا جديدا فى قوتها ، إذ كانت حركة التجارة تسير فى مجـراها القديم ؛ وكذلك كانت ثقافتها ومعتقداتها الدينيـة تتأثران طريقيهما القديمتين؛ ولم يحدث فى البـلاد جديد فى خلال مائة السنة الأخيرة من العصر الذى نحن بصدده ، وذلك على عكس البلاد المصرية التى كانت تسير بخطوات واسعة فى كل فروع المدنية والثقافة؛ وليس لدينا وثائق من هذا العصر نستطيع بها أن نترسم الخطا التى كانت تنزلق فيها بلاد «بابل» نحو الهاوية السحيقة التى أودت بها إلى الحضيض .

والواقع أن الدور الذى لعبته « بابل » على مسرح التاريخ العالمى ، قد أسدل عليه الستار فى أواخر الأسرة الأولى من تاريخها ؛ وكل ما أبقت عليه لنـا يد الدهر بعد ذلك ، لا يتجاوز التقاليد الجامدة ، التى ظلت تترنح ثم تنكمش وتذبل حتى يبست وأمست هشيما التهمته نار الزمن من أجل ذلك لم يكن فى الحسبان قط أن تستيقظ من سباتها العميق ، وتطفر طفرة فتية خارج عقر دارها ، بل ظلت قابعة منكمشة فى مهدها راضية بنصيبها ؛ ولذلك لمـا رغب « الكنعانيون » فى القيام بثورة على الحكم المصرى وولوا وجوههم شطر « كاريجالوزا الثانى » (١٣٩٠ — ١٣٧٥ ق م) وهو ثانى أخلاف الملك « كاراينـداش » ليأخذ بناصرهم فى عصيانهم هذا ، أبى إجابة مطلبهم ، فكان ذلك مما رفع منزلته فى عين الفرعون ؛ بل زاد فى توثيق عرا الصداقة بين البلدين (راجع Am. 9, 19.) .

أما عن مملكة « إلام » وعلاقتها بالأمم المجاورة فليس لدينا أية معلومات عنها فى هذا العصر .

وفى تلك الفترة كان « باتيسى » (كاهن بلاد آشور) يسيطر على من فى حوض نهر « دجلة » حتى « ديالا » (Diala) وهو الإقليم الذى كانت تسيطر عليه مملكة «متنى» فى الأزمان السالفة . وعلى ذلك لم يكن لحكام « بابل » أى مطمع فى مدّ سلطانهم على هذا الإقليم ولذلك اكتفى « كاراينـداش الأول » بعقد معاهدة بينه وبين «آشور بلنيششو» (Assurbelnisesu) ملك آشور عام ١٤٣٠ ق م؛ كان أهم شرط فيها أن تبقى الحدود بين البلدين ثابتة .

وفى خلال تلك المدّة ظهرت فى عالم الوجود مملكة «متنى» أو «خانيجالبات» (Chenigalbat) قوية السلطان يجلس على عرشها الملك «ساوششتار»(Saussatar) الذى كان يعاصر الفرعون تحتمس الثالث . وقد حافظت على مكانتها وقوتها فى عهد أخلافه؛ بل زادت فى فتوحها وعظمتها وقد استمرت فى طريقها هذه حتى قام الملك « مورسـيل الثـانى » عاهل مملكة « الخيتا » ينـاوئ ملكى « متنى » و « حلب » ويقلب لها ظهر المجن، لأنهما كانا قد أعلنا فيما مضى الحرب على ملك « الخيتا » « دودخاليا الثـانى » وبخاصـة على الملك « خاتوسـيل » (Chattusil) حوالى عام ١٤٣٠ ق . م . وقد كان موقف بلاد « الخيتا » فى خلال هـذه الفترة حرجا لأنها لم تفقد سيطرتها على سوريا وحسب بل انتزعت منها الأراضى الجبلية الواقعة فى أعالى نهر « الفرات » وفى شرقى « آسيا » الصغرى

وكان إقليم « أشوا » (Isuwa) الواقع شرقى منحنى نهر الفرات حتى منابع نهر « دجلة » منضما إلى مملكة «متنى» ؛ هذا إلى أن سكان المقاطعات الواقعة شرقى إقليم جبـل « طوروس » قد هجرها سكانها واستوطنوا الأراضى الواقعة فى الجهة

(١) راجع : Albrecht Goetze, "Kizzuwatna & the Problem of Hittite Geography", (Map).

الأخرى من نهر الفرات ، يضاف إلى ذلك أن ملك « كيزواتنا » (Kizzuwatna) الواقعة فى الشمال خليج إسوس[١] ، قد نقض ميثاقه مع مملكة « خيتا » وانضم إلى مملكة « متنى » .

ومما زاد الطين بلة ، وجلب الخيبة والارتباك فى بلاد « خيتا » أن ملك « أرازاوا » (Arzawa) الذى كان يمتد سلطانه على سهول « كلكيا » العليا (سلسيا) قد أبرم معاهدة مع مصر، وكانت سهول « كلكيا » هذه تعد أخصب بقعة فى آسيا الصغرى، وكان لابد لملك «خيتا» أن يسيطر عليها إذا أراد الزحف على «سوريا» ، كما أن هذه البلاد بعينها كانت ضرورية لمصر إذا كانت تريد المحافظة على سلطانها فى شمال « سوريا »؛ ومن أجل ذلك أرسل «أمنحتب الثالث» الهدايا الثمينة إلى ملك هذه البلاد « تارخوندارابا » (Tarchundaraba) فطلب إليه أن يزوجه ابنته. ومما يلفت النظر فى الرسائل التى دارت بين الفرعون وبين ملك هذه البلاد أنها لم تكن مدونة بالصيغة الرسمية المعتادة عند مخاطبة الند للند، فلم يخاطبه الفرعون بلفظة « أخى » ، هذا فضلا عن أنه وضع اسمه فى أول الخطاب بدلا من اسم المرسل اليه كما جرت العادة وعلى حسب التقاليد الرسمية ، ويحتمل أن الفرعون «أمنحتب الثالث» قد انتهج مع « تارخونداراباً » هذا الموقف الشاذ لأن الأمير الذى كان يسيطر على هذا الإقليم كان يلقب « ابن الملك » أى نائب ملك « مصر » فى هذه الجهات كما كانت الحال فى بلاد « كوش »؛ وكانت التقاليد تحتم على من يحمل لقب « ابن الملك » أن يخاطب الفرعون بالعبارة التالية: "سيدى ملك مصر ووالدى". وقد أرسل أمير هذه البلاد رسوله الخاص مع سفير الفرعون العائد من بلاد «خيتا» مزودا بالهدايا المؤلفة من ستة عشر رجلا لوالده (أى لملك مصر) (Am. 44.) كما كان يخاطبه . وقد طلب إليه بطبيعة الحال أن يرسل إليه ذهبا مما تزخر به أرض « مصر » .

---

(١) راجع : Albrecht Goetze "Kizzuwatana & the Problem of Hittite Geography", (map).

والواقع أن هـذا الأمير لم يكن من رعايا فرعون « مصر » ؛ فلم يكتب إليـه بالصيغة التى كان يحتم على التابع المصرى أن يخاطب بها مليكه ، إذ كان لزاما عليه فيها أنه يقبل الأرض بين يدى سيده سبع مرات ، بل كان أميرا مستقلا فى بلاده وتقع بلاده على وجه التقريب فى إقليم « أمانوس » (جنوبى جبال « طوروس » وغربى أعالى نهر الفرات) .

أما مملكة «متنى» فقد استمر السلام سائدا بينها و بين مصر منذ عهد «تحتمس الثالث» ولم يحدث ما يكدر صفو العلاقات بين البلدين بل على العكس ازداد توثق علاقات الودّ والمهادنة بينهما فى عهد ابن «سوششاتار» المسمى «أرتاتاما» . وقد تزوّج الفرعون « أمنحتب الثالث» أو «تحتمس الرابع» من إبنته بعد أن طلب يدها منه للرة السابعة ؛ والظاهر أن ملوك « متنى » كانوا لا يجيبون بالرضا عن زواج بناتهم إلا بعد لأى وتردّد شديدين فقد طلب الفرعون «أمنحتب الثالث» إلى ملك «متنى» «سوششاتار» البناء بأخته « جلوخيبا » ست مرات ، وأخيرا تزوّج منها فى السنة العاشرة من حكمه عام ١٣٩٥ ق . م . وقد وصلت إلى مصر وفى ركابها سبع عشرة وثلثمائة غادة من غوانى بلاد «متنى» ؛ وقد كان حادث هذا الزواج موضع فخاره حتى أنه سجله بطريقة مبتكرة ، إذ قد نقش تاريخ هـذا الحادث المدهش على جعـل كبير الجحم ونسخ منه صورا عدة كما يحدث ذلك الآن عندما يراد تخليد ذكرى أى حادث عظيم فيعمل طابع بريد خاص . ولقد كان غرضه أن يبقى تذكار هـذا الحادث خالدا عند الأجيال المقبلة على أن « جلوخيبا » لم تصبح ملكة « مصر » الشرعية لأنها أجنبية . وقد ذكر « أمنحتب الثالث » على هذا الجعران خوف اللبس اسم زوجته الشرعية الملكة « تى » المصرية المنبت ، كما ذكر اسم والديها على هذا الجعل التذكارى منوها بأنهما من عامة الشعب ، وأنه كان فخورا بهذا الزواج الخارج عن تقاليد بيت الملك .

(١) راجع : Albrecht Goetze, "Kizzuwatana & the Problem of Hittite Geography", (Map).

والواقـع أنه على الرغم من المنزلة التى كانت تحتلها مملكة « متنى » وما كان بينهـا و بين مصر من علاقات ودّية وما كانت تمـدّها به مصر من الذهب الذى كانت دائما فى حاجة إليه فإن كل ظواهر أمورها تدل على أنها كانت أقل مرتبة من مصر من كل الوجوه . فإنهـا لم تكن قـد خطت خطوة واحدة نحو التقـدّم فى داخليتها إذ كان ينقصها الأسس المتينة فى تكوينها الأصلى؛ فقد كان معظم سكانها ليسوا من أصـل « خارى » (متنى) ؛ كما أن الوظائف الرئيسة فيها كانت فى يد الطبقـة العليا من « المـاريانى » وهم قوم من سلالة « آرية » ، هـذا بالإضافة إلى أن العناصر التى كانت تتألف منها البـلاد لم تكن متحدة فى عقائدها الدينيـة إذ كان « الخاريون » من جهة يتعبدون للإلهين «تشوب» (Tesub) و «شميكى» (Simike) كما كانوا يعبدون الإله «شاوشكا» (Sau-ska)، ومن جهة أخرى كانت تعبد فى البلاد الآلهة الهندية ومن بينهم المعبودان «عشتارت» و « شاماش »؛ من أجل ذلك لـما حدثت الاضطرابات التى أعقبت موت «دوشرتا» انقلب الخلاف الذى كان قائما بين « الخاريين » أو (الحورانيين) و بين « المـاريانى » إلى حروب طاحنة سالت فيها الدماء .

ولا نزاع فى أن رجال الفئتين قد قاموا فى المـاضى بأدوار تكاتفوا فيها سويا، وكان فى مقـدورهم أن يتعاونوا معـا عندما وقع « أرتاشوارا » (Artasuwara) ابن « شوتارنا » ضحية مؤامرة كانت نتيجتهـا أن تولى قاتله « توخى » الوصاية على عرش البلاد بدلا من «دوشرتا» الذى كان لا يزال قاصرا . غير أن «دوشرتا» توصل فى نهـاية الأمر إلى تخليص نفسه وعاقب قاتل والده كما قضى على حزبه حوالى عام ١٣٩٠ ق . م .[1]

ثم أعقب ذلك انتصار باهر أحرزه على « خيتا » عندما هاجمت بلاده، كل ذلك هيأ له الفرص لتوطيد العلاقات الودّية بينه و بين مصر لتكون سندا يرتكز عليه عند الشدائد لمنازلة أعدائه (راجع Ed. Meyer, "Gesch". II, I. P. 151 ff.) .

---

(١) راجع : Ed Meyer, "Gesch". 11,1, P. 151 - 61. & Albrecht Goetze, ibid P. 75 - 81

الموظفون والحياة الإجتماعية فى عهد « تحتمس الرابع »

« إبى » : كان « إبى » يحمل لقب المشرف على سفن « تحتمس الرابع » فى معبد « آمون » (L. D. III, Pl. 264)؛ وقبره فى جبانة « شيخ عبد القرنة » ويحتوى على منظر الوليمة الأسرية المعتاد وصور أقاربه (Champollion, "Notices" P. 519)؛ ونجد من بين أولاده واحدا يدعى « دنرجى » يحمل الألقاب التالية : الحاكم والمشرف على الكهنة ، والكاهن الأكبر ، ومدير بيت الإله « منتو » رب « أرمنت » ؛ وله ابن آخر يدعى « باى » وكان يحمل لقب الكاهن الأول «لتحتمس الرابع» (L. D. III, Text. P. 264) ٠

«أمنحتب ساسى» : أمنحتب (الرجل المهذب) كان يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى ، والوالد الإلهى ومحبوب الإله ، وعينا ملك الوجه القبلى، وأذنا ملك الوجه البحرى، والكاهن الثانى للإله «آمون» وعينا ملك الوجه القبلى فى«أرمنت» وحامل خاتم ملك الوجه البحرى (Davies, "The Tombs of Two Officials of Thothmes IV", Pls. IV, IX.) وقبر هذا الموظف فى جبانة «شيخ عبد القرنة»، (رقم ٧٥) ٠ (راجع Porter and Moss, "Bibliography", I. P. 102-3.) ويرى على جدرانه من التشويه والتخريب ما يدل على أن صاحبه كان مغضوبا عليه لأننا نجد أن صورته قد محيت محوا تاما عن قصد فى كل مكان وجدت فيه، وكذلك صورة زوجه، اللهم إلا عندما كانت تقوم بدور مغنية الإله « آمون » ٠ على أن المحو لم يقف عند هذا الحد بل تعدّاه إلى طائفة من خدمه. وكذلك نرى أن اسم «آمون» قد محته شيعة « آتون » وكذلك صور الكاهن « سم »، ولكن الأذى الذى لحق بجماعة النسوة المشيعين للجنازة ، ومحو المتون الخاصة بالشعائر الجنازية وإن كانت قد تعزى إلى شيعة « آتون » إلا أنه من المحتمل كذلك أن تكون محاولة من جانب أعداء « أمنحتب ساسى » لإيقاع الضرر بمدفنه الحسن ٠

والقبر يحتوى على بعض منـاظر أتقن رسمها ، وفى استطاعتنا أن نعرف من بينها عمل مفتنين أولهما الرئيس الذى رسم المنـاظر الهامة والأشكال ، والآخر أقل منه حذقا و إتقانا ؛ وكان عمله منحصرا فى رسم أشكال تقليدية ، و يحتمل كذلك أنه رسم الأثاث ؛ (Davies, Ibid. P. 3.) فنشاهد منظر وليمة يشتمل على بعض أوضاع غريبة، إذ المعتاد فى رسم مثل هذا المنظر أن نجد صاحب المقبرة و زوجه يجلسان أمام الضيفان ، ولكن هنا نشاهـد منظرا خارج المنزل الذى أقيمت فيـه الو ليمة و « أمنحتب » نفسه يدخل بعربته من باب البيت يتقدّمه سائسان و يتبعه أربعة خدم حاملين أمتعته الشخصية .

ولدينا منظر هام نشاهـد فيه « أمنحتب » يتسلم وظيفة الكاهن الثانى للإله « آمون » . (راجع .Davies, ibid, Pls. XIII, XIV. P. 8 ff) . والمتن المفسر لهذا المنظر قـد هشم ، ولكنا نفهم ممـا تبق منـه ما يساعدنا على تفسير المنظر .

"وقد وجد (الملك) أنى رجل مفيد لسيده ، وجعلنى أغرس[1] لنفسى فى السماء (أى المعبد) . وقد عرفت السر الذى فيه ، وتعلمت القواعد لاستعطاف الإله ، وتقديم العدالة لسيدها ، وقد صدر الأمر لأصدقاء الفرعون بالنطق بالمـدائح تعبدا للملك (وقد كان الترحيب فى فم الكهنة والموظفين ، وقد ظهروا ، وكانت أفواههم ملأى بـ ... ... وقد عينت كاهنا ثانيا ... ... الوجود السرى لرب الآلهة ، وقـد كنت أعرف كل شىء خفى ، وكل الأبواب قـد فتحت لى ... ... الطريق ... ... وحراس الأبواب يكشفون عن الإله فى يوم ... ... وكنت ... ... إلى المعبد ، وكان فى سليا وأصابعى ماهرة إلى أن أستريح فى مكانى فى الجبانة " .

وفى أسفل هـذا المنظر نشاهد صورتين عظيمتين هما بلا شك « لأمنحتب » وموظف آخر ، قد وكل إليه وضعه فى منصبه الجديد ، غير أن كلاهما قد محى . و بعد ذلك نرى مغنيات « آمون » ومن بينهنّ زوج « أمنحتب » و بناته آتيات لمقابلة الموكب عند دخـوله المكان المغروس بالأشجـار الواقع أمام (بوّابة) معبد « آمون » فى الكرنك وهنا نشاهد واجهة المعبد (ببوّاباته) المزينة بالشرفات و بعمد أعلامها و بباب ضخم يكتنفه تماثيل ضخمة للفرعون .

---

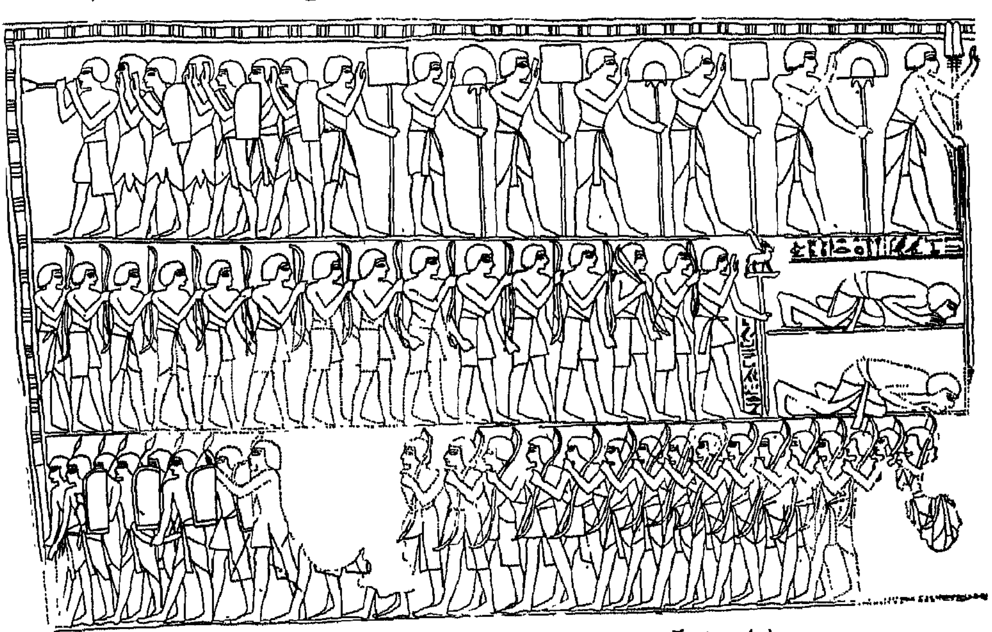
(١) أى أغرس شيئا لأتعلم به .

وبعد أن نصب « أمنحتب » هـذا كاهنا ثانيا فى معبد « آمون » كان لزاما عليه بعد ذلك أن يفحص مصانع ضياع « آمون » إلهه فنشاهده يشرف أوّلا على وزن المعادن الثمينة التى كانت تسلم للصناع الذين يشاهدون منهمكين فى صياغة أشياء مختلفة . وفى جهة أخرى نجده يفحص أعمال صناع العربات والسرج (Dàvies, ibid, Pls. VII – VIII.) .

وبعد الفراغ من فحص المصانع يتجه « أمنحتب » إلى حصاد المحصول حيث يفحص تسجيل كل شىء . فالقمح الذى كان لا يزال واقفا فى الحقل كانت تمسح حقوله بحبال ملفوفة على بكرة لها رأس تيس ، وقد كانت هذه العملية بمثابة ضابط لمنع السرقـة التى كانت تحدث غالبا بين الحقل والمخزن . وقد كانت هـذه العملية تجرى بأخذ نسـبة محصول قطعة صـغيرة من الأرض ثم يقاس عليها وبذلك كان يعرف مقدار المحصـول الذى لا بدّ أن يورد إلى مخـزن الإله . وأخيرا كان يكال الحب الذى حصد ويسجله كُتّاب . ويلحظ هنـا أن فلاحا قـد ارتكب غلطـة كان يعاقب عليهـا بالضرب أمام رجل عظيم (راجـع ;Davies, ibid Pl. IX) وفى منظـر آخر نرى « أمنحتب » يستـعرض أمام الفـرعون « تحتمس الرابع » ثمـرة نشاطه وهى الهدايا التى يقدمها له (راجـع .Davies, ibid, XII)، ولذلك يقول المتن : فحص الهـدايا الملكية واسـتعراضها أمام ... على حسب أمر ورغبة جلالته لجعل قلب جلالة رب الآلهة راضيا ... ... وباحثا عما يمكن أن يخدم به والده « آمون » ومزينا بيته بالذهب ، ولقد كان لذلك يخططه التسجيل كتابة — من كل أنواع الآنية التى لا حصر لها ، وقلائد منات وصاجات وقلائد ؟ ... ... وتماثيل ... ... ملك الآلهة . وقد كان الكاهن الثانى معتادا أن يخرج ممدوحا ومحبوبا من حضرة جلالته .

وهذه الهدايا كانت تنتظم تماثيل ومجوهرات وأوانى معدنية الخ، وأخيرا نقش على جدران قبره المناظر الجنازية، ولا يزال يرى منها بعض المحافل العادية وكذلك منظر رحلة المومية لزيارة « العرابة المدفونة » (راجع ,Davies, ibid, Pls. XV XVII & Urk. IV, P. 1216.) .

«نب آمون» : يعد «نب آمون» من الموظفين العظام فى عهد الأسرة الثامنة عشرة الذين وصل إلينا شىء يذكر عن تاريخ حياتهم الحكومية . وتدل ظواهر الأحوال على أنه كان أول ظهوره فى ميدان العمل الحكومى فى خدمة الفرعون الخاصة ، إذ كان يشغل وظيفة «ياوره» فى كل حملاته فى الجنوب والشمال كما كان يلقب قائد جنود عديدين ؛ وقد كانت أول وظيفة هامة رقى إليها هى حامل علم السفينة الملكية « مرى آمون » . (راجع .Davies, ibid, Pl. XXVI) ، وهذه الوظيفة تعادل الآن « قائدا بحريا » . ولا نزاع فى أن وظيفته كانت حربية ولا أدل على ذلك من أنه رقى فيما بعد إلى رتبة رئيس الرماة (قائد المشاة) ثم رئيس الشرطة فى « طيبة الغربية » (.Ibid Pl. XXXIII) . وقد خدم هذا الموظف فى عهد الفرعونين « تحتمس الرابع » و « أمنحتب الثالث » ، إذ نجده فى حكم الأول يقدم له تقاريره الرسمية وفى عهد « أمنحتب الثالث » نجد فى أحد مناظر المقبرة طغراء هذا الفرعون على (بوابة) المعبد (راجع .Ibid, Pl. XXXIII)



(٣) «نب آمون» يتسلم وظيفة رئيس الشرطة أمام جنوده واستعراضهم

على أن ترقيــة « نب آمون » إلى وظيفة رئيس الشرطة قــد هيأت له على ما يظهر فرصــة تمكنه من القيام بخدمة سيده دون كبير عناء فى تجشم الأسفار معه وبخاصة بعد تقدم سنه، والمتن الذى يحدثنا عن هــذه الترقية يرجع إلى السنة السادسة من عهد «تحتمس الرابع» (راجع Ibid, P. 35. Pl. XXVI) وهو : "أمر صادر من جلالة صاحب القصر (له الحياة والسعادة والصحة) فى هذا اليوم إلى الأمير، قائد ســفن الوجه القبلى والوجه البحرى، والأمر هــو كما يأتى : إن جلالتى (له الحياة والسعادة والصحة) قــد أمر أن تســتقبل عمرا طويلا طيبا بحظوة الفرعون لأنك تهتم بأمر «نب آمون»، حامل العلم فى السفينة الملكية «مرى آمون» فقــد بلغ سن الشيخوخة فى خدمــة الفرعون (له الحياة والسعادة والصحة) بثبات. وفى الحق إنه كان يحسن كل يوم فى إنجاز ما أمر به، ولم يقدم عنه تقرير (سيئ)، هذا فضلا عن أنى لم أجده قــد تعدى حدوده، وإن كان قد وشى به فعلا، والآن قد أمر جلالتى أن يمنح وظيفة رئيس الشرطة فى «طيبة» الغربية فى مكان ... ... وفى مكان « عظيم القوة » حتى يرتفع إلى سن وقور، وأن يصبح له الحق قانونا فى بيته وماشيته وحقوله وعبيده وكل أملاكه فى البحر والبر دون أن يسمح لأى مراقب ملكى أن يتدخل فى أمرها ؛ حامل علم السفينة الملكية « مرى آمون » وقائد الجنود « نب آمون "، وهــذا المتن نقش فى قبر «نب آمون» الواقع فى جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٩٠)؛ ونستطيع أن نشاهده ممثلا فيه وهو يتسلم رمز وظيفته والوثيقة بتعيينه، فنراه واقفا وبيــده عصاه ذات الطابع الخاص من التى نشاهدها فى أيدى قبائل البدو، وقــد كانت بلا شك معروفة للجنود الذين تحت إمرته (Ibid. P. 35)، وقد تقبل «نب آمون» باحترام « علم الغزال » وهــو رمز شرطة طيبة الغربيــة ثم براءة تعيينه التى كانت موضوعة فى أسطوانة صغيرة على هيئة عمود مثل فى صورة نخلة، وهذه قــد قدّمها له كاتب ملكى يسمى «إيونى» الذى جاء لهذه المأمورية. ثم يأتى خلف «نب آمون» رجال الشرطة الذين ســيكونون تحت قيادته. ويلاحظ أن هؤلاء الشرطة قــد اتجهوا اتجاهين ويمكن تفســير ذلك بأنهم كانوا يســتعرضون أمام « نب آمون » أو « الفرعون ». وهو يشاهد فرقة من الجنود العاملين يشتركون فى الحفل وكذلك يقف جنود يحمــلون الأعلام من كتائب مختلفة يحيون الرئيس. ثم يصحبهم جنود من فرقتين مختلفتين ومعهم بوق يعطى إشارة التقدم أو التأخر فى الســير. وهؤلاء

الجنود قد تركوا أسلحتهم جانبا ولم يحملوا إلا دروعهم . ويشاهد اثنان من كبار الضباط قد انبطحا على الأرض : واحد منهم لم يذكر اسمه ويحتمل أنه هو الذى حل محل « نب آمون » والثانى هو قائد الشرطة فى « طيبة » ويدعى « ترى » وجدنا اسمه فى هذه المقبرة فى مكان آخر وقد يجوز أنه أخو « نب آمون » أو أحد أقاربه . أما الجنود فكان يقودهم ضابط شرطة يسمى « مانا » ويحمل علما ؛ غير أن ملابسه لا تختلف عن ملابس معظم رجال الشرطة ، ويلاحظ أن بعض الجنود كانوا مسلحين بعصى رماية ، وبعضهم الآخر بحراب ولا يمكن تمييز ضباطهم (انظر الصورة رقم ٣) .

ولدينا منظر آخر يظهر فيه « نب آمون » واقفا أمام الملك ، ويخيل أنه يحمل بإحدى يديه علم السفينة الملكية « مرى آمون » ويقدم بيده الأخرى طاقة أزهار للفرعون وأمامه خادمان يحملان رموز وظيفته وهى (بلطة) وحزام وحزمة أعشاب ومروحة ؛ وكذلك نشاهده ممسكا بحبل ربط فيه جماعات من الأسرى السوريين ويحتمل أن ذلك رمز لخضوع أملاك مصر لإدارة « نب آمون » ؛ وكذلك كان يقدم الأسرى والجزية للملك؛ وأهم ما يسترعى النظر فيها جوادان غاية فى الجمال والنشاط (Ibid. Pl. XXIX.) .

اقتراع المجندين السنوى : ولدينا منظر يدعو إلى الحيرة والدهشة معا يظهر فيه « نب آمون » كأنه عائد من حملة سورية كان قد رافق فيها الفرعون . فيشاهد وهو داخل إلى ميناء « طيبة » فى سفينة مزخرفة بأجمل الزينة وبخاصة شُرُعها ، وفى المؤخرة كان يجلس الفرعون فى جوسق صغير يحلق فوق رأسه إلهة العقاب وبجانبه العربة الملكية ، وفى أسفل المنظر جلس عدد من الرجال على كراسى ، كما يرى جم غفير من الناس رسم بطريقة تدل على مهارة المفتن المصرى فى الإخراج . وعلى اليمين يمكن رؤية منزل بيت « نب آمون » ويلاحظ أن أربعة رجال وامرأة ينحنون بخشوع للقاعدين على الكراسى . وفى الجهة المقابلة من المنظر يشاهد مجندون يجلسون على الأرض حاملين حقائبهم وأقواسهم على ظهورهم .

ويظنّ الأثرى « ديفيز » أن هذا المنظر الأخير يمثل اقتراع المجندين السنوى ، فالرجال الجالسون هم المجلس العسكرى فكان فريق من أعضائه ينتخب المجنـدين الجدد ، فى حين كان الفريق الآخر يفصل فى الشكاوى المقدّمة من أقارب المجندين الذين يرجون الإعفاء ثم يصدر بعد ذلك القرار النهائى وأخيرا كانت تفترق الأسلحة والجرايات على الرجال الذين وقع عليهم الاختيار .

ويحتوى قبر « نب آمون » غير ذلك على مناظر خاصة أو أسرية ، فمنها نعلم أنه كان قد تزوّج باثنتين ورزق منهما ما لا يقل عن ست أو سبع بنات وسبعة ذكور .

وليس لدينا ما يثبت أن « نب آمون » قد تزوّج بهما فى وقت واحد أو بواحدة بعـد انفصاله عن الأخرى . وقد ظهرت معه زوجه « تى » كثيرا وحباها بنقوش تدل على حبه لها أكثر من الأخرى التى كانت تدعى « موت نفرت » .

وقـد شغل منظر الوليمة فى هذا القبر حيزا كبيرا رسمت فيه كل صور أقاربه ؛ وأهم ما يلفت النظر فيه منظر طائفـة من المغنيات رسمت إحداهنّ بوجه كامل وهذه ظاهرة نادرة فى الفن المصرى ، والظاهر أن هذا الوضع كان مقصورا على من ليس لهم مكانة فى المجتمع المصرى .

عمل رجال الشرطة : وقد رسم المفتن فى هذا المنظر حادثا صغيرا فى ذاته غير أنه من الأهمية بمكان لندرته فى مثل هذه المناظر : وذلك أنه صوّر موظفا جالسا تحت شجرة وبيده غصن يرمز به للعيد أو الفرح ، وقد أتى إليه أخوه « ترى » (أى أخو نب آمون) رئيس الشرطة فى الحى الواقع غربى « طيبة » ومعه رجلان فبلغ الضابط « ترى » عن الحالة قائلا : "إن الحى الجنوبى والحى الشمالى يسود فيهما النظام" ثم يضيف إلى ذلك رجاله ويحتمل أنهم رجال (الدورية) للحيين : "إن المكان فى أمان والنظام فيه جيد جدا" . ولا شك فى أن هذا هو التقرير الذى كان يقدّم كل مساء بانتظام من رجال شرطة « طيبة » . ولا ريب فى أن مثل هذه اللمحات الخاطفة التى تطلع علينا من وقت لآخر من ثنايا النقوش تضع أمامنا صورة حية عن النظام المركب الذى كانت تعيش فى ظله هذه العاصمة العظيمة فى الأزمان السحيقة .

ونشاهد « نب آمون » فى منظر آخر يقدّم شكره للإله « آمون » اعترافا منه بالجميل لإكثار ماشيته وكرومه . وهنا نشاهد رسم معبد « آمون » وقد نقش على بابه الكبير اسم الفرعون «أمنحتب الثالث» .وكذلك يرى بيت «نب آمون» وهو مسكن جميل جدا (Ibid. Pls. XXX, XXXIII, XXXIV.) ملون باللون الأحمر القاتم مما يوحى بأن جدرانه قد غطيت بطبقة من الجص ، ويوجد فى أصل سقفه المنبسط (ملقفان) لتوصيل هواء الشمال والجنوب إلى داخل المنزل. أما بابه الضخم فمن الخشب الأسود له مصراع واحد من خشب أصفر . وفوق الباب نافذة مزخرفة ، كما يوجد فى الجدار على مسافة أعلى من هذه النافذة نافذتان أخريان . على أن ذلك لا يعنى حتما أن البيت كان يتألف من طابقين وذلك لأن المصريين لم يكونوا متعوّدين أن يضعوا نوافذهم فى مواضع عالية فى الجدران . وهذه النوافذ كانت تغلق بوساطة مصاريع مزخرفة . وترى نخلتانه تطلان على السقف خلف البيت مما يوحى بوجود حديقة خلف البيت . وهذا المنظر الذى صورت فيه الأشياء على طبيعتها لا كما عدّدت يعد خروجا على التقاليد القديمة الجامدة . وبجانب البيت وبركته الجميلة نشاهد كرما كانت تجنى ثماره لتعصر نبيذا كما يشاهد رجل يعدّ القربان للإلهة « رنوتت » وهو يقول : "لحضرتك يا رنوتت! امنحى الطعام والخير" . وكذلك يرى طائفة من بحارة « نب آمون » قد حضروا لتهنئة قائدهم (ومن المحتمل ليذوقوا طعم خمرته اللذيذة) وقد جاءوا إليه وهم ينشدون أغنية حربية "إنه يدرب جنودا وجنودا ويفعل ذلك الحاكم لأجل آمون وقلبه فرح" . وفى منظر ثانوى يرى « نب آمون » يفحص بعض ماشيته فيقول للكاتب « تحوت نفر » الذى يجلس عند قدميه : "لا تول ظهرك لماشية آمون سيدنا !" وقد يعنى بذلك أن ينتحل عذرا للكاتب الذى جلس وظهره فى وجه « نب آمون » أو غير ذلك . وبعد ذلك نشاهد فى نفس المنظر رجالا يسمون الماشية بنار حامية .

« ثانى » : لقد جاء ذكر هذا الرجل العظيم فيما سبق أما ألقابه فهى : كاتب الجيش أمام جلالته ، وكاتب الملك الحقيقى ومحبوبه ، وكاتب الجيش

(Urk. IV. P. 1006) والمشرف على الجنود وكاتب المجندين ، والمشرف على كتبة الجيش العظيم للفرعون ، والسمير العظيم الحب ، وعينا ملك الوجه القبلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى ، والمشرف على جيش الفرعون ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد .

وقبر « ثانني » يقع فى جبانة « شيخ عبد القرنة » رقم ٧٤ ويحتوى على مناظر تحدثنا عن حياته الخاصة وأعماله فى وظيفته ، (راجع Porter, & Moss, "Bibliography" II. PP. 100 - 101) . وقد خصص منظر كبير لعرض عسكرى حيث تجند الجنود ، فعلى الجدار الداخلى من الجهة الشمالية نشاهده يقوم بعملية اقتراع الجنود الجدد ، فنرى فى الصف الأعلى فى الخلف صفين من الجنود كل منهما يتألف من عشرة رجال ، فيرى رئيس الفرقة الذى على الجهة اليسرى وفى يده علم لا يمكن الإنسان أن يرى شيئا من شريطه ، ويلاحظ أن الجنود قد وضع كل منهم يده اليمنى على كتفه الأيسر أما يده اليسرى فكانت مدلاة على جانبه . وأمام الفرقة الثانية يقف ضابط وفى يده عصا تمييزا لمركزه . ويلاحظ أن الجنود ليسوا مسلحين ويلبسون قميصا قصيرا مصنوعا من الجلد المجدول لف حول وسط الجندى وطرفه ظاهر ويوجد فى وسط هذه الجدائل مربع من الجلد .

أما الضابط فكان يرتدى الشنديت وفوقه لباس من الكتان له شكل خاص لف حول وسطه ويغطى ما فوق الركبة . وتشاهد فرقة ثالثة تمشى فى اتجاه مضاد للفرقتين السابقتين ويسير أمامها ضابط .

أما فى الصف الأسفل فيوجد فرقتان يتجه كل أربعة رجال من أولاها إلى جهة مضادة لزملائهم ويشاهد أمام واحدة منهما جندى يحمل على ظهره طبلا كالذى نشاهده الآن فى بعض جهات القطر ، ويلحظ أن حامله قد رفع يده ، أما الفرقة الثانية فيسير أمامها حامل علم موضوع على كتفه الأيسر . وهؤلاء الجنود كانوا يرتدون الشنديت وعلى اليمين يسير سبعة من السود يحمل الأول والثانى منهم بوقا ، أما الخمسة الباقون فقد سلحوا بعصى ويزين رأس كل منهم ريشة نعام .

وفوق الصورة الثالثـة نشاهد جيشا يقوده ضابط يقف أمام الفرعون بخشوع يقوم جنوده بتمرينات عسكرية فى صفين، ففى الصف الأسفل من جهة اليسار نجد خمسة جنود غلاظ الجسم من النوبيين (وهم ليسوا من الزنوج لأن شـعرهم ليس مجعدا) ويلحظ أن بطون سيقانهم ربلة أكثر من المعتاد وأنهـم مسلحون بعصى ويرتدون شبكة فوق قميصهم المسدل حتى الفخذ، وقد علق خلف هذا القميص ذيل حيوان كما علق نظيره على الساق مما تحت الركبة . وعلم هذه الفرقة قد ميز بصورة مصارعين أما الجنود الذين على اليسار فوق هؤلاء فكانوا يرتدون القميص الذى كان يرتديه جنود الدولة الوسطى . والفرقة التى على يمينهم ومن أسفل منهم يرتدى كل من أفرادها قميصـا مستديرا له طرف بارز (شنديت) وهـو الذى كان يرتديه الضباط بمثابة قميص داخلى، وكذلك كانوا يتمنطقون بحزام . أما الفرقتان الأخريان فكان كل منهم يلبس قميصا مخططا وآخر أبيض عريضا فوقه .

ولدينا منظر آخر فى هذا القبر نشاهد فيه عرض الخيل والثيران أمام «ثانى» .

وتدل كل الظواهر على أن هـذا الضابط قد بدأ خدمته فى عهد « تحتمس الثالث » وظل فى مناصب الحكومة حتى عهد حفيده « تحتمس الرابع » (Urk. IV. P. 1005) .

«ثنونا» : كان «ثنونا» من بين الموظفين الذين كانوا دائما يسيرون فى ركاب الفرعون كما يدل على ذلك ألقابه وهى : الأمير الوراثى، والسمير الوحيد، وحارس خطوات الفرعون فى كل مكان ، ومدير البيت فى بيت جلالته ، وحامل المروحة على يمين الملك ، وعينا ملك الوجه القبـلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى ، ومـدير البيت العظيم ، ووالد الإله (أى الفرعون) ومحبوب الإله ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، ورئيس أسرار إلهتى القطر والمشرف على ثيران الإله « آمون » . (راجع Bouriant, "Rèc. Trav." Vol. XI. P. 157. & P. 158.) ويقع قبر « ثنونا » فى جبانة «شيخ عبد القرنة» رقم ٦٧، غير أننا نعرف عنه أشياء أخرى من الآثار،

فقـد عثر على لوحة فى العرابة المدفونه نشاهد فيها « تحتمس الرابع » يقـدم قربانا « لأوزير » بوساطة « ثنونا » الذى يقف فى اللوحة وراء الفرعون وتتبعه زوجه (Petrie "History", II, P. 172; Lacau, "Steles du Nouvel Empire", No. 34023. Pl. XIV,) وتوجد له كذلك لوحة أخرى فى متحف « استوكهلم » راجع Lieblein, "Dict. Noms", P. 590. •

«زسر — كا — رع سنب» : عثر على قبر « زسر — كا — رع — سنب » فى جبانة «شيخ عبد القرنة» رقم ٣٨ ويحتوى على بعض مناظر هامة خاصة بالحصاد الذى كان تحت مراقبـة « زسر — كا — رع — سنب » نفسه لأنه كان يحمل لقب الكاتب الذى يحصى الحب فى مخزن غلال القربان المقدسة « للإله آمون » ، أما باقى ألقابه فهى كما يأتى : الكاتب ، ومدير بيت الكاهن الثانى « للاله آمون» والمشرف على مربىّ...؟(Kuentz, B. I. F. A. O., Vol. XXI, PP. 120-125)

وقـد صوّر فى مقبرة هـذا الكاتب منظر يمثل أمامنا الخطوات التى تتبع فى إنتاج القمح كما نشاهدها فى الطبيعة بمراقبته اليقظة ، إذ نراه واقفا عند حقل الغلال متكئا على عصاه (Wreszinski, "Atlas", Pl. 143.) وأمامه رجل يحرث الأرض وخلفه صبى يبذر البذور . وبعد ذلك نجد رجلين يقومان بعزق الأرض بفأسيهما ومتجهين نحـو شجرة معلق عليها سلتان تحتويان طعاما وجرة ماء ليـبرد ماؤها بظلها الظليل . ثم يرى فى الصف الأعلى القمح وقـد نضج وهـو يفوق الرجال الذين يحصدونه طولا ، وبعد الحصاد نشاهد بعض فقراء القـوم يلتقطون ما ترك وراء الحصادين من سنبل كما هى العادة حتى يومنا هـذا فى زمن الحصاد . ونرى بعد ذلك رجلين يحملان السنبل فى سلات ضخمة لأجل الدرس حيث تدور عليها المـاشية حتى تفصل الحب عن القشور ، ثم يأتى دور التـذرية بآلات خاصة تشبه المراوح أو المذراة فى أيامنا هذه . ومما يلفت النظر وجود ما نطلق عليه الآن اسم العروسه وتتألف من سـنابل القمح ، J. E. A. Vol. VIII. P, 235 ff. & Ibid Vol. XIX, P. 31.

وقـد وجدت أمثال هـذه الصـورة فى مقابر أخرى وكانت تعـدّ بمثـابة بركة

لمحصول القمح (راجع Davies, "The Tomb of Nakht" Pl. XX.) ،
وأخيرا نشاهد « زسر — كا — رع — سنب » يقدم قربانا محروقة للإلهة
« رنوتت » التى تمثل فى صورة ثعبان ، كما يوجد أمامها مقدار عظيم من القربان
على مائدة عظيمة . ويدل لقبها الذى دوّن أمامها على أنها كانت سيدة مخازن
الغلال (Wreszinski, Pl. 143.) . ومما يلفت النظر فى الوليمة التى رسمت على
جدران قبره أن الفتيات اللائى كنّ يقمن بخدمة السيدات المضيفات عاريات
الأجسام اللهم إلا من حزام ضيق يستر عوراتهن وإلا مجوهراتهنّ العادية التى كنّ
يتزين بها . والظاهر أن هذا المنظر من أحدث المناظر التى مثلت على هذه
الصورة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة . وتدل شواهد الأحوال على أن صور
طائفة السيدات الرشيقات والفتيات المغنيات والراقصات اللائى كنّ يقمن بخدمة
المضيفات قد نقلها المفتن القديم نقلا أمينا عن مقبرة « أمنحتب ساسى » .

«مرى رع» : لم يعثر على قبر « مرى رع » حتى الآن ، وكل ما نعرفه عنه
من نقوش محبرة صنعت من الخشب وهى الآن بالمتحف البريطانى وقد وجد فيها
أربع عشرة عينا للألوان وقد كانت مستعملة فعلا إذ وجد فيها أثر الألوان، وقد
كتب عليها ألقاب ووظائف « مرى رع » ودعاء للإله « تحوت » وألقابه هى :
الأمير الوراثى، والأمير الذى على رأس المقربين لدى الفرعون، ومدير البيت العظيم
للملك . أما الدعاء الذى نقش على هذه المحبرة فيمتاز عن الأدعية الأخرى، إذ أنه
موجه للإله «تحوت» رب الكتابة الهيروغلوفية ليمنح «مرى رع» علم الكتابة الذى
هو منبعه وأصله، وكذلك فهم اللغة المصرية . والواقع أنه من النادر جدا أن
نصادف فى الأدعية والصلوات المصرية مايقصد منه غير الأشياء المادية كالشراب
والطعام أو طول العمر ولذلك جاءت هذه الأدعية بطلب العلم والمعرفة من الأشياء
الطريفة فى بابها . وهذه المحبرة قد صنعها سكرتير « مرى رع » المسمى « تنن »
ويلقب كاتب مدير البيت العظيم (J. E. A. Vol. XVIII. P. 57. Pl. VII, 3.) .

« نبي » : يوجد فى « سراية الخادم » نقش فى الصخر يظهر فيـه « نبي » واقفا خلف « تحتمس الرابع » الذى يقـدم قربانا للإلهـة « حتحور » (راجع Gardiner and Peet, "Sinai", Pl. XIX, No. 59.) .

أما ألقابه على اللوحة فهى : رسول الفرعون لكل أرض، ومدير بيت ... ... زوج الفرعون ، وعمدة ثارو ، وطفل الرضاعة (أى الذى تربى مع الفرعون) .

« بتاح مس » : كان « بتاح مس » من كبار رجال الدولة، غير أننا لم نعثر على شيء من آثاره الضخمة وبخاصة قبره ، وكل ما نعرفه عنه ينحصر فى نقـوش تمثال لا نعرف المكان الذى جاء منه وقد كتب عليه الألقاب التالية : الأمير الوارثى ، وحامل خاتم ملك الوجه البحـرى فى مقـدمة ... ... ومدير الصناع فى البيتـين (المعبدين)، والكاهن «سم» ، والمدير الأعلى للصناع (لقب الكاهن الأكبر للإله «بتاح» فى منف) (راجع Borchardt, "Statuen und Statuétten", No. 584.) .

«بنحت» : يقع قبر هذا الموظف الكبير فى جبانة «ذراع أبو النجا» رقم ٢٣٩ وأهم ألقابه هى : المشرف على كل الأقاليم الشماليـة « أى بلاد سـوريا » ولذلك نجده قد رسم لنا منظرا يمثل قوما من السوريين يحملون الجزية إلى مصر، ولكن مما يؤسف له أن هذا المنظر مهشم تهشيما مريعا ولم يبق منـه إلا القليل جدا (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 373,) .

«حقر نحح» : كان مربيا لابن الملك «أمنحتب» وقد ورث هذه الوظيفة على ما يظهر من والده « حقر شاو » الذى كان يشغل هذه الوظيفة فى عهد الملك تحتمس الرابع . وقبره يقع فى جبانة «شيخ عبد القرنة» رقم ٦٤ (راجع Porter & Moss "Bibliography" I. 94.) ونشاهد فيه منظرا يظهر فيه «حقر نحح» يقدم طاقة أزهار لمرب آخر يحتمل جدا أنه والده وقـد جلس على كرسى وفى حجره «تحتمس الرابع» فى طفولته، وعلى الرغم من تصويره فى هيئة طفل فقد كان يلبس صدرية عليها طغراء باسم «تحتمس الرابع» بوصفه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى .

وكذلك صور ثانية ومعه بعض الأمراء الملكيين وقد محيت أسماؤهم . وكان «حقر نحح » يحمل كذلك لقب طفل الرضاعة ، وقد عثر له على مخروط جنازى فى جبانة « شيخ عبد القرنة » عليــه لقبه طفل الرضاعة ورئيس جياد جلالتــه (A. S, VI. P. 91, No. 39) .

«أمنحتب» : وكان يحمل لقب الكاهن الأول للإله « أنحور (أونوريس) » رب العرابة المدفونة، وقد عثر له على لوحة فى العرابة نفسها مقدمة لهذا الإله من « أمنحتب » هذا (Lieblein, "Dict. Noms," No. 602) .

«باعا عقو» : كان من بحارة الفرعون « تحتمس الرابع » ولقب بحامل العلم على السفينة « مرى آمون »، وقد أهدى لوحة فى العــرابة للإله « أوزير » وهى الآن بمتحف «اللوفر» (Ibid. No. 716.)، ومن المحتمل أنه هو الرجل الذى خلف « نب آمون » قائدا للسفينة « مرى آمون » عند ما رقى الأخير إلى قائد الشرطة فى « طيبة الغربية » .

«حوى» : ويلقب نحات آمون، وقبره فى جبانة «شيخ عبد القرنة» رقم ٥٤ وقد اغتصبه كاهن يدعى « كانرا » فى باكورة الأسرة التاسعة عشرة ، وكان يلقب رئيس مخازن الإله «خنسو» (Porter and Moss, ibid, I. P. 86.)، ومما يسترعى النظر أن نقوش هــذا الغاصب تظهر خشــنة رديئة الصنع إذا ما قورنت بالنقوش الجميلة التى صنعها لنفسه « حوى » فى عهد الأسرة الثامنة عشرة الزاهر بجمال فنه (Davies, M. M. A. (1922), P. 53, fig 5.) .

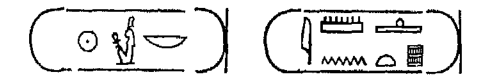
«نفرحات» : وجد له لوحة فى العرابة المدفونة، والظاهر أنه كان من رجال العمارة فى هــذه الجهة لأنه كان يحمــل لقب رئيس الأعمال فى معبــد من معابد «العرابة المدفونة»، كما كان من الرجال المقربين من الفرعون، إذ نعت بلقب تابع الفرعون فى كل أمكنته . وقــد ظهر الفرعون « تحتمس الرابع » على الجزء الأعلى من هــذه اللوحة يتعبد « للإلهة نوت »، وفى الجزء الأسفل نشاهد « نفرحات »

يقدم قربانا للالهة «نوت» أيضا (راجع ,Lacau, "Steles du Nouvel Empire"
P. 42. Pl. XIII, No. 34022) .

«حاعنخف» : وجد اسم هذا الكاهن الملقب الوالد الإلهى على نقش فى صخور «كونو سوا» وقد ظهر عليه كل من الإله «مين» والإله «خنوم» متواجهين وبينهما طغراء الفرعون «تحتمس الرابع» فوق نقش ممحو . وقد وجد كذلك اسم أحد أقارب الفرعون المدعو «نب عنخ» تحت اسم «حاعنخف» (راجع .De Morgan, "Cat. Mon." P. 73. No. 45) .

الفرعون أمنحتب الثالث

١٤٠٥ - ١٣٧٠ ق . م .



مقدّمة : يدل ما لدينا من وثائق على أن «تحتمس الرابع» كان آخر فرعون عظيم من فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ، سار على رأس جيش عرمرم لتأديب الأمراء الثائرين فى بلاد آسيا وإخضاعهم وإعادة النظام إلى كل ممتلكاته فى تلك الجهات النائية ؛ فلما مات ترك ملكه الذى كان يمتد من «الفرات» شمالا إلى «كاراى» جنوبا يخيم على ربوعه السلام والسكينة ، وبموت هذا العاهل انطفأت شعلة الروح الحربى الذى كان يضىء نفوس فراعنة هذه الأسرة الأماجد ، كما خبت فى نفوس الشعب . وتلاشت تلك الصفات التى كانت تقود رجال «تحتمس الثالث» إلى ساحة القتال بقلوب ملؤها الشجاعة والإقدام .

عاجلت المنية «تحتمس الرابع» وهو فى نضرة الشباب ومقتبل العمر الذى ترجى فيه الأعمال العظيمة . وقد تضاربت الآراء والبحوث الطبية فى نسبة «أمنحتب الثالث» إلى سلفه «تحتمس الرابع» ؛ فإن تحتمس مات فى عنفوان

شبابه غير متجاوز السادسة والعشرين ربيعا من عمره كما يقول الأطباء الذين فحصوا عظامه ؛ ومن أجل ذلك يعتقد بعض المؤرّخين أن « أمنحتب الثالث » ليس ابن « تحتمس الرابع » ارتكانا على نتائج ذلك الفحص الطبي ويرون أنه أخوه (راجع (G. Ellot. Smith; Daressy, A. S IV, P. 110. .

وإذا كان تقدير سنه صحيحا استحال أن يكون «أمنحتب الثالث» ابنه؛ لأن أمنحتب حين خلفه على العرش تزوّج فى السنة الثانية من حكمه بالملكة «تى» ، ولا يعقل أن يكون لتحتمس وهو حدث السنّ ابن أهل للزواج فى هذا الوقت اللهم إلا إذا كان هذا الزواج صوريا لا فعليا ، ولذلك رجح بعض علماء الآثار تخلصا من هذا المأزق أنه كان أخاه على الرغم مما ورد فى الآثار مثبتا أنه ابنه مما سنفصل القول فيه . فالفريق الذى يدعى أنه أخوه يقول : إن ما جاء على الآثار من أنه ابنه إنما هو تجوّز



(٤) أمنحتب الثالث فى شبابه

فى التعبير. فقد جاء فعلا فى نقوش مدينة «الكاب» (راجع (.L. D. III, Pl. 80 b
أنه والده. وكذلك فى نقوش «حور محب» (راجع .L. D. III, Pl. 78 a)ذكر أنه والده ولكن قد يكون دعيه وحسب . وقد جاء فى خطاب من خطابات « تل العمارنة ، كذلك (.Am. 5, 4) أن « منخبريا » أى « تحتمس الثالث » هو جد «أمنحتب الثالث » . غير أن أمه « موت مويا » لا يمكن أن تكون زوج « تحتمس الرابع » اعتمادا على أن اسمها لم يذكر على الآثار بهـذا اللقب ، وكذلك لا يحتمل توحيدها مع الأميرة المتنيـة أخت « ارتا تاما » كما يقال غالبا ، وهى التى تزوّجها « تحتمس الرابع » ،(Am. 29, 16). ومن المهم جدا أن نذكر أن «تحتمس الرابع» قد احتفل بعيـد « سد » (أى العيد الثـلاثينى) مرتين (راجع Breasted, "Temples of Lower Nubia" A. J. S. L. XXIII. (1906) P. 51.) وهذا يعدّ برهانا آخر على أن هذا العيد لا يقام على أساس تاريخى ثابت(راجع .Ed. Meyer. "Gesch." II, I P. 149.). أما الذين يقولون إن «أمنحتب الثالث» هو ابن «تحتمس الرابع» والملكة « موت مويا » فيستندون على النقوش والمنـاظر التى تركها « أمنحتب الثالث » نفسه على جدران معبد الأقصر ، وهى التى تمثل ولادة هذا الفرعون الإلهى .

ولادة أمنحتب الثالث كما صوّرت على جدران معبد الأقصر —

وقد كان ملوك مصر منذ نهاية الأسرة الرابعة عندما يعوز الفرعون منهم المؤهلات التى تبرر له ارتقاء عرش البلاد ، يحتال فى إيجاد حجج ترفعه إلى عرش الملك أمام أعين الشعب الذين كانوا ينظرون إلى الفرعون نظرة الإله ، وأنه من دم إلهى خالص ، أو بعبارة أخرى كان يعـد ابن الشمس . والظاهر أن الملـكة « موت مويا » والدة « أمنحتب الثالث » لم تكن من دم ملكى خالص مما دعاه إلى تمثيل ولادته على جدران معبد « الأقصر » ليظهر للملأ أنه هو ابن الإله « رع » ، ولذلك نراها فى المنظر الذى على جدران معبده بالأقصر تجتمع بالإله « آمون » وتحمل منه الملك «أمنحتب الثـالث» وذلك جريا على عادة الثالوث فى المعابد المصرية أى أن الإله يجتمع بالإلهة زوجه التى معه فى المعبد وبذلك يعقبان ذكرا يكون هو الابن وثالث

ثلاثة . وبهذه الطريقة الملفقة يصبح الفرعون الجديد ملكا على البلاد حتى ولو كان أجنبي الأب والأم عن الدم المصرى كما حدث فى تتويج « الاسكندر الأكبر » الذى مثل هذه الرواية عند اعتلائه عرش مصر » (راجع Maspero, "Ecole des Hautes Etudes Anniversaires". (1897).) على أن مافعله « أمنحتب الثالث » هو نفس ما عملته الملكة « حتشبسوت » من قبله كما ذكرنا . وتدل كل الشواهد على أن « أمنحتب الثالث » هو ابن الملك « تحتمس الرابع » كما تحدثنا النقوش وأن مسألة تقدير سنه مشكوك فيها (Wolf, A. Z., LXV, P. 98.) .

تولى «أمنحتب الثالث» وهو صغير السنّ وقد استمر فى حكم البلاد منفردا نحو ست وثلاثين سنة كان فى خلالها أعظم عاهل فى العالم المتمدين، كما كانت «مصر» أكبر امبراطورية فى الشرق القديم وصاحبة السيادة السياسية والأدبية فيه .

حروبه فى السودان : وتدل الوثائق التى وصلت إلينا حتى الآن على أنه لم يقم بحروب غير حملة واحدة فى بلاد « كوش » فى السنة الخامسة من حكمه وهذا دليل على أنه لما تولى الملك كان السلام على وجه عام مخيما على ربوع دولتـه المترامية الأطراف فى آسيا .

والظاهر أنه قامت ثورة فى بلدة « أبهت » الواقعة بعد الشلال الثانى فكلف الفرعون نائبـه فى أقطار الجنوب وابن الملك المسمى « مرمس » بجمع جيش من النوبيين من بلاد النـوبة السفلى والزحف به لقمع الثورة بمساعدة الجيش المصرى الذى كان بقيادة الفرعون نفسه، وكان قد أقلع فى فصل الفيضان وهو الوقت الذى كان يحتفل فيه بعيد تتويج الفرعون . وعلى الرغم مما جاء فى وصف هذه الحملة من تهويل ومبالغات فإن القتال كان يدور مع فئة صغيرة من السودانيين وقد بلغ عدد من قتل وأخذ أسيرا نيفا وألفا . وبعد أن أحرز الفرعون النصر على هؤلاء العصاة أوغل فى بعض الوديان الواقعة على ضفتى النهر وكانت مأوى لقبائل الصحراء الذين تعـوّدوا الانقضاض على الأماكن المعمورة من وقت لآخر لسلبها ونهبها ، غير أننا

عندما نقرأ أن « أمنحتب الثالث » قد بسط حدوده إلى حيث شاءت إرادته حتى وصلت إلى عمد السماء الأربعة لا يعنى ذلك إلا أنه لم يتعد بلدة « نباتا » الواقعة بالقرب من الشلال الرابع . وما لدينا من الوثائق لا يدل على أن السياده المصرية تخطت هذه النقطة . فكانت الحدود الجنوبية لبلدته لا تعدو إقليم « كاراى » . ونراه فى أثناء هذه الحملة على بلاد « كوش » قد أخضع بعض قبائل ذكر اسمها ، غير أن هـذه الأسماء لم تذكر على الآثار المصرية قبل حكمه ولا بعـده . ولا يعنى ذلك أن كل القبائل التى نجـدها على الآثار مصورة بوصفها أسرى قـد أخضعها هو فى حروبه التى شنها فى بلاد النوبة وما بعدها ؛ فإننا نجد فى عهده مرسوما على جدران معبد « صولب » صور أقوام من السوريين وبلاد « نهرين » و«قادش» وجهات أخرى من التى كانت فى حالة سلم معه . وحقيقة الأمر إذن أن صورهذه البلاد وأهلها المكبلين فى الأغلال لا تدل إلا على أنها كانت خاضعة للحكم المصرى . (راجع Petrie, “History”, II, P. 18.) ولدينا وثائق تحدثنا عن هذه الحملة أهمها لوحة نقشت فى الصخر عند الشلال الأوّل ، رسم فى الجزء الأعلى منها الملك يطأ بقدميـه الأسيويين ويضرب السـود وأمامه الإله « آمون » ثم الإله « خنوم » إله الشلال وخلفه الإله « بتاح » رب « منف » .

ومما يؤسف له أن هذه النقوش مهشمة ، هشمها رسل « أمنحتب الرابع » (اخناتون) وهاك ما تبقى منها : " السنة الخامسـة الشهر الثالث من الفصل الأول اليوم الثانى وهو يوم التتويج فى عهد جلالة « حور » الثور القوى ، المضىء فى الصـدق ، محبوب الإلهتين مؤسس القانون ، ومهدىء الأرضين «حور» الذهبى ، العظيم فى القوة ، وضارب الأسيويين ، الإله الطيب ، حاكم طيبة ، رب القوة ، شديد البأس ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نب ماعت رع » ابن الشمس «أمنحتب الثالث» حاكم طيبة ، محبوب آمون ، وملك الآلهة ، و« خنوم » سيد الشلال الذى يعطى الحياة .

لقد أتى إنسان ليخبر جلالته أن العدو صاحب « كوش » الخاسئ قد دبر عصيانا فى قلبه . فسار جلالته للظفر به ، والتغلب عليه ، فأتمه فى حملته الأولى المظفرة . وقد خرج جلالته مثل......ومثل...«حور» ومثل « منتو » ... ... ولم يعرف هذا الأسد الذى كان أمامه ؛ وكان «نب ماعت رع» (أمنحتب الثالث) أسدا ذا عين مفترسة فاستولى ... ... « كوش » . وقد هزم كل الرؤساء فى وديانهم حتى سقطوا مخضبين

بدمائهم الواحد فوق الآخر ... ... »(راجع .Breasted, A. R. II. § 843 ff; L. D. III, 81 h)

وكذلك دوّن على صخور جزيرة « كونوسو » فى النهاية الشمالية من « الفيلة » لوحة تذكارا لهذه الحملة كاللوحة السابقة وقد جاء فيها : ... ... السنة الخامسة عاد جلالته بعد أن انتصر فى حملته الأولى المظفرة فى أرض « كوش » الخاسئة بعد أن جعل حدوده تمتد كما يرغب فيه ، فقد امتدت حتى العمد الأربعة التى تحمل السماء وأقام لوحة نصر عند بركة « حور » ، ولا يوجد ملك مصرى عمل مثل هذا غير جلالته : وهو القوى المبتهج بالنصر « نب ماعت رع » (أمنحتب الثالث) ...» .

ولا نعرف حتى الآن موقع بركة « حور » التى ذكرت فى هذا النقش . (راجع .Breasted, A. R. II. § 845; L. D. III, 82 a) .

لوحة سمنة : وفى « المتحف البريطانى » لوحة تشير إلى حروب « أمنحتب الثالث» فى بلاد النوبة وما أخضعه نائب الملك المسمى «مرمس» (راجع Birch, "Archeologia", XXXIV, P. 388; "Archaeological Journal", VIII. P. 399; Breasted, A. R. II, 851) .

والجزء الأول من النقش قد ضاع ، ويحتمل أنه قد جاء فيه إعلان العصيان « ... ... حدث حصد محصول العدو صاحب « ابهت » (ibht) وقد قدم كل إنسان نفسه وأعد جيش الفرعون للوقعة ، وكان بامرة « ابن الملك » ، وقد جمع الجنود يقودها قوادهم وكان كل إنسان مع أهل قريته من حصن « بكى » (BKY) (بالقرب من كوبان) حتى حصن « تارى » (بالقرب من ابريم) وقد قطع اثنين وخمسين « إترو » (أى حوالى ٧٥ ميلا) » .

الموقعة : "وقد أخذتهم قوة «نب ماعت رع» فى يوم بل فى ساعة فى مذبحة وماشيتهم ، ولم يفلت واحد منهم ، وأحضر كل منهم ... ... الخوف وقد استولت عليهم قوة « أمنحتب » ، والمتوحشون منهم ذكورا وإناثا لم يفصل بينهم ، وذلك بتدبير « حور » رب الأرضين ، الملك « نب ماعت رع » الثور القوى الشديد فى البأساء . وقد كانت بلاد «أبهت» متغطرسة ، وكان فى قلوبهم أشياء عظيمة ، ولكن الأسد ذا العين المفترسة — هذا الحاكم — قد ذبحهم بأمر « آمون — آتوم » والده الفاخر وهو الذى قاده بقوة ونصر" .

قائمة الأسرى والقتلى :

قائمة الأسرى الذين استولى عليهم جلالته فى أرض « أبهت » الخاسئة :

خمسون ومائة عبد حى ، وعشرة ومائة رام ، خمسون ومائتا أمة ، خمسة وخمسون خادما من العبيد وخمسة وسبعون ومائة من أولادهم فجموع هؤلاء إذن أربعون وسبعمائة نسمة ، يضاف إليهم اثنا عشر وثلثمائة يد منهم ، وعلى هذا فالمجموع الكلى لهؤلاء الأسرى هو اثنان وخمسون بعد الألف من النسمات » .

ما قاله نائب الفرعون : " ابن الملك الساهر لأجل سيده ، محبوب الإله الطيب ، حاكم كل بلاد « كوش » ، وكاتب الملك « مرمس » يقول : الحمد لك يأيها الإله الطيب إن بأسك عظيم على من يجابهك وإنك تجعل من يثور عليك يقــول : إن النار التى اشعلناها تضطرم فينا ، وإنك ذبحت كل أعــدائك وطرحتهم تحت قدميك ".

أعمال الفرعون فى آسيا : أما الأراضى الأسيوية فإن قدم « أمنحتب الثالث » لم تطأها قط ؛ هذا على الرغم ممــا ذكره فى نقوشه كما سيأتى من أنه أخضع بلاد « رتنو » وبلاد « نهرين » بحد السيف ، يضاف إلى ذلك أنه لم يسيطر سيطرة فعلية على بلاد « سنجار » و « آشور » و « أرباخا » و « كريت » قط . والواقع أنه ربما كان يعنى من ذكره هــذه البلاد أنها كانت تدين له بالهدايا التى كانت تأتى إليه منها . إذا الواقع أن « أمنحتب » لم يذهب أبدا إلى هذه البلاد ولم يشن عليها أية حرب كما يدل على ذلك الخطاب الذى أرســله أمير جبيل « ببلوص » (راجــع .Am. 69, 85) يلح فيــه على الفرعون « أمنحتب الثــالث » أن يحضر بنفســه ليضع حدا للهجوم الذى قام به « عبد أشرتا » الأمير الأمورى فيقول فيه منذ أن غادر والدك « صيدا » (منذ هذه الأيام) ، والبلاد قد انضمت الى البدو (جاز) ؛ ومن ذلك نعــلم أن آخر فرعون قام بحروب فى ســوريا هو الفرعون تحتمس الرابع (راجــع Meyer, "Gesch." II, 1, P. 150) .

أما المصادر المصرية التى تشير إلى حروبه فى آسيا فهى :

(١) لوحة من الحجر الجيرى الأبيض أقيمت فى معبده الجنازى فى « طيبة » تحدثنا عن انتصاراته فى الشمال والجنوب . فنشاهد عليها منظرا يظهر فيه « أمنحتب » مرتين إحداهما على اليمين يسير فيه فوق أهالى الكوش المجدلين ، ورؤساؤهم مكبلون وراء خيله وقد كتب فوقهم النقش التالى : " الإله الطيب ... ... رب السيف الشديد فى سوقهم (عند عربته) مهلكا وارث الكوش الخاسئين ومحضرا أمراءهم أسرى أحياء " ثم يشاهــد بنفس الطريقة ماشيا فوق الأسيويين فى الجهــة اليسرى من اللوحة . وقد كتب فوق الأمراء الذين ربطوا فى الخيــل الكلمات التالية : " الإله الطيب « حور » الذهبى المضىء فى عربته مثــل طلوع الشمس ، العظيم فى البأس ، والقوى فى السلطة ، عظيم القلب مثل ساكن « طيبة » (منتو) ضارب نهرين بسيفه البتار " . وفى أسفل اللوحة كتب السطر التــالى : " ... ... كل مملكة ، وكل المدنيين ، وكل السكان ، ونهرين ، وكوش الخاسئة ، و « رتنو العليا » و « رتنو السفلى » تحت قدمى هذا الإله الطيب مثل رع مخلدا " (راجع Breasted", A. R. II, §"،

856 ff. Petrie. “Six Temples”, X.) يضاف إلى ذلك جعران كتب عليه : "المستولى على « سنجار »" (Fraser, P. S. B. A. XXI, Pl. III) .

وفى معبد « صولب » نقش على عمده صور أسرى تمثل بلاد « سنجار » ، و « نهرين » ، و « الخيتا » ، و « قادش » ، و « تونب » ، و « أوجاريت » ، و « كفتيو » ، و « قرقيش » ، و « آشور » ، و « أراباخيتس » (راجع L. D. III, Pl. 88) .

ومما سبق نرى إذا صدّقنا ما جاء على الآثار أن هذا الفرعون فتح البلاد المشار إليها هنا ، بيد أن الحقيقة الواقعة أنها كانت كلها ممالك مصادقة له ترسل إليه الهدايا كما أسلفنا .

امبراطورية « أمنحتب الثالث » وملاهيه

والواقع أن « أمنحتب الثالث » كان آخر فرعون حكم الامبراطورية المصرية من أقصاها إلى أقصاها وهى ذلك الملك الشاسع الذى فتحه أسلافه المحاربون ؛ وإذا قيس هذا الملك الضخم بأعمار الدول العظام الأخرى فإنها تعدّ قصيرة العمر إذ قد وصلت إلى قمة مجدها فى الفتوح فى عهد « تحتمس الثالث » العظيم فى حملته الثامنة حينما عبر بجيوشه « نهر الفرات » وأقام لوحة الحدود على ضفته اليمنى وعندما انتصر على الأسيويين فى موقعة « قرقيش » عام ١٤٦٧ ق . م ولم يكد ينقضى قرن من الزمان على هذا الفتح حتى وجدنا هذا الملك الشاسع أخذ يذوب ويتلاشى فى آسيا فلم يحل عام ١٣٦٠ ق.م حتى أصبح ملكها فى سوريا أثرا بعد عين إلى أن أعاد « سيتى » وابنه « رعمسيس الثانى » بعض مجد البلاد ثانية فى هذه البقاع .

والظاهر أن الروح الحربى الذى كان يتأجج فى نفوس رجال الشعب المصرى قد انطفأ مصباحه عند ما أخذت عيشة الترف والبذخ والدعة تدب فى الشجعان الذين كانوا يقودون جيوش مصر إلى ساحة النصر والفخار .

ولا غرابة فقد كان « أمنحتب الثالث » أكبر مترجم للشعور القومى من هذه الناحية . حقا كان نشطا مقداما إلى حد ما ، عندما كان يقوم بأعمال ترتاح إليها نفسه

وينعم بها لشخصه وإشباع شهوة فى طويته، إذ يدل ما ترك لنا من آثار وبخاصة جعارينه التذكارية على أنه كان صيادا ماهرا مثل والده وأجداده ، وقد سجل لنا على أحدها عدد الأسود التى سقطت مضرجة بدمائها بسهامه ، غير أنه على ما يظهر لم يرث منهم حب الغزو الذى بق يضطرب فى نفس «تحتمس الثالث» حتى أقعدته عنه الشيخوخة وأعباء السنين، والواقع أنه بعد حملته إلى بلاد النوبة كانت كل الامبراطورية فى هدوء تام مدة طويلة من الزمن، وقد يكون هذا هو السبب الذى جعله يقوم بدور آخر مثله تمثيلا يتفق مع عظمة مصر وضخامة ملكها . فقد أراد أن يمثل فى شخصها كل البهاء والفخار وأبهة الملك التى أحرزها أجداده لمصر قبل أن يخبو مصباحها وتنكمش فى عقر دارها . وقد كتب له أن يفوز بما أراد بما هيأته له الأحوال فكان مثله مثل « هرون الرشيد » الذى يرمز إلى عظمة الدولة العباسية مع الفارق أن الثانى كان يغزو سنة ويحج أخرى ؛ أما الأول فكانت حياته صيدا وقنصا ،أو إنشاء أو تشييدا ، وقد كان يعدّ نفسه إلها على الأرض ،ولا غرابة فى ذلك فإن كل ملك مصرى كان يلقب بالملك الطيب كما كان يلقب « آمون » أو « رع » أو « بتاح » بالإله الأعظم الذى يسكن السماء ، غير أن طبيعة « أمنحتب » الإلهية لم تكن رسمية فقط ، بل كان مثله كمثل الملكة « حتشبسوت » من قبله ، ابن الإله مباشرة . وذلك أن الإله « آمون » ملك الامبراطورية الأعظم وربه الأعظم قد تمثل للملكة « موت مويا » بشرا سويا فى صورة « تحتمس الرابع » على حسب ما جاء فى نص معبد الأقصر ، ونفخ فيها من روحه واجتمع بها ، ووضعت له غلاما زكيا اسمه « أمنحتب الثالث » وبذلك يكون « آمون » هو والده الروحى . ولا غرابة فى أن نرى هذا الفرعون يعد نفسه منذ نعومة أظفاره ابن الإله . وسنرى أنه كان مؤلها فى المعبد الذى أقامه لنفسه ولإلهه « آمون » لهذا الغرض وحده .

يضاف إلى ذلك أن كل الثراء والغنى والجزية التى كانت قد كدست فى طيبة مما كانت تنتجه أرض الكنانة ومما كان يتدفق عليها من البلاد الأسيوية وبلاد النوبة

وبخاصة ما كان يجبى من هذه الممتلكات من الذهب الذى كان لا ينقطع معينه من بلاد « واوات » وبلاد « بنت » . كل هذا الثراء كان مغريا خلابا وحافزا جذابا ودافعا قويا ليجعله ينظر إلى ملكه كما كان ينظر الخليفة العباسى « الأمين » أو «لويس العاشر» عندما اعتلى عرش البابوية فنراه يقول: "بما أن الله قد وهبنا إياها فلنتمتع بها" . وعلى أية حال فإن حب التمتع بمناعم الحياة الدنيا وزينتها كان رائده الأعلى طوال مدة حكمه، كما كانت الفتوح العظيمة هدف جدّه «تحتمس الثالث» . والظاهر أن الثورات فى بلاد « سوريا » كانت معدومة عند توليته العرش، فليس لدينا من الوثائق ما يشير إلى اضطراره إلى الزحف على رأس جيش نحو آسيا قط ، اللهم إلا إشارة عابرة فى أحد خطابات «تل العمارنة» عن زيارة قام بها إلى «صيدا» وربما كان من الخير لو اضطرّته الأحوال إلى خوض غمار حرب فى آسيا لحفظ كيان الامبراطورية . وتدل كل الأمور على أن كل بقاع العاهلية ظلت فى هدوء وسكينة سنين عدّة على حسب ما كان يصل إلى سمعه من الأخبار التى كانت فى معظم الأحوال تصاغ بصورة ترضى الفرعون وتهدئ خاطره .

حقا وصلت إلينا بعض رسائل من خطابات «تل العمارنة» تنبئ عن اضطرابات ومشاحنات قامت بين الأمراء فى شمال سوريا ؛ وكذلك عن غارات قامت بها بعض القبائل النازحة مما كان يحفز «تحتمس الثالث» إلى سل الحسام وقيادة جيشه فى الحال لإخمادها ووضع الأمور فى نصابها قبل أن يستفحل الشرر ويصبح لهيبا متقدا . ولكن خلافا لذلك كان السلام شاملا والأمور تجرى فى مجراها الطبيعى ، من أجل هذا كان الجو مهيئا أمام « أمنحتب الثالث » للقيام بالأعمال السلمية التى كانت تتجلى مظاهرها فى تقدم الفن والعمارة والأدب ، وتلك ظاهرة نشاهدها غالبا فى تاريخ حياة الأمم عندما تصل فى عظمتها إلى الذروة فى نواحى العمران وعندما تظل بعيدة عن مساوئ المدنية الكاذبة ، ولم يدب فى عظامها الوهن والانحطاط اللذان يسببهما سوء استعمال الثروة بالتغالى فى الترف . ولقد ساعده على السير فى طريق

رقى البلاد الداخلى والخارجى أن تزوج فى باكورة توليته عرش الملك من فتاة من أعظم نساء التاريخ المصرى ذكاء وقوة عزيمة، فقد كان نفوذها فى الداخل والخارج من أكبر العوامل فى تكييف مصير الامبراطورية فى هذه الفترة . ومن المحقق أن « أمنحتب » تزوج من « تى » قبل السنة الثانية من سنى حكمه ؛ ويقول الأستاذ برستد : إنها كانت من أصل وضيع غير أن الوثائق التاريخية التى كشفت حديثا لا تساعد على الأخذ بهذا الزعم . حقا إنها لم تكن من دم ملكى ، ولكن من المحقق أن والديها كانا يشغلان وظائف راقية فى الدولة ، فكان والدها كاهن الإله «مين» وأمها كانت المشرفة على الملابس فى البلاط الملكى ووصيفة فى القصر . وتدل كل الأحوال على أن هذا الزواج قد جاء عن طريق الحب والمعاشرة، إذ لا بدّ أن «تو يا» أم « تى » التى كانت تحمل لقب الوصيفة الملكية ومغنية الإله « آمون » كانت على اتصال «بأمنحتب الثالث» فى طفولته . وهنا نشأت أواصر الحب بينهما وانتهت بزواجه منها(Quibell, "The Tomb of Yuaa and Thuiu", P. 18.)، ولما كان هذا الزواج خارجا على التقاليد الفرعونية المرعية وهى التى كانت تحتم أن تكون الملكة الشرعية من دم ملكى خالص رأى هـذا الملك الفتى أن يعلن نقضه لهذا التقليد غير مبال ولا هياب على الملأ بصورة تسترعى الأنظار وبطريقة فذة فى بابها ، وقد خلد ذكرى هذا الحادث بعمل تذكار أقام له احتفالا خاصا ممـا يدل على أنه كان عند توليته العرش له إرادته الخاصة ورأيه النافذ الذى لا يخضع لعرف أو تقليد . وهذا التذكار نقشه على جعران من صور عدّة (راجع ,Fraser, "Notes on Scarabs" P. S. B. A., XXI, Pl. opp. P. 155, 156.) .

وهاك ترجمة ما جاء عليه :

" يعيش (ألقاب الفرعون كاملة) الملك « أمنحتب الثـالث » معطى الحيـاة ، والزوجة الملكية العظيمة « تى » العـائشة . واسم والدها « يو يا» واسم والدتها « تو يا » وهى زوجة ملك عظيم تمتد حدوده الجنوبية حتى « كاراى » وحدوده الشمالية حتى « نهرين » " .

ولقد استطاعت بنت الشعب هذه بما أوتيت من ذكاء وسحر أن تستأثر بلب زوجها وتستهوى قلبه طوال مدة حياته حتى وهى فى شيخوختها ظلت صاحبة المكانة الممتازة بين الأميرات الأجنبيات اللائى كن أزواج « امنحتب » .

ولقد أتى عليها حين من الدهر كانت هى المديرة لسكان الدولة . فقد كتب إليها « دوشرتا »[1] ملك «متنى» رسالة فى عهد « أمنحتب الثالث » زوجها كما كاتبها فى عهد ابنها « اخناتون » منوها بأنها هى التى تعرف تسيير الأمور أكثر من أى



(٥) الملكة «تى»

(١) راجع : Mercer, "The Tell El Amarna Tablets", No. 26.

إنسان آخر ورجاها أن تعمل على توثيق علاقات الود والمصافاة وأن تجعلها أحسن حالا مما هى عليه عشر مرات وبخاصة أن تتحفه بإرسال هدايا من الذهب النضار.
وكان اسم « تى » مقرونا باسم الملك حتى فى الوثائق التى كان لا داعى لذكرها فيها قط . ولا أدل على ذلك من تدوين اسمها على الجعران العظيم الذى نقش خصيصا لتخليد ذكرى زواج « أمنحتب الثالث » من الأميرة « جلوخيبا » بنت ملك « متنى » « دوشرتا » وكأن الفرعون كان يقصد من ذلك تفضيل «تى» على هذه الزوجة الأجنبية الجديدة كما ذكرنا آنفا .

«أمنحتب» والصيد والقنص : أظهر هذا الفرعون النض الإهاب منذ باكورة حكمه قوة ونشاطا وميلا للغامرة فى الطراد ، ومتابعته بصورة فريدة فى بابها كأنه كان يريد أن يبذ والده وأجداده ، فقد ذكر لنا على جعران من الجعارين التى تركها لنا مؤرخا بالسنة الثانية من حكمه الطراد العظيم الذى نظم له لصيد الحيوان البرى ، والظاهر أنه كان فى بلاد الدلتا . فقد أردى بسهامه فى يومين ، ستة وتسعين من قطيع كان يتألف من سبعين ومائة رأس . وكان هذا أوّل طراد عرف له ، وهاك النص حرفيا :

" السنة الثانية من حكم جلالة « أمنحتب الثالث » معطى الحياة ، والزوجة الملكية العظيمة « تى » العائشة أبديا . الأعجوبة التى حدثت لجلالته . أتى إنسان ليقول لجلالته : توجد ثيران برية على النجاد فى إقليم المستنقعات ، فانحدر جلالته فى النهر فى سفينته المسماة « خع ام ماعت » (التى تظهر فى الصدق) عند الأصيل ، وقد بدأ طريقه المستقيمة ، ووصل سالما الى إقليم «شتا» عند وقت الإصباح ، وقد ظهر جلالته على جواده (أى عربته) وكان كل جيشه خلفه ، وكان على القوّاد ورجال الجيش عامة ، وكذلك الأطفال (كپ) أن ينتبهوا لحراسة الماشية البرية : تأمل ! لقد أمر جلالته أن تحاط هذه الماشية بجدار مسور ، وقد أمر جلالته بإحصاء كل هذه الماشية البرية ، فقرر أنها سبعون ومائة ماشية

برية ، وقرر أن ما استولى عليه جلالته فى الطراد فى هذا اليوم هو ستة وخمسون ثورا بريا . وقد مكث جلالته أربعة أيام بدون عمل ليعطى جياده نارا (ينشطها) ثم ظهر جلالته على جواده كرة أخرى ".

بيان بتلك الحيوانات التى استولى عليها فى الطراد : وهى "أربعون ثورا بريا فيكون المجموع ستة وتسعين ثورا بريا " (راجع .A. S., XLV, 87. ff) ومن هنا نعلم أن هذا الفرعون قد اصطاد فى يومين أكثر من ستة وتسعين حيوانا . ومما هو جدير بالذكر هنا أن الفرعون كان شفيقا على جياده فقد أراحها مدة أربعة أيام لتستعيد نشاطها وقوتها للطراد ثانية .

على أن هذا الطراد ليس الوحيد فى بابه ، إذ نجد الفرعون يطبع لنا جعرانا آخر من عدّة نسخ أظهرت الكشوف منها حتى الآن أكثر من خمسة وثلاثين جعرانا ، وأرّخه بالسنة العاشرة من حكمه ، وهذا الجعران خاص بالأسود التى اصطادها فى السنين العشرة الأولى من حكمه فيقول : " يعيش الملك «أمنحتب الثالث» حاكم « طيبة » ، معطى الحياة ، والزوجة الملكية العظيمة « تى » العائشة : بيان بالأسود التى أرداها جلالته بقوسه من السنة الأولى الى السنة العاشرة من حكمه « اثنان ومائة من الأسود المفترسة » (راجع (Breasted, A. R., II, § 865.) "

والواقع أن « أمنحتب الثالث » كان فى السنين الأولى من فاتحة حكمه صيادا عظيما ، غير أن الرقم القياسى الذى ضربه فى صيد الأسود يتضاءل أمام ما أصابه ملك[1] « آشور » « تجلات بيليزر » فى هذا المضمار ، وقد جاء بعده بنحو ثلاثة قرون ، فقد ذكر لنا ملك « آشور » — ولا بدّ أنه كان خصب الخيال — قصة رائعة عن طراده الأسود قال فيها : " إننى قتلت عشرين ومائة أسد بحماستى الفضة فى منفوان شبابى ، وأنا على قدمى ، واصطدت ثمانمائة أسد ، وأنا ممتط عربتى " ولا شك فى أن المطلع على ما جاء فى تقرير كل من هذين العاهلين لا يسعه إلا أن يكيل الثناء

(١) راجع : "Cambridge AncientH istory", Vol. II. P. 250; Maspero. "The Struggle of the Nations", P. 625.

« لأمنحتب الثالث » ؛ لأنه حاول فى بيانه أن يعطى نسبة يدركها العقل إذا قرنت بتلك النسبة الخيالية التى ذكرها ملك « آشور » .

مبانى أمنحتب الثالث

هـذه صفحة من أنواع اللهو الذى كان يصرف فيـه « أمنحتب » شـطرا من حياته و برفقته زوجه « تى » ، وهذه الهو ية المحببة لم تكن لتثنيه عن الالتفات إلى جسـام الأمور فى داخلية البلاد عنـد ما كان يرى أن ذلك ممـا يمجده أو يرفع من شأنه فى أعين الشعب ويكسـبه رضى آلهته الذين حبوه بالنصر على الأعداء . ولذلك كان أول ما وضع فيـه كل همته هو تجميل مدينة « طيبة » مهد أعظم آلهة الدولة وأعلاها كعبا . ولا غرابة فإن ذلك كان يتفق مع ميوله السلمية ، وقـد كانت هـذه المدينة آخذة فى الاتسـاع يزداد بهاؤها وعظمتها باطراد منـذ أوائل الأسرة الثامنة عشرة ممـا جعلها تأخذ بنصيب الأسد من الثروة التى كانت تتدفق على مصر من « سوريا » وبلاد « النوبة » . والواقع أن «طيبة» نالت فى عهده ما لم تنله فى عهد أى فرعون قبله أو بعده بمـا أقيم فيها من معابد فاخرة وقصـور شامخة كانت مضرب الأمثال وبهجة الناظرين فى عصره . على أن ما أقامه فى هذه المدينـة من آثار كان يترسم فيه خُطا أسلافه ثم يفوقهم فى الفخامة والعظمة ، هذا فضلا عما ابتكره مما لم يسبق إليه .

فنراه قد جرى على نهج أجداده فى إقامة المعابد للآلهـة المحلية فى « طيبـة » نفسها مقـر الإله العظيم « آمون رع » ، كما أقام لهم المعابد فى أنحـاء بلاد النوبة ولم يجاره فى هـذا المضمار إلا « تحتمس الثالث » فقـد بنى الأخير معبـدا للإله « بتاح » فى معبد الكرنك العظيم وأقام الفرعون « أمنحتب الثالث » على غراره معبـدا للإله « منتو »(١) إله الحرب وآخر للإلهة « موت »(٢) زوج الإله « آمون رع »

(١) راجع : Bouriant "Rec. Trav." XIII, P. 172, 173; Brugsch, Rec. LXII. [3]; Porter and Moss, "Bibliography", II, P. 3-5.

(٢) راجع : Benson and Gourlay, "Temple of Mut".

فى معبــد الكرنك أيضـا (راجع Porter and Moss, " Bibliography " II, P. 89-91.) وأعظـم وأفخم بناء أقامه « أمنحتب الثـالث » فى « طيبـة » معبــده الجنــازى الذى أقامه على الضـفة اليمنى للنيــل فى السهل المنبسط وراء شاطئ النهر وفى سفح التلال التى تكتنف النيل فى هذه الجهة ، وقد كان غرضه الأوّل من إقامته أن يكون معبدا جنازيا له يعبد هو فيه بوصفه إلهـا وكذلك ليكرم فيه والده «آمون» . غير أن عوادى الدهر ويد التخريب لم تبق عليه ولم تذر حجرا من أحجاره، ولم يصل لنـا من أطلاله ما يدل على فخامتــه وعظمته إلا التمثالان المعروفان بتمثالى « ممنون » المنحوت كل منهما فى قطعة واحدة من الحجـر الرملى المستخرج من محاجر الجبل الأحمــر الواقع بجوار « عين شمس » ، وقد نقل هذا الفرعون هذين التمثالين إلى هــذا المعبد فى طيبة الغربية ، ولذلك عبر « أمنحتب الثالث » بكبرياء وفخار عن نقلهما إلى هذا المكان بالعبارة التالية :
لقد نقلتهما من « عين شمس » الشمالية إلى « عين شمس الجنوبية » (أى من محاجر الجبل الأحمر الواقعــة بجوار عين شمس إلى طيبة الغربيــة التى كان يطلق عليهـا المصريون اسم (عين شمس الجنوبية) .

وقد لقب هذا الفرعون نفسه على تماثيله الضخمين المقامين أمام هــذا المعبد " صاحب الآثار العظيمة التى نقلها بقوّته من « عين شمس الشمالية » إلى « عين شمس الجنوبية " .

ومن حسن الصدف أن « أمنحتب الثالث » بعد أن أتم إقامة هــذا المعبد العظيم أقام فى ردهته الكبرى لوحة عظيمة من الجرانيت الأسود نقش عليها نقوشا جاء فيها كل ما كان يحتويه المعبد من أثاث فخم ، وزخرف بهيج ، وقد اغتصب الفرعون « مرنبتاح » هــذه اللوحة بعينها وهى المعــروفة بلوحة « بنى اسرائيل » ونقش على وجهها الغفــل من النقش وصــف حروبه ومآثره فى خلال حكمه ، كما اغتصب معظم أحجار هــذا المعبد هو ووالده وبنى به معبده الجنازى (راجع Breasted, A. R. II, § 878; Rec. XX, 37-54.) .

وهـذه اللوحة لها أهميتها القيمة من الوجهة التاريخية والدينية، إذ تصف لنا معبد «أمنحتب» الجنازى الذى أقيم فيه تمثالا «ممنون» ومعبد «الأقصر» ومايتصل به من مبان ، والقارب المقـدس والبوابة الثالثة العظيمة التى أقامها هذا الفرعون فى معبد « الكرنك » ومعبد « صولب » الذى أقامه فى بلاد « النو بة » ثم أنشودة للإله « آمون » .

وسنورد ترجمة هذه اللوحة مع التعليق عليها ليرى القارئ عظمة ماقام به هذا الفرعون من المبانى الدينية فاستمع لمـا جاء فيها عن معبده الجنازى :

« تأمل ! إن قلب جلالته كان راضيا عن إقامة آثار عظيمة مما لم يعمل مثلها منذ الأزل .

ولقـد جعله بمثابة أثر لوالده « آمون » رب « الكرنك » وسيد « طيبـة » ، إذ أقام له معبدا فخما فى غربى « طيبة » ليكون حصنا خالدا أبدا من الحجر الجيرى الأبيض المغشى كله بالذهب كما صفحت رقعته بالفضـة ، وكل أبوابه كانت مصفحة بالسام . وقـد كانت رقعته عظيمة الاتساع والحجم جدا ، وأسس للأبدية ، وقد زين بهذا الأثر العظيم جدا (اللوحة) . والتماثيل الملكية فيه عديدة، وقد صنعت من جرانيت « الفنتين » ، ومن الحجـر الصلب ، ومن كل حجـر فاخر ثمين ، ليكون عملا خالدا . وتضىء فى رقعتها أكثر من السموات ، وأشعتها تسطع فى وجوه الناس مثل الشمس عندما تشرق فى الصباح المبكر. وقد جهز « بموقف للإله »[1] ، وغشى بالذهب ، وأحجار ثمينة عدة ، ونصبت أمامه عمد أعلام مغشاة بالسام وهو يشـبه الأفق فى السماء عندما يشرق فيه « رع » (الشمس) وتمـد بحيرته العظيمة من النيل العظيم ، رب السمك ، والطير طاهر فى ... ... » .

ثروة المعبـد : ”وحظيرته مملوءة بالعبيد ذكورا وإناثا ، وكذلك أولاد أمراء كل الأقاليم ، التى استولى عليها جلالته . ومخازنه فيها من كل مالذ وطاب مما لا يعرف له عدد ، وتحيط به مستعمرات من أراضى «خارو» يقطنها أولاد الأمراء ، وحيوانها يعد بالملايين مثل رمال الشاطئ .

بوابة المعبد الغربية : وهو حبل مقدمة سفينة الصعيد وحبل مؤخرة سفينة الدلتا (نعتان للفرعون) وقد ظهر جلالته نفسه مثل « بتاح » وكان ذكى الفؤاد مثل « الذى جنوبى جداره » (أى الإله بتاح أيضا) باحثا عن أشياء ممتازة لوالده «آمون رع » ملك الآلهـة ، فأقام له بوابة عظيمة جدا قبالة آمون (وهى

(١) المكان الذى يقف فيه الملك ليتوج فى قدس الأقداس .

البوابة التي كانت تكتنف تمثالى «ممنون») وكان اسمها الجميل الذى منحه إياها جلالتــه : « آمون تسلم سفينته المقدسة » وهى مكان يرتاح فيه رب الآلهة « فى عيد الوادى » الخاص به عند سياحة آمون إلى الغرب ليشاهد آلهة الغرب ليمنح جلالته حياة راضية " .

أهمية هذا المتن : ولا نزاع فى أن هذا الوصف الرائع لهــذا المعبد لم يضع أمامنا تفاصيل دقيقة غير أنه شرح خلاب يعطينا صورة عن عظم ثروة الامبراطورية فى هذا العهد وما كانت تنعم فيه البلاد من مجد وأبهــة، وما كان يقدمه الفرعون للإله ، وما كان يتخــذه لنفسه من أثاث وعتاد لعبــادته . ومما يلفت النظر بوجه خاص ذكر مستعمرة « السوريين » التى أسست لهم فى مبانى هذا المعبد، مما يدل على مدى اختــلاط الأجناس الأجنبية بالمجتمع المصرى ، مما أدّى إلى امتزاج دم جديد بالدم المصرى فأثر فى تغير سحن المصريين وبخاصة علية القوم، وسنرى أثر هذا الاختلاط فيا بعد . على أن هذه المستعمرة لم تكن الوحيدة فى بابها بل لها مثيلاتها فقد عثر بجوار « بولهول » على مستعمرة كان جل أهلها من «العبرو» (العبرانيين) الذين نجد ذكرهم فى لوحة منف الجديدة لأوّل مرة ولا يزال اسم هذه المستعمرة باقيا فى اسم بلدة «الحرونية» نسبة لإلههم « حورنا» أو «حول» وهو « بولهول » الذى وجد مع معبودهم الذى كانوا يعبــدونه فى بلادهم كما شرحنا ذلك من قبل على أنه لدينا لوحة أخرى لا تزال ملقاة بجوار تمثالى «ممنون» وفيها إهداء هذا المعبد للإله «آمون رع» . (راجع .Breasted, A. R. II, § 904) وقــد كان موضعها الأصلى فى المعبــد فى «موقف الملك» أى أنها كانت ترتكز على الجدار الذى خلف حجرة قدس الأقداس . والجزء الأعلى من هذه اللوحة يحتوى على منظرين تقليديين يرى فيهما الفرعون « أمنحتب الثالث » وزوجه الملكة « تى » أمام الإله « سكر أوزير» فى الجهة اليسرى والإله «آمون رع» فى الجهة اليمنى (راجع .L. D. III. Pl. 72)

وهاك نص اللوحة :

خطاب الفرعون : "يعيش (القاب الفرعون) الملك « أمنحتب الثالث» يقول : تعال أنت يا «آمون رع» يارب طيبة ، يامن تسيطر على «الكرنك» لقد رأيت بيتك ، الذى لك فى غربى «طيبة»

وجماله يمتزج بجبال « مانو » (جبال خرافية فى الغرب) عندما تسبح فى السماء لتغرب وراءها ، وعندما تشرق فى أفق السماء فإنه يضىء بذهب وجهك ، لأن واجهتــه شطر الشرق ... ... وإنك تضىء فى الصباح كل يوم ، وجمالك فى وسطه دائما ولقد صنعته صناعة ممتازة ، فهو من الحجر الرملى الأبيض الجميل" .

تمثالا ممنون : "ولقد ملأته جلالتى بالآثار بتماثيل من جبال الحجر الصلب ، وعندما ترى فى مكانها فإنها تبعث البهجة بسبب حجمها « العظيم » ، ولقد صنعت كذلك صورة فى الحجر من المرمر والجرانيت الوردى والأسود . وقد أقام جلالتى « بوابتين » مريدا عمــل أشياء ممتازة لوالدى ، وتماثيل خارجة ... ... وقد صورت ... ... جميعها ، ولقد كان ماصنعته من ذهب وجحر ، وكل حجر غال فاخر لا حصر له . ولقد ألقيت عليهم التعليمات ليعملوا مايسر حضرتك راضيا بمأوى ممتاز مثل ... ... " .

القربان : "ولقد خصصت لها (التماثيل) قربانا ... ... ، وقد عمل جلالتى هذه الأشياء لملايين السنين ، وإنى أعلم أنها تمكث على الأرض لوالدى ... ... كل ما يلزم عمله له . وصنعت لك ظلا (مزولة أى ساعة شمسية) لسياحتك فى عرض السماء مثل « آتوم » عندما يخرج مع كل الآلهة حينما يكون تاسوع الآلهة الذين خلفك والقردة المقدسة تمجــد شروقك وظهورك فى ... ... الأفق . والتاسوع الإلهى يبتهج ويقدمون الثناء للإله « خبرى » والقردة المقدسة تمدحك عند ما تغرب فى « الحياة » فى الغرب" .

المسلات : " وأقمت مسلات هناك [... ...] ، ولقــد أظهرت عطفا لكل مافعله جلالتى فى صورة مقصورة لجلالتك ... ... وأقمت لك ثانية آثارا فى غربى المــأوى العظيم (1) . ولقد عظمت كل الأعمال ... ... لأجل أن أقدم ضرائبى على يد جيشى . ولقد اغتبطت عند ما فعلت كل ذلك لوالدى . وخصصت لك قربانا يوميا عند بداية الفصول ، وضحايا فى مواقيتها ، بمثابة ضريبة لمعبدك . وخدام الإله والكهنة من أعظم وخير من فى البلاد ... ... ، فتقبل مافعلته يأيها الوالد المبجل « يا آمون » الأزلية" .

كلام آمون : الكلام الذى نطق به « آمــون » ... ... تعال يا بنى « أمنحتب » إنى أسمع ماتقول ، ولقد رأيت آثارك ، وإنى والدك خالق جمالك ... ... وإنى أتقبل أثرك الذى أقمته لى .

كلام التاسوع الإلهى : ... ... "تعالى ... ... فى معبدك الأبدى ، وإنه « نب ماعت رع » (أمنحتب الثالث) ابنــك الذى عمل لك هذا ... ... وإنك فى السماء ، وإنك تضىء الأرض ، والملك على الأرض يدير دولتك ... ... " .

---

(1) اسم هذا المعبد هو بيت آمون فى غربى طيبة (راجع Spiegelberg, "Die Bauinschrift Amenophis III auf der Flinders Petrie-Stele", Rec. Trav. XX, P. 49).

تمثالا ممنون : ومما هو جدير بالملاحظة فى هذه النقوش ذكر التماثيل التى أقامها الفرعون فى هذا المعبد وقد نحتها من كل الأحجار النادرة، وكذلك الأوانى والأشياء التى صنعها من الذهب . كما أشار إلى تمثالى «ممنون» القائمين أمام «بوابة المعبد» وكذلك ذكر لنا وجود مسلتين . ثم ذكر لنا وضع مزولة ليعرف بها الكهنة سير الشمس فى السماء . ومن كل هذا لم يبق لنا إلا تمثالا « ممنون » (أمنحتب الثالث) ومع ذلك فقد أخنى عليهما الدهر وشوههما تشويها كبيرا بفعل العوامل الطبيعية ويد الإنسان معا . وكان يبلغ طول الواحد منهما قبل تهشيمه نحو تسع وستين قدما ، وطول ساقه تسع عشرة قدماونصف القدم، وطول قدمه عشر أقدام ونصف قدم، وعرض صدره عشرون قدما وطول أصبعه الوسطى أربع أقدام ونصف القدم ؛ وذراعه خمس عشرة قدما ونصف قدم .

وربما يعزى بقاء هذين الأثرين لتأليه القوم لهذا الفرعون، وعلى أية حال يظهر أنه لم تقم أية محاولة لإتلافهما واغتصابهما ، كما كانت سنة الفراعنة ، ولذلك فقد بقيا جالسين على حافة الصحراء يريان «طيبة» تنمو تارة وتسقط أخرى . فقد رأيا « الأثيوبيين » يدخلون البلاد ، ومن بعدهم « الآشوريين » ثم « الفرس » ثم أعقبهم « الإغريق » « فالرومان » ثم « العرب » أخيرا .

وفى عام ٢٧ ق . م . حدث زلزال قضى على بعض ما كان ماثلا من خرائب «طيبة» وهشم التمثال الشمالى من تمثالى «ممنون» فكسر نصفين، وسقط نصفه الأعلى وكان هذا الزلزال الذى أعقبه الكسر فاتحة عهد جديد فى شهرة هذا الأثر، إذ بعد حدوث هذا التصدع بزمن قصير كان المارة يسمعون فى الصباح المبكر عند طلوع الشمس صوتا موسيقيا ينبعث من التمثال المكسور، كأنه صوت عود، وقد انتشر خبر تلك الأعجوبة، ومن ثم حبك الخيال الإغريقى الخصب الخرافات عن سبب هذا الحادث . وعلى الرغم من أن المصريين الذين كانوا يعيشون بجوار هذين الصنمين يعرفون أنهما للفرعون «أمنحتب الثالث» ، فإنهم أفتوا بأن الصوت المنبعث من التمثال هو صوت

«ممنون» بن « تيتوس » أخى الملك « برايام » صاحب « طروادة » و « إيوس » الإلهة الإغريقية إلهة شفق الفجر .

وتقول الأسطورة إن ممنـون كان يهاجم أهالى « طـروادة » هو وجيش من الأثيو بيين ضدّ الإغريقيين ، وقد قتله « أخيل » البطل الإغريق ، غير أن أمه «إيوس» التقطت جثته من ساحة القتال ، ودعت الإله «زيوس» أن يمنحه الأبدية .

وقد صارت الدموع التى انهمرت من عينيها عليه تمثـل نقط الندى التى تظهر كل صباح عند مطلع الشمس . وفى رواية أخرى أن « ممنون » كان رجلا أثيوبى الأصل وأنه قبل ذهابه إلى «طروادة» أتى إلى مصر ، ومن ثم ذهب إلى «سوس» « ببـابل » ، وعلى حسب الخرافة الجديدة التى نشأت حول التمثالين نعـرف أن الأصوات الموسيقية العـذبة التى كانت تسمع كل صـباح عند مطلع الشمس هى نبرات صوت هـذا البطل يرحب بوالدته عند ما تشرق الشمس فى السماء الوردية اللون ، ولقد نال هـذا التمثال شهرة عاليـة دوت فى كل مكان حتى أن أباطرة الرومان ، قـد دفعهم حب اسـتطلاع هـذا الشيء الغريب إلى أن يفـدوا لزيارته . ففى القرن الثـانى بعد الميـلاد قام الإمبراطور « هـدريان » بسياحة إلى « طيبة » ليستمع إلى هـذا الصوت ، وبعد مرور سنين على زيارته هذه جاء الإمبراطور « سبتمس سفرس » لزيارة هـذا التمثال وسر به كثـيرا لدرجة أخذته فأمر بإصلاح ما تهدّم منـه . فوكب الجزء العلوى فى مكانه وبذلك ظهر بصورته الحقيقية ، غير أنه مما يؤسف له أن هذا الإصلاح كان إيذانا باختفاء هذا الصوت ، ومن ثم بقى صامتا فلم يسمع ثانية ؛ ومنذ ذلك العهد انفض الزوّار الكثيرون من حوله ، وأمسى التمثال فى عالم النسيان من هـذه الوجهة ، ولكنه دون هذه الناحية بقى حتى الآن صـورة ناطقـة بعظمة مقيمه ، ولا يزال كعبة الزوّار من كل بقاع العالم لشهرته وضخامته ، ولا أدل على مقدار شهرة هذا الصنم مما نجده من الكتابات التى تركها لنا الزوّار على أجزائه المختلفة منذ القدم حتى الآن[1] .

(١) وقد رسم على كل من جانبى التمثال الثانى العظيم (الجنوبى الغربى) صورة كل من الملكة « تى » والملكة « موت مويا » Porter and Moss. "Bibliography", II, P. 160

قصر « أمنحتب الثالث » فى الجهة الغربية من « طيبة » : وفى هذه الجهة من مدينة «طيبة» أقام «أمنحتب الثالث» قصرا منيفا بجوار المكان المعروف الآن بمدينة «هابو» ، وبذلك ضرب بالتقاليد الموروثة مرة أخرى عرض الحائط ، وذلك لأن السنة التى كانت متبعة حتى عهده هى أن تكون الجهة الغربية من طيبة ، مخصصة للبانى الجنازية وحسب ، أما المبانى الدنيوية فكانت مشاعة ؛ ولعله أراد بذلك أن يكون بعيدا عن جلبة المدينة وغوغائها ، على الضفة اليسرى ؛ وكذلك ليكون حرا طليقا فى بحيرة نزهته التى بناها بجوار قصره . على أن كر الأيام وغير الزمن ، لم تبق من آثار هذا القصر الفاخر إلا قطعا صغيرة من الحجر المنقوش ؛ تمثل اثنتان منها انتصارات الفرعون على الأسيويين والسودانيين . وهذا المنظر بعينه قد عثرنا على مثيله ، فى جزء من بقايا عربة « تحتمس الرابع » السالفة الذكر [1] مرسوما على ظاهرها .

والواقع أنه لما كشف عن بقايا هذا القصر حديثا كشفا علميا ، لم نجد منه إلا بقايا ضئيلة جدا ، مما يؤكد قول « ديدور » أن المصرى كان يعد مسكنه مجرد مأوى مؤقت . فلم تكن قصور الفراعنة تحوى من الآثار الضخمة ما كانت تحويه قصور «آشور» ؛ بل كان بناء من اللبن مثل البيوت الأخرى ، يحوطه إطار من الخشب ، مرفوع على عمد ، وله واجهات وأروقة ؛ ويحتمل أنه كان قليل الارتفاع عظيم المساحة . وإذا أراد الإنسان أن يتخيل قصرا مصريا فى تلك الفترة فما عليه إلا أن يرخى لخياله العنان ؛ من حيث العظمة والضخامة إذ على ما يظهر كانت كل العناية موجهة الى حسن الذوق فى تنسيقه وزخرفته وما بقى لنا من نتف صغيرة من زخرفة هذا القصر ، يدل على أن « أمنحتب الثالث » كان مثله كمثل ابنه « أمنحتب الرابع » (أخناتون) يرغب فى أن يجعل مناظر الطبيعة ممثلة داخل قصره لتكون متعة للعين ؛ فلا بد أن مناظر طيور الماء وهى تسيح فى أدغال نبات

---

(١) راجع : Porter and Moss, "Bibliography", I. P. 200.

البشنين، والحمام وهو يرفرف فى السماء الصافية الأديم وغير ذلك مما صوّره فى مناظره، كانت تدخل على قلب هذا الفرعون السرور والغبطة، ولا بدّ أن حجرات هذا القصر كانت مؤثثة بأحسن ماينتجه الفن المصرى، من أنواع التصوير، والأداة الزخرفية الرشيقة، ولسنا مبالغين فى هـذا الخيال، ولا ذاهبين فيه شططا، فإن فيما عثر عليه من الأثاث الجنازى الفاخر فى قبر « يويا » وزوجه « تويا » وهما والدا الملكة « تى » زوج « أمنحتب الثالث » برهانا ساطعا على صدق ماتخيلناه. فقد وجدت فى هذا القبر قطع فنية من أحسن وأدق ما أخرجه المفتن المصرى، وأحكم صناعته الصائغ الحاذق. ولسنا بذاهبين بعيدا للبحث عن وصف قصر هذا الفرعون، ففيما خلفه لنا « توت عنخ آمون » من أثاث فاخر، وما كشف عنه حديثا من بقايا قصر «أمنحتب الرابع» فى «اختاتون»، وقد كان يسكنه والده فى آخر أيام حياته ما يغنى عن كل وصف وتهويل. أما قصور عظماء القوم فستتحدث عنها فى حينها.

حقا كان قصر « أمنحتب الثـالث » مقاما من اللبن ومثله فى ذلك كمثل كل قصور الفراعنة؛ غير أنه على ضوء ما عثر عليه فيـه من بقايا، وعلى ضوء محاكاته لقصور ابنه «أمنحتب الرابع» التى سنصفها بعد، كان لا بدّ مزينا بأجمل الزينـة، ويجب أن نتصوّره بوصفه بيتا صيفيا ذا ألوان جميلة بهيجة، له ممـرّات وردهات وسقف خفيفة الوزن، محمولة على عمد مزخرفة، متكئة على قواعد من حجر، وله مظلات مصنوعة من ألوان زاهية تحجب أشعة الشمس المحرقة، مقامة بجانب بحيرته الصناعية، التى أقامها بخاصـة، فى مكان أطلق عليـه اسم « زعر وخا » (مقصد النعيم) وقـد كان يتنزه على مياهها « أمنحتب الثالث » وبجواره زوجه الملكة « تى » فى قاربه المسمى « تحن آتون » (قرص الشمس يطلع). ولا يبعد أن « أمنحتب » قد أقام هـذا القصر فى الجهة الغربية من النيل ليتسنى له حفر بحيرة « تاروجا » التى تعدّ من أحسن مباهج عصره. ويعد الاحتفال العظيم الذى أقيم تخليدا لإنجاز هـذه البحيرة بمـا فيه من عظمة وأبهة ظِلا من ظلال الحوادث

العظيمة الباقية التى امتاز بها حكم هــذا الفرعون، وقد سجل « أمنحتب الثالث » تاريخ حفر هــذه البحيرة على جعران ليكون ذكرى باقية كما فعل بتسجيل أعمـاله الأخرى الخالدة، فاستمع لمـا نقش عليه : "السنة الحادية عشرة الشهر الثالث من الفصل الأول اليوم الأول فى عهد جلالة (القاب الملك) الفرعون «أمنحتب الثالث» معطى الحياة، والزوجة الملكية العظيمة «تى» العائشة . لقد أمر جلالته أن تصنع بحيرة للزوجة الملكية العظيمة « تى » فى مدينتها «زعر ـــ وخا» . ذرعها سبعمائة وثلاثة آلاف ذراع واتساعها سبعمائة ذراع . وقد احتفل جلالته بعيد فتح هذه البحيرة فى الشهر الثالث من الفصل الأول اليوم السادس عشر، عند ما ساح جلالته فيها بالقارب الملكى المسمى «آتون يسطع» (راجع .Breasted, A. R. § 869) ولا نزاع فى أن إتمـام هذه البحيرة فى هــذه المــدة القصيرة لأكبر دليــل على النظام المدهش والمهارة الفائقة فى تنسيق نواحى العمل فى البلاد، فهذه البحيرة التى يبلغ طولها أكثر من ميــل ويبلغ عرضها نحو نصف ميل قد أنجزت فى خمسة عشر يوما .

أهمية اسم القارب « تحن آتون » : على أن الأهمية الحقيقية للمؤرخ هنا، لم تكن فى الواقع تنحصر فى بناء هذا القصر أو فى حفر تلك البحيرة، بل ربما كانت الأهمية العظمى تنحصر فيما ينطوى عليه اسم هذا القارب الذى كان يمخر عباب البحيرة بالملك من معنى عميق، وذلك لأن الاسم « تحن آتون » (قرص الشمس يسطع) كان أول مظهر رسمى لاسم إله جديد مزج باسم هــذا القارب « آتون » وسيكون له بعد خمسة وعشرين عاما أكبر مكانة عند الفرعون، كما سيكون أكبر شؤم وأبغض شىء عنــد السواد الأعظم من المصريين . على أنه لا يمكن الجــزم فى هذه الآونة بمـا إذا كان « آتون » الذى يحتفل « أمنحتب » بضوئه فى اسم قاربه هو نفس « آتون » الذى كان يقصده والده « تحتمس الرابع » ثم ابنه « اخناتون » فيما بعد أم غيره، وإن كانت كل الدلائل والظواهر تدل على أنه هو بعينه كما سبق ذكره . وعلى أية حال فإن مجرد ظهور هذا الاسم فى هذه الفترة، وبعد ذكره فى عهد « تحتمس الرابع » يعدّ البذرة الأولى، لقيام هذا المذهب الجديد فيما بعد جملة .

(١) راجع : Bulletin de l'Institut de l'Egypte XX (1938) P. 51 ff. حيث تجد رأيا آخر عن سبب بناء هذه البحيرة .

وعلى أية حال فإنا نجـد « أمنحتب الثالث » قد بقى ولو ظاهرا مؤمنا بآلهـة آبائه الأولين ممـا جعله يستمر فى إقامة المبانى الضخمة لهم فى « طيبة » وفى جميع أنحاء جهات القطر .

قبر «أمنحتب» فى أبواب الملوك : وبعد أن أتم « أمنحتب » بناء قصره السالف الذكر وهو المقـام من اللبن ، أخذ ينحت لنفسـه بيتا للأبدية فى أبواب الملوك ؛ ولكنـه كان أول من عرف كيف يخـفى قبره عن الأعين دون أسلافه ، فبدلا من إقامته فى الجبانة الشاسعة المطلة على السهل المتصل بالنيـل ، فإنه أقامه فى مضيق جبـلى قاحل من الصحراء بعيدا عن النيل على مسيرة ساعة من شاطئه . وهناك نحت عدّة أروقة عظيمة لضريحه حفرت فى جوف الجبل لعدّة مئات من الأقدام ؛ وهذا الطراز من الدفن قد اتخذه فيما بعد كثير من الفراعنة الذين خلفوه . وهو يحتـوى على ممـرّ طويل يؤدّى إلى حجرة بهـا عمودان ثم رواقان يوصـلان إلى حجرة الدفن ، ويحتويان على سـتة أعمدة ويتفرع من هـذين الرواقين سبع حجرات[1] ، وقد أحكم إخفاء مدخل المقبرة بمهارة فائقة ، فقـد جعل خلف صخرة بارزة من الجبـل ولم يفش سر وجودها فى هـذه البقعة إلا شظيات الحجر الصغيرة التى تخلفت من نحت المقبرة ووضعها عند الباب . ويدل ما تبقى على جدران المقبرة على أنها كانت مغطاة بملاط من الجص الملون الذى سقط معظمه . ونعلم مما تبقى منه أن صناعته كانت أجمل بكثير من صناعة مقابر الملوك الذين جاءوا بعده . وقد زينت جدرانه برسوم تمثل رحلة الشمس فى أقطار العالم السفلى فى مدّة اثنتى عشرة الساعة خلال الليل .

---

(١) راجع : Lefebure, "Les Hypogés Royaux de Thebes" in Mission Arch. Franç. III, P. 172–3; (Plan) "Description de l'Egypte Ancienne", II, Pl. 79. [5]; Porter and Moss, "Bibliography", I, P. 28. and Plan, P. 22.

وقد عثر له على تابوت من الجرانيت الأحمر وعلى بعض تماثيل «مجاوبين» بحجم أكبر من المعتاد جدا وصناعتها من الطـراز الأول (راجع Maspero, "Struggle of the Nations", P. 310.) وكذلك بعض الأوانى الجنازية .

وكذلك وجد غطاء تابوته المصنوع من الجرانيت الأحمر .

آثـار « أمنحتب » فى طيبـة الشرقية

طريق الكباش : أما فى طيبة الشرقية فقد أقام فيها عدّة مبان نخص بالذكر منها طريقا لتماثيل « بولهول » الذى يمثل الإله « آمون » برأس كبش ، ويتألف من اثنين وعشرين ومائة تمثال نحتت من الحجـر الرملى . وتقع هـذه الطريق أمام معبد الإله « خنسو » الحالى ، وقد نقش عليها اسم «أمنحتب الثالث» ، والظاهر أن هـذا الفرعون ، قـد أقام معبدا فى هـذه النقطة فى المكان الذى يحتله معبد « رعمسيس الثالث » الحالى .

البوابة الثالثة : وقـد أقام « أمنحتب » كذلك بوابة بمثابة واجهة جديدة لمعبد الإله « آمون » العظيم ، وتدل الكشوف الحديثة على أن معظم الأحجار التى ملأ بها هذا الفرعون جوف هذه البوّابة كانت من معابد من سبقه ، وبخاصة من معبـدين صغيرين يرجع أحدهما للملك « سـنوسرت الأوّل » والثانى للملكة « حتشبسوت » وكذلك وجدت فيها أحجار من معبد للفرعون « أمنحتب الثانى » وغيره كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

وقد ترك لنا هذا الفرعون وصف هذه البوابة على لوحته التى أقامها فى معبده الجنازى على الضفة الغربية من النيل فى طيبة (راجع Breasted. A. R. II, § 889.) كما ترك لنا بقايا نقش هام على البرج الجنوبى لهذه البوابة عندبنائها (راجع ibid. § 899) وهاك ما جاء على اللوحة الجنازية :

وصف بوابتـه بالكرنك : " ملك الوجه القبلى ، والوجه البحرى ، « نب ماعت رع » ، ابن الشمس « أمنحتب الثالث » ، حاكم طيبة ، الساهر على البحث عما هو مفيد ، والملك الذى أقام

أثرا آخر للإله « آمــون » و بنى له بوابة ضخمة جدا ، قبالة « آمون رع » ، رب طيبــة ، مغشاة كلها بالذهب . وظله الروحانى فى صــورة كبش مرصــع باللازورد ، ومغشى بالذهب ، و بالحجارة الكريمــة العــدة ، وليس له نظير ، ورقعتها مزينة بالفضة ، و برجاها عليها . وقــد وضعت لوحات من اللازورد فى كل جانب من جوانبها ، و بواباتها تصــل إلى عنان السماء ، مثل عمد السماء الأربعة ؛ وعمد أعلامها تضىء أكثر من السماوات ومغشاة بالسام ، وقد أحضر جلالته لها ذهبا من أرض « كاراى » من حملته الأولى المظفرة التى ذبح فيها « الكوش » الخاسئين" . أما النقوش التى وجدت على برج البوابة نفسها فممزقــة جدا ، ولا يمكن أن نؤلف منهــا كلاما متصــلا ، غير أنه يمكن أن نفهم من مضمونها أن هذه البوابة كانت من أجمل البوابات وأثمنها . و يتألف المتن على وجه التقريب ؛ من المدائح الملكية المعتادة ، ثم ذكر القربان التى قدمت للإله « آمون » ثم الهدايا التى قدمها الفرعون للإله ، من أزهار وفضــة وذهب ، ولازورد حقيقى ، وفيروزج ، وكل الأحجار الكريمة ، والأوانى الفاخرة من السام ، مما لا تقع تحت حصر . وكذلك ذكرت لنا فى هذه النقوش ، الآثار المتصلة بهذه البوابة ، وما قدمه لها الفرعون من عطايا وهدايا ، وقد جاء فيها ذكر مسلات لهذا الفرعون ، و يحتمل أنها كانت مقامة أمام هذه البوابة ، ولا بدّ أنها قــد أزيلت لإقامة قاعة العمد الكبرى ؛ والمسلات المعروفة « لأمنحتب الثالث » فى الكرنك موجودة فى المعبد فى الجهة الشمالية ، غير أنه لم يبق منها إلا قطع (راجع L..D. Text. III, P. 2.) ، وقد ذكرنا من قبل أن هذا الفرعون قد أقام مسلتين أمام معبده الجنازى ؛ ولم يبق منهما أى أثر .

سفينة الإلة « آمون » فى الكرنك : وكان « أمنحتب » مهتما بســفينة الإله « آمون » المقدســة ، التى كان يركبها فى وقت الاحتفال بالأعياد العظيمــة ليذهب لزيارة آلهة المعابد المجاورة و بخاصــة فى « عيد الوادى » الذى كان ينتقل فيه من معبده بالكرنك إلى « طيبة » الغربية إلى معبد « الدير البحرى « (راجع مصر القديمة ج٣ ص ٥١٧) ؛ وقد كان ذلك يحتم استعمال سفينة كبيرة يوضع عليها القارب المقدس المسمى «وسرحات» ، وأحسن صورة لهذا المنظر نجدها فى الكرنك

مصوّرة على البوابة الثالثة التى أقامها الفرعون « أمنحتب الثالث » وهى على الجدار الشرقى لبرج البوابة الشمالى .

وقد ترك لنا هذا الفرعون وصفا لهذا القارب الذى أمر بصنعه للإله «آمون» فى لوحته التى كانت فى معبده الجنازى (راجع .Breasted, A. R. II. § 888) وهاك النص : " لقد صنعت أثرا ثانيا لمن أنجبنى وهو الإله « آمون رع » رب طيبة ، الذى مكننى على عرشه فصنعت له سفينة عظيمة لأجل « عيد بداية النهر » واسمها « آمون رع فى السفينة المقدسة » (ومرحات) من خشب الأرز الجديد الذى قطعه جلالته من أقاليم أرض الإله . وقد جره (الخشب) على جبال « رتنو » أمراء كل الأقاليم . وقد كانت واسعة وكبيرة ولم يصنع لها مثيل (من قبل) ، وقد بنيت جميعها بالفضة وغشيت بالذهب ، ومحرابها العظيم من السام و بذلك تملأ الأرض بضوئها ، ومقدماتها كذلك لامعة ، وتحمل التيجان العظمية التى تلف أصلالها على كلا جانبيها لحمايتها ؛ وقد نصبت عمد الأعلام أمام (المحراب) موشاة بالذهب ، و بينها مسلتان عظيمتان ، وهى جميلة فى كل نواحيها ، وآلهة (ارواح) « بوتو » يقدمون لها عيدا ، وآلهة « نخن » (الكاب) يمدحونها ، وإلها النيل الجنوبى والشمالى يضيان جمالها ، ومقدماتها تجعل « نون » (النيل) يضىء كما تضىء الشمس عند ما تطلع فى السماء لتجعل سياحته البهية فى عيد « أوبت » (الأقصر) فى سياحته الغربية لملايين ملايين السنين .

هذا الوصف الممتع ينقصه بعض التفاصيل عن هذه السفينة . غير أنا قد وجدناها لحسن الحظ فى الوصف الذى تركه لنا « رعمسيس الرابع » لسفينته الجديدة التى وصفها « رعمسيس الثالث » مع السفينة القديمة . فنجد فيها تفاصيل هامة عن حجم سفينة « آمون » فيقول مخاطبا الإله « آمون » :

" لقد صنعت لك سفينتك الفاخرة « ومرحات » طولها ثلاثون ومائة ذراع على النهر من خشب الأرز وألواحها المدهشة مغشاة بالذهب الخالص حتى خط الماء ، كما صنع لسفينة «رع» عند ما يشرق من « بقت » (جبال خرافية تقع فى الشرق) ، فيجعل كل الناس تحيا بمشاهدته فقط . ومحرابها العظيم من الذهب الخالص ، المرصع بالأحجار الثمينة ، مثل محراب معبد «عين شمس» ، العظيم وقد وضع فى مقدمتها وفى مؤخرتها رءوس كباش من الذهب ، محلاة بأصلال ، وعلى رءوسها التاج « آتف » (راجع Foucart, "Etudes Thebaines. La Belle Fete de la Vallee", B. I. F. A. O, XXIV, P. 186.) .

موازنه بين سفينة آمون وسفينة أمير البحر نلسن : ومن ذلك نرى جليا أن السفينة المقدسة كان يبلغ طولها نحو أربع وعشرين ومائتى قدم وتلك حقيقة تنطق بمهارة المصرى فى صنع السفن مما يدعو إلى الاعجاب والتقدير ، وبخاصة إذا وازنا سفينة « آمون » المقدسة بسفينة أمير البحر الإنجليزى العظيم « نلسن التى انتصر بها على أسطول « نابليون » فى موقعة «الطرف الأغر» عام ١٨٠٥ ؛ وهى التى كان يطلق عليها « فكتورى » (النصر) فقد كان طولها لا يزيد على ست وثمانين ومائة قدم . أى أن سفينة الإله «آمون» التى بنيت عام ١٢٠٠ ق.م. تربى عليها بنحو ثمان وثلاثين قدما . وكانت سفينة « نلسن » هذه تعدّ فخر الأسطول الانجليزى فى عام ١٨٠٥ بعد الميلاد .

وقد أقام هذا الفرعون فى معبد الكرنك عدّة مبان أخرى كما أضاف نقوشا على مبانى الملوك الذين سبقوه .

معبد آخر للاله «منتو» : ففى النهاية الشمالية من معبد الكرنك معبد للاله «منتو» أقامه له وبنى أمامه بوابة ومسلتين من الجرانيت الأحمر (راجع Champollion, "Notices", II, P. 271.) وكانت عمد هذا المعبد ذات أضلاع كثيرة ، وكان المعبد يحتوى قطعا عدّة من الجرانيت الأسود من تماثيل الملك والإلهة « سخمت » إلهة الحرب وزوج « منتو » . وكذلك وجد « لأمنحتب الثالث » تمثال حفر فى صورة « بولهول » وقد أصلح هذا التمثال الفرعون « مرنبتاح » ونقشه باسمه ، ثم « رعمسيس الخامس » و « البطالمة الثانى والثالث والرابع والسادس » (راجع Baedeker, "Egypt", P. 161; Champollion, "Notices", II, P. 272.) .

معبد الإلهة موت : وفى النهاية الجنوبية من الكرنك أقام هذا الفرعون معبدا كبيرا له أهمية كبرى للإلهة « موت » زوج « آمون » . وقد عثر فيه على عدد عظيم جدا من تماثيل هذه الإلهة التى مثلت برأس لبؤة تعد بالمئات ، وقد وزعت على متاحف أوربا بدلا من بقائها فى مكانها الأصلى ، والبحيرة التى حفرت

حول جوانب هـذا المعبد وخلفه لا تزال باقية . وقد أصلح هذا المعبد فيما بعد الفرعون « شيشنك » (راجع Mariette, "Karnak", P. 15; Budge "Sculpture", III-4; A. S., V, P. 119-20; P. S. B. A., XXV, P. 217; Daressy, "Statues de Divinities", P. 265-8.) .

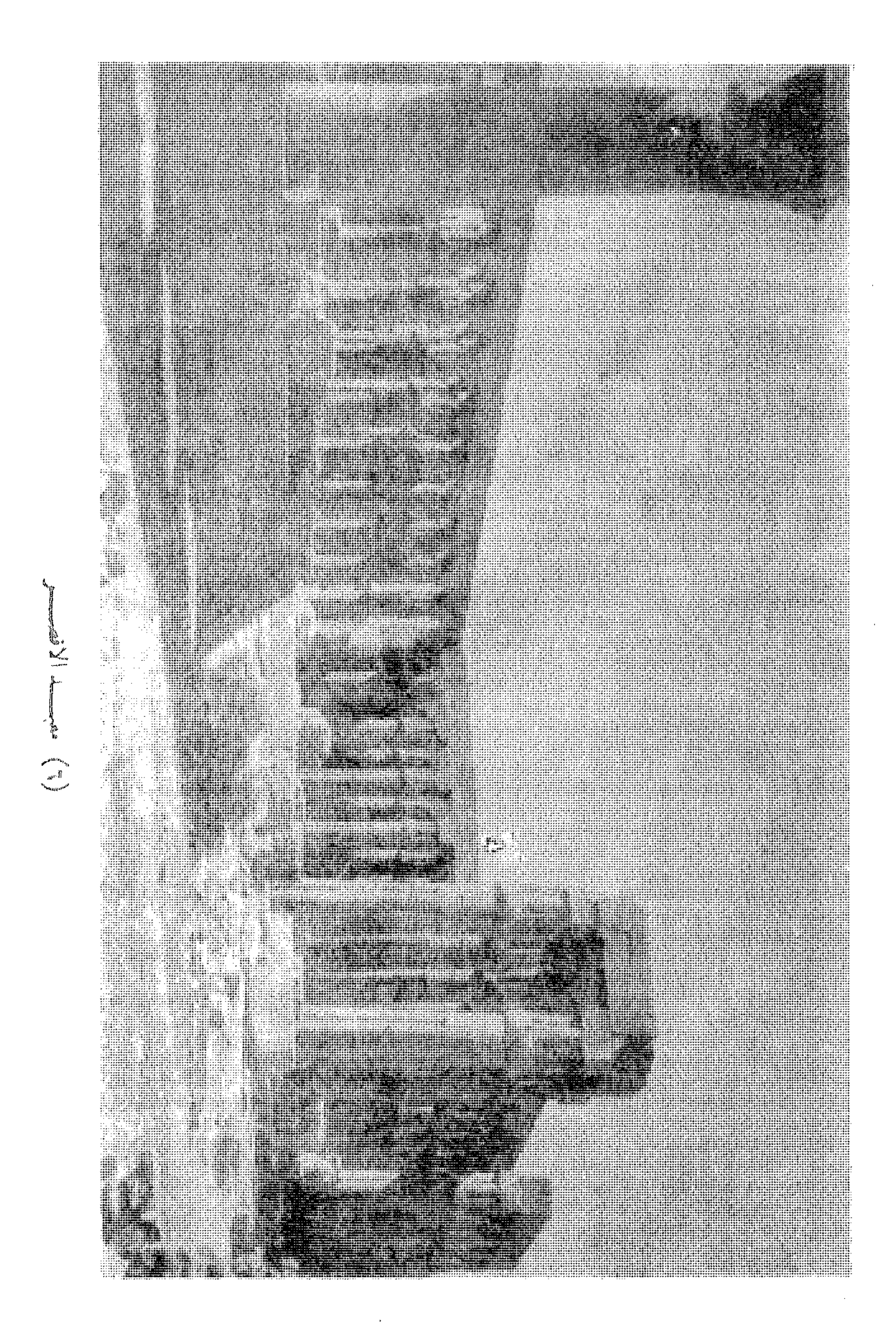
وكذلك ينسب إليه المبنى القديم لمعبد «خنسو» (راجع Rec. Trav. XXIII, P. 61.) .

وكذلك ترك لنا فيه ملوك كثيرون آثارا عدة (راجع Porter and Moss, "Bibliography" II, P. 89-97.) .

معبد الأقصر[1] : أما فى الأقصر نفسها فقد أقام « أمنحتب الثالث » معبدا خاصا بالإله « آمون » كما أقام له جده العظيم « تحتمس الثالث » معبدا خاصا فى الكرنك ، ويعد المعبد الذى أقامه « أمنحتب » فى هذه الجهة أجمل معبد أقيم فى عهد الأسرة الثامنة عشرة من حيث الدقة الفنية والتنسيق فى البناء . وتدل النقوش التى على جدرانه على أن « أمنحتب » قد أقامه على أنقاض معبد قديم كان قد أقيم فى عهد الدولة الوسطى (راجع Lieblein, "Aegyptische Genealogien" A. Z. VII. (1896) P. 122 ff.) .

وقد وصل إلينا وصف هذا المعبد فى نصين أحدهما على لوحة المعبد الجنازى الذى أقامه هذا الفرعون لنفسه على الضفة الغربية للنيل (راجع Breasted, A .R. II, §. 886.) والثانى على عقد بوابة فى المعبد نفسه (راجع L. D. III, Pl. 73, and Text. III, P. 80, 81.) ، والمعبد الحالى من عمل فراعنة عديدين ولا ينسب «لأمنحتب الثالث» منه إلا الجزء الجنوبى ، ويعتقد الأستاذ « بترى » (راجع Petrie, "History", II, P. 191.) خلافا لغيره من المؤرخين أن هذا المعبد لم يكن متصلا بطريق الكباش بمعبد الكرنك فى عهد «أمنحتب الثالث» ، وذلك لأن محور هذا

(١) (راجع ما كتب عن هذا المعبد ibid, P. 102 ff.) .



(٦) معبد الأقصر

المعبد ، وطريق الكباش ، لا يوجد بينهما حبل اتصال ، أو علاقة تصل أحدهما بالآخر . أما ارتباط معبد الأقصر ، بمعبد الكرنك ، فيرجع أصله ، إلى التغييرات التي عملها « رعمسيس الثانى » .

وهــذا المعبد الفخم ، يشمــل خمسة أجزاء لهــا ثلاثة محاور مختلفة بعض الشىء ؛ فالمحراب وهو المكان الذى ينتهى إليه الاحتفال بتمثــال الإله ويوضع فيه مفتوح من الأمام والخلف وله قاعة أمامه، ورواق ذو عمد فى الخلف ، وحجرات جانبية ، وأمام رواق العمد هذه ساحة مفتوحة . ثم قاعة عمد فيها أربعة صفوف، كل منها يحتوى على ثمانية أعمدة ، محورها ينحرف بعض الشىء إلى الشمال ، بدلا من الشمال الشرقى مثل المحراب ، وبعــد ذلك ساحة يحيط بها عمد بنيت فى اتجاه المحراب ؛ وأخيرا نجــد أمام هذه الساحة والبوابة الضخمة ، التى تؤلف واجهــة المعبد ، طريقا على جانبه أربعة عشر عمودا ، بمثابة مدخل ، وأمامها بوابة أصغر من السالفة .

وصف المعبد كما جاء فى الوثيقة الأولى : "ملك الوجه القبلى ، والوجه البحرى ، رب الأرضين « نب ما عت رع » (أمنحتب الثــالث) ، وارث رع ، وابن الشمس ، رب التيجان : « أمنحتب الثالث » ، حاكم طيبة الذى رضى ببناء أقامه لوالده « آمون » رب « طيبة » فى « إبت » الجنوبية (الأقصر) من الحجر الرملى الأبيض الجميل ، وقد أقامه واسعا كبيرا ، وقد زيد فى جماله ، وجدرانه من السام ، ورقعته من الفضة ، وكل أبوابه قد غشيت با ... وبرجاه يصلان الى عنان السماء ، ويمتزجان بالنجوم ، وعندما يراه القوم ينطلقون بالحمد لجلالته .

وإنه الفرعون « نب ما عت رع » الذى أرضى قلب والده « آمون » رب « طيبة » الذى وهبه كل ملكه ، ابن الشمس ، « أمنحتب » حاكم « طيبة » ضياء « رع » " .

الوثيقة التى على عتب المعبد : "لقد أقامه (المعبد) أثرا لوالده «آمون رع» ملك الآلهة ، فأقام له قصرا جديدا من الحجر الرملى الأبيض الجميــل ، وأعلى بناءه جدا وزاد فى وسعه ، وزينه بالسام جميعا ، وبكل الأحجار الفاخرة الغالية ، ليكون مأوى للإله « آمون » ومكان استراحة لرب الآلهة ، وقد عمل على غرار أفقــه (مسكنه) فى السماء ، لأجل أن يعطى الحياة" . على أن ما جاء فى النقش

من بيان مثل : « الذى بنى المعبد ... ... ونحت تماثيلهم وما كان مقاما باللبن أقيم ثانية بالحجر» . يدل دلالة صريحة على أن هذا المبعد كان قد أقيم على أنقاض معبد آخر من عهد الدولة الوسطى .

ولا نزاع فى أن الجزء الذى أقامه «أمنحتب الثالث» فى هذا المعبد الضخم، وهو الجزء الجنوبى يمتاز بجمال الفن ودقة التنسيق، تلحظهما لأول وهلة عين المفتن عندما نقرنه بالمبانى الأخرى التى أقيمت فى العهود التى تلت عصره، وهى التى تنقصها تلك المسحة الفنية الراقية والتناسب الجميل الذى يمتاز به معبد «أمنحتب» .

معبد آخر بالقرب من الأقصر : وتشير لوحة معبده الجنازى إلى معبد آخر أقامه هذا الفرعون بالقرب من معبد الأقصر، غير أننا لا نعرف عن آثاره شيئا ويقول «برستد» عنه : إنه ربما يكون فى المكان الذى لم يكشف عنه بعد بين الأقصر والكرنك (راجع Breasted, A. R. II, § 887.) وهاك النص الخاص بهذا المعبد:

"وقد أقام جلالته معبدا آخر لوالده « آمون » ، وقد أقام له حظيرة بمثابة قربان إلهى قبالة « أبت الجنوبية » (الأقصر)، وهو مكان ملائم لوالدى فى عيده الجميل ، وقد أقمت معبدا عظيما فى وسطه مثل « رع » عندما يشرق فى الأفق . وقد غرست فيه كل الأزهار ، وما أجمل « نون » (النيل) يجرى فى بحيرته فى كل فصل ، وخمره أغزر من المياه ، كأنه النيل فى تمام فيضانه ، وقد خلقه رب الأبدية ، وسلع هذا المبنى عديدة ، بجزية كل الأقاليم ترد إليه ، ويؤتى لوالدى بأتاوات كثيرة من كل البلاد بمثابة قرابين . وقد وهبنى كل أمراء الأقاليم الجنوبية ، ومثلهم الشماليون ، كل واحد منهم مثل جاره ، وفضتهم ، وذهبهم ، وماشيتهم ، وكل حجر فاخر ثمين فى بلادهم بالملايين ومئات الآلاف وعشرات الآلاف . ولقد أقمته للذى أنجبنى بقلب سليم على حسب ما نصبنى لأكون شمس قبائل الأقواس التسعة" .

من هذا النص نفهم : أن معظم خيرات البلاد الأجنبية ، كانت تتدفق على هذه المعابد، ولا بد أن كهنة هذا المعبد، كانوا ينعمون بحياة رضية، كلها رخاء ، خمرها أنهار، وفاكهتها مما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين، وقصورها مغشاة بالذهب، فرشت بالأثاث الفاخر ، مما يتخيله الإنسان فى جنات النعيم . جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها لا يبغون عنها حولا .

معبد « صولب » : ومن المعابد ذات الروعة والجلال التى أقامها « أمنحتب » فى هذا العهد وخصها بعنايته معبده الذى أقامه فى « صولب » . ويعزى اهتمام الفرعون بهذا المعبد إلى أنه أقامه لعبادته هو والإله « آمون » معا . وهو فى ذلك يشبه معبده الجنازى الذى أقامه فى « طيبة » الغربية ويحتوى على عدّة وثائق ذكر فى إحداها اسم المعبد الذى لم تذكره النقوش التى دوّنها هذا الفرعون على لوحة معبده الجنازى . وسنذكر هنا أوّلا ما جاء على هذه اللوحة ثم ما جاء على آثار المعبد نفسه . وهاك النص الذى جاء على اللوحة خاصا بمعبد « صولب » (Ibid § 890 ff.) .

" ملك الوجه القبلى والوجه والبحرى « نب ماعت رع » ، محبوب « آمون رع » ابن الشمس «أمنحتب الثالث» ، حاكم طيبة . لقد أقمت آثارا أخرى لآمون منقطعة النظير ، لقد أقمت لك بيتك (الباق) ملايين السنين فى ... ... « آمون رع » رب طيبة ، المسمى « المضىء فى الصدق » (خع — م — ماعت) رافلا فى السام ، مأوى لوالدى فى كل أعياده ، وقد بنى بالحجر الرملى الجميل ، وغشى بالذهب كله ، ورقعته زينت بالفضة ، وكل أبوابه بالذهب . ونصبت مسلتان على كلا جانبيه ، وعندما يشرق والدى بينهما ترانى من بين أتباعه . وقربت له آلافا من الثيران وقطعا من أحسن الأجزاء الخلفية (من الثور) " . ثم يلى ذلك أنشودة لآمون وهى :

أنشودة « لآمون » : كلام آمون ملك الآلهة .

يا بنى من جسدى يا محبوبى « نب ماعت رع » .

يا صورتى الحية ، يا من صورته أعضائى .

ويا من حملته لى « موت » سيدة « اشرو » فى « طيبة » .

وهى سيدة الأقواس التسعة التى نشأتك سيدا وحيدا للقوم .

إن قلبى يفرح كثيرا عندما أرى جمالك .

وإنى أقوم بعمل أعجوبة لجلالتك ، وبذلك تجدد شبابك .

وذلك لأنى قد أقمتك مثل شمس الأرضين .

فعندما أولى وجهى شطر الجنوب أقوم بعمل أعجوبة لك .

إذ أجعل أمراء « كوش » الخاسئين يتجهون نحوك .

حاملين كل جزيتهم على ظهورهم .

وعندما أولى وجهى شطر الشمال أقوم بأعجوبة أخرى لك .

إذ أجعل مما لك أطراف « آسيا » يسعون إليك .

حاملين كل جزيتهم على ظهورهم .

ويقدمون أنفسهم إليك مع أطفالهم .

حتى تمنحهم نفس الحياة .

وعندما أولى وجهى شطر الغرب أقوم أيضا بعمل معجزة لك .

إذ أجعلك تستولى على التحنو (اللوبيين) فلا تبقى منهم باقية .

وإنهم يبنون فى هذا الحصن (بمثابة عبيد) باسم جلالتى .

وهو محوط بجدار عظيم يصل إلى السماء (فى ارتفاعه) .

وما هو لى بأبناء رؤساء النوبة .

وعندما أولى وجهى شطر الشرق أقوم بعمل معجزة لك .

إذ أجعل أقاليم « بنت » تأتى إليك .

حاملين كل الأخشاب اللطيفة الحلوة فى بلادهم .

راجين منه (الملك) الأمان والنفس الذى هو هبته .

يا ملك الوجه القبلى ، والوجه البحرى ، وحاكم الأقواس التسعة ، ورب الأرضين «نب ماعت رع» ابن الشمس ومحبوبه « أمنحتب الثالث » ، حاكم طيبة ، ومن أرضت آثاره قلب الآلهة لأجل أن يعطى الحياة ، والثبات ، والرضا ، والصحة ، ولأجل أن يكون قلبه مبتهجا مثل « رع » مخلدا " .

ومن هــذا النص تعـلم أن « أمنحتب الثـالث » قــد أقام مسلتين أخريين أمام هــذا المعبد، وقــد ذُكِرا على نقش دوّن على أحد الكباش التى أقيمت أمام هــذا المعبد . وبذلك يكون هذا الفرعون قد أقام أكثر من ثمـانى مسلات فى « طيبة » و « صولب » إلا أنه لم يبق منهما واحدة فى مكانها ، أما القصيــدة التى جاءت فى آخر هــذا النقش ، فتعدّد لنا الممـالك والأقاليم التى كان يسـيطر عليها هــذا الفرعون ، والتى كان أهلهـا يأتون إليــه صاغرين ، محملين بالجــزية والهدايا ، فكان يأتى إليــه من الجنوب أهــل السودان ، ومن الشمال يفــد عليه أهل آسيا حتى أقاصيها ، ومن الغرب كان يجلب إليه أهل « لوبيا » الذين استولى

عليهم وسخرهم فى بناء هـذا المعبد المحوط بسور عظيم ، يصـل إرتفاعه إلى عنـان السماء ، ومن الشرق كان يسعى إليه أهـل بلاد « نبت » يحملون العطور والأشجار ذات الشذى الذكى ، ثم هم فى الوقت نفسه يطلبون إليه أن يمنحهم نفس الحيـاة الذى هو ملك يده .

أما النقوش التى وجدت على ما تبقى من جدران المعبـد فى تلك الجهة فلم نجد من بينها ما يدل على وصف المعبد فى المكان المخصص بها عادة وهو العتب؛ ولكنا وجدنا ما يشير إلى ذلك فى بعض النقوش وبخاصـة على تماثيل الكباش التى كانت مصفوفة على جانبى الطريق المؤدى إلى المعبـد ، وكذلك على الأسـود المشهورة التى كانت مقامة هناك والمحفوظ بعضها الآن بالمتحف البريطانى .

أما النقش الذى وجد على الكباش[1] فهو :

" يعيش الإله الطيب « نب ما عت رع » ابن الشمس « أمنحتب الثالث » ، لقـد عمله بمثابة أثر لصورة « نب ما عت رع » رب النـوبة ، الإله العظيم ، رب السماء ، مقيما لنفسه حصنا ممتازا يحيط به جدار عظيم ، تضىء شرفاته أكثر من السماء ، مثل المسلات العظيمة التى أقامها الملك « أمنحتب الثالث » حاكم طيبة ، لمـدة مليون من السنين ، أبد الآبدين . يعيش الإله الطيب — ... لقد أقامه بمثابة تذكار لوالده « أمون رب طيبة ، فبنى له معبدا فاخرا ، وقـد أقيم عظيما فى سعته ، وفخامته ، وزيد فى جماله . (بواباته) تصل إلى عنان السماء ، وعمد أعلامه هى نجوم السماء ، ويرى من كلا جانبى النهر مضيئا الأرضين " .

وفى نقش ثان على صورة كبش آخر قد ذكر المعبد بأنه أقيم فى حصن «خع — م — ما عت » وأنه أهدى للإله « آمون » كما جاء فى نقش اللوحة الجنازية .

ومما يلفت النظر فى رسوم هـذا المعبد بعض منـاظر الحفل بعيـد إهداء المعبد، فنشاهد الفرعون ومعـه رجال حاشيته يمرون فى (البوابات) العظيمة التى

---

(١) واحد منهـا الآن بمتحف برلين Ausfuhrliches Verzeichniss des Berliner (Museums", P. 23, 24.) وقد وجد « لبسيوس » هذه التماثيل فى جبل «بركل» حيث نقلها « الأثيوبيون » من صولب (راجع (L. D. III, Pls. 80, 90. .

أقيمت فيه ، وكان لكل بوابة اسم خاص بها ، وتدل النقوش على أنها أقيمت جميعا من الحجر الرملى الأبيض الجميل ؛ وقد أقام له طريقا على غرار طريق معبد الكرنك يؤدى إلى داخل المعبد تحفه تماثيل «بولهول» على كلا الجانبين، برءوس كباش وهى رمز للإله « آمون » وكذلك زين المعبد نفسه ، بتماثيل سباع ضخمة (انظر الصورة رقم ٧) وصقور،وصور حيوانات أخرى مقدسة كانت تعبد فى هذه المنطقة . وقد نقل بعض هذه التماثيل إلى « نباتا » (جبال بركل) عاصمة بلاد «السودان» ،و يوجد كثير منها فى متاحف أوربا الآن،ففى «برلين» يوجد تمثالان كل منهما فى صورة كبش ،وكذلك توجد قاعدة تمثال صقر[1]. أما فى «لندن» فيوجد أسدان له ، ولكن انتحلهما لنفسه الفرعون « توت عنخ آمون » (Lepsius, "Auswahl", 13. A. B; "Rec. Trav." XI. P. 212).

والنقوش التى على بعض هذه التماثيل لها أهمية تاريخية إذ قد حرص « أمنحتب الثالث » على أن يذكر عليها تأسيس المعبد كما ذكرنا ؛ وكذلك يمكننا أن نستخلص



(٧) أسد جبل بركل

(١) راجع : (L. D. III, Pl. 80, 90) .

حقائق تاريخية أخرى من التغير الذى حدث فى نقوشها الأصلية ، إذ نجد أن نقوش الإهداء التى دونها « أمنحتب الثالث » على هذه التماثيل قد محيت فى عهد الثورة الدينية التى قام بها «اخناتون» مما يدل على أن أضطهاد «اخناتون» للإله « آمون» كان قد وصل إلى « صولب » جنوبا ، وأنه تجنى على اسم والده فمحاه لأنه يشمل كلمة « آمون » .

أعياد «سد» (العيد الثلاثينى) التى احتفل بها «أمنحتب الثالث» :

تدل النقوش التى ظهرت حتى الآن عن عهد الفرعون « أمنحتب الثالث » على انه احتفل بعيد « سـد » مدة حكمه ثلاث مرات . الاحتفال الأول منها فى السنة الثلاثين ، والثانى فى السنة الرابعة والثلاثين ، والثالث فى السنة السادسة والثلاثين . وقد كشف أخيرا الدكتور « أحمد فخرى » عن مقبرة أحد عظماء رجال عهد « أمنحتب الثالث » يدعى « خيروف » كشفًا تاما بعد أن ظلت لا يعرف عنها الا شيء يسير (راجع Gardiner and Weigall, "A Topographical Catalogue of the Private Tombs at Thébes", 32; Porter and Moss "Bibliography", I. P. 152; Brugsch, "Thesaurus", PP. 1120 – 1121, 1190 – 94. & A. S. XLII. P. 29 ff.) وتمدنا الرسوم والنقوش التى كشف عنها حديثا فى هذه المقبرة بمعلومات جديدة عن هذا العيد الغامض فلم يكن قد اتفق بعد علماء الآثار على معنى كلمة « سـد » . غير أن الجم الغفير منهم يترجمها « بالعيد الثلاثينى » على الرغم من أن هذه الترجمة لا تتفق مع الواقع . و يظهر أن عيد « سـد » كان يحتفل به لتتويج الفرعون من جديد غير تتويجه الأول عند توليه مهام الملك . إذ يقال إنه فى الأزمان العريقة فى القدم كانت تقام شعيرة خاصة قد وجد ما يماثلها فى الأزمان الحديثة فى بلاد غير مصر . فقد كان يقتل فيها الملك اعتقادا من القوم أنه لم يعد بعد يتصف بالصفات اللازمة التى تؤهله للقيام بوظيفة الملك . وجريا

---

(١) راجع : J. E. A. Vol. V. P. 61 ff. حيث نجد الآراء المختلفة عن أصل هذا العيد .

على هذه الفكرة كانت تذبح الحيوانات المقدسة من وقت لآخر ، أو بعبارة أخرى بعد مضى زمن محدّد على عبادتها . على أن هذه العادة قد محيت على كر الأيام ، وتقدم أسباب العمران بالنسبة للملوك ، ولكن التقاليد كانت تفرض تضحية الفرعون ، ولذلك كان يقام احتفال خاص يتوهم أنه قد مات ثم يتوّج هو نفسه من جديد ؛ و بهذه المناسبة كان يقام سرادق لتتويجه ، وكان يبتدئ الاحتفال حسب الشعيرة المرعية ، وكان لزاما على الملك عندئذ أن يغير اسمه و يتخذ لنفسه قصرا جديدا .

ومن التقاليد التى تتصل بعيد «سد» كل المناظر التى يمثل فيها الفرعون و يجرى أشواطا فى سباقات وكذلك مناظر للرقصات الخاصة التى كان يرقصها أمام الإله ، وكذلك مواكب أرواح الوجهين القبلى والبحرى ، وهم يحملون الفرعون على محفة كالتى نراها مثلا فى الأقصر على الجدار الجنوبى لحجرة الولادة .

وفى هذا العيد يظهر الفرعون كذلك لابسا تاج الوجه القبلى وتاج الوجه البحرى ، ومزملا فى عباءة ، وجالسا فوق منضدة مرتفعة . ولقد حاول علماء الآثار واللغة المصرية القديمة كلهم تفسير كنه هذه الأحفال الخاصة بهذا العيد فلم يجدوا لذلك سبيلا . ولكن يظهر أن النقوش والصور التى كشف عنها حديثا فى مقبرة « خيروف » تلقى بعض الضوء على أصل هذا العيد و بخاصة فى كونه عيدا لإحياء فرعون كرة أخرى . ولا أدل على ذلك من الدور الذى تلعبه « سفينتا الشمس » فى هذا العيد ، ووظيفة « سفينتى الشمس » كما جاء فى متون الأهرام هى أنها كانت تسير بالإله « رع » من الشرق عند ولادته فى الصباح وتغرب به فى الغرب فى سفينة أخرى خاصة كان ينتقل فيها عند الأصيل . فتسير به فى العالم السفلى أو عالم الأموات مدة ساعات الليل ، ثم يظهر فى الشرق مرة أخرى ، و ينتقل إلى سفينة النهار عائدا إلى الحياة كرة أخرى ؛ وهكذا دواليك . وقد كان للفرعون سفينتان مثل سفينتى الإله «رع» وجدتا منحوتتين فى الصخر بجوار هرم «خوفو» . وكذلك بجوار هرم « خفرع » خلال الدولة القديمة ليعمل فيهما سياحته مثل

« رع » أو مع الإله « رع » (راجع كتاب The Solar Boats, "Excavations at Giza", Vol. VI, Part I.) .

وتدل النقوش على أن هذا العيد كان ينتظم عدّة احتفالات تقام حسب تقاليد العصر ومعتقداته ، ولذلك لا نجدها تجتمع كلها فى منظر واحد على ما يظهر أو فى مكان واحد على الآثار التى بقيت لنـا حتى الآن . والظاهر أنه كان ينحت بعض هـذه الاحتفالات وتصوّر على جدران « المقبرة » أو فى المعبـد حسب اعتقاد صاحب المقبرة التى سترسم فيها هذه الاحتفالات . ومن الجائز أن المساحة التى كانت تحت تصرف الرسام لها دخل فى رسوم مناظر هـذا العيد . وقد ترك لنـا « خيروف » فى مقبرته بطيبة الغربية منظرين خاصين بالاحتفالات التى كانت تقام فى هذا العيد كل منهما يختلف عن الآخر ، فالأول يفسر لنـا العقيدة الشمسية ، والثانى يوضح لنا العقيدة الأوزيرية ، وكلاهما يدل على الحياة ثم الموت ثم الحياة ثانية وهكذا .

فالمنظر الأول خاص بالعيد الأول الذى احتفل به فى العـام الثلاثين من حكم « أمنحتب الثالث » ، والثانى خاص بالعيـد الثالث الذى أقيم فى العام السادس والثلاثين من حكمه أيضا .

وسنورد هنـا وصفا موجزا لمناظر العيـد الأول كما جاءت على جدران مقـبرة « خيروف » السالف الذكر . (راجع A. S. XLII, P. 29. ff.) .

فيشاهد على الجدار الشمالى من الجزء المكشوف حديثا منظر فى طرفه الأيمن يرى فيه الملك مرتديا لباس العيد «سد» وبجانبه الملكة « تى » جالسين ، والإلهة « حتحور » واقفـة خلفهما ، وهما يشرفان على توزيع الهدايا التى كانت تحتـوى على أطواق من الذهب وطيور وسمك من الذهب أيضا ، هـذا إلى أشراف كان يمنحهم الفرعون عطفه . والمشهد الثانى يظهر فيـه الفرعون والملكة خارجين من باب القصر المزدوج يتقدّمهما عشرة كهنة كل واحد منهم يحمل رمزا قديما مقدّسا مرفوعا على علم وأمامهم طائفـة من الأميرات يحملن سلات ويلعبن بالصاجات .

وفى الطرف الأيسر من المنظر نرى صورة « سفينة الشمس » (مهشمة) يجرها عشرون من كبار موظفى القصر . وتدل النقوش الخاصة بهذه السفينة على أنها « سفينة الليل » (أى التى يغرب فيها الإله دلالة على الموت) ، وهى من النوع العادى وفى وسطها حجرة على هيئة محراب صغير . ويشاهد فى مقدمتها ستارة منظومة من حبات خرز معلقة فى نهاية السفينة ويعلوها صورة الإله « حور » الطفل وثلاثة أوتاد . وفى وسط هذا المحراب يشاهد الفرعون واقفا بملابس عيد « سد » وفى يده السوط والقضيب المعقوف ، ويرى خلفه صورة امرأة ربما تكون الملكة « تى » . وأمام المحراب يشاهد خمسة أشخاص أولها صاحب المقبرة « خيروف » . والثانى والثالث يحمل كل منهما لقب « القاضى والوزير » (أى وزير الوجه القبلى ووزير الوجه البحرى) . أما الرابع فإن النقش الدال على وظيفته وجد مهشما ، وخامسهما يشاهد خلف المحراب محركا سكان السفينة .

وأسفل هذا المنظر صورة هامة مثل فيها عذارى يرقصن رقصة دينية والنقش الذى يصف كل هذا المنظر يقول :

”السنة الثلاثون الشهر الثانى من فصل الصيف اليوم السابع والعشرون من حكم جلالة « حور » الثور القوى المشرق مثل العدالة معطى الحياة ملك محبوبه «أمنحتب» حاكم طيبة معطى الحياة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (نب ماعت رع) (رب العدالة رع) ابن الشمس محبوبه « أمنحتب » حاكم طيبة معطى الحياة ، لقد ظهر الملك عندما أقيم الاحتفال بعيد « سد » عند باب قصره الكبير المزدوج وسمح للأمراء بالدخول فى إيوانه ، كذلك أقارب الملك الذين كانوا على رأس الشعب وهم أقارب الفرعون ، وموظفو سفينة الشمس ، ومديرو القصر ، والأشراف الملكيون فكوفئوا بذهب الثناء فى صور طيور وسمك مصوغة من الذهب ، وخلع عليهم ملابس من نسيج « سسفو » ونسيج «وازو» ثم صفوا فى الموكب (كل على حسب درجته) ثم أكلوا بعد ذلك خبز الإفطار وقربان الفرعون ، وبعد ذلك أمروا بالذهاب إلى بحيرة جلالته ليجدفوا فى السفينتين الملكيتين ، وأمسكوا بأمراس مؤخرة سفينة الليل (مسكتت) وأمراس مقدمة سفينة النهار (معنزت) ثم جروا الجالس على العرش العظيم ووقفوا على درج سلم عرش جلالته ، وقد عمل ذلك على حسب ما فى السجلات القديمة ؛ ومنذ القدم لم يحتفل القوم بعيد « سد » احتفالا يضارع هذا ... ...“ .

وهذا المتن الهام يضع أمامنا بوضوح الدور الذى كانت تلعبه كل من سفينتى الشمس فى عيد « سـد » . والظاهر أن الفرعون كان بعـد إقامة الولائم وبذل العطايا للمصطفين الأخيار من بين أشرافه ورجال بلاطه يسير فى موكب إلى البحيرة المقدسة ، ولا بدّ أن تكون فى هـذا الوقت هى البحيرة التى حفرها « أمنحتب » للملكة « تى » فى الجهة الغربية من « الأقصر » أو تكون بحيرة المعبد بالكرنك وهو المرجح ، وفيها ينزل الفرعون فى سفينة الشمس الخاصة بالليل وهى التى تمثل الموت ثم فى سفينة النهار كل بدورها ويجرها الموظفون وهم فئـة خاصة يسمون موظفى سفينتى الشمس . ولمـا كان عيد « سد » هـو رمز موت الفرعون وإحيائه كما قدمنا ، فالغرض إذن من هـذا المنظر هـو أن الفرعون كان ينزل أولا فى سـفينة الشمس الليلية ، وهـذا الحادث يمثل موته وتوحيده مع « إله الشمس » المتوفى . وبعد أن يطوف حول البحيرة كان ينتقل إلى سفينة النهار وهـذا رمز لولادته من جديد مثل إله الشمس عندما تشرق فى الصباح ثم يطوف حول البحيرة ، وفى هذه الحالة كان العظماء الذين يجرون السفينة يعتبرون رمزا للنجوم الثابتـة التى لا تغيب (النجم القطبى) والكواكب السـيارة ، أما الأشخاص الذين كانوا فى السـفينة مع الفرعون فيمثلون الآلهة الذين يكونون مع إله الشمس فى السفينة .

ومعنى كل هذا أن الملك هو ابن إله الشمس ، وكان يلعب كل الأدوار التى تمثل حياة هـذا الإله الذى يولد فى الصباح فى الجهـة الشرقية من السماء ثم يغيب فى الجهة الغربية ، أى يموت ليعود للحياة ثانية مولودا جديدا فى الجهة الشرقية من السماء ، وهذا ما يرمز إليه عند الاحتفال بعيد « سد » .

بيد أنه وجد فى الرسم الذى صوّر مناظره « خيروف » على جدران مقـبرته فى عيد « سد » الثالث حلقة ثانية فى إحياء الفرعون كرة أخرى ، أو بعبارة أخرى عقيدة ثانية فى موضوع إحياء الفرعون تختلف عن العقيدة السابقـة . وذلك أن العقيدة السابقة تمثل حياة الفرعون بحياة إله الشمس « رع » فى السماء أو العقيدة

الروحيــة . أما العقيدة التاليــة فتمثل حياته وموته بوصفه « أوزير » إله الموتى ، أو بعبارة أخرى تمثل حياة الطبيعة المحسة التى تحيا ثم تموت ثم تحيا وهكذا دواليك ، وذلك على حسب زيادة النيل فتحيا الطبيعة بحياته ثم تموت بموته وتُجدّد ثانية ...

ولقد كان « أوزير » بخاصة يعــدّ فى قديم الزمان ملكا حكم على الأرض مدة ثم مات ثم أعيــد للحياة كرة أخرى وبقى يحكم فى عالم الأموات . وقــد رسم منظر هــذا العيد على الرواق الشمالى لمقــبرة « خيروف » فيشاهد فى نهاية الطرف الأيسر الفــرعون « أمنحتب الثالث » ومعــه الملكة « تى » وكلاهما جالس على عرشه تحت مظلة فخمــة . ويلاحظ أن العرش الذى تجلس عليــه الملكة « تى » مزين برسم « بو لهول » وهو يطأ تحت قدميه أعداء من السودانيين والأسيويين كما هى العُادة . ولكن لمــا كانت الجالسة على العــرش امرأة فإن صورة « بو لهــول » تمشيا مــع ذلك مثلت برأس امرأة ، وكذلك الأعداء اللائى تطؤهنّ تحت قدميها أو المصفــدات فى الأغلال جاءت مناظرهنّ فى صور نساء . ويقف أمام الملك والملكة « خيروف » صاحب المقبرة ويحمل لقب « الكاتب الملكى » ولقب مدير بيت الملكة « تى » وهو يقدّم آنية من الذهب وقلائد للفرعون ، ويشاهد كذلك أن الجزء الأعلى من صورة « خيروف » قد محى محــوا تاما ، وفوق صورته نقش يصف تقديم الحلى ويشمل قلائد من اللازورد وحليا من الذهب .

ويلاحظ أن جزء الجدار الذى خلف «خيروف» مقسم ثلاثة صفوف بعضها فوق بعض وكل منها يشمل صورة « خيروف » يسير خلفه شخصان آخران ، وأمام كل مجموعة منهم متن مؤلف من ســطرين أفقيين ، غير أن الصــور والمتن كليهما قد محى ولم يبق منها جميعا إلا المتن الذى فى الصف الأعلى ، وهذه المتون تتحدث عن الدور الذى كان يقوم به « خيروف » فى هذا الاحتفال بعيد « سد » .

ففى المتن الأوّل نقرأ :

"السنة السادسة والثلاثون . استعراض السمار الوحيدين ، أمام عيد «ســد» الثالث لجلالتــه بوساطة الأمير الوراثى والسمير الوحيــد عظيم الحب والكاتب الملكى ، مدير بيت الزوجة الملكية العظيمة

« تى »'' ؛ ومن ذلك نفهم أن « خيروف » كان يقــوم بدور رئيس التشريفات فى هذا الحفل .

وخلف هذا المنظر نجد على الجدار منظراً آخر مقسما أربعة صفوف بعضها فوق بعض أعلاها واسع والثلاثة الأخرى ضيقة وكلها تمثل الشعائر المختلفة لهذا العيد .

فى الصف الأعلى نشاهد « أمنحتب الثالث » واقفا أمام تمثال « زد » الذى يمثل هنا الإله «أوزير» [ومعنى الكلمة الثبات] . وهذا التمثال يقف فى محراب ، وقد كتب على الجانب الأيسر من العرش : '' إنى أقدم الغذاء ، إنى أقدم لك الطعام'' . وفى داخل المحراب الذى تقف فيــه صورة الإله « زد » نقشت ستة أسطر أمام صورته هى : '' إنه يعطى الحياة كلها والسرور كله والصحة كلها «أوزير» المسيطر على معبد «سكر» العظيم ملك الأحياء ، والذى يثوى فى ساحة جدران هذا الإله بعد إقامة «زد»'' وخلف تمثال «زد» هذا ثلاثة أسطر هى : '' الحماية والحياة كلها تحيط بك مثل « رع »'' . وعلى حافة المحراب : '' لك الحياة والثبات والعافية والحكم على عرش «جب» (الأرض) أنت يأيها الكائن الطيب « وننفر » يا بن « نوت » الذى يقيم فى حجرة من بيته'' (يعنى « أوزير ») .

ثم يأتى بعــد ذلك مشهد إقامة تمثال « زد » الذى يرمز به للإله « أوزير » (والمنظر مهشم) فيرى أمام « أوزير » شخصان يقدمان فروض الطاعة والخضوع وهما كاهنان يلقب كل منهما بلقب «عمود أمه» ويلاحظ أن العمود «زد» منحن نحو اليسار يسنده رجل ، والحبل الذى يشــد به العمود له طرفان أحدهما فى يد الفرعون والثانى فى أيدى ثلاثة من أقاربه . وأمامهم رجل راكع يحمل فى يده قربانا مؤلفا من خبز وجعة ، وأمامه مائدة عليها قربان من الخضر والفاكهة والأزهار ، ونقش على العمود متن مهشم نستطيع أن نفهم منه أن الفرعون يرفع العمود «زد» من الأرض . وفوق الحبل النقش التالى : '' رفع العمــود « زد » الفرعون نفســه لتضىء الأرض بعيد « سد » الثالث'' . وكتب فوق الكاهنين المنحنيين نقش محى أوله ويظهر أن هذين الكاهنين كانا مكلفين إعطاء الملابس وليقفا على أقدامهما لعمل الحفل

بإقامة تمثال «زد» أمام الفرعون . ونقش أمام الملك ما يأتى : "رفع تمثال « زد » الملك نفسه ليعطيه الحياة مثل « رع » مخلدا " .

ويقف خلف الملك زوجه « تى » ونقش أمامها : "الزوجة الملكية العظيمة محبوبته « تى » "، ويشاهد خلفها موكب مؤلف من الأميرات اللائى كنّ مشتركات فى إقامة تمثال « زد » كما يدل على ذلك النقش الذى يفسر المنظر .

الأحفال : خصصت ثلاثة الصفوف التى أسفل منظر إقامة عمود « زد » لتوضح الأحفال المختلفة التى كانت تقيمها الكهنة والكاهنات فى هذا المعبد .

فالمنظر الأول يبتدئ من اليسار ويشاهد فيه ثلاث غانيات يصفقن بأيديهن وأمامهنّ عشرة كهان يرقصن بأوضاع مختلفة فى جماعات ، وقد كتب بين جماعتين منهنّ "هذا الرقص يعمل أمام تمثال « زد » " ، ويرى أيضا أربعة من هؤلاء الكهنة يغنون أغنية كتبت أمامهم .

موكب القرابين : هذا المنظر يبتدئ بمغنيين يصفقان على أيديهما ويغنيان أغنية كتبت عليها أمامهما وتتألف من أربعة سطور . وخلف المغنيين أربعة من حاملى القرابين وكلهم من أقارب الفرعون ونقش فوقهم إحضار الجعة والخضر وكل الأشياء اللذيذة الطاهرة إلى روح بتاح « سكر» عمود « أوزير» .

أما المتن الذى أمام المغنين الأربعة فهو : "فتح الباب على مصراعيه للاله « سكر رع » فى السماء لتجديد ضوء « آتوم » لأجل أن نرى الضوء فى الأفق ، ولأجل أن تملأ الأرضين بجمالك مثل السماء ، وأنك ترسل أشعتك مثل « تحنت » (حجر براق لامع) مثل وقت ولادتك ومثل « آتوم » فى السماء " .

وخلف حاملى القرابين نشاهد طائفة من الرجال يرقصون رقصة حركاتها مثل حركات الراقصين فى المنظر الأول . وهم كذلك مقسمون جماعتين وقد كتب فى وسط الجماعتين التفسير التالى : "إقامة هذا المحفل فى يوم ... ... إقامة « زد » « أوزير» الفاخر أمام التمثال الفاخر لبيت الإله « سكر » " .

الصف الثانى : يوجد فى هذا الصف منظران الأوّل للغناء والرقص والثانى يمثل الحرب بالعصي وسيقان البردى .

ويبتدىء المنظر الأول منهما بصورة غريبة فى بابها تشتمل على ثمانى مغنيات الاثنتان الأوليان منهنّ تضربان على الدف ، والباقيات يصفقن بأيديهنّ ويصحبهن المتن التالى : " مغنيات ومغنون لإقامة الشعائر والاحتفالات لنصب تمثال « زد » " ويلاحظ أن أربع راقصات يلبسن ملابس رأس تشبه التقيات الحالية لاصقة برءوسهنّ ويقمن برقصة استعملن فيها حركات بالجسم والأقدام والأذرعة ؛ وقد نقش بينهنّ متن جاء فيه : نساء أتى بهن من الواحات لإقامة تمثال «زد» ؛ غير أنه من المستحيل علينا أن نفهم لماذا أحضرن من الواحات . وقد يحتمل أن الواحات الواقعة فى غربى مصر لها علاقة بالأحفال الخاصة بإحياء « أوزير » ؛ غير أن هذا يدل دلالة واضحة على العلاقة التى كانت بين الواحات وسكان مصر نفسها . وبعد هؤلاء الراقصات نشاهد كهنة مرتلين ، يرقصون بأوضاع مختلفة ، ثم كهنة يتحاربون ، فبعضهم يتشاجر بقضبان بأيديهم فى أوضاع مختلفة ، وآخرون يتضاربون بسيقان البردى ، وهم يمثلون أهل بلدة « ب » بالدلتا ، وبلدة « دب » (بوتو) وغيرهم .

الصف الأسفل : وتستمر الاحتفالات فى الصف الأسفل ، وهو الصف الثالث والأخير ، ويمكن تقسيمه ثلاثة أقسام ، أوّلها الجزء الذى فى النهاية الشمالية من المنظر ، ويمثل « خيروف » يتبعه بعض الموظفين الذين يحملون أشياء خاصة ، والجزء الثانى يمثل السفن المحملة بالقرابين . أما الثالث فيمثل فيه الثيران والحمير التى تطوف أربع مرات حول جدران «منف» وقد كتب عليه : "طوافها حول جدران « منف » أربع مرات فى هذا اليوم الذى ينصب فيه عمود «زد» الفاخر للاله «بتاح سكر أوزير»". ومن كل هذا يمكننا أن نفهم أن هذا الاحتفال بإقامة عمود « زد » هو رمز لإحياء الفرعون بعد موته ، أو بعبارة أخرى تتويج الفرعون من جديد . كما توّج أوزير من جديد على عالم الأموات .

آثاره خارج القطر : إن أقدم آثار مصرية مؤرخة وجدت فى أوربا هى للملك «خيان» ثم جعارين «أمنحتب الثالث» ، والملكة «تى» ، وقد عثر على عدد كبير منها بمناسبة الفخار الإيجى . فقد وجدت جعارين فى « مكينيا Mykenae » (راجع Sewell, "Tiles from Mycenae with the Cartouche of Amenhotep III, "P. S. B. A. XXVI, P. 258; Hall, "Discoveries in Crete and their Relation to the History of Egypt and Palestine", P. S. B. A, XXXI. P. 141.) .

كما وجدت آنية هناك باسمه Dusssaud, "Civilization Pre-Helleniques) dans le bassin de la Mer Egée, (Paris 1910) P. 155.).

وكذلك وجدت جعارين باسم هـذا الفرعون فى جزيرة « رودوس » (راجع (ibid. P. 203)) .

وفى « قبرص » وجد للملكة « تى » جعران فى « إنكومى Enkomi » (راجع Murray, Smith and Walters, "Excavations in Cyprus", IV, P. 608;).

فى سوريا : وفى « سوريا » وجد إناءان عليهما اسم هذا الفرعون فى غزة (راجع Petrie, "History", II. P. 188.) .

فى سينـا : وفى « سرابة الخادم » فى شبه جزيرة « سينا » قام هذا الفرعون بأعمـال عظيمة لاستحضار المعادن والأحجار ، وبخاصة الفيروزج ، وقد وجد له هناك لوحتان إحداهما مؤرخة بالسنة السادسة والثلاثين ، وفيها يشير قائد الحملة إلى البحر باسم «الأخضر العظيم» مما يدل على أنه قام برحلة إلى هذه الجهات عن طريق البحر ، ويلاحظ أن الفرعون قد مثل على هاتين اللوحتين يتعبد للإلهة « حتحور » ربة «الفيروزج» (راجع L. D. III, Pl. 71 c.) . وكذلك عثر له على مبانٍ هناك ، ونخار مطلى باسمه (راجع Petrie, "Researches in Sinai", P. 74, 82, 108; Figs. 146, 4, 5; 148; 11, 12; 150. 12, 155. 7; Gardiner and Peet, "Sinai", Pls. LIX, LXV-VI, 211, 222.) .

وفى القاهرة : يوجد عمود مؤلف من قطع أعمدة من عهد « أمنحتب الثالث » فى جامع التركمان بباب البحر وقد اغتصبه « مرنبتاح » و « ستناخت » ويحتمل أنه أتى به من « هليوبوليس » (راجع Daressy, "Notes sur des Pierres Antiques du Caire", Rec. Trav. XXXV. P. 46.) .

وفى الدلتا : أما فى الدلتا فلم نعثر له إلا على آثار قليلة أهمها أربعة تماثيل لموظفين من عهده ، وجدت فى « تل بسطة » اثنان منها الحاكم يدعى «أمنحتب» وقاعدة واحدة لكاتب ملكى يدعى « خرفو » ويلقب كذلك « مدير البيت » وتمثال لم يذكر عليه اسم صاحبه لكاهن وكاهنة ، ولكن عليه مثل الآخرين اسم الفرعون (راجع Naville, "Bubastis", P. 31 - 33.) .

وفى بنها : عثر على قطعة حجر كبيرة من الجرانيت الأسود عليها اسم الفرعون واسم الثعبان الحارس « حرخنتى خاتى » ("Monuments Divers", 63 b.) .

وفى طرة : فتح هذا الفرعون محاجر جديدة فى السنة الأولى من حكمه . وقد دوّن عمله هذا على جدران المحجر فى « طرة » نفسها . وفى السنة الثانية من حكمه دوّن نقشا آخر مثل النقش الأوّل ، وقد جاء فيه : " السنة الثانية فى عهد جلالة الفرعون (الألقاب) أمنحتب الثالث ... ... ، أمر جلالته بفتح حجرة جديدة لأجل قطع أحجار « عيان » الجميلة لبناء معابده (لملايين) السنين ، وذلك بعد أن وجد جلالته حجرات قطع الأحجار التى كانت فى « عيان » بدأت تظهر مخربة جدا منذ الأزمان السالفة . وقد كان جلالته هو الذى جددها لأجل أن يعطى الحياة والثبات والصحة مثل «رع» مخلدا " (راجع L. D. III, Pl. 71. C. d. A. S. XI, 259.) .

وقد وجد فى معبد « كوم الحيطان » فى « طيبة » قطعة من هذا الحجر مؤرخة بتاريخ المحجر باليوم الأوّل من السنة الأولى (Petrie, "History", II; P. 189; Breasted, A. R., II. § 875) .

وفى الجيزة : وفى منطقة الجيزة عثر له على لوحة فى الحفائر التى قامت بها البعثة الألمانية فى هذه المنطقة . واللوحة توحى بأن هذا الفرعون قد قام بزيارة

منطقة الأهرام مثل أسلافه . وهذه اللوحة تحمل طغراء الفرعون ومنظرا مثل فيه الملك وهو طفل صغير عريان ، يقدم زهرة « البشنين » لبو لهول الذى مثل جالسا على قاعدة عالية ، ومتوجا بقرص الشمس يكتنفه صلان، والظاهر أنه كان يوجد تمثال بين مخلبى «بو لهول» غير أنه محى . وتمثيل هذا الفرعون وهو طفل يشير إلى أنه تولى الملك وهو لم يبلغ الحلم بعد (راجع Holscher, "Das Grabdenkmal des Konigs Chephren", P. 107) .

وفى منف : وجد فى معبدها اسم هذا الفرعون كما وجدت له مناظر نقلت معظم قطعها إلى «متحف بوستن» بأمريكا « وكو بنهاجن» (راجع Porter and Moss, "Bibliography", III. P. 220) .

وكذلك وجد صندوق أوانى الأحشاء لقطة؟ أهداها «تحتمس» بن «أمنحتب الثالث » ، وكان يشغل وظيفة كاهن الإله « بتاح » الأكبر (راجع Rec. Trav. XIV. P. 174-5) .

وتعزى أقدم مقابر للعجل « أبيس » لعهد هذا الفرعون ، وقد كانت حجرة من الصخر يصل إليها الإنسان بممر منحدر بنى فوقها مقصورة (راجع Mariette, "Le Serapeum de Memphis", publie d'apres le Manuscrit de l'Auteur Par. G. Maspero (Paris, 1882) P. 117) ، وقد وجدت المقصورة للعجل الأول منقوشة ويشاهد على جدرانها الفرعون «أمنحتب الثالث» مع الأمير «تحتمس» واقفين أمام العجل أبيس (راجع Ibid, Texts, PP. 124-5) .

وكذلك وجدت أربع أوانٍ من أوانى الأحشاء عليها اسمه (راجع Ibid, Pl. I.) .

وكذلك وجد إناء من المرمر عليه اسم الأمير « تحتمس » ابنه فى « اللوفر» الآن (CIII) "Gauthier", L. R. II, P. 336.)، كما عثر على قطعة حجر من هذا العهد وهى الآن فى المتحف المصرى (راجع Virey. "Catalogue", 230) .

ميدوم : وفى « ميدوم » وجد نقش على الصخر ذكر عليه اسم « أمنحتب الثالث » (راجع .Petrie, "Meydum", P. 4) أرّخ بالسنة الثلاثين من حكمه (راجع .Porter and Moss, "Bibliography" III. P. 90) .

كوم مدينة غراب : ووجد فى غراب مائدة قربان أهدتها الملكة « تى » إلى الفرعون « أمنحتب الثالث » وقد جاء عليها : "عملت آثارها لأخيها المحبوب « نب ماعت رع »" . وكذلك وجد غطاء صندوق وأنبوبة كحل ذكر عليهما اسم الملك وزوجته وابنته «حنت تانب» (راجع .Petrie, "Illahun", Pls. XVII, XXIV) .

وكذلك عثر على وسادة عليها اسم الفرعون (راجع .A. S. II. P. 142) .

الكوم الأحمر : وفى الكوم الأحمر (بالقرب من المنيا) وجدت له لوحة عليها لقبه (راجع .A. S., XII, P. 93) أما اسمه فوجد ممحوا ، وكذلك وجدت قطعة من الحجر عليها اسم « أمنحتب الثالث » فى « هوارتة » (بالقرب من المنيا) (راجع .Murray, "Guide", P. 406) . ويحتمل أنه وجد فى هذا المكان أيضا ثلاثة تماثيل من الأبنوس للفرعون « أمنحتب الثالث » والملكة « تى » ولأمير آخر (راجع Ippel und Roeder, "Denkmaler des Pelizaeus Museums zu Hildesheim (1921), PP. 70, 80, Abb. 23, 25.) .

وبالقرب من هذه البلدة عثر على قبر سليم لفرد يدعى « ثوتى » من عصر هذا الفرعون وعصر ابنه « أمنحتب الرابع » وقد تجلى فيه فن العصر (راجع .Chassinat, B. I. F. A. O., I, P. 226-7) . وفى زاوية الأموات عثرله على لوحة فى الجبانة الحديثة وهى محفوظة بالمتحف المصرى الآن (راجع A. S. XII, P. 93 [VII]) ، ولوحة منحوتة فى الصخر بالدير البحرى مؤرخة بالسنة الأولى من حكم « أمنحتب الثالث » (راجع .Rec. Trav, XXVI, P. 151-2) .

البرشة : وفى البرشة وجدت لوحة مؤرخة بالسنة الأولى من عهد « أمنحتب » فى محجر (راجع .P. S. B. A., IX, P. 195,206) .

«العمارنة» : وفى تل العمارنة وجدت بطاقة بردية عليها اسم هذا الفرعون (راجع (A. Z.XXXIII, P. 72 ، وكذلك وجدت خواتم باسمه (راجع .J. E. A., VII, P. 182-3) كما عثر له على خمسة ألواح من المرمر باسمه هناك أيضا (راجع .Berlin Mus (10586-8, 17955-6. Cartouches, "Aeg. Insch. Mus. Berlin", II, P. 242. وكذلك لوحة « لأمنحتب الثالث » و « تى » أمامهما القربان (راجع ,.J. E. A (XII, Pl. I. cf. P. I-2. ورأس «لأمنحتب الثالث» ، (راجع Berlin Mus.21299) وقطع من إناء أحمر من الجرانيت (راجع ,Frankfort, and Pendelbury ("The City of Akhenaton", II, Pls. XLVII [2, 3] cf. P. 102. 108.)

«مسيخ» : وفى «مسيخ» يوجد معبد لهذا الفرعون (راجع ,.P. S. B. A (VII. P. 172.

ريانة : وفى « ريانة » يوجد حصن من اللبن ختمت بعض لبناته باسم « أمنحتب الثالث » (راجع .Murray, "Guide", P. 426) .

الوجه القبلى : أما فى الوجه القبلى فآثار هذا الفرعون منتشرة بدرجة عظيمة .

«أرمنت» : ففى «أرمنت» وجدت قطعة من تمثال من الجرانيت الأسود باسمه (راجع .Daressy, "Notes et Remarques", Rec. Trav. XIX, P. 14) .

«دندرة» : وفى «دندرة» وجد نقش من عصر البطالمة لهذا الفرعون فى صورة « حابى » (النيل) بطغراء « نب ماعت رع » على رأسه ، وأيضا تمثال لأمه «موت مويا» . (راجع .A. S. VIII, P. 146) أما فى « الكرنك » وفى « الأقصر » و « طيبة » الغربية فقد تكلمنا عن آثاره هناك بإسهاب فى مكانه .

«الكاب» : ويوجد له فى الكاب معبد صغير مؤلف من حجرة مربعة ذات أربعة عمد وله ردهة ، وقد بنى فى الوادى الصحراوى خلف المدينة ، وكان قد بدأ فى إقامته والده وأتمه « أمنحتب » للإلهة « نخبت » (راجع .L. D., III, Pl. 80)

وكذلك يوجد اسم هـذا الفرعون فى المعبـد الكبير الموجود بهـذه البلدة (راجع
Weigall, “Guide”, P. 328; Champollion, “Notices”, I, P. 266.) .

الردسـية : وفى « وادى عبـاد » بالردسـية الواقعة على بعـد ٣٥ كيلو مترا من إدفو فى الصحراء يوجد نقش على الصخر مذكور فيه اسم الفرعون « أمنحتب الثالث » (راجع A. S. IX, P. 76.) .

جبل السلسلة : وفى جبـل السلسلة يوجد محراب عليه اسم هـذا الفرعون فى المحاجر هناك كان يعلوه صقر وقد سقط الآن بجواره (راجع P. S. B. A., XI, P. 233-4.) وكذلك توجد مائدة قربان أهديت إليه فى السنة الخامسة والثـلاثين من حكمه (راجع L. D. III, Pl. 81-c.) وكذلك وجد محراب عليه اسمه Weigall, “Guide”, P. 373. كما ذكر اسم وزيره « أمنحتب » هناك (راجع A. S. IV, P. 197.) .

إلفنتين : وكان يوجد فى « الفنتين » معبد من أتم المعابد وأجملها من عهد هذا الفرعون ، وقد كان حتى هدمه فى نوفمبر عام ١٨٢٢ يحتوى على جزء من ألوانه الأصلية ، وقد هدم لاستعمال أحجاره لإقامة معسكر ليسكن فيه الجنود السودانيون الذين كوّن منهم « محمد على باشا » جيشا . ويقول « ليبان باشـا » : ” إن محمد بك الذى كان مكلفا بتأليف هذا الجيش قد هدم المعبد لا جهلا منه بل عن قصد ليمنع زيارة الأجانب لأسوان “ (راجع J. E. A., Vol. XXXII (1946) P. 59.) ولكن لحسن الحظ كان هذا المعبد قـد رسم فى عهد الحملة الفرنسية وكذلك وجد فى مخطوطات المستر « بانكس » وغيرها (ibid, P. 57) ، والمعبد فى ذاته كالمعـابد الأخرى له بابان من الأمام والخلف ويسير الاحتفال الدينى فيـه حتى المحراب ، ويشتمل على قاعة عمد مؤلفة من سبعة أعمدة فى الجـانب وأربعة أعمدة فى الأمام حول خارجه . ومن المميزات الغريبة لهـذا المعبد أنه كان مقاما على طوار أجوف يصل إليه الإنسان بسلم ذى درجات . وقد رسمت صورة المعبد كما رسم فى وثائق « بانكس » (راجع ibid, Pl. VII.) .

أسوان : وقد عثر له فى « أسوان » على لوحة منحوتة فى الصخر عليها أفراد يتعبدون إلى خرطوش « أمنحتب الثالث » (راجع Porter and Moss, "Bibliography" V, "Upper Egyptian Sites", P. 222.) ولوحة أخرى من المرمر باسم « أمنحتب الثالث » والملكة « تى » يتعبدان « لأوزير » أهداهما «سبك نخت» مدير معبد آمون وهى الآن فى «ميونخ» (راجع ibid. P. 242.) كما لا يزال فى محاجرها التمثال العملاق الذى كان قد عمل لهذا الفرعون ملقى، وعلى الرغم من أن جزءا منه لا يزال مدفونا فى الأرض، غير أنه من نسبة حجمه يمكن أن يقدّر ارتفاعه بنحو ٢٥ قدما وفى هذه المحاجر نقش فى الصخر يرى فيه النحات يتعبد لاسم هذا الفرعون ويقول فيه : إنه قد نحت تمثال جلالته العظيم أحد الأمراء (راجع De Morgan ("Cat. Mon.", I. P. 62-3.

كونوسو : وفى « كونوسو » نقشه المؤرخ بالسنة الخامسة من حكمه على الصخر.

وادى السبوع : وله محراب فى وادى السبوع (راجع A. S. IX, P. 184).

أمدا : وفى « أمدا » وجد له لوحات ، وأتم كذلك نقش المعبد القائم هناك (راجع Lacau, "Steles du Nouvel Empire", No. 340278.) .

عنيبة : ووجد له فى عنيبة قطعة حجر عليها اسمه .

مرجيس : وفى قلعة «مرجيس» له معبد (راجع Gunn, "The Religion of the Poor in Ancient Egypt", J. E. A. III (1916). P. 81.) .

بوهن : (وادى حلفا) وجدت لوحات باسمه (راجع Maciver and Woolley, "Buhen" P. 180, 81.) .

سمنة : وفى « سمنة » عثر على لوحة عليها اسمه (راجع Brit. Mus. Budge, "Sculpture", P. 114, 115.) .

سدنجا : وفى «سدنجا» الواقعة فى شمالى «صلب» أقام هذا الملك معبدا جميلا لا تزال بعض بقاياه تكريما للملكة «تى» وبه نقش يقول: "إن «أمنحتب الثالث» قد أقام هذه الآثار للوارثة العظيمة القوية سيدة كل الأراضى «تى»" (راجع L. D. III. Pl. 82. e – i).

نباتا : (جبل بركل) وفيها عثر على بقايا محراب مهدى للإله «آمون» إله الشمس فى جبل «بركل»؛ والظاهر أن «أمنحتب الثالث» كان أوّل من لحظ ميزة موقع هذا المكان وحاول أن يجعل من قرية «نباتا» الساذجة بلدة مصرية كبيرة متمدينة، كما يوجد فى «نباتا» آثار نقلت من «صولب» كما ذكر آنفا.

تماثيل الملك أمنحتب الثالث : نحت هذا الفرعون لنفسه عدّة تماثيل ضخمة منها اثنان فى «طيبة»، نحت الجزء الأعلى من أحدهما فى العهد الرومانى، وله تمثال آخر بنفس الحجم مدفون خلف السابقين، ورابع يبعد عن الأخير بعض الشىء، وكذلك مجموعة من أربعة تماثيل فى قطعة واحدة من الحجر فقدت رءوسها (راجع Murray, "Guide" P. 464.).

وقد نقلت تماثيل ضخمة لهذا الملك مصنوعة من الحجر الجيرى الأبيض من معبده الجنازى وكسرت، وعثر على بقاياها فى مبانى معبد «مرنبتاح» ومدينة «هابو» (Petrie, "History", II, P. 195.).

أما تماثيله العادية فيوجد منها اثنان من الحجر الجيرى الأبيض فى المتحف المصرى (راجع Maspero, "Guide Boulaq" P. 422) وتمثال من الجرانيت الأسود فى المتحف البريطانى (راجع Budge, ibid, P. 115.).

وكذلك رءوس أربعة تماثيل (راجع ibid. P. 115, 116.).

وفى موسكو : له تمثال (راجع "Ancient Egypt" (1920) P. 125).

وفى أفنيون بفرنسا : توجد قاعدة تمثال عليها اسمه (راجع Moret, "Monuments Egyptiens du Musee Calvet à Avignon", Rec. Trav. XXXV, P. 196.).

وفى مجموعة سورما : Saurma توجد مجموعة مؤلفة من الملك وزوجه « تى » ويوجد لهـذا الفرعون ثلاث صـور ممتازة تمثـله فى ثلاثة أدوار مختلفة (راجـع Champollion, "Monuments" P. 232; L. D. III, Pl. 70.) وقد شاهد «شمبليون» تمثال « بولهول » لهـذا الفرعون فى الكرنك (راجع Champollion, "Notices", II, P. 272.) ، ومن الجائز أن أحد التماثيل الموضوعة الآن أمام كنيسة « سنت بطرس برج » له (راجع Lieblein, "Die Agyptische Denkmaler in St. Petersburg, Helsingfors, Upsala und Copenhagen (Christiania, 1873) P. 61.) .

ويوجد له تمثال مجاوب فى المتحف البريطانى (راجـع Budge, "Guide", P. 153.) . هذا بالأضافة لتماثيله التى بالمتحف المصرى .

تماثيل الآلهة التى تنسب لعهد « أمنحتب الثالث » : ينسب إلى هذا العهد تماثيل عدّة للآلهة والإلهات وبخاصـة تماثيل الإلهة « سخمت » المصنوعة من الجرانيت الأسود وهى التى قد أقيمت على وجه خاص فى معبد الإلهة بالكرنك . كما يوجد تمثال واقف للإله «بتاح» من الديوريت فى «تورين» وآخر جالس من الحجر الجيرى الأبيض فى تورين أيضا ، وفى مجموعة سابتيه (Sabatier Coll.) يوجد تمثال للإله « أنوب » من الحجر البازلت . وكذلك تمثال قرد يمثل الإله « تحوت » من حجـر الكوارتسيت فى المتحف البريطانى (راجع Budge "Guide", P. 120.) وكل عليها اسمه (راجع Petrie "History", II, P. 176.) .

عبادة أمنحتب الثالث : رأينا فيما سلف أن «أمنحتب الثالث» قد أقام معبده الجنازى ليعبد فيه هو وكذلك أقام معبد « صـولب » وقال عنه إنه بنـاه لنفسه وللإله « آمون » بوصف أن كلا منهما إله . والواقع أنه لم يعبد بعـد وفاته كما كان المنتظر، إذ فى معبد « صولب » نجد ابنـه « اخناتون » يظهر بملابسـه

الملكية العادية لا فى الملابس الخاصة لعبادة الملك . وقد رأينا فى أيام حياته أن بعض الموظفين كان يتعبد لتمثاله كما شاهدنا النحات « من » فى أسوان . وكذلك فى منف نجد هذا الفرعون يعبد أيضا (راجع Pap. Sallier. Verso, Pl. 2) ونشاهد منظرا على لوحة لكاهن معبد «أمنحتب الثالث» يتعبد فيها الإله «أوزير» والإلهة « إزيس » و «أمنحتب الثالث» والملكة « تى » (راجع Champollion "Notices", II, P. 703.) وفى الكرنك نقرأ على تمثال صيغة القربان المعلومة تتلى للإله «سكر» والإله «نفرتم» ثم الإلهة «سخمت» أى ثالوث «منف» ثم للفرعون « أمنحتب الثالث » (راجع P. S. B. A., XI. P. 42.)، وكذلك نجد منقوشا على صخور « بجه » صورة « أمنحتب » كاتب الفرعون يتعبد له (راجع Porter and Moss, "Bibliography", V, P. 256.) .

الأسرة المالكة : نعلم مما ذكرنا أن الملكة « تى » كانت زوجه الشرعية ، وأنها كانت مصرية المنبت وليس فيها أى دم أجنبى كما يدعى البعض . وقد ظهرت على جوانب تمثالى « ممنون » اللذين يمثلان « أمنحتب الثالث » زوجها، وكذلك شاهدنا أنه كان يذكرها على كل الجعارين التى نشرها كما كانت تظهر بجواره فى كل المحافل الرسمية ، كما نجد فى معبد « صولب » وغيره مثل مقبرة «خيروف» (راجع Fakhry, A. S. XLII (1942) P. 449 ff.)، وكذلك ظهرت صورتها فى مقبرة « حوى » فى تل العمارنة (L. D. III, Pl. 100. c.) . وقد عثر فى مصنع مثال على قطعتين عملهما هذا المثال بمثابة تجربة فى تل العمارنة (Prisse, Art.) وفيهما نشاهد وجهها وقد عثر على تماثيلها المجاوبة المصنوعة من المرمر فى قبر زوجها (راجع Petrie, "Tell El Amarna" "I, P. 6; "Description de l'Egypte" V,P. 60, 7.) .

وقد أهدت موائد قرابين لروح زوجها بعد موته ، وقد بقى لنا منها واحدة فى بلدة «غراب» (Petrie, "Illahun" Pl. XXIV.) وكذلك كتب اسمها على صناديق زينة

وجدت فى غراب أيضا (ibid. Pl. XXIV.) وكذلك فى « تورين »[1] وقد وجدوا اسمها منفردا أو مع اسم «أمنحتب الثالث» على جعارين كثيرة؛ وفى حالتين وجدت صورتاهما معا (راجع ,"Brit. Mus., Brocklehurst Coll.; Petrie. "Scarabs 1305 - 9.) ونجدها على جعران جالسة (راجع .Brit·Mus. Petrie, "Scarabs", 1308) وقد ظهر اسمها منفردا فى محاجر «تل العمارنة»[2] وظهرت مع الفرعون «أمنحتب» فى مناظر معبده الواقع شمالى مقياس النيل « بأسوان » (,Porter and Moss "Bibliography", V. P. 228.) أما الملكة «جيلوخيبا» فلم نسمع باسمها إلا مرة واحدة على جعران زوجها كما سبق ؛ وأما أولاد «أمنحتب الثالث» فقد ظل علماء الآثار لا يعرفون عنهم الشيء الكثير حتى أثبتت الكشوف العلمية والأبحاث الطبية أنه أنجب « أخناتون » « وسمنخكا رع » « وتوت عنخ آمون » وبناته هنّ «نفرتيتى» و«سات آمون» كما ذكر ذلك على الآثار . وكذلك ذكر اسم بنتين له على معبد «صولب» وهما «آست» و«حنت مرحب» (راجع .L. D. III. Pl. 86 b) وقد جاء ذكر « سات آمون » على قطعة من صندوق من العاج (.Brit. Mus Archælogical Journal,VIII,P.397.) وكذلك نقش اسمها على طبق فى «تل العمارنة» (راجع .Petrie, "Tell el Amarna", Pl. XIII, 6) وكذلك رسمت جالسة على حجر مربيتها «نبت كابانى» على لوحة من «العرابة المدفونة» (راجع ,"Mariette, "Abydos II. P. 49.) أما « حنت تانب » فلم نجد اسمها إلا على آنية كحل من الفخار المطلى كشف عنها فى غراب (راجع .Petrie, "Illahun", Pl. XVII, 20) ويقول بترى : إن الأميرة « باقت آتون » هى ابنة « أمنحتب الثالث » كما تدل كل الظواهر على

(١) راجع : .Rec. Trav. III. 127

(٢) راجع : .Petrie. "Tell El-Amarna", P. 4. Pl. XLII

(٣) راجع : وقد تضاربت الآراء فى زواجه من ابنته «سات آمون» وأن « توت عنخ آمون » هو ابن «أمنحتب الثالث» منها . وسنتناول هذا الموضوع ثانية (راجع .Varille, A. S. Vol. XL P. 651 - 7; A. S. XLV, P. 121.) .

ذلك وهى التى يقال عنها إنها سابعة بنات «أخناتون» وأصغرهن ويلاحظ أنها كانت ترافق الملكة «تى» وتسمى البنت الملكية فى حين أن بنات « إخناتون » كنّ يدعين بنات «نفرتيتى» . وقد رسم صورتها مفتن البلاط « أوتا » الخاص بالملكة « تى » (راجع (L. D. III. Pl. 100. a.) أما عن خرافة نسب « تى » إلى أصل « متنى » وأنها ليست مصرية فقد قضى عليها الكشف عن مقبرة والديها وكلاهما مصرى صميم ، وكذلك اسماهما مصريان، وقد نصب «أمنحتب الثالث» كلا من والد زوجه « تى» ووالدتها فى مكانة رفيعة فى البلاط، كما بنى لهم قبرا فاخرا فى «وادى الملوك» ونصب أخا « تى » المسمى « عانن » فى وظيفة الكاهن الأعظم لمدينة « أرمنت » التى كان يعبد فيها الإله « أمنتو » إله الحرب وهو من أعظم الآلهة المصرية (راجع .Kees, A. Z. LIII, P. 81) .

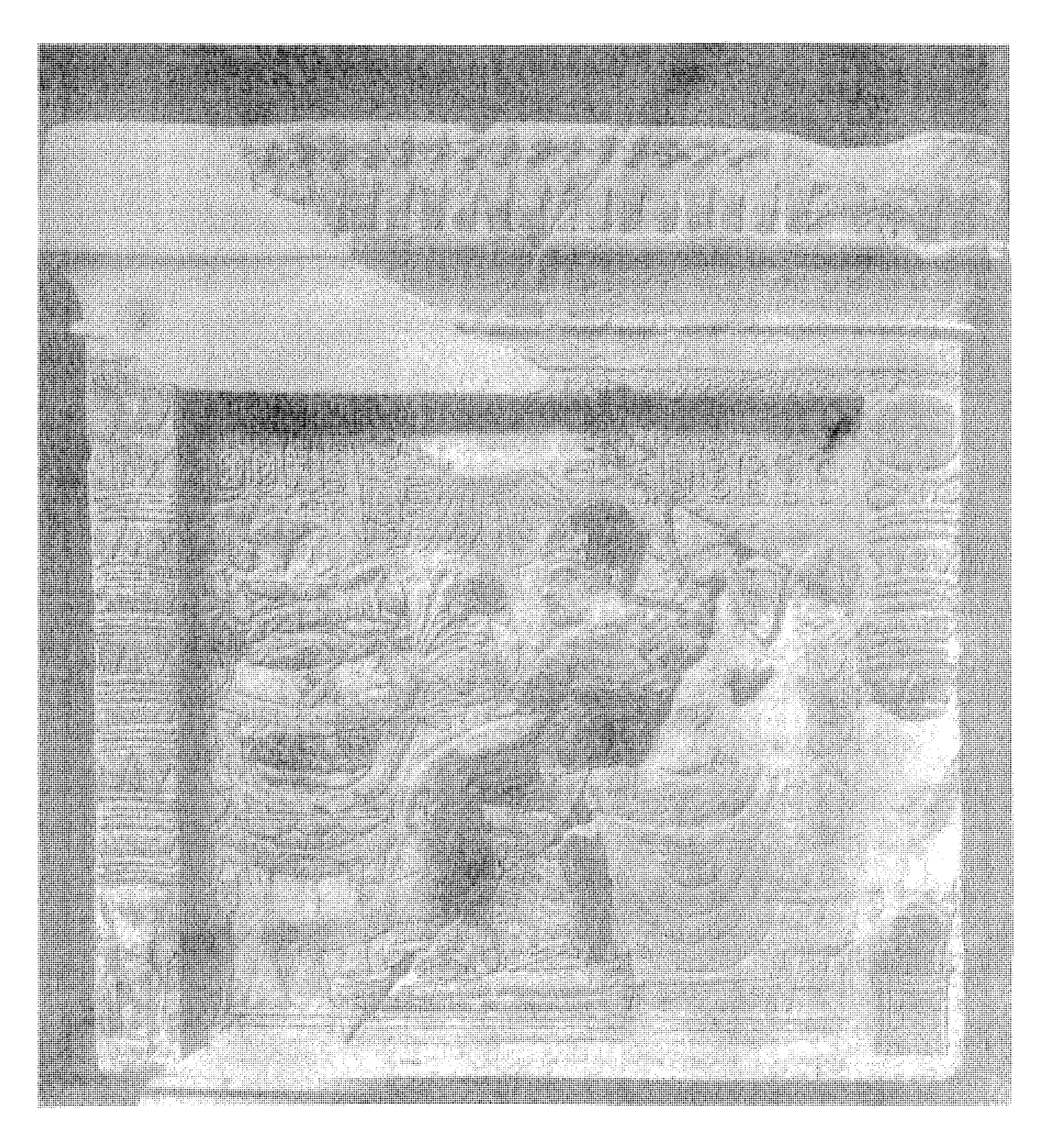
نهاية حكمه : ولايزال هناك غشاء رقيق حول « أمنحتب الثالث » نفسه وكيفية انتهاء حكمه لا يجعلنا ننفذ إلى أعماق الحقيقة البحتة عن آخر أيامه، إذ دلت الكشوف الحديثة التى أميط اللثام عنها فى « تل العمارنة » أنه كان لايزال على قيد الحياة حتى السنة التاسعة أو الثانية عشرة من حكم ابنه «أخناتون» ، وعلى أية حال فإنه دفن فى قبره الذى أعدّ له فى وادى الملوك وهو الذى كشف عنه « جولوه (Jollois)» و «دفلييه Devilliers » عام تسعة وتسعين وسبعمائة وألف من الميلاد. وقد نقش على جدران دهاليزه وحجره صور ملونة تمثل الفرعون يتحدث مع الآلهة المختلفة . ولم تكن جثته فى القبر الخاص به الذى كان قد نهب نهبا تاما فى العصور التى تلت دفنه، بل وجدت فى مقبرة حفيده «أمنحتب الثانى» كما ذكرنا من قبل . وهى محفوظة الآن فى المتحف المصرى .

ومما سبق نعلم أن « أمنحتب الثالث » يعدّ على ما يتضح أعظم ملك قام بأعمال البناء والتعمير فى عهد الأسرة « الثامنة عشرة » ؛ وكان النشاط والاهتمام اللذان بذلهما الملوك السابقون له فى الحروب الطاحنة ، قد استغلهما هو فى تصميم

المبانى التى أراد أن يزين بها بلاده ، وفى زيادة ثراء معابد الآلهة فى الوجهين القبلى والبحرى ، وبخاصة فى «طيبة» وفى «السودان» ؛ ومع أنه كان لدى هذا الفرعون عبيد لا يحصى عددهم رهن إشارته ، فلم يكن فى استطاعته أن يبنى « رومة » فى يوم واحد كما يقول المثل السائر . ولا نزاع فى أن زهرة مبانى الأسرة «الثامنة عشرة» التى أقامها كانت تحتاج إلى الجزء الأكبر من سنى حكمه ؛ غير أننا لا نعـرف التواريخ التى تمت فيها مبانيـه الضخمة . وعلى كل فإن الوثائق التى تركها لنـا منقوشة على هذه المبـانى تنطق بعظم ما قام به هذا الفرعون فى هذه الناحية .

والظاهر أن « أمنحتب» قد مات حوالى الخمسين من عمره ولم يبق ما يدلنـا على شخصيته وخلقه إلا أثران وهما موميته فى متحف القاهرة ، وهى التى قامت حولها الشكوك أولا (راجع "Asiatic Review" Oct. 1927.) ثم ثبت أنها له ،ثم لوحته الصغيرة الشهيرة المحفوظة الآن فى المتحف البريطانى ، (أنظر الصورة رقم ٨) وهى التى مثل عليها جالسا مع ملكته «تى» وأمامهما مائدة محملة بكل مالذ وطاب . وفى هذه اللوحة نشاهد رجلا طغت عليه الشيخوخة قبل أوانها ، فأصبح مترهلا منحنى العود بعض الشىء يجلس جلسة الزاهد فى كل ملاذ الحياة ومتعها فأصبح وقد شبع منها لا تغريه ولا تجد سبيلا إلى نفسه ، فقد ملها وانقطعت بينهما كل الأسباب . فتراه وقد وضع إحدى ذراعيه إلى جانبه وذراعه الأخرى معتمدة على ركبته مسندا بها ثقل رأسه وكتفيه المكدودتين . أما وجهه فوجه إنسـان متألم قد اعتاد الأوجاع والمرض ، وهـذه الأوجاع نعرفها من موميته على الرغم ممـا أصابها من العطب الذى تسبب عن سرقة قبره ونقل جثته من مكان إلى آخر . ولحسن الحـظ وجد رأسه سـليما . وقد أسفر الفحص الطبي الذى قام به « اليوت سمث » على أن هذا العاهل العظيم كان يشـكو آلاما قاسية بسبب (خراريج) فى أسنانه كما هى الحال فى مصر حتى الآن .

والواقع أن البذخ والترف وعيشة الاستهتار التى كانت تميز بها حياة هذا الفرعون وأفعاله ، والتى تنبئ عنها بقايا قصره فى مدينة « هابو » لأكبر دليـل على ما أصابه



(٨) أمنحتب الثالث فى أواخر أيامه

فى أواخر حياته من وهن الصحة وترهل فى الجسم على الرغم من صغر سنه وما كان ينتظر أن يتم على يديه فى مثل هذا الدور من حياته الذى يكون فيه الشخص قد نضج وتأهب لجليل الأعمال ، ولا سيما أنه كان فى أوّل حياته قد راض جسمه وقواه فى الطراد الذى كان يهواه ، ولكن كل ذلك لا يجدى نفعا مع رجل أرخى لنفسه العنان فى الملاذ والشهوات ؛ على أن مومية الفرعون « رعمسيس الثانى » تحدّثنا عن نفس القصة ، ولكنها لم تكن فى إسراف « أمنحتب » إذ قد عاش « رعمسيس » نصف قرن أكثر منه . ومع ذلك فإن الحالة التى وجدت عليها موميته من الوهن تنسب جلها للشيخوخة . ولا نكون مبالغين إذا قلنا أنه لم يبق لنا من الماضى صورة حية تدل على صاحبها فى صدق تعبير مثل صورة « أمنحتب الثالث » هذه .

الموظفون فى عهد «أمنحتب الثالث» والحياة الاجتماعية فى عصره

أمنحتب بن حبى (ويسمى كذلك حوى) : كان « أمنحتب بن حبى » المدير العظيم لبيت الفرعون ويعدّ من أكبر الشخصيات الذين خدموا الفرعون «أمنحتب الثانى» بل قد يعدّ أكبر شخصية بارزة فى عهد هذا الفرعون إذا استثنينا سميه «أمنحتب بن حبو» الذى سنعلم تاريخ حياته فيما بعد . ولم يكن «أمنحتب» هذا ينتسب إلى أسرة عريقة فى المجد ، وإن كان ابن عم الوزير «رع موسى» الذى سنتكلم عنه فى دوره وقد استطاع فى مدّة خدمته أن يجمع لنفسه وظائف عدّة فى الدولة ذات نفوذ عظيم وها هى ذى ألقابه ووظائفه مرتبة على حسب أنواعها :

(١) ألقاب الشرف التقليدية : الأمير الوراثى ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والسمير العظيم الحب ، والسمير الأكبر لرب الأرضين ، والمدير الملكى ، والقاضى (أو المبجل) .

(٢) ألقاب الكهانة : كاهن «ورت حقاو» ، والمشرف على الكهنة فى بيت سخمت ، ومدير أعياد «بتاح» القاطن جنوبى جداره وكل آلهة «منف» ، والكاهن « إمى ورت » .

(٣) ألقابه الهندسـية والإدارية : (راجع J. E. A. Vol. XXIV. P. 19, 20.) المشرف على الأعمال فى «خنمت بتاح»، ومدير الأعمال، والمشرف على مخزن الغلال المزدوج فى كل البـلاد قاطبة ، والمشرف على بيتى الذهب والفضة، والمشرف على كل صناع الملك .

(٤) ألقابه الكتابية : الكاتب، وكاتب المـلك ، وكاتب الملك الحقيق، ومحبوبه (راجع Davies, "The Tomb of Ramose",. Pls. IX, XI, XII, XIX.)، وكاتب الفرعون للجندين .

(٥) ألقابه بوصفه مدير البيت : مدير البيت، والمدير العظيم لبيت الملك، ومدير البيت « لمنف »، والمدير العظيم لبيت الفرعون فى « منف » .

نعوته : وقد كان « أمنحتب » ينعت بالنعوت التالية : موضع ثقة سيده ، ومن رقاه الملك، والمحبوب من رب الأرضين، ومن فى قلب حور فى بيته، وعينا ملك الوجه القبـلى، وأذنا ملك الوجه البحرى، والحـاكم الذى على رأس أشراف الفرعون، والرفيع المقام فى مكانته والمعظم فى وظيفته، والفم الذى يمنح الرضا فى مسكن الملك، والفم الذى يبعث الرضا فى كل الأرض قاطبة، ومن يمدحه «بتاح» كل يوم، والواحد الممدوح الذى خرج من الفرج ممدوحا، وصاحب الإله الطيب (Ibid Pls. IX, XI, XII, XIX.) وقد عثر لهذا الموظف العظيم على تمثال من الحجر الرملى وجده «بترى» فى منف وعليه نقش طريف يحدثنا عن تاريخ حياته (Petrie, "Tarkhan I, & "Memphis", V, Pls. LXXVIII – LXXX.) فيقـول : "إن هذا التمثال قد منح بمثابة حظوة من الملك ووضع فى بيت «نب ماعت رع» المسمى المتحد مع «بتاح» وهو الذى أقامه جلالته حديثا لوالده «بتاح» القاطن جنوبى جداره فى أراضيه المنزرعة غربى «حتكا بتاح» لأجل الأمير الوراثى، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى، ومحبوب رب الأرضين ، المعظم فى رتبته ، والسامى فى وظيفته ، والحاكم الذى رأس أشراف جلالته ، وعينا ملك الوجه القبلى، وأذنا ملك الوجه البحرى ... ... " والذى على علم بطريقة القصر، والفم الذى يمنح الرضا فى مسكن الفرعون ، وصاحب الكلام

السامى؟... ... وكاتب الفرعون الحقيقى، ومحبوبه « أمنحتب » يقول : إنى أتكلم إلى نخامتكم أنتم يا من ستأتون إلى الوجود يا رجال المستقبل الذين سيعيشون على الأرض، لقد خدمت الإله الطيب والأمير «المرح» (؟) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نب ماعت رع » عند ما كنت فتيا وليس لى قريب . وعند ما تقدّمت فى السن ... ... دخلت القصر عند ما كان فى سكنه الخاص حتى أرى «حور» فى بيته هذا، ومشى الأشراف خلفى (؟)، وقد منحنى امتيازات عطف وذلك بسبب أخلاقى السامية، ورقانى المدير العظيم للبيت، وكانت عصاى على رءوس القوم، وقد أصبحت ثريا بالعبيد والماشية والأملاك من كل شىء مما لا يحصى عدده، ولم يكن هناك ما أرغب فيه بفضل سيد الأرضين «حور خع — م — ماعت»...ولقد أقمت العدل من أجل « رع » لأنى عرفت أنه يعيش عليه ، وأنفت من قول الكذب ، ولقد رقانى لأقوم بالمبانى التى فى بيته ملايين السنين وهو الذى أقامه حديثا فى أراضيه المنزرعة غربى «حتكا — بتاح» (منف)، فى حى «عنخ تاوى»، ولقد كان والده « بتاح » الذى ... ... وانتظر؟ بمثابة أثر لوالده « بتاح » بعمل ممتاز أبدى بالحجر الجيرى الأبيض من « عيان » . ولقد كان جماله مثل أفق السماء، وكل أبوابه كانت من خشب الأرز المجلوب من المرتفعات (أى لبنان) من خيرة « جاو » وغشى بالذهب النضار المجلوب من الصحراء ، وبكل أنواع الأحجار الثمينة . وكانت قاعاته وأبوابه من ... ... عظيم ... ... عمل خالد بمثابة قطعة حصينة ، أما بحيرته فقد حفرت وغرست فيها الأشجار وصارت ساطعة بكل نوع من الأخشاب الثمينة المنتخبة من البلاد المقدّسة ، وقواعد أوانيه كانت من الفضة والذهب ... ... وكل أنواع الأحجار الصلبة . وبعد أن تم هذا البناء بصورة جميلة وقف جلالته قرابين جديدة مقدّسة تحتوى على هبات يومية لولده « بتاح » القاطن جنوبى جداره ولآلهة هذا البيت ، فقد كانوا يمدّون بالطعام الطيب إلى الأبد، وعين كهنة مطهرون وكهنة من أولاد حكام « إنبو » (منف) وخصصت حقول

وماشية وعمال ورعاة من غنائم جلالته التى رجع بها من كل أرض ، وقد شغل جلالته تماما كل وظائف هذا المعبد ، وكان جلالته هو الذى أنجزها على هذا الوجه كما تستحق عن طيب خاطر ؟ ... ... وقد جعل جلالته هذا البيت يقدّم لمعبد « بتاح » المؤن لكل تماثيله مثل بيوت ملك الوجه القبلى والوجه البحرى التى بجانب جلالته فى المدينة الجنوبية (طيبة) ، وقد كانت تحت مراقبة كل مدير بيت للفرعون ... ... خبزها أبدى . والآن تأمل لقد خصصت أملاكا من حقولى وعبيدى وماشيتى لأجل تمثال « نب ماعت رع » الذى يسمى ... ... وهو الذى أقامه جلالته لوالده بتاح فى هذا المحراب .

قائمة بذلك : عشرة ومائتا فدان ونصف أرورا . وفى الأقاليم الشمالية وعشرون ومائتا فدان من الحقول مما أعطيته حظوة من الملك فيكون المجموع ثلاثين وأربعمائة فدان ونصف فدان ، هذا فضلا عن ... ... عشرة ... ... ألف أوزة من التى تضع بيضا ، وألف خنزير[١] ، وألف خنزير صغير ، وقد مدحنى جلالته على ذلك كما كنت ممتازا فى قلبه ، ولقد رفعت إلى سنّ موقرة فى حظوة الملك وأسلمت هيكلى الجثمانى إلى التابوت بعد حياة طويلة ، وانضممت إلى قبرى فى الجبانة... ... وقد كان احترامى لدى رجال البلاط ، وحبى عند كل الناس ، وحظوتى كانت وطدت فى القصر .

وقد منحنى جلالته قربانا مقدّسا مما قدم أمام تمثاله الخاص بالحفلات فى بيته المسمى المتحد مع « بتاح » الذى أقامه فى أرضه المنزرعة غربى « حتكا بتاح » . وفضلا عن ذلك فإنه عند ما يشبع الإله نفسه بمأكولاته ، ويتسلم هذا التمثال كذلك وجباته ، تقدّم المؤن أمام خادمه المطيع هذا (أى نفسى) على يد الكاهن المرتل الذى فى بيته ، وعلى الكاهن المطهر اللبيب أن يقدّم قربانا ... ... (٢٧) ... ... على حسب الشعائر المتبعة خلال اليوم .

---

(١) دلت الكشوف الحديثة على أن الخنزير كان يقدّم فعلا قربانا إذ عثر على عظام خنزير فى حجرة دفن الملك زد كارع أحد ملوك الأسرة الخامسة (راجع Prof. A. Batrawi A. S. XLII. P. 104) .

قائمة بذلك : " فطائر بيت (المقدار المستعمل فى الطهو ثلاثون) عشرون فطيرة ، فطائر بيت (المقدار المستعمل فى الخبز أربعون وحدة) ثلاثون فطيرة ، وفطائر « بيت » (المقدار فى الخبز مائة) مائة فطيرة، وفطائر برسن (المقدار المستعمل فى الخبز أربعون) عشرون فطيرة وفطائر برش (المقدار المستعمل فى الخبز أربعون) ثلاثون فطيرة ، فيكون المجموع مائتى رغيف مختلفة . وجعة (المقدار الذى استعمل فى صنعها ثلاثون) عشرة أباريق، ومن الشحم إبريقان ؟ وساق واحدة من كل مقدّمة ثور يرد إلى هذا البيت ، و « هن » واحد من النبيذ ، ووطاب من اللبن ، وفطائر من الخبز الأبيض اثنان، وإوزة واحدة وخضر وست حزم ... ... وثلاث . وهكذا أقول : اصغوا أنتم يأيها الكهنة المطهرون والكهنة المرتلون والكهنة التابعون للعبد المسمى «المتحد مع بتاح»، وكل مدير بيت للفرعون سيعيش هنا فيما بعد فى « إنبوا » . لقد منحكم جلالته خبزا وجعة ولحما وفطائر وكل ما لذ وطاب لأجل أن تغذوا أنفسكم فى بيته المسمى «المتحد مع آمون» فى خلال كل يوم فلا تطمعوا فى مؤنتى التى قررها لى إلهى فضلا منه على فى قبرى . على أنى لم أذكر أكثر مما هو ملكى الخاص ، ولم أطلب أى شىء أكثر مما يجب ، وذلك لأنى لما تعاقدت على تخصيص هذا العقار بتمثال الفرعون الكائن فى هذا البيت (المعبد) فى مقابل منحى قربانا مقدّسا من تلك القرابين التى تمر بهذا التمثال المحفلى بعد أداء التضحية الخاصة بالشعيرة الدينية رغبة فى تسجيل مؤنتى للأجيال ، كنت رجلا عادلاً على الأرض يعرف إلهه، وأنه سيزيد فى جماله كما عاملت خدم بيته معاملة طيبة، ولم أقص رجلا عن مرتبه، ولم أغش إنسانا آخر فى ممتلكاته، ولم أغتصب أملاك آخرين بالخداع ، وكنت أمقت الغش وإنى أقول أيضا : إن كل مدير بيت للفرعون من الذين سيكونون فى منف، وكل كاتب وكل كاهن مرتل، وكل كاهن مطهر تابع لهذا المعبد ، والكهنة غير المحترفين فى كل المعبد ، وكل من سيكون فى هذا البيت إذا منعوا مؤنتى التى قررها لى « بتاح القاطن جنوبى جداره »

والإله الفاخر الذى يعيش على الصدق ، والذى سوى صورته بنفسه ، مما أعطانيه الملك «نب ماعت رع» لأجل أن أعمل قربانا لقبرى ، بسبب عظم حظوتى عنده (فإن مثل هذا الشخص) سيزوره غضبه ، وستنزع وظيفته أمام وجهه ، ويعطاها رجل يكون عدوا له ، وستغيب عنه قرينته (روحه) وسيسقط بيته على الأرض . أما كل مدير بيت للفرعون فى « انبوا » وكل كاتب ، وكل كاهن مرتل ، وكل كاهن مطهر لهذا المعبد ، والكهنة غير المحترفين فى كل المعبد ، وكل من يلوذ بهذا البيت ويمنح الكاهن المرتل الذى فى بيتى مؤنتى كل يوم ، فإن هذا الإله الفاخر سيمدحه ، وسيقضى حياته فى سلام وبدون شجار ، وسيرتفع إلى عمر موقر ، وتسلم وظيفته إلى أولاده بعد عمر طويل ، وستكون كل سنيه سعيدة بدون حزن ، وسيكون حسن السمعة بين الناس ، ولن يحيق به شر ، لأنى كنت عادلا ومنصفا على الأرض فقد أعطيت الجائع خبزا والعطشان ماء ، وعملت كل مايرضى الناس ويمدحه الإله » .

ومما سبق نعلم أن « أمنحتب » قد درج إلى أعلى الرتب بفضل مجهوداته وما امتاز به من الصفات العالية والخلق العظيم . فلم يرث وظائفه من والد صاحب ألقاب عظيمة أو عن أم لها نفوذ فى البلاط ، على أن مثل هذا النبوغ الشخصى كان من الأمور العادية فى مصر القديمة . ولا نزاع فى أن «أمنحتب» قد بدأ مجال حياته الحكومية كاتبا ، وقد كان هذا أول لقب حمله ، ولا بدّ أنه أظهر براعة فى هذه الوظيفة مما جعله يرقى إلى وظيفة « كاتب الملك » وهو لقب ظل يحمله حتى آخر حياته ، ثم رقى بعد ذلك إلى رتبة كاتب الملك الحقيقى (أى أنه كان أحد السكرتاريين الخصوصيين للفرعون « أمنحتب الثالث ») .

أما وظيفة « كاتب مجندى الفرعون » فقد كانت اختصاصاتها إطعام الجنود والعمال وكسوتهم وتفقد أحوالهم العامة . ونحن بدورنا نعلم أن وظيفة الكاتب لم تكن قاصرة على المهارة فى الكتابة وحدها بل كان لا بدّ للكاتب من أن يكون قديرا

فى الحساب وحل المسائل الرياضية والميكانيكا المعقدة ، وكذلك وضع التصميمات الخاصة بالمشاريع العظيمة البنائية (راجع Papyrus Anastasi I & M. M. A. 18, Oct. Part. II. P. 6.) فليس من المستغرب إذا أن يكون « أمنحتب » فى أول حياته الحكومية قد أضاف إلى وظائفه أعمال المدير العظيم لبيت الفرعون، ورئيس الخزانة ومهندس البناء، وقد وصل إلى قمة مجده بتوليه وظيفة المدير العظيم لبيت الفرعون فى « منف »؛ إذ قد وصل بها إلى درجة عظيمة من الثراء والغنى والجاه مما لم يصله أحد فى جميع البلاد قاطبة إذا استثنينا سميه « أمنحتب بن حبو » الذى سنوفيه حقه فى حينه .

أما مهام وظيفة رئيس الخزانة فكانت ثانوية بالنسبة لمهام المدير العظيم لبيت الفرعون، وأما لقب حامل خاتم ملك الوجه البحرى فكان لقب شرف وحسب ، وكان يحمله كل موظف من أصحاب الشهرة العظيمة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، ومن الأفراد الذين كان يكل إليهم الفرعون القيام ببعوث إلى البلاد الأجنبية. وماقام به «أمنحتب» بوصفه مهندس بناء ظاهر لا يحتاج إلى إيضاح كثير، إذ أنه بوصفه مدير الأعمال ، والمشرف على المبانى فى «خنمت بتاح» قد أقام معبد « أمنحتب الثالث » فى « منف » ويجوز أنه كذلك قام بالإضافات التى عملها هذا الفرعون فى «معبد العرابة». وعلى الرغم من أن هذا المعبد لم يكن من الفخامة والعظمة بحيث يضارع المعبد الذى أقامه « أمنحتب بن حبو » فى « طيبة » الا أن ذلك لا يمنع من أن يكون على جانب عظيم من الأهمية والفخامة .

ولقد اشترك « أمنحتب بن حى » بوصفه مواطنا منفيا فى الحياة الدينية الخاصة بمسقط رأسه، لذلك نجده كان يشغل وظيفة المشرف على كهنة الإلهة « سخمت » وهى زوج الإلهة « بتاح » وأم الإلهة « نفرتم » وهؤلاء يكونون ثالوث « منف » وقد كان كاهنا لإلهة أخرى برأس لبؤة وهى الإلهة المحلية «ورت حقاو » والظاهر أنه كذلك كان يشرف على كل الأعياد الدينية فى «منف»

وبخاصة أعياد الإله « بتاح » أعظم آلهة هذه الجهة ، ومن الجائز أن تكون الألقاب الدينية التي حملها ألقاب شرف في معظم الحالات ، وقد أخبرنا «أمنحتب» هذا أنه كان يختلف على القصر ، وأنه كان على أحسن ما يكون مع الفرعون من الود والحظوة ، وليس من الصعب تصديق هذا ، فقد كانت الصداقة التي بين الفرعون والرجل الذي ينهض بأعباء شئونه الخاصة ظاهرة بما كان بينهما من المنفعة المشتركة التي أحكمت أواصرها كتابة فيما يتعلق بالقربان الذي كان يقدم لتمثال كل منهما ، على أن هذا العمل لم يكن اغتصاب متاع من جهة الفرعون ، ومن جهة أخرى لم تكن هبة للفرعون من قبل مدير البيت بل كان مجرد تبادل منفعة كما يحدث بين ندين ، قامت على مبدأ قيمة دفعت مقابل قيمة تسلمت ؛ إذ أن مجرد قدرة «أمنحتب» على تخصيص ثلاثين وأربعمائة أرورا من الأرض للصرف منها للمحافظة على تمثال لدليل قاطع على مقدار ما كان عليه هذا الرأسمالي من الغنى الفاحش .

والواقع أن «أمنحتب» كان من أول أمره حتى نهاية المطاف موظفا منفيا . وتدل ظواهر الأمور كلها على أنه تلقن تعليمه الأول في « منف » ، ونال أعلى وظائفه هناك ، وأخيرا دفن في تربتها ، وقد كان شعوره وعاطفته الدينية مع آلهة الوجه البحري ، وبخاصة آلهة « منف » ولا أدل على ذلك من أن الإله « آمون » والآلهة الطيبين لم يذكروا على آثاره ، (ومن المحتمل أنه سمى « أمنحتب » تبركا باسم الفرعون « أمنحتب الثاني » الذي ولد في عهده لا من أجل الإله « آمون » وقد كانت زوجة « مرى » مغنية الإله « آمون » مما يدل على أنها كانت طيبية الأصل غير أن في ذلك شكا كبيرا) . وعلى الرغم من أن نشاط « أمنحتب » كان معظمه منحصرا في « منف » لا يصح أن نعده مجرد موظف إقليمي لا مكانة له في المجتمع المصري الراقي . إذ أنه مع ارتفاع « طيبة » إلى منزلة عاصمة الامبراطورية ، فإن « منف » قد ظلت أكبر مدينة ، ومن وجوه كثيرة أهم مدينة

فى مصر، يضاف إلى ذلك أن «منف» بما منحتها الطبيعة من جوّ لطيف ومركز وسط بالنسبة للامبراطورية المصرية ، كان فراعنة الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة يفضلون الإقامة فيها معظم وقتهم أكثر من مكثهم فى «طيبة» عاصمة البلاد السياسية والدينية . ومع أن « أمنحتب » قد بدأ حياته رجلا من عامة الشعب ثم دخل فى خدمة الفرعون كما يقول هو من غير قرابة ، أى دون أن يكون رجلا من أسرة غنية وعريقة فى الجاه لتساعده ، فإنه قد تسنم قمة المجد والقوة والنفوذ حتى أنه عند وفاته كان فى مقدور ابنه « إبى » أن يحتل مكانته التى أصبحت خالية بموته . وهذا دليل ناطق أمامنا على أنه كان من المستطاع لأسرة مصرية أن ترتفع فى جيل واحد من الحضيض إلى مكانة علية تهيئ لأفرادها أن يشغلوا أعظم مناصب الدولة . ولما كانت الارستقراطية الوراثية غير معروفة فى العادة فى مصر فى ذلك العصر، فلا بدّ أن « إبى » كان رجلا من أصحاب الكفايات العظيمة والمهارة الفائقة .

ولدينا عدد عظيم جدا من آثار « أمنحتب » باق حتى الآن مما يدعو للدهشة وهى : (١) قبره الذى أقامه لنفسه فى « منف » ، والظاهر أنه كان بالقرب من المقبرة التى أقامها « حور محب » القائد العظيم والملك فيما بعد ، أى بالقرب من رأس الجسر « بسقاره » ، وذلك لوجود قطع منقوشة من هذا القبر فى هذه الجهة (راجع J. E. A. Vol. XXIV. P. 18.) ومعظم الآثار التى سنذكرها هنا مستخرجة من هذا القبر .

(٢) محبرة كتابة نموذجية من المرمر موجودة الآن بمتحف « اللوفر » (Boreux “Guide Louvre” I. P. 66.) .

(٣) محبرة أخرى نموذجية من المرمر بمتحف « متروبوليتان » (Hayes, J.E.A.Ibid. P. 16.) .

(٤) محبرة أخرى نموذجية من المرمر بمتحف «فلورنس» (A. Z. Vol. XLIV. P. 89.) .

(٥) قضيب مكعب فى متحف «فلورنس» (راجع J. E. A. Vol. II, P. 139.)

(٦) لوحة من الحجر الجيرى الأبيض بمتحف « فلورنس » (Rec-Trav. II, P. 124-5.) .

(٧) هرم صغير من الجرانيت الرمادى بمتحف «فلورنس» (Schiaparelli "Cat. Florence" P. 89.) .

(٨) إناءان منقوشان من المرمر بمتحف « فلورنس » (A. Z. Vol. 44. P. 89.) .

(٩) هرم صغير من الجرانيت الأحمر فى متحف «ليدن» (راجع Ibid.) .

(١٠) صندوق أوانى أحشاء بمتحف « ليدن » (راجع Ibid.) .

(١١) رجل كرسى من الخشب بمتحف « ليدن » (راجع Ibid.) .

(١٢) لوحة من الحجر الرملى (كوارتسيت) بمتحف القاهرة (Quibell, "The Monastery of Apa Jeremias", P. 6, 146. Pl. LXXV) .

(١٣) تمثال من (الكوارتسيت) من « منف » وهو الآن بمتحف «اشموليان» بأكسفورد (راجع Petrie, "Tarkhan I. & Memphis", V, P. 33-36. Pls. LXXVII-LXXX.) .

(١٤) تمثال من الجرانيت بالمتحف البريطانى الآن (Budge, "Guide to Sculpture", P. 127. No. 448.Pl. XVII.) .

أمنحتب سورر : كان « أمنحتب » هذا يحمل اسم « سورر » أيضاً ، وهو من كبار موظفى الفرعون « أمنحتب الثالث » إذ كان يحمل الألقاب التالية : "الأمير الوراثى وكاهن الفرعون ، « عنق » وحامل المروحة على يمين الفرعون ، والكاتب الملكى والحاكم ، والسمير الوحيد الذى يقترب من سيده (أى المقرب) وحارس خطوات رب الأرضين ، والمدير الملكى ، والأمير على خبز قاعة القربان والمدير العظيم لبيت الفرعون" ("Excavations at Giza ; V. P. 94 ff.) ، وقد نحت

أمنحتب قبره بالخوخة (رقم ٤٨)" ويحتوى على بعض مناظر Porter & Moss)
"Bibliography",I, P. 79.) طريفة يظهر فى واحد منها صاحب المقبرة فى وظيفته
" حامل المروحة على يمين الفرعون ، فى حين نجد الفرعون نفسه يؤدّى شعائر عيد
الحصاد الذى تكلمنا عنه فيما سلف كذلك نشاهد الإلهة «رنوتت» ترضع إله الحب
« نبرى » ويتعبد لكليهما « أمنحتب الثالث » (Davies, M. M. A, (1929).
(P. 48, fig 8.& Wilkinson. MSS. V. P. 126.)" .

غير أن قبر هذا العظيم قد فتك به شيعة « اخناتون » فتكا ذريعا إذ هشموا جزءا كبيرا من نقوش الجدارن ، ومما يلفت النظر أن شيعة «اخناتون» ، قد محوا نقشا بأكمله إلا علامة الأفق — فإنها تركت أينما وجدت ، وذلك لوجود رمز الشمس فيها . وقد ترك لقب الفرعون « نب ماعت رع » دون أن يمس بسوء، أما اسمه الذى يحوى كلمة « آمون (أمنحتب) » ، فقد محى .

«خيروف» : كان «خيروف» من أكابر موظفى الدولة فى عهد «أمنحتب الثالث » ويقع قبره فى « العساسيف » رقم (١٩٢) ، وقد كشف عنه الدكتور أحمد فخرى حديثا بعد أن ظل موقعه مجهولا بعد كشفه الأول . وقد وجد فيه مناظر جديدة لم تكن معروفة من قبل كما ذكرنا آنفا .

والظاهر أن « خيروف » كان من أنصار المذهب الدينى القديم فلم يقبل أن ينضم إلى ديانة « اخناتون » وعصبيته ، ويحتمل أن هذا هو السبب الذى من أجله قد محيت صورته ، وكذلك كل المتون التى تشير إلى نشاطه ، ويحتمل أن يكون الداعى لذلك أسباب أخرى غابت عنا . وعلى أية حال فإن أهم منظر كشف عنه الدكتور أحمد فخرى هو منظر عيد «سد» الذى يعدّ من أهم الكشوف التى أماطت لنا اللثام بعض الشئ عن ماهية هذا العيد ، وقد تكلمنا عنه فيما سبق، وقد بقى علينا هنا أن نعدّد ألقابه ووظائفه وهى « الأمير الوراثى » ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والسمير العظيم الحب ، ومدير بيت

الزوجة الملكية العظيمة « تى »، والمشرف على الخزانة، وحاجب الفرعون الأول، ورئيس أسرار بيت الملك، والقاضى الذى فى مقدمة رجال البلاط، والحاكم الذى فى مقدمة المواطنين، وعظيم العظماء، وعظيم السمار، ومدير بيت الزوجة الملكية فى بيت « آمون »، وكاتب الفرعون الحقيقى، والوحيد المتكلم عن المواطنين .

وقد عثر على قاعدة تمثال لرجل يدعى «خيروف» نقش عليها الألقاب : كاتب الملك ، وكاتب الملك الحقيقى ، ومحبوبه ، ومدير البيت ، ومدير القصر (راجع Naville, "Bubastis", P. 33. Pl. XXXV, H.) .

وكذلك يوجد نقش على صخور « أسوان » يظهر عليه كاتب الملك، ومدير البيت « خيروف » يتعبد للإله « رع حور اختى » وهو يشاطر هذا الأثر مدير الخزانة ، والمشرف على كتاب الملك رب الأرضين المسمى « سرمس » وهذا الذى أصبح فيما بعد نائب الملك فى بلاد النوبة ، De Morgan, "Cat. Mon". P. 39. No. 177.) ومن المحتمل أن هذه النقوش كانت من آثار « خيروف » نقشها قبل أن يقوم ببناء قبره (رقم ١٩٢) (راجع Ibid. P. 44, No. 4.) .

«تحتمس الوزير» : كان «تحتمس» هذا على مايظهر وزيرا لمصر فى الوجه البحرى أوائل حكم « أمنحتب الثالث » (Anthes, A. Z. (1936) P. 60 - 68.) وألقابه هى : " الوزير، وعمدة المدينة، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، وسمير الملك، والذى يقترب من الإله نفسه، وفم «نخن»وكاهن«ماعت» ،ومن منح ذهب الاستحقاق ورئيس القضاة، والوزير، والذى فى المكان المقدس فى القصر الفرعونى (له الحياة والسعادة والصحة) " .

والآثار التى عرفت لهذا الوزير حتى الآن هى لوحة فى « ليدن » (U. 14.) وأخرى فى « فلورنس » (رقم ٢٥٦٥) ومحبرة نموذجية فى متحف « برلين » (راجع Weil, "Viziere", P. 81.) .

« بتاح مس » بن الوزير « تحتمس » : كان « بتاح مس » بن الوزير تحتمس من أعظم موظفى الدولة فى «منف» ، إذ كان يشغل منصب الكاهن الأكبر للإله «بتاح» . وفى باكورة حكم « أمنحتب الثالث » كان يحمل الألقاب التالية : "الأمير الوراثى ، ووالد الإله ، ومحبوب الإله ، ورئيس أسرار العرش العظيم ، والكاهن «سم» والمدير العظيم للصناع (لقب الكاهن الأكبر للإله بتاح)". وفى السنة العشرين من حكم هذا الفرعون نجد أن «بتاح مس» يحمل لقب المشرف على كهنة الوجهين القبلى والبحرى « أى بمثابة وزير الأمور الدينية » ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير الوحيد . وقد جاء ذكره على أثرين لوالده المسمى « تحتمس » الموجودين الآن فى متحف « فلورنس » ومتحف «ليدن» (راجع Leemans, "Agyptische Monuments", II. P. 248. No. 635.) .

« مرى بتاح » : وهو ابن الوزير « تحتمس » وأخو الكاهن الأكبر للإله « بتاح » المسمى «بتاح مس» السالف الذكر ونعرف «مرى تاح» هذا من آثار والده ، ويحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى ، والسمير الوحيد الحب ، ومدير بيت « أمنحتب الثالث » وعينا ملك الوجه القبلى وأذنا ملك الوجه البحرى (راجع Weil, Ibid. P. 81) .

«بتاح مس» بن الكاهن الأكبر «منخبر» : كان «بتاح مس» هذا الكاهن الأكبر فى « منف » فى السنة الثلاثين من حكم الفرعون « أمنحتب الثالث » وكان ابن الكاهن الأكبر المسمى « منخبر » وألقابه هى : " الأمير الوراثى ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والكاهن «سم» ، والمدير العظيم للصناع ، ووالد الإله ، ومحبوب الإله ، ورئيس أسرار معبد « حتكا بتاح » (منف)" (راجع Schiaparelli, "Cat. Florence". No. 1505.) وقد خلفه ابنه « با — حم — نتر » كاهنا أعظم للإله « بتاح » رب « منف » فى نهاية حكم « أمنحتب الثالث » (راجع Anthes, A. Z. (1936). P. 60-86) ،

«بتاح مس» الوزير والكاهن الأكبر : كان « بتـاح مس » يحمل لقب وزير الوجه القبلي في أوائل حكم « أمنحتب الثالث » ؛ أما ألقابه فقد عرفت من لوحة له موجودة الآن بمتحف «ليون» (B. I. F. A. O. Tome. XXX, PP. 499 ff.) وهي : " الأمير الوراثي ، وحامل خاتم ملك الوجه البحري ، والكاهن الأول للإله « آمون » وعمـدة المدينة الجنوبية « طيبة » والوزير في المدينة الجنوبية ، ووزير كل أعمال الملك " .

وفي السنة العاشرة من حكم هذا الفرعون كان يحمل الألقاب والوظائف التالية : " الأمير الوراثي ، ووالد الإله ، ومحبوب الإله ، وعمدة المدينة ، والوزير ، والمشرف على كهنة الوجهين القبـلي والبحري (وزير الشئون الدينيـة) ، وحامل خاتم ملك الوجه البحري ، والكاهن الأول للإله «آمون» Mariette, "Catalogue d'Abydos). (No. 408.

« أمنحتب » الوزير : كان « أمنحتب » هذا وزيرا للفرعون « أمنحتب الثالث» من السنة الواحدة والثلاثين إلى السنة الخامسة والثلاثين ، ولا نعرف أخباره إلا من عدة آثار صغيرة وهي : قاعدة تمثال ، ولوحة ، ثم محراب (Weil, Ibid. P, 85.) . ولوحة محفوظة الآن بالمتحف البريطاني (A. Z, XIII. P. 124.) ، وتمثالان من « تل بسطة » (Naville, "Bubastis", Pl. XXXV, 6. & Rec. Trav. XXVI.P.83.) ومنها نستخلص ألقابه التالية : " القاضي في بيت الفرعون ، ورئيس الأرض قاطبة ، والأمير الوراثي ، والسمير الوحيد ، وحامل خاتم ملك الوجه البحري ، وعينا الملك في الأرض كلها ، والمقرب من « حور » في بيتـه ، ومدير الأعمال ... ... وحارس خطوات رب الأرضين ، والعظيم في بيت الملك ، والفم الوحيد الذي يهدئ الشر بكلامه (؟) ، والمشرف على المدينة (عمدة) والوزير ، وحاكم « نخن » ومهدئ الخطوات في المكان المقدس (احتراما له) والسمير الوحيد ، محبوب سيده ومدير كل أعمـال الفرعون في مقـاطعات أرض المـراعي في الشمال Weil. Ibid. PP. 85, 86; "Naville, Ibid. P. 32. .

«رع موسى» : يدل ما لدينـا من النقوش على أن « رع موسى » قد خلف « أمنحتب » على كرسى الوزارة، ويحتمل أنه كان يشـغل هذه الوظيفة فى عهـد اشتراك « إخناتون » فى الحكم مع والده « أمنحتب الثالث » ، وليس لدينا دليـل مادى يؤكد هذا الزعم، وعلى أية حال فلم يكن «رع موسى» معارضا لحركة الانقلاب الدينى التى قام بها « إخناتون » لأنه لو كان ضدها لمحـا اسمه من قـبره كغيره من أعداء الانقلاب .

وقد كان والد « رع موسى » المسمى « نبى » يشغل بعض الوظائف العاليـة فى الدلتـا ، وأمه « إبويا » كانت تلقب « محبوبة حتحور » وكذلك كان قريب « أمنحتب » المدير العظيم لبيت الفرعون فى « منف » ويحتمل أنه ابن عمه ، ومن الجائز جدا أنه كان بينه وبين « أمنحتب » بن « حبو » صلة قرابة (راجع Davies ("The Tomb of Ramose", P. 2. .

وألقاب « رع موسى » هى :

ألقاب الشرف : الأمير الوراثى، ووالد الإله ، ومحبـوب الإله ، والسـمير الوحيد ، والسمير العظيم الحب ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى .

الألقاب الادارية : حاكم المدينة (العمدة) والوزير، والمشرف على الوثائق ، ومدير أعمال الآثار العظيمة ، ومدير الوجه القبلى والوجه البحرى ، والفم الذى يهدئ كل الأرض ، ورئيس الأرض كلها (وكيل الملك) .

الألقاب القضائية : رئيس القضاة ، وفم «نخن» وحارس «نخن» ، وكاهن « ماعت » ، والقاضى للفصل فى المعاملات ، وموزع العدالة ، وموزع العدالة يوميا ومقدمها لقصر سيدها ، ومن يحكم بالعدل ويمقت الظلم .

القاب الكهانة : المشرف على كهنة الوجهين القبلى والبحرى ، والمشرف على كل معابد الوجه القبلى والوجه البحرى ، وأعظم الرائين ورئيس أسرار الكلمات

المقدسة (أو المشرف على الكتابة المقدسة) ، ومدير القربان المقدسه ، ورئيس أسرار الإلهتين ؛ والعارف بأسرار العالم السفلى ، ومن يدخل فى أسرار السماء والأرض ، والكاهن سم ، ومدير الموظفين كلهم .

علاقة « رع موسى » بالفرعون : الذى يقترب من سيده، وعينا حور فى بيته ، والذى ينفذ مبانيه بجدارة ، ومن له ثقة رب الأرضين التامة ، ورئيس أسرار بيت الملك ، والمتمكن فى حظوته مع سيد الأرضين ، ومن يحبه رب الأرضين لفضائله ، والممدوح من الإله الطيب ، ومن يدخل القصر ويخرج منه وهو فى حظوة .

علاقته بالموظفين : الذى يقدم القواعد المرشدة لرجال البلاط ، وعظيم العظماء وقائد السمار .

علاقته بالشعب : ومن يرتاح الناس بما يخرج من فمه ، ومن يتكلم المواطنون عنه ، ومن يرضى قلب رجال الدين (؟) (سكان عين شمس) ، والشريف أو الموظف الذى على رأس المواطنين ، ومن يبحث عن أحوال البلاد .

وقد نحت قبر « رع موسى » فى صخور جبانة « شيخ عبد القرنة » ويحمل رقم (٥٥) ، ويعد من المقابر العظيمة المهيبة المنظر ، وبخاصة من الوجهة الهندسية . وعلى أية حال فإن معظم مناظره ليس فيها مايدعو للإعجاب أو الروعة ، وذلك لأن المناظر القليلة التى نقشت على جدرانه ، على الرغم من قيمتها الفنية العظيمة ، وبقائها محفوظة حتى الآن فإن جلها خاص بمكانة « رع موسى » الاجتماعية ونفوذه ، ولذلك جاءت خلوا من كل ما كان ينتظر من وزير أن يمثله لنا على جدران قبره ، فقد كان يعد حاميا للعدالة ، وساهرا على مصالح القوم ، كما نشاهد ذلك فى قبر الوزير « رخ مى رع » أو قبر الوزير « وسر » .

على أن أهم ما يلحظ فى قبر « رع موسى » هو التغير المفاجئ فى أسلوب الفن . والظاهر أن بناء هذا القبر قد بدأ فى أواخر عهد «أمنحتب الثالث» ، وتدل معظم

الزينة التى فيه على أنها كانت من أحسن ما أخرجه الطراز التقليدى، غير أنه قد لوحظ قبل الانتهاء منه أن « أخناتون » قـد اعتلى عرش الملك، إذ نرى منظرا يظهر فيه الملك الفتى « أخناتون » أو « أمنحتب الرابع » كما كان معروفا فى تلك الفترة جالسا تحت مظلة ومعه إلهة العدل « ماعت »؛ ويلحظ أن طراز الرسم والنقش كان هو الطراز التقليدى، وليس فيـه شىء من الشذوذ الذى نراه فى طراز « تل العمارنة »، ولكن يظهر أن الأجزاء الداخليـة جدا فى المقبرة لم تكن قد تمت بعـد عند ما بدأ « أمنحتب الرابع » يفرض على المفتنين طرازه الجديد فى الفن، والتخلى عن القواعد الفنية القديمة التقليـدية، ولذلك نشاهد « رع موسى » يأمر برسم منظر كبير وفق طراز الفن الجديد، فيظهر فيه « أخناتون » وزوجه « نفرتيتى » يطلان من نافذة الظهور (الشرفة) (Davies, Ibid. Pl. XXXIII.)؛ وقد أحضرا أمامهما وفودا من سفراء البلاد الأجنبية، وصف هؤلاء فى صف واحد : وأربعة من العبيد، وثلاثة من الساميين، ولوبى . والمدهش أن هؤلاء الوفود قد أتوا فارغى الأيدى لا يحملون أية هدية خلافا للمعتاد، أما المصريون فنشاهدهم منحنين بخشوع أمام الملك والملكة، فى حين أن الأجانب كانوا معتـدلين فى وقفتهم، رافعين أيديهم فقـط علامة على التعبد. وفى جزء آخر من هذا المنظر نشاهد « رع موسى » محملا بالإنعامات من الذهب، ومستعرضا ما ناله من حظ وفير لأصدقائه المعجبين (راجع Ibid. XXXIV, XXXV.) على أن مثل هذا المنظر قد استعمل مرارا حتى أصبحت تسأمه العين، وتمله النفس فى مقابر موظفى عهد « أخناتون » كما سنشاهد ذلك فيما بعد .

وعلى أية حال فإن معظم المناظر التى صورت على حسب الطراز الجديد كان قـد وضع تصميمها بالمداد وحسب، وقبل أن يتم نحتها كلها تركت وهجرت المقبرة كلية ، وقـد يعزى السبب فى ذلك إلى أن « رع موسى » ترك « طيبة » وتبـع سيده إلى « تل العمارنة »، هـذا على الرغم من أنه ليس لدينا أى أثر لأسرته أو له فى العاصمة الجديدة .

وعلى الرغم من ذلك نجد أن قبر «رع موسى» قد اقتحمته شيعة «إخناتون» ومحوا اسم «آمون» غير أن صور «رع موسى» لم تمس بسوء . وعندما أعيدت عبادة «آمون» ثانية نشاهد أن اسم هذا الإله قد أعيد فى كل مكان فى القبر كما كان من قبل، كما أن اسم «إخناتون» وصوره، و«نفرتيتى» وأشكالها قد محيت، لأنهما قد فقدا مكانتهما وحقهما الشرعى فى تولى عرش البلاد . وهنا نجد ثانية أن صور «رع موسى» لم يصبها أى أذى مما يدل على أنه قد أفلح فى عدم إغضاب شيعة «إخناتون» وأتباع «آمون» على السواء، ولكن الأثرى «ديفز» يظن أنه فى الحالة الأخيرة ربما تركت صوره بسبب علاقاته الأسرية، أو لأنه قد مات قبل أن يطوّح بنفسه بين أحضان الذين أساءوا إلى «طيبة» وإلهها. وقد جاء ذكر «رع موسى» على آثار أخرى غير قبره ففى معبد «صولب» نراه مع وزير آخر (محى اسمه) يتقدمان الفرعون «أمنحتب الثالث» إلى مدخل المعبد (L. D. III, Pl.83.) كما نشاهده فى نقش على صخر فى «سهل» يتعبد للإلهة «عنقت» وإلى طغراء «أمنحتب الثالث» (De Morgan, "Cat. Mon." P. 90. No. 79.) وله غير ألقابه العادية التى ذكرناها لقب (عينا الملك فى الأرض كلها) .

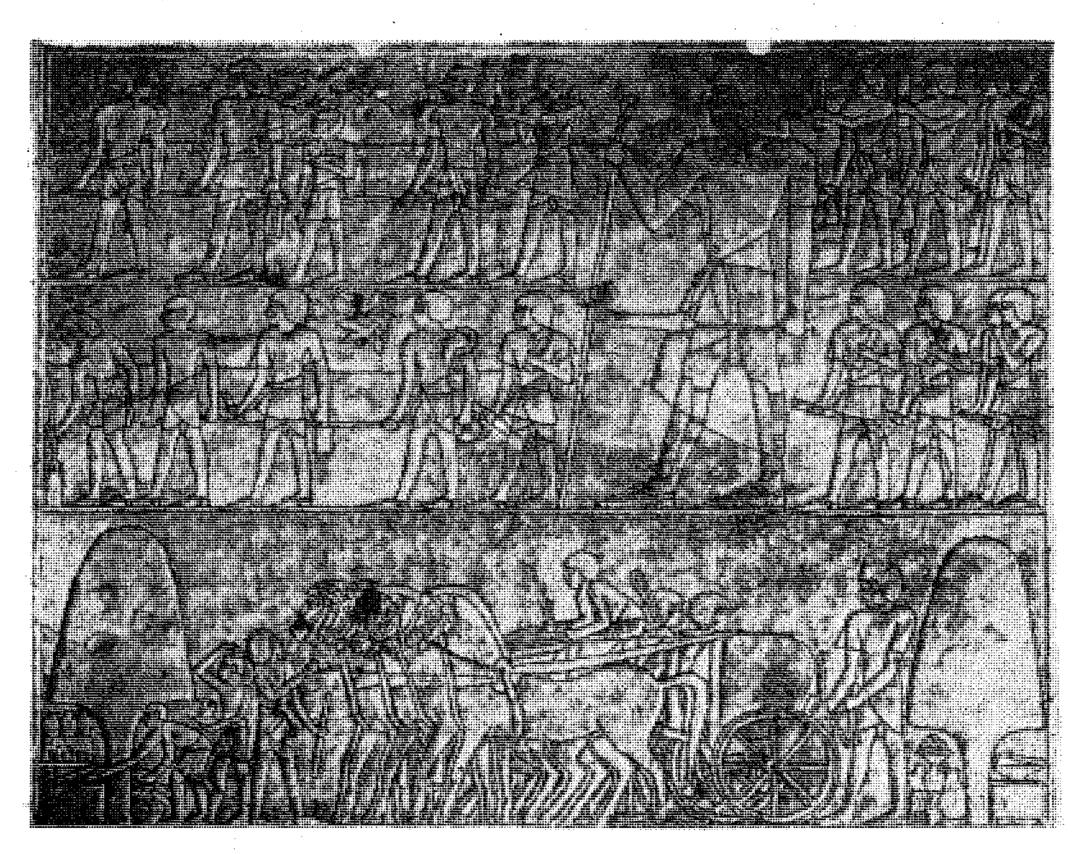
«خع امحات» : كانت أهم الوظائف التى يقوم بأعبائها «خع أم حات» هى الإشراف على خزائن الأرض أو بعبارة أخرى كان فى يده أقوات البلاد، ومن أجل هذا كان يشغل الوظائف التالية : المشرف على مخازن الحبوب لسيد الأرضين، والمشرف على مخازن الحبوب فى الوجه القبلى والوجه البحرى، والأمير الوراثى، وعينا ملك الوجه القبلى فى مدن الجنوب، وأذناه فى أقاليم الوجه البحرى جميعها، والممدوح من الإله الطيب «أنوبيس»، ومدير أعياد «أوزير»، والقائم على بيت التحنيط، ورئيس صندوق «أنوبيس» (Loret, "La Tomb de Kha. m. ha" P. 115-124; Wreszinski, "Atlas" Pl. 203 & 190.) .

وقد نحت «خع أم حات» مقبرته فى جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ٥٧)، وتعد من أعظم المقابر التى أقيمت فى هذه الجبانة من حيث الفخامة فى النقش ، والإبداع فى التصوير ، والواقع أن النقوش التى على جدرانه قد تفوق نقوش مقبرة الوزير « رع موسى » فى دقة خطوطها وحسن إبرازها ، إذ نلاحظ فى المناظر التى على جدران المقبرة أن المفتن لم يستعمل فى إبرازها ذلك الطراز المبالغ فيه الذى كان متبعا فى عهد العمارنة ، ومع ذلك فإننا نشاهد فيها تلك الليونة والرشاقة فى تخطيطها الأخاذ ، وفى منظر تلك الظهور المحنية التى تمثل رجال البلاط يقدمون خشوعهم وإجلالهم للفرعون فى وضع طبعى لا تمجه العين إذا ما قيس بتلك الصور المبالغ فى إبراز أجزائها ، وكان ذلك أهم ما يصبو إليه مفتن عهد العمارنة .

ولا نعجب إذا رأينا قبر « خع أم حات » قد زين جزء من جدرانه ببعض المناظر التى تمثل لنا مهام وظيفته الكبرى ، وهى الإشراف على مخازن غلال الدولة ، فقد صوّر لنا المفتن على الجدران مراحل محصول القمح من أول حرث الأرض حتى إقامة شعائر الاحتفال بخزن الحبوب وتقديم القربان للإلهة « رنوتت » إلهة الحصاد ، وقد مثلت هنا فى صورة امرأة برأس ثعبان ، وهى ترضع ابنها إله الحصاد « نبرى » (Wreszinski, Ibid. Pl. 198.) .

وأهم ما يسترعى الأبصار هنا حادثة خاصة بمسح الأرض القائمة فيها سيقان القمح ، إذ نشاهد أمام الموظفين الذين يحملون حبل القياس ، ومن فى صحبتهم من الكتبة رجلا قد قوّسته السنون ، وجعدت سحنته الشيخوخة ماشيا وبيده عصا (صولجان واس) وكان يضرب بها ضربا خفيفا على لوحة صغيرة نصبت فى الأرض عند حدود حقل القمح (Wreszinski, ibid, Pls. 189, 191.) على أن هذا المنظر ليس فريدا فى بابه إذ نجده ممثلا فى منظر مسح الأرض ، وأهمها على قطعة حجر من منظر ملون وجد فى مقبرة « بطيبة » وهى الآن بالمتحف البريطانى (Budge, "Wall Decorations of Egyptian Tombs Illustrated

from Examples in the British Museum London", Pl. 7.) إذ نجد على هذه القطعة متنا يخبرنا أن هذا الرجل المسنّ الذى يحمل العصا (صولجان واس) يحلف بالإله الأعظم الذى فى السماء أن لوحة الحدود (أو الشاهد) قائمة فى مكانها ، ويدل اليمين الذى حلفه ، والصولجان الذى فى يده على أنه موظف معين من قبل مصلحة المساحة ليراجع أعمال المساحين (وما أشبه البارحة باليوم ، فلعمر الحق هذا هو نفس مايحدث فى أيامنا) ؛ ومن المحتمل أنه يحمل هذا الصولجان فى يده فى هذه المناسبات بمثابة رمز لتأدية مأموريه ، أما اللوحة فكانت لفصل حدود حقل عن حقل ، أو بعبارة أخرى كانت توضع تأمينا لفصل أملاك الأفراد بعضها عن بعض ،



(٩) خع محات يشرف على حقله

ولعدم التعدى ، وقد كانت أمثال هذه اللوحة تختم وتسجل فى مصلحة المساحة كما تحدثنا عن ذلك صراحة فى نقوش الوزير « رخ مى رع » ، وذلك عندما كان يعدد لنا فى قائمة واجباته اليومية ، وعندما يأتى متظلم ويقول : إن لوحة حدودنا قد زحزحت فلا بد أن يفحص ما قد دون بخاتم الموظف المسئول ، وعلى ذلك يعاد إليه ما اغتصب منه بيد اللجنة التى زحزحت لوحته . على أن مثل هذا التسجيل كان ضروريا للفصل فى المنازعات التى كانت تقوم بسبب زحزحة الحدود إما بسبب الفيضان أو بسبب استعمال السلطة أو بتعدى الجيران لزيادة أملاكهم . والواقع أن تعدّى الجيران على الحدود كان بلا نزاع من الأمور الشائعة لأننا نقرأ فى تحذيرات الحكيم «أمنحتب بن كانخت» : لا تزحزحن حجر حدود حقل القمح ، ولا تغيرن موضع حبل القياس (راجع .J. E. A. Vol. XII. P. 204) ، ولا يمكن للباحث عندما يشاهد مناظر هذا القبر البديعة الصنع إلا أن يدهش منها لما تدل عليه من الثراء والنعيم الذى كانت ترتع فى بحبوحته البلاد . فنرى صاحب المقبرة مرتديا أفخر الملابس عند ما كان يقوم بتقديم القربان ، فكان يرتدى ثوبا منمقا وحليا ثمينة ، وعلى رأسه شعر مستعار ، صف ثلاث طبقات بعضها فوق بعض مجعدة تجعيدا دقيقا أنيقا ، غير أنه كان عارى القدمين ، وقد يكون ذلك راجعا إلى ما تحتمه الشعائر الدينية ، وعند ما كان يفحص مسح حقول القمح نراه مرتديا حلة بسيطة وقميصا قصيرا وشعرا مستعارا عاديا ، ومنتعلا حذاء ضخما وحاميا ساقه بدروع خاصة ، وليس صاحب المقبرة وحده هو الذى تظهر عليه نضرة النعيم بل تظهر كذلك على موظفيه ، إذ نراهم يرتدون ملابس أنيقة وينتعلون أحذية جميلة حتى أحقر العمال الذين يعملون فى تعبئة سنابل القمح فى سلات ضخمة كانوا ينتعلون أحذية . (انظر اللوحة رقم ٩) يضاف إلى ذلك أنه فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة كان لكل من عظماء القوم عربة واحدة بجواديها تنتظر الركوب فيها للتنزه والعودة من الحقول بعد فحصها . ولكن الآن نرى فضلا عن عربة « خع ام حات » التى نشاهد سائقها

وسائسها قد غرقا فى النوم وهما فى انتظار سيدهما ، ما لا يقل عن أربع عربات أخرى تنتظر أصحابها ، (راجع Wreszinski, Ibid. Pl, 192.) بالقرب من شجرة ، وهذه العربات كانت بطبيعة الحال لموظفين أقل رتبة من «خع أم حات» (Ibid. Pl. 191.)

ومن بين مناظر مقبرة هـذا العظيم مشهد غير عادى يظهر فيـه أسطول سفن نقـل مصرى قد رسا على الساحل فى ميناء أجنبية . وهـذه السفن كانت تحمل سلعا من طراز ثقيل ، والمقدّمة مزينة برءوس ثيران ، وكانت تسبح بالشرع والمجاديف معا ، وتقاد بوساطة دفـة واحدة ، وتنتهى أطراف المجاديف كلهـا برءوس ملكية . ويشاهد الملاحون يذهبون إلى الشاطئ بعضهم يحمل حقائب تحوى سلعا لا نعرف كنهها ، غير أنه المقصود منها التجارة مع الأهالى فى مقابل المحاصيل المحلية التى تنتجها هذه البلاد الأجنبية . وتدل شواهد الأحوال على أن أهالى هذه الجهة من الزنوج .

محصول الحبوب السنوى : على أن أهم منظر صوّر فى مقبرة «خع أم حات» هو حادث وقع فى الاحتفال بالعيد الثلاثينى للفرعون « أمنحتب الثالث » ، فقـد مثل هذا العاهل جالسا على عرشه ، ومثل أمامه « خع أم حات » يقرأ وثيقة ، وبجواره نقش يقص علينا أن الفـرعون قد ظهـر على عرشه لأجل أن يتسـلم تقريرا عن الحصاد فى الجنوب والشمال وفوق « خع أم حات » النص الثـانى :

” تقـديم التقرير عن حصاد العام الثلاثين فى حضرة الملك يشمل الحصاد الذى نتج عن الفيضان العظيم لأجل العيد « سد » الذى احتفـل به جلالته بوساطة المدير العظـيم لأملاك الفرعون له الحياة والسعادة والصحة ، ومعـه رؤساء الجنوب والشمال من أرض « كوش » الخاسـئة ، حتى حدود نهـرين “ .

وتحت هذه الوثيقة الكلمات التالية : المجموع ٣٣,٣٣٣,٣٠٠ بوشلا من القمح ، وهذا فى الواقع هو التقدير الوحيد لمحصول الحصاد على حسب التقارير الرسمية (أى ما كانت تنتجه مصر وما كان يصـلها من البلاد الأجنبية التابعة لهـا) . ولا شك فى أن هـذا يعيد إلى ذاكرتنا فى الحال قصة يوسف عليه السلام الذى كان قد جعـله الفرعون على خزائن مصر لمـا تنتجه من غلال حـتى يدخر منـه فى المخازن الفرعونية للسنين العجاف عنـدما تهدّد البلاد بالقحط .

ولم يذهب نشاط « خع أم حات » سدى إذ كافأه الفرعون على ما قام به من جليل الأعمال فى تغذية البلاد ، إذ نشاهده فى منظر يرتدى أبهى حلل العيد، وفى ركابه جماعة موظفيه ، والكل ماثلون أمام « أمنحتب الثالث » فى حفل عيد « سد » وقد تسلم « خع أم حات » وموظفوه « ذهب الجدارة » من الفرعون وذلك لما قاموا به من مجهود محمود فقد زادوا محصول الحصاد فى هذه السنة المباركة (Ibid, Pl. 203.) .

أما المناظر الجنازية فى هذه المقبرة فتوجد بها بعض تفاصيل غريبة . ونخص بالذكر منها منظر الحج إلى « العرابة المدفونة » إذ نشاهد فى القارب الذى يجر السفينة التى فيها المتوفى بعض متاع « خع أم حات » الخاص مثل عربته وجواديها وسريره ووسادته (Ibid. Pl. 207.) . وفى منظر آخر نشاهد الموكب الجنازى يسير فى الماء إلى القبر الذى مثل هنا فى هيئة مبنى منفرد وأمام بابه علم برأس صقر الغرب (Ibid. 209.) . وأغرب من ذلك منظر الحفل « بفتح الفم » . وهذا الحفل كما سبقت الإشارة إليه كانت تؤدّى شعيرته فى غالب الأحيان على مومية المتوفى أو على تمثاله ، غير أن هذا الإجراء لم يتبع فى مقبرة « خع أم حات » إذ نشاهد بدلا من المومية كرسيا خاليا قد كدست عليه الأزهار موضوعا فى محراب صغير يشبه الجوسق، وهذه الأزهار هى التى كانت تمثل المتوفى ، ولذلك كان يقدم إليها القربان، وتؤدّى إليها الشعائر التى كانت تؤدّى للمومية من كل وجه، حتى النائحات والفتيات وصغار الأطفال الذين يقومون بدورهم فى العويل والنحيب أمام هذه الأزهار كأنها مومية أو تمثال المتوفى الحقيقى .

« إمحتب » كاتب الفرعون : كان « أمنحتب » ضمن الموظفين الذين مثلوا فى مقبرة « خع أم حات » وألقابه هى : "كاتب الفرعون ، ورئيس أسرار بيت التحنيط ، والممدوح من الإله الطيب ، والمقرب جدا من الفرعون فى بيت التحنيط ، والمشرف على بيتى الذهب ، والمشرف على بيتى الفضة (أى رئيس

الخزانة العام)، وكاتب الفرعون الحقيق ومحبوبه (Loret, "La Tombe de Kha-m-ha
P. 131-2). ؛ وقبر هذا الموظف العظيم يقع كذلك فى جبانة « شيخ عبد القرنة »
(رقم ١٠٢) وقد جاء فيه خلافا لألقابه السالفة أنه كان يحمل لقب طفل الرضاعة
(راجع Gardiner & Weigall "Catalogue", No. 102.) .

«با إرى» : كان أهم عمل يقوم به « با إرى » هو وظيفة كاهن مطهر للإله « آمون » وكذلك كان يحمل الألقاب التالية " مطهر تاج آمون ، ومطهر التاج ، والمشرف على الأراضى الزراعية ، والكاهن الأوّل للإله « بتاح » (فى معبد طيبة)، وأوّل أولاد الملك أمام « آمون » ، والمشرف على الأراضى الزراعية للإله « آمون » (راجع Scheil, "La Tombeau de Pari", P. 584-5 & Hall, "Hieroglyphic Texts", Vol. VII. Pl. VII.) وبكر أولاد الملك أمام « آمون » .

ويقع قبر « با إرى » هذا فى جبانة «شيخ عبد القرنة» ويحتوى على المناظر العادية التى نشاهدها فى مقابر هذا العصر . ومدخل هـذا القبر المصنوع من الحجر الرملى موجود الآن « بالمتحف البريطانى » وقد رسم على أحد جانبيه المتوفى وهو يتعبد إلى طغراء «أمنحتب الثالث» ، وكذلك يظهر على الجانب الآخر وهو يرتدى جلد الفهد ليقوم بوظيفته الدينيـة (راجع Porter & Moss, "Bibliography" I, P. 144.) .

«بانحسى» المشرف على الخزانة : ليس لدينا من آثار « بانحسى » هذا إلا قاعدة تمثال عثر عليها فى سرابة الخادم ، ومنها نعرف أنه كان يحمل لقب المشرف على الخزانة، وكاتب الفرعون (Gardiner & Peet, "Sinai" Pl. LXV, No. 217) .

«منخبر رع» كاهن « آمون» الأوّل : كان « منخبررع » يحمل لقب الكاهن الأوّل للإله « آمون » ولقب ابن الملك رب الأرضين « أمنحتب »وليس لدينا من آثاره إلا نقش على قطعة من عمود عثر عليها فى « بجـة » Champollion "Notices" I, P. 161 ،وكان يجب أن نفهم اللقب الثانى على معناه الأصلى غير أن

«جوتيه» لم يذكر « منخبررع » هذا بين أولاد « أمنحتب الثالث » فى كتابه عن ملوك مصر .

« من » رئيس النحاتين : كان « من » يلقب بالمشرف على الأعمال فى الجبل الأحمر ، ورئيس النحاتين للآثار الملكية العظيمة جدا ، ولا بد من أنه يشير هنا إلى الجبل الأحمر القريب من القاهرة لأنه كان مشهورا بأحجاره العظيمة وهى التى كان يفخر « أمنحتب الثالث » بأنه كان يقطع تماثيله منها كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وقد عثر له على نقش فى صخور « أسوان » يرى فيه وهو يتعبد إلى تمثال ضخم لـ« أمنحتب الثالث » ، وكذلك نشاهد على هذه اللوحة ابنه « باق » يتعبد إلى صورة « اخناتون » الذى محى تماما ، غير أن قرص الشمس الذى يمثل « آتون » لم يمس بسوء . ولما كان طراز الوجه كله يوحى بأنه من عهد الزيغ فإن من المحتمل أن تكون من عمل «باق» نفسه الذى عاش فى عهد « إخناتون » . (راجع De Morgan, "Cat. Mon." P. 40. No. 174) .

«نب كابنى» مرضعة بنت الملك «سات آمون» : كانت هذه السيدة تلقب مرضعة الابنة الملكية « سات آمون » وكان ابنها « حقا نفر » كاتبا فى معبد « أوزير » . وقد عثر لها على لوحة أهدياها للإله « أوزير » فى « العرابة المدفونة» (راجع Mariette, "Abydos". P. 49; Rec. Trav. VII, P. 188) .

«نخت» الأمين على الأسلحة فى السفينة الملكية « خع أم حات » : كان « نخت » هذا الأمين على الأسلحة فى السفينة الملكية « خع أم ماعت » وهى السفينة التى ذكرت على الجعل الذى سجل عليه صيد الحيوانات التى طاردها « أمنحتب الثالث » . وقد ورد اسم « نخت » ولقبه على مقبض سوط من الخشب موجود الآن فى متحف « ليفربول » (راجع Newberry, "Historical Notes", P. S. B. A. Vol. XXXV. P. 157) ، ولدينا أسماء موظفين لهم علاقة بهذا القارب . منهم : « سا آست » الذى كان يلقب حامل العلم على السفينة الملكية « خع أم ماعت » ثم « بتاح مس » وكان يحمل نفس اللقب . ولدينا

كذلك لوحة فى « المتحف البريطانى » نقش عليها لقب ضابط لهذه السفينة (Ibid P. 158) .

«نفرسخرو» المشرف على خبز قاعة القربان : كان « نفرسخرو» من الأشراف المقربين للفرعون كما تدل على ذلك ألقابه ووظائفه وهى : الأمير الوراثى ، والمشرف على خبز قاعة القربان الواسعة، والأمير فى البيت العظيم (المعبد الأهلى للوجه القبلى)، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير الأول الذى يقترب من « حور » (الملك) فى قصره الخاص (أى الحريم)، وحارس خطى الفرعون، ومدير البيت، والكاتب الملكى، ومدير البيت لمعبد « أمنحتب الثالث » (الذى يسمى « رع ساطع ») .
وقبر هذا العظيم يقع فى جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ١٠٧) (راجع Porter & Moss, "Bibliography", I, 136.) .

« حتب » حامل المروحة على يمين الفرعون : كان «حتب» يشغل وظيفة «حامل المروحة لابن الفرعون» . وقد وجد له نقش بالقرب من « أسوان » مثل عليه وهو يقوم بتأدية وظيفته وهى الترويح بالمروحة أمام « أمنحتب الثالث » والملكة « تى » (راجع De Morgan, "Cat. Mon.", P. 41, No. 181.)
و يلاحظ أن هذا اللقب كان فى حالة «حتب» لقبا فعليا، فى حين أن لقب حامل المروحة على يمين الفرعون كان قد أصبح لقبا فخريا وحسب .

« حبى ختف » حاكم « منف » : لم نجد لهذا الموظف العظيم حتى الآن إلا نقشا على الصخر الممتد بين الفيلة وأسوان . ونشاهده مرسوما عليه يتعبد إلى طغراء الفرعون « أمنحتب الثالث » الذى وضع على مائدة صغيرة وألقابه هى : الأمير الوراثى، وعينا الملك فى الوجه القبلى والوجه البحرى، وكاتب الملك الحقيق ومحبوبه وحاكم ، «منف» (Ibid, I, P. 28. No. 8.) .

«سبك نخت» مدير بيت «آمون» : كان «سبك نخت» يحمل لقب مدير بيت « آمون » وكان له ثلاثة أولاد كلهم كتبة فى الخزانة . وقد ترك لنا واحد

منهم وهو « سبك من » لوحة له بمفرده على الصخور الواقعة قبل « أسوان » على حافة النهر وقد ظهر فيها وهو يتعبد لطغراء « أمنحتب الثالث » ويلقب كذلك المشرف على بيت الذهب والفضة (راجع Ibid. I, P. 44, No. 2.) ويحتمل أن له نقشاً آخر فى شبه جزيرة « سيناء » يلقب فيه فضلا عن لقبه هذا بالقاضى (Gardiner & Peet "Sinai" Pl. LXV, No. 220.).

«سبك حتب» كاتب الملك : كان يلقب بلقب كاتب الملك والمشرف على الخزانة (Ibid. Pl. LXV, No. 220.) .

وقد ذكر اسمه ولقبه على قاعدة تمثال من المرمر .

« يويا » والد الملكة «تى» : كان يويا والد الملكة «تى» زوج «أمنحتب الثالث » الشرعية ، وقد تكلمنا عنه بعض الشيء فيما سبق ، وسنذكر هنا ألقابه كما وجدت على بعض آثاره التى عثر عليها فى قبره الذى أقيم فى وادى الملوك (رقم ٤٦) وهاك ألقابه : الأمير الوراثى ، والسمير الوحيد الحب ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير الأوّل بين السمار ، وفم ملك الوجه القبلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى ، ووالد الإله ، والمشرف على ثيران « آمون » ، والممدوح من الإله الطيب ، والممدوح كثيرا فى بيت الفرعون ، وعين رب الأرضين ، والمشرف على ثيران الإله «آمون» رب « أبو » (كفر أبو الحالى) .

وكانت زوج « يويا » تدعى « تويا » وألقابها هى : ربة البيت (وهو اللقب العادى لأى امرأة متزوّجة) ، والوصيفة الملكية ، ومغنية « آمون » ، والأم الملكية لزوج الملك العظيمة ، والكاهنة المغنية للإله « آمون » ، والكاهنة العظيمة المغنية للإله « آمون » (Quibell, "The Tomb of Yuaa and Thuiu", P. 18.) .

وقد كان « ليويا » و « تويا » غير الملكة « تى » ابن يدعى « عانن » ذكر على عدّة آثار ، فقد جاء اسمه على تابوت والدته « تويا » ولقب عليه الكاهن الثانى للإله « آمون » (Ibid. P. 19) ، وكذلك ذكر بهذا اللقب على تمثال موجود

الآن «بمتحف تورين» هذا فضلا عن الألقاب الفخرية : حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد، أعظم الرائين في بيت الأمير (أى هليو بوليس) والكاهن « سم » فى « إيون » الجنوبية (طيبة) (راجع Borchardt, A. Z. Vol. XLIV, P. 98.) .

« أمنحتب » التشريفاتى : كانت أعظم وظيفة يشغلها « أمنحتب » هى الكاهن « امى خنت » أى التشريفاتى ، وكذلك كان يحمل الألقاب التالية : التشريفاتى الأكبر (ومعناه الحرفى : الذى فى الأمام) وكان نشاطه يمتد إلى المعبد والمقبرة والبلاط[1]، والممدوح من رب الأرضين . ومزين الفرعون فى «البيت العظيم» (حيث تعبد الإلهة « نخبت » وهو معبد « قوص ») (راجع J. E. A. Vol. XXX, P. 27. Note. 3.) والذى يحرق القربان لرب الأرضين فى بيت اللهيب (برنسر) للإله « آمون » (راجع Loret, "La Tombeau de l' am Xent Amenhotep", P. 25. (Mission. Arch Franç (1881 - 1884).) ، والممدوح من رب الأرضين ، والطاهر اليدين الذى يجعل مديحه فى بيت الإلهة « ورت حقا » ، والمشرف على صناع « آمون » ، والمشرف على صناع رب الأرضين . (Ibid. P. 30.) وقبر هذا الموظف العظيم يقع فى جبانة « شيخ عبد القرنة » غير أنه لم يرقم بعد (راجع : Porter and Moss, Ibid P. 193.) .

وسرحات المشرف على حريم الفرعون : كان « وسرحات » المشرف على حريم الفرعون، وقبره فى الخوخة (رقم ٤٧) (راجع Porte & Moss, "Biblio-graphy", I. P. 78.) وعلى الرغم من صغر حجم هذا القبر فإن نقوشه جميلة الصنع ، غير أنها لم تتم وخرب بعضها . ونشاهد فى أحد مناظره « وسرحات » وخادمه، واقفين أمام « أمنحتب الثالث » والملكة « تى » (A. S. IV. P. 177. P. II.) وصورة الملكة

---

(١) فبوصفه تشريفاتيا للملك كان يضع التاج على رأسه ويزينه بالحلى (راجع Gardiner "Onomastica", I. P. 23.) .

«تى» فى هذا المنظر تعدّ أحسن صورة عرفت فى كل الآثار المصرية حتى الآن، وقد صوّرت هـذه الصورة عند الكشف عن المقبرة ، ثم ردم القبر ثانيـة لعدم أهميته، غير أنه حفر من جديد بعد عدّة سنين، ولكن بكل أسف كان اللصوص المحترفون قد سبقوا إلى حفر المقبرة وقطعوا صورة الملكة من على الجدار التى كانت عليه وكان من جراء هذا العمل الشائن أن محيت بعض النقوش الخاصة بها حتى لا يعلم من أين أتت هذه الصورة، وعلى أية حال فقد تسربت هذه الصورة المنقطعة القرين إلى « متحف بروكسل » مجرّدة من كل نقش يدل على شخصيتها ، ولكن بالبحث وجد أنها هى الصورة الأصلية، وهكذا أباح بعض علماء الآثار لأنفسهم أن يشتروا مثل هذه القطع المسروقة من المقابر دون أن يسعوا حتى فى ردّها بعـد تأكدهم من سرقتها إلى مكانها الأصلى حتى تكون تحفـة لكل المتفرجين ودرسا لأولئك الذين يعبثون بالآثار وتشويهها من أجل بضعة دريهمات لا تسد حاجة ولا تشفى غليلا.

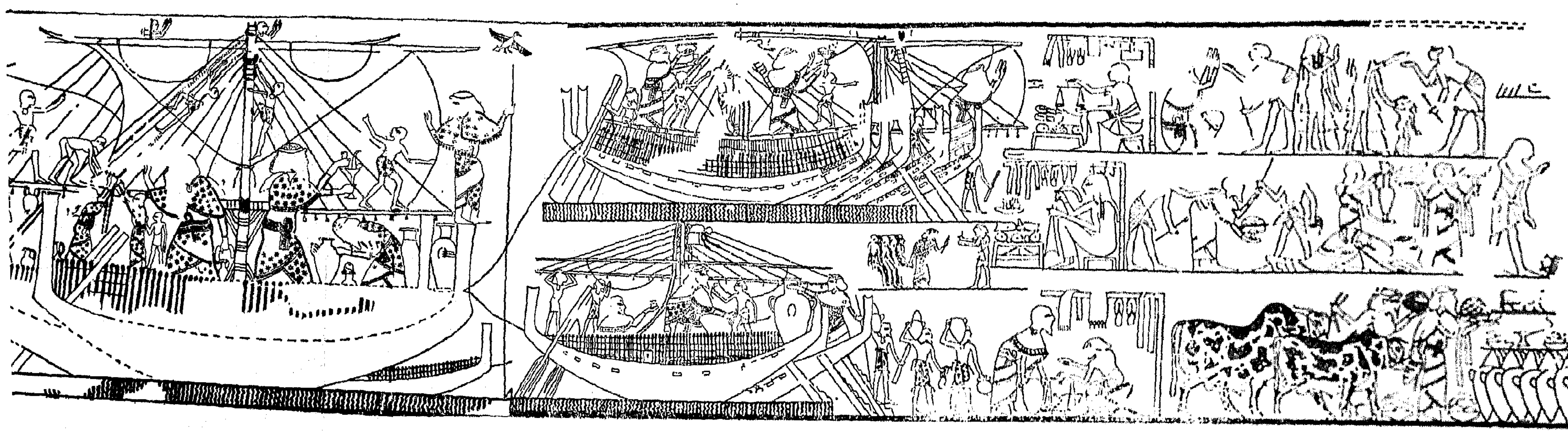
قن أمون

« قن آمون » : تحتوى المقبرة رقم١٦٢ الواقعة فى طيبة الغربية على منظر فذ من المناظر المنقوشة على جدران عظماء القوم فى عهد الأسرة الثامنة عشرة، وقد ظل اسم صاحبها مجهولا لمـا أصاب نقوش المقبرة من محو إلى أن عثر على بعض مخاريط أمام المقبرة عرفنا منها اسمه وألقابه . فقـد كان « قن آمون » هـذا يلقب عمدة طيبة ، والمشرف على مخازن غلال الآله آمون . وتدل الأحوال على أنه من المرجح جدا قد عاصر الفرعون «أمنحتب الثالث» أما المنظر الهام الذى وجد على جدران هـذا القبر فيمثل رحلة تجارية قام بها تجار من سـوريا إلى مصر بحـرا ووصلت سالمة . فنشاهد فى الجزء الذى على اليسار فى هـذا المنظر صورة سفينتين شرعهما منتشرة وعلى اليمين من هـاتين السفينتين تشاهـد مجموعتين من السفن وقـد مثلتا فى صـفين الواحد منهما فوق الآخر . وعلى يمين هاتين المجموعتين من السفن نرى ثلاثة صـفوف وضعت بعضها فوق بعض توضح لنـا كيفية إنزال السلع وتفريغها

وعرضها والحادثة المسجلة هنا كانت بطبيعة الحال من الحوادث الكثيرة الوقوع فى عهد مجد الامبراطوريه ونمو ثروتها أى عند ما كانت أسيا لا تزال تدين لمصر بالسلطان وكانت الأحوال مهيأة للتجارة الدولية (أنظر الصورة رقم ١٠) .

والواقع أننا لن نحيد عن جادة الصواب كثيرا إذا رأينا أن هـذا المنظر يمثل بداية سكك التجارة التى كانت تخرج من الثغور السورية ويحتمل أنها هى التى قد أصبحت واسعة النطاق نامية عند ما قام «ونآمون» التعس الحظ برحلته المشهورة (راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء ١ ص ١٦١ الخ) ثم وصلت قمتها فى تلك الرحلات التجارية التى كان يقوم بها الفينيقيون فى أنحاء العالم أما السفن التى حملت هذه التجارة البحرية المبكرة فليس هناك أى شك فى أنها من طراز مصرى من حيث الشكل والصنع (راجع Sàve-Soderbergh Navy P. 56). ومما يلاحظ فى هذا المنظر ما نشاهده جاريا على سطح السفينة الكبرى التى على اليسار إذ نرى بحارين يصعـدان لطى الشراع ، أحدهما يتسلق السارية والآخر يتسلق على الأمراس ، فى حين نرى اثنين آخرين يظهر أنهما ضابطان صغيران يعملان على إنزال عمود الشـــراع .

ويلاحظ كذلك فى هذا المنظر أن مكانة الأشخاص الذين مثلوا فيه على سطح السفن قد عبر عنها بالطريقة المصرية المعتادة أى على حسب حجم صورة كل واحد؛ ويمكن رؤية ذلك بوضوح فى السفينة الكبيرة التى على اليسار فأهم شخصيتين بارزتين فيها هما بلا شك صاحبا السفينة والسلع التى تحملها ؛ فنشاهـد أحدهما يتجه نحو الشاطئ مقـدما قربانا استعطافا لإلهـة الميناء فى حين أن الآخر كان ينظر خلفه ؛ والظاهر أنه كان يستدعى إليه شخصا آخر . ويلى هـذين فى الحجم ضابط السـفينة الذى يشاهد واقفا وقفة شاذة على عمود مقدمة السفينة وبيده قضيب لجس المـاء بولغ فى طوله إلى حد المستحيل ، وكان ينظر خلفـه معطيا الملاحين الذين كانوا يطوون الشراع الأوامر اللازمة .



(١٠) لوحة قن آمون — السفن السورية فى ميناء مصرى

وكذلك يشاهد على سطح هـذه السفينة بحار منحن ليرفع إناء ضخما ممـا تحمله السفينة كما يرى ضابطان صغيران لا بسين ملابس مزركشة كالتى يرتديها رؤساؤهم ، يشدان الأمراس ، وكان أحدهما يستند على صبى من صبية السفينة . أما الملاحون العاديون فكانوا يرتدون القميص القصـير العادى ذا اللون الفاقع ، وكذلك كان يلبس كل واحد منهم حول عنقه خيطا يتدلى منه قرص مستدير مما يذكرنا بنوط تحقيق الشخصـية الذى كان يلبسـه الجندى فى أثناء الحـرب . وهؤلاء البحارة كانوا حليق الرءوس والأذقان معا ولم يستثن منهم إلا ثلاثة فى المجموعة السفلية التى على اليمين وهم الذين كانوا يحملون السلع إلى الساحل ، وهؤلاء قد ميزوا عن رفاقهم بلحاهم والهدابات المدلاة من وسـطهم ومن أطراف قمصانهم ولا نعلم إذا كانت هذه القمصان مصنوعة من النسيج أو من جلود الحيوان .

أما الأفـراد الذين صـوروا خارج السفن فلابسهم بوجه عام واحدة فكل منهم يرتدى قطعة واحدة من نسـيج الصوف ملفوفة على جسمه من أول الكعب وقد لفت حول الجسم بطريقة عجيبة ، وتحت هـذا اللباس يشاهد قميص أبيض ذو كمين يسـتران الذراعين حتى الرسغين ، ويتمنطق بحزام عقد من الأمام عقدة متقنة مزركشة . وهـذا الرداء الخارجى السالف الذكر يظهر عليه أنه زى جديد لم يشع استعماله إلا بعد عهد تحتمس الثالث . ويحتمل أنه مستعار من زى أهالى « خيتا » . أما لبس النساء اللائى مثلن فى الصف الأعلى من اليمين فى المنظر فيلاحظ فيه (كشكشة) أفقية مؤلفة من ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وتشـبه بعض الشئ ملابس أهل « كريت » المتقنة الصنع ، وقـد أظهر المثال هذا الرداء شفيفا إلى درجة ما ممـا يدل على أنه كان مصـنوعا من مادة خفيفـة على عكس ملابس الرجال الثقيلة التى كانت أكثر صلاحية لجو شمالى بارد . أما الجزء الثالث من هذا الرسم الواقع على اليمين فيمثل سوقا للتجارة على الشاطئ نظمت فى ثلاثة صفوت . وهنا يلاحظ أن معظم السلع قد نقلت من السفن إلى الشاطئ أمام « قن آمون » :

(لم يظهر صورته فى الرسم الذى نقله « ديفز ») إذ يظهر أنه قد وجدها كانت قد هشمت ، فكان يمثل هنا بوصفه وكيل مشتريات مخازن آمون التى تحت إشرافه ، ومن المحتمل كذلك أنه كان يقوم بهذه الوظيفة لحساب سلطة عليا أخرى . والسلع المعروضة للبيع تحتوى أوانى مخخمة من النبيذ والزيت ؛ ومما يسترعى النظر من بينها ثوران لهما سنامان وهما من فصيلة أجنبية (اقرن هـذين الثورين بمـا جاء فى مقبرة « نب آمون » رقم ١٧ وكذلك ما جاء فى مقبرة «باحق من» رقم ٣٤٣) . أما السلع الأخرى المعروضة للبيع فتشمل أوعية تحتوى على طرائف من أنواع مختلفة ونماذج ممـا أخرجته يد الصياغ فى صور أوان من المعدن الثمين . ففى الصف الأسفل من اليمين نشاهد إناء ذا فوهة واسعة من طراز سورى معروف يحتمل أنه صنع من الذهب وقد زين بصورة ثور واقف فى داخله ، فى حين نشاهد فى الصف الأوسط تاجرا يحمل إناء طويلا ضيق الرقبة صيغ من الفضة (؟) وغطاؤه على هيئة رأس ثور . ويحتمل أن بعض السلع التى خف حملهـا وغلا ثمنها ــ ولا عجب أن تكون من بينها المرآتان والصبى المصوّرة فى الصف الأعلى ــ كان مآلها أن تضم إلى متاع «قن آمون » نفسه فى مقابل السماح لأصحابها بالاتجار فى الميناء المصرية بوصفه عمـدة « طيبة » التى رست عندها السفن ، وكذلك بمثابة (عمـولة) على المتاجر بوصـفه (العميل) الذى يشترى لحساب الإله «آمون رع » ؛ وعلى الرغم من أن البضائع التى كانت تحملها هذه السفن التجارية كانت تباع بوساطة وكلاء لهم مكانتهم العاليـة مثل « قن آمون » فإنه كان على ما يظهر يوجد بجانب ذلك تجارة صغيرة حرة تباع بالتجزئة ، ولذلك نرى فى الصورة الممثلة على الشاطئ بجوار المـاء حيث كانت ترسو السفن الأجنبية حوانيت صغيرة يقوم بالبيع فيها صغار التجار نساء ورجالا وأمامهم السلع مكدسـة وحركة التجارة فيها رائجة . فنشاهد فى الصـورة التى أمامنـا ثلاثة حوانيت والبضاعة المعروضة للبيع تحتوى قطع نسيج وأحذية ، ومواد غذائية وأشياء أخرى لا يمكن معرفة نوعها على وجه التأكيد . ويشاهد فى الحانوت الذى فى الصف

الأسفل تاجر سورى يحاول بيع إناء ضخم من النبيــذ أو الزيت ، فى حين نلمح فى الصف الذى فوقه بحارا عاديا حجبت رأسه مقدّمة السفينة عن الناظرين يعرض للبيع قضيبا من الخشب الثمين؛ و يدل وجود الموازين الصغيرة الحجم وهى التى كان يستعملها رجلان من أصحاب الحوانيت على أنها كانت تستخدم لوزن التبر الذى كان يتخذ مادة للبادلة ، و يجوز أنها كانت مستعملة لوزن كميات صغيرة من العقاقير الثمينة وما يشبهها .

وتشاهد كذلك فى هذا المنظر امرأة أمام حانوت ، وقد حدث بجوارها حادث له علاقة بإدارة الميناء إذ نرى بعض البحارة قــد ساقهم رئيسهم أمام ضـابط من ضباط الميناء كان يدوّن أسماءهم أو عددهم . والواقع أن المنظر فى مجمـوعه يعرض أمامنا لمحة حية عن نواحى الحياة المصرية القديمة التى لا نحظى بمثلها إلا نادرا ، لذلك فإنا نقدّم عظيم شكرنا الجزيل لعمدة « طيبة » « قن آمون » الذى أمر برسم هــذه التحفة على جدران قبره ، وكذلك نبدى عظيم إعجابنا بالمفتن الذى وضع تصميمها ؛ وأخيرا نفخر بالمثالين الأحداث الذين حفظوا لنا بمجهوداتهم صورة هذا المنظر الذى كان قد ضاع كل أمل فى العثور على نسخة منه بعد تهشيم الأصل تهشيما لا يرجى الاستفادة منه .

سبكموسى : وكان يحمل لقب مدير الخزانة فى عهد أمنحتب الثالث ، وقد عثر على قبره فى بلدة « الرزيقات » الواقعــة على الضفة الغربية من النيل على بعــد ٢٠ كيلو مترا جنوبى الأقصر . وعلى الرغم من صغر حجم قبره فإنه يحتوى نخبة المناظر التى تصوّر لنـا حياة هذا الموظف الدنيوية . وحجرة دفنه قد مثلت على هيئة تابوت وقد نقش على جدرانها جنازة المتوفى ، وحياته فى عالم الآخرة و يرى فيها القارئ أنها تصوّر لنا مضمون « كتاب الموتى » (The Burial Chamber of the Treasurer Hayes, "Sobkmose from Er Rizeihat", New-York 1939.) .

المدينة فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة

الإدارة : لقد كان لسقوط دولة الهكسوس أثر فعال فى توحيد كلمة البلاد جملة وتأسيس أسرة جديدة عام ١٥٨٠ ق م . وبتولى فراعنة هذه الأسرة مقاليد الأمور بدأ عهد جديد فى الثقافة العالمية . وذلك أنه لما انحطت دول آسيا العظمى فى ذلك الوقت ، وتدهورت إلى الحضيض برزت مصر وقتئذ فى تاريخ العالم كالزهرة النضرة وسط الأرض المجدبة ، وقد كانت مصر على اتصال وثيق بجزيرة « كريت » فسارت معها جنبا لجنب فى سبيل الثقافة إلى أعلى مكانة من الرقى . هذا إلى أن المصرى قد شعر بمكانته الممتازة وقتئذ بين تلك الدول الهاوية ، وعلى الرغم من أنّ البيت الحاكم فى البلاد قد بقى كما هو فإن تولى « أحمس » وهو أحد أفراده عرش الملك قد عدّ فاتحة أسرة جديدة أطلق عليها اسم الأسرة الثامنة عشرة ، كما أطلق على المدنية التى انتشرت فى هذا العصر والعصور التى تلت اسم مدنية الدولة الحديثة .

وفضلا عما نالته البلاد من استقلال واتساع رقعة سلطانها فى الخارج فإنه كان من أهم واجبات الفرعون وأشقها وقتئذ إعادة نظام الملك الذى كان قد اختل ميزانه بوضع أسس متينة تسير على نهجها البلاد. وقد رأينا مقدار المقاومة التى كان لا بدّ من التغلب عليها ، والحرب التى شنت على الهكسوس لم تقم بها الأمة عن بكرة أبيها لمناهضة السيادة الأجنبية ، بل قام بها فى الواقع ملوك « طيبة » الشجعان ، وهم الذين قد هزتهم النخوة الوطنية والعزة القومية وآزرهم فى ذلك أهل الجنوب ، وبخاصة جنوده الذين اتصفوا بالشجاعة والإقدام وحب الكفاح .

بقايا الحكم الإقطاعى : وإذا قرنا حالة البلاد فى تلك الفترة بما كانت عليه فى عهد الأسرة الحادية عشرة أو فى عهد « أمنمحات الأول » عند ما هب لجمع شتات كلمة الأمة وقت أن كانت مقسمة مقاطعات يحكم كل واحدة منها أمير وراثى مستقل — وقد ظلت كذلك حتى قضى على هذا النظام جملة «سنوسرت الثالث» —

لوجدنا أن الحالة فى عهد الدولة الحديثة كانت تختلف كل الاختلاف ، إذ لم نجد لنظام الإقطاع فى البلاد أى أثر فعلى بالمعنى الذى عرف به فى العهد الإقطاعى الأول ، اللهم إلا فى المقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه القبلى التى اتخذ حكامها مدينة « الكاب » عاصمة لهم ، وقد كان أشرافها على ولاء تام واتصال وثيق بملوك « طيبة » فى تلك الفترة ؛ إذ نجد فى الواقع كثيرا من حكام « الكاب » كانوا يجاهدون وقتئذ فى جيش الفرعون وفى أعمال الإدارة ، ويرجع تاريخ نسبهم إلى الأمراء الذين كانوا يحكمون هذه المقاطعة منذ الأسرة الثالثة عشرة وما قبلها . وهؤلاء الأمراء كانوا لا يزالون يحملون لقب الإمارة ، كما ظلوا ينحتون لأنفسهم مقابر ضخمة على غرار مقابر حكام العهد الإقطاعى الأول مزينين جدرانها بتواريخ حياتهم وما قاموا به من أعمال عظيمة ، كما كانوا يرسمون عليها مناظر توضح حياة القوم اليومية من زراعة وتجارة وصناعة . وكانت إدارة هؤلاء الأمراء تمتدّ إلى « إسنا » وما جاورها ، فكانوا يشرفون على جباية الضرائب وخزنها فى المخازن الحكومية كما كانوا يقومون بتعداد المواشى ، والتفتيش على الحقول الملكية . والواقع أن حكم هؤلاء الأمراء كان إداريا لا وراثيا وقتئذ ، وكانت سلطتهم تمتدّ من قرب «طيبة» (برحتيحور) حتى « الكاب » ، وهذا يدل على أن طبقة الأمراء الوراثيين ، كانوا قد اختفوا من البلاد جملة ، بعد أن كانوا فى عهد الدولة الوسطى عماد نظام الحكم وركنه الركين .

القضاء النهائى على بقايا الحكم الإقطاعى : حقا إننا نجد بعض أفراد يحملون لقب الإمارة الذى كان يحمله أسلافهم فى العهد الإقطاعى الأول ، غير أنهم كانوا يقطنون « طيبة » وفيها دفنوا ، وكانت ألقابهم جوفاء — ألقاب شرف وحسب — ولم يبق واحد فى مقاطعته الأصلية غير أمير « الكاب » ، ففى عهد « تحتمس الأول » نجد أنه قد وكل أمر تنشئة أحد أبنائه الذى مات فى حداثة سنه إلى أمير « الكاب » « باحرى » (راجع الجزء ٤ ص ٣٧٥) ؛ ويعزت

الأخير انتهى حكم آخر أمير مقاطعة فى البلاد جملة . وكان الفضل فى القضاء عليهم يرجع إلى « أحمس الأول » ، وبذلك جمع السلطة كلها فى يده ووحد كلمة البلاد ، وقد ساعده فى الوصول إلى ذلك جيشه المدرب ، وطبقة الموظفين الأكفاء الذين جمعهم حوله من طبقات الشعب الفقيرة .

نظم الحكم وما طرأ عليها من تغيير : وقد كانت الصورة التى اتخذها نظام الحكم والإدارة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة هى نفس الصورة التى كانت تحكم بمقتضاها البلاد منذ القدم بصرف النظر عن بعض التغيرات التى كانت تستلزمها الأحوال وتحتمها نظرية النشوء والتطور والارتقاء . فنجد أن أرض الكنانة كانت مقسمة نظريا قسمين وهما القطران اللذان تتألف منهما البلاد منذ أقدم العهود — الوجه القبلى والوجه البحرى — وبقى كل منهما يحمل لقبه الأصلى ، ولكن فى الواقع نجد الوجه القبلى الذى ينسب إليه أمراء «طيبة» كان يمتد من «إلفنتين» حتى «أسيوط» و«القوصية» ، وقد كان الفرعون «تاعا» وكذلك ابنه « كامس» يحكمان هذا الإقليم ، وكان هذا الإقليم بعينه مقسما قسمين ، شمالى «طيبة» وجنوبها ، وقد كان الوزير وحاكم العاصمة هو المشرف على الإدارة فيهما . أما الجزء الشمالى من البلاد الذى كان يمتد من الأشمونين حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وهو الجزء الذى كان يسيطر عليه الهكسوس ، فكان تحت إدارة وزير آخر يقطن « منف » (راجع ج ٤ رخ مى رع ص ٥٥٥) .

وهذا النظام الحكومى الذى اتخذته البلاد فى عهد الدولة الحديثة كان فى ظاهره غريبا ، فقد كانت عاصمة الملك تقع بعيدا عن وسط المملكة على مسافة سبعمائة كيلو متر من « منف » التى تعد نقطة الوسط ، وعلى مسافة مائتى كيلو متر من « أسوان » من آخر حدود مصر الجنوبية عند الشلال الأول . وهذا الوضع يظهر لأول وهلة مخالفا لما تقتضيه طبيعة البلاد ، ولكن السبب الذى دعا إلى اتخاذ العاصمة فى هذه الجهة ، هو أن « طيبة » كانت مسقط رأس ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وعاصمة

ملكهم منذ نشأتهم ، ولذلك لم يغادروها عندما استولوا على البلاد جميعا ، ومن ثم نجد أمامنا من جديد عاملا هاما فى سير حوادث التاريخ المصرى ، وهو أن نتبع كل الحوادث السياسية التى كانت بمقتضاها تسير الأحوال فى البلاد ويتوقف عليها تكييف النظام لمدة قرون ، يضرب بأعراقه فى الوجه القبلى . ولا أدل على ذلك من أن توحيد البلاد فى بادئ الأمر ، وضم الوجه القبلى إلى الوجه البحرى كان من عمل الملوك الحوريين الذين نشئوا فى «الكاب» ، وأخلافهم الذين ترعرعوا فى مقاطعة «طينة» ، وعندما كان الملك «مينا» قد أتم حصن «منف» الذى كان يطلق عليه «الجدار الأبيض» كان قبره وقبور رجال بلاطه مع ذلك فى مقاطعة «طينة» ؛ هذا فضلا عن أن مقر ملكه كان فى منطقة «العرابة» ، ولم تصبح «منف» عاصمة الملك ومقر الحكم إلا فى عهد الأسرة الثالثة ؛ ومن ثم صار الملوك يدفنون فى منطقتها . ولما سقطت الدولة القديمة لم يفلح ملوك «إهناسية المدينة» طويلا فى استمرار إبقاء عاصمة ملكهم فى مصر الوسطى «إهناسية المدينة الحالية» ، إذ بعد نضال طويل خضعوا لملوك الأسرة الحادية عشرة الذين كانوا يسيطرون على إقليم «طيبة» وما جاوره ، وفى عهد الأسرة الثانية عشرة أصبح لمدينة «طيبة» وإلهها «آمون» مكانة عظيمة ، غير أن ملوك هذه الأسرة قد اتخذوا عاصمة ملكهم فى الشمال ثانية ، فكان مقرهم أحيانا فى «اللشت» وأحيانا فى «الفيوم» (راجع ج ٣ ص ١٧٨ ، ٣٣١) . ولما تأسست الأسرة الثامنة عشرة نقلت العاصمة إلى «طيبة» ، وقد بقى مقر الحكم فى هذه المرة فى الوجه القبلى فى هذه المدينة ، وأصبح الإله «آمون» إله الدولة يغطى على كل الآلهة الكبرى . وقد كان إقليم الجنوب أو كما يسمى «إقليم رأس الجنوب» من الوجهة الاقتصادية والزراعية فى المؤخرة بالنسبة لإقليم مصر الوسطى ، وبالنسبة لأرض «الدلتا» التى كانت ذات شهرة عظيمة من حيث الخصب والإنتاج ، وفى الحق كانت هذه البقاع الأخيرة الزراعية مسكونة بقوم عاملين يعيشون عيشة هدوء لا يميلون للحروب ، وكان فى استطاعة كل حاكم قوى

أن يسيطر عليهم دون مشقة أو مقاومة تذكر، فى حين أن سكان الوجه القبلى كانوا قوما ميالين للحروب أقوياء البنية مما أهلهم لتحمل أعباء الحروب ، ونخص بالذكر منهم أشراف مدينــة « الكاب » ، والدور الحاسم الذى قاموا به فى محاربة أعداء البــلاد . وقد كان يساعدهم فى ذلك قبائل البــدو النوبيون الذين اتخذهم الفراعنة حينئذ موردا لتغذية جيشهم العامل ، كما كان يتخذ منهم أحيانا رجال الشرطة الذين يحافظون على الأمن فى مشارف البــلاد . ولقد كان السبب فى بقــاء النظام الذى سارت عليه البلاد فى عهد الدولة الحديثة نحو مائتى عام يرجع إلى المحافظة على تنفيذ النظم بيد من حديد مما لم يعط مجالا لقيام أى عصيان أو محاولة لنقض أسس الحكم .

الحكم فى المقاطعات : ففى المقاطعات ظل نظام الحكم على ما كان عليه ، إذ كان لكل مقاطعة عاصمة فيها مقر الحكم كما كان لها معبدها الخاص وإلهها الذى كان يعبد فيها منــذ القدم . غير أنه بدلا من الحاكم الوراثى الذى كان يسيطر على المقاطعة عين الفرعون لها حاكما من قبله له إدارة خاصة يعاونه فيها كتبته ، كما كان لكل مقاطعة مجلس (قنبت) يقيم فى العاصمة ، وكذلك فى الأقاليم ، غير أن هــذا المجلس لم يكن بمثابة مجلس محلى بل كان يتألف من الموظفين ، وكذلك كانت توجد محكمة بمثابة سلطة إدارية[1] (زازات) وكان على رأس طائفة الموظفين والإدارة كلها الوزيران اللذان يتلقيان تعليماتهما مباشرة من الملك وكانا هما المسئولين أمامه عن كل ما يحدث فى البلاد .

---

(١) والواقع أن ما وصل إلينا من المعلومات عن نظام الحكم فى عهد الدولة الحديثة أقل بكثير مما وصلنا فى عهد الدولة القديمة أو الدولة الوسطى ، وذلك لأن نقوش المقابر التى وصلتنا من عهد الدولة الحديثة عن الإدارات المحلية قليلة جدا ، بل كل ما لدينا غير الأعمــال الحربية التى قام بهــا بعض رجال الدولة فى خدمتها ، ضرب الضرائب وتسليم الجزية وما أشبه هــذا ، ذلك إلى ما كان يغدقه الفرعون على هؤلاء الرجال من الإنعامات .

ونجد فى هــذه النقوش التغير البارز الذى ظهر فى هيئة الحكومة . وليس لدينا مثــال خاص فى هذا الموضوع . وقد جمع الأستاذ «أرمان» بعض معلومات مختصرة فى هذا الصدد فى كتابه « مصر » =

مهام الوزير : والواقع أن الوزير كان لا بدّ من أن يكون واقفا على سير الأمور فى البلاد ، إذ كانت تصل إليه التقارير عن عمل كل الموظفين المسئولين أمامه ، وهو الذى كان يفصــل فى الأمور الحكومية كلها ، وعلى ذلك كان هو قاضى القضاة ، إذ كانت ترسل إليه كل الأحكام التى كانت تصدرها المحاكم المحلية المختلفة وكان يذهب كل يوم إلى مكتب وزارته و يتربع على كرسيه ، و يجلس رجال مجلسه على كلا جانبيه وهم «عظماء الجنوب» ، ثم يؤتى أمامه بأصحاب المظالم والشكايات والمذنبين فيفصل فى أمورهم ، وكان يوجه عنايته التامة إلى موضوع الأملاك وبخاصة حدود الحقول التى كانت فى معظم الأحيان تضيع معالمها بسبب فيضان النيل ، هــذا فضلا عن حوادث التعدى التى كانت تحدث كثيرا والمنازعات التى كانت تقوم بسبب الإرث كما كان يرسل إلى المقاطعات رسلا بمثابة عمال اتصال بين إدارة المقاطعات ومكتب الوزير، فكان عليهم أن يقدّموا إليه ثلاثة تقارير كل سنة فى اليوم الأوّل من الشهر الرابع من فصول السنة الثلاثة ، وبهذه الاحتياطات الحكيمة تلافت الإدارة المركزية التى كانت فى أيدى موظفين معينين من قبــل الفرعون الوقوع فى خطر العودة إلى الحكم الإقطاعى ، وكذلك كانت كل الوصايا لا تنفذ إلا إذا أجازها الوزير ووقع عليها بخاتمه ، وكان الوزير يسير فى أحكامه على نهج الحياد المطلق ، كما كان رائده

= ("Aegypten und Aegyptischen Leben," P. 114-145.) أما المعلومات التى نجدها فى العصور المتأخرة من عهد الدولة الحديثة ، (مثل محاضر القواضى فى عهد الأسرة العشرين فيجب ألا نتخذها أساسا للحكم على سير الأمور فى العهد الذهبى للدولة الحديثة ، وذلك لأن القوانين كانت قد تغيرت . والمصادر الأصلية لنظام الحكم فى عهد الأسرة الثامنة عشرة هى النقوش التى نجدها فى مقبرة الوزير « رخ مى رع » وما شاكلها من نقــوش الوزراء الآخرين فى ذلك العهــد (راجع ج ٤ ص ٥٦٩ الخ Davies, "The Tomb of Rekh-mi-Rè." PP. 84-94; "Newberry, The Life of Rekh-mara", & Sethe, Urk. P. 1086 ff. & Breasted, A. R. II, § 266 ff.) .

و يظن الأستاذ « زيته » أن تنصيب الوزير يرجع عهــده إلى الدولة الوسطى كما سبق شرح ذلك (راجع مصر القديمة ج ٣ ص ٤٥٩) .

فى كل أعمــاله تنفيذ الحق مع مراعاة مصلحة الفرعون فى صغار الأمور وكبارها . وكان يحلى جيده صورة إلهة العدل «ماعت» لتذكره دائما بواجبه[١] من حيث العدالة وكان من حقه أن يستعمل العصا مع المجرمين لانتزاع الاعترافات منهم ، هذا إلى حلف اليمين باسم الملك[٢] ، وكان كل من يحنث فيه يعاقب أشد عقاب .

وقد كان يعمل مع الوزير بصفة دائمــة رئيسان للخزانة على ما يظهر . كما كان يعمل تحت إدارتهما رؤساء عمــال الخزانة والمخــازن والمصانع التى كانت تجمع فيها الضرائب والمصنوعات من خمر وزيت وحيوان وملابس وآلات من كل الأنواع حتى أسلحة الحرب وعرباتها والقطع الفنية التى كان ينتجها المفتنون والمجوهرات ، هذا فضلا عن إدارة أعمال الفرعون الخاصة كإقامة المبانى وصناعة اللبن والإشراف على مناجم قطع الأحجــار وجلب الأخشاب وصناعتها . (راجع مهام الوزير الجزء الرابع ص ٥٨٣ الخ) .

وقد كان يخصص لكل معمل أو مصنع من هذه الإدارات جيش من العمال عظيم العدد معظمهم من الرقيق وبعضهم من المصريين ، وهؤلاء العبيد قد جلبهم الفرعون من البلاد التى فتحها بحــد السيف فى حروبه ، وكان يقوم على تشغيلهم والإشراف عليهم عدد عظيم من الموظفين من كل الدرجات كل على حسب العمل الذى يشرف عليه (راجع ج ٤ رخ مى رع ٥٩٦ الخ) .

الحياة الاقتصادية : أما حيــاة مصر الاقتصادية فهى على النقيض منهــا فى البلاد المجاورة مثل « بابل وآسيا الصغرى » فقد كانت ثروة البلاد ثروة زراعية من قديم الزمان واستمرت كذلك فى عصور التاريخ المصرى كلها فى أساسها . حقا قد لعبت المعادن الثمينة فى اقتصاد البلاد دورا هاما ، إذ كانت تستعمل فى صور

---

(١) (A. S. XL, P. 185.) .

(٢) فى عهــد الفرس كان الحلف يعقد بالإله المحلى بدلا من الفرعون . غير أننا لم نعرف بأى إله يعقد اليمين إذا كان المتخاصمان مختلفين فى الديانة (S. Ber. Berl. Ak. 1911. P. 140.) .

حلقات من النحاس وغيره بمثابة عملة ، ومع ذلك فإنها لم تكن تستعمل فى التجارة الحكومية ولا فى المعاملات الخاصة ، بل فى الواقع بقيت تستعمل مثل سلعة أخرى ،كالحبوب والماشية . وكانت الموارد الطبعية تستعمل منذ أقدم العهود فى التعامل لتسيير الأداة الحكومية ، وكذلك فى المبادلات التجارية بسهولة ، كما تستعمل العملة الذهبية الآن ، فكانت المرتبات تدفع عينا من المحصولات على حسب مراتب الموظفين، وعلى حسب عدد المستخدمين والخدم الذين تحت إدارة كل موظف كبير من هؤلاء الموظفين بما فى ذلك الملكة ووصيفات القصر وأولاد الفرعون العديدين ورجال الحاشية الذين كان يجب إطعامهم ، وكانت تصرف هذه المرتبات من الذخائر التى كنزت فى مخازن الحكومة . وكان الضباط العظام وكبار الموظفين وعدد عظيم من المحظوظين يبذل لهم الفرعون العطايا من الأراضى والعبيد كما كان يقيم المعابد للآلهة، ويجزل لها العطاء، ويحبس عليها الأوقاف العظيمة. والواقع أن كل أراضى الدولة فى الأصل إذا استثنينا ممتلكات الآلهة كانت ملكا للفرعون، وهو الذى كان يهب من يشاء ويحرم من يشاء ، ولا أدل على ذلك من أن يوسف عليه السلام لما دخل مصر ، واتصل بالفرعون كان أول ما طلب منه أن يجعله على خزائن الأرض ، مما يدل على أنها كانت كلها فى قبضة الفرعون ، على أنه قد جاء فى إحدى لوحات « تل العمارنة » ما يشير إلى وجود أملاك خاصة، وذلك عند ما أراد أن يقيم الفرعون « اخناتون » مدينته الجديدة على مكان لا يملكه أحد فقال : تأملوا ! إن الفرعون له الحياة والسعادة والصحة، قد وجد أنها ليست ملكا لإله ولا لإلهة ولا لأمير ولا لأميرة، وأنه ليس لمخلوق أن يدّعى ملكيتها (Davies, "El-Amarna", Vol. V, P. 29.) على أن كل ذلك إذا حدث كان بطبيعة الحال من هبة الملك .

والواقع أن نظام الحكومة المصرية كان يقتضى أن كل فرد فى البلاد موظفا أو غير موظف، كان يعيش من فيض الفرعون وعلى ذلك كان كل فرد يسعى وراء

كسب حظوته فينال الهبات التى كان هو وحده القادر على بذلها ، وقد كانت الطريق لذلك سهلة أمام خدّامه الذين يخلصون فى خدمته كما كانت مفتوحة أمام جيش الموظفين الذين بهم تسير الأداة الحكومية التى يرتكز عليها كيان الدولة وبقاؤها ، وقد كانت الطريق لشغل هذه الوظائف لا يفتح أبوابها إلا لأولئك الذين يتعلمون الكتابة والقراءة فى المدارس . وقد كان التلميذ ينفق عمرا طويلا فى التعلم كما كانت العصا أكبر وسيلة تستعمل لإتقان أسرار الكتابة ويستعملها المعلم بسخاء .

المدارس والتعليم : والظاهر أن المدارس فى عهد الدولة الحديثة كانت على درجتين فالأولى تعادل بوجه عام ما نسميه نحن « المدرسة » ويسميها المصريون « بيت الحياة » وفيها كان يعلم الأولاد الكتابة والأدب القديم ، وقد استعملوا لكتابة تمارينهم كما ذكرنا قطعا من الخزف وشظيات الحجر الجيرى التى كانت لا تكلف شيئا بدلا من صحائف البردى(١) الباهظة الثمن ، وقد أسعدنا الحظ ببعض معلومات عن واحدة من هذه المدارس ، وقد كانت تابعة للعبد الذى بناه « رعمسيس الثانى » للإله «آمون» فى الجهة الغربية من « طيبة » وهو الذى يطلق عليه الآن اسم «الرمسيوم» وقدكانت ضمن المبانى العظيمة الخاصة بالإدارات المحيطة بالمعبد من جهاته الثلاث ، وقد عثر فى هذا المكان على عدد عظيم من «الاستراكا» يسترعى النظر ، وبخاصة ما وجد منها على كومة صغيرة من الأوساخ ، وتدل ظواهر الأمور على أن مدرسة المعبد كانت قائمة فى هذا المكان ويبدو أن التلاميذ عند ما كانوا ينتهون من كتابة بعض هذه «الاستراكا» كانوا يلقون بها فى هذه

---

(١) وقد أصدر الأستاذ «جاردنر» كتابا خاصا شرح فيه ماجاء فى هذه البردية وغيرها من هذا النوع وأطلق عليه اسم "Ancient Egyptian Onomastica" فى ثلاثة مجلدات . وقد تناول البحث فى كل كلمة وردت فى القوائم الثلاثة الهامة التى من هذا النوع . ويقول عن محتوياتها إنها كانت الخطوة الأولى نحو تأليف دائرة معارف . وقد فسر لنا السبب فى تسمية كتابه « أونوماستيكا » أى قوائم كلمات بقوله : « إن هذه الكلمة اليونانية تعنى قوائم أسماء أشياء رتبت تحت أنواعها وأنها ليست سلسلة كلمات مرتبة على حسب الحروف الهجائية (راجع Ibid. Vol. I, 4 - 5.) .

البقعة . و بدرس هـذه القطع التى كان ينسخها التلاميذ وجدنا أنها فوق احتوائها على بعض الموضوعات الانشائية التى تنتمى لعصر الدولة الحديثة تتألف من ثلاثة كتب عثر منهـا على مقتطفات عدة مكررة . وهى تعـاليم الملك « أمنمحات » وتعاليم « خيتى » بن « دواوف » وأنشودة النيـل وكلها تنسب إلى عهـد الدولة الوسطى . وممـا يسترعى النظر أن هـذه القطع الأدبية الثلاث عثر عليها جميعا على ورقتين من البردى تدل الظواهر على أنهما ترجعان الى أصـل « منفى » ولا شك فى أنهما كانتا تؤلفان الموضوع الرئيسى المعتاد لمنهاج المدرسة ، وقد وجدت مدوّنة بأكملها على هاتين الورقتين . أما ما وجد على قطع « الاستراكا » فكان يشتمل على مختارات قصيرة من هذه الموضوعات ومن كتابات أخرى لعظماء الكتّاب . وممـا يلفت النظر أننا نجـد باستمرار فى معظم الأحيان نفس المختارات معادة ، ولا يبعد أنهـا كانت القطع المنتخبـة المقررة التى كان لزاما على كل فرد متعلم أن يحفظها . وحينما كان يتخطى التلميذ هذا الدور الابتدائى من التعليم كان يقيد كاتبا فى إدارة مّا ثم يستمر فى تحصيل العـلم هناك على يد موظفين كبار . و يجوز أنهم كانوا رؤساءه المباشرين . وفى الدولة القديمة نجـد أن الأب هو الذى كان يستمر فى تلقين ٱبنـه إذا كان من كبار الموظفين . ولا أدل على ذلك من أن « بتاح حتب » طلب إلى « الفرعون » أن يسمح له بأن يعـلم ابنه ليخلفه فى وظيفته . وكان على الطالب فى أثناء تلقيه هذا التعليم العالى أن يستمر فى كتابة نماذج إنشائية لا تقف عند نقل بعض سطور كما كان يفعل من قبل بل تشمل قطعا كبيرة . وقـد وجدنا أن طالبا قد كتب ثلاث صحائف فى يوم واحد . وقد لوحظ أن خطأ التلميذ يصححه معلمه على هامش البردية ، ولكن لسوء الحظ لم يكن يعنى المعلم كثيرا بمـا كتبه الطالب من الألفاظ التى تفسد المعنى . بل جعل معظم عنايته بشكل الحروف . فكان درسه أقرب إلى تجو يد الخط منه الى دراسة اللغة وتحقيقها . وتدل معظم النسخ الخطية المدرسـية بوضوح على الأغراض الحقيقية من التعليم عندهم . فكان الغرض منه

أولا التربية. وثانيا المران على الأعمال التجارية، وحسن الخط. والواقع أن موضوع الإملاء لم يكن بالأمر الهين كما ذكرنا . إذ أن نظام الكتابة الهيروغليفية أكثر استعدادا لقبول الأغلاط ولا يعدله نظام آخر فى العالم. من أجل ذلك كانت العناية بهذا الموضوع عظيمة جدا . ولدينا كتاب يدلنا على عناية القوم وحرصهم على كتابة الكلمات الفردية كتابة صحيحة . ولا بدّ أن هذا الكتاب كان شائع الاستعمال فى المدارس . وقد وضعه كاتب كتاب الإله فى بيت الحياة («أمنوبى» ابن «أمنوبى») وقد عثر منه على ثلاث نسخ .

وقد اتخذ كاتب هذه الوثيقة لنفسه دور الكاتب الذى أراد أن يعلم التلميذ العلوم كافة . لذلك يحمل كتابه عنوانا مطولا . إذ يقول : " التعاليم التى تجعل الفرد أديبا ، وتعلم الجاهل علم كل كائن ، وكل ما صنعه «بتاح» وما سجله «تحوت» والسماء ونجومها والأرض وما عليها وما تخرجه الجبال، وما تجود به البحار ، وما له علاقة بكل الأشياء التى تضيئها الشمس وكل ما ينمو على الأرض " . ولا جدال فى أن هذا العنوان له رنة عظيمة فى الآذان ، إذ يجعل المستمع ينتظر معلومات ضخمة تكشف له الغطاء عن علوم هؤلاء القوم ، غير أن الأمر أهون من ذلك ، فالكتاب فى حد ذاته لا يخرج عن مجموعة كبيرة من أسماء وألقاب بعضها متداول معروف، وبعضها نادر غير مألوف ،وقد وضعت بنظام مرتب ترتيبا منطقيا لا بأس به ، فيذكر لنا أولا السماء وما فيها : السماء والشمس والقمر والنجوم والجوزاء ، والدب الأكبر، والقرد، والمارد، والخنزيرة، والسحاب، والعاصفة، والفجر، والظلام والضبح والفيء ... وأشعة الشمس . ثم يتلو ذلك أشكال المياه الموجودة فى الطبيعة والتربة . ثم يذكر فى ست مجاميع الألفاظ التى تدل على الكائنات الحية . فيذكر العلوية منها أولا . وهى الإلهة والإلهات، والأرواح الذكور منها والأناث . ثم يعدّد لنا المخلوقات البشرية مرتبة على حسب مركزها فى المجتمع . فنجد أولا الملك ثم الملكة . ثم يذكر لنا بعد ذلك كبار الموظفين . فرؤساء رجال

الدين والعلماء . ويلى ذلك السواد الأعظم من صغار الموظفين وأصحاب الحرف ، وبعد ذلك يضع أمامنا التعابير التى يعبر بها عن بنى البشر والجنود وأسماء الشعوب الأجنبية والأماكن المختلفة ، ثم ينتقل إلى ذكر أسماء ست وتسعين مدينة مصرية واثنين وأربعين اصطلاحا للمبانى وأجزائها . ومسميات للأراضى والحقول . ثم يعدّد لنا كل ما كان يأكله الإنسان أو يشربه . ويدخل فى ذلك ثمانيــة وأربعون نوعا من اللحم المطبوخ . وأربعة وعشرون نوعا من الشراب ، وثلاثة وثلاثون نوعا من اللحم النىء . وفى الجزء الختامى الذى وجد محطما كان قــد كتب عليه مسميات عن مختلفات الطيور وعدد عظيم من أسماء المــاشية وغير ذلك من الأسمــاء التى جمعها « أمنمو بى » بعناية ليضع أمام العالم صورة عن كل كائن ، شاكرا للإلهين « بتاح » و « تحوت » . ولا شك فى أن غرضــه من جميع تلك المسميات ، وترتيبها تعليم تلاميــذه كتابة المفردات كتابة صحيحة . وكما أسلفنا كانت كتابة الكلمات الأجنبية الكثيرة والأسماء الغريبة التى اندمجت بوفرة فى اللغة المصرية الجديدة عقبة كئودا حتى للطلبة المتقدمين ولذلك كانت تبذل عناية خاصة لتعليمها . فمن ذلك أن تلميذا من الأسرة الثامنة عشرة يضع كل همه فى أن يكتب على لوحة أسماء فى « كفتيو » (كريت) ، وسنرى فيما بعد أن نمــاذج الخطابات التى أوردناها فى هــذا الكتاب هى من هــذا النوع ، فتشتمل على كلمات وأسماء ليتعلم منها التلميذ كتابة الكلمات الأجنبية كما كان يتعلم من وثيقة « أمنمو بى » .

والواقع أن قائمة «أمنمو بى» هذه لا يمكن أن تعدّ فهرسا لسرد أسماء وحسب . وإن كان هذا هو مدلولها العملى كما يظهر لنا من ترتيبها وتنسيقها ، ولكن إذا أمعن الإنسان النظر إلى كنهها بعين فاحصة وجد أنهــا الخطوة الأولى نحــو فكرة تأليف قاموس . إذ نجد أن الترتيب الذى وضعت به ينم عن ترتيب منطقى مميز فى داخل كل مجمــوعة . كما نلاحظ علاقة ظاهرة بين كل لفظة وما سبقتها . وأعنى بذلك أن الكاتب على الرغم من أنه لم يعطنا إيضاحا عن تلك الألفاظ أكثر ممــا كنا نعرف

إلا أنه مكننا من أن نفهم علاقة الكلمة بسابقتها من مركزها فى القائمة، فأهمية هذه الوثيقة لفهم اللغة المصرية عظيمة جدا لنا . ويظهر مقدار ذلك جليا إذا علمنا أن الفهارس بمعناها الحقيق معدومة كلية فى اللغة المصرية . حقا إن لدينا بعض قوائم لأنواع الكلمات على « الاستراكا » كما توجد فى متون مشهورة مثل أسماء البلاد السورية التى ذكرها كاتب ورقة «أنستاسى» الأولى أو قوائم أسماء المدن التى استولى عليها فراعنة مصر فى الدولة الحديثة . والتى نقشوها على جدران معبد الكرنك وغيره . وكذلك القوائم التى ذكر فيها أسماء الأمم والأخشاب « والأشياء التى صنعت منها على الاستراكا » . على أن كل هذه القوائم وحتى وثيقة « جلنشيف » التى نحن بصددها الآن لا يمكن أن تقاس بالفهارس الحقيقية البابلية .

وليس من الصعب أن يعرف الإنسان السبب فى وجود هذه الفهارس فى « بابل » وخلو مصر منها ، وذلك أن المصرى قد اخترع الكتابة بنفسه لنفسه ليعبر بها عن لغته . وقد نميا سويا فى موطن واحد بعيدين عن التأثر الخارجى . ولكن فى بلاد النهرين أى « بابل » كان للسومريين كتابة خاصة بهم . غير أن قوما من الساميين الذين لا يعرفون الكتابة غزوا هذه البلاد . ولما أقاموا فيها رأوا الفوائد التى تعود عليهم لو اقتبسوا منها نظام الكتابة، فأخذوه منها واستعملوه فى التعبير عن لغتهم فنقلوا أولا الكتابة السومرية الأصلية كما شاهدوها . ولكنهم قرءوها بما يقابلها فى لغتهم « الأكادية »، وتعلموا بعد وقت أن يضعوا للكلمات السومرية ما يقابلها فى لغتهم . ومن ذلك ألفوا لأنفسهم فهرسا باللغتين . وقد دفعهم إلى هذا حاجتهم الملحة للتفاهم بينهم وبين القوم الذين غزوهم . ولكن مصر لم تكن فى يوم ما فى حاجة الى ذلك ، وكذلك نجد أن اللغة الإغريقية التى تعد من أعرق اللغات لم تأخذ فى وضع قاموس للغتها إلا بعد انقضاء العصر « الكلاسيكى » فيها .

ومما سبق نعلم أن المصرى كان يصنع مثل هـذه القوائم ليتقن التلميـذ فن الإملاء ولتبصرته بصفة عامة بكل ما يحيط به . وكان أعظم من كل ذلك عنـاية الأستاذ بتعليم تلميذه الأسلوب الصحيح . والتعابير المختارة لكتابة الرسائل .

من أجل ذلك كان التلميـذ ملزما بنقل نمـاذج رسائل من كل نوع حقيقية كانت أو إنشائيـة ونقل النصائح والتحذيرات التى كانت تصلح لهـذا النوع من التعليم ، إذ كان يكتبها فى شكل رسائل . ولذلك كان يطلق على ما يسطره التلميذ على ورق البردى اسم (تحرير الرسائل) ، وفى غالب الأحيان كان يضع التلميذ اسمه فى الخطابات الشخصية واسم معلمه كأنما هما يتراسلان، فنجد التلميذ يكتب لنفسه أنه كسلان وفاسق وعاهر وأنه يستحق مائة جلدة . ويدل ما لدينا من الوثائق على أن بعض الموظفين من مختلف الطبقات كانوا يستقلون بتعليم تلاميذهم فنجد كاتب خزانة فرعون ورئيس سجلات الخـزانة وكاتب مصنع فرعـون وغيرهم لهم تلاميذ يتعلمون عليهم . ويرى القارئ فى المنافسة الأدبية «ورقة انستاسى الأولى» أن الموظف وإن كان فى الاصطبل الملكى كان فى قدرته أن يكون معلما ماهرا .

ولقد كانت مهنة التدريس متغلغلة فى نفوس الموظفين الذين يحسنون الكتابة لدرجة أنهم كانوا يباشرونها فى وسـط أعمالهم . إذ نجد أن أحد الموظفين الذين كانوا يشرفون على نحت قبر « رعمسيس التاسع » فى صحراء وادى « أبواب الملوك » لم يطق صبرا على ترك مهنة التعليم حتى فى ذلك المكان المنعزل القفر فكان يكتب مساعده أو تلميذه أشـياء مختلفة بمثابة تمارين على شظيات كبيرة من الحجر الجيرى المتخلفة من النحت، وقد عثرنا منها على نموذج خطاب وقصيدة قديمة « لرعمسيس الثانى » وصلوات جميلة لشخص اضطهد ظلما فنرى يد المعلم قد تناولتها بتصحيح بعض الأخطاء . (راجع كتاب الأدب المصرى القديم ج٢ ص ١٤٢) ، وكان يوجد بجانب أولئك الموظفين الجيش ورجاله وما يتطلبه من نظام وعدة وعتاد ممـا سنتكلم عنه فيما بعـد .

سلطة الفرعون فى داخل البلاد وخارجها

على أن قيام مثل هــذا النظام الإدارى والحربى وحسن سـيره كان لا يتأتى إلا بالطريقــة الفعالة والأنظمة الحكيمة التى يقترها الفرعون بنفسه ، ولمـا كان الفرعون وبلاطه هو المصدر الوحيد الذى منه يستمد كل الشعب حياته وسعادته ، فإنه كان لزاما عليه أن يكون قادرا على صرف العطايا لكل هؤلاء الموظفين بطريقة منظمة لا يعتورها تقصير أو خلل ، وبذلك يمكنــه أن يضمن حسن سـير رعيته ورغبتهم فى خدمته . والواقع أن هذه كانت هى الحالة المتبعة فى عهـد الدولة الحديثة ، وقد استمرت هكذا بصورة تدعو إلى الإعجـاب والدهشة مدة تربى على قرن من الزمن ، على الرغم ممـا كان ينتاب البلاد من وقت لآخر من اضطـرابات أو ثورات داخلية . ولا شك فى أن الدخل الذى كان ينفق منه الفرعون على مبانيه الضخمة وتماثيله الثمينة والآلات وأدوات الزينة ، وكذلك على بلاطه وعلى المعابد لاينفد معينه ، وكان الفرعون يعتمد على جزء هام من هذا الدخل من خراج أملاكه ومصانعه ، ولكن الجـزء الأعظم ، كان يأتى إليه عن طريق نظام الجزية الدقيق الذى كانت تسير بمقتضاه البـلاد ، وأول أبواب هذه الجزية كان خراج الأطيان المنزرعة عدا أملاك الكهنة أو أملاك المعبد فقـد كانت معفاة من الضرائب ، والظاهر أنه كان يجبى من الأراضى عشرون فى المـائة من محصولها كما ذكر ذلك فى تقارير بنى إسرائيـل عن الحالة المـالية فى عهد يوسف عليـه السلام ، فقـد أدخل يوسف عليـه السلام قانون جباية الخمس بمثابة خراج على الأرض المنزرعة وهو ما كان يعطاه الفرعون ، وكانت أراضى الكهنة وحدهم هى التى لا تعـدّ من أملاكه (راجع Gen. 27, 26) وهـذه الجزية الفاحشـة لا يمكن الإنسـان أن يتصوّر فرضها إلا على أرض خصبة مثـل الأراضى المصرية الغنية التربة ، وعلى هـذا النمط كانت تضرب الضرائب على كل فـرع من المحاصيل وعلى ما تنتـجه الصناعات ، هـذا فضلا عن الضريبة التى كانت تفرض على المـاشية والأشجار ،

ولتنفيـذ مشاريع المرافق العـامة كحفر الترع والمحافظة على صـلاحيتها وغير ذلك من مرافق الحياة ، والظاهر أنه كانت تفرض ضريبة على الرءوس .

أما الحالة المدنية فى البلاد وثروة كل أسرة فكانت توضع لها قوائم يدوّن فيها عدد أفرادها وحالتهم . ثم تأتى بعد ذلك أعمال السخرة التى كانت تقتضيها الأحوال وبخاصة لإقامة المبانى العظيمة التى كانت تقام فى طول البلاد وعرضها ، وقد كانت أعمال السخرة من الأعمال الأساسية . وعند ما كانت تشتد الحاجة إلى الأيدى العاملة كان أولو الشأن يستخدمون أسرى الحرب والأفراد الذين كانوا يجلبون إلى البلاد بصفة جزية لإنجاز هذه الأعمال . ولقد كان من الضرورى لحفظ كيان الحكومة المصرية فضلا عن سياسة الحروب والفتح فى الأقاليم المجاورة أن تستورد منتجات البلاد الأجنبية ، وبخاصـة أخشاب بلاد « لبنـان » اللازمة للبناء وصنع السفن المقدسة والأسطول ، ومصنوعات بلاد «سوريا» ومحاصيل مناجم بلاد «النوبة» « وشبه جزيرة سينا » . أما أهم هذه المحاصيل وأعظمها لتسيير أمور الدولة فكان ما تخرجه مناجم جبال بلاد النـوبة من الذهب جزية سـنوية تدفع إلى مصر ، إذ الواقع أن استيلاء الفرعون على هذا المعدن الثمين قد جعل له المنزلة الأولى التى لا تجارى بين كل ممالك العالم المتمدين وقتئذ ، وبخاصـة فى العلاقات السياسية إذ كان يعدّ أمضى سلاح يهزم به أقوى أمة من البلاد المجاورة له كما كان وسيلة حسنة لجمع القلوب حوله فى مصر ذاتها . فقد كان الفرعون يبذل العطايا من الذهب على الدوام فى هيئـة حلقات وقلائد للشجعان من ضباطه وموظفيه المرة بعد المرة ولا أدل على ذلك من أمير البحر « أحمس بن أبانا » فقد نال ذهب الشجاعة سبع مرات . وكان الفرعون يكنز القناطير المقنطرة من هذا المعدن فى خزائنه ، وكانت محاصيل جبال بلاد النوبة لا ينضب معينها فى هذه الفترة من الزمن كما ذكرنا عند الكلام على غزوات ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وما كان يدفع لهم من جزية من الذهب والفضة .

ولا نزاع فى أن من نظر نظرة سطحية إلى نظام الحكم تحت سلطان ملوك طيبة يجد أنه لا يختلف عنــه فى عهد الأسرة الرابعــة أى أن الفرعون كان يسيطر على البلاد ســيطرة مطلقة بوصفه إلهــا، وأن جيش الموظفين الذين كانوا يديرون دفة البلاد لايختلفون عن نظرائهم فى عهد الأسرة الرابعة، غير أن من فحص الأمور فى عهد الأسرة الثامنة عشرة بعين ثاقبــة يجد هناك فرقا أساسيا بينها وبين الأسرة الرابعة ، وذلك لأن الثقافة والحــالة العالمية وطرق المعيشة قــد تطورت تطــورا عظيما ، إذ الواقع أن الدولة القديمة بالنسبة للدولة الحديثة كبلد محكوم حكما استبداديا مطلقا ودولة محكومة حكما اســتبداديا مستنيرا حتمته نظرية الرقى والنشوء التى اســتلزمها مرور ما لا يقل عن ألف وخمسمائة ســنة من الزمن فى بلاد كانت تسير مع الزمن فى تقلباته ، فنجد أن الحالة الاقتصادية التى انتهت بالدولة القديمة إلى جعل البلاد مقسمة إقطاعات لا نجدها فى عهد الدولة الحديثة، وعلى ذلك كانت السبل مهيئة للدولة لايعوقها أى عائق فى تنفيذ أغراضها فى الداخل والخارج على السواء . وَمن ثم جاءت فكرة الدولة والسيطرة العالمية (أى الامبراطورية) ، ولقد كانت الفرصة سانحة لأن المصريين عنــد ما قهروا الهكسوس وطردوهم إلى « آسيا » فتحت أمامهم الطريق لتأسيس امبراطورية عظيمة فيها . وقد وجدنا هذه الفكرة مختمرة فى رأس « أحمس الأوّل » عندما نطق بتصريحه عن سلطة الملكية ومدى نفوذها إنه إله وابن الإله ، وليس فى مقــدور أحد أن يقاومه ، وكل الشعوب رعاياه ، وإنه يضع حدوده فى نهاية العالم ، على أننا نرى فى الوثائق التى تركها لنــا أخلافه أنهم كانوا يبالغون أكثر منه فى التعبير عن مدى اتساع ملكهم وسلطانهم، وعندما احتلت مصر هذه المكانة أصبحت خلال مدة المــائة سنة التى تلت تأسيس الأسرة الثامنة عشرة ، الدولة العظمى التى تقود ثقافة العالم ، هذا إلى أنها فى داخليتها قد خرجت بذلك من نطاق التقاليــد القديمة التى كانت تحيط بوادى النيل ، ومن ثم نضجت ثقافتها وآتت أكلها فى كل النواحى، ومع ذلك بقيت فى عظمتها وعزلتها فى أحوالها الداخلية مثلا لم يسمع به عن أى دولة أخرى فى العالم .

سلطان الإله آمون : وعلى الرغم من ذلك كانت توجد قوة أخرى لها من الحقوق ما للفرعون ، بل كان لها السيطرة عليه وهــذه هى قوة الآلهة الذين كانوا يسيطرون عليــه و يهبونه النصر ، وكلما كانت انتصارات أولئــك الفراعنة عظيمة كان لزاما عليهم أن يزيدوا من الهدايا و إقامة الأعياد لأولئك الآلهة الذين حبوهم الفوز على الأعداء ، و بهذه الوسيلة كانوا يضمنون معونتهم فى الأوقات الحرجة .

وقد كان على رأس أولئك الآلهة بطبيعة الحال الإله « آمون » رب «طيبة» وهو الذى أصبح الآن إله الدولة الأوّل ، وقد كان الاعتقاد فيه أنه يجمع القوّة كلها فى شخصه ، وأنه موحد مع الإله « رع » المسيطر على العالم ، وقد كانت هذه الفكرة متغلغلة فى نفوس الملوك ، حتى أنهم كانوا يعتقدون أنهم متصلون به اتصالا روحيا مباشرا ، وأنه هو الذى أنجبهــم بطريقة خفية لا يعــلم سرها إلا هو : وقد كان المعبد الذى بنى لهذا الإله فى عهد الدولة الوسطى فى « الكرنك » بسيطا ، غير أنه أخذ يعظم ويتسع حجمه فى عهد « تحتمس الأوّل » الذى أقام له معبدا عظيما ، وقــد زاد فى هــذا المعبد كل الفراعنة الذين خلفوه ، وأمدّوه بالمؤن والذخائر ، وجملوا أرجاءه حتى أصبح بهجة العالم القديم والحديث ؛ غير أن هذه المبانى لا تمثل إلا جزءا صغيرا ممـا كان يتدفق على الإله من الخيرات التى لا ينقطع معينها ، ففى عهــد « أحمس الأوّل » نرى لدينـا قائمة هائـلة بالأوانى الفـاخرة والقلائد والأكاليل وطـرائف الحلى وأدوات العبادة التى صيغت كلها من الذهب النضار والفضة والأحجار الكريمة وخشب الأرز من بلاد « لبنان » ، وكل هذه ممـا أهداه الفرعون لوالده « آمون رع » ، يضاف إلى ذلك الأوقاف والعــربات والعبيد ، وأسرى الحرب ممـا أفاء به الإله عليه . و بذلك تكونت فى البلاد ملكية خاصــة بالإله ذات نظام يشــبه نظام الحكومة ، فكان لهـا خزائنها ومخازنها ومصانعها ، وموظفوها و إداراتها وعبيدها ، وكانت منفصلة عن أملاك بيت الفرعون حتى جاء عهد « تحتمس الثـالث » فوكل أمر الإشراف عليها لوزيره « رخ مى رع » الذى

كان رئيس وزارة الوجه القبلى (راجع الجزء الرابع صفحة ٥٩٦ الخ) ، وكان للآلهة الآخرين بطبيعة الحال أملاك خاصة مثل الإله «آتوم» صاحب «هليوبوليس» والإله «بتاح» رب «منف» والإله «تحوت» رب «الأشمونين» والإله «أوزير» صاحب العرابة المدفونة ، وقد كان لكل منهم أملاك فى الدائرة التى تحيط به [1] ، كما كان يقدم له الفرعون الهدايا مما يستولى عليه من فتوحه .

والواقع أن الاهتمام بالإكثار من المعابد الجديدة وإقامة الشعائر الدينية كان يسير على حسب ما فى البلاد من ثراء ورخاء . وقد كان ازدياد المبانى الدينية وانتشارها يدعو إلى ازدياد عدد الكهنة ، وكانوا يحتلون بطبيعة الحال مكانة ممتازة ويعيشون من دخل أملاك المعبد الخاصة ، والهبات التى كان يغدقها الفرعون عليه . وقد كان أولاد علية القوم — ولم تكن بعد قد تكونت طائفة كهانة وراثية — يجدون فى البحث للانخراط فى سلك كهنة المعبد ؛ وقد كان أثر ذلك أن فصلت كل ممتلكات المعابد عن أملاك الدولة ، وأصبحت لا تدفع أية ضرائب ، وكانت مع ذلك توضع تحت المراقبة الملكية كما ذكرنا آنفا ، كما كانت الترقيات بين رجال الكهانة من أدنى درجة — والد الإله ثم المطهر — حتى أعلى رتبة وهى «رئيس كهنة آمون» يقوم الفرعون بالتعيين فيها ، فمثلها فى ذلك مثل الوظائف الأخرى فى مصالح الدولة . ولكن حقيقة الأمر أن نظام الكهانة هذا قد أوجد حكومة داخل الحكومة المصرية كانت تسير على أسس متينة وكان رجالها يعدون المنفذين لأوامر الإله مما جعلها تمتاز عن حكومة البلاد الدنيوية بما يحيطها من السرية والرهبة التى لا يمكن انتهاك حرمتها . ولقد كان من جراء ذلك أن أوجد فراعنة الدولة الحديثة قوة عظيمة نمت وترعرعت فوق رءوسهم وهم فى غفلة لا يدرون أنهم بذلك قد وضعوا بذورا لإنبات قوة عظيمة فى البلاد انتهت بما جمعت من سلطان وقوة إلى القبض على زمام الحكم فى البلاد بقيام دولة الكهنة كما سنرى بعد .

---

(١) وما أشبه ملكيات هذه الآلهة واستقلالهم فى إدارتها بالحكم الإقطاعى فى عهد الدولة الوسطى .

إدارة السودان

لقد كان لإعادة فتح بلاد النوبة ثانية فى عهد « أحمس الأوّل » فى بداية الأسرة الثامنة عشرة أثر كبير فى بناء الإمبراطورية الجديدة، وذلك لما كان يرد على مصر منها من أموال طائلة ساعدت مساعدة عظيمة فى بناء مجدها فى « آسيا » وفى إقامة المبانى الضخمة الدينية فى داخل البلاد التى خربها « الهكسوس » ؛ وكان من أوّل الواجبات على الفراعنة بعد إعادة فتح بلاد « السودان » أن يضعوا أسسا قوية تسير عليها الدولة حتى يكون نفعها عظيما ، ولذلك رأى الفرعون أن يجعل علاقته ببلاد السودان علاقة خاصة لما بين البلدين من روابط قديمة ترجع الى عصر ما قبل التاريخ كما أسلفنا ، ولذلك عين لها حاكما أطلق عليه لقب « ابن الملك » حاكم بلاد « النوبة » فكان بحكم موضعه « نائب الفرعون » .

والظاهر أن هذه الوظيفة قد أنشئت فى عهد « أمنحتب الأوّل » وبقيت حتى عهد الأسرة الحادية والعشرين ، وقد كان آخر من لقب بهذا اللقب هو « بى عنخى » بن الفرعون « حريحور » ؛ (Petrie “History” Vol. III, P. 203 & M. M. A. II, P, 57) غير أننا سنرى فيما بعد أن إدارة مصر لبلاد النوبة قد استمرت بعد عهد « حريحور » مدة طويلة، وقد جدد لقب « نائب الملك » ثانية فى عهد الأسرة الثالثة والعشرين وذلك عندما تقلده موظف يدعى « أوسركون عنخ » (راجع Gauthier, B. I. F. A. O. XII P. 138) .

ولكن يلاحظ فى هذه الحالة أن الوظيفة كانت مجرد لقب شرف قديم بعث من رقدته ومنحه «أوسركون عنخ» ، أو أنه كان قد انتحله لنفسه على لوحته الجنازية التى تركها لنا ، ولا أدل على أن هذا اللقب كان مجرد لقب فخرى من أنه قد تقلدته الملكة « نسى خنسو » زوج الفرعون «بنوزم الثانى» (Petrie, Ibid P. 218)؛ وقد كان اللقب الأصلى الذى يحمله نائب الفرعون هو « ابن الملك » ؛ وكان أوّل من حمله على ما نعلم هو « تورى » (Urk. IV P. 78)؛ وهذا الرجل كان يحمل

كذلك لقب قائد « بوهن » فى عهد « أحمس الأول » ، والظاهر أنه كان لقبا حربيا ، ولكن فى السنة السابعة من حكم « أمنحتب الأول » نجد أنه يلقب « نائب بلاد النوبة » ونعت « بابن الملك » للإقليم الجنوبى ، وذلك على حسب نقوش وجدت فى« سمنه» . (راجع Breasted, "American Journal of Semetic Languages & Literature (1908) P. 108.) وفى السنة التالية أى فى السنة الثامنة ترك لنا هذا الموظف الكبير نقشا فى جزيرة « أورونارتى » عدّد فيه ألقابه وهى : الأمير الوراثى ، والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، ومحبوب الفرعون فى الأراضى الجنوبية ، وابن الملك . وفى السنة الأولى من حكم « تحتمس الأول » نجد أن « تورى » كان لايزال يلقب « ابن الملك » والمشرف على الأراضى الجنوبية ، (Urk IV. P. 79 — 81)، كما تحدثنا بذلك لوحة التتويج التى عثر عليها فى « بوهن » وعلى صورة منها فى بلدة « وادى حلفا » ، وكذلك كان لا يزال فى السنة الثالثة يقوم بأعمال وظيفته لهذا الفرعون أيضا (Ibid P. 89 — 90) . وفى عهد حتشبسوت ، (؟) نراه ممثلا فى المقبرة الوهمية التى أقامها الوزير « وسر » فى غربى « سلسلة » وقد لقب عليها ابن الملك والمشرف على الأراضى الجنوبية . (P. S. B. A. Vol. XII P. 104) ويظن الأستاذ « ريزنر » أنه كان فى هذا الوقت قد اعتزل العمل ، ولكنه مع ذلك كان ما يزال يحتفظ بألقابه بوصفها ألقاب شرف . (J. E. A. Vol. VI, P. 29) وقبل أن نستمر فى الكلام عن تاريخ هؤلاء الحكام يجب أن نثبت هنا أن لقب « ابن الملك » لم يكن من الضرورى أن يحمل معناه الأصلى ، أى أنه قد يكون لقب شرف وحسب . والدليل على ذلك ما نشاهده فى « تى كى » الذى عاش فى عهد « أحمس الأول » وكان يحمل هذا اللقب ، غير أنه لم يكن ابن ملك حقيق ، إذ نجده قد مثل مع والديه فى قبره ، فكان اسم والده «رع حتب» الذى كان يشغل وظيفة مدير حديقة النزهة ، أما والدته فكانت تسمى « سن سنب » وتحمل اللقب العادى للسيدات المصريات وهو « ربة البيت » . (راجع J. E. A. Vol. XI, P. 15) وعلى الرغم

من أن « تتى كى » هذا كان يحمل لقب « ابن الملك » فإنه لم يكن « نائب الملك » فى السودان . ولقب « ابن الملك » كما قلنا كان يطلق على « نائب الملك » فى السودان منذ عهد « أمنحتب الأول » وحسب ، والظاهر أن هذا الفرعون هو الذى خلق هذه الوظيفة . والواقع أن كل نواب الفرعون فى حكومة بلاد السودان حتى الأسرة الواحدة والعشرين لم يكونوا أولاد ملوك حقيقيين إلا « بى عنخى » بن « حريحور » فقد كان ابن ملك حقيقى ، وهو آخر من حمل هذا اللقب بصفة فعلية .

«سنى» : وقدخلف«تورى» فىهذه الوظيفة «سنى»وتاريخحياة خدمته على جانب عظيم من الأهمية، ففى نقش مهشم فى معبد «سمنة» نعرف أنه كان المشرف على إدارة ما قد محى اسمها فى عهد « أحمس الأول » ؛ (Urk. IV P. 39 — 41) أما فى عهد « أمنحتب الأول » فانه كان يشغل وظيفة مدير مخازن غلال « آمون » ومدير الأعمال فى معبد الكرنك . وفى السنة الثالثة من عهد « تحتمس الأول » نجد « سنى » هذا قد عين « نائب الملك » فى « بلاد النوبة » بلقب « ابن الملك » والمشرف على الأراضى الجنوبية . وفى عهد «تحتمس الثانى» كان يلقب « رئيس المازوى » (الشرطة) كما كان يحمل الألقاب التالية : «حاكم المدينة الجنوبية » (طيبة)، والمشرف على مخازن غلال «آمون» و «ابن الملك»، والمشرف على البلاد الجنوبية، (Ibid P. 142) ومن ذلك نعلم أن « سنى » كان يشغل وظائف إدارية حقيقية فى عهد ملكين قبل أن يعين «نائب الفرعون» فى عهد «تحتمس الأول» .

« نحى » : ومنذ السنة الثانية من حكم « تحتمس الثالث » ويحتمل فى عهد «حتشبسوت» أيضا ، كان يشغل منصب «ابن الملك» موظف يدعى «نحى» ويحمل الألقاب التالية «ابن الملك» والمشرف على البلاد الجنوبية، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والأمير الوراثى ، والحاكم الذى يملأ قلب الملك (Ibid P. 194) وحاجب الملك ؛ وحاجب الفرعون الأول (Ibid. P. 985 - 6.)

ومحبوب الفرعون فى «تاستى (النوبة) » ومدير الإدارة (قاعة المحاكمة؟) (Randell (Maciver, "Buhen", PP. 42-3. .

وقد كانت الأصقاع التى تحت إدارته تمتد من « نخب » (الكاب الحالية) حتى « كاراى » الواقعة عند الحدود الجنوبية للامبراطورية بالقرب من « نباتا » عند الشلال الرابع (Urk. IV. P. 987.) .

«وسرساتت» : (Wesersatet) كان يشغل وظيفة « نائب الملك » فى عهد الفرعون « أمنحتب الثانى » « وسرساتت » وكان يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى والحاكم، وحامل خاتم الفرعون فى الوجه البحرى، والسمير الوحيد، وابن الملك والمشرف على الأراضى الجنوبية (L. D. IV, Text, P. 123.) .

«أمنحتب» : وقد كان «نائب الملك» فى عهد «أمنحتب الثالث» على حسب ماجاء فى «لبسيوس» (Ibid. Text, P. 125.) يسمى «أمنحتب» ، ولكن من المحتمل أنه كان يشغل هذه الوظيفة فى عهد «تحتمس الرابع» (١٤٢٠ — ١٤١١ ق م) . وألقابه كالآتى : المشرف على ماشية بيت «آمون» والمشرف على الأعمال فى الجنوب والشمال، ورئيس اصطبل جلالتـه، وكاتب الفرعون، « وابن الملك » صاحب « كوش » والمشرف على الأراضى الجنوبيـة (L. D. Text, Vol. IV, P. 195) ويلاحظ هنا إضافة كلمة « كوش » لوظيفة « ابن الملك » . ومن ثم أصبح لقب « ابن الملك » صاحب « كوش » هو الاسم المعتاد الذى يطلق على « نائب الملك » فى « بلاد النوبة » .

وسبب ظهور هذا اللقب الجديد أن « أمنحتب » هذا قد عين على ما يظهر فى عهد «تحتمس الرابع» فى وظيفة «ابن الملك» صاحب «كوش» ليميز من ولى العهد ابن الملك « أمنحتب » الذى أصبح فيما بعـد فرعونا على عرش البلاد، فأضيف إلى لقب «نائب الملك» فى السودان صاحب «كوش» ليميز من ابن الملك الحقيق الذى كان يسمى « أمنحتب » أيضا . (راجع J. E. A. Vol. VI, P. 33) .

أما ألقاب « أمنحتب » هذا الأخرى فهى « فارس الفرعون » والممدوح من الإله الطيب (L. D. Text. Vol. IV, P. 125) .

« مرمس » : ومنذ السنة الخامسة من عهد الفرعون « أمنحتب الثالث » كان « نائب الملك » فى « كوش » هو « مرمس » وكان يحمل فضلا عن لقبه الأصلى لقب « حامل المروحة على يمين الفرعون » ، (Ibid Vol. IV, P. 244) وهذا لقب جديد قد بدأ يحمله نائب « كوش » و بقى يحمله « ابن الملك » حتى النهاية . والواقع أن هذا اللقب كان فى الأصل حقيقيا وأوّل من حمله هو « ماى حربرى » فى عهد « تحتمس الثالث » (راجع Legrain, "Repertoire", No. 108.) .

غير أنه أصبح فيما بعد لقبا فخريا يمنحه كبار رجال الدولة ، و إن كان صاحبه قد يحمل المروحة المصنوعة من الريش فى بعض الحفلات الرسمية ميزة خاصة له .

ولما كان حامل هذا اللقب له علاقة شخصية وثيقة بالفرعون نفسه فإنه كان يعد من الميزات العظيمة لمن يحمله ، ولذلك كان لا يعطاه إلا عظماء الموظفين من حاشية الفرعون « أمنحتب الثانى » ، وكما ذكرنا أصبح من التقاليد أن يعطى هذا اللقب لنائب بلاد « كوش » غير أنه لم يكن قاصرا عليه . على أننا نشاهد بنات الفرعون « إخناتون » يحملن المروحة التقليدية المصنوعة من الريش غير أنهن لم يحملن اللقب (راجع Davies, "El Amarna", Vol. III, Pl. XVIII) وقد كان يحمل هذا اللقب كاهن « آتون » الأعظم فى عهد « إخناتون » (راجع Ibid Vol. I, Pls. XXXV, XXXVIII, XLI) .

ونجد فى عهد الأسرة التاسعة عشرة أن هذا اللقب كان يخلع عادة على أمراء البيت المالك ، وكذلك على نائب بلاد « النوبة » . Gauthier, L. R. Tome III, P. 30 & L. D. Text. Vol. III, P. 245) ومن الألقاب الجديدة التى كان يحملها « مرمس » لقب المشرف على أرض الذهب للإله « آمون » ، غير أن بعض المؤرخين يعتقدون أنه وصف خيالى للقب الأصلى يقصد منه التفاخر ، أو بعبارة

أخرى هو تعبير شعرى للقب «المشرف على الأراضى الجنوبية» وذلك لأن الأقاليم التى كانت تنتج الذهب تمتد جنوبا من «إسنا» حتى بلاد «الحبشة»، فيحتمل أن كل بلاد «أثيوبيا» (نب) كانت «بلاد الذهب». على أن التعبير "أراضى ذهب «آمون»" قد ظهر للمرة الأولى على مانعلم فى مقبرة «سننفر» فى عهد «تحتمس الثالث» (J. E. A. Vol. VI, P. 80) فمن الجائز جدا أن «تحتمس الثالث» قد خصص محصول بعض مناجم الذهب لخدمة «آمون» وبذلك أصبحت ضمن أملاك الإله الخاصة وهى التى تعد منفصلة عن أملاك الدولة، وقد فعل مثل ذلك «سيتى الأول» عند ما خصص محصول مناجم «وادى عباد» لمعبد العرابة[١].

ومن الألقاب الأخرى التى كان يحملها «مر مس» المشرف على أراضى «كوش» حتى آخرها، والساهر على سيده، كما كان يلقب «كاتب الملك» ومحبوب الإله الطيب.

«تحتمس»: وفى عهد «إخناتون» كان نائب الفرعون فى بلاد النوبة يدعى «تحتمس» وكان يلقب «ابن الملك» وابن الملك صاحب «كوش»، والمشرف على أراضى الذهب الخاصة «بآمون». والمشرف على البنائين (؟) والأمير الوراثى والحاكم، والمشرف على أرض الحدود لجلالته، وحامل المروحة على يمين الفرعون (J. E. A. Ibid. P. 86.).

«حوى (أمنحتب)»: أما فى عهد «توت عنخ آمون» فكان نائب الملك يدعى «حوى» أو (أمنحتب) وقبره معروف فى «جرنة مرعى» بما يحتويه من المناظر المشهورة، وبخاصة مناظر الجزية التى أحضرت من بلاد النوبة كما سنتكلم عنه بعد، ويحمل الألقاب التالية: ابن الملك صاحب «كوش»، والمشرف على الأراضى الجنوبية، وحامل المروحة على يمين الفرعون، والأمير الوراثى، والحاكم، والوالد الأهلى محبوب الإله[٢] (لقب كهانة)، ورسول الفرعون لكل أرض، وكاتب الفرعون، والسمير الوحيد.

---

(١) راجع: J. E. A. Vol. IV, P. 241 ff.

(٢) راجع: Davies, "The Tamb of Huy". P. 4, Pl. XXIX.

(راجع L. D. Vol. III, Pls. 115-118.) والظاهر أن لقب «رسول الفرعون» كان يحمله « حوى » قبل أن يعين نائب الملك فى « كوش » ، وذلك لأن مثل هذا الموظف كان يعدّ عاملا له علاقة مباشرة بالملك ، وكان مسئولا أمام موظف ملكى فى العاصمة، لا أمام السلطات المحلية المصرية فى « كوش »، هذا فضلا عن أن هذه السلطات كانت ملزمة بأن تساعد وتعضد « رسول الفرعون » .

«باسر» : وقد كان آخر من حمل لقب «نائب الملك» فى «بلاد النوبة» فى عهد الأسرة الثامنة عشرة هو «باسر» ،وكان يشغل هذه الوظيفة فى عهد الفرعون «آى» ويحتمل كذلك فى عهد « حور محب » وألقابه كالآتى : ابن الملك صاحب « كوش » والمشرف على الأراضى الجنوبية، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، والكاتب الملكى (Champollion, "Notices", PP. 38 - 40) والمشرف على أراضى « آمون » فى « تاستى » (النوبة)، والمشرف على أراضى الذهب (L. D. III, Pl. 114 G.)، والأمير الوراثى والحاكم،والأمير حاكم المدنيين (راجع L. D. IV, Text, P. 126, No. 20.) . ومما هو جدير بالإشارة هنا أن «باسر» هو نائب « بلاد النوبة » الوحيد المعروف لنا حتى ذاك الوقت قد خلفه ابنه فى وظيفته .

«أمنأبت» (١٣١٥ — ١٢٩٠ ق.م): وابنه هذا يدعى « أمنأبت » وكان يشغل هذه الوظيفة فى عهد « سيتى الأول » ثم فى عهد « رعمسيس الثانى » مدة اشتراكه مع والده فى الحكم وألقابه هى : ابن الملك صاحب « كوش » وحامل المروحة على يمين الفرعون ،والمشرف على الأراضى الجنوبية ،وسائق عربة جلالته . (راجع De Morgan, "Cat. Mon." Vol. I, P. 28.) ولا نزاع فى أن وظيفة «سائق عربة الفرعون» تشعر بأن حاملها كان له ارتباط شخصى وثيق بالفرعون .

«يونى» : ومن الغريب المدهش أنه كان يوجد نائب ملك آخر يسمى «يونى» يظهر أنه كان يشغل هذه الوظيفة فى عهد «سيتى الأول» أيضا ، وفى عهد «رعمسيس الثانى » ومما لاشك فيه أن « أمنأبت » كان يشغل فعلا وظيفة « نائب الملك »

ولا أدل على ذلك من النقش الذى وجد له فى معبد «بيت الوالى» . والظاهر أنه هو الذى كان يشرف على بنائه بوصفه « نائب الفرعون » ويعتقد الأستاذ « ريزنر » أن المعبد قد أقيم فى عهد « رعمسيس الثانى » مدة اشتراكه فى الملك مع والده « سيتى الأول » (J. E. A. Vol. VI, P. 40) ولكن يحتمل أنه قد رقى من وظيفة رئيس اصطبل « سيتى الأول » وسائق عربة جلالته إلى وظيفة « نائب الفرعون» فى « كوش » فى خلال حياة « سيتى » كما يستدل على ذلك من صلواته للملك « سيتى الأول » فى « معبد وادى عباد » (L. D. III: Pl. 138 n.) ، وكذلك نجده قد قام بصلاة لسيده الجديد حيث نجده قد أطلق عليه ابن الملك صاحب « كوش» ورجل إهناسية (راجع Weigall, "Report on the Antiquities of Lower Nubia", P. 137 & Breasted. A. J. S. L, (1906) P. 29.) . ولما لم يكن لدينا تاريخ بعد أو قبل هذا التاريخ نجد فيه اثنين قد شغلا وظيفة « نائب الملك» فى « كوش » فى وقت واحد ، فلا بد أن نعتبر أن « يونى » خلف « أمنمابت » بعد إتمام معبد « بيت الوالى » ولكن كان ذلك فى مدة اشتراك « رعمسيس » مع « سيتى الأول» فى الملك . وقد كان « يونى » يحمل كذلك لقب « رئيس المازوى» (الشرطة) ؛ ولا عجب إذا حدثتنا الآثار أن هذه الوظيفة قد تقلب فيها عدة أفراد فى عهد « رعمسيس » الطويل ، خلافا لما ذكرنا ، وهاهم أولاء على حسب ترتيبهم التاريخى .

« حقا نخت » : كان يحمل الألقاب التالية : ابن الملك صاحب «كوش» وابن الملك والمشرف على الأراضى الجنوبية ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، ورسول الفرعون فى الأرض كلها ، والأمير الوراثى ، والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحري .

(٢) « باسر الثانى » بن « منمس » : وكان يحمل الألقاب التالية ، ابن الملك صاحب « كوش » والمشرف على الأراضى الجنوبية ، كاتب الملك ، « باسر » بن « منمس » ابن الملك (L. D. III, Pl. 196.) .

(٣) « ستاو » : عثر له على نقش مؤرخ بالسنة الثامنة والثلاثين من حكم الفرعون « رعمسيس الثانى » فى « أبو سمبل » ذكر عليه أن « ستاو » وكان يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى ، والحاكم ... ابن الملك صاحب « كوش » ، والمشرف على الأراضى الجنوبية ، ومدير بيت « آمون » وكاتب الملك (A. S. Vol. XI, pp. 84) وابن الملك (Breasted, A. J. S. L. (1906) P. 26.) كما كان كذلك يحمل الألقاب الأخرى التالية حاكم المدينة (Randell Maciver, 47. Ibid I, P.)، ومدير أراضى الذهب الخاصة برب الأرضين (Ibid P. 114)، ومدير أراضى الذهب الخاصة « بآمون » ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، والمشرف على الخزانة، ومدير عيد « آمون »، والمشرف على أراضى الذهب ورئيس كهنة ... ... ومدير القصر (A. S. Vol. XI, PP. 77 - 81) (راجع L. D. Text. Vol. V, P. 165) . وآخر نقش مؤرخ لولاية هذا النائب كان فى السنة الثالثة والستين من حكم « رعمسيس الثانى » .

« مس سوى » : وفى عهد «مرنبتاح» كان «مس ـ سوى» يشغل وظيفة « نائب الملك » فى « كوش » وكذلك فى عهد كل من الملك « أمنمسس » (١٢١٥ ق م) و « سيتى الثانى » (١٢٠٩ — ١٢٠٥ ق م) . وكان يحمل الألقاب التالية : ابن الملك صاحب « كوش »، والمشرف على الأراضى الجنوبية ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، وكاتب الفرعون ، والواحد المختار صاحب الأرض الجنوبية (L. D. III, P. 176 G.) .

«سيتى» : وفى عهد الفرعون «مرنبتاح ـ سبتاح» (١٢١٥ — ١٢٠٩ ق م)؟، كان يشغل هذا المنصب موظف يدعى «سيتى» وقد كان يحمل فضلا عن الألقاب العادية التى يحملها فى العادة «ابن الملك» الألقاب التالية : « الكاتب الملكى لخطابات الفرعون (له الحياة والسعادة والصحة) ، ومدير الاصطبل ، وعينا ملك الوجه القبلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى ، والكاهن الأعظم لإله القمر «تحوت» ورئيس

الخـزانة ، والمشرف على كتاب رسائل بلاط قصر « رعمسيس مرى (؟) آمون » فى البلاط (راجع A. S. Tom. X, P. 132)، والمدير العظيم لبيت الفرعون. وآخر أثرله أرّخ بالسنة الثالثة من حكم «سبتاح» (De Morgan, "Cat. Mon." Vol. I, P. 86, No. 29.) .

«حورى الأوّل» ابن «كاما» (؟) : وكذلك تولى هذه الوظيفة فى حكم « سبتاح » نفسه، نائب ملك يدعى « حورى » فقد وجد له نقش مؤرخ بالسنة الثالثة من حكم هـذا الفرعون ، ويحمـل الألقاب التالية : « السائق الأوّل لعربة جلالته، ورسول الفرعون لكل أرض، والذى يضع الرؤساء فى أماكنهم، والذى يرضى جلالته ، «حورى» بن « كاما» المرحوم، الموظف باصطبل «سيتى الأوّل» الخاص بالبلاط (Randell Maciver ibid I, 38) وآخر نقش مؤرّخ لهذا الحاكم كان فى السنة السادسة وهو النقش الذى يشير اليه بوصفه ابن الملك صاحب « كوش » (Ibid P. 36 Pl. 12.) .

« حورى الثانى » : وخلف « حورى الأوّل » « حورى الثانى» والظاهر أنه كان يعمل فى حكم « رعمسـيس الثالث » ولكن من المؤكد أنه كان يشـغل وظيفة « نائب الملك » فى عهد « رعمسيس الرابع » (١١٦٧ — ١١٦١ ق م) ومن المحتمل كذلك أنه كان لا يزال فى عمله نائبا للملك فى بلاد « كوش » فى عهد « رعمسيس الخامس » (١١٦١ — ١١٥٧) (راجع De Morgan, Ibid. I, P. 84. والمشرف على أرض الذهب الخـاصة بالإله « آمون رع » ملك الآلهة J. E. A Vol. VI, P. 50) .

« ونتاوات » : والظاهر أن النـائب الذى خلف « حورى الثانى » وهو « ونتاوات » كان ابنه ، ويمكن الحكم بذلك من نقش وجد فى « سمنه »، وكان يشـغل وظيفته فى عهـد « رعمسيس السـادس » والسـابع ، والثامن ، (١١٥٧ — ١١٤٢ ق م) وألقابه هى : ابن الملك صاحب «كوش» والمشرف

على أراضى ذهب « آمون رع » ملك الآلهـة ، والكاهن الأول للإله « آمون » صاحب « خنـوم واست » وحارس الباب ، ومدير بيت « آمون » فى « خنوم واست » (Legrain, "Statues", Vol. II, P. 25-26.) . والكاهن الأكبر « لآمون رعمسـيس » (Maspero, "Momies Royales", P. 767.) ورئيس اصطبل البلاط ، والأول (عند) جلالته (Randell MacIver Ibid. P. 79)

«رعمسيس نخت» : والظاهر أن « رعمسيس نخت » كان يشغل وظيفة نائب الفرعون فى عهد «رعمسيس التاسع» (١١٤٢ — ١١٢٣ ق م) وكان يحمل ألقاب هذه الوظيفة العادية "ابن الملك صاحب « كوش » ، والمشرف على الأراضى (؟) وحامل المـروحة على يمين الفـرعون ، وكاتب الملك" (راجع Randell MacIver Ibid. P. 44.) .

«بانحسى» : (أى العبد) . والظاهر أن الفرعون كان يعين بعض حكام السودان من بين أبنـاء البلاد أنفسهم ، وكان الواحد منهـم يفتخر بلونه ، ولدينا «بانحسى» ومعناه : «العبد» ، كان يتولى مهام أمور هذه الوظيفة فى عهد «رعمسيس الحادى عشر» فقد وجد له نقش مؤرّخ بالسنة الثانيـة عشرة ، ويحمل الألقاب التـالية (راجـع Turin Papyrus: Pleyte & Rossi, "Papyri de Turin", P. 87, Pl. LXVI.) . حامل المروحة على يمين الفرعون، وكاتب الملك، وقائد الجيش، ومدير مخازن الغلال "ابن الملك صاحب « كوش» والمشرف على الأراضى الجنوبية والقائد، والرئيس الأكبر للخزانة" (Lieblein, Rec. Trav. Vol. I, P. 141.) وكذلك كان يلقب الأمير الوراثى ، والحاكم ، ومدير بيت « آمون رع » . وآخر تاريخ له معروف حتى الآن هو" السنة السابعة عشرة من عهد الفرعون « رعمسيس الحادى عشر » وقد ذكر فيه بلقبه ابن الملك صاحب « كوش» (Pleyte & Rossi, Ibid. P. 89. Pl. LXVI.) .

حرى حور : خلف « بانحسى » فى نيابة « كوش » « حرى حور » الذى تمكن فيما بعد من اغتصاب العرش من آخر الرعامسة الضعفاء، وكان يحمل الألقاب

التالية قبل توليه العرش ، رئيس كهنة « آمون رع » وابن الملك صاحب « كوش » والمشرف على مخازن الدولة ، والرئيس الأعلى للجيش ، ومدير كل أعمال آثار جلالته ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، (راجع .Gauthier, L. R. III, P. 233) ويلحظ هنا مما سبق فى النقوش ، أن هذه الوظيفة كانت تمنح فى بادئ نشأتها أى فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة إلى رجال ذوى تجارب حربية كما نلحظ ذلك فى نهايتها ، فقد كان القائمون بها رجالا ممن يحملون ألقابا حربية ، على أنه فى نهاية « الأسرة الثامنة عشرة » وفى « الأسرة التاسعة عشرة » ، والجزء الأول من « الأسرة العشرين » كان يشغلها رجال إداريون ، لهم بعض التجارب الحربية ، فقد كان تحت تصرف الحاكم بعض فرق من الجنود كافية لقمع أى عصيان أو ثورة تقوم فى هذه البلاد الهادئة الشاسعة ، ولكن فى خاتمة الأسرة العشرين يظهر أن بلاد السودان كانت تريد أن تضعف من النفوذ الفرعونى فى أصقاعهم ، ولذلك كان لزاما على الفرعون أن يعين جندى ميدان نائبا عنه فى حكم هذه البلاد ليقبض على زمام الأمور ويقضى على الثورات فى مهدها قبل أن يستفحل خطرها .

باى عنخى : وقد خلف « حرى حور » فى حكومة السودان ابنه « بى عنخى » (١٠٩٠ — ١٠٨٥ ق م) عندما استولى والده على عرش ملك الفراعنة وكان « بى عنخى » يحمل الألقاب التالية : حامل المروحة على يمين الفرعون وكاتب الملك وقائد الجيش ، وابن الملك صاحب « كوش » ، وحاكم البلاد الجنوبية ، والكاهن الأكبر للإله « آمون رع » ، والمشرف على مخازن غلال الفرعون (راجع .Gauthier, Ibid. P. 238) على أن « بى عنخى » نفسه لم يعتل قط عرش الملك ، ولكن الذى خلف « حرى حور » فى حكم البلاد هو « بينوزم الأول » .

مكانة نائب كوش وحدود وظيفته : وبعد « بى عنخى » أمسى هذا اللقب فى زوايا النسيان ولم يستعمل بعد إلا فى حالتين كان يمنح فيهما بوصفه لقب شرف كما سلف ذكره ، غير أن ذلك كان لا يعنى أن أعمال « نائب الملك » فى بلاد

النوبة ، قد بطلت إذ الواقع أن دائرة الأقطار السودانية كانت منذ تلك اللحظة وما بعدها في أيدي أمراء كانوا قانونا أولاد ملوك شرعيين ، ومن ثم لم يكن هناك داع لبقاء لقب «ابن الملك» ضمن الألقاب التي كان يحملها حاكم السودان . ونستطيع مما لدينا من الوثائق المنقوشة على الآثار أن نقرر أن الأقطار السودانية قد تمصرت تمصيرا تاما في خلال الخمسين والأربعمائة سنة التي تولى نواب الملك فيها إدارة السودان الذي قد أصبح جزءا لا يتجزأ من مصر ، وقد زاد تمصير هذه الأقطار أكثر في الفترة التي تقع بين عامي (٧٢٠ — ٥٠٠ ق م) كما يدل على ذلك آثار ملوك السودان في تلك الفترة . وقد رأينا أن الألقاب الرئيسة التي كان يحملها الحاكم المصري للأقطار السودانية كانت أولا «ابن الملك» ثم بعد عهد «أمنحتب الثالث» أو يحتمل في عهد والده «تحتمس الرابع» لقب هذا الحاكم « ابن الملك صاحب كوش » ، وكان يضاف إلى هذا اللقب أحيانا « المشرف على الأراضي الجنوبية أو ما يقابله » . ومنذ عهد « أمنحتب الثالث » كذلك نجد أن نائب الفرعون في السودان كان يحمل لقب « حامل المروحة » على يمين الفرعون ، غير أن هذا اللقب لم يكن وقفا عليه ، بل كان يحمله موظفون من عظماء الدولة . وكذلك من الألقاب التي كان يحملها نائب الفرعون ولم تكن وقفا عليه : الأمير الوراثي ، والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحري والسمير الوحيد . حقا كانت هذه الألقاب تحمل معناها الحقيقي في عهد الدولة القديمة . وبقيت كذلك حتى عهد الدولة الوسطى ، ولكنها في عهد الدولة الحديثة قد استعملت بمثابة ألقاب شرف كالألقاب والأوسمة في العهد الحاضر . ومما له أهمية عظمى ، الألقاب التي كان يشغلها هؤلاء النواب قبل توليهم حكومة السودان رسميا . وذلك لأن هذه الألقاب تعطينا فكرة عن حياة أولئك النواب الحكومية ، قبل توليهم حكومة بلاد السودان ، والواقع أننا إذا فحصنا هذه الوظائف اتضح أن عددا عظيما من حامليها كانوا في خدمة الفرعون الشخصية ، وكان خمسة منهم يشغلون أولا وظيفة « كاتب الملك » وهي وظيفة ثقة كانت على جانب عظيم من

الأهمية فى عهد الدولة الحديثة ، ويلاحظ كذلك أنه منذ تولى « تورى » وظيفة « ابن الملك » فى « السودان » لم نجد واحدا ممن تولى هذه الوظيفة كان له سلطة حربية فى هذه الأقاليم بل كانت السلطة الحربية موكلة إلى رئيس رماة « كوش » الذى كان تحت إدارة نائبا لملك مباشرة ،وكان مسئولا عن حفظ النظام فى السودان ومن ذلك نفهم أن الفرعون حينما كان يعين نائبا له فى « بلاد السودان » كان أهم مايرمى إليه فى اختياره أن يكون رجلا إداريا حازما يمكنه أن يجمع له الضرائب والمحاصيل، ولذلك كان ينتخبه من أقرب المقربين إليه ممن اشتهروا بحسن الإدارة والذكاء والإخلاص فى العمل لشخصه، فلا يقوم بأية دسائس ضده أو يحاول أن يمتص دماء الأهلين بفرض الضرائب الفادحة عليهم لمنفعته الشخصية، وكان من الطبعى إذا عندما كان الفرعون يبحث عن شخص تجتمع فيه كل هذه الصفات الحسنة أن ينتخبه من أولئك الأفراد الذين فى خدمته الخاصة ممن عرف مقدرتهم وأخلاقهم عن كثب، وعلى ذلك كان كل نائب للملك فى السودان يعينه الفرعون بنفسه، لهذا لم يجعل الوظيفة وراثية ،والظاهر أن بقاء هذا النائب وعزله كان على حسب رغبة الفرعون، ولكنه كان فى العادة يبقى مدّة حياته فيها أو حتى يتولى ملك جديد عرش البلاد، قد يفضل تعيين نائب آخر غير الذى نصبه سلفه. ومع ذلك فقد رأينا كثيرا من الملوك، أبقوا النوّاب الذين عينهم سلفهم . والظاهر أن بعض النوّاب فى عهد « رعمسيس الثانى » وكذلك النائب « سيتى » فى عهد « مرنبتاح ــ سبتاح » قد أغضبوا الفرعون فعزلهم (راجع J. E. A. Vol, VI, P. 84.) ومن المدهش أنه لرغبة الفراعنة الظاهرة فى تعيين أفراد فى هذه الوظيفة ممن لهم علاقة شخصية بالملك قد بقيت هذه الوظيفة حتى عهد « حرى حور » لا يعين فيها ابن ملك حقيقى، والسبب فى خروج « حرى حور » على هذا التقليد يمكن معرفته من الألقاب الأخرى التى كان يحملها ابنه وهى « كاهن آمون » الأكبر، وقائد الجيش الأعلى ، ومن ذلك نعلم أن السلطات الروحية والحربية والمالية قد تجمعت كلها

تحت رقابة الملك وابنه مباشرة ، وتلك خطة حكيمة سليمة وسياسة دقيقه جرت عليها البلاد المصرية فى تلك الفترة من تاريخها بالنسبة لأملاكها فى الخارج، ولكن ضـعف الإدارة فى الداخل بسبب الانغماس فى اللذات ووهن عزائم ملوكها أدّى إلى اغتصاب رئيس الكهنة الملك . وقـد كان بدوره يريد ألا يقع فيما وقع فيـه أسلافه فعمل على جمع السلطة كلها فى يده هو وأسرته .

الامبراطورية المصرية فى آسيا

تحدّثنـا فى الفصل السابق عن نفـوذ مصر فى إقليمى بلاد النوبة والسودان (كوش) وكانا يؤلفان جزءا من وادى النيل الذى تسيطر عليه مصر وقتئذ ولا بدّ لنا الآن من إلقاء نظرة خاطفة على ما كان لمصر من سلطان ونفوذ فى الأقاليم الأسيوية المتاخمة لها ،وهى الأقاليم التى فتحها فراعنة مصر فى «الأسرة الثامنة عشرة» . وإذا رجعنا إلى الوراء قليلا علمنا أن فراعنة مصر كانوا يعملون منـذ الدولة الوسطى على تأسيس امبراطورية مصرية فى الأصقاع الأسيوية المجاورة للكنانة . وقبل أن نبين مدى التوسع المصرى ونفوذه اللذين أحرزهما فراعنة «الأسرة الثامنة عشرة» فى آسيا يجب أن نفهم المقصود من كلمة امبراطورية فى تلك الآزمان القديمة بالنسبة لمعناها الحديث حتى يتسنى للقارئ أن يفهم موقف مصر فى هذه الأقاليم الشاسعة ويعرف كيف بسطت سلطانها على تلك الأصقاع وسنستنبط ذلك مما فصلنا القول فيه من قبل.

ولا نزاع فى أن أوّل عاهل أسس بنيـان هذه الامبراطورية على قواعد ثابتة هو الفرعون . «تحتمس الثالث» إذ كانت رقعة فتوحه تنبسط من أعالى نهر دجلة والفرات شمالا وتمتدّ جنوبا حتى الشلال الرابع .

درجات الحكم الامبراطورى : وكلمة امبراطورية فى معناها العام تعنى : درجة مّا من السلطان والنفوذ يعترف بهما سكان البلاد الأجنبية المقهورة على أمرها للأمة الغالبة صاحبة القوة . ولكن السؤال الذى يهمنا هنا هو : ما مقدار هذا النفوذ

وما حدوده؟ والبحوث الحديثة تدل على وجود ثلاث درجات من النفوذ الاستعمارى يطلق على كل منها نفوذ إمبراطورى . فالحكم الإمبراطورى فى أدق معانيه وأعلى درجاته كما يفهمه العالم الحديث وبخاصة فرنسا وانجلترا يعنى التسلط على إقليم أو عدّة أقاليم بوساطة قوّات من الجنود تقيم فيها فى جهات مختلفة ، هذا إلى إدارة شئونها الداخلية المباشرة بموظفين وعمال تنصبهم الدولة المسيطرة ؛ وهذا الصنف من النظام الإمبراطورى يبلغ الكمال عندما يصبح سكان هذه الأقاليم خاضعين للتجنيد الحربى كما يصير نظامهم المدنى وفق نظام الدولة صاحبة السيادة فيجرى على سنته أهل هذه الأقاليم الخاضعة . غير أننا إذا رجعنا إلى العهود القديمة من التاريخ نجد أن هـذا النظام الامبراطورى الذى حددنا معانيه لم يكن معمولا به فى عهـد أية دولة من الدول القديمة التى سبقت عهد الاسكندر الأكبر، بل فى الواقع لم يتحقق إلا جزئيا فى عهد الامبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث .

والدرجة الثانيـة من درجات الحكم الامبراطورى أقل تنسيقا من السابقة ، إذ كانت تتمثل فى ارتبـاط دائم بين الدولة صاحبـة السيادة وبين الأقاليم التى تنشر سلطانها عليها بوصفها تابعة لها . وهـذه التبعية أو التسلط كان لا يأتى عن طريق الاحتلال الشامل بجنود الدولة المسيطرة أو بإدارة شؤنها المباشرة ، بل كان يأتى عن سبيل الفزع والخوف من التسلط عليهـا بالغزو من جهة ، ومن جهـة أخرى بالحاميات التى توضع فى مختلف المدن الكبيرة يشدّ أزرها ممثلون من قبل الامبراطور يشرفون عن كثب على نظم البلاد الداخلية ومن يحكمونها من الأمراء المواطنين .

أما الدرجة الثالثـة من درجات الحكم الامبراطورى فكانت تحصر فى استئثار الدولة القوية بمـدّ دائرة نفوذها المنفرد على الأقطار الخاضعة لإرادتها ، وكان كل ماتبتغى الدولة المسيطرة من أهلها هى الضرائب وكانت لاتجبى بحاميات أو ممثلين ، وكانت عرضـة للانقطاع من وقت لآخر ، وعندئذ كانت تحصـل بالغزو أو بمجرد التهديد والخوف فى كثير من الأحيان .

وإذا أردنا الآن أن نحـدد مكانة الامبراطورية المصرية فى آسيا بالنسبة لهذه الدرجات الثلاث من نظام الحـكم الامبراطورى فإنا بلا نزاع نخرجها من الصنف الأول كلية، وذلك عندما نفحص ممتلكاتها فى آسيا ومقدار نفوذها فيها . وينحصر كلامنا هنا على الامبراطورية المصرية إلى ما قبل عهد البطالمة . وقـد يكون من المسلم به أن احتلال جنوبى سوريا نهائيا وأعنى بذلك فلسطين الأصلية حتى «عكا» وهو الجزء الذى فتحه «تحتمس الثالث» ثم فقد فى عهد « إخناتون » وأعيد لمصر ثانية فى عهد «سيتى الأول» يعدّ احتلالا إقليميا بالمعنى الذى نفهمه الآن، غير أنه على الرغم من أن عددا قليلا من الحكام المحليين الذين ذكروا فى رسائل «تل العمارنة» فى عهدى الفرعونين «أمنحتب الثالث» و« إخناتون » كانوا يحملون أسماء مصرية وأن بعـض الأراضى فى « فلسطين » قد أصبحت ضمن أملاك الفرعون نفسـه أو فى يد الكهنة فإن إدارة هذه الأصقاع فى مجموعها كانت قد بقيت فى يد حكام من الأهالى الأصليين بطريقة غير مباشرة، ومع ذلك كانت توجد حاميات مصرية وممثلون لكبح جمـاح أى عصيان . وكان رجال هـذه الحاميات على ما يظهر من الجنود المرتزقة بوجه عام أو مجرّد مجندين ممن جنـدهم الأمراء المحليون، ومن ذلك نستخلص أنه حتى فى «فلسطين» لم تكن الامبراطورية المصرية فى عهد «الأسرة الثامنة عشرة » قد وصلت إلى المرتبة الثانية من مراتب التسيطر الأمبراطورى كما نفهمه الآن . والواقع إذن أنه — على قدر ما وصلت إليـه معلوماتنا — لم تكن الدرجة الأولى من الحـكم الامبراطورى معـروفة كما أنها لم تصـل إلى الحالة التى يكون فيها الأهلون مشتركين فى الحـكم بمثابة مواطنـين فى غربى آسيا حتى عهد الدولة الأشورية الأخيرة. فالدول التى قامت فى «مسوبوتاميا» قديما وهى السومبرية والبابلية ، والأشورية لم تصل واحدة منها فى استعمارها إلى أكثر من الدرجة الثانية أو بتعبير أدق لم يتعدّ سلطان واحدة منها أكثر من نفوذها المنفرد فقط على الإقليم الخاضع لها . ولذلك يعد نظام الدرجة الثانيـة من الحكم الامبراطورى من ميزات

عهد « الأسرة الثامنة عشرة » فى ترقى فكرة الحكم الامبراطورى و إن كان هذا الرقى لم يحد بهم إلى تأسيس فكرة امبراطورية كما نفهمها الآن .

الواقع أن الامبراطورية المصرية فى آسيا كانت نتيجة مباشرة لطرد الهكسوس الغزاة من وادى النيل ، أو أنها قامت بتأثير طرد أولئك الأجانب الغاصبين . ولا نزاع فى أن مصر منذ عهد الدولة الوسطى كانت قد بدأت فى مدّ سلطانها وتأليف امبراطورية من نوع النفوذ الامبراطورى الثالث فى عهد أواخر فراعنة « الأسرة الثانية عشرة » كما فصلنا القول فى ذلك (راجع الجزء الثالث ٤٢٤ ألخ)؛ غير أن هذا التقدّم فى سبيل تمكين هذه الامبراطورية قد عاقه ما حل بالبلاد من انحلالٍ من جرّاء غزو الهكسوس وضعف ملوك «الأسرة الثالثة عشرة» على الرغم من وجود نفوذ لهم فى فلسطين ، ولذلك أصبح موضوع تأسيس امبراطورية مصرية وقتئذ فى آسيا أمرا مستحيلا ، ولكن عند ما هدأت ثائرة الغارات التى شنها هؤلاء الهكسوس وهب المصريون فى وجوههم وطردوهم من أرض الكنانة فتحت الطريق أمام المصريين ثانية لتأسيس امبراطورية جديدة فى آسيا . وعلى الرغم من أن الغارات التى قام بها ملوك « الأسرة الثامنة عشرة» فى أوّل الأمر مخترقين بها جبال الكرمل حوالى عام ١٥٨٢ ق م قد لا يكون الدافع لها فى الأصل إلا الانتقام من الهكسوس ،فإنه مما لا شك فيه أن دافع القيام بها كان لحدّ ما تلاشى مد الهكسوس الذى انعكس فصار آخذا فى الجزر بصورة بارزة وأعنى بذلك وقوف موجات غزو الهكسوس التى لم تكن فى الواقع إلا جزءا من المد العظيم الذى كان يفد من الشرق وحمل معه الكنعانيين إلى سوريا . وعلى أية حال فإن المصريين كانوا بطبيعة الحال قد تعلموا من محاربة الهكسوس لهم ما كان ينتظرهم فى سوريا وكيف يمكنهم الاستيلاء عليها . وقد كان ظهور المصريين فى الجنوب الغربى لآسيا فى عهد الفرعونين «أحمس الأوّل» و «تحتمس الأوّل» مقدّمة لتمكين ملكهم هناك إذ لم ينشأ فى عهدهما ملك وطيد الأركان يمكن أن يطلق عليه اسم امبراطورية حتى من الدرجة الثالثة

التي وصفناها . إذ الواقع أن الحملات التي قاما بها كانت غزوات ضعيفة كما كانت العادة المتبعة فى آسيا منذ الأزمان العتيقة ؛ فلم نسمع بالاستيلاء على أماكن حصينة مثل «غزوة» و «عسقلان» أو «مجدو»، وهى المدن التي كانت تقع فى طريق الجيوش الغازية، بل كل ما وصلت إليه معلوماتنا هو الاغارة على قبائل «شاسو» (البدو) الذين كانوا يسكنون الصحراء وقتئذ أو على أهالى «رتنو» فى جبال الجليلى، وكذلك نسمع بفرض ضريبة على البلاد الفينيقية حتى مدينة «إرواد»، وعلى القبائل التي كانت تقطن فى الداخل فى شمالى بلاد «نهرينا» ومقاطعة «حلب» . ومما هو جدير بالذكر هنا أن كثيرا من الجزية كانت على ما يظهر ترسل من تلك البلاد النائية لمجرد الخوف من إغارة الفرعون عليها ولم يكن هذا بدوره يقوم بها إلا عند شبوب ثورات أو إعلان عصيان .

وقد ظلت الحال كذلك إلى أن انفرد «تحتمس الثالث» بالحكم، وعندئذ أخذ فى تأسيس امبراطوريته فى أقاليم أسيا بصورة ثابتة وسياسة مرسومة . وبالاستيلاء على «غزة» و«مجدو» والأماكن الحصينة الأخرى فى فلسطين تم لهذا الفرعون ضم الجزء الجنوبى الأقصى من سوريا، ويشمل معظم «فينيقية»، وذلك فى السنة الثلاثين من حكمه، إذ نسمع وقتئذ بتنصيب حكام جدد لحكم الأصقاع؛ وليس لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأن هؤلاء الحكام كانوا من أصل مصرى، كما أنه لا يمكننا أن نقدر على وجه التحقيق مبلغ النفوذ العسكرى الذى كان لمصر فى هـذه الجهات . وبعد انقضاء قرن من الزمان على عهد «تحتمس الثالث» نعلم من خطابات «تل العمارنة» التي كانت ترد على الفرعون من فلسطين أن الأمراء هناك كانوا يشكون من سحب الجنود الذين كانوا معسكرين فى الحاميات القائمة هناك؛ ولذلك لا نكون حائدين عن جادة الصواب إذا قررنا هنا أن هذه الحاميات كانت تحتل تلك المعاقل منذ أن استولى عليها الفاتح العظيم «تحتمس الثالث» بعد حروب طاحنة وحصار مرير كما أسلفنا؛ وذلك يجعلنا نحكم بأن امبراطوريته كانت من الدرجة الثانية من درجات الحكم

الامبراطورى ، وأعنى بذلك أنهـا كانت أقاليم يدير شئونها حكام من أهل البـلاد نفسها نصبهم الفرعون برضا منـه لولائهم له ؛ وقد قوى هـذا الولاء وجود بعض الحاميات والعمال المباشرين الذين عينهم الفرعون من قبله هناك . و إذا أردنا أن نرسم خطا فاصلا بمثابة حد شمالى لهذه الأقاليم الامبراطورية ، فإنه على مايظهر كان يبتدئ من ساحل البحر الأبيض المتوسـط شمالى « إرواد » ثم ينحنى إلى الجنوب عنـد انفصال نهر « العـاصى » عن نهر « الأردن » ثم يأخذ فى التـلاشى فى الصحراء الشرقية على مسافة قليلة من جنوبى « دمشق » .

والواقع أن « تحتمس الثالث » عند ختام حكمه كان قد أسس إقليما امبراطوريا آخر فوق الأقاليم السالفة الذكر ، غير أنه على مايظهر كان من الدرجة الثالثة ، أى أنه كان إقليما يدخل فى دائرة النفـوذ المصرى المحض وحسب ، أى أنه إذا دخله أى جيش آخر غير الجيش المصرى يكون عرضة للتأديب والعقاب الصارم ، فى حين أن الجيش المصرى كان له الحق فى أن يسير فى هذا الاقليم حرا ويضرب الضرائب على القرى والمدن التابعة له . وقد كان لزاما على الممالك العظمى الأخرى المتاخمة له أن تحترم حقوقه المطلقة مثل مملكة « بابل » الكاسية (كاردونياش) ، ودولة « متنى » ، وقد كانتا أصحاب سيادة إلى أن استقلت بلاد « آشور » الواقعة شمالى « مسوبوتاميا » . وكذلك كانت بلاد « خيتا » آخذة فى أسباب النمو حتى امتدت إلى ما وراء جبـال « توروس » ولكنها كانت منحصرة فى « كابودشيا » بآسيا الصغرى ، على الرغم من قيامها ببعض غارات فى الجنـوب . وكان الجيش المصرى يقـوم بحملات تأديبية فى جهات مختلفة من هـذه الأقاليم السورية الشمالية ، ولم يقتصر ذلك على شمـالى « فينيقية » والجزء الأسفل من نهر العاصى بل امتدت هذه الحملات إلى بلاد « نهرين » حتى وصلت إلى بلدة « تونب » التى جاء ذكرها فى النقـوش المصرية . وليس فى استطاعتنا تعيين حدود لهذا الإقليم المبهم الذى يحتمل أنه كان يشمل « كليكيا » أيضا . وإذا كان « تحتمس الثالث » قد جد فى فتوحه فعـلا حتى الشمال الشرقى

إلى أن وصل إلى «قرقميش» ، فلا يحتمل أنه تخطاها بل قد ترك إقليمى «عتاب» و «ماراش» دون أن يقتحمهما ، فكان يسيطر عليهما رؤساء مواطنون من «خيتا» الذين أظهروا ولاءهم للفرعون بما كانوا يرسلونه له من الهدايا كما ذكرنا آنفا . غير أن الجزء الواقع شمالى « قادش » ، وهو الذى على ما يظهر لم يتدخل «تحتمس الثالث » فى شئونه قبل السنة الثانية والأربعين من حكمه ، ثم كان نفوذه عليه بعد ذلك لا يتعدى ضرب الضرائب ، كان يعدّ بالنسبة للحكم الامبراطورى فى الدرجة الثالثة ، إذ لم تكن تحتله حاميات ثابتة كما لم يكن ممثلو الفرعون هناك من الموظفين الذين لهم دخل مباشر فى حكومة الإقليم . والواقع أن سيادة مصر على وسط سوريا الشمالى وشماليها وقتئذ كانت تشبه سيادة الامبراطورية الانجليزية على الافغانستان قبل الحرب العالمية الأولى .

وقد بقيت هذه الامبراطورية المصرية المبهمة الحدود المفككة النسج على ما هى عليه سليمة مدّة حكم الفراعنة الثلاثة الذين خلفوا « تحتمس الثالث » مرتكزة على ما أحرزه لها هذا الفرعون من سمعة وقوة . وتدل شواهد الأحوال على أن سوريا كانت فى سلام من أقصاها إلى أقصاها فى عهد «أمنحتب الثالث» ، وكذلك دلت النقوش على أنه قد وضعت فى عهده أسس علاقات سليمة متصلة بين وادى النيل « ومسوبوتاميا » وبخاصة ما كان يبذله هذا الفرعون ومن قبله « تحتمس الثالث » لتمصير السوريين بتعليم أبناء أمرائهم فى مصر . وهذه المحاولات الثقافية قد اقتفت أثرها فيما بعد الدول العظمى حديثها وقديمها ، فقد قامت «رومه» بعمل هذه التجربة ،وكذلك حاولت الدولة العثمانية نفس الطريقة ، وقفتها فرنسا ، وأخيرا اتجهت انجلترا وروسيا هذا الاتجاه نفسه غير أن كل هذه التجارب عامة قد باءت بالفشل ، إذ الواقع أن الدب الصغير كان عندما يعود إلى مأواه الذى نشأ فيه يذكر الحيل التى علمه إياها صياده ، ولكنه كان لا يذكرها بأى نوع من الشكر بل بالحقد والبغضاء فتكون النتيجة عكسية .

ولا نزاع فى أن هـذه التجربة لم يجن ثمـارها « أمنحتب الثالث » أيضا .
وقد بدأ منذ السنين الأولى من حكم « إخناتون » تدهور الامبراطورية المصرية
فى آسيا ويرجع الفضل فى كشف النقاب عن ذلك إلى خطابات «تل العمارنة» ، إذ
سهلت علينا تتبع سياسة مصر الخارجية فى هذا العهد عن كثب أكثر من أى عهد
آخر فى التاريخ المصرى ، وسنفصل القول فى ذلك فيما بعد ، وبخاصة قصة المدن التى
كانت تسقط الواحدة تلو الأخرى من أملاك مصر فى ذلك العهد بسبب تقصير
« أمنحتب الرابع » فى إمداد حامياتها أو إرسال الحملات من وقت لآخر إلى تلك
الأصقاع ، وانفضاض حكام الإمارات المواطنين من حوله والانضمام إلى العـدوّ
بعـد أن طلبوا إلى الفرعون النجدة مرارا وتكرارا ؛ هـذا بالإضافة إلى قيام دول
جديدة قوية الشوكة فى آسيا لا تجد من يقف فى وجهها أو يكبح جماحها فى الشمال
والوسط . ومن المحتمل جدا أن سبب هـذا التدهور يقع على عاتق « إخناتون »
نفســه ، وإن كان بعض اللوم قد يقع على عاتق من سبقه . والأمر الذى يدعـو
إلى الدهشــة والعجب أن امبراطورية عظيمة مثل هـذه قامت عـلى نظم ساذجة
كل ارتكازها على سنان حراب جنود مرتزقة وغير مرتزقة وعلى حكام ليس لهم ن
الأمر شىء يذكر فى إدارة تلك الأصقاع قد بقيت قائمة طيلة عهد أربعـة ملوك
ثم هوت فى عهد خامس ملك تولى عرشها .

وتفســير ذلك أن مصر قـد كسبت ممتلكاتها الأسيوية وقبضت على زمامها
فى فترة كانت قد انحلت فيها دول أسيوية عظمى قديمة ثم أخذت تقوم على أنقاضها
دول أخرى فتية ناشـئة ولذلك لمـا سار « تحتمس الثـالث » بجيوشـه فى قلب
سوريا لم تكن هناك دولة قوية تقف فى وجه فتوحه إلا الدولة «الكاسية» المهيضة
الجناح المنحلة القوى ثم دولة « متنى » (نهرينا) التى كان لا يقام لهـا وزن وقتئذ
أما مملكة « خيتـا » التى قضت على أسرة بابل العريقــة فى القدم فقـد انزوت
فى إقليم « كابودوشيا » وقتئذ ولم تكن على استعداد لتظهر ثانية فى ميدان السياسة

أو فى ساحة الحرب . هذا إلى أن « آشور » كانت آخذة فى أسباب النمو ، غير أنها لم تكن قد بلغت أشدها بعد ، وكذلك كانت موجة هجرة الأراميين من العرب الساميين وقتئذ لا تزال فى بدايتها نحو الشمال والغرب ، يضاف إلى ذلك ما كان « لتحتمس الثالث » من تأثير فى نفوس هذه البلاد . وبعد انقضاء قرن من الزمان على عهد « تحتمس الثالث » أسس ملوك « خيتا » أسرة مهيبة الجانب قاد ملوكها جيوشهم إلى الجنوب ثانية ثم أصبحت « آشور » دولة عظيمة الشأن على استعداد لمناهضتهم فى غرب آسيا ، وقد قامت بمحاولة جبارة فى عهد ملكها « سالمنزر الأول » ١٢٨٠ ق م لقطع طريقهم نحو الجنوب . أما الأراميون فقد تجمعوا وألفوا حكومة ثابتة حوالى دمشق ، ومن ذلك نرى أن كلا من هذه الدول قد رسخت أقدامها وثبتت ملكها فى آسيا أكثر من مصر فى أى عهد من عهود سلطانها هناك . وقد كانت النتيجة المحتومة لذلك أن تراجعت مصر بسرعة خاطفة إلى أفريقية . وعندما تولى « حور محب » عرش الفراعنة كانت أملاك مصر السابقة فى آسيا قد أصبحت فى يد ملوك أسيويين . على أن هذه الممتلكات لم تكن قد ضاعت على مصر نهائيا لأن الفراعنة الذين أتوا بعده أعادوا لمصر تلك الامبراطورية التى كانت تسيطر عليها سيطرة امبراطورية من الدرجة الثانية وأعنى بذلك « فلسطين » وجنوبى فينيقة ، وكذلك أخذ الفراعنة فى استعادة سلطان مصر فى الجنوب على الإمارات الشمالية ، غير أن هذا السلطان لم يكن ثابت الأركان بل كان وقتيا .

وإذا أردنا أن نعرف معنى الامبراطورية المصرية ومبلغ أثرها على الأقطار التى كانت تحكمها فإن ذلك لا ينطبق إلا على الإمبراطورية التى أسسها « تحتمس الثالث » فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وهى تلك الامبراطورية التى يجب أن نتجه إليها إذن ونفحصها من الوجهة الثقافية فى مختلف صورها فى على ضوء ما فصلنا فيه القول من قبل .

امبراطورية تحتمس الثالث والثقافة العالمية : والمعلوم لدى علماء الآثار المصرية أن أعظم انقلاب فى الثقافة قد حدث فى العهد الأخير من حكم « تحتمس

الثالث» إذ نشاهد أن المصانع والصور والزينات التى كانت آخذة فى النمو والارتقاء باتزان وثبات مستمرين منذ عهد الدولة القديمة قد طرأ عليها أثر جديد مفاجئ مما نهض ببعضها وسار به قدما بخطى واسعة فى سبيل الرقى ، كما نجد من جهة أخرى أن بعضها قد انحط وتلاشت معالمه . ولا أدل على ذلك من ظهور منتجات جديدة فى تلك الفترة إلى جانب فيض عميم من المنتجات الأجنبية التى يعزى بعضها على وجه التأكيد والبعض الآخر على وجه الاحتمال إلى أصل سورى ، فى حين كان غيرها تنسب إلى أصل جزائرى ، أى أنه جلب من جزر بحر «إيجة» المجاورة لمصر ، أو قد تأثر بعضها بالثقافة الإيجية كما فصلنا القول فى ذلك (راجع الجزء الرابع ص ٥٧٢) . وفى هذه الفترة ظهر كذلك على الآثار أسماء غير مصرية الأصل ؛ يضاف إلى ذلك أن بعض الآراء والأفكار الأجنبية أخذت تتسرب وتنمو فى التربة المصرية وكذلك نما العتاد الاجتماعى بسرعة وراجت سوق الترف بدرجة لم يسبق لها مثيل ، فى حين أننا فى نفس الوقت نلاحظ تقدما اجتماعيا يسير فى غالب الأحيان جنبا لجنب مع ازدياد فى الرزق وسعة فى العيش ، وقد تبع مظاهر هذا الثراء المطرد كثرة استخدام الجنود الأجنبية المرتزقة بسرعة لحماية مصالح الوطن مع التراخى فى استخدام الجنود المصريين . ولا نزاع فى أن هذه التغيرات وأثرها العظيم فى حياة القوم يرجع فى أصله إلى التوسع الامبراطورى الذى جاء نتيجة لفتوح « تحتمس الثالث» فى آسيا . والواقع أن ما تعلمه المصريون وشاهدوه فى آسيا ، وما جلبته جيوشهم من غنائم إلى مصر وما تدفق على الكنانة من خيرات الجزية التى كانت تفرض على أمراء الولايات الأسيوية الخاضعة لها ، وكذلك ما تدفق على مصر من أقاصى آسيا وبحر إيجة من أموال عن طريق التجارة بوساطة طرق كانت مغلقة منذ أزمان غابرة . كل هذه الأشياء المستحدثة مجتمعة قد تركت أثرها العميق بسرعة مدهشة على الثقافة المصرية مما تكلمنا عنه فيما سبق وما سنتعرض له فيما يأتى بعد .

تأثير الفتح المصرى فى سوريا : أما التأثير الذى أنتجه الفتح المصرى فى سوريا فإنه على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا من الكشوف الأثرية التى عملت

حتى الآن فى الأماكن الهـامة من عهـد الأسرة الثامنة عشرة لم يكن تأثيرا متبادلا فى تلك الفترة ، إذ أن الأماكن الأثرية التى كشف عنها فى فلسطين وفى سـوريا يرى فيها أثر محس للثقافة المصرية بصـورة بارزة وبخاصة فى جيزر ، فنجد عددا عظيما من الأشـياء قد صنعت فى مصر أو صنعت فى سـوريا وصبغت بالطابع المصرى ، ولكن جزءا ضئيلا جدا منها كان ينسب إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة أو الأسرة التاسعة عشرة أما الجزء الأعظم فيعزى إلى التأثير الذى تركته مصر فى هذه الجهات منذ القرن العاشر حتى القرن السابع قبل الميلاد .

والآن يتساءل المرء كيف يمكن تفسير كون تأثير الثقافة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة كان من ناحيـة واحدة ؟ وحقيقـة الأمر هى أن الثقافة المصرية فى إبان عهدها الأوّل الامبراطورى كانت أكثر نموّا وأعظم شأنا من الثقافة السورية ، وقد كان من المنتظر أن يكون أثرها بينا واسع النطاق بعيد الغور على السـوريين أكثر من أى تأثير سورى على مصر . وعلى الرغم من ذلك نجد الأمر معكوسا فقد كان أثرها فى سوريا ضئيلا وسطحيا . والتفسير الذى يمكن أن تعزى إليه هذه الظاهرة هو أن أعوان نشر الثقافة من المصريين فى سوريا كانوا قلائل ولم يبدوا فى الواقع أى نشاط فى هذه الناحية بخلاف أعوان نشر الثقافة السورية فى مصر ، والمقصود من ذلك أنه فى الحين الذى كان يفد فيه على مصر جماعات كثيرة ليتخذوها موطنا لهم ولنشر تجارتهم فى عهد الأسرة الثامنة عشرة كان لا يقيم فى سوريا من المصريين إلا النزر اليسير الذين لم يكونوا من طائفة التجار . ولا بدّ أن نستنبط من ذلك أن المصريين بعـد فتحهم الأوّل قـد قنعوا بمـا أصابوا من غنائم فى بادئ الأمر ، وابتعدوا عن هـذا الملك الجـديد الذى لم يغرهم أو يحفزهم إلى الهجرة والضرب فى أرجائه الشاسعة المفعمة بالخير الوفير والرزق الواسع ؛ ولا غرابة فى ذلك فإن المصرى كان معروفا عنـه أنه لا يحب مغادرة مسقط رأسه ، ولا يميل للغامرات والسير فى الأرض للتجارة واكتساب العيش .

ومما هو جدير بالملاحظة أن تأثير ثقافة الامبراطورية فى عهد الأسرة الثامنة عشرة يفسر لنا بوجه خاص حقيقة تاريخية عامة وهى أن الثقافة المصرية فى كل عصورها قد بقيت داخلية دون أن تحدث الأثر الذى كان يرجى منها فى التقدم العالمى، اللهم إلا ما تسرب منها عن طريق أعوان من الخارج كانوا يفدون إليها لينهلوا علومها ويستقوا من موارد حضارتها الأصلية ، ثم يقومون بنشر ما تعلموه فى بلادهم ، ولم يحاول المصرى من جانبه نشر ثقافة بلاده فى الخارج إلا أفراد قلائل ، لأنه لم يكن ممن يميلون إلى المخاطرات وركوب الصعاب طلباً للتجارة فى الأقطار النائية ، وقد يعزى ذلك إلى كرهه التسلط الامبراطورى .

أما العهود التاريخية التى نجد فيها أثر الثقافة المصرية ظاهراً منتشراً فى العالم المتمدين بصورة بارزة فأربعة يفصل بعضها عن بعض بفترات قد تكون طويلة أو قصيرة كانت البلاد فى خلالها قابعة فى عقر دارها منكمشة بين حدودها فى وادى النيل . وهذه العهود الأربعة هى : (١) العصر المنوى الحديث (أى فى خلال القرنين السادس عشر والخامس عشر) ق.م (٢) العصر الأشورى المتأخر (من القرن العاشر إلى القرن السابع) ق.م (٣ ، ٤) العصران البطليموسى والرومانى (وهما معا من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن السادس بعد الميلاد) . وعلى وجه عام كانت مصر فى عصرين من هذه العصور أو جزء منهما تابعة لنفوذ أجنبى ، وفى أحد هذه العهود كانت تسيطر عليها أسرة أجنبية لها علاقة وثيقة بالبحر الأبيض المتوسط ، أما فى رابع هذه العصور وهو أقدمها (أى العهد المنوانى الحديث فإنا لا نعرف الأحوال السياسية وقتئذ) ، ولكن على الرغم من أن مصر كان لها فى هذا العهد دولة أسيوية على وجه التحقيق فإنه لم يكن لها أى سلطان على « كريت » كما لم يكن لها جنود أو عمال فى قبرص ، ومع ذلك فإن هاتين الجزيرتين قد أنتجتا أشياء عدة تنسب إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة المصرية أكثر

(١) راجع : Ed. Meyer Gesh II, 1. P. 212 ff. P. 212 ff.

مما كانت تنتجه سوريا بأجمعها كما أشرنا إلى ذلك عند الكلام على وفود أمراء البلاد الأجنبية فى عهد « رخ مى رع » . وقد كان الرأى السائد منذ الكشف عن مصنوعات مصرية أو مصنوعات متأثرة بالفن المصرى فى طبقات الحفر الذى عمل فى المنطقة الإيجية سواء أكان ذلك فى الجزر أم فى أرض بلاد اليونان نفسها يميل إلى صحد الرأى المتفق عليه وهو القائل بأن المصريين كانوا قوما منكمشين فى عقر دارهم منعزلين عن العالم . وقد عزز هذا الرأى ما ورد فى القصص عن السياح المصريين الذين كانوا يجوبون البلاد الأجنبية ، هذا فضلا عن المراسلات السياسية التى كانت تتبادل بين مصر والأقاليم الأسيوية والتى اتخذت دليلا لتعزيز هذا الرأى ، ولكن الواقع يدل على أن الزعم القديم لايزال قائما ، وما وجد من دلائل فى إقليم بحر إيجة ، يعزز هذا القول ولا يضحده ، وذلك لأن المراسلات السياسية لا تدل كما قلنا على استيطان مصريين فعلا فى الخارج ، وأما ما قيل عن القصص[1] التى كان يقصها بعض أصحاب المخاطرات فلا تدل إلا على أن السياحة إلى الخارج كانت نادرة جدا وأنها لم تكن مهنة محببة للمصريين ، أما فيما يخص المصنوعات المصرية التى وجدت فى المواقع الأجنبية فكانت بلا نزاع قد جلبت إليها لا بالمصريين أنفسهم بل على يد تجار أجانب من الذين كان لهم مستعمرات أجنبية أقيمت فى شمال مصر ومن ذلك نعلم أن الحضارة المصرية عندما كانت تخطى وادى النيل كان الذين يحضرونها هم قوم من الأجانب لا من المصريين إذ قد كان لزاما على التجار المخاطرين وعلى الفاتحين الأجانب أن يأتوا إلى الكنانه نفسها و يوقدون مشاعلهم من نور مدنيتها المتعددة النواحى الساطعة الإشراق وهى تلك المدنية التى كان المصرى يحافظ منذ بداية تاريخه حتى نهايته على إخفائها فى جوفه وفى داخل بلاده .

وقد كان إخفاق الأسرة الثامنة عشرة فى المحافظة على سلطانها الامبراطورى فى غرب آسيا أمرا لا مفر منه إذ كان لزاما على مصر أن تخضع لمشيئة أية دولة قوية

---

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء أول ص ٤٧ ، ١٠٠ ، ١٦١

إثر ظهورها على مسرح السياسة فتنزل لها عن مكانتها . على أن هذا القول فى ظاهره قد يبدو غريبا ، ولكنا نتأكد من صحته إذا لم نحصر أفق نظرنا فى عهـد الأسرة الثامنة عشرة وحسب وألقينا نظرة شاملة على كل من تاريخ الامبراطورية المصرية فى آسيا وتاريخ الامبراطورية الأسيوية فى مصر .

فقد دلت الأحوال على أن هناك ظاهرة ثابتة فى التاريخ المصرى وإن شئت فقل قاعدة دلت على صحتهـا التجارب وتتلخص فى أن مصر لم يكن فى استطاعتها أن تحتفظ بأى شيء فى آسيا أو أن أية مملكة أجنبية استطاعت أن تمتلك مصر اللهم إلا إذا كانت هـذه أو تلك تملك فى قبضتها إقليم شرقى البحر الأبيض المتوسط . وما نجـده قد شذ عن ذلك يعد برهانا على صحة هـذه القاعدة . فقـد كانت أول امبراطورية ثابتـة الأركان سيطرت على بلاد أجنبية بمصر هى دولة البطالمة الأُوَل الذين كان أسطولهم يبسـط سلطانه على شرقى البحر الأبيض المتوسط حتى جزر « سيكليدز » شمالا وغربا حتى مدخل البحر الأدرياتى . وقد ظلت امبراطوريتهم صاحبة نفوذ ما بقيت سلطتهم البحرية عزيزة الجانب ، ولما ازدادت قوة أسطول جزيرة « رودس » اختفت قوة البطالمة البحرية فى آسـيا الصغرى ، وعندما ظهر الأسطول الرومانى فى عالم الوجود تلاشت قوة البطالمة البحرية فى سوريا وأصبحت أثرا بعد عين أيضا . على أننا من جهة أخرى نعلم أن أول امبراطورية ثابتة أجنبية قامت فى مصر على يد أجانب هى الامبراطورية الرومانية ، غير أن هـذه الدولة لم تؤسس إلا بعد أن أصبحت روما صاحبة السيادة على إقليم شرقى البحر الأبيض المتوسط ولم يتسن لها ذلك إلا بعد القضاء على قرصان « كريت » و « كليكيا » ولم تفقد « روما » ولا خليفتها « بيزنطة » هـذه الامبراطورية إلا بعد أن فقدت سيطرتها على البحر .

وأحسن الأمثلة التى تبرهن على صحة القاعدة من الوجهة الأخرى نجدها فى تاريخ الامبراطورية الأسيوية التى استولت على مصر فنرى أن قوة دولة آشـور الجبارة

لم يكن فى مقدورها المحافظة على ما فتحته من الأقاليم فى إفريقية أكثر من جيل واحد من الزمان، ويرجع السبب فى ذلك إلى أنها قد احتلت مصر قبل أن تخضع «صيدا» تماما ، وعندما أخضعت « صيدا » سيدة تجارة إقليم شرق البحر الأبيض المتوسط لسلطان « آشور بانيبال» [١] نلحظ أن دولة «آشور» على ما يظهر لم تحاول استخدام أسطولها أو أساطيل فينيقية فى أغراضها الخاصة . وقد نتج عن ذلك أن أصبح الفرعون « بسامتيك » والحزب الوطنى فى مصر الذى يعارض الاستعمار أحرارا فى القيام بعمل مفاوضات مع أعداء « آشور » فى البحر. وقد أفلح المصريون بمساعدة «جيجس» ملك «لديا» فى إحضار سفن محملة بالرجال المحاربين من آسيا الصغرى ساعدوهم على طرد الأشوريين من وادى النيل بعد أن كانوا قد احتلوه بضع سنين .

ولم يكن فى استطاعة دولة « بابل » الجديدة أن تثبت أقدامها فى مصر قط . أما ملوك الفرس الذين خلفوا بابل فانهم على إثر ظهورهم على ساحل البحر الأبيض المتوسط عقدوا المحالفات مع بلاد فينيقية واستغلوا أسطولها، وبذلك أفلحوا فى الاستيلاء على مملكة الفراعنة من أول محاولة قاموا بها لهذا الغرض وقد مكثوا يحتلونها دون كبير عناء حوالى نصف قرن من الزمان إلى أن ناهضوا الدولة الأفريقية الفتية فى السلطة البحرية التى كانت فى يد الفنيقيين مما دعا لقيام الثورات فى مصر على الفرس، وبذلك نجد أن تاريخ « بسامتيك الأوّل » يعيد نفسه إذ يقوم الحزب الوطنى فى مصر بطرد الأسيويين من البلاد بعد أن لجئوا إلى طلب المساعدة من الاغريق المرّة تلو المرّة ، وأخيرا بعد تطاحن نصف قرن من الزمان أفلحوا فى طرد أسيادهم الأسيويين كرّة أخرى . والواقع أن الفرس لم يستطيعوا تثبيت أقدامهم ثانية فى مصر على الرغم من المحاولات العدّة التى حاولوها فيما بعد إذ أنهم منذ عهد عاهلهم « ارتكسرسيس ممنون » [٢] قد استخدموا جنودا من الاغريق لمحاربة الاغريق

(١) راجع : Precis de l'Histoire d'Egypte. P. 200.

(٢) راجع : Les Peuples de l'Orient. Mediterraneen II,. L'Egypte. P. 581.

الذين استخدمهم المصريون لنفس الغرض ، ولكن بدون جدوى . وقد ظلت الحال على هذا المنوال إلى أن أضعفت قوة «فليب» المقدونى الغاشمة — وقد كانت آخذة فى الازدياد والنفوذ — الولايات الاغريقية وأجبرتها على الانزواء فى عقر ديارها ، وفى الوقت نفسه أصبح الذهب الفارسى عاملا قاهرا فى السياسة الاغريقية مما أدّى إلى بسط النفوذ الأسيوى كرة أخرى على مصر ، وقد استمرت هذه السيادة حتى غزو الاسكندر للبلاد بعد عشرين عاما من دخول الفرس مصر للمرة الثانية .

ومن ذلك نرى أن سقوط امبراطورية الأسرة الثامنة عشرة أمام أول دولة أسيوية قوية تريد السيطرة عليها كان أمرا لا مفرّ منه ؛ والدولة القوية التى عملت فعلا على زوال الامبراطورية المصرية فى آسيا هى بطبيعة الحال دولة « خيتا » ، إذ أخذت مصر على إثر ظهورها وتوطيد أقدامها فى آسيا تنسحب أمامها من هذا المسرح . وتدل شواهد الأحوال على أن «تحتمس الثالث» قد استخدم البحر فى فتوحه ومواصلاته كما شرحنا ذلك فى موضعه ، غير أنه لم يقلده فى هذا المضمار ممن خلفوه إلا القليل . والواقع أنه قد ظهر فى خدمة مصر بعض رجال « صور » ، ومن المحتمل إذن أن سفنهم وكذلك سفن الفينيقيين فى الشمال كانت لزمن ما فى خدمة مصر . ولكن هذه المدن قد سقطت فى عهد «إخناتون» الواحدة تلو الأخرى وانضمت لخيتا أو الآرميين . وعلى الرغم من أن الفراعنة الأول الذين حكموا خلال الأسرة التاسعة عشرة قد استردّوا هذه البلاد لمدة مّا ، فإنه لم يكن فى استطاعتهم أن يحافظوا عليها فى وجه قوة مملكة « خيتا » القوية السلطان . فنجد مثلا أن مدينة « ارواد » كانت تساعد عدو « رعمسيس الثانى » فى موقعة « قادش » . ومهما كانت النتائج العاجلة لهذه الموقعة فإنه من الجلى أن انسحاب « رعمسيس » العاجل بعد المعركة وما يفهم من المعاهدة التى أبرمها مع خيتا فى السنة الواحدة العشرين من حكمه يدل على انسحاب مصر والتخلى عن سيادتها على أى جزء فى سوريا اللهم إلا جنوبى «فلسطين» ؛ وحتى هذا الإقليم الأخير قد فقد بعد عهد «رعمسيس الثالث» . وعلى الرغم من أننا نرى فيما بعد

أن الفرعون « نيخاو » كان فى مقدوره أن يمتر فى سوريا حتى « قرقميش » بجيوشه ويحتزها مدة بضع سنين ، فإن ذلك الاستيلاء المؤقت لا يعدّ تسيطرا امبراطوريا ، بل يعدّ غزوا طارئا فى آسيا إلى أن جاء «الاسكندر» وفتح مصر ثم أسس أخلافه البطالمة دولتهم الضخمة التى كان مقرّها أرض الكنانة .

تنظيم أملاك الدولة العالمية

كان أمر تنظيم الأقاليم المقهورة التى استولى عليها الفراعنة فى حروبهم المظفرة يسير جنبا لجنب مع فتوحهم ، وقد أظهر « تحتمس الثالث » مقدرته فى هذه الناحية فبنى له فيها مجدا ثابت الدعائم بجانب مجده الحربى المنقطع النظير فى ميدان القتال ، ولا أدل على ذلك من أن هذه الأقطار التى نظمها قد بقيت مدّة تربى على نصف قرن من الزمان بعد وفاته هادئة مطمئنة يسودها السلام ، وتخيم عليها السكينة ، اللهم إلا بعض ثورات قليلة أخضعها أسلافه دون كبير عناء كما ذكرنا ، ولذلك ليس من المبالغة أن يقول عنه وزيره الأمين «رخ مى رع» إن جلالته يعرف كل شىء يحدث ولا يوجد شىء لايعرفه وأنه مثل الإله «تحوت» نفسه إله الحكمة فى كل شىء ، وأنه لم يقم بأى عمل إلا نفذه . (راجع الجزء الرابع ص ٥١١ و Urk. IV. P. 1074.) ولا غرابة فى ذلك فإن تقاسيم وجهه تنبئ عن نشاط وثاب ، ودراية بالنفس عظيمة ، وقد حاول أن يربط أمراء الولايات التى فتحها برباط المحبة والألفة والمهادنة ، ولذلك كان أوّل من أخذ أولادهم ليربيهم فى البلاط المصرى «بطيبة» التى كانت تعدّ وقتئذ مهد الثقافة العالمية ، والظاهر أن البلاد كلها قد أصبحت من أقصاها إلى أقصاها كأنها ضيعة الفرعون كما نوه بذلك مرات عدّة فى رسائل «تل العمارنة» ، فقد كتب « عبد خيبا » من « أورشليم » يقول : تأمل ! لم يضعني والدى ووالدتى فى هذا المكان بل لقد أقامنى فى هذا البيت ملك والدى (أى نصبنى فى الامارة) ساعد الملك (1) ، وبعد الاستيلاء على

(1) راجع : Mercer, "The Tell El-Amarna Tablets", No. 286, 9 ff.

« مجدو » مباشرة وفتح أقاليم بلاد « لبنان » أمر «تحتمس الثالث» مساحى بيت الملك بوضع حدود للحقول ليستولى على محاصيلها . وقد كان الفرعون يستولى على جزية معلومة من الحبوب والزيوت والخمر والبخور مما تنتجه «فلسطين» أو «رتنو» و « بلاد فينيقيا » (زاهى) سنويا ولم يستثن من ذلك إلا البلاد التى كانت قد أعطاها الفرعون هبة للإله « آمون » فى « فلسطين » كما ذكرنا آنفا . وخلافا لذلك كان أمراء الولايات فى « رتنو » يقدمون الجزية السنوية من كل محاصيل بلادهم، وبخاصة العبيد والإماء الأحداث،هذا إلى خيول وثيران وماشية وبخور، وخمر وزيت وأخشاب ثمينة وذهب وفضة ونحاس وقصدير فى صور قوالب وحلقات ، وكذلك سن فيل وريش نعام ، كما كانوا يقدمون منتجات مصانعهم من العربات المغشاة بالذهب والفضة ، والأباريق والأطباق ، وكذلك أوانى الزينة المصوغة والمحلاة بالأزهار على جوانبها (راجع جزء ٤ رخ مى رع) . وقد كانت بنات الأمراء يرسلن إلى القصر الفرعونى أيضا . وهذه الجزية كثيرا ما نشاهدها ممثلة على جدران مقابر عظماء القوم فى هذا العهد، فعلى جدران مقبرة الوزير « رخ مى رع » نشاهد عظماء « رتنو » فى الأراضى الشمالية كلها من حدود الأرض، ونرى غير الضرائب المفروضة أوانى الزينة وعربة حرب وجواد حرب ، ودبة وفيلا صغيرا وقردة وغير ذلك ، وبعد ذلك يأتى باقى إعداد الجيش وتموينه فى كل المحاط التى يعسكر فيها ، وتجهز الثغور بكل ما تحتاج من مؤن وذخائر بالسفن الداخلة فيها والخارجة منها ، وقد أقيمت الحصون العدة لتأمين السيادة المصرية فى « فلسطين » وبخاصة «بيت شان» (بيسان) الذى يقف حائلا عند سهل « جزيل » فى شرق الأردن، وفى هذه البقعة نجد بقايا معبد من عهد « تحتمس الثالث »[1] و «أمنحتب الثالث» كما نجد حصونا فى « بلاد لبنان » وبخاصة عند مدخل « نهر الكلب » فى جنوبى « عرقه » الواقعة شمالى ميناء « سميرا » لحماية الطريق الرئيسية المتجهة نحو نهر « الأرنت » ونحو الشمال . والطريق الكبيرة المؤدية إلى « سوريا » التى تسير

---

(١) راجع : Ed. Meyer, "Gesch". II, 1. P. 136.

فى سهل ساحل فلسطين ثم جبال «الكرمل» نحو «مجدو» ومن ثم إلى «عكا» على طريق الساحل مخترقة بلاد «فينيقيا» حتى «نهر الكلب» ؛ وبعد ذلك يخترق الوادى إما إلى « قادش » أو يسير إلى الشمال مباشرة إلى « حماة » أو « سنجار » ثم إلى «حلب» فإلى «نهر الفرات» . وميناء « سميرا » كانت فى الوقت نفسه مقر الحاكم، كما كانت المكان المختار الذى تجمع فيه الحبوب لكل هـذا الإقليم، ومن ثم كانت ترسل إلى مصر. (راجع Mercer, Ibid. No. 60, 22.) وكان يقيم هنا كذلك قائد حصن البحر العظيم « ست آمون » وهو الذى كان ماهرا فى معاملة أهـل بلاد « الفنخو » المتوحشين، ولذلك كان قادرا على جمع الضرائب من أولئك المشاغبين العصاة، وهو الذى قد أرسله جلالة الفرعون قائدا على حصون الأراضى الأجنبية الشمالية . (راجع Speleers, "Recueil des Inscrip. Egyp. Musées Royaux du Cinquantenaire à Bruxelles", P. 35.) غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن النقش المصرى القديم لم يحدّد لنـا المواقع الجغرافية التى كان قائدا عليهـا كما هى العادة ، ومثل هؤلاء القوّاد الذين كانوا يرسـلون لحفظ الأمن فى الأقاليم الأسيوية كان يطـلق عليهم فى خطـابات « تل العمارنة » لقب « ربيصو »[١] وكانوا تحت سيطرة أمراء المـدن ، وكان كل واحد منهم ينادى أولئك بلقب « أخ أو والد »[٢] وبجانب هذا القائد نجد موظفين يحملون رتبا عالية كان عليهم أن يقوموا بالإشراف العام على الأقاليم الخاضعة لمصر فى تلك الجهات .

وقد كان المشاة والخيالة الذين يأتمرون بإمرة هؤلاء القوّاد معظمهم من أهالى « كوش » المرتزقة، ومن أهالى «شردانا» من سكان جزر البحر الأبيض المتوسط، ويؤكد لنـا ذلك ما جاء فى خطابات « تل العمارنة » إذ يروى لنـا « ريبادى »

---

(١) راجع تسمية أخرى فى الخطابات ٧ سطر ٧٧ و ٢٥٦ سطر ٩ ؛ ١٣١ سطر ٢١ ، ٢٣ .

(٢) فقد أرسل مثلا «ريبادى» إلى «أمنابا» الخطاب رقم ٧٣ مخاطبا إياه فيه «والدى» ورسالة من « أزيرى » إلى « دودو » يخاطبه فيها قائلا : إلى «دودو» سيدى ووالدى (الخطاب رقم ١٥٨) ومن « أزيرى » إلى « خاى » (خطاب رقم ١٦٦) يخاطبه فيه قائلا : إلى « خاى » أخى .

صاحب «جبيل» (ببلوص) أنه عندما كان يرجو إرسال جنود لنجدته من النوبيين (راجع Mercer Ibid. 131, 13.) يطالب بإرسال ثلثمائة محارب وثلاثين عربة ومعهم مائة من « ماتاتى كاشى » أى من « المازوى » من أهالى « كوش » ؛ يضاف إلى هؤلاء الجنود الذين كان يرسلهم الفرعون ، والجنود الذين كان ينتخبهم أمراء المدن من القبائل السامية وبخاصة « الرماة » . على أن عدد أولئك الجنود المحاربين لم يكن عظيما كما تشعرنا بذلك حروب « تحتمس الثالث » وتحدثنا به خطابات « تل العمارنة » .

وكانت طرق المواصلات لا تقتصر على الطريق البرية التى كانت تخترق صحراء « سينا » ، بل كانت هناك طريق بحرية ينقل بها الجنود فى معظم الأحيان . وقد رأينا أن سفن الفينيقيين كانت تستعمل للتموين ، وكذلك لنقل أسلاب الحرب والجزية التى كانت ترسل إلى مصر ، وتحدثنا نقوش رئيس الخزانة « سن نفر » كيف أن الفرعون قد أرسله بجنود عن طريق البحر إلى « ببلوص » لقطع أخشاب الأرز من «بلاد لبنان»[1] (Sethe, Ber. Berl. Ak. (1906). P. 35 ff. & Urk. IV, P.532.) وكانت هذه الأخشاب لازمة لعمل عمد شامخة الطول لترفع عليها أعلام الإله « آمون » ؛ وقد كانت مثل هذه البعوث ترسل من وقت لآخر بدون انقطاع . ولا نزاع فى أن تجارة بلاد «فينيقيا» البحرية، وصناعاتها قد نمت وترعرعت فى ظل الحكم الفرعونى فى خلال تلك الفترة التى بلغت فيها الدولة المصرية شأوا عظيما من السيطرة على تلك الجهات . ولدينا من المناظر التى بقيت على جدران مقابر علية القوم ما يشير إلى ذلك . إذ نشاهد على جدران مقبرة « نب آمون » عمدة طيبة منظر أسطول فينيقى تجارى قد وصل إلى مصر وأنزلت منه البضائع وقد تسلمها الموظفون المصريون وفحصوها ، وتدل وجوه أولئك التجار وملابسهم على أنهم كانوا من الفينيقيين إذ كانوا ذوى شعر ولحى طويلة ، كما كانوا يلبسون فوق دثارهم عباءة ملونة كان يرتديها عظماء « سوريا » .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٥٤٦ .

أما البحارة فكانت شعورهم قصيرة ولا يرتدون إلا لباسا يغطى وسطهم (راجع الصورة رقم ١٠ وكذلك J. E. A. Vol. 33. P. 40-46.) والبضائع التى كانوا يحملونها إلى مصر من البلاد الفينيقية وبخاصة من « جبيل » و « صور » كانت تحتوى على غلال ؛ وفى زمن الشدّة مثل فترات الاضطرابات التى حدثت فى السنين الأخيرة جدا من عهد « أمنحتب الثالث » كان يفرض على الأمراء والعظماء أن يقدّموا أولادهم وبناتهم ثمنا لخروجهم على الفرعون وعصيانه ، وقد ذكرنا من قبل أن جزيرة « قبرص »(١) التى كانت تعدّ مملكة مستقلة كانت تقدّم العطايا والهدايا « لتحتمس الثالث » . ويفهم من رسائل تل العمارنة أن هذه الجزيرة كانت مملكة ذات سيادة مستقلة ليست خاضعة لمصر بحال فقد كان ملكها يكاتب ملك مصر على قدم المساواة فيخاطبه بمثابة أخ له ، وإذا أرسل إليه مقدارا عظيما من النحاس الذى كان يعدّ من أعظم حاصلات بلاده انتظر فى مقابل ذلك أن يرسل إليه ملك مصر الفضة والزيت ونلاحظ فى هذه المكاتبات التى كانت تدور بين الملكين أن ملك « قبرص » كان يعترف ببعض السيادة لفرعون مصر ، وذلك لأنه لم يقرن اسمه باسم الفرعون فى هذه الرسائل (راجع Ibid. II. P. 872.) وكذلك لم تكن العلاقة بين مصر وأمير « كفتيو » صاحب « كريت » علاقة سيد ومسود كما توحى بذلك كتابات الفرعون ونقوشه ، إذ يقول لنا فى قصيدته المشهورة : " لقد حضرت لأجعلك تتمكن من أن تطأ الأرض الغربية ، « فكفتيو » و « آسى » تحت سلطانك " ، وكذلك يقول : " لقد حضرت (أى الإله) « آمون » لأمكنك من أن تطأ أولئك الذين فى الجزر " . وكذلك نجد تفسيرات مماثلة لما ذكرنا جاءت فى نقوش القائد « تحوتى »(٢) حيث يقول : " إن رغبة الفرعون قد نفذت فى الأرض

---

(١) أصبح من المعروف الآن أن « آلاشيا » (بالمصرية = أرسا) هى جزيرة قبرص كما يثبت ذلك ما جاء فى قصه ونأمون ووثائق بوغازكوى ، وكانت هذه الجزيرة منذ عهد تحتمس الثالث تحت سلطان مصر غير أنه فى عهد إخناتون شعرت بنصيب وافر من الاستقلال حتى كان يخاطب ملكها الفرعون بلفظة « أخى » (راجع Mercer, Ibid. Vol. II, P. 82, 7.)

(٢) راجع ما دوناه عن هذا القائد فى كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ١١٠

الأجنبية كلها، وفى جزر البحر العظيم"؛ (راجع .Urk. IV. P. 999) بل إن الواقع يدل على أنها كانت علاقة مودة ومبادلة الهدايا بين الحكومات كما كانت الحال بين مصر وقبرص ، و« متنى » ، و « بابل » و « آشور » وخيتا ، ونشاهد بعوث هذه الممالك مصوّرة على جدران مقابر عظماء القوم مرات عدّة فى ذلك العهد ، وهم يقدّمون خضوعهم مقبلين الأرض كأنهم من رعايا الفرعون فعلا . كما نشاهد ذلك فى نقوش مقبرة « سنموت » ومقبرة الوزير « وسر » و « رخ مى رع » وغيرهم . ونقوش « تحتمس الثالث » تكرر لنا الحديث عن انتصاراته على بلاد الجنوب وتقدم لنا قوائم مطولة عن البلاد التى أخضعها من أهالى الجنوب وأهل الكوش وهم الذين أوقع بهم فى مذبحة عظيمة لا يستطاع حصر عدد قتلاها ، كما ساق رعاياها أسرى إلى «طيبة » وملأ بهم بيت أعمال الإله «آمون» والده، وعلى رأس هذه الأقوام المقهورة نجد أهل « كوش » ثم يأتى بعد ذلك أسماء مقاطعات عدّة سردت على غير نظام، نعرف من بينها « واوات » و «المازوى» و « بلاد بنت» وقبيلة « إرم » التى ذكرت فى حملة «حتشبسوت» إلى بلاد «بنت» وهى التى جىء منها بابن أميرها مع الجزية فى العام الرابع والثلاثين من حروب «تحتمس»، كما كان يؤتى بأولاد أمراء «سوريا» . وليس فى مقدورنا على حسب ما وصلنا عن هذه الأقطار السودانية أن نحدد بالضبط موقع هذه الأقاليم التى ذكرها لنا « تحتمس الثالث » فى قوائمه، والتى ذكرها الفراعنة الذين جاءوا من بعده . على أن الرسوم التى نجدها على جدران مقابر الأمراء تظهر لنا أن أهالى هذه البلاد ينتمون الى سلالتين مختلفتين تمام الاختلاف، وهما سلالة من السود بدون لحية وذوى شعر قصير ملبد محلى بريشة كما كانوا يتحلون بالأقراط ؛ أما السلالة الثانية فهى من الجنس الحامى الأسمر اللون الطويل واللحية المدببة . وهم لا يميلون إلى شنّ الحروب الطويلة[1] .

---

(١) وقد ذكر «آمون» سكان بلاد بنت باسم «خابستيو» أرض الإله ويحتمل أن هذا الاسم هو اسمهم المشتق من بلادهم وذلك على الرغم من اختلافه عن اسم «حبش» الذى أطلق فيما بعد على الأراضى المرتفعة من بلاد الحبشة (راجع .Urk. IV. P. 345. L. 14) . وقد تكلم الأستاذ لتمان عن أصل هذه التسمية (راجع .Aksum Expedition IV, 7) وقال إن هؤلاء القوم كانوا فى الأصل فى بلاد العرب .

والواقع أنهم كانوا يعيشون على السلب والنهب فى هضاب الصحراء التى تمتد على طول البحر الأحمر ، وهى تلك البقاع الغنية بمناجم الذهب العظيمة ، والعامرة بقوافل التجارة التى كانت تخترقها ، فكانوا يقومون بالهجوم كلما دعا الأمر للحاربة دفاعا عن حريتهم أو طلبا للغنائم والأسلاب . وقد كانت هذه الغارات المتتالية سببا فى إرسال الفرعون الحملات التأديبية لهؤلاء البدو العصاة وأسر الجنود منهم والعبيد، على أن الفرعون «تحتمس الثالث» نفسه لم يكد يشترك على ما نعلم فى هذا الحروب اللهم إلا فى العام الخمسين من حكمه، وذلك عند ما نسمع أنه أمر بتطهير القناة التى عند الشلال الأول، وهى التى كان قد حفرها جده « تحتمس الأول » عند غزوه لبلاد النوبة و « كوش » ، وقد عاد أسطوله فيها بعد انتهاء حروبه كما فصلنا القول فى ذلك من قبل. وينقسم وادى النيل نفسه حتى «نباتا» و « الشلال الرابع » منطقتين وهما منطقة « واوات » التى يطلق عليها بلاد النوبة السفلية وتنتهى عند الشلال الثانى ، والمنطقة الثانية هى بلاد « كوش » وتشمل وادى « دنقلة » حتى « نباتا » وكانت كلتاهما فى قبضة الدولة المصرية يسيطر عليهما ابن الملك صاحب « كوش » وقد كان محصول الجزية منظما كما فى « سوريا » ، فمنها ترد على الدولة المحاصيل التى نراها ممثلة على جدران مقابر عظماء القوم، ونخص بالذكر منها مقبرة «رخ‍مى» التى فصلنا القول فيها عند الكلام على صاحبها فى عهد الفرعون « توت عنخ آمون »؛ فقد كان يرد من هذه الأقاليم العبيد والثيران ذات القرون القوية التى كانت تستعمل مقابض لآلات مثبتة فى خشب، وكذلك الذهب فى هيئة حلقات وقضب ، وخشب الأبنوس وسن الفيل وجلود الفهود ، وبيض النعام وريش النعام، هذا الى فهود حية وزراف وقردة، وكلاب صيد، فضلا عن منتجاتهم المحلية ، كالتى ترد الى مصر حتى الآن، وهى صناعة قد نالت شيئا من الرقى مثل الدروع والسلات المجدولة والعصى المطعمة بالذهب ، والمزينة بصور أزهار شجيرات . ونشاهد نساء وأطفالا يصحبون البعوث وكذلك الأطفال الصغار

يحملهن أمهاتهن الزنجيات على ظهورهن فى سلات ، وكذلك نشاهد معهم عربات فخمة تجرها ثيران ويرى بينهم رئيسهم وهو فاتح اللون يسير مستظلا من حرارة الشمس بمظلة . ولدينا نقش على صخور « ابريم » فى بلاد النوبة السفلية يقص علينا كيف أن هذه الجزية كان يحملها إلى بلاد مصر ما لا يقل عن ألفين وستمائة وسبعة وستين رجلا .(راجع Breasted, "The Temples of Lower Nubia". A. J. S. L. XXIII. (1906) P. 38 ff.) وبجانب ذلك نجد أن استعمار بلاد النوبة كان يسير بخطى واسعة ، وكان هذا مشفوعا فى كل ناحية ببناء المعابد التى كانت تقام بجانبها مدن يدير شئونها حكام أو قواد معاقل ، وقد رأينا أن «تحتمس الثالث» فى باكورة حكمه عندما كانت «حتشبسوت» وصية عليه قد أقام معبد الإله المحلى فى «سمنه» ، وهو الذى كان قد أقامه « سنوسرت الثالث » ، وكذلك أقام معبد الإله «خنوم» فى « قمة » وفى «بوهن» (وادى حلفا) أقام معبدا للإله « حور » ، وفيما بعد أقام فى العام الواحد والخمسين من حكمه مقصورة فى صخور « الليثريا » بالقرب من « أبريم » وكذلك المعبد الذى أقامه فى « أمدا » للإله « حور اختى » وأتمه ابنه « أمنحتب الثانى » وفى إقليم الإثنى عشر ميلا الواقع جنوبى الشلال الأول أقام « أمنحتب الثانى » معبدا فى « كلبشه » أما فى بلاد النوبة العليا فكانت المبانى قليلة ، ففى جزيرة « ساى » الواقعة فى نقطة الوسط بين الشلال الثانى والشلال الثالث أقام ابن الملك صاحب « كوش » وهو الذى كان يدير بوجه خاص مبانى الفرعون « تحتمس الثالث » حصنا ومعبدا ، وجنوب ذلك أقام الفرعون فى جبل «دوش» بالقرب من «صولب» مقصورة فى الصخر . وبعد ذلك أقام «أمنحتب الثالث » معبدا فخما فى « صولب » نفسها ، وكان يعبد فيه بوصفه إله الجهة ، كما كانت تعبد زوجه « تى » فى معبد « سدنجا » الواقع شمالى « صولب » ولكن أهم مقر للمصريين فى بلاد السودان هو « نباتا » التى تعد الحدود الجنوبية للدولة حيث أقيم معبد عظيم للإله « آمون » فى الجبل المقدس « بركل » وهى فى الواقع تعد

« طيبة » الثانية ، ولم يبق من المبانى التى أقامها المصريون شيئا، ويرجع السبب فى ذلك إلى التغيرات التى حدثت فى المدينة ، والمبانى الحديثة التى أنشأها « الأثيوبيون » .

أما عن بلاد « لوبيا » فليس لدينا ما يستحق للذكر ، إذ لم يرد ذكر الجزية التى تأتى من بلاد « تحنو » (لوبيا) إلا فى نقوش عثر عليها فى « وادى حلفا » يرجع تاريخها إلى السنة الثالثة والعشرين من حكم « تحتمس الثالث » ، (راجع Urk. IV, P. 809.) كما ذكر خضوعها للدولة المصرية فى قصيدة « تحتمس الثالث » الشهيرة حيث ذكرت بلاد « تحنو » ، وكذلك جاء ذكر « التحنو » فى قائمة أقوام الجنوب رقم ٨٨ ، أما الواحات فكان يحكمها حاكم (حاتى عا) (راجع.Urk. IV, P. 57, 963) وأما خراجها فقد جاء ذكره فى نقوش « بوام رع » . (Hôlscher, "Libyer und Aegypter", P. 59; Sethe, Urk. IV, P. 523.)

ويحدثنا الأستاذ «أحمد فخرى» عن الواحات فى كتابه ("Bahria Oasis", P.14.) فيقول : « يرجع أول نظام قام فى الواحات إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة، وقد كانت مقسمة مجموعتين، وكان لها حاكم أو حاكمان أحيانا تحت إدارة حاكم العرابة . ولكنها منذ الأسرة التاسعة عشرة قد أصبح لها حاكم خاص بها . وفى مقبرة « بوام رع » يوجد منظر هام نشاهد فيه الممالك المختلفة آتية بجزيتها، ويمكن الإنسان أن يميز على الجدار الذى رسم عليه المنظر السوريين والبدو القاطنين فى وادى « طليات » وفى الصف الثالث نشاهد سكان الواحات ، وقد مثلهم اثنان فى زى المصريين ، وهما يشاهدان راكعين على الأرض أمام الكاتب الذى يسجل الجزية ، وقد نقش فوقهما : « رؤساء سكان الواحات الجنوبية والشمالية وكتب أمامها » إحصاء جزية الواحات » ، وقد رسم ثلاثة من السكان جاءوا مع هذين الرئيسين ، وقد وصفهما المستر « ديفز » كما يأتى : " إن السكان الأصليين قد مثلوا فى هيئة فلاحين بشعر مجعد وبدون لحية ومحياهم مصرى، ويرتدون قمصانا قصارا، ويحملون

إناء خمر معلقا فى قضيب وكيسين أو لفتين من النسيج ، وسلات على شكل خلية النحل ، وهى ولا تزال من مميزات صناعات القوم حتى الآن" وفى مقبرة «رخ مى رع» يوجد منظر آخر للجزية من الواحات نشاهد فيه بعض الأهالى بشعرهم المجعد ، يحضرون أوانى من الخمر ذات حجم عظيم محمولة فى شبكة معلقة فى قضيب . وكذلك يحضرون حصيرا ملونا وجلد حيوان صغير (ثعلب ؟)؛ ويمكن تمييز قميصين قصيرين أحدهما مخطط وليس بمصرى فى أسلوبه ، ولكن الآخر يشبه القميص القصير الذى يلبسه كثير من مصريى هذا العهد . وكان حاكم العرابة هو المشرف على الواحات (راجع .Gayet, Stele No.c, 26. Pl. XIX; Brugsch "Thesaurus" P. 1479, 856)

وقد نالت الواحات عناية عظيمة من جانب « تحتمس الثالث » كما يفهم مما سبق . وخلافا لمناظر سكان الواحات وحاكمها فإنا نقرأ كذلك عن حكام هذه الصحراء أى الصحراء الواقعة فى غرب المدينة («طيبة»). (راجع مقبرة ددى Ddy Thebes No. 200. XVII, Dyn.) . ويعتقد « جوتييه » (راجع .Gauthier, "Dict. Geog." IV, P. 163) أن المقصود هنا هى صحراء «لوبيا» وواحاتها (راجع كذلك .Urk. IV, P. 616) فى عهد « تحتمس الثالث » حيث يذكر لنا أرض اليمين .

وبلاد « بنت » وطرائف حاصلاتها ذكر منها البخور والمر والذهب والأبنوس وسن الفيل وجلود الفهود، وبيض النعام وحيوانات نادرة من كل نوع . ومع ذلك فإن هذه البلاد لم تكن إقليما تابعا للدولة المصرية ، بل كانت مثل « قبرص » تربطها بمصر روابط التجارة وحدها ، فقد ذكرت لنا تواريخ « تحتمس الثالث » مع الجزية التى كانت ترد بنظام من « سوريا » و « واوات » و بلاد « كوش » حملات كانت تقوم بجلب غلات بلاد « بنت » ولم يأت ذكر هذه الحملات إلا فى سنتى ثلاث وثلاثين وثمان وثلاثين . وقد أرسل أهل « جنبتو » أى جنوب بلاد العرب وهى فى جهات بلاد « بنت » إلى بلاط الفرعون « تحتمس الثالث » هدية من البخور فى السنة الواحدة والثلاثين من حكمه (راجع Urk IV P. 695) .

ويلاحظ أن بلاد « بنت » لم تذكر بعد فى حكم الفراعنة الذين جاءوا بعده اللهم إلا بمناسبة بعوث كانت تأتى منها محملة بالعطايا . وهذه وجدت مصوّرة على مقابر عظماء القوم ، وكانت أرض الإله هذه (بنت) عند المصريين محاطة بسياج من الأسرار والرهبة والغموض لبعدها ولما قص عنها من أساطير وخرافات . وغنى عن البيان أن مناجم شبه جزيرة « سينا » قد استؤنف العمل فيها على قدم وساق كما ذكرنا من قبل . وفى شرقى مصر بالقرب من « سيلة (تل أبو صيفه الحالى) » كان يوجد فى هذا العهد غالبا واحة منزرعة تنمو فيها الأشجار اليانعة ، وتزرع فيها الحدائق الغناء والكروم وهى « طريق حور » التى كان يتسلم جزيتها « بوام رع » من رئيس البستان بمثابة دخل للإله « آمون » (راجع .Urk. IV. P. 523) وقد كان والد « سن نفر » موظفا فيها (راجع .Ibid. P. 523) ، ويحمل لقب « المشرف » على البيت .

ولا نزاع فى أن الدولة التى وهبها الإله « آمون » ابنه « تحتمس الثالث » وأخلافه من بعده تعدّ بحق أوّل امبراطورية عالمية يستحق أن يطلق عليها هذا الاسم إذ قد استمرّت على الرغم مما مر عليها من تقلبات عدّة ما يربى على قرنين ونصف من الزمان ثابتة مشتملة على أقاليم عدّة مختلفة ، وقد هضمت فى جوفها ثقافات عدّة ، ومن ثم نجد أن هذه الثقافات قد أثر بعضها حقيقة فى بعضها ، وقد كانت تختلف كثيرا عن ثقافة الدولتين المصرية والبابلية فى عهديهما القديم ، وهما اللتان يتصف كل منهما بصفات مماثلة من حيث امتداد نفوذها وشدة التمسك بالمبادئ الأصلية والنظم القويمة مما هيأ لها البقاء مدّة طويلة كما يحدثنا عن ذلك تاريخ كل منهما ، وعلى العكس نجد أن كلا من هاتين الأمتين بما هيء لها من خلق ثقافة حديثة كانت تسيطر على بيئات عظيمة ، وبذلك أمكنها أن تصل إمبراطوريتها إلى أعلى قمة المجد .

وكذلك نجد من الوجهة الطبيعية أن الامبراطورية المصرية كانت فريدة فى تأليفها مما لم يوجد له مثيل فى تاريخ العالم كله فقد كانت تمتد حتى ما فوق خط

عرض ثمانية عشر من « نباتا » فى المنطقة الاستوائية الى ما فوق شمالى «سوريا» غير أن هذا الامتداد كاد يكون قاصرا على الجنوب والشمال ، وذلك لأن الأقطار الصحراوية التى تقع على كلا جانبى النيل إذا استثنينا مناجم الذهب الواقعة فى بلاد النوبة ليس لها أية فائدة تذكر بالنسبة لحجمها ، وحتى فى أرض الدلتا الخصبة وبلاد « سوريا » نجد أن الأراضى المنزرعة لا تربى على عشرة أو اثنى عشر ميلا فى الاتساع فى أية بقعة من بقاعهما . وكذلك يلاحظ أن اتساع رقعة الأرض المنزرعة على ضفتى الوادى فى القطر المصرى لا يزيد متوسطها عن ميلين ، هذا فضلا عن أنها تنقص جنوبى « طيبة » حتى يصبح الشريط الضيق الصالح للزراعة فى بلاد النوبة ضئيلا جدا . وتقع مدينة « طيبة » عاصمة الامبراطورية وهى التى كانت تخرج منها الرسائل إلى أنحاء الدولة على وجه التقريب فى نقطة وسط فى هذه الامبراطورية المترامية الأطراف ، أما الطريق الحربى الذى يبتدئ أولا فى القطر المصرى من « طيبة » حتى « منف » ثم منها حتى نقطة الحدود فى « سيلة » أى من « تل أبو صيفه » الحالية الواقعة بين بحيرتى المنزلة والبلح مخترقة صحراء شبه جزيرة « سينا » إلى « غزة » ثم تسير بمحاذاة الشاطئ ثم تخترق وادى «نهر الكلب» إلى شمالى « سوريا » فيبلغ طولها من « طيبة » حتى بلدة « نى » أو حتى نهر الفرات حوالى ستمائة وألف من الكيلومترات[1] ، ويجب أن يبرز الإنسان هذه المسافات حتى يمكنه أن يفهم بحق مقدار ما أبداه الفراعنة من النشاط ، ومقدار ما وضعوا من نظم لجعل هذه الامبراطورية متماسكة الأطراف بتأمين طرق مواصلات جنودها ووضع قواعد وأنظمة لتسهيل وصول جزيتها وبعوثها ، ولسير أساليب الحكم والإدارة فيها ،

---

(١) ومن « طيبة » حتى القاهرة بالسكة الحديدية ٧٦٤ كيلو مترا ومن القاهرة حتى القنطرة نحو ١٨٠ كيلو مترا ، ومن القنطرة حتى غزة ٢٤٠ كيلو مترا ، ومنها حتى حلب ٧٠٠ كيلو مترا ومن «طيبة» حتى « أسوان » ٢١٣ كيلو مترا ومن « أسوان » حتى « سمنه » ٤٢٠ كيلو مترا ومن « سمنه » حتى « نباتا » على النيل بالقرب من الشلال الثالث ٨٠٠ كيلو متر .

ومراقبتها مراقبة دقيقة عن كثب . ولدينا صورة ناطقة تحدثنا عن تجمع السلطة الادارية فى البلاد رسمت على جدران مقبرة مدير مخازن الغلال المسمى «خع ام حات» الذى عاش فى عهد الفرعون «أمنحتب الثالث» وقد تحدثنا عنه فيما سبق. إذ فى مناسبة العيد «سد» أى العيد الثلاثينى وهو الذى أقيم فى السنة الثلاثين من عهد هذا الفرعون ، وصل إلى الفرعون الحساب الختامى عن محصول الدخل لوادى النيل فى هذا العام، على يد مدير مخازن الفرعون، وموظفى الجنوب والشمال من بلاد « كوش » حتى حدود « نهرين » وقد كوفئ الموظفون لأنهم قد زادوا فى المحاصيل (أى الجزية) فى حين أنه هو نفسه أنعم عليه بالذهب، وقد بلغ مقدار المجموع الكلى لحصاد هذا العام ٣٠٠ و٣٣٣ و٣٣ بوشل من الحبوب (راجع (L. D. III, Pls. 76, 77; Loret, "Mem. Miss. Franc" I. P. 120 .

وكان يحيط بهذه الدولة العظيمة فى أفريقيا قبائل البدو الذين يعيشون فى السهول والصحارى من اللوبين والسود وغيرهم من القبائل الحامية هذا إلى بدو شبه جزيرة « سينا » وسهول بلاد العرب و « سوريا » . وهؤلاء يربطهم بالفرعون خيط رفيع واهن من الصداقة ، إذ كان من الصعب كبح جماحهم ومع ذلك نجد أنهم كانوا يقدمون إليه العبيد والإماء بكثرة ، وكذلك كانوا يستخدمون فى الجيش المصرى جنودا مرتزقة .

وكان البحر هو الرابط بين مصر والعالم الإيجى وثقافته، أما فى « آسيا » فكانت الدولة المصرية على اتصال مباشر بثقافات البلاد المحيطة بها وهى « بابل » و آشور و بلاد «متنى» ومملكة «خيتا» ، ولأن هذه الدول كانت تشعر بأن قيام السيادة المصرية فى «سوريا» يعدّ جرحا داميا لا يندمل وكسرا لا يجبر بالنسبة لضياع نفوذ بلادهم وقوة سلطان مصر فيها . وعندما كان أمير بلاد « متنى » يعمل مع الأمم التى كانت تقاوم مصر كان فى مقدور ملوك الكاسيين أصحاب « كاردونياش » أن يظهروا نشاطهم فى هذه البقعة ، إذ كانوا يدعون إرث السيادة على بلاد « سوريا » ،

على أنه لو اتحدت كل هذه الدول المجاورة يدا واحدة على مصر فربما كان من الممكن وقف تقدم الفرعون فى هذه الأصقاع ، غير أن مثل هذا الاتحاد كان بعيد المنال لما بين هذه الدول من المنافسات ، ولذلك فان تفرقهم قد جعل مقاومة أى واحدة منها على انفراد قصير الأمد لقلة ما لديها من الرجال والعتاد .

ثروة مصر وتأثيرها فى الممالك المجاورة : وفى الحق لم تكن سيادة مصر ترتكز على نظامها الحربى وحسب ، بل كان سندها الأكبر يعتمد على مواردها المادية التى كانت تحت تصرف مليكها ، وبخاصة ما نشأ فيها من مصانع ، وما قام فيها من أعمال فنية ، وصناعات دقيقة ، وأكثر من كل هذا ما كان يجبى للبلاد من المعادن الثمينة التى كان لا ينضب معينها وبخاصة من الذهب الذى كان يجلب إليها من مناجم الذهب فى بلاد « النوبه » بمثابة جزية سنوية ، كما كان يتدفق عليها من بلاد « بنت » ، ولم يكن فى مقدور أية مملكة من الممالك البعيدة المجاورة لامبراطوريتها أن تجاريها فى هذا المضمار ، وبذلك استعملت مصر هذا المعدن البراق وسيلة لإخضاع كل الأمم التى تحيط بها لشدّة حاجتهم إليه ، وعدم وجوده عندهم بهذه الكثرة المنقطعة النظير ، وعلى أية حال فقد أرسل ملوك « بابل » و« آشور » و «قبرص» ومملكة «خيتا» العظيمة ومملكة «ارابخا (Arrapacha) » المرة تلو المرة هدايا ثمينة للفرعون « تحتمس » وقد عدها هذا الفرعون من جانبه بمثابة جزية مفروضة على تلك الأمم ، غير أنه مما لا شك فيه أن الفرعون كان يرسل فى مقابلها هدايا أخرى كما نعلم ذلك من خطابات « تل العمارنة » وبخاصة الذهب . وكانت العلاقات السياسية المنظمة التى نشأت بين مصر وهذه البلاد الأسيوية تسير على ما يرام كما ذكرنا ، وإن كانت أحيانا تنقطع لمدّة قصيرة فى أحوال نادرة ، وكانت تدوّن باللغة البابلية والخط البابلى حتى مع آسيا ولم نجد إلا حالات فردية كتب فيها كل من ملك « متنى » وملك « خيتا » بلغته الأصلية . وكذلك كان على الفرعون أن يستعمل هذه اللغات الأجنبية فى مكاتباته ، ولذلك أوجد له كتّابا بلغة غير اللغة المصرية ، وبذلك أصبح الاتصال بينه وبين الثقافة الشرقية القديمة وثيق العرى متين الأساس (راجع J. E. A. Vol. XXIII, P. 190 ff.) .

الحياة الدينية

الثقافة والدين : لقد ظلت التقاليد المصرية القديمة فى البلاد سائرة فى طريقها مدّة تربى على ألف ونصف ألف من السنين كانت فى خلالها تخطو نحو الكمال ؛ وهذه التقاليد كانت تسيطر على الحياة المصرية كلها ، ووجهت نظر المصرى إلى الحياة والأوضاع التى يفكر على هداها ، وغرست فيه الأحاسيس التى يندفع متأثرا بها ، كما كان للبناء الجديد الذى بنيت على أسسه الدولة الحديثة أثره فى قلب نظام الحكومة ، فقد كان كل ما يسعى إليه هو إقامة أنظمة سياسية وحربية تغاير النظم القديمة ، وكان القصد منها إعادة ما كان لمصر من مجد تليد فى الأزمان السالفة مع السير مع الحضارة فى نموّها وتقدّمها ، وذلك بتنفيذ أوامر الآلهة الذين امتدّت بقوتهم أملاك الدولة . وقد بقيت مكانة الفرعون وألقابه لم يصبها أى تغيير كما حافظت الحكومة على ألقاب الموظفين القديمة بقدر ما سمحت به الأحوال ، وقد بقى كذلك تقسيم البلاد الاسمى قسمين : الوجه القبلى والوجه البحرى ، وإن أصبح لا يتفق مع الواقع ، وقد صار الإله « آمون » إله العاصمة الجديدة ، ورأس جماعة الآلهة فى العالم المصرى وبذلك أخذ مكانة الإله « رع » الذى كان يعدّ حاكم العالم ، وحامى الدولة ، ووالد الملك الذى أنجبه من صلبه ، مما زاد فى سلطانه وعظمته ورفعه عن الآلهة الآخرين . على أن كل ذلك ليس إلا نتيجة للتقدم الدينى الذى بدأ منذ الدولة الوسطى فى اللاهوت المصرى ، وما أحاط به من أسرار وغموض على يد الكهنة مما جعلهم يصلون إلى مكانة يحسدون عليها فى البلاد كلها .

وقد وقع على عاتق أوّل ملوك الأسرة الثامنة عشرة القيام بإنجاز أعمال كثيرة وإعادة النظام إلى ربوعه بعد الخراب الذى حاق بالبلاد فى عهد الهكسوس ، فكان عليهم أن يعيدوا إقامة المعابد والشعائر الدينية الخاصة بها ، وما يتطلبه تجديدها من أموال طائلة ، فما بقى لنا من قطع فنية من نحت هذا العصر وهو قليل — كانت تشبه القطع المنحوتة فى الدولة الوسطى ، وكذلك الكتابات التى وصلت

إلينا كانت متمسكة أشد التمسك بالأسلوب الكلاسيكى الذى ساد عهد الدولة الوسطى ؛ ولكن ما لبثت الأحوال أن تغيرت رويدا رويدا وظهرت أفكار جديدة وأشكال مبتكرة فى عالم الوجود . وقد كان أوّل من خرج على التقاليد القديمة فى بناء قبره هو « أمنحتب الأوّل » ثم « تحتمس الأوّل » الذى يعد قبره وما اتخذ له من عدة خروجا صريحا على عادات أجداده الفراعنة فى الدفن . فقد أقام قبره كما ذكرنا فى واجهة صخرة فى الوادى الصحراوى المعروف الآن بوادى الملوك ، وبذلك حتّم عليه أن يفصل معبده الجنازى عن القبر الذى يثوى فيه جسمه .

المقابر الملكية وتطوّرها : وقد كان لهذا التجديد فى إقامة المدفن الملكى أثر بالغ فى فن البناء المصرى فقد بطلت إقامة هرم من اللبن أمام قبر الملك أو قبور عظماء القوم كما كانت الحال فى البلاد حتى عهد « أمنحتب الأوّل » ؛ ويدل على ذلك أن أقدم قبر كشف عنه حتى الآن فى « طيبة » لكبير من علية القوم يرجع تاريخه الى عهد « تحتمس الأوّل » والظاهر أن نحت قبور الفراعنة ونحت قبور الموظفين فى الصخر قد ظهرا فى وقت واحد . والواقع أن المصرى عندما يكوّن فكرة وينفذها كان من الصعب عليه جدّا أن يتخلى عنها ، وإن تقادم عليها العهد حقيقة وأصبحت فكرة بالية فإنه كان لا يزال يتعلق بأهدابها بصورة ما . ولذلك نجد أن القوم قد اتخذوا بدلا من الهرم الذى كان يقام من اللبن أمام المقبرة فى عهد الأسرة السابعة عشرة هرما صغيرا من الحجر يرسمون على واجهاته الأربع المتوفى وهو يتعبد لإله الشمس عند شروقها وعند الغروب .

وعندما أخذ أمراء الإقطاع يستقلون بالحكم فى مقاطعاتهم فى أواخر الأسرة الخامسة بدأ استعمال المقابر المنحوتة فى الصخر ، فكان العظماء ينحتون قبورا يحتوى كل منها على ردهة أمامية ومدخل عمودى طويل يؤدّى إلى حجرة الدفن ، وقد كان يضاف إلى ذلك حجرات أخرى . أما فى قبور الملوك فكان هذا التصميم نفسه يتقدم ويتسع من عهد إلى عهد بدرجة عظيمة فتضاف إليه قاعات عدّة وحجرات

جانبية ، وقد كان يؤدّى إلى حجرة الدفن وما يتبعها من الحجرات الأخرى سلم يمتد فى أعماق الصخر إلى مسافات بعيدة ، وقد كان يوضع كل التصميم بجميع تفاصيله . ويدل موقع المقبرة وطريقة تنفيذ بنائها على كيفية السيطرة الفنية التى نشاهدها فى مقبرة « تحتمس الأول » حتى مقبرتى « أمنحتب الثانى » والثالث ، كما نشاهد التقدم الدائم فى تحسينها وتفخيمها ، بجدران المقبرة وجدران التابوت الضخم الذى كان يصنع وقتئذ من حجر بلاد النوبة الرملى ، ثم استبدل به فى عهد الأسرة التاسعة عشرة جرانيت « أسوان » — مزينة بالكتابات والصور ، و بمناظر أخرى عدّة من حياة الفرعون فى مملكة « أوزير » ومملكة « رع » و يتبع ذلك تعاويذ لسياحة إله الشمس فى سفينتى الليل والنهار ، وما يتبعهما من عقبات وصعاب ، ومحاربة الثعبان « أبو فيس » .

تطوّر مقابر الأشراف : ولا نرى شيئا من هذه المناظر فى مقابر علية القوم بل كانت رسوم جدرانها خاصة بمناظر الحياة الدنيا ، وما كان يتمتع به المتوفى مدّة مكثه على الأرض ، فنشاهده يقيم الولائم لأسرته وأقاربه ، ويشرف على حقوله ومحصولاتها كما نراه يذهب للصيد والقنص فى عربته أو مع أفراد أسرته فى البطاح والبرك ، و يجلس فى حديقته ، و يتمتع بأزهارها الفيحاء وينعم بهوائها العليل ، وكذلك نشاهده يقوم أحيانا بفحص الجزية الواردة للفرعون من البلاد الأجنبية ، وبخاصة من سوريا و بلاد الكوش ، ثم غيرها من البلدان التى كانت تحت سلطان الفرعون أو مصادقة له ، هذا وقد رسم بعض أصحاب هذه القبور ما كان يشرف عليه من الحرف والصناعات وغير ذلك مما له علاقة بعمله والحياة الاجتماعية ، ولذلك نجد فى رسوم هذه المقابر سجلا لحياة الشعب كما فصلنا القول فى ذلك . وهذه المناظر على ما يظهر كان معظمها تقليدا فقد نقل بعضها عن مقابر الدولة القديمة ، و بعضها عن مقابر الدولة الوسطى مع ظهور بعض تجديد فى عهد الدولة الحديثة ، و بخاصة مناظر تجنيد الجيوش واستقبال وفود البلاد الأجنبية ، و إرسال البعوث إلى الأقطار

النائيــة والعودة منهــا ، وكيفية إقامة المبــانى الضخمة والاحتفال بتنصيب كبار المــوظفين ، وظهور صور الملوك وما يلقونه من تعليمات على كبار موظفيهم ، وغير ذلك من مظاهر الحياة الجديدة التى كانت تستلزمها العلاقات الدولية الحديثــة . وهذه المناظر التى ذكرناها ليس لها مكان فى قبور الملوك ، ومكانها فى الواقع المعابد الجنازية التى أقامها هؤلاء الفراعنة لأنفسهم عند ســفح الجبل بالقرب من شاطئ النهر ، ومع ذلك فإن هذه المعابد قد تغيرت صورها الأصلية عما كانت عليه ، فقد أصبحت عبادة « آمون » والإلهــة « حتحور » حامية الجبانة متصــلة بالشعائر الفرعونية ، وكذلك ظل الفرعون الذى رفع بعد الموت واتحــد مع قرص الشمس (كما تقول الصيغ الرسمية) عائشا هنا وعلى اتصال وثيق بالآلهة التى أوجدته وأرضعته بلبانها . وممــا يؤسف له جدّ الأسف أن كل معابد الأسرة الثامنة عشرة قد اختفت من الوجود تقريبا اللهم إلا معبد «حتشبسوت» ويرجع السبب فى بقائه إلى بعده عن الأراضى الزراعية وقربه من سفح الجبل ، ومع ذلك فإنه بدوره قد تهدّم ودفن مؤقتا ، وكان قد اتخذه الأقباط ديرا لهم وعبثوا كثيرا بنقوشه ، ولكن أساسه ظل حافظا لكيانه ممــا سهل إعادة بنائه من جديد فى الأزمان الحديثة . وهذا المعبد هو الذى ابتدع تصميمه مهندس البناء « سموت » كما فصلنا القول فى ذلك (راجع الجزء الرابع ص ٣٢٠ الخ) .

المعابد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة : لقــد كانت إقامة معابد الآلهة فى الأسرة الثامنة عشرة من أهم الأمور التى شغلت بال الفراعنة فانهم وجهوا إليها عنايتهــم التامة وبخاصة معبــد الإله « آمون » الذى كان يعدّ الإله الأعظــم للدولة فى طول البلاد وعرضها . والواقع أن اهتمام الفراعنة ببناء المعابد لهذا الإله والزيادة فيها مثل معبد الكرنك والاقصر و « طيبة » الغربية كان شغلهم الشاغل . فقد كان الفرعون أحيانا يفضل إقامة معبد للإله « آمون » أو غيره من الآلهة على إقامة معبد جنازى لنفسه ، حقا نجــد الفراعنة كانوا يقيمون المحاريب للآلهة ،

ويجهزونها بكل المعدّات فى كل زمان ومكان ، غير أن بنـاء المعابد الضخمة التى تمثل لنا الفكرة الدينية المستحوذة على أفكار الملوك والشعب وقتئذ لم نشاهدها قط فى كل عصور التاريخ المصرى القديم، الذى سبق عهد الأسرة الثامنة عشرة إلا مرة واحدة فى معبد الشمس الذى أقيم فى عهد الأسرة الخامسة فى بوصير ولا نجد غير ذلك معبـدا للإله شيد بجوار المعابد الجنازية التى أقيمت للأهرام . أمافى عهـد الدولة الوسطى فتـدل النقوش وما كشف عنـه حديثا من الآثار على أنه كانت توجد معابد للإله فى « عين شمس » و « الفيـوم » و « الكرنك » و « الأقصر » (راجع ج ٣ ص ٤٤٠)؛ وهذه لم يبق منها قائما فى مكانه إلا معبد الآلهة «رنوتت» فى « كوم ماضى » بالفيوم ، أما سائرها فقـد عفت عليه الأيام وأقيمت مكانها معابد أخرى . ومنذ الأزمان القـديمة أخذت أشكال هـذه المعابد والاحتفال بالأعياد الدينية فيها تتخذ صورة جديدة نامية راقية لتساير ما نال البـلاد من تقدّم وعمران ، كما أن التصميم الهندسى لهذه المعابد اتخذ صورة جديدة . ولكن إقامة المبانى الضخمة لعبادة الآلهة فى مدّة تبلغ نحو نصف ألف سنة ، وهو عهد الدولة القديمة لم يحـدث إلا مرة واحدة ، وذلك فى عهد الأسرة الخامسة عندما كانت عبادة إله الشمس قد بلغت قمتها وسادت البلاد . على أن ذلك العهد لم يمكث إلا مدّة لا تزيد على مائة سنة ، وبعـدها أخذت البـلاد تسقط فى مهاوى الفـوضى والضلالة، فذهبت معها تلك الفكرة الدينية العظيمة وتمزق شمل استقلال البلاد . ولمـا عادت للبلاد وحدتها واستردّت عظمتها فى عهد الأسرة الثانية عشرة أقامت معابد للالهة فى طول البـلاد وعرضها وبخاصة معبـد الإله « آمون » الذى أقيم فى « الكرنك » وكذلك المعبد الذى أقامه « سنوسرت الأوّل » للإله نفسه هناك، غير أن هذه المعابد كانت متواضعة فى مساحتها بل لا تزيد عن أربعين مترا مربعا، وكذلك كانت الحـال فى المعابد التى أقيمت للإله « بتاح » فى « منف » ومعبد الإله « ست » الذى أقامه « الهكسوس » فى « أواريس » (تانيس) فقد كانت كلها معابد صغيرة الحجم إذا ما قيست بما أقيم من معابد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

ولا نزاع فى أننا نجد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة أن الفكرة الدينية التى كانت قد ظهرت فى عهـد الأسرة الخامسة قد أخذت تنمو وترقى بدرجة عظيمة ، وقد زاد فى نموّها وظهورها الانتصارات التى كان يحرزها الفرعون بمعاونة الإله الأكبر، ولذلك كان حقا عليـه أن يقوم لهذا الإله الذى كفل له النصر على أعدائه بجـزء عظيم مما أفاء به عليه الآلهة .

ولقد نال نصيب الأسد من هذه الغنائم التى استولى عليها الفرعون إله الدولة الأعظم « آمون » رب «طيبة» فشيد له المبانى الضخمة لإقامة شعائره وتمجيده .

وقد شاهدنا أن كلا من « أحمس الأوّل » و « أمنحتب » قد أخذ فى إقامة المبانى للالهة فى مختلف جهات القطر وبخاصة فى معبد «الكرنك» . غير أن الاتجاه العظيم والمجهود الضخم الذى بذله الفراعنة لم يقم إلا منذ عهد «تحتمس الأوّل» . فقد أقام أمام المعبد القديم للإله « آمون » فى « الكرنك » (الذى كان قـد أزيل تماما بما أقيم مكانه من المبانى الجـديدة) بوابتين ضخمتين إحداهما خلف الأخرى كما نصب أمامهما مسلتين عظيمتين أقامت أعظم منهما الملكة « حتشبسوت » ابنته ، وقد بنى الفرعون « تحتمس الثالث » حول مسلتى « حتشبسوت» جدارا ليحجز ما عليهما من نقوش عن الأنظار انتقاما منها ، وأقام هو فى «الكرنك» بدوره مسلتين وكذلك غير شكل الحجـرات الداخلية تغييرا عظيما بإقامة بنـاء حجرة داخلية نقش على جدرانها تاريخ حروبه منذ الحملة الأولى حتى العام الثانى والأربعين من حكمه كما فصلنا القول فى ذلك فى الجزء الرابع .

وكذلك أقام « تحتمس الثالث » خلف المعبد الكبير معبـدا للاله « آمون » وقد فصلنا فيه القول (راجع الجزء الرابع ص ٤١٧) .

والواقع أن المعبد كان يقام تخليدا لذكرى كل من الملك والإله العظيم ، والآلهة الأخرى الذين كانوا أتباعه . وفضلا عن ذلك كان المفروض أن يعـدّ الفرعون والإله وحدة لا انفصام لها فى معبـد الإله أو فى المعبد الجنـازى الذى كان يقيمه

الفرعون على الضفة اليمنى للنيـل بالقرب من مثواه المنحوت فى التلال المجاورة .
وكذلك كان الإله الحى والفرعون الذى يصعـد إلى السماء متصلين بعضهما ببعض
اتصالا وثيقا لدرجة أن الأعمال العظيمة التى كان يقوم بها الفرعون كانت تعـدّ
آتية عن طريق الإله لأنه هو الذى انتخبه ونصبه على العرش ؛ ولذلك كان
الفرعون من جانبه يعلن عظم قوّته وسلطانه الذى لا حدّ له ، ومن أجل ذلك نجد
«تحتمس الثالث» وغيره من الفراعنة قد نقشوا على جدران معابدهم قوائم مطوّلة
بأسماء الأقوام الذين قهرهم ، والبلاد التى فتحها . وقد دوّن لنا هذا الفرعون على
جدران معبـد « الكرنك » كما فعلت « حتشبسوت » من قبـله على معبد « الدير
البحرى » بصورة خيالية كيفية اعتلائه العرش بوساطة الإله الذى نادى بها ملكا
فى قاعة المعبد (راجع الجزء ٤ ص ٣١٦) . وكذلك عدّد لنا المبانى والهدايا التى قدّمها
للإله « آمون » من حروبه المظفرة ورسم لنا النباتات التى أحضرها من « سوريا »
وغرسها فى حديقة المعبد كما دونت لنا « حتشبسوت » حملتها إلى بلاد « بنت »
التى أرسلتها لإحضار أشجار البخور لتزرع فى حديقة معبدها (راجع الجزء الرابع) .

ومما يسترعى النظر أننا لم نجـد حتى الآن صورا تمثل لنا الحروب والمـواقع
الحربيـة فى تلك الفترة من تاريخ مصر . حقا يمكن الإنسان أن يرى مفتن هـذا
العصر قـد صوّر لنا صور الأجانب بدقة ومهارة ، ورسم لنا صور حيوانات البحر
فى خلال الحمـلة التى أرسلتها « حتشبسوت » إلى بلاد « بنت » والنباتات التى
أحضرها « تحتمس الثالث » فى أثنـاء غزواته لبـلاد « آسـيا » كما أن نقوش
« الدير البحرى » ونقوش المقابر الخاصة وما على جدرانها من مناظر قد مثل فيها
تفاصيل الرحلات البحرية التى قام بها الأسطول المصرى إلى بلاد « بنت » ، وكذلك
المحاصيل والجزية التى أحضرها سفراء البلاد الأجنبية ، وسير الجنود وحركاتها ألخ ؛
غير أن ذلك كله لم يخـرج عن دائرة المناظر العادية التى نشاهدها منذ القـدم على
جدران المقابر مثل مناظر العمل فى الحقول وفى مصانع العمال ، وكذلك ما نجـده

متجمعا من طوائف الناس الذين حشروا جنبا لجنب مرتبين فى صفوف على الجدران بعضهم فوق بعض كما نشاهد فى المناظر القليلة التى بقيت لنا من عهد الدولتين القديمة والوسطى عند مهاجمتهم قلعة من القلاع أو حصنا من الحصون . أما منظر موقعة حربية بالمعنى الحقيقى نجد فيها الجيشين المتحاربين قد تلاحمت جنودهما ، واشتركت عرباتهما فى المعمعة معا ، فلم يكن المفتن المصرى قد تجاسر بعد فى عهد « تحتمس الثالث » أن يصوّره لنا على جدران المقابر أو فى الآثار التى وجدت من عهده حتى الآن . وقد كان أوّل تصوير وصل إلينا من موقعة حربية اشتركت فيها العربات والمشاة هو المنظر الذى نشاهده على جسم عربة «تحتمس الرابع» . ومن العجيب أن هذا المنظر بعينه قد أصبح فيما بعد النموذج للموقعة الحربية فى العهود التى تلت ، وهو ما نشاهده فى الموقعة التى صوّرت على صندوق « توت عنخ آمون » فى عهد تلك الأسرة كما سنرى بعد . والواقع أن هذا المنظر لا يمثل أمامنا مجرى الحرب فى ساحة القتال بل يمثل لنا الفرعون المنتصر الذى لا يمكن لعدوّ أن يقهره ، إذ نشاهد فيه الفرعون واقفا وسط المعمعة فى عربة يجرّها جوادان من أصائل الخيل ، وقد رسم بحجم عظيم جدّا تتضاءل بجانبه العربات الأخرى التى فى ساحة القتال، وهو يهاجم عربات العدو مفوّقا اليها سهامه فتفرّ من أمامه مهزومة مدحورة ، والقتلى مضرجين بدمائهم على الأرض ، والسهام عالقة بأجسام العدوّ وحسب .

ومثل هذا الرسم الرمزى المحض الذى يعبر عن الواقعة الحربية لا نجد له نظيرا فى المناظر الحربية فى الفن الكريتى ، إذ كانوا فى هذه الناحية لا يعبرون إلا عن الحقائق المحضة ، ومع ذلك فإن من المقطوع به أن المناظر الحربية المصرية قد تأثرت بنظائرها فى الفن الكريتى تأثرا عظيما ، وبخاصة المناظر التى كان قد ابتدعها المفتنون فى البلاط الميكانى فى عهد أمراء القرن السادس عشر ، وهذا هو التفسير الوحيد الذى يمكن أن يفكر فيه الإنسان للتدليل على رسم منظر الموقعة الحربية

المصرية فى كتلة واحدة ، ليست مقسمة صفوفا فيها الأشكال واقفة مزدحمة ، وكثيرا ما نشاهد فيها الأشكال متصلة فى صفوف ، ويظهر التأثير الأجنبي بوضوح فى هذا المنظر حيث نجد الجياد تركض وهى تختلف عن كل رسوم الحيوانات المصرية وهى تجرى ، إذ نشاهد الأخيرة بأرجلها على الأرض ، أما فى رسم الموقعة فنشاهد الجياد فيها وهى تقفز بسرعة خاطفة فلا ترى أرجلها على الأرض . وقد بينا فيما سبق أن أحد أسلحة الملك « أحمس الأول » قد ظهرت عليه صورة كريتية لأسد يقفز قد قلده المفتن المصرى عن أصل كريتى (راجع الجزء ٤ ص ٨٨)؛ وإذا علمنا أن الفخار الكريتى كانت له سوق رائجة وأنه كثير الاستعمال فى مصر حتى أن المصريين كانوا يقلدون صناعته ، أدركنا بصفة قاطعة تأثير الثقافة الخارجية المحس ، ولا أدل على ذلك من إدخال السلع السورية ، والميل الشديد المتزايد إلى قبول كثير من الكلمات والتعابير الكنعانية فى اللغة المصرية القديمة ، وبخاصة عند أفراد الطبقة المثقفة الذين يريدون إظهار ثقافتهم العالية ، واطلاعهم الواسع بحشر تلك الألفاظ فى كتاباتهم[1] . والواقع أن موقف الفن المصرى فى ذلك العهد بالنسبة للفن الإغريقى يشبه موقف الفن الأوربى لفن شرقى « آسيا » منذ القرن الثامن عشر ، إذ نشاهد أنه كان يسير دائما بجانب الاتصالات الخارجية فى هدوء وتؤدة . ولذلك نرى الآن أن تلوين الأوانى الفخارية الذى كان قد اختفى منذ أوائل الدولة القديمة ، وبخاصة التزيين بالأوراق والأزهار قد ظهر ثانية ، وأن رقعة الآنية قد قسمت بخطوط متوازية ، وملئت بإشارات وألوان مختلفة ، قد جاءت من تأثيرات أجنبية لا يمكن معرفة كنهها . ولدينا بوجه عام مقدار عظيم من صناعات الثقافات المختلفة ، وبخاصة الأوانى المصنوعة من الحجر ، ومن الفخار والمعادن التى زينها الصياغ بالحليات الفاخرة . ومما يلفت النظر من بين هذه الأوانى الأطباق الضخمة المغشاة بالذهب والمحلاة حوافها بالأزهار والطيور ، وكذلك الكئاس المصنوعة من

---

(١) راجع ورقة أنستاسى الأولى (الأدب المصرى القديم جزء أول ص ٣٧٨) .

الحجر والضفادع والأسود، هذا إلى صورة الفرعون وهو جالس فى عربته (راجع الجـزء الرابع ص ٥٧٥ من كتاب مصر القديمة) . ولا نزاع فى أن التصميم مصرى خالص ، غير أن الذين قدموا هذه التحف أجانب قـد أحضروا الجزية للفرعون من «سوريا» و «كريت» وبلاد النوبة . وحقيقة الأمر أن الصياغ الأجانب قد أخذوا هذه الأشكال التى عملت فى مصر وألفوا منها سلعا وأوانى كانت تروق فى أعين المصريين وبخاصة الفرعون وعلية القوم، ثم حملوها للفرعون وبلاطه بمثابة جزية. وقد بقى تأثير ذلك لمدة طويلة فى بلاد «اليونان» و «أتروريا» وقد وجدت فى هذه الجهات أطباق كانت تصنع على هذا النمط فى أزمان متأخرة جدا .

موازنة بين فن العمارة المصرى والإغريقى : على أن التناقض الصارخ بين الثقافتين يظهر جليـا فى فن العمارة ، إذ نشاهد أن الطموح نحـو إقامة المبانى الضخمة الأثرية قد انعدم تماما فى القصور الكريتية، فى حين نرى أن المصرى منذ بداية التاريخ كان جل همه ومعقد آماله أن يقيم المعابد الضخمة والأضرحة الصلبة ، وكان يرمى من وراء ذلك إلى مغالبة الدهر وهزيمـة الموت، ولذلك أراد أن يقيم لروحه بدلا من مأواه الزائل الذى بناه على الأرض مسكنا خالدا يهـزم الزمن ويقهر الموت معا . وقد أفلح المصرى فلاحا مبينا فى عهد الدولة الحديثة فى محاولته هذه عندما أقام تلك المعابد العظيمة ، والواقع أنها فى أسسها وفى مبانيها منقطعة القرين من حيث الضخامة وسعة الحجم ومتانة المـادة وروعة المنظر وبهاء الطلعة ، والتأثير فى النفس . هذا فضلا عن أن مداخل هذه المعابد قد أحكمت أجزاؤها وناسب تنسيقها ضخـامة البناء ممـا ألف وحدة جميـلة ترتاح إليها النفس وتجذب إليهـا النظر فنرى قاعاتها الفسيحة الأرجاء المقامة على عمد ضخمة كانت قد ابتدعت منذ الدولة القديمة على هيئة سيقان النخل الباسقة وسيقان البردى اليانعة ، غير أنها قد أقيمت بصورة ضخمة فى عهد الدولة الحديثة فى ساحة المعبد وقاعاته فكانت بهجة للناظرين ، وقد زاد فى جمالها ما حليت به جدرانه من نقوش وصور خلابة بألوان

متناسبة يرتاح إليها النظر بما أقيم أمامه وداخله من تماثيل ضخمة للاله الذى أقيمت من أجله وللفرعون الذى أعلى بناءها .

المعبد المصرى . فكرته وصورته

لا نزاع فى أن فكرة بنـاء معابد تستخدم لإقامة الأعياد الإلهية وما يتبعها من مواكب وحفلات يعـدّ أعظم تجديد حدث فى عهد الأسرة الثامنة عشرة . حقا كانت هذه المعابد موجودة فى مصر منذ القدم غير أنها كانت تظهر بمظهر مغاير لمـا أصبحت عليه فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، إذ كانت فى الواقع فى عهد الدولة القديمة محاريب وحسب يسكنها الإله ، ويحفظ بجانبه فيهـا أدوات العبادة الخاصة به ، وكل ما كان يملك من ذخائر ثمينـة ، وكذلك كان معبـد « الكرنك » فى عهـد الدولة الوسطى مبنى صغيرا مربع الشكل لا يزيد ضلعه عن أربعين مترا (١) . أما توسيعه وجعـله مبنى عظيم الحجـم وإقامة بوّابات أمامه فـلم يبتدئ إلا فى عهـد الأسرة الثامنة عشرة فى حكم الفرعون «تحتمس الأول» هذا إذا استثنينا بعض قطع ضخمة من الجرانيت فى معبد « تل بسطة » نقش عليهـا اسم الفرعون « خوفو » ولكنا فى الواقع لا نعلم شيئا البتة عن أصل تصميم البناء الذى كانت فيـه هذه الأحجار . وقد أوضحنا فى الجزء الثالث أن مبنى « اللبرنت » التى أقامها « أمنمحات الثالث » لا تمت بصلة لمعبد الإله قـط بل كانت فى الواقع المعبد الجنازى للملك « أمنمحات الثالث » نفسه (راجع ج ٣ ص ٣٣٠) يضاف إلى ذلك أن كلمة بوّابة أو « برج » فى اللغـة المصرية القديمة هى « بخنت » وهى مؤنث كلمة « بخـن » أى « برج » أو « قصر » وقـد استعيرت لباب المعبد ، وهـذه الكلمة نجدها فى اللغـة العبرية والعربيـة ، وعلى ذلك فهى كلمـة أجنبية نقلت إلى المصرية ، وكلتـا الكلمتين لا وجود لهما فى اللغـة المصرية فى العصور الأولى ، وهذا دليل على أن هـذا كان تجديدا بدأ فى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

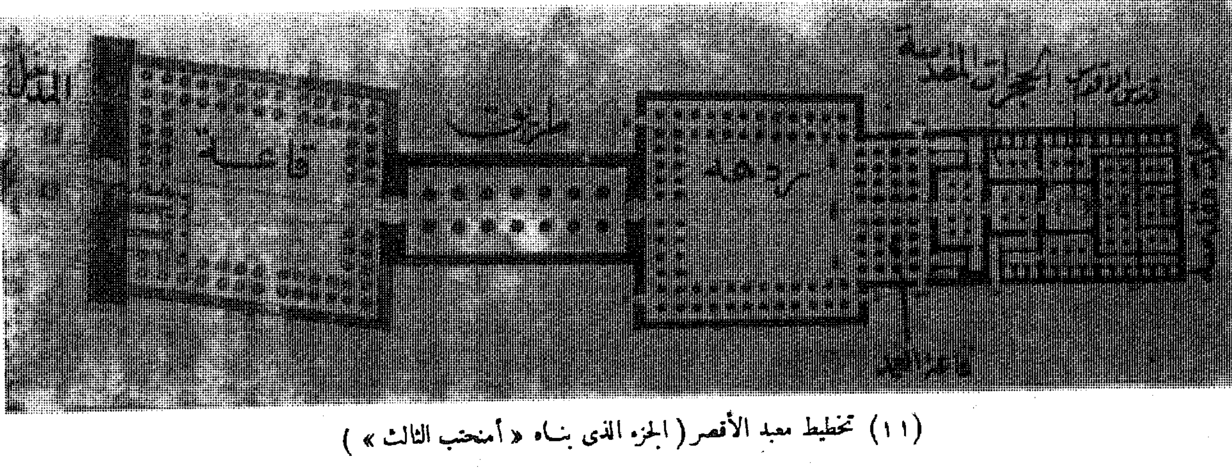
---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٤٤٠

وإذا وازنا المعبد المصرى بالمعبد الإغريقى وجدنا بينهما وجه قرابة، وبخاصة الأهمية الكبيرة التى كانت للأعمدة فى كل من البلدين، هذا فضلا عن أننا نجد أن كلا المعبدين يتقابلان فى نقطة واحدة، وهى أن مبانى المعبد الإغريقى فى مدة القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، وكذلك المعبد المصرى فى عهد الدولة الحديثة، والكتردائية فى عهد القرون الوسطى لم يكن كل منها إلا عنوانا لعصر بعينه قد تمثل فيه حب التدين المتزايد المشفوع بالطموح لجعل هذا البناء المقدّس على جانب عظيم من الفخامة والبهجة، وذلك بفضل مساعدة الإله وقوّة بطشه وعظيم سلطانه. غير أن المعبد المصرى فى داخله كان يختلف اختلافا بينا عن المعبد الإغريقى.

موازنة بين المعبد المصرى والمعبد الإغريقى: فالمعابد الإغريقية التى نشأت على غرار بناء القصور — وهى التى كانت عندما تسمح الأحوال تقام على ربوة — كانت مأوى الإله الرسمى، الذى كان يشرف منه على ماحوله من مناظر طبعية، فهذا المعبد تنجذب إليه الأنظار من بعيد، ويترك فى النفس أثرا عظيما لتناسق أجزائه وجمال وضعه، وبخاصة بما تضفيه عليه مجموعة العمد التى تحيط به وتظهره كأنه وحدة من المبانى منفردة، غير أنه لا يترك فى النفس أثر السرية الدينية ورهبة التقى الإلهى، أما المعبد المصرى فإنه على العكس قد أقيم ليبعث فى النفس ذلك الجلال الدينى والغموض الخفى الذى توحى به القوّة الإلهية. ففى الخارج نجده محاطا بسور مغلق. وفى واجهته الضيقة بوّابة هائلة يعلوها برجان وعلى كلا جانبيها نصب عمودان يرفرف فى أعلاهما علمان ينطحان السماء علوا ورفعة، وبذلك تكون المدينة التى يسكن فيها الإله منفصلة تمام الانفصال عن عامة الشعب الخارجين عن هيئة رجال الدين، ولذلك كان كل داخل من هذا الباب الضيق يعدّ نفسه قد بعد عن سلطان عالم الدنيا، واقترب من عالم الإله، وقد كان المحراب الذى يوجد فيه الصندوق المغطى بفاخر الكتّان والمزين بالرموز وهو الذى كان يحفظ فيه تمثال الإله، موضوعا فى الحجرة النهائية من المعبد يخيم عليها الظلام الدامس

وتكتنفها الرهبة . وقد كان منصوبا فى السفينة المقدسة التى تحمل على أكتاف الكهنة وتظهر للعيان أمام الشعب فى قاعة المعبد العظيمة إذا تطلبت الأحوال ظهوره ليوحى إليهم بمهام الأمور التى يتوقف عليها كيان الدولة وسيرها ، وذلك فى حضرة الفرعون ، وكان عند الاحتفال بأعياد خاصة يخرج هذا الإله لزيارة الآلهة الآخرين فى معابدهم وهم يسعون لزيارته ، هذا فضلا عن أنه كان يظهر فى يوم انتخاب الفرعون الذى سيحكم البلاد بعد رفع الفرعون الحاكم إلى السماء . أما طريق الاحتفال الذى كان يخترقه الملك ليذهب إلى الإله أو الإله إلى الفرعون والناس فكان يملأ جوّ المعبد كله ويسبغ عليه وحدة داخلية . والواقع أن وحدة المعبد وانفصاله عن باقى المبانى التى تحيط به تدرك حتى فى خارجه ، إذ إنه قد أقيم على بعد شاسع ، وحف جانباه بتماثيل « بو الهول » ويصل السائر فيه إلى أعماق المعبد حيث « قدس الأقداس » أى أن محور باب قاعة العمد كان يقع على خط مستقيم مع الطريق الخارجية . وأهم معبد مصرى بلغ مبلغا عظيما من الجمال والروعة وتحققت فيه الفكرة المثالية المعبرة عن المعبد المصرى فى عهد الأسرة الثامنة عشرة هو المعبد الذى أقامه « أمنحتب الثالث » فى « الأقصر » للإله «آمون» (انظر الصورة رقم ١١) إذ نشاهد أمام بوابته قاعة مستطيلة يخترق فيها الزائر طريقا محاطا بصفين من العمد الضخمة كل منهما يشمل سبعة أعمدة ويرى اتجاه المحور فى هذا البناء الضخم المؤدى إلى حجرة «قدس الأقداس» قد انحرف انحرافا ظاهرا عن المبنى كله . و بعد ذلك يدخل الإنسان فى ردهة عظيمة محاطة بالأعمدة الضخمة من كل الجوانب ، وهى التى يجتمع فيها الأتقياء من القوم ليشهدوا إقامة الشعائر ثم يأتى على أثر ذلك بهو ذو عمد عظيمة ينفذ اليها النور من منافذ صغيرة بأعلى الجدران . أما العمد التى مثل كل منها فى صورة حزمة من البردى فلا تزال باقية فى مكانها مزدحمة فى أرجاء ذلك البهو فلا يرى الإنسان من خلالها منظرا خارجيا إلا بصعوبة ، وخلف هذا البهو يدخل الإنسان فى الحجرات المقدسة العدة التى لفت



(١١) تخطيط معبد الأقصر (الجزء الذى بناه « أمنحتب الثالث »)

فى ظلام حالك ، وهى التى كان يحفظ فيها كل الأدوات الخاصة بالعبادة وما يتبعها من البخور والملابس الثمينة التى كانت مخصصة لهذا الإله العظيم .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن التصميم الأصلى كان يوضع دائما بطريقة تجعل البناء قابلا لإقامة إضافات جديدة عليه دون أن يمس جوهر المعبد الأصلى أو يشوه صورته ووحدته المتناسقة، وقدكانت هذه الفكرة السائدة فى بناء المعبد هو أن يبقى على مر الأيام وكر الدهور، كما كانت الفكرة فى بناء القبر، وذلك على عكس فكرة بناء القصر الملكى الذى لم يكن الغرض منه إلا عرض الحياة الدنيا . ولذلك كان يبنى المعبد سواء أكان للملك أو الإله لتسكن إليه روح المتوفى وليمثل ماكان عليه من قوة وعظمة ، وليبقى هو أبديا ما بقى أثره ، ومن أجل ذلك نجد الفرعون يقيم قاعات عمد ضخمة كأنها الغابات ذات الأشجار الباسقة والقاعات الشاسعة الأرجاء والتماثيل الضخمة التى تمثل الملك والإله أيضا، والمسلات التى تناطح السماء فى علوها وبهائها التى كان ينصبها عند مدخل معبده العظيم . ولكن بالموازنة نجد أن كل هذه الأشياء لا تقع تحت حس الإغريق ، ولذلك نجد المعابد اليونانية خالية منها . ومن جهة أخرى نرى أن المعبد المصرى أقيم بفكرة تمثل الشعور الدينى الذى نجده فى الكنائس الرومانية والقوطية ، ولذلك نجد أن الروح الذى نشاهده سائدا فى الشعائر المصرية بصورة غاية فى الاعتناء والدقة ، وهى التى يطلق فيها البخور فى ساحات المعبد ، يوجد نظائرها فى الكنائس الرومانية والقوطية ، كما نشاهد كذلك أن فى كليهما قد فصل « قدس الأقداس » ومايتبعه من أدوات عبادة عن أعين غير رجال الدين فى حجرات خاصة لا يسمح بدخولها ورؤية محتوياتها إلا لأولئك الذين يعرفون الأسرار الدينية من الكهنة .

وكذلك تتشابه الشعائر المصرية بالشعائر المسيحية فى أن حرق القرابين كان غريبا عن كل منهما ، وهذا يخالف ما نعرفه عن كثير من الديانات الأخرى التى كان من شعائرها حرق القربان ، فالقرابين المصرية التى كانت تشمل الخبز واللحم

والفاكهة والشراب والأزهار كانت تكدس على مائدة قربان . وتقدم للإله والمتوفى ليأخذ نصيبه منها بتأملها بعد قراءة صيغة الشعيرة الخاصة بها . وبعد ذلك كانت تؤخذ وتقسم بين كهنة المعبد والقائمين بخدمته . والواقع أننا نشاهد أحيانا قربانا يقدم للمتوفى يحرق على موقد خاص (راجع A. Z., 48 P. 69) .

بيت الولادة : غير أن شيوع هذه العادة لم يعم إلا فى العهود المتأخرة من التاريخ المصرى ، والظاهر أن ذلك قد جاء عن طريق تأثير أسيوى . وفى عهد الأسرة الثامنة عشرة نجد بجوار المعابد الكبيرة محاريب صغيرة أقيمت على مايظهر بفكرة أخرى مختلفة وهذه المحاريب هى التى كانت تسمى فى عهد الإغريق « ببيوت الودلاة » . وكانت تقام على قاعدة مرتفعة يصل إليها الإنسان بسلم يؤدى إلى داخل المحراب بواسطة بوابة محمولة على عمودين ، ويؤدى إلى الحجر الداخلية ممشى فى وسط عمد تحمل السقف يستطيع الإنسان من خلالها أن يرى ماهو خارج المحراب . وهذه المحاريب تشبه كثيرا المعابد الإغريقية فى مساحتها ، غير أنها لاتشمل إلا الحجرات الصغيرة التى يسكن فيها إله أو آلهة لبعضهم علاقة ببعض ، غير أن كل واحد منهم كان له شعائره الخاصة التى تختلف عن شعائر الآلهة الأخرين اختلافا بينا . ومن الجائز أن يرى الإنسان فى هذه المعابد الصغيرة صور المعابد المتواضعة التى أقيمت فى عهد الدولتين القديمة والوسطى ، ولسبب خاص أطلق عليها فى العهد الإغريقى « بيوت الولادة » وكانت فى العادة تقام أمام المعابد الكبيرة بمثابة جزء تابع لها ، وحتى فى عهد الدولة الحديثة نجد أن هذه المحاريب التى كان يسكن فيها الآلهة تختلف اختلافا بينا عن المعابد العظيمة التى كانت تقام فيها الشعائر .

هذه نظرة عاجلة عن المعابد المصرية من حيث بنائها وخصائصها ومحتوياتها والشعائر التى كانت تقام فيها ؛ والآن نعود إلى الكلام عن النمو الفكرى فى العقائد الدينية فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وبخاصة الحساب والعقاب فى عالم الآخرة ، وتأثير السحر على أفكار القوم ، وانتشار التعاويذ الواقية من نار الآخرة وعذابها وجمعها فى كتاب واحد وهو الذى أطلق عليه خطأ « كتاب الموتى » .

الحساب فى الآخرة

لقد تتبعنا ذلك التطوّر الطويل الذى مرّ فيه الاعتقاد بالمسئولية الخلقية فى الحياة الآخرة ، (أنظر الجزء الثالث ص ٤٥٧ الخ) وهو اعتقاد كما نذكر كان حاضرا فى أذهان بناة الأهرام ، غير أنه كان منحصرا فى ذاك الوقت فى مطالبة المتوفى بالمثول أمام إله الشمس بصفة كونه قاضيا للإجابة عن ذنب قد يكون اقترفه ضد إنسان آخر لا ليحاسب حسابا شاملا . وقد كان الاعتقاد القائم إذ ذاك أنه إذا لم يطلب الإنسان بتلك الطريقة ، كان من المحتمل ألا يتعرض فى الآخرة لأى حساب آخر . ولكن بعد عصر الأهرام ببضعة قرون — أى إلى وقت ظهور النصائح الموجهة إلى الملك «مريكارع» نجد أن ذلك الاعتقاد قد أخذ يحدّد ويعين بحالة أوضح مما كان عليه من قبل .

فإن ذلك الملك المسنّ الذى ألقى بتلك الكلمات الحكيمة إلى ابنه «مريكارع» كان متأثرا تأثرا عميقا بالحقيقة القائلة إنه يجب حتى على الملك نفسه أن يحاسب خلقيا فى عالم الآخرة عن حياته فى هذه الدنيا ؛ فنعيد إلى ذاكرتنا هنا نصيحته الهامة التى يقول فيها : "إنك تعلم أن محكمة القضاة الذين يحاسبون المخطئ ليسوا متسامحين فى ذلك اليوم الذى يحاسبون فيه الشرير وقت تنفيذ الحكم ... ... ولا تركنن إلى طول الأيام ، لأنهم ينظرون (يعنى القضاة) إلى مدى حياة الإنسان كأنها ساعة[1] واحدة ، والإنسان يعيش بعد الموت وأعماله تكوم بجانبه ، لأن الحياة الأخرى باقية ، ولا يهمل أمرها إلا الغبى . أما من يصل إليها دون أن يرتكب إثما فإنه سيبقى هناك إلها يسير بخطى واسعة مثل أرباب الخلود (يعنى الأموات البررة) " .

وإذا كان الإنسان يعدّ لنفسه قبرا فى الجبانة من جهة ، فإن « مريكارع » كان يذكره والده من جهة أخرى بأن يقيم قبرا لنفسه « بصفته إنسانا مستقيم الحال وبصفته إنسانا أقام العدل (يعنى ماعت) لأن ذلك هو الذى يركن القلب إليه ".

---

(١) وفى القرآن الكريم « ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » . راجع كذلك كتاب الأدب المصرى القديم جزء أوّل ص ١٩٤ .

« والفـــلاح الفصيح[(١)] » الذى لا صديق له كان يقول « لمدير البيت العظيم » عند مدافعته مطالبا إياه باستعمال العدالة : ” احذر إن الأبدية تقترب “ .

وقد رأينا فيما تقدّم أن « أمينى » أمير مقاطعة « بنى حسن » العظيم نقش على باب قبره سجـل أعماله الصادرة عن العـدالة الإجتماعية فيما يختص بمعاملته لرعيته إذ كان الغرض من نقش ذلك السجل أن يكون له خير زاد يتزوّد به للذهاب فى سـفره إلى عالم الآخرة . وقـد ملئت محاجر المرمر بجهة « حتنوب » (بيت الذهب) الواقعـة فى الصحراء الشرقية خلف تل العمارنة بالنقوش التى دوّنت فيها حياة أمراء ذلك العهد الإقطاعى الذين جاوروا تلك البقعة حيث ذكروا ما كانوا عليه من صفات الخير والعدالة التى لا تحصى ؛ فنجد كثيرا أن أولئك الرجال الذين عاشوا فى ذلك العهد الإقطاعى كانوا يذكرون فوق مقابرهم ما كانوا عليه من الأخلاق العادلة بزعمهم فيقول موظف من موظفى ذلك العصر اسمـه « سسنب » إنه أقام العدالة ولا يمقت إلا الباطل الذى لم يره .

على أن متون التوابيت تبين لنا بجلاء أن الشعور بنفع المسئولية الخلقية فى عالم الآخرة قد تعمق تعمقا عظيما فى نفوس القوم منذ عصر الأهرام إلى ذلك الزمن .

فنجد أن موازين العدالة التى كثيرا ما كان يذكرها ذلك « الفلاح الفصيح » عند استشهاده على « مدير البيت العظيم » قد صارت إذ ذاك تحتل مكانة عظيمة ممثـلة فى مسرحية حساب الآخرة حيث يقول أحد الأنام للتـوفى : ” إن أبواب السماء مفتوحة لجمالك . و إنك تصعـد ... ... وذنبك مغفور ، وظلمك قـد محى بأيدى أولئك الذين يزنون بالموازين فى يوم الحساب “ .

وكما كان ذلك « الفلاح الفصيح » يُسمى « مدير البيت العظيم » فى كثير من الأحيان « موازين العدل » ، كذلك كان فى مقدور المتوفى أن يكون متحليا بالأخلاق

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء أوّل ص ٥٤ — ٦٩

الفاضلة الحقة التى تشبه فى استقامتها كفتى الميزان اللتين لا تحيدان . ومن ثم نجد « متون التوابيت » تقول : " تأمل إن فلانا هذا (إشارة إلى المتوفى) هو موازين « رع » التى يوزن بها الصدق" (يعنى الحق). وهنا يتضح لنا لمن كانت موازين الصدق هذه، ومن هو ذلك القاضى الذى يشرف عليها، حيث نجده — كما كانت الحال قديما — أنه «إله الشمس» الذى كان قد حوكم أمامه نفس الإله « أوزير » ؛ ونجد فى مناسبة أخرى خاصة بمحاكمة المتوفى أمام « الإله رع » أن هـذه المحاكمة كانت تعقد بحجرة « سفينة الشمس » " .

وقد صار الزاد الخلق للإله العظيم — وقتئذ — من الأمور الطبعية ، ولذلك يقول المتوفى : " إنه كان يحب الحق، ويكره الباطل، وهو الذى تسير الآلهة فى سبل عدالته المحبوبة " .

وعندما دخل المتوفى فى تلك السبل الإلهيـة الحقة . كان المعنى المقصود من ذلك أنه ترك وراءه الرذائل الخلقية ، ولذلك يقول المتوفى أيضا : " إن خطيئتى قد أقصيت عنى ، ومحى إثمى ، ولقد نظفت نفسى فى تينك البحيرتين العظيمتين اللتين فى « أهناس » " .

وتلك الحمامات التطهيرية الرسميـة التى كثيرا ما نصادفها مذكورة فى « متون الأهرام » [1] قد صارت الآن تدل بوضوح على معنى خلق حيث يقول المتوفى محدثا عن نفسه : " إنى أسـير فوق الطريق التى أغسل فيهـا رأسى فى بحيرة الحق " . وكثيرا ما نجد المتوفى يدعى أن حياته كانت نقية إذ يقول :

" إنى إنسان أحب الحق وما كرهته هو الباطل " .

" إنى أقعد بريئا وأقوم بريئا " .

" لقد أقمت العدل ومحوت الباطل " .

---

(١) راجع : Sethe "Pyramiden Texte", I, 710 c – 713 a. Sethe Ibid, II, 1164 b – 1165 a; 1530 a – d; 1987 a – c.

ولقد ذكرنا أن القاضى الذى تقف أمامه الأرواح كلها كان فى الأصل «رع» ؛ ولكن « أوزير» كذلك قد أظهر نفسه من زمن مبكر فى موقف ذلك القاضى ؛ حيث نقرأ فى « متون التوابيت » عن المجلس العظيم (أو محكمة العدل) للإله « أوزير »، وكان ذلك منذ زمن بعيد يرجع إلى الأسرة التاسعة أو العاشرة (من القرن الرابع والعشرين إلى الثانى والعشرين قبل الميلاد) فى أيام حكم الملك «مريكا رع» ؛ ولا شك أن انتشار عبادة « أوزير» التى كانت آخذة فى الازدياد كان لها علاقة عظيمة بانتشار الاقتناع — الذى صار الآن عاما — بأن كل روح لا بدّ أن يعمل لذلك الحساب الخلق العسير الذى ينتظرها فى الآخرة كما تكلمنا عن ذلك فى الجزء الثالث، وقد صار من المعروف عادة منذ بداية الدولة الوسطى أن يضاف إلى اسم كل متوفى نعت « المبرأ » . وهذا النعت هو الذى ناله «أوزير» فيما مضى بصفته الخصم الظافر على أعدائه المبرأ أمام محكمة « إله الشمس » . وقد كان ذلك النعت — كما نعلمه من « متون الأهرام » — لا يضاف إلا إلى اسم الفرعون فقط . غير أنه صار بالتدريج امتيازا تمنحه كل روح . أو على الأقل صار من حق كل روح متسمة بالأخلاق الفاضلة .

وكذلك نجد أنه عندما نال « المذهب الأوزيرى » القبول عند البلاط الملكى كان الملك يوحد مع « أوزير المبرأ »، ولهذا صار « الكهنة » — فيما بعد — يضعون كلمة «أوزير» قبل اسم كل متوفى كما نجد ذلك مذكورا فى «متون الأهرام» حيث نجد أن الملك « ببى » كان يسمى « أوزير ببى » . والملك « تيتى » كان يسمى « أوزير تيتى » .

وقد كان من فوائد انتشار عبادة « أوزير» الآخذة فى الازدياد أن المنهج الذى كان يرمى إلى صبغ الحياة الأخروية الملكية الفاخرة بالصبغة « الديمقراطية » قد صار حينئذ يوحد كل متوف ذكرا كان أو أنثى بالإله « أوزير» .

وعلى ذلك لم يقتصر المتوفى على دخول « مملكة أوزير » — كما كانت الحال قد يما — ليتمتع بحمايته وعطفه، بل صار المتوفى نفسه — ذكرا كان أو أنثى — « أوزير » وعد ملكا .

ولذلك نجد — حتى فى مدافن الفقراء — أن المومية كانت تصوّر فى شكل مومية « أوزير » موضوعة فوق ظهرها . وكانت التعاويذ التى تمثل شارات الملك الفرعونى تلون على داخل جوانب التابوت . أو كانت توضع بهيئة تماثيل بجانب جثمان المتوفى ، وقد ظهرت قوّة عبادة « أوزير » بحالة تستلفت النظر فى العادة الجديدة . وهى إضافة اسم « أوزير » قبل اسم المتوفى .

ومع أنه كان من الجائز للتوفى أن يوحد مع إله الشمس — كما كان يحدث ذلك كثيرا — فإنه على الرغم من كل ذلك كان ينعت باسم « أوزير »، فى حين أن اسم إله الشمس « رع » لم يفعل به هكذا فلم يضف قط قبل اسم المتوفى .

وبظهور الدولة المصرية الحديثة بعد سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد نجد أن الأدلة التى تكشف لنا عن ذلك التطور الخلقى الطويل الأمد — الذى نقتفى أثره الآن — قد ازدادت فى كميتها وفى أهمية قيمتها ، وبخاصة حينما تبين لنا شعور المصرى القديم المتزايد بمسئوليته الشخصية عن نوع أخلاقه ، لأن مرحلة التفكير فى ذلك الانتشار الخلقى قد تقدّمت تقدّما محسا وذلك لأن المصرى القديم فى ذلك الوقت كان قد تبصر تبصرا عميقا فى طبيعة نفسه البشرية . وكان من فوائد ذلك التبصر أن صار المفكرون من المصريين — آنئذ — يقدّرون قيمة المسئولية الخلقية لكل إنسان على حسب حالة عقله نفسه .

وبمناسبة ما جاء ذكره هنا فى تلك الفكرة عن « العقل » نقول : " إنه ليس « للعقل » اسم فى اللغة المصرية القديمة غير كلمة « قلب » القديمة . وفى عصر الأهرام وجدنا أن «بتاح حتب» ذلك الوزير الحكيم المسنّ قد لمح عن «القلب» بأنه مركز المسئولية والإرشاد إذ قال فيما ذكرناه له سابقا : إن المستمع (يعنى

إلى النصيحة الطيبة) هو المرء الذى يحبه الإله . أما الذى لا يصغى فهو الذى يبغضه الإله . والقلب هو الذى يجعل صاحبه مصغيا أو غير مصغ ، وحظ الإنسان الحسن هو قلبه " .

كما نجد فى نصائح « بتاح حتب » أيضا أن قلب الرجل قد صار دليله — بل فى الواقع قد صار « ضميره » .

فالقلب الإنسانى كان فى عهد تلك الدولة الحديثة — على أية حال — يعبر عنه بأكثر من مستمع مجيب إلى النصيحة الطيبة بل صار يعبر عنه بأكثر من مرشد إلى حسن الحظ .

ومن المؤكد أن آراء « بتاح حتب » عن القلب ونعته له بالمرشد الحكيم قد استمرت ، إذ فى خلال القرن الخامس عشر ذكرلنا أحد حجاب بلاط الفاتح العظيم «تحتمس الثالث» المسمى « أنتف » خدماته التى أدّاها للملك حيث قال :

" وقلبي هو الذى حدا بى أن أفعلها ، بإرشاده لى وقد كان هو مرشدى الممتاز فلم أتخط مقاله ، وكنت أخشى أن أتعدى إرشاده ، وقد أفلحت بسببه كثيرا ، وقد كنت ممتازا بما حملنى أقوم به ، وكنت ماهرا بهديه ... ... وإنه وحى من الإله الذى فى جوف كل إنسان ، وإنه ناصح قد أرشد إلى الطريق الطيبة للفلاح ، تأمل ! هكذا كنت " . (راجع الجزء الرابع ص ٥٤١) .

ونجد أن أقارب « باحرى »[1] وهو أمير من أمراء « الكاب » قد خاطبوه بعد موته داعين له بقولهم : " ليتك تمضى حياتك إلى الأبد سعيدا فى حظوة الإله الذى يحل فيك " كما نجد ميتا آخر يعلن عن نفسه بقوله : " إن قلب الإنسان هو إلهه ، وكان قلبى مستريحا لأعمالى " .

فكل ذلك يدل على أن المصرى القديم قد صار حينئذ فى حالة من الحساسية والشعور لم يصل إليهما من قبل ، وذلك بفضل ما كان يوحى به إليه ذلك الوازع

---

(١) راجع الجزء الرابع ص ٢٧٨ .

الباطنى المنبعث من قلبه وهو الذى سمى — ببعد نظر مدهش — « إله المرء » . وذلك لأن القلب قد صار الآن ذا شعور أكثر اتزانا وأكثر سيطرة وسلطانا على الإنسان مما كان عليه فى عهد ذلك الوزير الحكيم « بتاح حتب » فإنه كان — إذ ذاك — يعلن استحسانه لما يكون عليه المرء من السلوك الحسن أو استياءه لما يكون عليه من السلوك السيء فقط .

ولما صار المصرى القديم يشعر بسلطان ذلك الوازع القلبى شعورا كاملا، فإنه أخذ — إذ ذاك — يلبس كلمة « القلب » معنى أدق وأوفى حتى صارت أوسع بكثير مما كانت عليه فى عصر الأهرام — حتى أنها بذلك صارت تزن — بحالة وافية — كلمتنا « الضمير » فنحن إذا قد صرنا الآن فى مركز يجعلنا نفهم تماما أهمية التحديد والدقة اللذين صوّر بهما لنا ذلك المصرى فكرته النامية الخاصة بحساب الآخرة فى الزمن الذى انبثق فيه بفجر تلك الدولة الحديثة . وتلك الآراء — التى نجد فيها تفصيلا أوسع مما كان لدينا عن الحساب فى يوم الميعاد — قد وصلتنا عن طريق « كتاب الموتى » .

وقد اجتمعت عندنا ثلاث روايات مختلفة عن الحساب فى الآخرة وقد عثر عليها فى أتم وأحسن اللفائف البردية التى وصلت إلينا للآن .

وكانت هذه الروايات فى الأصل مستقلا بعضها عن البعض الآخر من غير شك . وعنوان الرواية الأولى منها هكذا .

" فصل[1] فى دخول قاعة الصدق" (الحق)، وهى تحتوى على ما يقوله المتوفى عند الوصول إلى قاعة الصدق عندما يطهر فلان (يعنى المتوفى) من كل الذنوب التى اقترفها ثم يوجه نظره إلى وجه الإله ويقول : سلام عليك أيها الإله العظيم رب الصدق لقد أتيت إليك يا إلهى ولقد جىء بى إلى هنا حتى أرى جمالك . إنى

(١) راجع : Papyrus Nu. British Museum No. 10477. Sheet 22 - 24.
Budge, "Book of Dead", Text, Vol. II, P. 125 ff.

أعرف اسمك وأعرف أسماء الاثنين والأربعين إلها الذين معك فى قاعة الصدق هذه وهم الذين يقضون على الخاطئين و يلتهمون دماءهم فى ذلك اليوم الذى تمتحن الأخلاق فيه أمام « وننفو » (أوزير) انظر : ... لقد أتيت إليك .

وإنى[1] أحضر العدالة إليك ، وأقصى الخطيئة عنك .

إنى لم أرتكب ضدّ الناس أية خطيئة ... .

إنى — فى مكان الصدق (هذا) لم آت ذنبا .

وإنى لم أعرف أية خطيئة .

إنى لم أرتكب أى شىء خبيث ... .

وإنى لم أفعل ما يمقته الإله .

وإنى لم أبلغ ضدّ خادم شرا إلى سيده .

إنى لم أترك أحدا يتضوّر جوعا .

ولم أتسبب فى إبكاء أى إنسان .

إنى لم أرتكب القتل .

وإنى لم آمر بالقتل .

إنى لم أسبب تعسا لأى إنسان .

إنى لم أنقص طعاما فى المعاد .

ولم أنقص قربان الآلهة .

إنى لم أغتصب طعاما من قربان الموتى .

إنى لم أرتكب الزنا .

إنى لم أرتكب خطيئة تدنس نفسى فى داخل حدود بلدة الإله الطاهرة .

إنى لم أخسر مكيال الحبوب .

---

(١) راجع : Maystre, "Les Declarations d'Innocence" Cairo. (1937); Papyrus Ani, Sheet 31 & 32. Budge, "Book of the Dead", Text Vol. II, P. 127 ff.

إنى لم أنقص المقياس .

إنى لم أنقص مكيال الأرض .

إنى لم أثقل وزن الموازين .

إنى لم أحوّل لسان كفتى الميزان .

إنى لم أغتصب لبنا من فم طفل .

إنى لم أطرد الماشية من مرعاها .

إنى لم أنصب الشباك لطيور الآلهة .

إنى لم أتصيد السمك من بحيراتهم (أى الآلهة) .

إنى لم أمنع المياه عن أوقاتها .

إنى لم أضع سدا للمياه الجارية[1] .

إنى لم أطفئ النار فى وقتها (أى عند وقت نفعها) .

إنى لم أستول على قطعان هبات المعبد .

إنى لم أتدخل مع الإله فى دخله " .

والآن ننتقل إلى منظر آخر يمثل الحساب أيضا حيث نجد القاضى (أوزير) يساعد الاثنين والأربعين إلها الذين يجلسون معه لمحاسبة المتوفى والذين هم شياطين مخيفة يحمل كل منهم اسما بشعا مزعجا ويدعى المتوفى أنه يعرف أسماءهم ولذلك يخاطبهم واحدا واحدا باسمه وأسماؤهم هكذا :

خطوة واسعة — خرجت من «عين شمس» .

ومحتضن اللهيب الذى خرج من «طوة» .

وآكل الظل الذى خرج من الكهف .

وعينان من لهيب خرجتا من (لتوبوليس) بلدة أوسيم الحالية .

---

(١) راجع : Papyrus Nebseni, British Museum No. 9900. Sheet 30. Budge, Ibid. 104 ff. & Papyrus Nu. Budge, Ibid. 125, & Papyrus Iuau, Budge, Ibid. 106 ff, & Ani, Budge, Ibid. 172 ff.

وكاسر العظام الذى خرج من «أهناس» .

وآكل الدم الذى خرج من مكان الإعدام .

فكان المتوفى يذهب إلى تلك الأسماء وأمثالها من أسماء المخلوقات التى اخترعها خيال رجال الكهانة المصريين ويوجه لكل منها — بدوره — اعترافا ببراءته من خطيئة معينة .

وظاهر طبعا أن أولئك الاثنين والأربعين قاضيا ليسوا إلا أسماء مخترعة وهم يمثلون كما تقدّم ذكره سابقا الاثنين والأربعين مقاطعة أو المراكز الإدارية التى تتألف منها البلاد المصرية[1] .

ولا شك فى أن الكهنة ألفوا تلك المحكمة من اثنين وأربعين قاضيا قصد الإشراف على أخلاق المتوفى فى كل أنحاء البلاد . حيث يجد المتوفى أن نفسه تواجه على الأقل قاضيا من بين أولئك القضاة قد جاء من البلدة التى كانت موطنا له ويكون ذلك القاضى على علم بسيرة ذلك المتوفى المحلية وشهرته فى أقصى وأدنى الشارع الرئيسى فى بلدته ، وبذلك لم يكن فى إمكانه أن يخاتله ويغشه . وتشتمل هذه الاعترافات الاثنان والأربعون على كثير من نفس موضوع الإعلانات التى ذكرناها فى الخطاب السالف فقد وجد الكهنة الذين قاموا بنشر تلك الإعلانات بعض الصعوبة فى إيجاد الخطايا الكافية لملء قائمة مؤلفة من اثنتين وأربعين خطيئة . ولذلك نجد من بينها كلاما كثيرا معادا ، هذا عدا التكرار الذى ذكر مع تغيير طفيف فى بعض الألفاظ والجرائم التى كان يمكن عدّها من الجنايات وأعمال العنف التى يتبرأ منها بقوله :

إنى لم أقتل رجالا .

إنى لم أسرق .

---

(١) راجع تفصيل الكلام عن هذه المقاطعات فى كتاب "أقسام مصر الجغرافية" للؤلف .

إنى لم أتلصص .

إنى لم أسرق امرأ ينتحب على متاعه .

ولم تعظم ثروتى إلا من ملكى الخاص .

إنى لم أغتصب طعاما .

إنى لم أبعث الخوف .

إنى لم أذك الشجار .

هذا ونجد المتوفى كذلك ينكر الغش وغيره من الصفات المذمومة او يقول :

إنى لم أنطق كذبا .

إنى لم أضع الكذب مكان الصدق .

ولم أكن أتصام عن كلمات الصدق .

إنى لم أخسر مكيال الحبوب .

ولم أكن طماعا .

وقلبي لم يلتهم (يعنى لم يطمع) .

ولم يكن قلبي متسرعا .

إنى لم أضاعف الكلمات عند التحدّث .

ولم يكن صوتى عاليا فوق ما يجب .

ولسانى لم يتذبذب .

ولم تأخذنى حدّة الغضب (فى طبعى) .

إنى لم أسب .

ولم أكن متسمعا .

ولم أكن متكبرا (منفوخا) .

كما كان المتوفى أيضا بعيدا عن ارتكاب الرذائل الجنسية إذ يقول :

إنى لم أرتكب زنا مع امرأة .

إنى لم أرتكب ما يدنس عرضى .

وكذلك ينكر المتوفى أيضا مجاوزته للحدود الرسمية إذ يقول :

إنى لم أعب فى الذات الملكية .

إنى لم أسب الإله .

إنى لم أذبح الثور المقدّس .

إنى لم أسرق هبات المعبد .

إنى لم أنقص طعام المعبد .

إنى لم أرتكب شيئا تكرهه الآلهة .

وإنكار هـذه النقائص وغيرها ممـا لم يمكننا فهمه هو الذى يتألف منه ذلك الإعلان بالبراءة . ويسمى هذا الجزء المذكور من « كتاب الموتى » فى العادة باسم « الاعتراف » . ومن الصعب على الإنسان فى الواقع أن يبتدع اسما مخالفا لطبيعة بيان المتوفى الحقيق أكثر من تلك التسمية . إذ هى إعلان واضح عن براءة المتوفى فتكون — بطبيعة الحال — عكس ما يفهم من كلمة « اعتراف » هـذه . ولهذا السبب قـد صار فساد تلك التسمية من الأمور الظاهرة لدرجة أنه وصـل الأمر ببعض الناشرين لذلك الفصل أن أضافوا بعد كلمة « اعتراف » كلمة «إنكارى» وصاروا يسمونه «اعترافا انكاريا» مع أن تلك التسمية ليس لها معنى لأن المصرى القـديم لم يعترف بشىء فى وقت تلك المحاكمة . وهـذه الحقيقة فى غاية الأهميـة فى تطوّر المصرى الدينى القديم كما سيتضح فيما نذكره بعد .

والواقع أن إساءة فهم ذلك الجزء من « كتاب الموتى » بتسميته « اعترافا » معناه إساءة الفهم التام لذلك التطوّر الذى كان يسير بالمصرى القديم — إذ ذاك — على مهل نحو اعترافه التام بخطاياه وإظهاره المتواضع لها . وهو أمر لا يوجد أبدا فى أية ناحية من نواحى « كتاب الموتى » .

ثم بعد أن يذكر المتوفى براءة نفسه أمام هيئة المحكمة العظمى كلها يوجه خطابه إليهم بوثوق فيقول :

سلام عليكم يأيها الآلهة .

إنى أعرفكم وأعرف أسماءكم .

وإنى لن أسقط أمام أسلحتكم .

لا تبلغوا عنى شرا لذلك الإله الذى تتبعونه .

إن قضيتى لم تأت أمامكم .

قولوا عنى الصدق أمام (الرب المهيمن) .

لأنى أقمت الصدق (يعنى العدل) فى أرض مصر .

وإنى لم أسب الإله .

وإن قضيتى لم تأت أمام الملك الحاكم وقتئذ .

سلام عليكم أيها الآلهة الذين فى قاعة الصدق (هذه) .

والذين خلت أجسادهم من الخطيئة والكذب .

والذين يعيشون على الصدق فى « عين شمس...أمام حور » الساكن فى قرص « شمسه » (١) .

انظروا إنى آت إليكم بدون خطيئة وبدون شر وبدون ذنب .

إنى أعيش على الحق .

وآكل من عدالة قلبى .

ولقد فعلت ما تقوله الناس وما يرضى الآلهة .

ولقد أرضيت الإله بما يرغب فيه .

فأعطيت الجائع خبزا .

والصادى ماءً .

والعريان لباسا .

ومن لا قارب له رمثا .

---

(١) يجب أن نلاحظ هنا أن ذلك برهان آخر على أن المحكمة أصلها شمسى .

وصنعت قربانا مقدّسا للاله ، وقربانا من الطعام للموتى .
فنجونى أنتم ، وآحمونى أنتم .
ولا تقدّموا ضدّى شكاية للإله العظيم .
لأنى إنسان طاهر الفم وطاهر اليدين .
وإنى من قال له كل من رآه : مرحبا ، مرحبا .

وبتلك الكلمات تتحوّل ادعاءات المتوفى الدالة على خلقه العظيم إلى تأكيدات تدل على أنه قد راعى كل مستلزمات المذهب الأوزيرى الرسمية . وتلك يتألف منها أكثر من نصف ذلك الخطاب الختامى الموجه إلى آلهة المحكمة .

وأما الرواية الثالثة عن المحاكمة فهى — من غير شك — الرواية التى أثرت أعمق تأثير على نفس المصرى . فهى أشبه بتمثيلية « أوزير » فى «العرابة المدفونة» فى ظهورها أمامنا بصورة بارزة ، إذ ترسم لنا المحاسبة الأخروية — كما حدثت — بالموازين ، فنشاهد الإله « أوزير » فى بردية « آنى » الفاخرة المحلاة بالصور — جالسا فوق عرشه فى نهاية قاعة المحاكمة ، وخلفه كل من الإلهتين « إزيس » و « نفتيس » وقد اصطف على طول أحد جوانب القاعة الآلهة التسعة وهم المعروفون « بتاسوع عين شمس » يرأسهم « إله الشمس » وهم الذين ينطقون فيما بعد بالحكم ويدلون بذلك . على أن ذلك المنظر الثالث من المحاكمة كان فى بدايته شمسى الأصل ، وهو الذى احتل فيه « أوزير » الآن المكان الأوّل . فيشاهد فى وسط المنظر موازين « رع » وهى التى يزن بها الصدق ، مطابقا لما سبق ذكره بتسميتها بذلك الاسم فى العهد الإقطاعى . ولكن المحاكمة التى ظهرت فيها تلك الموازين — وقتئذ — صارت «أوزيرية» الصيغة حيث كانت الموازين فى يد الإله الجنازى « أنوبيس » الممثل برأس ابن آوى ويقف خلفه « تحوت » كاتب الآلهة ليشرف على الميزان ، وفى يده القلم والقرطاس حتى يسجل النتيجة ، وخلف « تحوت » يقبع حيوان بشع الهيئة يسمى « الملتهمة » له رأس التمساح

وصدر الأسـد ، ومؤخرة (فرس البحـر) ، ويكون متحفزا لالتهـام الروح إذا وجدت ظالمة — وقـد صوّر بجوار الميزان — بفكرة تدل على الدهاء — صـورة القرد تتبعه الآلهتان « رننوت » و « مسخنت » وهما آلهتا الولادة ، إذ يكونان على أهبة التأمل والتدبر للنظر فى مصير تلك الروح التى أشرفتا عليها حينما جاءت إلى هذا العالم قبل ذلك . وكان يجلس خلف الآلهة الذين كانوا متربعين فوق عروشهم إلها « الأمر والعقل » .

على أننا كثيرا ما نجـد — فى لفائف بردية أخرى فى ذلك الموضوع أن إلهـة العـدل « بنت رع » قائمة عند مدخل قاعة المحاكمـة ، ثم تدخل قاعة المحاسـبة الروح التى جاءت حديثا .

وفى ورقة « آنى » يدخل « آنى » وزوجه القاعة التى يقـرّر فيها مصـيرهما ورأساهما منحنيان بهيئة تدل على الخضـوع وينادى « أنوبيس » فى الحال قلب « آنى » والإشارة الهيروغليفية التى تدل على القلب — وهى التى تمثل هنا قلب « آنى » — تشبه شبها كبيرا إناء صغيرا .

وقد ظهرت — هذه الإشارة القلبية الممثلة بالإناء الصغير — موضوعة فى إحدى كفتى المـيزان ، كما ظهرت فى الكفة الأخرى ريشـة — وهى الرمز الهيروغليفى الدال على — الصدق — أو العدالة . أو الحق (يعنى ماعت) ويخاطب « آنى » قلبه فى اللحظة الحرجة إذ يقول :

” ياقلبى الذى أتيت من أمى !
ياقلبى الخاص بكيانى !
لا تقفن شاهدا علىّ
ولا تعارضنى فى المجلس (يعنى محكمة العدل)
ولا تكونن حربا علىّ أمام رب الموازين
ولا تدعن اسمى يصير منتن الرائحة فى المحكمة
ولا تقولن على زورا فى حضرة الإله “

وقـد ظهر أن لهذا الاستعطاف أثره لأن « تحوت » رسـول التاسوع العظيم الذى وجد أفراده فى حضرة الإله « أوزير » يقول على الفور :

" اسمع أنت هذه الكلمة بالحق :

إنى قـد حاسبت قلب « أوزير » « آنى »[1]

وإن روحه تقف شاهدة عليه

وأخلاقه قد وجدت مستقيمة على حسب الميزان العظيم

ولم يوجد له أى ذنب "

ثم يجيب الآلهة التسعة على الفور :

" ما أحسن ذلك الذى يخرج من فيك العادل "

ثم يشهد « أوزيرآنى » المبرأ من الذنوب : " إنه ليس له ذنب

وإنه لم يقترف شرا

ولن يكون (للتهمة) سلطان عليه .

وليؤمر بإعطائه الخبز الذى يوضع أمام (أوزير) والضـيعة التى فى حقـل القربان كما عمل لاتباع « حور » .

وبعد أن يحكم له بحكم مرض بتلك الكيفية يقود « حور » ابن « ازيس » « آنى » المحظوظ ، ويقدمه إلى « أوزير » حيث يقول له فى الوقت نفسه :

إنى آت إليك يا « وننفر » [أوزير] وإنى أحضر لك « أوزيرآنى »

إن قلبه الحق يخرج من الميزان ، وليست له خطيئة فى نظر أى إله أو إلهـة

ولقد حاسبه « تحوت » بالكتابة .

وقد شهدت له الآلهة التسعة شهادة عادلة جدا .

فليؤمر بإعطائه الخبز والجعة اللتين توضعان أمام « أوزير وننفر » مثل أتباع « حـور » .

---

(١) ترك الكاتب ذكر اسم « آنى » بعد « أوزير » سهوا

وبعد ذلك يضع « آني » يده في يد « حور » ويخاطب « أوزير » فيقول :

” تأمل إني أمامك يارب الغرب .

إن جسمي خال من الذنوب .

إني لم أنطق كذبا على علم مني .

وإذا كان ذلك قد فرط مني فإني لم أكرره ثانية .

دعني أكن مثل أصحاب الحظوة من أتباعك “ .

وعندئذ يركع أمام الإله العظيم ، وفي أثناء تقديمه مائدة القربان يصير مقبولا إذ يدخل في مملكة « أوزير »

فتلك البيانات الثلاثة عن الحساب في الآخرة على الرغم مما فيها من الحواشي والملحقات التي زخرفها بها الكهنة — ذات أثر فعال في النفوس حتى في نظر الباحث الحديث حينما ينعم النظر في تلك اللفائف البردية التي مضى عليها ٣٥٠٠ سنة تقريبا ، ويعلم أن تلك المناظر ليست إلا تصويرا محسا لنفس الشعور بالمسئولية الخلقية ، ولنفس إيحاء الوازع الباطني الذي لا نزال — نحن للآن — نطالب به أنفسنا . إذ نجد أن « آني » يتضرع لقلبه — الذي هو الكلمة المعبرة عنده عن « الضمير » بألا ينم عليه إذ نجد أن صدى صيحته تتردد في كل الآباد والدهور في كلمات مثل تلك التي قالها ريشارد [1] حيث قال :

” إن ضميري له ألف لسان مختلف

وكل لسان يأتي معه بقصة مختلفة

وكل قصة تقضي علي بأني شرير “

وقد أصغى المصري إلى نفس ذلك الإيحاء وخافه وحاول إخفاءه ؛ وإسكاته كما اجتهد في إسكات وحي القلب ، مع أنه إلى ذلك الوقت لم يعترف بذنوبه

(١) هو « رتشارد الثاني » ملك انجليزي ١٣٧٧ — ١٣٩٩ وهذا الاقتباس من رواية للشاعر شكسبير .

بل تشبث فى إلحاح ببراءته . ولقد كانت الخطوة الثانية فى ذلك التدرج السامى هى إظهاره — فى خضوع — شعوره بخطيئته إلى ربه . وقد وصل إلى تلك الخطوة فيما بعد ولكن حدث — إذ ذاك — أن تدخل عامل آخر فعاقه إعاقة شديدة عن تحرير « ضميره » تحريرا تاما . وليس هناك من شك فى أن هذه المحاكمة الأوزيرية التى صورت لنا بذلك الوضوح مضافا إليها ذلك التقدير العام لعبادة « أوزير » فى عهد الدولة الحديثة كان لها أثر عظيم فى نشر الاعتقاد بالمسئولية الخلقية فيما بعد الموت ، كما كان لها الأثر أيضا فى تعميم تداول تلك الآراء الخاصة بالقيم السامية للأخلاق الطاهرة النقية ، وذلك ما شاهدناه منتشرا بين علماء الأخلاق والفلاسفة الاجتماعيين الذين نشئوا فى البلاط الفرعونى منذ عدة قرون خلت فى العهد الإقطاعى . (راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء أول ص ٥٩) وبتلك الكيفية صار مذهب « أوزير » قوة عظيمة فى انتشار العدالة بين الناس ، وكان بابه مفتوحا على مصراعيه ليدخله جميع الناس ، ولكن على الرغم من ذلك فإنه كان من واجب الجميع أن يبرهنوا على أهليتهم لذلك الاعتقاد عند الإله « أوزير » من الناحية الخلقية .

تأثير السحر فى الأمور الدينية

على أن الكهنة لو تركوا الأمر على تلك الحال لكان حسنا مقبولا ، ولكن — لسوء الحظ — كان انتشار الاعتقاد فى نفع قوة السحر وتأثيرها فى الحياة الأخروية لا يزال مستمرا . إذ كان المعتقد أن كل النعم المادية يمكن الحصول عليها — من غير نزاع — باستعمال الرقية الملائمة للحصول على ذلك الأمر المرغوب فيه . كما كان فى الإمكان كذلك أن يعاد الى الإنسان بتأثير تلك العوامل السحرية كل شىء حتى العتاد العقلى ألا وهو « القلب » الذى معناه — فى اللغة المصرية القديمة — « الفهم » أو « العقل » (راجع الأدب المصرى القديم جزء ٢ ص ١٠ الخ) .

فقد رأينا — فيما سبق ذكره — كيف أن نفس تلك الرقية التى تمكنت بها تلك الأم الملوعة من منع طفلها أن يأخذه ذلك الشيطان[١] الرجيم — كان فى الإمكان — كذلك استعمالها لمنع أخذ قلب الإنسان منه (يعنى سلب عقله منه) . وقد وضعت الكهنة[٢] فى « متون التوابيت » فى عصر العهد الإقطاعى — رقية لذلك الغرض عنوانها :

« فصل فى عدم السماح بأخذ قلب الرجل منه فى العالم السفلى » وقد أضيفت — الآن — هذه الرقية الى « كتاب الموتى » .

وفى هذا الكتاب نجد أن السحر قد أدخل إلى عالم جديد آخر وهو عالم «الضمير» والصفات الشخصية والأخلاقية .

وقد سوّغت للكهنة أبواب الكسب والارتزاق — التى كانت لا تقف حيلتهم فيها عند حد — أن يتخذوا لهم فى ذلك الزمن خطة خطيرة للاحتيال على الكسب، ألا وهى السماح لمثل تلك العوامل المنحطة أن تتدخل بتلك الكيفية فى القيم الخلقية، إذ كان فى مقدور السحر أن يصير عاملا للوصول إلى الغايات الخلقية، وسنذكر فيما يأتى أن « كتاب الموتى » هو — بوجه خاص — كتاب للرقى والتمائم السحرية وإنه حتى الجزء الخاص منه بحساب الآخرة لم يستمر طويلا خاليا من ذلك ، حيث نجد أن تلك الكلمات المؤثرة التى وجهها « آنى » إلى قلبه عند ما كان يوزن بالموازين الأخروية وهى قوله له : ” يا قلبى لا تقم شاهدا على “ — كانت تدوّن — إذ ذاك — على صورة « جعل مقدس » مصنوع من الحجر (وهو الجعران) ثم توضع فوق قلب الميت حتى تكون بمثابة أمر له نفوذ سحرى فعال يمنع القلب إفشاء أخلاق المتوفى (الذميمة) .

---

(١) راجع مصر القديمة جزء ٣ ص ٥٢١

(٢) راجع : Papyrus of Nu, Sheet 5. Budge, "Book of the Dead" Text Vol. I, P. 128 - 129.

وقد صارت ألفاظ تلك الرقية الجعلية (الجعرانية) فصلا مستقلا من فصول « كتاب الموتى » عنوانه :

« فصل لمنع قلب الرجل من معارضته[1] له فى العالم السفلى » .

وكانت مناظر المحاكمة فى الآخرة ومتن إعلان البراءة تكتب مرارا على صفحات البردى إذ يقوم بتدوينها الكهنة ثم تباع لكل الناس ، ولا يكتب اسم الميت فى هذه النسخ و إنما كان يترك لكتابته مكان يملؤه المشترى بعد حصوله على تلك الوثيقة .

وكانت كلمات الحكم التى تعلن أن المتوفى قد فاز فى المحاكمة ، و برىء من كل شر نسب إليه — تدون فى كل صحيفة من تلك الصحف . وعلى ذلك كان فى إمكان كل إنسان — مهما كانت أخلاقه ذميمة فى الحياة الدنيا — أن يستولى من « كتاب الموتى » — على شهادة يعلن فيها أن صاحب هذا الاسم — الذى ترك مكانه أبيض — كان رجلا عادلا (يعنى أن هذا كان يفعل من قبل أن يعرف من سيكون صاحب هذا « البياض ») .

وقد كان فى مقدور ذلك الميت أن يحصل على صيغة سحرية شديدة القوة والتأثير لدرجة تجعل « إله الشمس » الذى يعتبر القوة الحقيقية الكامنة وراء تلك المحاكمة يسقط من سماواته فى « النيل » إذا لم يخرج ذلك الميت برىء الساحة — تماما — من محاكمته .

و بتلك الكيفية نجد أن أقدم انتشار للأخلاق الفاضلة كان يمكننا تتبعه فى حياة الإنسان القديم ، قد توقف بجأة أو على الأقل قد صدم صدمة عنيفة بتلك الحيل الممقوتة التى كان يستعملها أولئك الكهنة الفاسقون جريا وراء الكسب . ولسنا فى حاجة إلى بيان ما أدى إليه تدخل السحر فى ذلك الشأن الخطير من الاعتقادات الدينية وما آلت إليه الحال من الارتباك فى الفوارق التى انطوت على ذلك التطبيق

(١) راجع الفصل الثلاثين من كتاب الموتى .

الأخير للسحر . وذلك الارتباك كان ناتجا من خيبة الإنسان قديما فى فهم الفرق بين « ما يدخل فى نفس الإنسان » وبين « ما يخرج منها » .

فتلك البراءة التى تطبق على الإنسان تطبيقا آليا بالعوامل الخارجية لتنجيه من العقوبات التى مصدرها من الخارج ، لا يمكن — بطبيعة الحال — أن تزيل الأضرار التى حدثت فى باطن الإنسان ، فالإيحاء الباطنى الذى كان يحسه المصريون الأقدمون أكثر من أية أمة أخرى فى الشرق القديم ، وهو الإيحاء الذى كانت ترتكز عليه أيضا كل فكرة عن الحساب الخلقى العسير فى عالم الآخرة — لا يمكن أبدا أن يكتفى بمثل تلك الطرق الخارجية التى ابتدعها لهم السحر ، ولا بدّ أن الاعتقاد العام الذى جرت به العادة فى الاعتماد على مثل تلك الحيل الدنيئة للفرار من المسئولية الخلقية عن حياة مرذولة — كان قد سمم حياة الشعب الفطرية .

ففى الوقت الذى يكشف فيه لنا « كتاب الموتى » صيغة المحاكمة الخلقية فى عالم الآخرة وكيفيتها — وعن الحقيقة التى ألبسها لتصوير المسئولية الخلقية بصورة تامة أكثر من أى زمن آخر سابق فى تاريخ المصريين القدماء — فإنه كذلك يعتبر كشفا عن مدى الانحطاط الخلقى فى ذلك الوقت . إذ بقدر ما صار « كتاب الموتى » سلاحا لضمان البراءة الخلقية فى عالم الآخرة بدون مراعاة لقيمة أخلاق ذلك الشخص صار قوة إيجابية لجلب الشر أيضا .

ونتاج الكهانة هذا (أى كتاب الموتى) كان — فضلا عما سبق ذكره عنه — يعدّ عاملا ضارا . لأنه كان ينتظم طائفة من الرقى والتعاويذ السحرية التى يعتقد فيها القوم القدرة على جلب ما يرضى الميت من الحاجات المادية والجثمانية فى عالم الآخرة . وقد زاد عدد تلك الرقى فى عهد الدولة الحديثة ، وكان لكل واحدة منها عنوانها الدال على ما تؤدّيه للميت من الأعمال . ولذلك فإن الرقى السالفة الذكر مضافا إليها بعض الأناشيد الدينية فى مديح « رع » و « أوزير » وهى التى كان بعضها ينشد أمام الجنائز ، ويحتوى عادة على بعض البيانات عن الحساب فى الآخرة

كانت — إذ ذاك — تدوّن بصفتها متونا جنازية على صحف من البردى توضع مع الميت فى قبره. وهذه الأوراق البردية هى التى صارت تعرف — عندنا عادة — باسم « كتاب الموتى » .

كتاب الموتى

والواقع أنه لم يكن موجودا — فى عهد الدولة الحديثة — كتاب كهذا يعرف بذلك الاسم — بل كانت كل لفافة بردى تحتوى على مجموعة — أيا كان نوعها من تلك المتون الجنازية على حسب ما يقع تحت يد الكاتب . أو مجموعة من تلك المتون التى كانت سوقها رائجة وقتئذ — أى تلك المتون التى كانت تلاقى من الناس أعظم إقبال ، حيث كانت توجد لفائف نخمة ذات بهاء يبلغ طول الواحدة منها من ٦٠ إلى ٨٠ قدما ، وتشتمل على فصول أو رقى يتراوح عددها من ٧٥ لغاية ١٢٥ أو ١٣٠ ، ولكن كان الكهنة من جهة أخرى يسحون لفائف صغيرة متواضعة لا يزيد طول الواحد منها عن بضعة أقدام ، ولا تحوى إلا على منتخب صغير من تلك الفصول التى تعد أكثر أهمية من غيرها . والواقع أنه لم يعثر على أكثر من لفافتين تحتوى كل منهما على نفس مجموعة التعاويذ التى تشتمل عليها الأخرى .

وقد بقيت الحال كذلك إلى عهد البطالمة (أى بعد القرن الرابع قبل الميلاد بقليل) حينما جمع منتخب من تلك الفصول وأدخل استعماله تدريجيا . ثم صار تقريبا فى حكم المتفق على صحة اتباعه . ومن ذلك يتضح — كما ذكرناه فيما سبق — أنه لم يكن هناك كتاب يعرف باسم « كتاب الموتى » بصحيح العبارة فى عهد الدولة الحديثة بل كانت توجد مجاميع متنوعة من الفصول الجنازية فقط تملأ الأوراق البردية الجنازية التى وجدت فى ذلك العصر .

وقد بلغ مجموع تلك الفصول أو التعاويذ التى كانت تؤلف منها تلك اللفائف ما يربى على مائتين، وأكبر لفافة منها كانت لا تحتوى على تلك الفصول وقد كان استقلال كل فصل — أو بعبارة أخرى — تمييز كل فصل عن غيره من باقى الفصول

واضحا فى ذلك العهد. وذلك بفضل اتباع العادة التى جرت بوضع عنوان لكل فصل قبله . وقد كانت تلك العادة متبعة فى كثير من فصول «متون التوابيت» وتوجد هناك مجاميع من الفصول التى تتألف منها أكبر نواة متداولة لكتاب الموتى وتسمى تلك الفصول غالبا : « فصول للصعود فى النهار » وهى تسمية وجدناها مستعملة فى « متون التوابيت » أيضا .

وعلى الرغم من كل ذلك لم يكن هناك عنوان شائع عن لفافة كاملة للكتاب « الموتى » باعتباره وحدة شاملة .

وعلى الرغم من أن بعض القطع الضئيلة من « متون الأهرام » قد استمرت طويلا مستعملة فى « كتاب الموتى » فإنه يمكننا أن نقول إن تلك المتون قد اختفت على وجه عام تقريبا .

وأما « متون التوابيت » فقد ظهرت ثانية بمقدار عظيم جدا وأسهمت إسهاما كبيرا فى تكوين المجاميع المتنوعة التى يتألف منها الآن « كتاب الموتى » .

وقد حدث تجديد فى هذه المتون — فى ذلك الزمن — لم نر منه إلا إشارات فقط فى « متون التوابيت » ، وكان ذلك التجديد هو إضافة صور فاخرة[1] فى لفائف الموتى التى عثر عليها فى مخلفات الدولة الحديثة، وكان الغرض منها تصوير مدة حياة المتوفى فى عالم الآخرة . وقد كان القوم يعتقدون فى تأثير مفعولها اعتقادا عظيما وبخاصة — كما شوهد ذلك موضحا — فيما سبق ذكره عن منظر المحاكمة فى الآخرة الذى صار — إذ ذاك — مصورا بهيئة متقنة .

ويمكن القول عن تلك الإيضاحات التى جاءت فى « كتاب الموتى » بأنها ما كانت إلا مثلا أخرى لأحكام تلك الطرق السحرية التى كان يقصد منها تحسين

(١) راجع مثلا ورقة «آنى» السالفة الذكر فإنها تعد من أحسن البرديات التى عثر عليها حتى الآن زينت بالألوان الجميلة المختلفة .

أحوال الحياة الأخروية . والواقع أن « كتاب الموتى » — نفسه — على وجه عام، ليس إلا صورة تفسيرية معقدة بعيـدة المرمى لإظهار مدى اعتماد القوم المتزايد على السحر فى الحياة الآخرة .

وكانت الفوائد المـادية التى اجتنيت بتلك الطريقة لا حدّ لها ، ومن الواضح أن ذكاء أولئك الكهنة المرتزقة قد لعب دورا عظيما فى التدرج الذى جاء بعد ذلك . إذ قـد صارت رؤية الآخرة فى نظر أشراف الدولة المترفين كما كان يراها الفـلاح المصرى القديم ، ليست بالمستقبل الجذاب، وهى التى كان يمكن المتوفى أن يحرث فيها كما كان يمكنه أن يزرع و يحصد الثمار من حقله . وكما كانت الحبوب أيضا هى الأخرى تنمو إلى ارتفاع سبعة أذرع (حوالى ١٢ قدما) . فلم يكن يروق فى نظر أولئك العظماء المنعمين فى عصر يزخر بالثراء والترف — أن يكلفوا القيام بعمل ما ، أو أن يجبروا على الذهاب حتى إلى « حقول المنعمين » ليكدوا و ينصبوا هناك . ولذلك كانت توجد منذ الدولة الوسطى دمى مصنوعة من الخشب تمثل خدم الميت فى الحياة الآخرة حيث كانت توضع معه فى القبر لتقوم بدلا منه بأداء مايلزمه القيام به من العمل بعد الموت ، كما كان يقوم له بذلك خدمه فى الحياة الدنيا .

وقد تدرجت تلك الفكرة — إذ ذاك — بعض الشىء فى سبيل الرقى والتقدّم حيث كانت تصنع تماثيل صغيرة للمتوفى تحمـل كل منها حقيبة وفأسا و يطلق عليهـا التماثيل المجيبة، وكان يدوّن على صدور مثل تلك التماثيل رقية خادعة وهى :

" يأيتها[1] الدمى المتخذة لفلان (هنا يكتب اسم المتوفى) إذا نوديت أو إذا طلبت اليوم للقيام بأى عمل فى العالم السفلى ... ... فإنك تعدّين نفسك لى فى كل الأزمان لتزرعى الحقول ، ولتروى الشواطئ ، ولتنقلى الرمل من الشرق إلى الغرب ، ولتقولى : إننى ههنا[2]" .

(١) كتاب الموتى الفصل السادس (راجع Budge, "Book of the Dead", Text. I, P. 29 f.) .

(٢) إن الكلمة التى تعبر عن هذه الدمى تكتب عادة « يوشابتى » أو « شوابتى » .

وهذه الرقية كانت ضمن الرقى التى كانت مدوّنة فى بردى المتوفى تحت عنوان : « فصل فى جعل الدمية تقوم بعمل المرء فى العالم السفلى » ؛ وهذه الطريقة الحاذقة قد أتقنت إتقانا كثيرا حتى أنه قد خصص لكل يوم من أيام السنة دمية من تلك الدمى الصغيرة الخاصة بالميت التى توضع معه فى قبره .

وقد عثر على تلك الدمى بمقادير عظيمة فى الجبانات المصرية القديمة حتى أن المتاحف (والمجاميع الخاصة) فى كل العالم قد صارت الآن آهلة بها .

ولا غرابة إذن إذا كان كهنة ذلك العصر وكتبته قد انتهزوا تلك الفرصة السانحة لابتزاز أموال الناس بالباطل حبا فى الكسب الذى كان يأتى إليهم بتلك الطريقة السهلة . ولذلك تضاعفت أخطار الآخرة وأهوالها إذ ذاك تضاعفا عظيما، إلا أن الكهنة كان فى مقدورهم إنقاذ المتوفى لدى كل موقف حرج بالتعاويذ الفعالة التى تنجيه من الخطر حتما . هذا بخلاف تعاويذ عديدة تساعد المتوفى على الوصول إلى عالم الآخرة ، كما كانت توجد أيضا تعاويذ تمنع فقدان المتوفى فمه ورأسه وقلبه . وأخرى لتساعده على استذكار اسمه ، وكما كان منها ما يساعد على التنفس والأكل والشرب . ومنها ما يمنعه أكله لبرازه ، ومنها ما يمنع الماء الذى يشربه أن يتحوّل إلى لهيب . ومنها ما يحوّل الظلام نورا .

كما كان من التعاويذ ما يحجب عن الميت كل الثعابين والوحوش المؤذية ، وكما كانت توجد أصناف كثيرة أخرى غير تلك من التعاويذ، فكذلك ازداد الآن موضع التقمصات التى كان يرغب الميت فى أن يتقمصها روحه ، وقد وضع فصل صغير لكل حالة يرغبها الميت ليساعده على أن يتقمص فى صورة «صقر من الذهب» أو « صقر إلهى » أو زنبقة أو مالك الحزين (فنكس) أو بجعة أو الثعبان المسمى ابن الأرض أو تمساح أو إله .

والأدهى من كل ذلك هو اختراع فصل قوى المفعول يمكن الإنسان باستعماله له من أن يتخذ لنفسه أى شكل يريد .

و يتألف من مثل ذلك الانتاج الذى تقدّم ذكره الجزء الأعظم من مجموعة المتون التى نسميها الآن « كتاب الموتى » . فإذا سميناه إذا بعد ذلك « إنجيل المصريين » كنا قد أسأنا فهم وظيفة هذه اللفائف ومحتوياتها .

وذلك الاتجاه الذى نتجت عنه تلك المجموعة من التعاويذ أو الرقى ، وهى التى يطلق عليها عادة اسم : « فصول » — نجده ظاهرا بشكل مميز كذلك فى كتابين آخرين ، يكون كل منهما وحدة متماسكة متصلة . وأولها « كتاب الطريقين »(١) ويرجع عهده — كما تقدّم ذكره — إلى عصر الدولة الوسطى(٢) وقد أسهم ذلك الكتاب من قبل إسهاما عظيما فى تأليف « كتاب الموتى » فيما يختص بالبوابات النارية التى كان يمر بها المتوفى حتى يصل إلى عالم الآخرة ، و إلى الطريقين اللذين كان يسير فيهما فى سياحته .

وعلى أساس تلك التصورات أنتج خيال الكهنة أيضا كتاب « الذين فى العالم السفلى أو ما فى العالم السفلى » . وهذا الكتاب يصف لنا السياحة التى تقوم بها الشمس السفلية خلال الليل حينما تخترق الممرات ذات الكهوف الإثنى عشر التى فى أسفل الأرض وكل منها تمثل مسيرة ساعة . والإثنا عشر كهفا تنتهى الشمس منها فى آخر مطافها إلى النقطة التى تطلع منها إلى الشرق صباحا . (راجع مصر القديمة جزء ٣ ص ٥٨٨) ؛ (Budge. Ibid. Vol. II,) وأما الكتاب الثانى فيسمى عادة باسم « كتاب البوابات » وهو يمثل كلا من الاثنى عشر كهفا على حسب الدخول إلى كل كهف من بوابته وهو خاص باجتياز تلك البوابات ، ومع أن تلك التصانيف لم تنتشر الانتشار الذى حظى به « كتاب الموتى » فإنها كانت تعد — مع ذلك — كتب إرشاد سحرية ألفها الكهنة أيضا للكسب منها ، مثل معظم الفصول التى يتألف منها « كتاب الموتى » .

(١) راجع : "Le Livre de ce Qu' il y a dans l'Hadés", Gustave Jequier (1894) & Budge, "The Egyptian Heaven and Hell", Vol. I.

(٢) راجع الجزء الثالث ص ٥١٩ عن هذه الكتب .

والأمر الذى خلص « كتاب الموتى » من وصمة أنه كتاب سحرى يستعمل خاصة فى عالم الآخرة وكفى — هو إحكامه للاراء القديمة الخاصة بالمحاكمة الخلقية فى عالم الآخرة ، وتقديره الظاهرى لمسئولية « الضمير » ، إذ قد ذكرنا فيا تقدم أن علاقة الانسان بالإله كانت قد صارت شيئا آخر أكثر من إقامته للشعائر الدينية الظاهرة ، وكان يرجع ذلك إلى ماقبل مجيء العهد الاقطاعى فى الحكومات المصرية القديمة — حيث صارت — آنئذ — علاقة الإنسان بالإله — علاوة على ماذكر — أمرا يتعلق بالقلب والأخلاق .

ولقد كان الشعور الخلق عند المصرى قويا جدًا لدرجة أنه لم يجعل قيمة الحياة الفاضلة قاصرة على قبوله عند « أوزير » فى عالم الآخرة . ومن ذلك يتضح لنا تحديد الأخلاق الأوزيرية التى تأمر الانسان بالتفكير فى العواقب الخلقية فقط فى عالم الآخرة . ومع كل فإن « أوزير » كان إله الموتى كما ذكرنا ذلك كثيرا فيما تقدّم ، وقد نادى فلاسفة الاجتماع الأقدمون — فى العهد الاقطاعى — بعدالة « رع » إله الشمس ، وطالبوا بإرجاع العدالة الاجتماعية إلى ذلك العالم كما طالب « رع » بإرجاعها .

ولم يعدم أولئك الفلاسفة — أخلافا لهم فى عهد الدولة الحديثة — وهؤلاء الأخلاف رجال رأوا أن عليهم فى المذهب الشمسى واجبا يحتم أن يحيوا حياة حقة فى تلك الدنيا ، كما أدركوا أنهم ينالهم الثواب الدنيوى إذا عاشوا عيشة طيبة بتلك الكيفية . فإله الشمس لم يكن — بوجه خاص إله الموتى ، بل كان الإله الذى يحكم فى شئون البشر الدنيوية — وقد شعر الناس بالمسئولية الخلقية التى فرضها عليهم « رع » فى كل ساعة خلال حياتهم الدنيوية . فحوالى سنة ١٤٠٠ ق . م . وجه أحد مهندسى الملك « أمنحتب الثالث » أنشودة مدح فيها إله الشمس حيث قال :

”لقد كنت قائدا مغوارا بين آثارك ، مقيما العدل لقلبك ، و إنى أعلم أنك مستريح للعدالة ، و إنك تجعل من يقيمها على الأرض عظيما ، ولقد أقمتها ، ولذلك جعلتنى عظيما“ .

وكذلك حينما كان الفرعون يعقد يمينا فإنه كان يحلف بحب « رع » لى ، و بمقدار عطف والدى « آمون » على (وقد وحد « آمون » مع « رع » منذ زمن بعيد) .

وكان الفاتح العظيم « تحتمس الثالث » عندما كان يقسم بذلك القسم توكيدا لما يقوله وتعظيما لاحترامه للصدق عند الإله يشير عند حلفه إلى وجود إله الشمس هكذا :

« لأنه يعرف السماء و يعرف الأرض و يرى جميع العالم فى كل ساعة » .

ومع أنه صار من الأمور المسلم بها أن عالم الآخرة السفلى فى المذهب الأوزيرى كان يصوّر لنا إله الشمس وهو ينتقل من كهف إلى كهف تحت الأرض مارّا فى عالم « أوزير » السفلى وجالبا معه النور والفرح إلى الساكنين هناك — فإن تلك الفكرة لم تكن معروفة فى « اللاهوت الشمسى » كما هو مذكور فى «متون الأهرام» .

والواقع أن إله الشمس — كما ظهر فى عهد تلك الدولة الحديثة — كان يعتبر قبل كل شىء إله عالم الأحياء من البشر الذين كان حاضرا معهم نشطا فى شئونهم الدنيوية على الدوام . ولذا كان الناس يشعرون بمسئوليتهم أمامه فى كل وقت . وكانت سيطرته تلك قد تعمقت ، واتسع أمامها المجال باتساع أفق ذلك العهد الامبراطورى إلى أن انبثق لأوّل مرة فى تاريخ العالم الدينى لأعين سكان وادى النيل القدامى بخر رؤية إله عالمى واحد فرد صمد . وسنفصل القول فيه فى حينه .

مبادئ انحلال الامبراطورية وعهد أخناتون

مقـــدمة : فى ختام القرن الخامس عشر قبـل الميلاد وصلت مصر إلى قمـة المجد، فاتسعت رقعتها، وامتد نفوذها من أعالى دجلة والفرات شمالا إلى « نباتا » عند الشلال الرابع جنوبا، وصارت مهيبة الجانب نافذة الكلمة، يذعن لقوتها و بطشها أرباب التيجان وأصحاب الدول، ويسعى كل عاهل فى الشرق إلى أن يخطب ودها و يفوز برضاها ، وكان أهلها فى رغد من العيش ، ينعمون بحياة ناعمة ، ويتمتعون بخير كثير جاءهم من تلك الممتلكات المترامية الأطراف ، التى تتبع بلادهم، وتفيض من خيرها عليهم .

من أجل ذلك انصرف حمـلة الأقلام إلى الإنتاج من الأدب الرفيع ، وافتن الصناع ومهروا بفضل ما أمدتهم به مستعمرات مصر من خير ورجال، وانكب علية القوم على مناهل اللذة يكرعون من وردها ما شاء لهم الفراغ وطيب العيش .

فليس من الغريب إذا أن نرى مليك البلاد فى هذه الفترة « أمنحتب الثالث » الذى تسنم عرشها حوالى سنة ١٤٠٥ ق . م يغترف من فيض اللذة والنعيم ما سمح له به الثراء الواسع والجاه العريض، ولم يشأ هذا العاهل العظيم أن يترسم خطا آبائه وأجداده أباطرة مصر الذين دوخوا العالم، ورأوا مجدهم فى الغزو وامتشاق الحسام، بل آثر حياة الدعة والمتعة ، يقضى يومه فى الصيد وليـله بين الغوانى ، فما أشبهه بامرئ القيس الملك الضليل فى الفترة الأولى من حياته .

رمى « أمنحتب » بنفسه بين أحضان النساء فى غير قصد أو اعتدال ، وكلما ازداد انغماسا فى تيارهن اشتد ولهه بهن، وازدادت لهفته عليهن، و إذا زهد فى الزوجة طلب الخليلة، و إذا أشبع رغبته من المصريات وجد بغيته بين أحضان الأجنبيات . فلقد حدثتنا الكشوف الأثرية أن هذا العاهل الجبار قد تزوج بأخت ملك « متنى » فى شمال « سوريا » المسماة « جلوخيبا » ثم ثنى بأخته الأخرى «تاتوخيبا» واستقدم مع الأولى ثلثمائة وسبع عشرة غادة من حسان « نهرينا » الأماليد ، وكان هذا حدثا

سعيدا فى تاريخ حياته ، خلده « أمنحتب » بنقش جُعل تذكارى رصده فى عدة نسخ زهوا ومباهاة ، وتحدثا بنعمة الله .

وجاء فى خطاب كشف حديثا فى « تل العمارنة » أرسله هذا الملك مع رسوله « خانيا » إلى أمير «جيزر» «ميلكيلى»[١] يطلب إليه أن يرسل إلى مصر أربعين من العذارى يتخيرهن من حسان قومه وأجملهن قواما ، وأن يكنّ صبيحات الوجوه ، وليس فى إحداهنّ ما يشين جمالها ، أو يزرى بمحاسنها ، وجاء فى هـذا الخطاب ما يدل على شدّة شغف الفرعون بالجمال وولعه بالنساء ، إذ قال لهـذا الأمير : "وسأتخذ من هـذه الهدية مقياسا لحسن ذوقك وخبرتك" وحسبك بهذه الكلمة تصدر من عاهل عظيم لأمير تابع له حتى يذرع أقطار بلاده جاهدا منقبا عن رغيبة مولاه ، لأنه بذلك يرتفع قدره لديه ، ويصير أثيرا عنده مقربا إليه .

ولم يقصر « أمنحتب » " هذا فى طلب النساء من آفاق امبراطوريته الواسعة ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فقد طلب من أحد أمراء «سوريا» المسمى « شوباندو » عشرين[٢] عذراء كما طلب من أمير «أورشليم» « عبدى خيبا » أن[٣] يرسل إليه إحدى وعشرين فتاة من أبكار بلاده ، يتمتع بهنّ فى قصره الفرعونى ، وأن يسلم هذه الهدية النفيسة إلى عامله الأمين « شوتا » حتى تصل إليه كما برأها خالقها لم يمسسها بشر .

وجاء فى خطاب آخر من وثائق « تل العمارنة » أن هذا الفرعون بعينه قد طلب من حاكم إحدى الولايات الأسيوية أن يرسل إليه ابنته لأنه معجب بها ، كما تدلنا وثائق أخرى وصلتنا عن هذا العصر أن هـذا المليك كان يحتفظ فى قصره بأميرة بابلية يحبها .

---

(١) وقد أرسل له الفرعون فى مقابل ذلك ذهبا وفضة وملابس وحجر الدم وكل أنواع الأحجار الكريمة المختلفة وكراسى من الأبنوس وكل شىء طريف (راجع Mercer, "The Tell el Amarna Tablets", Vol. I, (No. 31 a) P. 187.

(٢) راجـع : Mercer, "The Tell el Amarna Tablets", Vol. II, (No. 301), 15 ff.

(٣) راجع : Ibid, (No. 288) 1. 20.

فليت شعرى أى شره هذا ! ! وليس بالكثير على رجل هــذه متعه المحببة أن تقاس أقدار الرجال عنده بمــا يقدّمون إليــه من غوانٍ تملأ العــين والقلب فهذا « توشرتا » ملك « متنى » يهدى إليه[١] ثلاثين حظية من البيض الرعابيب ، كما أن علامة رضاه على العلية والأشراف من رعاياه ، أن يهبهم مما أفاءالله عليه من سبايا الحرب مايستهوى القلب من ذوات الدل والخفر. فأصبح الهوى مسيطرا على قلوب الرجال ، وتمتعت الغوانى بمنزلة فريدة ، وتطلع القوم إلى المثل العليا فى الجمال لا لعبادته وشمه ، لكن لقطفه وضمه ، والناس فى ذلك معذورون ؛ لأنهم على دين ملوكهم يسيرون .

إخناتون

نظرة عامة فى حياته : لقد صدق من قال : إن الولد سرّ أبيه ؛ فهذا «أخناتون»[٢] بن «أمنحتب الثالث» قد ورث عن أبيه حبه للنساء وولعه بالأجنبيات

(١) والواقع أن « أمنحتب الثالث » قد أرسل على أقل تقدير خمس مرات فى طلب غانيات لكن فى قصره ومجموع ما عرفناه حتى الآن لا يقل عن ٤٢٨ غانية . وهاتيك المئات من النسوة الأجنبيات اللائى أرسلن إلى البلاط الفرعونى قد أثمرن ووضعن أولادا وناهيك ما كان لاختلاط الدم المصرى بالدم الأجنبى من أثر ، وبخاصة إذا علمنا أن هــذا الاختلاط قد بدأ منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة (راجع A.Z. LXXIII; P. 92.) كما أشرنا إلى ذلك من قبل . راجع أيضا :
"Revue d'Assyrologie" Year 31, Vol. No. III,
Dossin, "Une Nouvelle Lettre d'el Amarna".

(٢) كان « أخنــاتون » فى بادئ أمره يسمى « أمنحتب الرابع » . وقد تسمى «إخنــاتون» فى السنة السادسة من حكمه غير أنه غير ألقابه بوصفه إخناتون فيما بعــد وهاك ألقابه الأولى والثانيــة كما أوردها «جن» فى مقال له عن هذه الألقاب .(J. E. A., Vol. XI, P. 168 - 176) :

(أ) ليت الإله الطيب يعيش ، وهو الذى يفرح بالصدق ، وسيد كل ما يحيط به «آتون» رب السماء ورب الأرض «آتون» الحى ، العظيم ، الذى يضىء الأرضين ، ليت الوالد (المقدّس والإلهى) يعيش : رع يعيش ، وهو «حوراختى» الذى يفرح على الأفق باسمه : الحرارة التى فى «آتون» والمعطى الحياة أبد الآبدين ، آتون العائش ، العظيم الذى فى عيد ثلاثينى ، والذى يسكن فى معبد «آتون» فى «إخناتون» .

(ب) رع يعيش حاكم الأفق ، الذى يفرح على الأفق باسمه رع الأب الذى عاد فى صورة «آتون» .
والعبارة الأخيرة تشير إلى عودة إله الشمس «رع» إلى حكم العالم بعد أن رفع نفسه إلى السماء كما فصلنا ذلك فى كتاب الأدب عند الكلام على قصة هلاك الإنسانية (راجع الأدب المصرى القديم ج ١ ص ٧١ – ٧٤)

منهنّ اللائى دلفن إليـه من المستعمرات المصرية ، وقد أفرد لهنّ جناحا خاصـا فى قصره يزوره كلما برّح به الشوق أو دفعـه الهوى ، و إنك لتجد فى قصره الذى تركه فى « أختاتون » (أفق آتون) منظرا يجذب الأبصار إليـه لجماله وغرابته ، يمثـل حورا عينا كأمثـال اللؤلؤ المكنون فى مقصورات خاصـة بهنّ فى القصر الملكى قد توفرن على التزين والتجمل أفرادا وجماعات ، فمن ترجيج وتكحيل ، إلى تطرية وترجيـل ، وبعضهنّ يتمايلن راقصات ، وأخريتواثبن عازفات ، و إذا أنعمت النظر فى لبـاسهنّ وزينتهنّ ، وطرق تصفيف شعورهنّ ، وفى آلاتهنّ الموسيقية عرفت أن جمهرتهن أجنبيات وردن إلى قصر الأمير من «سوريا» وغيرها



الصورة رقم (١٢) إخنـاتون فى شبابه

من البــلدان التى تدين لمصر بالولاء والسلطان (راجع Davies, "El Amarna", VI, Pl. XXVIII, P. 36 ff.) ولقــد أصبح التعرّف بالأجنبيات والتودّد إليهن ، والاتصال بهنّ عن طريق الزواج أو التسرى نزعة محببة إلى النفوس، وموجة جارفة طغت على مصر فى ذلك العهد، وشملت الأمراء وغير الأمراء، وما كان المصريون يحيدون عن تقاليد البلاد الموروثة لولا أنهم تأسوا بفراعنة البلاد سادتهم وآلهتهم ، وموضع الرجاء والتقديس فيهم ، وذلك أن لملوك الأسرة الثامنة عشرة منذ أن تولوا أريكة الملك دأبوا على تحطيم التقاليد التى جرى عليها القوم، فتزوّجوا أوّلا من بنات الشعب ، ثم انتقــلوا من ذلك إلى التزوّج بالأجنبيات ، وقد كان فارس حلبتهم فى هذا المضمار « أمنحتب الثالث » كما قدّمنا ، فكانت زوجته « تى » التى تزوّجها من عامة الشعب، وتنتسب لأبوين من دهماء القوم أحب زوجاته عنده، وأقربهن إليــه ، وكان الرأى ما تراه ، والحكم ما ترضاه ، حتى سيطرت على أمور الدولة [1] ، ووجهت سياسة الامبراطورية المصرية ،وكان زوجها «أمنحتب» لحبه العميق لها، وسلطانها العظيم عليه فخورا بها، ويحتفل دائما بذكرى زواجه السعيد منها،وقد خلده بنقشه على جُعل عملت منه عدة صور ، وذكر فيــه صراحة أن التى يحبها وتسيطر على قلبه ليست بذات جاه ولا غنى ، ولكنها من أبوين فقيرين معلنا بذلك فخره وخروجه على التقاليد البالية الموروثة .

من هذه الزوجة المحبوبة ولد « أمنحتب الرابع » (أخناتون) وترعرع فى كنف والده مدللا محبــوبا ، ولم يلبث والده أن أنهكته الشهوات التى غرق

---

(١) كانت الملكة « تى » على علم تام بالأحــوال السياسية كما يدل على ذلك خطابات تل العمارنة (راجع Mercer, "Tell el Amarna Tablets", 26, 7 - 18; 24, 42 ff; 29, 8, 9. 45 ff, 143.) وقد تراسلت مع «توشرتا» من أجل ابنها أمنحتب الرابع (Ibid, 26, 20 ff) وقد كان لهـا نفوذ فى سياسة كل من زوجها وابنها (Ibid. 29, 66 ff.) وقد أرسل لهـا ملك « متنى » هدايا خاصــة (Ibid, 27, 112) كما أرسل إليها تحيات فى مناسبات عدة (Ibid, 27, 4, 28, 7; 29, 3.)

فى بحارها فحطمت قواه ، وألزمته الفراش ، ولم تجده الرقى والتمائم ، ولم يشفه طب الطبيب ، ولا سحر الساحر ، ولم تستطع الإلهة « عشتارت »[1] التى أرسلها إليه صهره ملك « متنى » من « نينوى » أن تبعث البرء والصحة فى جسم حطمته الخلاعة وتجرع اللذة فى نهم وإسراف ، فأشرك معه ابنه « أخناتون » فى حكم البلاد عجزا منه عن القيام بأعبائه ، ورغبة فى أن يتفرغ لإرضاء شهواته وميوله التى لم يقلل من إقباله عليها علته التى ألحت عليه .

مكث « أخناتون » يدير الملك مع والده أكثر من تسع سنوات بل يقال اثنتى عشرة سنة، ثم ما لبث والده أن دفع صحته وشبابه ثمنا لملاذه وأهوائه فمات ولم يتجاوز الخمسين ربيعا من عمره، ولا نستبعد أن يكون قد عرف قبل مماته ذلك الانقلاب الدينى الذى يعدّ ابنه « أخناتون » العدّة لإحداثه ، فقد عثر على صورة فى مقبرة «حوى» أحد رجال بلاط «أخناتون» ظهر فى جهة منها «أمنحتب الثالث» على عرش الملك، ومعه الملكة «تى» وفى الجهة المقابلة لها ظهر «اخناتون ونفرتيتى» وعليهما تاج الملك أيضا، ووجد قرص الشمس (آتون) مرسوما فوق كل من الملكين، ومرسلا أشعته التى تتدلى منها أياد ترمز إلى الخيرات التى يمنحانها من هذا المعبود . ويرجع تاريخ هذا المنظر إلى السنة الثانية عشرة من حكم « إخناتون » وإن كان من المحتمل أنه رسم تذكارا لزيارة والدته « تى » له فى «اختاتون» . وتخليدا لذكرى والده وإظهارا لرضائه عن مذهبه الجديد؛ غير أنه توجد شواهد أخرى تعزز أنه عاش حتى هذا التاريخ وانفرد «أمنحتب الرابع»(اخناتون) بالملك بعد موت والده، وكان قد تزوج من « نفرتيتى » أخته بنت « تى » على أصدق الأقوال .

---

(١) جاء فى الرسالة رقم ٢٣ أن الإلهة « عشتارت » رغبت فى الذهاب إلى مصر والعودة ثانية فى السنة السادسة والثلاثين من حكم أمنحتب الثالث(راجع Ibid, I, 23.) وقد نصح الفرعون أن يستقبلها ويكرم وفادتها وقد كان مقرها بلدة « بينوة » .

ولدينا من الحقائق التاريخيــة ما يجعلنا نعتقد أن الانقلاب الديني الذي أحدثه لم يتم بغتة ، وأن مقدماته قد ظهرت منذ عهد « تحتمس الرابع » جدّ « اخناتون » ؛ فقد عثرنا على لوحة بجوار معبد « بو الهــول » ظهر فيها « تحتمس » يعبد قــرص الشمس « آتون » وقد تدلى من هذا القرص شعاع ينبعث من الشمس حاملا إليه الخيرات وهذه الصورة تنطبق إلى حد كبير على الصورة الرمزية لديانة « اخناتون » فقد كان يتعبد إلى قرص الشمس الذي ينبعث منه شعاعات تنتهى بأياد إنسانية. يضاف إلى ذلك أن « تحتمس الرابع » كان أول فرعون ثار على سـلطان كهنة « آمون » وانتزع من يدهـم وظيفة رئيس كهنة القطرين ، وقلدها أحد قواده الذين يركن إليهم ويثق فيهم . وفى عهد « أمنحتب الثالث » خطا الميل إلى عبادة قرص الشمس خطوة ثانية ، إذ نشاهد هذا العاهل يطلق على القارب الذي كان يتنزه فيه فى بحيرته الصناعية بمدينة « هابو » اسم آتون يضيء (تحن آتن) .

فلما تولى « اخناتون » عرش البلاد وجد الأمور مهيئة بعض الشيء لعبادة إله الشمس وحده، ورمز له بقرصها الذي سماه « آتون » ، وقال عن معبوده : "إنه القوة الكامنة وراء هذا القرص، وأنه واحد لا شريك له"، وبنى له فى بادئ الأمر معبداً فى «طيبة» عاصمة الملك، فلم يغضب ذلك كهنة « آمون رع » لأن معبودهم « آمون رع » يمثل إله الشمس أيضا، ولكن الذي أحفظهم إصرار « اخناتون » على عبادة إلهه وحده ، وتحريم عبادة « آمون » وغيره من الآلهــة الأخرى . ولقد أفلح فى نشر مذهبــه فى طول البلاد وعرضها ، وفى القضاء على المذاهب الأخرى بدون كبير عناء ممـا يدل على أن الأذهان كانت مستعدّة لقبوله ، وعلى أن للفرعون قداسة ، وعلى أن قوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه معصوم من الخطأ ، والقول ما قال ، وهذه بلا شك أفكار كان يخضع لها الشعب لأنهم كانوا يعتقدون أن الملك إله وابن إله . ومن الغريب أن هذا المليك الذي بدا لنا سديد الرأى صائب النظر فيما اتخذه من إصلاح ديني يتمثل فى توحيد الإله ، وتمجيد ذاته مما يدل

على عقل راجح ، ونفس صافيــة ، وتفكير عميق ، من الغريب أن صاحب هــذه المثل العليا فى الإصلاح كان شاذا فى خلقه ، وكما يقال شاذا فى عقله ، منحدرا إلى الحضيض فى بعض تصرفاته .

أما شذوذه الجسمى فلا دخل له فيه ، ولا ذنب له فى أنه خلق على تلك الهيئة التى لا تناسب بين أعضائها ولا انسجام ، وتماثيــله تدل على تركيب غريب شاهد بقدرة الله ، وأما شذوذه العقلى فلمخالفته لأهل عصره فى عدم تشيعه لآلهة «طيبة» ومقته الشديد للإله « آمون» وأما شذوذه الخلقى فهذا موضع الغرابة وقد وصل فيه إلى مرتبة يتنزه عنها الحيوان الأعجم إذا صح ما قيل ، فإننا لفى شك مريب فى تلك العلاقة بينه و بين أخيه « سمنكارع » إذ كان حبــه له وتعلقه به خارجا عن نطاق العقل والمألوف .

و إن انحطاطه الخلقى ليتجلى كذلك فى زواجه من ابنته الثالثة « عنخس ان با آتون » التى أصبحت زوجة « لتوت عنخ آمون » فيما بعــد، كما تلمس خشونته فى تحوّله عن حبه لزوجته الجميلة (نفرتيتى) وسوء معاملته لها على حسب ما توحى به الآثار المكشوفة . مما سنفصل فيه القول .

كان « اخناتون » يمقت الإله « آمون » مقتا شديدا فأغلق معابده حيثما وجدت ومحا اسمــه أينما رآه ، بل محــا اسم والده لأن فى تركيبــه اسم « آمون » (أمنحتب) ثم ولى وجهه شطر الآلهة الأخرى فأنزل بها ما فعل « بآمون » وزاد بأن محا لفظة الآلهــة بصيغة الجمع فى كل المعــابد حتى لاينصرف الذهن إلا إلى إله واحد، والظاهر أن « اخناتون » قد وجه اهتماما كبيرا لمذهبه الجديد عند ما كان شريكا لوالده فى إدارة الملك، ولم يستعمل القوّة فى نشره احتراما لعقيدة والده الذى كان يتعبــد للإله « آمون رع » والذى أعاد لكهنة هــذا الإله وظيفة رياســة معابد القطرين بعد أن انتزعها منهم « تحتمس » الرابع كما قدمنا .

وكان والده « أمنحتب الثالث » من جهــة أخرى لا يعارض ابنه فى عبادته « لآتون » والعمل على نشرها بدليل أنه تركه يبنى لهــذا الإله معبدا فى « الكرنك »

وليس من البعيد أن يكون والده « أمنحتب » ووالدته « تى » قد خشيا عليه تحمسه لمذهبه الجديد ، فأسديا له النصح بالهجرة من « طيبة » والاستقرار فى بلدة يتخذها مركزا لنشر مذهبه الجديد، وإن كان « اخناتون » ينكر ذلك، و يدّعى فى نقش له على إحدى لوحات مدينة « اختاتون » التى هاجر إليها، أنه ترك «طيبة» من تلقاء نفسه ، ويقسم أغلظ الأيمان على أنه هو الذى أراد ذلك ، ولم يوجهه أحد إليه ، ولقد كان تعلقه شديدا بعاصمته الجديدة ، فأوصى بأن يكون مرقده الأخير فيها إن مات هو أو أحد أفراد أسرته، و إن شاءت الأقدار أن يموت خارجها فلتحمل جثته إليها حتى يهدأ بالا ، و يرتاح فى حياته الثانية .

بنى « اخناتون » عاصمته الجديدة « اختاتون » فى سرعة ، وكانت البيوت الأولى لعظماء الدولة ورجال البلاط على طراز صحى فاخر، وقد استوفى وسائل الراحة والترف، وقد عمد كل موظف إلى نقش اسمه وألقابه على واجهة بيته بجانب أدعية للإله « آتون » ؛ و بعد أن استقر المقام بعلية القوم توافد الصناع تدريجا على العاصمة الجديدة فاتخذوا مساكنهم فى الفضاء المتخلف بين منازل كبار الموظفين، ومن هنا ترى فى هذه المدينة القصر المنيف يسكنه الوزير بجانب الكوخ الحقير يأوى إليه الصانع الصغير ، ولقد سمى الكاشفون الأحداث شوارعها باسم أعظم بيت فيها ، فسموا شارع الوزير، وشارع رئيس الكهنة وهكذا .

ولما هاجر « اخناتون » إلى مدينته تبعه جم غفير من الأشراف وكبار رجال الدولة اقتناعا بدينه الجديد، أو جريا وراء مغانم ينتظرونها ، فكثير من الناس يقتفون أثر النجم الساطع ، و يولون ظهورهم للكوكب الآفل ، أو هاجروا إليها فرارا من أذى أتباع « آمون » إن بقوا فى « طيبة » على مذهبهم الجديد متعبدين لإلهه الواحد . ظل « اخناتون » يحكم فى عاصمته بتل العارنة مدّة طويلة بانيا لإلهه معابد مختلفة منثورة فى مختلف جهات القطر بالكرنك ، والأشمونين[1] وأسيوط ،

(١) راجع : Brunner, '"Ein Neue Amarna-Prinzessin", A. Z. Vol. LXXIV, PP. 104-108.

ومنف ، وفى نوبيا العليا عند الشلال الثالث ، وفى سوريا . ومع هذا الإخلاص العظيم للدين الجديد لم يتورع « اخناتون » عن الاستجابة لداعى الشهوة إذا دعاه ، فها هو ذا لايزال متورطا مع أخيه « سمنكارع » فى أقبح عادة عرفها الناس ، ثم هو لا يخجل من أن يطلق على أخيه لقبا نسويا من ألقاب الملكة « نفرتيتى » وهو «الجمال الفائق لآتون» (نفر نفرو آتون)، ولا يخجل من أن يطلق عليه لقب « محبوبه » ولا يخجل من أن يمثل على لوحة محفوظة الآن فى متحف « برلين » تدل على منتهى الاستهتار بالأخلاق والآداب يبدو فيها « اخناتون » ملاصقا لأخيه « سمنكارع » مطوقا خصره بإحدى يديه ، ويداعب بالأخرى ذقنه فى حب وتدليل، وكل منهما يلبس تاج الملك ، ولاشك فى أن هذه الصورة تبعث فى نفس من يراها معانى كثيرة عن العلاقة الجنسية الشاذة بين الأخوين ، وتعيد إلى الأذهان



الصورة رقم (١٣) أخناتون وسمنخكارع (؟)

تلك العلاقات الجنسية الشاذة التى كانت تربط الامبراطور « هدريان » بغلامه « أنطونيوس » (راجع .Newberry, J. E. A, Vol. XIV, pp. 3 ff) . لم تطق « نفرتيتى » زوجه الجميلة صبرا على ذلك ، فقام نزاع بينها و بين الفرعون فهجرت قصرها طوعا أو كرها إلى حى آخر فى المدينة يسمى « ظل رع » وانتحت مع « توت عنخ آمون » هذا المكان الجديد ، وتركت قصرها الأول « لاخناتون » وأخيه المحبوب « سمنكارع » و زوجته ، وهى الابنة الثانيــة له المسماة « مريت آتون » . ومن هنا وجدنا الملك قد أمر بمحو اسم « نفرتيتى » من كل مكان يتحلى به فى القصر ، ونقش بــدله اسم « مريت آتون وسمنكارع » ولأمر ما أثبت « اخناتون » اسم « مريت آتون » على قصر والدتها « نفرتيتى » مع ذكر نسبتها إليه دون أمها مخالفا بذلك التقاليد الملكية التى كانت متبعة . على أن هناك أمرا ذا بال ربما كان سببا فى ازدياد النفور بين « نفــرتيتى » و « اخناتون » ذلك أن « أخناتون » لم يقتصر فى ضلاله على الحــد الذى ذكرنا [(١)] ، بل إنه تمادى وتزوج من ابنته الثالثة « عنخس إن با آتون » ووضعت منــه أنثى سميت بهذا الاسم ، فأى صلاح يرجى منه بعد ، ولم يكن زواج الملوك من بناتهم شائعا حتى ذلك الوقت ولا نعرف منــه إلا ثلاث حوادث من هذا النوع فى تاريخ الفراعنة ؛ منها واحدة مشكوك فيها .

وهذه الحوادث الشاذة هى زواج « أمنحتب الثالث» من ابنته «ست آمون» و يقول بعض المؤرّخين إنها أخته بنت « تحتمس الرابع » وليست ابنته ، والحادثة الثانية هى التى نحن بصددها الآن ، أما الثالثه فإنا نعرف أن « رعمسيس الثــانى » قد تزوّج باثنتين من بناته على أقل تقدير (راجع .(Ibid, P. 108)) .

(١) يعتقد الأستاذ "ولف" أن ما يدعيه أو يخمنه بعض المؤرّخين عن العلاقة بين « اخناتون » و بين أخيه « سمنخ كارع » مجرد خيال . (راجع A. Z. Vol. LXV, P. 100) ولا يبعد أن يكون هذا الرأى صحيحا لأن « أخناتون » كما يقول الدكتور غليونجى قد طغا على جسمه التخنث فى آخر أيامه ، حتى تحول ، وقد تكلمنا عن ذلك فيما بعد .

نرجع مرة أخرى « لسمنكارع » حبيب « إخناتون » وأخيه معا فنقول : إن هذا الخليع إذا صح ما يقال عنه بعد أن تم له الاشتراك مع أخيه فى الملك آثر الذهاب إلى « طيبة » رغبة منه فى أن يستل سخائم كهنة « آمون »[١] و يعيد أواصر الودّ والصفاء بينهم و بين أخيه بعد أن رأى أخوه انفضاض الناس من حوله ، وتآمرهم على قتله حتى اتخذ حرسه من رجال « المازوى »[٢] (الشرطة) ومع هذه الحيطة فقد تمت المؤامرة عليه ، واشترك فيها هؤلاء الأجانب ، ولولا يقظة رئيس الشرطة (ماحو) لنجحت المؤامرة ، ولقضى على « اخناتون » وقتها على أبشع صورة ، ولقد وجدنا رسما مفصلا لتلك المؤامرة فى مقبرة رئيس الشرطة المذكور ، فرأيناه يستدفئ[٣] ذات يوم قر ، وأحد خدمه يعبث بالنار ليزيدها اشتعالا ، فسمع صياحا فامتطى عربته ، وأخذ فى ركابه أربعة من رجاله الأقوياء فباغت المتآمرين فى وكرهم ، وكبلهم بالأغلال ، وساقهم إلى قاعة الوزير للمحاكمة ، ثم نرى الوزير يحف به الكبراء والأشراف فى حضرة الفرعون يقدّم إليه المجرمين ، وهم مصرى أصلع الرأس ، وأجنبيان قد استرسل شعرهما ، وقصرت لحيتهما ، وعندئذ نزل « ماحو » من عربته وصاح قائلا : " أيها الأمراء حاكموا بأنفسكم هؤلاء الأجانب المقبوض عليهم " وهنا توجه الوزير بالشكر « لآتون » الذى وفقهم لكشف هذه المؤامرة قبل تنفيذها .

والواقع أن هذا الانقلاب الدينى الذى أحدثه « إخناتون » جاء سابقا لأوانه ، ولو أنه يدل على تفكير راجح لفرعون مصر ، ولقد تقبله الناس مرضاة لراعيهم وسيدهم ، ولكنهم لم يكونوا مخلصين له مرتاحين إليه ، اللهم إلا فى « إخناتون »

---

(١) راجع .A. S. Vol. XL, P. 138 ff

(٢) يعتقد الأستاذ « جاردنر » أن المازوى كانوا فى هذا العهد من المصريين لا من أهالى بلاد النوبة كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

(٣) (راجع .Davies, "El Amarna", Vol. IV, Pl. XXVI

نفسها حيث الملك يقيم ، وحيث ذوو الزلفى والأطماع يحرقون البخور بين يديه ، ولقد خشيت والدته مغبة نفور الناس من بدعته التي استحدثها ، فذهبت إليه زائرة في « إخناتون » تقدّم إليه النصيحة ، وقد لمست تحرج الأحوال في داخل البلاد وخارجها ، فأكرم وفادتها وفاء عليها من ولائمه وقصوره وخدمه ، ولكنه لم يستمع لرجائها على ما يبدو فإنا رأيناه يزور معها معبد « آتون » ويتعبدان لإلهه . لم تستطع تلك المبادئ الدينية السامية ، وهذه الآراء الفلسفية العالية التي أتى بها « إخناتون » ونادى بها الأنبياء المرسلون فيما بعد أن تحفظ امبراطورية سليمة من بواعث الوهن والتصدع ، فقد رزق بطانة سيئة مرتشية ضربت حجابا كثيفا بينه وبين الحقائق المؤلمة التي كانت تتورط امبراطوريته العظيمة فيها ، فما كانت تقفه إلا على الزيف من الأخبار السارة ، أما المآسي والثورات وغضب الشعب ومخاوفه فما كانت تصل للمليك من بطانته ؛ فكان بينه وبين الحقيقة هوة كبيرة ، وليس من إخلاصك للعرش أن تقدم لصاحبه ما يسره ويرضيه ، وإن كان كاذبا زائفا ، وأن تبعد عنه ما يقضه وإن كان حقيقة لا مراء فيها ، بل الإخلاص أن تبسط إليه الحال كما وقع ، وتشير بالرأى إذا هدى ولمع ، حتى يتملك ناصية الأمر ، ويتخذ للموضوع أهبته ، ويثب على المارق في الوقت المناسب وثبته ، عندئذ تكون قد أدّيت الرسالة ، ومكنت مولاك من أن يصيب المحز فيما يفعل وفيما يذر . لم يجد « اخناتون » هذه البطانة المخلصة فتزلزلت أركان امبراطوريته وهو لا يدرى عن ذلك شيئا ، بل إن سخرية القدر تجعله يرسل إلى مختلف بقاع مملكته الواسعة غير عالم بما فيها يقول لرعاياه :

" اعلموا أن المليك يتمتع بكل عافية مثل الشمس فى السماء ، وأن جنوده وعرباته الحربية تجوس خلال الديار الجنوبية والشمالية ، وتطوى كل مكان تشرق عليه الشمس وتغرب فى أمن وسلام " (راجع الخطاب ١٦٢ Mercer, "Tell el Amarna Tablets", P. 525.) ولو درى ما تحت قدمه مما حجب عنه

لأرسل جزءا من هـذه القوة المحاربة إلى بلاد آسيا لتحمى جزءا من امبراطوريته التى كادت تذوب وتفنى .

وبعـد فقد قضى هذا الرجل نحبه بعد أن حكم ثمـانية عشر ربيعا إلا قليلا ، ولا ندرى إن كان قد مات حتف الأنف على فراشه أو اغتاله المتآمرون بعد أن غفلت عنـه عين العناية التى كانت تحرسـه ، وكل ما قرأناه فى الكشوف الأثرية أنه قد مات فى وقت لمع فيه نجم مملكة « الختيا » وازدادت قوة وشوكة ، فأخذت تطرق أبواب سيدتها مصر وتهاجم حدودها آملة أن تسودها .

مات «إخناتون» بعد أن وضع سياسة دينية قويمة ، وبعد أن خطا بالعقيدة خطوات موفقة نحو الغاية الصحيحة ، التى أرسل من أجلها الأنبياء ،

عـرش مصـر بين « سمنخكـارع » و« نفرتيتى »



الصورة رقم (١٤) الملك « سمنخكارع » (؟)

قام بأعباء الملك بعد « اخناتون » أخوه ذلكم الشاب « سمنخكارع » الذى اتخذ منه « اخناتون » شريكا فى الملك أثناء حياته .

تولى « سمنخكارع » واستقر هو وزوجته « مريت آتون » بنت « اخناتون » فى « طيبة » وأراد رجال البلاط وعلى رأسهم الكاهن « آى » الذى كان أكبر مشجع « لإخناتون » على نشر مذهبه الجديد أن تستقر الأمور، ولكن «نفرتيتى» كانت لهم بالمرصاد، دفعها الحقد على سمنخكارع، والحسرة على الهناءة التى سلبتها فى كنف زوجها الراحل أن تنتقم فلم تبايع «سمنخكارع» بالعرش ، ولم تعترف له بأى حق فيه ، واستمالت نصيره الأوّل « آى » ، ثم استنجدت بملك « خيتا » [1] وطلبت منه أحد أبنائه ليكون زوجا لها و وارثا لعرش مصر ، وهكذا كادت «لسمنخكارع» وسببت له متاعب كثيرة، ولما تأكد «شبيليوليوما» ملك «الخيتا» من صدق رغبة « نفرتيتى » أرسل أحد أنجاله إلى مصر ، ولكن الأمور كانت تجرى سريعة فى « تل العمارنة » وفى « طيبة » فقد مات الملك « سمنخكارع » وهنا وثب الثوّار على ابن ملك « خيتا » وقتلوه فى الطريق غيلة فتعقد الموقف ثم انفرج باعتلاء « توت عنخ آمون » بن « أمنحتب الثالث » عرش البلاد ، ومعه زوجه « عنخس إن با آتون » بنت « إخناتون » و « نفرتيتى » .

عصر إخناتون وما حدث فيه من تجديد

أعطينا القارئ فيما سبق لمحة خاطفة عن « إخناتون » وما تم فى عصره، والآن سنعطيه صورة مفصلة موضحة لهذا الإجمال ، مبتدئين بذكر فصل عن التدرّج فى عبادة « آتون » وتأسيسه مدينة « اختاتون » عاصمة ملكه الجديدة، ثم نشفعه بفصل آخر عن التوحيد والمدى الذى أحدثه من التطوّر العالمى، وبخاصة فى الفن المصرى القديم ، ثم نختم ذلك بفصل عن الإمبراطورية المصرية وانسياقها

---

(١) راجع : Ed. Meyer, "Gesch. des Altertums", II, I. P. 400.

إلى التدهور والانحلال نتيجة انشغال « إخناتون » بدينه الجديد ، وتركه شئون الملك ومهامه .

التدرج في إعلان عبادة « آتون »

(أفق آتون): تدل كل أعمال «إخناتون» على أنه لم يقم دفعة واحدة بالانقلاب الديني الذي كان يختلج في صدره ، وهو ذلك الانقلاب الذي كانت قد ظهرت بوادر الاستعداد للقيام به منذ عهد أسلافه من قبله[1] ، وبخاصة أنهم كانوا يوجهون عناية تامة لعبادة إله للشمس «رع» على الرغم من تعظيمهم «آمون» ويعتبرونه الإله

---

(١) فقد عثر على جعران من عهد الملك « تحتمس الرابع » عليه نقوش غاية في الأهمية من الوجهة التاريخية وذلك أن علماء الآثار قد ظنوا بحق أن الانقلاب الديني والفني الذي قام به « إخناتون » يضرب بأعراقه إلى عهد « تحتمس الرابع » ، وهذه النظرية ترتكز على عدة براهين معظمها لا يمكن الارتكان عليها بصفة قاطعة وهي :

تدل شواهد الأمور على أن إحدى لوحات حدود مدينة (إخناتون) تشير إلى أن «تحتمس» الرابع قد قام بمحاربة كهنة « آمون » غير أن الفقرة التي جاء فيها ذكر هذا الحادث مهشمة تماما .

عثر في حفائر الجامعة المصرية على لوحة « لتحتمس الثالث (؟) » يتعبد لقرص الشمس وتتدلى منه الأيدي التي يمتاز بها « آتون » معبود « إخناتون » .

يدل فن عصر « تحتمس الرابع » على أنه قد اتخذ صورة جديدة تحوي تمثيل الحقيقة والطبيعة .

عثر على قطعة حجر في « تل العمارنة » يظهر عليها الملك إخناتون يقرب إلى « آتون » القربان وقد وصف هذا الإله بأنه ساكن في بيت الملك « تحتمس الرابع » في بيت آتون في « إخناتون » .

عثر على تماثيل مجاوبين للملك « تحتمس الرابع » تشبه تماثيل « إخناتون » لأنها لم يكتب عليها إلا اسم الملك وليس عليها أي صيغة سحرية .

عثر على أشياء مكتوب عليها اسم « تحتمس الرابع » في العمارنة (انظر تحتمس الرابع ص ؟) .

ولكن أهم برهان قد وجدناه على هذا الجعران إذ هو برهان قاطع إذ لم نجد فيه أن آتون كان قد اعتبر إلها منفصلا في عهده عن إله الشمس بل كان يعبد بوصفه إله المعارك الذي أعطى النصر للفرعون ، وأمن تفوقه وتسلطه على كل العالم ، وجعل كل الإنسانية رعايا لقرص الشمس ، والظاهر أن هذا الجعران قد نقش ليخلد ذكرى حملة في سوريا وفلسطين ، ومن المحتمل أن تكون الحملة التي قام بها في حكمه أو زيارة قام بها أمراء آسيا يحملون إليه الجزية (راجع J. E. A., XXII, P. 23.) .

الأعظم لكل الدولة . والظاهر أن هــذه الفكرة لم تخرج لحيز العمل فى خلال حكم من سبق « أمنحتب الثالث » لأنهم كانوا فى شغل شاغل لتوطيد سلطان الملك ومدّ نفوذهم فى الأقطار المجـاورة ، ولا نزاع فى أن « أمنحتب الرابع » الذى ولد فى فترة الســلام قد سار على نهج أسـلافه فى تعظيم شأن « رع » بل من المحتمل أنه فى صباه كان يقوم على تربيته الدينية كهنة من « عين شمس » نفسها فملئوا فكره بعقيدة التوحيد الشمسية ، ولقــد رأى بثاقب فـكره التناقض الغـريب بين تعاليم كهنة « عين شمس » وتعاليم كهنـة « آمون » والآلهـة الآخرين . فقـد كان فى وسـع الإنسان أن يسمى إله الشمس باسم « رع » وباسم « حـور أختى » (حور الأفق) وحتى باسم « آتوم » ، وكان على النقيض من ذلك يرى أن من الخبل وخطل الرأى والكذب الصراح ، أن يعبد آلهـة آخرين فى صـورة حيوانات ، وبخاصـة عبادة « آمون » الذى كان يصـوّر فى صورة كبش ، هـذا فضلا عن كهنته ، لمـا رأوا ما فى ذلك مر. خطل الرأى أضافوا لاسمه اسم إله الشمس « رع » ليجعـل له مكانة مثل مكانة الإله « رع » الذى يسيطر على العـالم كله بضوئه وأشعته منذ فجر التاريخ المصرى .

وبعـد أن احتفل « أمنحتب » بتوليته على العرش فى مدينـة « أرمنت » كما كانت العادة المتبعة بدأ يعمل لنشر عقيدته الجديدة بين أفراد الشعب المصرى وقد كان أوّل عمل قام به هو بناء معبد لإله الشمس فى « الكرنك »(١) وهى المدينة المقدّسة للإله « آمون » وقد سمى إله هذا المعبد « رع حور أختى » (أى رع هو حور الأفق) ثم ميزه بأنه الذى ينعم فى الأفق بوصـفه الضوء اللامع الذى يوجد فى أشعة الشمس ، وهذه الجملة الطويلة فى الواقع يعبر عنها باختصار بلفظة « آتون » أى قرص الشمس . بعـد ذلك بنى « أخناتون » لنفسه قصرا وأطلق عليـه اسم

(١) راجع ; Weigall, "The Life and Times of Akhenaton", P. 35 ff; Porter and Moss., "Bibliography", II, P. 89.

(الفرح فى الأفق) وهذا نعت لإلهه . ولا أدل على سرعة « أمنحتب » فى الاتجاه نحو تنفيذ فكرته من النقش الذى وجدناه على محاجر السلسلة[1] الذى يعلن فيه كل عمال قطع الأحجار فى كل جهات القطر من « الفنتين » حتى « الدلتا » وكذلك موظفيه بالذهاب إلى هذه الجهة لقطع مسلة من الحجر الرملى لإلهه ، وقد كانت المسلة منذ القدم رمزا لإله الشمس ، ولقد هدم معبده الذى أقامه فى « الكرنك » بعد وفاته ، وبقيت منه أحجار عدّة استعملها « حورمحب » فى بناء بوابته المعروفة فى الكرنك . ونجد على واجهة إحدى هذه الأحجار على اليمين الصورة المعتادة « لأمنحتب الثالث » وفوقه صورة الشمس « لحور بحدت » ويدل وجود هذا الحجر هنا على أن هذا الملك كان قد بدأ بناء معبد له فى هذا المكان ، وهو الذى حوّله ابنه « أمنحتب الرابع » إلى معبد للشمس ، ولكنا من جهة أخرى نشاهد فى الصورة التى على الجهة اليسرى أن « أمنحتب الرابع » قد محى اسم والده ووضع بدلا منه اسمه هو ، وكذلك وضع اسم إلهه الجديد الذى كان يمثل فى صورة صقر باسم «حور اختى» وفوق رأسه قرص الشمس ، وقد كان هذا الإله فيما قبل لا يزال يمثل إله الشمس ولم تكن عبادة الآلهة الأخرى وقتئذ تتعارض مع عبادة « آتون » فى نظر « أمنحتب الرابع » فقد وجدنا صورة فى « السلسلة » يرى فيها متعبدا كالمعتاد للإله « آمون » وفوقه قرص الشمس المجنح .

وقد كانت المسلات تقام كالمعتاد بمناسبة عيد « سد » أى العيد الثلاثينى وكانت تقام فيه كل المراسيم القديمة المتبعة التى كان يسير على نهجها من سبقه من الملوك ولم يكن الاحتفال بها بعد ثلاثين عاما من تولية العرش كما يدل اسمها على ذلك بل كانت تقام على أثر تولية الفرعون العرش ، وقد اتخذ « أمنحتب الرابع » فرصة هذا الاحتفال ليقدّس فيها معبده الجديد ، ويشيد باسم إلهه الجديد « آتون » ويعلنه لكل الشعب ، ثم رأى أنه لا بدّ من اتخاذ خطوات أخرى لتحديد عبادة

---

(١) راجع : A. S., Vol. III, P. 263.

إلهه، والصورة التي لا بدّ أن يظهر فيها نهائيا ، إذ كان اسم إلهه «آتون» لا يزال يرادفه كلمة «رع» و «حور اختى» وكان ذلك فى نظره مقبولا بعض الشيء ، ولكن الشيء الذى لم يستسغه هو أن يرى إلهه يصوّر فى صورة إنسان أو بجسم إنسان، ورأس حيوان ، ولذلك عقد النية على أن يصوّره كما هو ظاهر للعيان أى على هيئة قرص الشمس الذى يرسل أشعته من السماء على الأرض فيعيش بها الناس . ولقد كانت الأهمية الأساسية للاحتفال بالعيد الثلاثينى (عيد سد) فى نظر «أمنحتب» محصورة فى تقديم الديانة الحقة للشعب، ووصف الإله بأنه هو «آتون» الحى العظيم الذى يضيء الأرضين فى العيد الثلاثينى ، وسيد السماء والأرض .

ومن ثم أخذ الملك يقيم المعابد لإلهه فى كل أنحاء القطر وبخاصة فى «هرمو بوليس» (الأشمونين) و «منف» و «عين شمس» وقد كان الإله «آتوم رع» الذى يعبد فى هذه البلاد موحدا مع الإله «آتون» الجديد ، ولقد كان «أمنحتب» فى بادئ الأمر يظن أن عبادة إله الشمس فى صورة «آتون» التى تعبر عن صورته الحقة وهو قرص الشمس ستقضى على الديانة القديمة بإعطائها للقوم تعبيرا صحيحا عن مراميها ، وأنه سيكون فى استطاعته أن يغض الطرف ولو مؤقتا عن الآلهة المصرية الآخرين، ولكنه لم يطق صبرا على هذه الحال، إذ لم يجد غير بضعة أتباع له بين الكهنة يعضدون عقيدته ، فى حين أن الجم الغفير منهم كانوا متمسكين بالديانة القديمة بل زاد تمسكهم بآلهتهم، وبخاصة كهنة الإله «آمون» فى «طيبة» الذين كان فى يدهم كل السلطة، وقد كان عامة الشعب فى جانبهم .

ولقد كانت الأزمة على أشدّها فى العام السادس من حكمه عندما أراد أن يقيم لنفسه مدينة خاصة لعبادة إلهه «آتون» عندئذ قلب للإله «آمون» ظهر المجن فقد عامله بوصفه مغتصبا لمكانة إلهه «آتون» فهشم تماثيله ، ومحا اسمه أينما وجد

حتى فى سجل خطابات تل العمارنة المكتوبة بالخط المسمارى لأنه كان يقصد القضاء على كيانه فى عالم الوجود وذلك زعما منه أن محو صورة الإنسان، يعنى القضاء عليه، وهذا ينطبق كذلك على الإله، وذلك لأن روحه كان يسكن التمثال أو اسمه، وهذا نفس ماقصده «تحتمس الثالث» حينما هشم تماثيل «حتشبسوت» وأتباعها، ومحا اسمهم من الآثار، وقد امتد تخريب آثار «آمون» ومحو اسمه إلى كل جهات القطر، وكذلك إلى بلاد النوبة. ويمكن للانسان أن يتصور مقدار التخريب الذى كان يحدثه هؤلاء الجنود الذين أطلق الفرعون لهم العنان، فخربوا المعابد، ومحوا اسم الإله آمون أينما وجد فى المقابر النائية، وكيف أنهم كانوا يقضون على كل من يقف فى طريقهم فى أثناء تنفيذهم أوامر الملك، حتى أنهم تركوا المعابد التى كان يقدّس فيها هذا الإله خاوية على عروشها على أن الآلهة الأخرى لم تكن بأحسن حالا بل كذلك سارع هؤلاء الجنود لمحو أسمائهم، اللهم إلا أسماء الآلهة الشمسية مثل «آتوم» و «حور»، وذلك لأن وجودهم مع الإله الواحد الأحد إله الشمس كان لايمكن الصبر عليه، هذا فضلا عن أن الكلمة التى تدل على اسم الآلهه بالجمع قد محيت من عالم الوجود من كل الآثار أيضا، وذلك لأنها تتنافى مع الوحدانية.

وبعد ذلك رأى أنه من العار والتناقض أن يكون اسمه يحوى اسم الإله «آمون» فمنذ السنة السادسة غير اسمه فأصبح يسمى «اخناتون» (أى آتون مسرور) وكذلك محى من اسم والده لفظة «آمون» وأصبح لا يسميه هو وأجداده إلا باللقب الذى كان يطلق على كل منهم عند توليته العرش وبذلك انفصل هذا الملك عن التقاليد الدينية القديمة تمام الانفصال، وبخاصة عندما انتقل الى عاصمته الجديدة التى كان قد شرع فى بنائها، هذا فضلا عن أنه قبل مغادرته «طيبة» قد سماها مدينة ضوء «آتون» [1] العظيم.

---

(١) راجع: Weigall, Ibid. P. 56,

مدينة « تل العمارنة »

لم تكن فكرة نقل عاصمة الملك إلى « إختاتون » ناشئة عن غضب أو ضغينة في صدر « اخناتون » على كهنة « آمون » وسكان « طيبة » وحسب — وإن كان للغضب وحب المحافظة على النفس نصيب كبير في هذه الحركة ولكن الدافع الحقيق لهذه الحركة كان جزءا من فكرة مبيتة الغرض منها أن يفسح لمذهب «آتون» مأوى أمينا ، ومعقلا حصينا في كل جزء من أجزاء الإمبراطورية لنشر دعوته في هدوء وسلام ، ذلك لأن إله الدولة لم يكن في نظره إله مصر وحدها ، بل كان إلها يشمل سلطانه كل العالم[١] ، ولذلك كان من الحكمة أن تقام له مراكز مقدّسة لا في مصر وحدها بل في آسيا وبلاد[٢] النوبة ، فنعلم أن مدينة خاصة بعبادته كانت له في سوريا[٣] ، غير أننا لا نعلم موقعها بالضبط . أما في « النوبة » فكان مركزها بالقرب من الشلال الثالث وكانت تسمى « جم آتون » (راجع Baedeker's Egypt (1929) P. 447) كذلك كان الغرض من بناء عاصمته الجديدة في مصر أن تكون مركز الحكومة والبلاط ، وكان « إخناتون » يريد من هذا أن يكون بمعزل هو وحاشيته عن الوسط الخطر الذى كان يحيط به في « طيبة » وبذلك يضمن لنفسه مكانا آمنا خصبا ليبذر فيه بذور عقيدته الجديدة حتى يتسنى له أن يجنى ثمرتها ، ويعاقب الجامحين من رجال « طيبة » والناصحين لهم من كهنتها في نفس الوقت .

ولا شك في أن انتقال رجال البلاط كان له أثر سيء جدا في نفوس القوم وبخاصة عندما عرفوا أن إلههم « آمون » « الطيب » وملكهم الرحيم الذى يعدّ في نظرهم المظهر البارز لصورة إلههم قد حجب عنهم ضوء وجهه الوضاح ، وهو غاضب عليهم ونافر منهم .

---

(١) راجع : Gunn, "Notes on the Aton and His Names", J. E. A, Vol. IX, P. 169.

(٢) راجع : Gauthier, "Dict. Geog", Vol. II. P. 42.

(٣) راجع : Hall, "The Ancient History of the Near East", P. 300.

موقع مدينــة اختاتون : تقع البقعة التى أقام فيها « إخناتون » مدينتــه الجديدة « إختاتون » (أفق آتون) على مقربة من مدينة « ملوى »(١) وهى جون فى هضبة الصحراء العربية يبلغ طولها نحو ستة أميال ، وأقصى عرضها نحو ثلاثة أميال ، ولم تكن العاصمة الجديدة تشغل كل هذه المساحة فى عز ازدهارها ، لأن أنقاض المدينة القديمة تمتد من نقطة على مسافة تقرب من ميل ، شمال قرية «التل» (وهى التى اشتق منها اسم تل العمارنة الذى يستعمل الآن فى الكتب العلمية للدلالة على « اختاتون » القديمة) ، إلى قرية « الحواطة » حيث نشاهد تنائف الجبل تحيط بهذه البقعة ، حتى تكاد تتلاقى مع شاطئ النيل ، وبذلك تمتد نيفا وخمسة أميال فى اتجاه شمالى فقبلى . ولكننا حين نشاهد أن طول المدينة يشمل كل المساحة التى على امتداد شاطئ النهر فإننا نجد من جهة أخرى أن عرضها يشمل أكثر من ثلث هــذه المساحة ، إذ يمتــد نحوا من كيلو متر أو أكثر بقليل ، وعلى ذلك يمكننا أن نتصور عاصمة « إخناتون » فى صــورة بلد تشغل شريطا ضــيقا من الأرض تبلغ مساحته نحو خمسة أميال طولا فى نحو كيلو متر عرضا ، وتقع بين منطقة ضيقة من الأرض الخصبة على شاطئ النهر ، والصحراء الرملية خلفها فتمتد حتى سفح التلال . ويرجع السبب الذى من أجله جاء تصميم طول المدينــة غير متناسب مع عرضها إلى أمرين : فمن جهــة كانت الأراضى الخصبة التى على شاطئ النهــر لا بد من الاحتفاظ بها للزراعة ، ومن جهة أخرى كان من المستحيل أن تقام مبانٍ فى داخل الأراضى القاحلة فى الصحراء لانعدام المياه فيها . من أجل ذلك كان « إخناتون » مضطرا أن يضــع تصميم عاصمته الجــديدة على حسب مقتضيات طبيعة الأرض لا على حسب ما يريد .

ولقد كان من الجلى الواضح أن فكرة النزوح من العاصمة القديمة قد دبرت من قبل بزمن ، وذلك أنه على الرغم من أن كل ما كان يحتاج إليه لإقامة هذه المدينة

---

(١) راجع : Peet and Woolly, "The City of Akhenaton, I, P. I ff.

هو اللبن والأيدى العاملة الوفيرة حتى يتمكن الفرعون من أن يبنى المدينة بسرعة تفوق الوصف، فإنه كان لابدّ من إنفاذ هذا العمل الضخم فى مدّة لا تقل عن سنتين على أقل تقدير ليتسنى له أن يجهـز على وجه السرعة المساكن اللازمة لكل بلاطه وكل مصالح الحكومة . وقد اشترك الملك وزوجه «نفرتيتى» فى وضع تخطيط المدينة. وقد احتفل بهذا الحادث احتفالا عظيما، وسجل الفرعون ذلك على لوحات الحدود التى أقامها فى حرم مدينته المقدّسة، وما أبقت الأيام عليه من هذه اللوحات أربع عشرة لوحة سجل على واحدة منها مايأتى :

" السـنة السادسة (١) ، الشهر الرابع من الفصل الثانى ، اليوم الثالث عشر (!) (يلى ذلك مديح الملك وألقابه وألقاب الملكة) " فى هذا اليوم كان الملك فى سرادق من نسيج أمر جلالته بصنعه : (له الحياة والصحة والعافيـة) ، فى « إخناتون » واسمها « أفق آتون » . وقـد زار جلالته فى عربته العظيمة المصنوعة من الذهب مثل « آتون » عندما يشرق فى الأفق، وملأ الأرضين بجماله، وذلك لما بدأ السير فى طريقه إلى « إخناتون » عندما قام جلالته بأوّل جولة فيها (له الحياة والصحة والعافية) ليؤسسها أثرا لآتون ، وذلك على حسب أمر والده « آتون » معطى الحياة إلى أبد الآبدين ، ولأقوم له بعمـل أثر فى وسطها . ولقد أمر الواحد (الملك) أن تقدم قربات عظيمة من الخبز والجعة والثيران ، والعجول ، والماشية والطيور ، والخمر ، والذهب والبخور وكل الأزهار الجميلة ، وفى هذا اليوم أسست « إخناتون » لآتون الحى حتى يمنح الملك « إخناتون » الحظوة والحب " . (راجـع Davies, Ibid. Vol. V, P. 32. و يوجد قبالة « إخناتون » على الضفـة الغربية للنيـل جون آخر يقع بين النيل وسلسلة جبال صحـراء « لو بيا » يحتوى على مساحة عظيمة من الأرض الزراعية يشقها الآن « بحر يوسـف » ولقد أضافها « إخناتون » إلى حرم مدينته المقدسـة إذ بدونها يسـتحيل على المدينة أن تحافظ على كيانها ، و بذلك أصـبح طول المدينـة نحو ثمانيـة أميال شمالا وجنو با ، وعرضهـا يتراوح بين اثنى عشر

---

(١) راجع ما قاله و يجول عن هـذا التاريخ فى كتاب Weigall, "Life and Times of Akhenaton", P. 82; Schafer, "Die Anfange der Reformation Amenophis des IV", in Sitzungsberichte der Preussischen Akademie der ("Wissenschafien", XXVI, (1919) P. 477. ff. .

وخمسة عشر ميلا شرقا وغربا ، وقد أقام الفرعون سلسلة من اللوحات العظيمة نحت فيها صورة للملك والملكة وأسرتهما وهم يتعبدون جميعا للإله « آتون » ، كما نقش عليها كذلك تفاصيل عن هذا الإقليم المقدس ، وقد أقيمت هذه اللوحات فى الشمال والجنوب والشرق والغرب عند المواقع الهامة حتى لا يجهل إنسان حدود الأراضى المقدسة للإله الجديد . وهاك النقش :

"إنه يمين الصدق الذى أحلف به [وهو اليمين الذى لن أقول عنه إنه كاذب إلى أبد الآبدين] إنها لوحة بلدة « إختاتون » وهى التى اتخذت عندها محطا ولن أتخطاها من جهة الجنوب أبد الآبدين ، وأقمت اللوحة الجنوبية الغربية مقابلة لها تماما على الجبل الغربى لإختاتون .

أما اللوحة الوسطى التى عليها جبل « إختاتون » . الشرقى فانها لوحة (إختاتون) وقد أقيم عندها محط ، ولن أتخطاها شرقا أبد الآبدين . وأقمت اللوحة التى فى الوسط على الجبل الغربى « لإختاتون » مقابلة لها بالضبط .

أما اللوحة الشمالية الشرقية « لإختاتون » التى جعلت منها محطا فهى اللوحة الشمالية لإختاتون فلن أتعداها منحدرا فى النهر أبد الآبدين ، ولقد أقمت اللوحة الشمالية الغربية التى تقع على جبل إختاتون الغربى مقابلة لها بالضبط .

أما مدينة « إختاتون » فإنها تمتد من اللوحة الجنوبية حتى اللوحة الشمالية ، ويبلغ طول ما بين اللوحتين على جبل « إختاتون » الشرقى ستة آتر ونصف ، وربع خت (١) وأربعة أذرع . وكذلك من لوحة إختاتون الجنوبية الغربية حتى اللوحة الشمالية الغربية فى الجبل الغربى لإختاتون تبلغ ستة آتر ونصف ربع حكى وأربعة أذرع بالضبط أيضا . والمساحة التى تقع بين هذه اللوحات الأربع من الجبل الشرقى إلى الجبل الغربى هى « إختاتون » نفسها وهى ملك الأب « حور آتون » بما فيها من جبال وصحارى ومراع ، وجزر وأرض عالية ومنخفضة وماء وقرى ورجال وحيوان وأحراش وكل الأشياء التى سيأتى بها والدى «آتون» إلى الحياة إلى أبد الآبدين ، ولن أهمل هذا اليمين الذى أخذته على نفسى لوالدى « آتون » أبد الآبدين ، بل سيوضع على لوحة من الحجر تكون بمثابة حدود جنوبية شرقية ، وكذلك بمثابة حدود شمالية شرقية لإختاتون ، كما سيوضع على لوحة من الحجر بمثابة حدود جنوبية غربية وكذلك بمثابة حدود شمالية غربية « لإختاتون » . ولن تمحى ، ولن تزال ولن تزاح ، ولن ترجم بالحجارة ، ولن يقضى

---

(١) خت = ١٠٠ ذراع (راجع Gardiner, "Egyptian Grammar", P. 199.

عليها وإذا حدث أنها فقدت أو أتلفت ، أو سقطت اللوحة التى كانت عليها فانى سأجددها ثانية فى المكان الذى كانت فيه " (Ibid. P. 33.) مما سبق يتضح أن العاصمة الجديدة كانت مركزا مقدسا « لعبادة آتون » حُرّم دخول أى شىء دنيوى فيه فكان لها من القداسة ما « للمكة » و « بيت القدس »؛ ويلحظ فى الفقرات التى اقتبست من لوحات الحدود أنه قد ذكر يمين جاء ذكره فى اللوحات التى عملت فى العهد الأول من حكم هذا الملك : " لن أتجاوز حدود لوحة « إختاتون » من الجهة الجنوبية ، كذلك لن أتجاوز لوحة « إختاتون » من الجهة الشمالية " .

وقد رأى البعض فى هذه العبارة أن الملك قد أخذ على نفسه المواثيق بأن لا يبرح حدود هذه البلدة طيلة حياته ، ولا شك فى أن الألفاظ قد تحمل هذا المعنى ، وقد تعنى أنه لن يتعدى حدود هذا البلد لأنها ملكه الخاص ، والأخذ بهذا المعنى يبرره ما جاء فى المتن المطوّل الذى جاء بعد : "لن أتجاوز لوحة « إختاتون الشمالية نحو الشمال لأقيم فيه « إختاتون »" . أى أن ملك « آتون » يبقى فيها وحسب ، ولن يزاد فيها ظلما فى أى جهة من جهاتها ، والواقع أن هذا المعنى أنسب من المعنى القائل : إن « إخناتون » أراد أن يحبس نفسه بين جدران مدينته المقدسة طول حياته ، ويترك مملكته ترعى نفسها بنفسها . حقا كان « اخناتون » متعصبا ولكنه لم يكن مأفونا كما يعتقد بعض نقاده ، ولا نزاع فى أنه أهمل أمر امبراطوريته فى الخارج كما سنرى بعد ولكن السبب فى ذلك أنه كان يعلم أنه لن يتسنى له ذلك إلا بالحرب التى كان يكرهها من أعماق قلبه . على أن عدم قيام ثورات فى داخل مصر نفسها لأكبر دليل على أنه لم يتهاون فى واجباته التى يفرضها عليه الملك كما يعتقد بعض المؤرخين .

ولقد كان اختيار موقع « اختاتون » من عمل الملك نفسه كما أن فرحه بتأسيس مدينته المقدّسة كان عظيما جدّا وقد أوضح لنا ذلك فى لوحات الحدود الأولى : " لقد وقف جلالته أمام الأب « حورآتون » وأضاء عليه آتون بالحياة وطول العمر ومقويا جسمه كل يوم" . وقال جلالته : "آتونى بأصحاب الملك الوجهاء العظماء وضباط الجنود ... فى كل البلاد"

ولقد أتى بهم إليه فى الحال فسجدوا على بطونهم أمام جلالتـه وقبلوا الأرض خضوعا لإرادته وقال لهم جلالتـه : " انظروا « اخناتون » التى يريد « آتون » أن أجعلها له أثرا باسم جلالتى أبديا ، وإن « آتون » والدى الذى أتى بى إلى « اخناتون » فلم يقدنى إليها شريف قائلا إنه يجدر بجلالته أن يقيم « أفق آتون » (اخناتون) فى هذه البقعة ، لابل انه « آتون » والدى الذى أرشدنى اليها لأجعلها له « أفق آتون » وعليه سأقيم « اخناتون » لآتون والدى فى هـذه البقعة ولن أتخـذ له « اخناتون » جنوبها ولا شمالها ولا غربها ولا شرقها : ولن أتجاوز حدود لوحة « اخناتون » الجنوبية نحو الجنوب ولن أتجاوز حدود لوحة « اخناتون » الشمالية نحو الشمال لأقيم له فيها « اخناتون » وكذلك لن أقيمها له فى الجهة الغربية «لاخناتون» بلى ولكن سأقيم « اخناتون» لآتون والدى فى الجهة الشرقية وهو المكان الذى أحاطه لنفسه بالصخر وسأقيم له معبدا فى وسطها حتى يتسنى لى أن أقدم له فيه القربان (١) . هـذه هى « اخناتون » ولن تقول لى الملكة : انظر ، يوجد مكان آخر لاخناتون فى جهة أخرى واستمع لما تقول ولن يقول لى أى شريف من القوم الذين فى الأرض : انظر إنه يوجد مكان طيب « لاخناتون » فى جهة أخرى واسمع لهم سواء أكان ذلك المكان فى الشمال أم فى الجنوب أم شرقا أم غربا ، ولن أقول سأهجر « اخناتون » أو سارع عنها وأقيم « اخناتون » فى ذلك المكان الآخر الطيب أبد الآبدين . بلى ولكنى قد أسست « اخناتون » هذه للإله « آتون » وهى التى رغب فيها بنفسه والتى فرح بها أبديا» . وبعد أن يعدد الملك المعابد المختلفة والمقاصير التى عقد النية على إقامتها « لآتون » فى مدينته الجديدة يصرح المـلك بتصريح له رنة أسى فى النفس منقطعـة النظير حينما يذكر الإنسان كيف أن النهاية التى كانت يتنبأ لنفسه بها قد جاءت على عكس تنبئه « وسينحت لى ضريح فى الجبل الشرقى ويحتفل بدفنى فى الأفراح العديدة التى أمر بها والدى « آتون » وكذلك سيحتفل بدفن الملكة زوج الملك الشرعيـة « نفرتيتى » فى تلك السنين العدة ... كذلك سيحتفل بينت الملك «مريت آتون» فيما بعد سنين عدة ، فسيؤتى بى وأدفن فى « اخناتون » وإذا ماتت كذلك الملكة « نفرتيتى » فى أية بلدة فى الشمال أو الجنوب أو الغرب أو الشرق بعد سنين يخطؤها العد فإنه سيؤتى بهـا وتدفن فى « اخناتون » وإذا ماتت بنت الملك « مريت آتون » فى أية بلدة فى الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب فإنه سيؤتى بها وتدفن فى «إخناتون» . ولا يسـع المرء هنا إلا أن يقرن بين النهاية المرجوة والنهاية التى لاقاها بعـد موته فبدلا من أن يدفن بإقامة الأفراح

---

(١) راجع : Sandman. Text From the Time of Akhenaton P. 106, and Davies, Ibid, P. 29.

والاحتفالات الضخمة التي تليق بمقامه وهي التي تنبأ لنفسه بها في « اختاتون » مدينته المقدّسة التي أحبها بكل قلبه نجد أنه قد قذف به في قبر دنس من مقابر وادي الملوك في «طيبة» تلك المدينة التي كان يمقتها من أعماق قلبه . ولعمري فإن ذلك لمثل من الأمثلة القليلة التي سخر فيها القدر ولعب فيها دوره المعكوس بين الحقيقة والنبوءة .

وليس لدينا من النقوش مايدل على الشجار الذي قام بين « اخناتون » وكهنة « آمون » إلا جملة في لوحة من لوحات الحدود الأولى . وهي تظهر لنا بجلاء روح البغضاء المريرة التي كان يشعر بها هـذا الفرعون حتى وهو في وسط السرور الذي كان ينعم به من عمله الجديد فيذكر لنا المقابلة السيئة التي قوبلت بها تعاليمه على يد من يعلمون الناس الصدق . كذلك يشير إلى الصراع الذي قام بين هؤلاء الكهنة وبين جده « تحتمس الرابع » : إني أقسم بحياة والدي « حور آتون » ... الكهنة ، كانوا أشد إثما من الأشياء التي سمعتها حتى العام الرابع ، وأشد ضررا من الأشياء التي سمعتها في عام ... أشد ضررا من الأشياء التي سمعها « منخبرورع » تحتمس الرابع ... في فم العبيد ، وفي فم أي قوم ... والأشياء الفظيعة التي سمعها « تحتمس الرابع » وقد سبق الكلام عنها لأنه كما ذكرنا من قبل قد حارب كهنة « آمون » وأخضعهم على يد « حور محب » .

أسرة إخناتون : ويلحظ هنا أن أسرة « اخناتون » كانت تتألف قبل بناء هذه المدينة من الملك و «نفرتيتي» ثم الأميرة «مريت آتون» وفي خلال المدة الواقعة بين تخطيط « اختاتون » والانتقال إليها ولد له بنتان أخريان ، وهما « مكت آتون » و « عنخس إن با آتون » .

وتدل كذلك الآثار على أنه رزق ابنة رابعة اسمها « نفرنفرو آتون تاشيري » ونحن نعلم أن الأولى قد تزوجت من « سمنخكا رع » خليفة « اخناتون » غير أننا لم نسمع عنها شيئا قط بعد وفاة زوجها الذي لم يحكم أكثر من ثلاثة أعوام ، أما الثانية

« مكت آتون » فقد ماتت قبل والدها وقبرها معروف فى « تل العمارنة » ؛ والثالثة وهى « عنخس إن باآتون » كما نعلم قد تزوجها « توت عنخ آمون » الذى ولى العرش بعد « سمنخكارع » و بعد وفاته تزوجها « آى » ليتمكن من الجلوس على العرش ، إذ كانت بطبيعة الحال الإبنة الباقية لإخناتون ، ولكن الكشوف الحديثة قد أماطت لنا اللثام عن حادث غريب فى حياة هذه الأميرة ووالدها « إخناتون » فقد دلت الآثار على ما يحملنا على الظن بأنها كانت قد تزوجت من والدها قبل أن تتزوج من « توت عنخ آمون » وأنها كذلك قد رزقت منه ابنة سمتها باسمها وميزتها عنها بلقب « الصغيرة » .

فقد عثر على قاعدة تمثال منقوش عليها (... سيدة كل الأرض ، الزوجة الشرعية للفرعون ، التى يحبها ، وسيدة الأرضين ، (الجمال الفائق) لآتون (نفرتيتى) ... بنت الملك من صلبه التى يحبها « عنخس [با] آتون » والتى ولدتها زوجة الملك (الجمال الفائق) لأتون . هنا نجد أن طغراء الملك قد محى فى كلتا الحالين ، والظاهر أنه كانت توجد على هذه القاعدة مجموعة مؤلفة من الملك والملكة وأولادها أو على الأقل الملكة و بنتها « عنخس إن ــ با ــ آتون » وكان هذا التمثال بالقرب من القصر الملكى الرئيسى . وهذا المحو له أهمية عظمى فقد محى اسم الملكة حبا فى بنتها « مريت آتون » فى قصر « ماروآتون » وكذلك على التمثال الذى نشره « شارف » . أما قاعدة التمثال هذه فهى الأولى من نوعها وفيها اسم « عنخس إن ــ با ــ آتون » وفيها محى اسم أمها و يظن « جرفث » أن كلا من « مريت آتون » و « عنخس إن ــ با ــ آتون » قد أصبحت ملكة على البلاد بعد طرد والدتها أو موتها لتكون هى الملكة الوحيدة ، ولكنا من جهة أخرى نعلم أن « مريت آتون » قد تزوجت من « سمنكارع » وكذلك كانت تسمى أكبر بنات الملك ، وليست تحمل لقب ملكة ، ويظن مستر « ديفز » أن الملكة قد انضمت إلى صفوف الأعداء فى « طيبة » وتسمت باسم « نفرنفرو » [آمون] ، ولكن أليست هذه هى

« نفر نفرو آتون تاشرى » البنت الرابعة « لإخناتون » ، وقد ادّعت لنفسها الصفة الملكية فى أزمة من الأزمات . ولكن الغريب فى قاعدة هذا التمثال أن « عنخس إن با آتون » قد محت اسم والدتها وصلتها بها . ومن ذلك نعلم أن من الجائز جدا بل من المحقق أنها تزوّجت من والدها كما جاء فى نقوش الأشمونين ، فقد عثر على أجزاء من معبد « الأشمونين » الذى بناه « اخناتون » فى هذه الجهة وفيها أن الأميرة الملكية « عنخس إن با آتون » قد رزقت بنتا اسمها « عنخس إن باآتون » (عنخس إن با آتون . تاشرى) وذلك مما يثبت الرأى القائل إن « إخناتون » لم يتول الملك وهو لم يبلغ الحلم بعد ، من أجل ذلك لا بدّ أن ابنته الثالثة « عنخس إن با آتون » قد ولدت فى السنة الرابعة أو الخامسة من حكمه وأقدم صورة لهذه الأميرة وجدت على لوحة من لوحات الحدود فى السنة السادسة ، ومن جهة أخرى نعلم أن « اخناتون » قد حكم على الأقل ١٨ سنة ، وأن البنات كنّ يصلحن للزواج فى سنّ مبكرة ويحملن ، ولذلك فإنه من الممكن أن هذه الأميرة قد تزوّجت فى سن مبكرة ، ورزقت ابنة اسمتها باسمها ، وتدل كل الأحوال على أن « اخناتون » هو والد الأميرة الصغيرة (A. Z. Vol. LXXIV, P. 104 - 108).

أما ابنته الصغيرة « نفر نفرو آتون تاشرى » فلا نعلم عنها شيئا ، وكل ما نعلمه أن أحد خطابات « بورا بور باش » ملك بابل أرسل خطابا للفرعون «إخناتون» نفهم منه أن إحدى بنات الفرعون كانت زوجة لأحد أولاد هذا الملك ، ولكنها كانت تسكن فى قصر والدها ، ولا بدّ أن هذا الزواج كان بالوكالة ، ولم يكن بين بنات الفرعون وقتئذ ابنة فى سنّ الزواج إلا كبراهن ، ونحن نعلم أنها تزوّجت « سمنخكارع » ، فمن المحتمل أن هذا الأمير البابلى قد تزوّج من إحدى صغيرات بنات الفرعون ولكنه فى الوقت نفسه أبقاها عند والدها ، وقد أرسل بهذه المناسبة ملك «بابل» للأميرة زوج ابنه (١) عقدا من الأحجار الثمينة يبلغ عدد

(١) راجع : Baikie, "The Amarna Age", P. 277; Weigall, Ibid, P. 195, غير أنه الخطاب المشار اليه (رقم ١٠) لا يذكر لنا شيئا عن هذا الزواج .



الصورة رقم (١٥) أسرة « إخناتون »

حياته ١٠٤٨ حبة وقد حرص هذا العاهل أن يعدّ حبات هذا العقد حتى لايسرق منه شيء فى أثناء الطريق، ومن المحتمل جدا أن هذه الأميرة هى « نفر تفرو آتون » (Mercer, "Tell el Amarna Tablets", No. 10, 41 ff.) هذا وتدل الآثار على أن « اخناتون » كان له بنتان أخريان وهما « نفر نفرورع » و « ستب إن رع » (L. D. III, Pl. 99.) .

وهنا نلحظ أن « اخناتون» لم يتمسك فى أخريات حياته بإضافة إسم « آتون» إلى تركيب أسماء بناته ، كما فعل من قبل . وذلك يدل على أنه لم يكن متعصبا للفظة « آتون » فى آخر حياته كما كان يحرص عليها عندما نقل الحكم إلى «إخناتون» مباشرة ، فهل يفهم من ذلك أنه رأى تعصبه لإلهه قد جر عليه المتاعب ، وأثار الفتن فارتدّ إلى التسمية القديمة « رع » وهى التسمية التى ألفها الشعب منذ فجر التاريخ، وبذلك أرضى نفسه، وأرضى شعبه؟ إنها لسياسة رشيدة ومحكمة جدا، وبخاصة إذا علمنا أن « سمنخارع » بعد أن اشترك مع « إخناتون » فى الحكم عاد إلى « طيبة » وأخذ فى تهدئة الحال مع كهنة « آمون » . وقد وجدنا له قصيدة فى مدح « رع » بين آثار « توت عنخ آمون » التى اغتصبها الأخير منه .

وصف مدينة إخناتون : وفى السنة الثامنة من حكم « إخناتون » وجدنا أن نقل البلاط قد نفذ تماما وأصبحت « إخناتون » العاصمة للملك . وهذه الحقيقة قد قررت بعبارة خاصة ظهرت فى كثير من لوحات « تل العمارنة » وهى كما يأتى : "وهذا اليمين (الخاص بالحدود) قد كرر فى السنة الثامنة فى الشهر الأول من الفصل اليوم الثامن فقد كان عرش الملك فى « إخناتون » والفرعون [له الحياة والصحة والعافية] قد وقف ممتطيا عربته العظيمة المصنوعة من السام يفحص لوحات الإله «آتون» التى أقيمت على الجبل بمثابة الحد الجنوبى الشرقى للدينة « إخناتون » و يعد تجديد هذا اليمين بمثابة الخطوة الرسمية النهائية لنقل مقر الملك . وعلى ذلك يكون العمل فى تأسيس العاصمة قد بدئ فى العام السادس ، وانتهى فى العام الثامن .

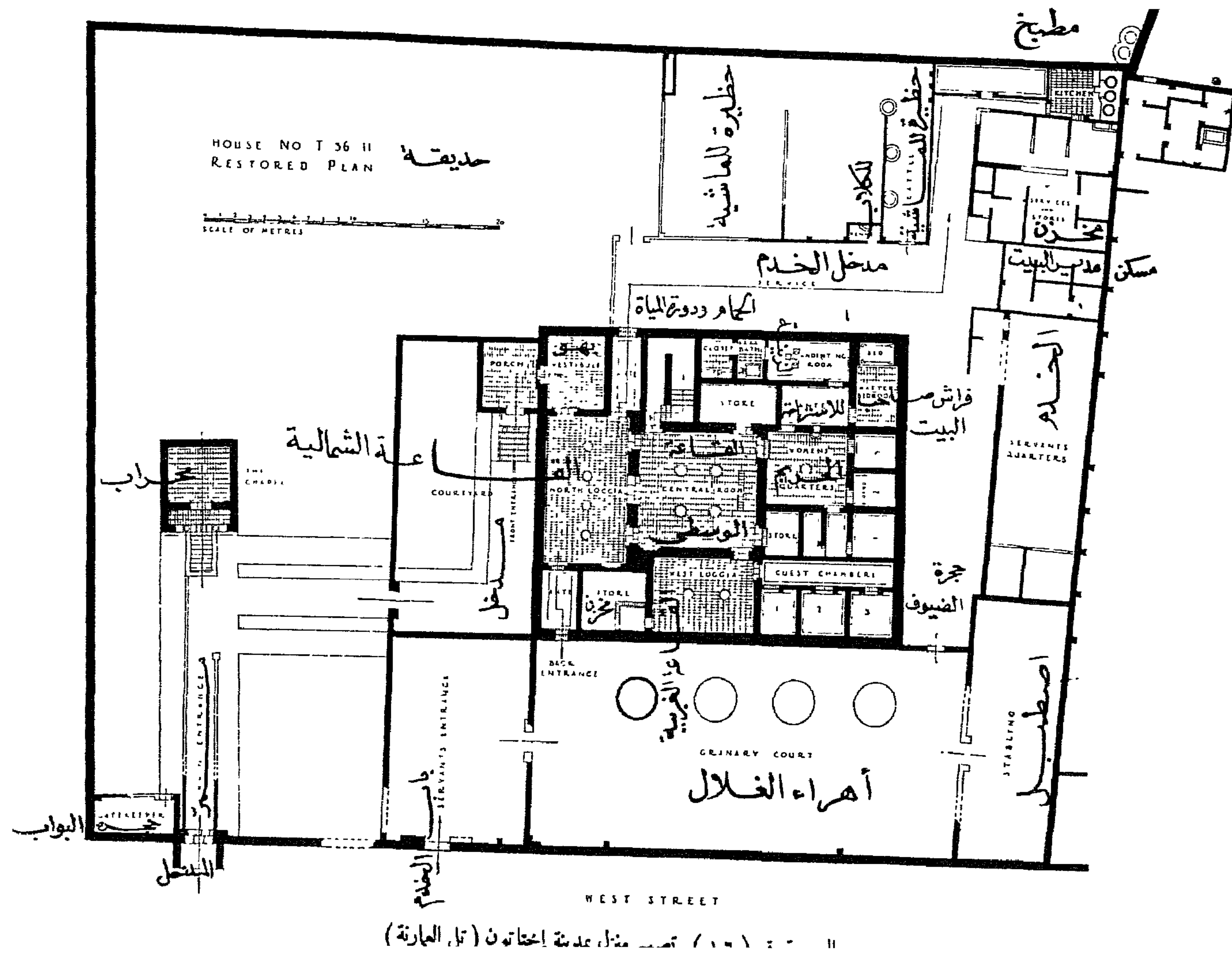
ويرجع الفضل فى كشف النقاب عن تخطيط البلد القديم إلى البعثات الألمانية والإنجليزية التى حفرت هذه البقعة حفرا علميا منظما .

تكلمنا فيما سبق عن مميزات مدينة « إختاتون » من حيث الطول والعرض ، وعن السبب الذى دعا إلى تخطيطها على هـذا النحو . فهذه البلدة العظيمة الطول الضيقة العرض قـد وضع تصميمها بشكل منسجم لا بأس به وكانت تخترقها من الشمال إلى الجنوب ثلاثة شوارع رئيسية تقاطعها فى زوايا قائمة شوارع أخرى تخترقها من الشرق إلى الغرب وخلافا لهـذا النظام المستطيل الشكل لم يحاول المهنـدس واضع التصميم إيجاد انسجام فى وضـع المنازل التى كانت تختلف اختلافا عظيما من حيث التخطيط ؛ والظاهر أن فكرة تخطيط مدينة على طراز ممتاز لم يدر بخلد مهندسى « مدينة الأفق » وذلك على الرغم من أنه كانت أمامهم قطعة أرض أخرى بكر يمكن تخطيطها على طريقة هندسية دقيقة . وربما يرجع السبب فى ذلك إلى السرعة التى كان يتطلبها إنجاز المـدينة وإعدادها ، وكذلك حال هذا بين تقسيم رقعـة المدينة إلى حى مساكن عمال ، وآخر لمساكن علية القوم والموظفين ، فالتصميم الذى لدينا يدل على أن المساكن قد خططت دون مراعاة توزيعهـا إلى مجاميع منسجمة ، فبينا نرى منزل شريف بفخامته وسعة أرجائه نجد منزلا حقيرا لعامل أو صانع قد لاصقه حتى ليخيل للإنسان فى أيامنا أنهـا خططت لتكون بلدة ديمقراطية ، فالكاهن الأعظم يقيم فى محاذاة صانع الجلود ، والوزير بجوار صانع الزجاج ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن عظماء القوم عندما حلوا بالمدينة استولى كل منهم على قطعة عظيمة من الأرض ليقيم فيها قصره ، ولكنه بعد أن أخذ ما يكفيه لبناء بيته تخلف بعد ذلك فضاء اتخذه العمال والصناع الذين وفدوا إلى المدينة لبناء منازلهم الصغيرة ، ولم يكن لهم الخيار فى أن يتخذوا أماكن أخرى لإقامة منازلهم لئلا يبتعدوا عن المياه فيصبح نقلها عسيرا عليهم .

ومن المحتمل أن مدينة « إختاتون[١] » المقدسـة لم تكن رائعة فى منظرها لعدم انسجام مجاميع البيوت التى تتألف منها إذا قيست بالمـدن الحديثة ، غير أن عدم

---

(١) راجع عن هذا الفصل Peet and Woolley, "The City of Akhetaton", P. 1 ff.



تصميم منزل بمدينة إخناتون (تل العمارنة)

التكافؤ هـذا فى المبانى كان يعطيها بهجة خاصـة وهى بهجة التناقض و بضدّها تتميز الأشياء فإذا تصوّر الإنسان قصر الرجل العظيم بما فيه من أبهة وفخامة ، وما يحيط به من عظمة و بهـاء ثم يرى فى الوقت نفسه كوخا حقيرا لعامل وراء جدران هذه الحديقة ، بدا الكوخ كأنه عش طائر صغير فى أصل شجرة باسـقة وارفة . والواقع أن قصور العظماء كانت منازل فسيحة الأرجاء بمـا فيها من ردهات زينت جدرانها وأرجاؤها بمـا ينم عن ذوق سليم ، هـذا إلى حجرات عدّة للسكن والنوم جهزت بحمامات عظيمة ودورات ميـاه وقد كان حجم البيت المتوسـط من الطراز الأنيق فى تلك المدينة المقدّسة يتراوح بين ٦٥ إلى ٧٠ قدما مربعا .

وقد عثر أخيرا على بعض منازل أمكن لأحد المهندسين أن يكوّن منها فكرة صحيحة عن البيت فى عهد إخناتون وسنفصل القول هنا بعض الشىء فى وصف هذا البيت ومحتو ياته ليأخذ القارئ فكرة عن البيت فى عهد الأسرة الثامنة عشرة على وجه عام .

البيت المصرى فى عهد إخناتون

تدل شـواهد الأحوال على أن البيت المصرى فى عهد الفرعون « إخناتون » كان غاية فى الأناقة وحسن الذوق والتنسيق الصحى البديع . وقـد استطاع أحد المهندسـين أن يضع أمامنا صـورة حية لبيت من البيوت التى كشف عن بقاياها فى مدينة إخناتون المعروفة الآن بتل العمارنة .

والبيت الذى سنصفه هنا يقع فى الضاحية الشمالية من المدينة المذكورة و يعـدّ من أجمل البيوت وأفخمها . وتدل الآثار على أنه كان مؤلفا من طابقين .

فهذا البيت وما يتبعه من حديقة وملحقات قـد سوّر بجدار عال يكتنفه من جانبين شارعان ومن الجانبين الآخرين ضياع رب المنزل ، و يقع المدخل العمومى لهذا البيت على شارع وقـد أقيمت فى أوّله حجرة حارس البيت وتحتوى على مقعد وموقـد مسطح . أما المدخل نفسه فيتألف من برجين أنيقين يكتنفانه و يعلوهما (كرنيش) محلى برسوم على هيئة جريد النخل ، وقد لوّن مصراعا بابيه باللون القرمزى .

وبعد اجتياز الإنسان هذا المدخل بقليل يستقبل طريقا زينت جانباه بصفين من الأشجار الصغيرة غرست فى أحواض مملوءة بغرين النيل الخصب، وفى نهاية هذه الطريق يجد الزائر أمامه محرابا صغيرا على هيئة معبد قد أقيم على رقعة من الأرض مرتفعة بعض الشيء يرقى إليه الإنسان بسلم ذى درج . والجزء الأوسط من هذا المحراب عارٍ من السقف وذلك تمشيا مع شعيرة عبادة الاله « آتون» الذى يمثل فى قرص الشمس المشرق . أما قاعة عمد هذا المحراب فيزينها سقف جميل . وعند الفراغ من تقديم فروض العبادة فى المحراب يتجه الزائر نحو ردهة داخلية يصل إليها بطريق تقع على محور زاوية قائمة مع المحراب نفسه . وهذه الردهة تؤدّى إلى البيت بوساطة مدخل له خارجة بارزة وبابه ملون بالألوان الزاهية ، وكتب اسم صاحب البيت وألقابه بالخط الهيروغليفى على عارضتى الباب المصنوعتين من الحجر، وكذلك يوجد للبيت باب آخر خاص بالتجار وأصحاب الحاجات،ويقع على الطريق العامة . ويؤدّى إلى ساحة عامة نصبت فيها مخازن الغلال المفعمة بالحبوب المكدسة فى صوامع مخروطية الشكل وتشبه من كل الوجوه الصوامع التى يخزن فيها الفلاحون غلالهم إلى يومنا هذا فى ريف مصر وصعيدها .

وقد خصص القسمان الجنوبى والشرقى من هذا المبنى العظيم لاصطبلات الخيل ومساكن الخدم والمطبخ وحظائر الماشية وغير ذلك .

الإصطبل : يتألف الاصطبل من رقعة مرصوفة من الأرض تسع ثمانية جياد لكل منها مذود ومربط مصنوع من الحجر ومثبت فى أصل الطوار وخلف هذه المذاود ممر ليوضع فيه علف الخيل ، ويصل إليه الإنسان من الخارج ولا شك أن إنشاء الإصطبلات بهذه الصورة يعدّ حديثا . ويلحق بهذا الاصطبل حجرة طويلة خصصت لصيانة سرج الخيل ولجمها الخ، هذا مع وجود مكان صغير لتحفظ فيه عربة صغيرة من الخشب وآخر لتحفظ فيه فضلات الخيل .

قسم الخدم : ويشتمل القسم الخاص بالخدم على حجرة كبيرة ذات خارجة صغيرة مثبتة فى مدخلها و يرتكز سقفها على عمد مربعة من اللبن .

المطبخ : ويتألف من مسكن رئيس الطهاة أو مدير البيت . وهو مبنى على نمط حجر البيت الرئيسية ولكن بحجم مصغر . أما المطبخ نفسه فيتألف من صف أفران تماثل بالضبط أفران الخبز التى نشاهدها فى قرى الريف الآن، ويتصل بهذا المطبخ حجرة أخرى بنى فيها رف لما يخزن ولتقديد الخبز . هذا إلى حجرة أخرى ثبتت فيها لوحة مبطنة بالأسمنت كانت تستعمل لخلط العجين وتجهيزه . وأقيمت خلف البيت كذلك حظائر الماشية وفناء متوسط الحجم فيه وجران للكلاب . وبجوار المدخل المعد لخدام البيت بئر قريبة الغور يوصل إليها بدرج حلزونى للسقاية أما الركن الشمالى الشرقى من هذه الضيعة فقد هيئ ليكون حديقة منظمة ليتمتع بها صاحب البيت وأسرته .

البيت : أما البيت نفسه فكان يتألف من قاعة رئيسية مرتفعة عن باقى حجرات تحتل وسط البيت مضاءة بنوافذ ، وحجرات أخرى خارجية مضاءة من الجوانب . والواقع أن حياة الأسرة تتركز فى هذه القاعة ذات العمد القرمزية اللون والأبواب الملونة؛ لأنها متصلة بالحجرات الخاصة الأخرى ، وكذلك تتصل بقسم الخدم الواقع فى الجهة الجنوبية وبالسلم الذى يؤدّى للدور العلوى فى الجهة الشرقية، هذا فضلا عن أنها تؤدّى إلى القاعتين الشمالية والغربية . وهكذا عندما يتخطى الزائر الباب تواجهه القاعة الشمالية وهى حجرة كانت تستعملها الأسرة عادة عندما تكون حرارة الشمس لافحة فى فصل الصيف ، لها منفذ يوصلها بالمطابخ كما أن لها باب خدم من جهة مخزن الغلال ، والسقف فى هذه الحجرات الواسعة يتألف كل منها من عرق رئيسى فوق الأعمدة ملون بلون زاهٍ وزخرفة ، هذا إلى عروق صغيرة ملونة باللون القرنفلى ، و بين هذه العروق ألواح ملونة بالأبيض . وتوجد فى جدران الحجرة منافذ صغيرة للاضاءة ، وتضم جدران هذه القاعة الشمالية ثلاثة أبواب

تؤدّى كلها إلى القاعة الوسطى العظمى . وأوسط هذه الأبواب يعلوه عتب نقش عليه ثانية اسم صاحب البيت وألقابه . وعندما يخترق الإنسان هذا البـاب يسير بين العمد الأربعة العالية ثم يصل إلى طوار مرتفع بعض الشيء مصنوع من اللبن . وقد فرش بالجلود والطنف حيث كان يجلس صاحب البيت ليدير شئونه أو ليستقبل الضيفان . وهـذه الحجرة تضاء بنوافذ فتحت بالقـرب من السقف ، وصورت فى الجدار المقابل نوافذ كاذبة لتكون المقابلة تامة بين الجدارين . وفى أحد جوانب هذه القاعة وضع حجر للغسيل واسع ومعه إناء يغتسل منه الزائر عند وصوله ، وبالقرب من الطوار وضع موقد على هيئة طبق يوقد فيه الفحم .

أما القاعة القريبة وسلسلة الحجرات الخاصة بالضيفان التى تفتح عليها ، وكذلك حجرات الخزن المختلفة وجميعها تكمل الجزء العام من البيت فإنها صورة مصغرة من القسم الشمالى من هـذا البيت ، وفى الغالب كانت تستعمل فى أثناء فصل الشتاء عندما يكون القسم الآخر من البيت باردا لا تصله الشمس كثيرا .

قسم النساء : والآن لم يبـق أمامنا إلا الجزء الخاص من البيت ويشـمل قسم النساء وحجرة نوم رب البيت وكلها مجتمعـة حول حجرة صغيرة مربعة داخلية كانت مستعملة للجلوس .

ويلاحظ أن النساء والأطفال كانوا يسكنون على ما يظهر فى ثلاث حجرات صـغيرة ، أما رب البيت فكان يحتل حجرة فسيحة بملحقاتها الفخمـة التى لا تقل فى نظامها وحسن ترتيبها عما نجده فى فندق حديث . إذ نشاهد حجرة نومه التى كان يصل إليها من باب قاعة الجلوس قـد صنعت فيها كوّة مرتفعة بعض الشىء عن سطح الحجرة لتحتوى سريره . ويلاحظ أن السرير كان مرفوعا فوق أربع قطع من الحجر ، وكذلك نشاهـد بابا آخر فى حجرة الاستقبال مؤدّيا إلى حجرة التعطير والزينة وقد عثر فيها على قطعة من الأثاث مؤلفة من ثلاث أوانٍ مقطوعة فى حجر واحد . ولا تزال واحدة منها تحمل بقايا بلورات تشبه أملاح الحمام ، ومقعد من الحجر كان

يجلس عليه رب البيت فى أثناء تعطيره . وخلف هذه الحجرة نجد حماما لرش الجسم (دش) مبنيا من الحجر الجيرى كان يقف فيه رب البيت فى حين يصب عليه الماء عبد من خلف جدار حاجز مبنيا . ويلى هذا الحمام كنيف يرى فيه المقعد الحجرى المثقوب الذى كان يجلس عليه لقضاء الحاجة ويكتنفه حوضان مملوءان بالرمل، وكان لا يزال فى واحد منهما إناء من الفخار . وكانت حجرة التعطير والحمام والكنيف ملونة باللون الأبيض .

ومما هو جدير بالملاحظة أن جميع أبواب هذا البيت كانت مصنوعة من الخشب وأسكفاتها من الحجر، أما درجات السلم فكانت من اللبن تحميها من التفكك قطع خشب .

ولا شك فى أن الدور العلوى من البيت كان قد أقيم على نظام خاص غير أن معلوماتنا عنه ضئيلة ولا يمكن وصفه بصورة قاطعة؛ ولا نزاع فى أن هذا النظام الذى وجدناه فيما تبقى لدينا من بيوت مدينة إخناتون كان شائعا فى عهد الدولة الحديثة بل ربما كان فى العصور التى سبقته غير أن عوادى الدهر قد قضت عليها جملة .

أما قصر الوزير « نخت » فهو من أجمل أنواع المعمار فى المدينة ، إذ يبلغ حجمه نحو ٩٥ قدما فى ٨٥ قدما . وأما بيوت العمال فقد كانت نسبة حجمها إلى أحجام بيوت علية القوم ضئيلة جدا، فالبيت لا يحتوى على أكثر من قاعة أمامية ، وحجرة استقبال وحجرة نوم ومكان للطهى . وقد كانت جميع بيوت المدينة سواء أكانت لعلية القوم أم لصغار العمال مبنية باللبن ولم يشذ حتى الجزء الأعظم من قصر الفرعون نفسه من ذلك، وهذا النوع من البناء كان يتفق مع رأى المصرى وفلسفته، فيرى أن كل إنسان يجب أن يقيم مبناه لمدة حياته هو، وفق ميوله الشخصية، وعلى حسب ذوقه الخاص فلا يصح إذا أن يفرض على خلفه منزلا مقاما من الحجر الصلب ربما لا يروق فى نظره، هذا فضلا عن أن البناء باللبن يخفف من وطأة حرارة الشمس وبخاصة فى فصل الصيف .

وقد أقام « إخناتون » لنفسه قصرا فى حى المدينة الشمالى على مسافة قليلة جنوبى المعبد الكبير وعلى مقربة من شاطئ النيل . على أن يد الدهر لم تبق لنا شيئا كثيرا من مبانيه حتى أصبح من المتعذر علينا أن نميز حال العمد التى وجدناها فى القاعة العظمى أكانت تتألف حقيقة من عمد أم كانت حوامل أقيمت عليها رقعة حجرة أخرى فوق الطبقات السفلية من القصر . على أن أهم ما يلفت النظر فى هيئة هذا المبنى الضخم الغريب هو حجرة العمد التى يبلغ عرضها ٤٢٨ قدما وطولها ٢٣٤ قدما مما يجعل قاعات القصور الملكية أو غيرها تتضاءل بجانبها ، هذا إذا ما قرناها بمساحة القصر كله الذى كان يبلغ ١٤٠٠ قدم طولا ٤٠٠ أو ٥٠٠ عرضا ، وهذه القاعة تنتظم ٥٤٢ عمودا ، فإذا كانت الأعمدة التى وجدت فيها حقا أعمدتها كانت تلك القاعة فى بهائها تمثل غابة مزدحمة بالأشجار الباسقة . وعلى الرغم من حقارة المادة التى صنعت منها جدران هذا القصر فإن النقوش التى كانت عليها غاية فى الفخامة والروعة . ومما يؤسف له جد الأسف أن رقعة حجرات هذا القصر المزينة بالألوان التى قد أسبغ عليها صانعها قوة طبعية بما وضع فيها من الرسوم الناطقة المنسجمة . وكذلك الزينات التقليدية المدهشة التى كانت تحلى بها تيجان العمد وهى التى أحكم صنعها بزجاج مطلى براق زادها بهجة ورواء — لم يبق منها إلا نتف صغيرة يمكننا أن نستخلص منها ما كان يحدث فى نفس الزائر عند التمتع برؤيتها ، ولا غرابة إذن فى أن يتخيل الانسان أن قصر « إخناتون » كان جنة الله على الأرض ينعم فيها فى هدوء بعيدا عن متاعب طيبة وفتنها وأحابيل كهنتها . وكانت « إختاتون » حافلة بالمعابد المختلفة الأنواع والأحجام ولم يكن الفرعون وحبه لإلهه لينسيه احترام ذكرى أجداده العظام على الرغم من أنه قطع حبل الصلة بينه وبينهم من جهة العقائد الدينية . فقد وجدنا فى المدينة بقايا عدة معابد كانت قد أهديت لملوك الماضى العظام مثل « أمنحتب الثانى » و « تحتمس الرابع » ، وبجانب هذه كانت توجد معابد صغيرة مثل معبد « بيت

راحة آتون » وكانت الملكة « تى » والدة إخناتون تقوم بتأدية الشعائر فيه ، هـذا إلى معبد للأميرة « باك آتون » أخت «أخناتون» الصغيرة ، وآخر للأميرة « مريت آتون » أسنّ بنات الفرعون ويسمى بيت الفرح للاله اتون فى جزيرة اتون الممتاز فى أعياده ، ثم معبد النهر والجوسق المقدّس التابع لرحبة البركة الجنوبية ومعبد «مرو آتون » أى رحبة آتون ، أما معبد الدولة العظيم فكان يغطى على كل ما سواه حجما ونخامة وأبهة . وفى أقصى جنوب سهل « تل العمارنة » وبالقرب من قرية الحوطة يوجد على حسب الكشوف الحديثة حى من أهم أحياء مدينة « اختاتون » وهذا الحى يسمى « مرواتون » أى (رحبة آتون) وهو اسم لا بدّ قـد أطلق على جزء كبير مسوّر كانت تنعم فيـه الملكة كأنه جنة على الأرض فهى تتمتع بالهواء الطلق فى ظلال الحدائق الوارفة التى كان يحبها كل مصرى . هذا إلى قاعة استقبال أنيقة ومعبد صـغير ، والواقع أن حب الطبيعة يتجلى فى كل تعاليم « اخناتون » الدينية ، والظاهر أنه قد ابتدع وسائل المتعة بجمال الطبيعة فى « مرو آتون » وهو ذلك الجمال الذى وهبه إياه إلهه « آتون » فقد أوجد بيئة محفوفة بمتع الحياة ، ومزينة بمناظر الطبيعة التى أوجدها « آتون » ، ليمكنه أن ينتقل فى أرجائها فى أقل من لمح البصر لعبادة خالق كل هذا ، إذ كانت مناظر الطبيعة وملاذ الحياة توجد جنبا لجنب مع المعبد ، وقد كانت « مرو آتون » هـذه مؤلفة من مبنيين محاطين بسور يفصل بعضهما عن بعض جدار ، وتبلغ مساحة المبنى الشمالى وهو أكبرهما ٢٠٠ × ١٠٠ متر ، أما الثانى فتبلغ مساحته ١٦٠ × ٨٠ متر ، ويمتاز المبنى الأصغر بقاعة استقبال ذات عمد وبحيرة من صنع الإنسان ، أما باقى مساحته فالمرجح أنها كانت مزروعة بالأزهار المنسقة والأعشاب النضرة . وقد كان الجزء الأعظم من القسم الأكبر من هذه الجنة يشغله بحيرة مسـتطيلة أو حوض يبلغ مساحته ١٢٠ × ٦٠ مترا وعمقها نحو مـتر وفى نهاية تلك البحيرة من الجهة الغربية أقيم طوار داخل فى المـاء ليكون بمثابة سلم مريح لمن أراد التنزه فى سفينته فى ذلك الخضم المترامى الأطراف ، وقد زينت شواطئ

تلك البحيرة بمبان مختلفة أشكالها ، وكانت مجموعة المبانى التى فى الركن الشمالى الشرقى من البحيرة أهم ما يسترعى النظر والاهتمام ، فعلى الرغم من أنها كانت بمثابة قاعة استقبال فى الجهة الشمالية من البحيرة فإن كهوفها لا بدّ كانت يوما مكتظة بزجاجات الخمر . ويدل على ذلك أختامها المصنوعة من الطين، وهذا لعمرى يبرهن على أن تمتع « اخناتون » بجمال الطبيعة ومفاتنها لم يجعله ينسى نصيبه من ملاذ الحياة الدنيا ومتاعها ، أما أقصى الركن الشمالى الشرقى لتلك الجنة فكان يشغله مبنى مزخرف مما جعله بهجة للناظرين ، والظاهر أنه كان نوعا من الأحواض التى تنمو فيها النباتات المائية على مختلف أنواعها وألوانها ، وجنوب هذا الحوض المائى ذى النباتات الفيحاء تقع عين الناظر على طائفة من أسرة الزهر اليانع، وجنوب هذه يجرى جدول مائى يلتف حولها من الجوانب الأربعة مكونا جزيرة صغيرة كان يصل إليها الزائر من الجنوب بوساطة دهليز معبد مقام على عمد، وله بوابتان ، وينتهى بجسر صغير يمر فوق خندق إلى الجزيرة، وعند مدخل الجزيرة من هذه الناحية يواجه الفرعون جوسقين هما توأمان فى الصورة والتصميم ، وأمام كل منهما أقيمت واجهة ذات عمد غير مسقوفة، وفى نهاية المطاف يصل الفرعون وضيوفه من أصحاب الحظوة عنده إلى سلم معبد صغير أقيم فى منتصف رقعته مائدة وخلفها باب يؤدى إلى جسر آخر يتصل بحديقة النباتات المائية السالفة الذكر .

هذه لمحة عن مفاتن مدينة « إخناتون » الخلابة ، وعلى الإنسان أن يرخى لخياله العنان فيتصور الفرعون وهو عائد مثقل بأعباء مهام الدولة فيطرحها عن نفسه بما سيجده من متاع بين أصدقائه وسماره، وقد ملأ البشر والفرح قلوبهم ، ثم يأخذ بنصيب من مسرات الحياة ومفاتنها قبل أن يأتى اليوم الذى يقصم فيه الأسى والحزن قلبه وتكسر الهموم من حدّة روحه الفتية الوثابة . ولا غرابة فإن كل ما وصفناه هنا من مناظر ومتاع دنيوى هو من مميزات الطبيعة المصرية ، وبخاصة بعد أن سما بها « اخناتون » فى عهد « تل العمارنة » إلى أعلى عليين ،

وهـذا الحب للطبيعة جزء لا يتجـزأ من ديانة « آتون » بل كان فى الواقع ولعـا لا تخبو ناره فى نفســه إلى أن صعدت روحه إلى عالم السماء، مع خالقه « آتون » المشرق فى ربوعه • (راجع Baiki The Amarua Age P. 277) •

وسط المدينة (اختاتون) : أما وسط المدينة فيقع جنوبى المعبد الكبير، وهو يحتوى على المخازن التى بين ضياع الفرعون وبين صفوف بيـوت الكهنة الواقعـة جنوبيها • وجنوب الضـياع الملكية كانت تقوم مصلحة السجلات ، وهى تقـع فى الجزء الغربى للمدينـة وتسمى مكان مراسـلات الفرعون له الحيـاة والصحة والعافية — والظاهر أن مكان هذه الإدارة كان قد أعدّ لكتّاب العمال ، وقد هدم فيما بعد، وحلت محله إدارة السجلات[1] ، وقد أقيمت الجامعة فى المكان الشرقى لهذه الإدارة ، وقـد عثر على لبنات تدل على ذلك ، كما عثر هناك على عدّة « اسـتراكا » كتب عليها قـوائم بأسماء الكتّاب الملكيين ، ويحتمل أنهـم كانوا المحاضرين فى الجـامعة • وفى شمالى السجلات كانت توجد مجموعة إدارات وقـد وجد بعض أبواب هذه المبانى مغلقا باللبنات، وذلك يدل على أن الشك كان يخالج نفوس الموظفين فيما إذا كان الانتقال إلى « طيبة » سيستمر أم لا، ونحن نعلم أن طبقة الفنيين لم يكونوا متأكدين من ذلك ، لأنهم تركوا منـازلهم قابلة للسكنى • وجدير بالملاحظة هنا أن معظم الفخار الإيجى[2] كان من هـذا الجزء من المدينة ، إذ وجد هنـا بكثرة ؛ وكانت المنازل الخاصـة يحتلها الفقراء الذين لم يمكنهم الذهاب إلى « طيبة » •

وفى جنوبى هـذه البقعة صفوف من بيـوت الكتّاب ، وفى الشرق عدّة مخازن، كذلك وجد فى هذا المكان الثكنات العسكرية، وكان فيها جنود المـازوى (القرطة) وكذلك اصطبلات الخيل •

---

(١) راجع : J. E. A. Vol. XXI, P. 136. حيث نجد بحثا عن أسماء مبانى «اخناتون» فى وسط المدينة وكاتبه يعتقد أن الجزيرة تحتوى كل مبانى القصر والمعبد أو بعبارة أخرى تعد مرادفا لوسط المدينة •

(٢) راجع : Pendlebury, J. E. A., Vol. XVI, P. 87 & note 15.

« التــوحيــد »
أقــدم عقيــدة للتوحيد العالمى .

مقــدمة : لقــد أثرت الســلطة الاجتماعيــة التى سادت مصر فى العهــد الإقطاعى تأثيرا كبيرا فى دينها وأخلاقها كما تركت الحكومة المصرية فى عهد الأهرام مثــل ذلك الأثر فى التشريع الســياسى . وكلا الأثرين كان ينحصر فى دائرة القطر المصرى وحده .

والواقــع أن عصر الأهرام لم يجن إلا فكرة مبهمة عن أمــلاك إله الشمس الواسعة ، وقــد خوطب ذلك الإله مرة فى متون الأهرام باللقب الطنان « غير المحــدود » ، وإن كان قــد ظهر فى هذا العصر ما يبشر بنمو اجتماعى عنــد بعض الكتاب النابهين أمثال « بتاح حتب » الذين آمنوا بوجود قيم خلقية عالمية تسيطر على الملك، وتخضع لإله الشمس، وهــذا يدلنا على أن المصريين كانوا قــد بدءوا يسيرون بالفعل فى الطريق المؤدى إلى التوحيد .

وقد كان فى مقدور المصريين وقتئذ أن يتقدموا نحو الوصول إلى المعرفة التامة « بالوحدانية » بما تصوروه من النظام الإدارى الخلق العظيم . وقــد وصل فعلا إلى ذلك رجال الفلسفة واللاهوت الذين أتوا بعد ذلك العصر — لكن على الرغم من ذلك قد بقى هذا النظام الخلق فكرة قومية لم يمتد سلطانها حتى ينتظم العالم كله، فبقى إله الشمس يحكم مصر وحدها، فنراه فى أنشودة متون[1] الأهرام العظيمة يقف حارسا على الحدود المصرية فيقيم هناك الأبواب التى تمنع الأجانب دخول مملكته، ومن قبل كانت قــد بدأت عمليــة إدماج ملوك مصر الآخرين بإله الشمس فصار يحل فى كل شىء، واستحالت الآلهة جميعها من حيث أشكالها ووظائفها إلى وحدة

---

(١) راجع : Sethe, "Die Altagyptischen Pyramidentexte", lines. 1587-1595c; Breasted, "The Development of Religion and Thought", PP. 13 - 14.

واحدة، ولكنها مقصورة على مصر ، ولم تنفذ بعـد من أقطارها حتى تصير إلهـا عالميا واحدا، ولكن اتساع مجـال الفتوحات الأجنبية العظيمة على يد « تحتمس الثالث » فى « آسيا » جعل السيادة المصرية تظلل رقعة من العالم واسعة تمتد من أول الجزر الإغريقية فسواحل آسـيا الصغرى ، ومرتفعات أعالى نهـر الفرات شمالا حتى الشلال الرابع لنهر النيل جنوبا .

ولمـا كان اللاهـوت الشمسى سريع الاندماج بأحوال العـالم فقد انسابت حاسيته زاحفة نحـو الأفق الواسع الذى أصبح تابعـا لمصر فامتـد إجلال الإله وتقديسـه حتى ظلل هـذه الميادين الجديدة التى دانت لمصر بالسلطان . فأثرت الامبراطورية المصرية الواسعة على الفكرة الدينية القديمة وقـد صاحب ذلك تيقظ عقـلى هز التقاليد المصرية القديمة من أساسها . وكان « تحتمس الثالث » الفاتح يعـد أول شخصية تتسم بسمة البطولة العالمية فتأثر بذلك لاهـوت الدولة وأرغمت مصر على الخروج من عزلتها القديمـة إلى الاشـتراك فى العلاقات العالمية التى كان لإله الشمس صلة وثيقة بها .

على أن العلاقات التجارية التى كانت قائمة من قديم الزمان لم تكف لأن تجعل العالم الخارجى الواسع يخضع خضوعا محسا للتفكير المصرى فإن نشاط التجارة كان محصورا من قبل فى تخوم وادى النيل قبل أن يألف المصرى، العالم الخارجى، ولم يكن فى مقـدور المعاملات التجارية وحدها مع عالم أوسع من مصر أن يزحزح تقاليـد البلاد عما كانت عليـه، فكم من تاجر فى « بابل » النائيـة وفى « طيبة » المصرية قـد رأى حجرا يسقط من حالق إلى الأرض ولكنه لم يدرك تلك القـوة الطبيعية قوة الجاذبية تلك القوة التى اهتدى إلى سرها ذلكم الصبى الراقد تحت شجرة التفاح بعد تلك العهود بأمد طويل (نيوتن)؛ وكم من تاجر قد رأى الشمس تبزغ خلف معابد بابل و بين مسلات « طيبة » ولكنه لم يصل إلى كهنها الحقيق، و إذا كان « تحتمس » قـد قال عن إله الشمس (إنه يرى جميع العـالم فى كل ساعة) فإنه

يقصد بذلك تلك السلطة الامبراطورية التى تناولت أولا خيال رجال الامبراطورية المفكرين وكشفت لهم المجال العالمى لممتلكات إله الشمس فى صورة مجسمة ؛ فالتوحيد إذن لم يكن إلا السلطان الامبراطورى فى التدين ، ففى عهد « أمنحتب الثالث » الذى كان من أعظم أباطرة مصر نرى توأمين من رجال العمارة هما « سوتى » و « حور » كانا يعملان فى طيبة لحسابه وقد ترك لنا أنشودة للشمس فوق لوحة موجودة الآن بالمتحف البريطانى توضح لنا مدى ميل ذلك العصر كما توضح لنا المجال الآخذ فى الاتساع الذى كان رجال الامبراطورية يحلمون به مدركين أن مملكة إله الشمس لا حدّ لها فى امتدادها واتساع رفعتها .

وهذه الأنشودة الشمسية تحتوى على أسطر خطيرة المعنى وهى[1] :

إنك صانع مصوّر لأعضائك بنفسك .

ومصوّر دون أن تصوّر .

منقطع القرين فى صفاته مخترق الأبدية .

مرشد (الملايين) إلى السبل .

وعندما تقلع فى عرض السماء يشاهدك كل البشر .

على الرغم من أن سيرك خفى عن أنظارهم .

إنك تجتاز سياحة مقدارها فراسخ .

بل مئات الآلاف وملايين المرات .

وكل يوم تحتك (تحت سلطانك) .

وحينما يأتى وقت غروبك .

تصغى إليك أيضا ساعات الليل .

ولا يكون اجتيازها نهاية كدك .

كل الناس تنظر بوساطتك .

---

(١) راجع : Budge, "Guide to Sculpture" P. 134. No. 475. P. XX.

وأنت خالق الكل ومانحهم قوتهم .

وأنت أم نافعة للالهة والبشر .

وأنت صانع مجزب ... .

وراع شجاع يسوق ماشيته .

وأنت ملجؤها ومانحها قوتها ... .

وهو الذى يرى ما خلق ... .

والسيد الأحد الذى يأخذ جميع من فى الأراضى أسرى كل يوم .

بصفته واحدا يشاهد من يمشون فيها

ومضىء فى السماء كائن كالشمس .

وهو يخلق الفصول والشهور .

والحرارة عندما يريد .

والبرد عندما يشاء .

فكل البلاد فى فرح .

عند بزوغه كل يوم لأجل أن تسبح له

ولم تصل الينا وثيقة تضم تعبيرات صريحة عن التفكير المصرى أقدم من هذه إذ جاء فيهـا : " السيد الأحد الذى يأخذ جميـع من فى الأرض أسرى كل يوم بصفته واحدا يشاهـد السائرين عليها " . ومن الأمور الهـامة أن ندرك أن ذلك الاتجـاه كانت له علاقة مباشرة بالحركة الاجتماعية فى العصر الإقطاعى المصرى ، إذ أن النعوت التى كان ينعت بها إله الشمس مثل قوله :" الراعى الشجاع الذى يسوق ماشيته ، وهو ملجؤها ومانح قوتها " تشبه تلك التى وجدت قديمـا فى عهد النصائح التى وجهت إلى «مريكارع» ، فقد سمى الناس فى هذه : «قطعان الإله» وكذلك تشبه أفكار « ابور » حيث يقول : " إنه راع لجميع الناس " . ويلفت نظرنا كذلك نعت آخر هو « أم نافعـة للإله والبشر » لأنه يحمـل فى ثناياه فكرة

تشعر بالاهتمام ببنى البشر . على أن النواحى الإنسانية فى سلطان إله الشمس التى اشترك فى إيجادها بصفة خاصة المفكرون فى العهد الإقطاعى لم تختف بين العوامل السياسية القوية التى ظهرت فى ذلك الميدان العالمى الجديد .

ولقد تقدّم لنا بيان ما قام من النزاع الشديد بشأن العرش حوالى سنة ١٣٧٥ ق . م . عندما خلف « أمنحتب الرابع » والده « أمنحتب الثالث » ، وميل الملك الشاب إلى إله الشمس القديم وإعراضه عن مذهب «آمون » الذى أطلق عليه أتباعه «آمون رع » قاصدين بذلك أنه اتحد مع إله الشمس « رع »، وبينا كذلك أن « أمنحتب الرابع » ناصر فى باكورة حكمه فكرة جديدة للمذهب الشمسى ربما كان غرضه منها التوفيق بين المذهبين .

وقد حدث فى الوقت الذى كان فيه موقف البلاد المصرية السياسى فى «آسيا» فى غاية الحرج أن كان الملك منهمكا بكل حماسة فى تعضيد التسلط العالمى لإله الشمس الذى أدركنا كنهه فى أيام والده فأعطى هذا الملك إله الشمس اسما جديدا خلص به المذهب الجديد من التقليد المحفوف بخطر الشرك فى « اللاهوت الشمسى القديم » فصار إله الشمس يسمى وقتئذ « آتون » وهو اسم قديم يطلق على الشمس المجسمة .

ومن المحتمل أن هذه التسمية كانت لا تدل إلا على قرص الشمس فحسب . وهذا الاسم الجديد ذكر مرتين فى أنشودة رجال عمارة « أمنحتب الثالث » التى اقتبسنا منها جزءا فيما تقدّم . وكأن هذا الاسم قد لاقى بعض الإقبال فى عهد ذلك الملك الذى سمى به أحد قواربه الملكية : « آتون يسطع » كما أسلفنا .

ولم يقتصر الحال على إعطاء إله الشمس اسما جديدا بل منحه ذلك الملك الشاب رمزا جديدا . فقد ذكرنا فيما مر سابقا أن أقدم رمز لإله الشمس كان هو الشكل الهرمى — كما كان يرمز له كذلك بالصقر لأن صورة ذلك الطائر كانت تدل عليه . وعلى أية حال فإن هذين الرمزين كانا مفهومين بين سكان وادى النيل فحسب ،

ولكن « أمنحتب » الرابع كان فى مخيلته وقتئـذ مسرح أفسح وأوسع من القطـر المصرى . إذ أن الرمز الجديد قد مثل لنا الشمس بقرص تخرج منه أشعة متفرقة تنتشر فوق الأرض كما كان كل شعاع من أشعته ينتهى طرفه بهيئة يد بشرية .

وقد كان ذلك الرمز يدل على السيطرة القوية الخارجة من منبعها السماوى ، وهى تضع أيديها تلك فوق العـالم وعلى شئون البشر الأرضية ، مع أن أشـعة إله الشمس منذ عصر « متون الأهرام » قد شبهت بذراعين له . وظن الناس إذ ذاك أنها نائبة عنه فى الأرض .

" إن ذراعى أشـعة الشمس قـد رفعت مع الملك (وناس) صاعدة به إلى السموات " . وقد كان ذلك الرمز سهل الفهم لكل البشر الذين يسيطر عليهـم الفرعون كما كان معناه واضحا كل الوضوح ؛ حتى أنه كان فى استطاعة سكان نهر الفرات ، أو رجال بلاد النوبة على النيـل السودانى أن يدركوا معناه على الفور . على أن ذلك الرمز لم تقتصر دلالتـه على السيطرة العالمية فحسب . بل صار خليقا بأن يكون رمزا عالميا إلى أقصى حد . وكذلك قد بذلت بعض الجهود لتعريف تلك القوة الشمسية التى رمز لها بتلك الصورة فقد كان اسم إله الشمس الكامل :

« حوراختى (حور الأفق) فرحا فى الأفق[١] باسمه الحرارة التى فى « آتون » . وكان ذلك الاسم يوضع فى طغراءين ملكيتين مثـل اسم الفرعون المـزدوج (يعنى اسمه ولقبه). وهذا الوضع مأخوذ من مشابهة سلطان «آتون» لسلطان الفرعون. وذلك برهان آخر يدل بوضوح على التأثير الذى أوجدته الأمبراطورية المصرية بصفتها الحكومية فى مذهب اللاهوت الشمسي. ولكن الاسم الموضوع فى الطغراءين حدّد لنا بوجه عام مقدار القوة الجثمانية الحقيقية للشمس فى العالم الحس، ولم يكن فى الوقت نفسه يمثل شخصية سياسية[٢] ما .

(١) راجع : A. S. Vol. III, P. 262.

(٢) راجع : J. E. A., Vol. IX, P. 168 ff.

والكلمة المصرية القديمة التي ترجمتها في اسم ذلك الملك : « حرارة » قد يكون معناها أحيانا « نورا » أيضا .

ومن الواضح أن ما كان الملك يعبده هو القوة الدالة على وجود الشمس فوق الأرض . وكل الأدلة الكثيرة التي نجدها في أناشيد « آتون » منسجمة مع تلك النتيجة كما هي منسجمة في الأناشيد الآتية بعد هذا ، وهي التي نرى فيها « آتون » نشطا باسطا أشعته على كل مكان فوق وجه الأرض .

ومع أنه كان من الواضح أن ذلك المذهب الجديد قد استقى وحيه من مدينة « هليو بوليس » حتى أن الملك الذي كان يحمل لقب الكاهن العظيم للإله « آتون » سمى نفسه « الرائي العظيم » وهو نفس كاهن « هليوبوليس » العظيم فإنه على الرغم من كل ذلك كان قد أزال معظم سقط المتاع القديم من الشعائر التي كانت تتألف منها ظواهر اللاهوت التقليدية ، ولذلك ترانا نبحث عبثا في ذلك اللاهوت الجديد عن السفن الشمسية ، كما ترانا نبحث عبثا عن باقي الإضافات التي أدخلت فيما بعد على المذهب الشمسي في مثل السياحة في كهوف الأموات السفلية وغير ذلك ، إذ قد محيت منه جملة .

فإذا كان الغرض الذي رمت إليه حركة مذهب « آتون » هو التوفيق بينها وبين كهنة « آمون » فإنها قد فشلت وقام بينهما ألد الخصام الذي اشتد وبلغ الذروة عند ما صمم الملك أن يتخذ من « آتون » إلها واحدا للامبراطورية المصرية ، ويقضي على عبادة « آمون » . وقد نتج عن ذلك المجهود الذي بذل لمحو كل الآثار الدالة على وجود « آمون » ، أن اتخذت جميع الاجراءات الممكنة المؤدية إلى ذلك الغرض . إذ نجد أن الملك قد غير اسمه من « أمنحتب » يعني « آمون راض » إلى « إخناتون » يعني « آتون راض » ، وذلك الاسم الجديد الذي اتخذه الملك لنفسه هو ترجمة للاسم القديم للملك بفكرة مماثلة لما كانت عليه ، غير أنه حوّل إلى مذهب « آتون » هذا من جهة ، وكان اسم « آمون » من الجهة الأخرى يمحى

أينما وجد فوق آثار « طيبة » العظيمة، ولم يحترم الملك تنفيذا لفكرته هذه أى نقش وإن كان المنقوش اسم والده الملك « أمنحتب الثالث » . لم يكن الأمر قاصرا على محو اسم «آمون » فحسب بل تعدّاه إلى كلمة الآلهة جمعا فإنه كان يأمر بمحوها أيضا أينما وجدت كأنه رأى أن الجمع مظنة لتعدّد الآلهة فمحاه كذلك عوملت أسماء سائرأفراد الآلهة الآخرين معاملة «آمون » بالمحو .

وقد هجر الملك « اخناتون » طيبة على الرغم مما كان لها من السيادة والأبهة عندما وجد ارتباكها بالتقاليد اللاهوتية القديمة التى كانت أكثر مما يلزم — وأقام لنفسه حاضرة جديدة فى منتصف الطريق بين « طيبة » والبحر تقريبا فى بقعة تعرف فى وقتنا هذا باسم « تل العمارنة » وسماها « إختاتون » (أفق آتون) كما شرحنا ذلك ، كما أسس فى بلاد النوبة مدينة « لآتون » مشابهة لها . ومن المحتمل جدا أنه أقام مدينة أخرى لذلك الإله فى « آسيا » ، وبذلك صار لكلّ من ثلاثة الأجزاء العظيمة التى تتألف منها الدولة وهى « مصر » والنوبة و« سوريا » مقرّ لمذهب «آتون » . وقد شيدت كذلك معابد أخرى لآتون فى أماكن مختلفة من مصر غيرالمعابد المبنية فى تلك الحواضر، ولم يتم ذلك طبعا دون تأليف حزب قوى من رجال البلاط الملكى يمكن للملك به أن يناهض أولئك الكهنة المنبوذين، وبخاصة كهنة «آمون » . وقد أثرت تلك الفتنة التى نتجت عن ذلك الانقلاب بلا شك تأثيرا خطيرا فى قوّة البيت المالك ، إذ كان حزب ذلك البلاط الذى نما إذ ذاك فى ظل « اخناتون » يعمل معه جاهدا على نشرذلك المذهب الدينى الجديد الذى يصح أن يعدّ أهم دور وأبهجه فى تاريخ ذلك الشرق القديم، يدلنا على ذلك ما بقى من نقوش فوق جدران تلك المقابرالتى نحتها الملك فى الصخر لأشراف رجاله قبالة الجبال المنخفضة التى تقع فى الهضبة الشرقية القائمة خلف تلك المدينة الجديدة .

والواقع أننا مدينون لمقابر أتباع ذلك الملك بمعلوماتنا هـذه التى تتضمن تلك التعاليم الهامة التى كانت تنشر فى تلك الفترة وهى تحتوى على سلسلة أناشيد فى مدح إله الشمس كما تحتوى على مديح إله الشمس والملك بالتبادل . تلك التعاليم تمـدنا على الأقل بلمحة من عالم الفكر الذى نشاهد فيه ذلك الملك الشاب وأتباعه رافعين أعينهم نحو السماء محاولين بذلك إدراك جمال الذات الإلهيـة فى بهائها الأبدى الذى لاحدّ له ولا نهـاية ، وهى الإلهية التى لم ينحصر سلطانها بعد فى وادى النيل ، بل امتدّ بين جميع البشر فى العالم كله .

ولا يمكننا الآن أن نأتى بشىء عند هذه السانحة أفصح من تلك الأناشيد التى تقص علينـا بنفسها شيئا عن تلك التعاليم ، وأطول أنشودة (١) بينها وأهمها هى الآتية بعد .

راجـع : Davies, "El Amarna", Vol. VI, Pl. XXVII, XLI; & Sandman Text From The Time of Akhenaton P. 93 ff.).

« بهاء آتون » وقوته العالمية

أنت تبزغ بجمالك فى أفق السماء .

أنت يا « آتون » الحى الذى كنت فى أزلية الحياة .

فحينما كنت تشرق فى الأفق الشرقى .

كنت تملأ كل البلاد بجمالك .

أنت جميل ومتلألىء ومشرق فوق كل أرض .

أشعتك تحيط بالأرضين حتى نهاية جميع مخلوقاتك .

أنت « رع » ، وأنت تخترق حتى نهايتها القصوى (يعنى الأرضين) .

---

(١) راجع : Selim Hassan, "Hymnes Religeux du Moyen Empire", P. 192 - 193. حيث تجد بعض أفكار « إخناتون » كانت قد دوّنت قبل عهـده وأنه ليس أوّل مبتدع لهذه الأفكار الدالة على التوحيد .

وأنت توثقهم (يعنى البشر) لابنك المحبوب (يعنى الفرعون) .
وعلى الرغم من أنك قصى جدًا فإن أشعتك فوق الأرض .
وعلى الرغم من أنك نجاة البشر فإن خطواتك خفية (عنهم) .

الليل والإنسان موازنة

الأنشودة

حينما[1] تغيب فى أفق السماء الغـربى فإن الأرض تظلم كالمـوت ، فينامون فى حجراتهم ورءوسهم ملفوفة . ومعاطسهم مسدودة ولا يرى إنسان الآخر فى حين أن أمتعتهم تسرق وهى تحت رءوسهم وهم لا يشعرون بذلك .

المزامير

تجعل ظلمة فيكون ليل فيه يد كل حيوان الوعر [المزمور ١٠٤ — ٢٠]
ونظمها بعض النصارى فقال :

تجعل ظلمة فـذا — ك الليل أسـدلا
والحيـوان عنـد ذا — يدب فى الفـلا

نظم المزامير [١٠٤ — ٢٠]

الليل والحيوان موازنة

الأنشودة

وكل أسد يخرج من عرينه (ليفترس) ، وكل الثعابين تنساب لتلدغ والظلام يخيم ، والعالم يكون فى صمت فى حين أن الذى خلقهم باق فى أفقه .

المزامير

الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها . [المزمور ١٠٤ — ٢١]
وقد نظمها بعض النصارى فقال :

(١) ستورد هنا موازنة بين هذه الأنشودة والمزامير من الكتاب المقدس (التوراة) .

تزمجر الأشبال كى تخطف ما تـــراه
كذا لكى تلتمس الـ طعام من الله
[مزمور ١٠٤ — ٢١] .

النهار والإنسان موازنة

الأنشودة

والأرض زاهية حينما تشرق فى الأفق عندما تضىء بالنهار مثل « آتون » فإنك تقصى الظلمــة إلى بعيد . حينما ترسل أشعتك تصــير الأراضى فى عيد . والنــاس يستيقظون و يقفون على أقدامهــم عند إيقاظك لهم ، و بعــد غسلهم لأجسامهم يلبسون ثيابهم ثم يرفعون أذرعتهم تعبدا لطلعتك ثم بعــد ذلك يقومون إلى أعمالهم فى كل العالم .

المزامير

تشرق الشمس فنجتمع ، وفى مآويهـا تربض ، الإنسان يخــرج لعمله و إلى شغله إلى المساء . [المزمور ١٠٤ — ٢٢ — ٢٣]

ونظمها بعض النصارى فقال :

إذ تشرق الشمس ترا ها اجتمعت للحــين
ثم انزوت رابضــــة فى وسط العريــن
فيخرج الإنسان للـ ـدخول فى الأعمال
ويبــق إلى المساء فى دوائــر الأشـــغال
[نظم المزامير ١٠٤ — ٢١ — ٢٣]

النهار والحيوان والنبات

و جميع المــاشية ترتع فى مراعيها ، والأشجار والنبات تينع ، والطيور فى مستنقعاتها ترفــرف ، وأجنحتها منتشرة إليك تعبدا ، و جميــع الغزلان ترقص على أقدامها ، وجميع المخلوقات التى تطير أو تحط تحيا عندما تشرق عليها .

النهار والمياة موازنة

الأنشودة

والسفن تقلع فى النهر صاعدة أو منحدرة فيـه على السواء . كل فج مفتـوح لشروقك، والسمك يسبح فى النهر أمامك، وأشعتك تنفذ إلى أعماق البحر الأخضر العظـيم .

المزامير

هـذا البحر الكبير الواسع الأطراف ، هناك دبابات بلا عدد صغار حيـوان مع كبار، هناك تجرى السفن لوياثان، هذا خلقته ليلعب فيه .

[المزمور ١٠٤ — ٢٥ — ٢٦] .

ونظمها بعض النصارى فقال :

فالأرض ممتلئـة — من خيرك الغـزير
وبحـرها المتسع الـ — أطراف والكـبير
لـيس لدباباتـه — عدّ ولا انحصـار
فالحيـوانات به الـ — كبار والصغار
هناك تجـرى سفن — تـأتى وتـذهب
لوياثان فيه قد — خلقـت يلعـب

خلق الإنسان

أنت خالق الجرثومة فى المرأة ، والذى يذرأ من البذرة أناسا ، وجاعل الولد يعيش فى بطن أمه مهدئا إياه حتى لا يبكى ، مرضعا إياه حتى فى الرحم ، وأنت معطى النفس حتى تحفظ حياة كل إنسان خلقته حينما ينزل من الرحم (أمه) فى يوم ولادته، وأنت تفتح فمه تمـاما وتمنحه ضروريات الحياة .

خلق الحيوان

وحينما يصير الفرخ فى لحاء البيضة تعطيه النفس ليحفظه حيا فى وسطها . وقد قدّرت له ميقاتا فى البيضة ليخرج منها ، وهو يخرج من البيضة فى ميقاته (الذى قدّرته له) فيمشى على رجليه حينما يخرج منها .

الخلق العالمى

الأنشودة

ما أكثر تعدّد أعمالك وهى على الناس خافية ، يا أيها الإله الأحد الذى لا يوجد بجانبه شأن لأحد ، لقد خلقت الأرض على حسب رغبتك ، وحينما كنت وحيدا (لا شىء غيرك) خلقت الناس وجميع الماشية والغزلان وجميع ما على الأرض مما يمشى على رجليه وما فى عليين مما يطير بأجنحته ، وفى الأقطار العالية «سوريا» و « كوش » وأرض مصر، وإنك تضع كل إنسان فى موضعه وتمدّهم بحاجاتهم وكل إنسان لديه قوته . وأيامه معدودات، والألسنة فى الكلام مختلفة، كذلك تختلف أشكالهم وجلودهم وإنك تخلق الأجانب مختلفين .

المزامير

ما أعظم أعمالك يا رب، كلها بحكمة صنعت، الأرض ملأى بغناك .

ونظمها بعض النصارى فقال :

يا رب ما أعظم أعـ ـمالك يا منان
جميعها صنعت بالحـ ـكمة والإتقان
فالأرض ممتلئة من خيرك الغزير
وبحرها المتسع الـ أطراف والكبير

[نظم المزامير ١٠٤ — ٢٤ — ٢٥] .

رى الأراضى فى مصر وفى خارجها

أنت تخلق النيل فى العالم السفلى .

وأنت تأتى به كما تشاء .

ليحفظ أهل مصر أحياء (كلمة أهل استعملت هنا فقط لأهل مصر) .

لأنك خلقتهم لنفسك .

وأنت سيدهم جميعا .

وأنت الذى تنهك[1] نفسك من أجلهم .

وأنت شمس النهار عظيم الافتخار .

وجميع الأقطار العالمية القاصية .

تخلق حياتها أيضا .

لقد وضعت نيلا فى السماء .

حينما ينزل لهم يصنع أمواجا فوق الجبال .

مثل البحر الأخضر العظيم .

فيروى حقولهم فى مدنهم .

ما أكرم مقاصدك يا رب الأبدية .

ويوجد نيل فى السماء للأجانب .

لأجل غزلان كل الهضاب التى تتجول على أقدامها .

أما النيل فإنه يأتى من العالم السفلى لمصر .

---

(١) وفى القرآن الكريم : « ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب » سورة ق ٥٠ آية ٣٨

فصول السنة

أشعتك تغذى كل بستان (كلمة تغذية هنا تعنى تغذية الأم لطفلها) .
وعندما تبزغ فإنها تحيا .
فهى تنمو بك .
أنت تخلق الفصول .
لأجل أن ينمو كل ما صنعت .
فالشتاء يأتى إليهم بالنسيم العليل .
والحرارة لأجل أن تستطعمهم (أى يكون لها طعم لذيذ فى فمك) .

السيطرة العالمية

أنت خلقت السموات العلى لتشرق فيها .
ولتشاهد كل ما صنعت حينما كنت لا تزال وحيدا (لا شىء غيرك) .
مضيئا فى صورتك مثل «آتون» الحى .
وبازغا وساطعا وذاهبا بعيدا وآيبا (فى الغدو والآصال) .
وأنت تخلق آلاف الآلاف من الصور منفردا بنفسك .
والمدن والقرى والحقول والطرق العامة والأنهار .
وجميع العيون تراك تجاهها .
لأنك «آتون» (شمس) النهار فوق الأرض ،
وحينما تغيب .
وجميع الناس الذين سويت وجوههم ،
لأجل ألا ترى نفسك بعيدا وحيدا ،
يغشاهم النعاس حتى لا يرى واحد منهم ما قد خلقته ،
ومع ذلك فإنك لا تزال فى قلبى .

وحى الملك

" ليس هناك واحد آخر يعرفك إلا ابنك « اخناتون » " .

" لقد جعلته عليما بمقاصدك و بقوتك " .

الوقاية العالمية

العالم يعيش بصنيع يدك .

فيحيا حينما تشرق .

و يموت حينما تغيب .

لأن حياتك طول مدى نفسك .

والناس يعيشون بوساطتك .

وأعين الناس لا ترى إلا جمالك حتى تغيب .

وكل نصب يطرح جانبا .

وحينما تغيب فى الغرب وحينما تشرق ثانية ،

فإنك تجعل كل كف يندى لأجل الملك .

والخير فى إثر كل قدم .

منذ أن خلقت العالم ،

وأوجدتهم لابنك ،

الذى ولد من لحمك .

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى .

العائش فى الصدق رب الأرضين .

« نفر » — « خبرو » — « رع » — « وع ن رع » (اخناتون) .

ابن « رع » العائش فى الصدق رب التيجان .

« اخناتون » ذو الحياة الطويلة .

« ولأجل » كبرى الزوجات الملكية محبوبته .

سيدة الأرضين « نفر » — « نفرو » — « آتون » — « نفرتيتى » .
عاشت وازدهرت أبد الآبدين .

ويحتمل ألا تمثل هـذه الأنشودة الملكية إلا قطعة منتخبة أو سلسلة منتخبة من شعائر «آتون» كما كان يحتفل بها من يوم لآخر فى معبد «آتون» بتل العمارنة. ومما يؤسف له أن هذه الأنشودة لم تدوّن إلا فى مقبرة واحدة فقط من تلك الجبانة . وقـد فقد منها نحو ثلثها من جراء تعـدّى المخربين من الأهالى الحاليين ، ولذلك لم يصلنا من الجزء المفقود إلا نسخة نقلت بغير اعتناء وعلى عجل منذ خمسين سنة (أى سنة ١٨٨٣ م) .

وأما المقابر الأخرى فقد كتبت نقوشها الدينية بالنقل عن الفقرات التى كانت شائعة الاستعمال وقتئذ وعن الجمـل التى كان علمها مفروضا ، وهى التى عرفنا منها مذهب «آتون» كما فهمه الكتّاب والرسامون الذين قاموا بزخرفة تلك المقابر .

ويجب علينا ألا ننسى أن المنتخبات التى بقيت لنـا فى جبانة « تل العمارنة » من مذهب «آتون» وهى مصدرنا الرئيسى قـد وصلت بشكل آلى إلى فئة قليلة من الكتبة المهملين غير المدققين ذوى العقول الخاوية الفاترة . وهؤلاء كانوا لا يعدّون إلا أذنابا لحركة عقلية دينية عظيمة .

وغير هذه الأنشودة الملكية نجد أن أولئك الرسامين كانوا قانعين فى كل مكان بالقطع والنتف التى نقلت فى بعض الأحـوال من تلك الأنشـودة الملكية نفسها أو بقطع أخرى مرقعة وضعت بهيئة أنشودة قصيرة حيث ينقشونها كلها أو بعضا منها على هذا القبر أو ذاك وهم فى ذلك ليسوا إلا مسخرين فيما يعملون. ولما كانت المواد التى فى متناولنا عن ذلك المذهب ضئيلة إلى هـذا الحد مع أهميـة الحركة التى أماطت لنا عنها اللثـام، فإن تلك المعلومات الجديدة القليلة — التى تمدّنا بها تلك الانشودة القصيرة — صارت لها قيمة عظيمة .

وقد عزيت تلك الأنشودة فى أربع حالات إلى الملك نفسه — أى أن الملك يشاهد وهو ينشدها أمام «آتون» .

وهاك نصها كما جاءت[1] :

أنت تشرق بجمالك يا «آتون» الحى يارب الأبدية .

إنك ساطع وقوى وجميل .

وحبك عظيم وكبير .

أشعتك تمدّ بالبصر كل واحد من مخلوقاتك .

ولونك الملتهب يجلب الى قلوب البشر الحياة .

عندما تملأ بحبك الأرضين .

إيه أيها الإله الذى سوّى نفسه بنفسه .

وخالق كل أرض .

وبارئ كل من عليها .

والناس، وكل قطعان الماشية والغزلان .

وكل الأشجار التى تنمو فوق التربة ،

فإنها تحيا عندما تشرق عليهم .

وأنت الأب والأم لكل من خلقته .

وعندما تشرق فإن عيونهم ترى .

بوساطتك .

وتضيء أشعتك كل العالم .

---

(١) راجع : Davies, "El Amarna", Vol. IV, Pl. XLIII, Tomb of Apy;
Ibid, Vol. I, Pl. XXXVII, Tomb of Meryra,
Ibid, Vol. IV, Pls. XVI, XXIII, XXIX, XL,
Ibid, Vol. VI, Pl. XV, Tutw,
Ibid, Vol. IV, Pls. XXXII, XXXIII, Ani. and, Sandman. Hid, PP. 10 ff.

ويشرح بسبب رؤيتك كل قلب .
عندما تشرق بصفتك سيدهم .

+ + +

وعندما تغيب فى أفق السماء الغربى ،
يناموں كأنهم أموات ،
وتدور رءوسهم ،
وتقف معاطسهم ،
حتى يعود شروقك فى الصباح ،
فى أفق السماء الشرقى .
وعندئذ يرفعون أذرعتهم إليك تعبدا .
وتجعل قلوب البشر تحيا بجمالك .
لأن الناس تحيا عند ما ترسل أشعتك .
ويكون جميع الكون فى عيد .
فالغناء والموسيقى وتهليل الفرح .
تكون فى قاعة بيت (بنبن)[1] .
وفى معبدك فى « اختاتون » ومكان الصدق (ماعت) .
حيث تكون فيه مسرورا .
ويقدم لك فيه الطعام والمئونة .
ويؤدى لك ابنك الطاهر احتفالاتك السارة .

---

(١) كان ال « بنبن » حجرا هرمى الشكل مثل الهرم الصغير الذى يتوج المسلة . وقد كان هذا الحجر يعتبر غاية فى القداسة ، وكان فى الأصل يحتل مكانة ممتازة فى المعبد أو فى بيت معبد الشمس الذى فى « هليو بوليس » وهذه الفقرة تدل على أن « اخنا تون » قد أدخل فى معبد « تل العمارنه » « بنبن » مماثلا للذى كان فى « هليو بوليس » .

يا «آتون» الحى فى مواكبه البهجة .

كل ما خلقته يطرب أمامك .

ويفرح ابنك الجليل وقلبه فى حبور .

آه يا «آتون» الحى المولود كل يوم فى السماء .

إنه يلد ابنه الجليل وع — ن — «رع اخناتون» .

مثل نفسه دائما .

ابن الشمس اللابس جماله «نفرخبرو — رع — وع — ن — رع (اخناتون)» .

وحتى أنا ابنك الذى تسر به .

والذى يحمل اسمك .

قوتك وبطشك يسكنان فى قلبى ،

وحتى أنت يا آتون العائش الأبدى ،

لقد خلقت السماء العليا لتشرق فيها ،

لأجل أن تشاهد كل ما صنعته .

عندما كنت لا تزال وحيدا (لا شىء غيرك) .

وعشرات آلاف الأنفس موجودة فيك لتحفظها حية .

لأن مشاهدة[1] أشعتك هو نفس الحياة فى المعاطس .

وجميع الأزهار تحيا وكل ما تنبت الأرض يحيا .

ويصير ناميا لأنك تشرق .

فهى نشوى أمامك .

وجميع الماشية تطفر على أقدامها .

والطيور تطير فى المستنقع من الفرح .

وأجنحتها التى كانت مطوية تنتشر .

---

(١) وفى رواية أخرى «أن النفس يدخل فى المعاطس عندما تظهر نفسك لهم» .

مرفوعة لآتون الحى تعبدا .

أنت يا خالق[1] ... ...

ففى هذا الأناشيد توجد قوة عالمية ملهمة لم توجد من قبل ، لا فى الفكر المصرى القديم ، ولا فى فكر أية مملكة أخرى ، فهى تشمل فى مداها العالم كله ، كما يدعى الملك أن الاعتراف بسيادة إله الشمس العالمية كان كذلك شاملا ، وأن جميع البشر يعترفون بسلطانه ، وكذلك قال الملك عنهم فى لوحة الحدود العظيمة :

إن آتون خلقهم (لنفسه هو) .

لجميع الأراضى وأهل بحرايجه يحملون ،

ضرائبهم وجزيتهم فوق ظهورهم إلى الذى ،

أوجد حياتهم والذى بأشعته يحيا البشر ،

وينشق الهواء .

ومن الواضح أن « إخناتون » كان يبرز بذلك دينا عالميا يحاول أن يحل محل القومية المصرية التى سبقته وسارت عليها البلاد خلال عشرين قرنا مضت . وبجانب تلك القوة العالمية نجد كذلك أن « إخناتون » كان يتأثر تأثرعميقا بأزلية إلهه . وكان الملك نفسه يتقبل — بسكينة واطمئنان — فناء نفسه . فنراه فى باكورة حكمه فى « تل العمارنه » يعلن التعليمات الدقيقة الخاصة بدفنه فيما بعد الموت ، ويسجلها باستمرار فوق اللوحات التى أقامها على الحدود المصرية ، ولكنه مع ذلك كان يعتمد على علاقته الوثيقة « بآتون » حتى يضمن له شيئا من خلود إله الشمس ، ومن أجل ذلك كان يحتوى لقبه الرسمى دائما بعد ذكر اسمه على النعت الآتى « الذى مدة حياته طويلة » .

---

(١) بقية هذا السطر قد فقدت . ولم يستمر من خمسة المتون لهذه الأنشودة إلا متن واحد وتجده كذلك قد قطع عند هذه النقطة (راجع Sandman Ibid. P. 15.) .

ولكن فى بداية كل شىء برأ « آتون » نفسه من الوحدة الأزليـة — أى أنه الخالق لكينونة نفسه، إذ نجد فى إحدى لوحات «تل العمارنه» العظيمة أن الملك يسميه هكذا :

” سورى المكون من « مليون » زراع
ومذكرى بالأبدية ،
ومجتى لأشياء الأبدية ،
وهو الذى سوى نفسه بنفسه بيده هو ،
والذى لا يعرفه صانع “ .

ونجد أن الأناشـيد تميل بانسجام مع هـذه الفكرة إلى أن تردّد تلك الحقيقـة القائلة : ” إن خالق العالم الذى يلى ذلك قد حدث حينما كان الإله لا يزال وحيدا “ (لا شىء غيره) ، وتكاد الكلمات « حينما كنت لا تزال وحيدا لا شىء غيرك » تكون نداء يردّد فى تلك الأناشـيد . وهو الخالق العالمى الذى ذرأ كل أجنـاس البشر ، ومـيز بعضهم عن بعـض[1] فى اللغة واللون والجـلد ، ولا تزال قوته المنشئة مستمرّة تأمر بالخروج من العدم إلى الحياة حتى البيضة الجامدة .

ولم يظهر عجب الملك بشـكل بارز فى أى مكان آخر أكثر ممـا نجده مذكورا بسـذاجة فى تعبيره عن قوة إله الشمس المـانحة الحياة فى تلك المعجزة التى تتمثـل فى أنه داخل لحاء البيضة التى يسميها الملك « حجر البيضه » أى فى هذا الحجر الذى لا حياة فيه — تجيب أصـوات الحياة نداء أمر « آتون » فيخرج مخلوق حى بعد أن أنعشه النفس الذى يمنحه إياه (ذلك الإله) . وتلك القوة المـانحة الحياة هى مصدر الحياة الدائمة الزاد ، والوساطة المباشرة لهـا هى أشعة الشمس التى تجلب النور والحرارة إلى الناس .

---

(١) هذه العبارة قد وجدت فى الأناشيد الدينية منذ الأسرة السابعة عشرة (راجع Selim Hassan ("Hymmes Religieux du Moyen Empire", P. 192.

وذلك الاعتراف المـدهش بنشاط الشمس بصفتها منبع الحياة فوق الأرض يردد باستمرار دائم .

فالأناشيد تميل إلى الإمعان فى ذكر أنهـا قوة عتيدة على الدوام ، وهاك بعض الأمثـلة :

« أنت فى السماء ولكن أشعتك فوق الأرض .

أشعتك تنفذ إلى أعماق البحر الأخضر العظيم .

أشعتك فوق ابنك المحبوب .

ذلك الذى يجعل بأشعته الأعين سليمة .

إن مشاهدة أشعتك هى نفس الحياة فى المعاطر .

والطفل (يعنى الملك) الذى ولد من أشعتك .

وقد سوّيته (يعنى الملك) من أشعة نفسك .

أشعتك تحمل ألف الألف من الأفراح الملكية .

وحينما ترسل أشعتك فإن الأرضين « تكونان فى فرح » .

" أشعتك تشمل الأرضين وحتى كل ما صنعته " .

وسواء أكان فى السماء أم فى الأرض فإن كل الأعين تشاهده دائما وهو يملأ (كل الكون) بأشعته ويجعل كل البشر يعيشون .

واعتماد مصر فى حياتها على « النيل » جعل من المستحيل تجاهـل ذلك المنبع الحيوى فى عقيدة الملك « إخناتون » . إذ الواقع أنه لا شىء يكشف لنا بوضوح عقيدة « إخناتون » وقوة عقله أكثر من أنه محا طائفة الأساطير التى كانت محترمة والتقاليـد التى جعلت « النيل » الإله « أوزير » عدة أزمان ، ثم نسب الفيضان فى الحال إلى قوى طبيعية يسيطر عليها ذلك الإله . وهو الذى خلق — بمثل ذلك الاهتمام — للبلاد الأخرى نيلا آخر فى السماء .

وقد تُجوهل كلية الإله « أوزير » فلم يذكر قط فى كل الوثائق الإخناتونية ، ولا فى أى قبر آخر من قبور « تل العمارنه » .

ثم ينتقل عند هذه النقطة تفكير « إخناتون » إلى ما وراء الاعتراف المادى المحض عن نشاط الشمس فوق الأرض ، إذ يدرك اهتمام « آتون » الأبوى بجميع المخلوقات .

وذلك التفكير هو الذى رفع من شأن الحركة التى قام بها « إخناتون » إلى حدّ بعيد فوق ما كانت قد وصلت إليه ديانة قدماء المصريين أو ديانات الشرق بأجمعه قبل ذلك الوقت ، حيث كان إله الشمس فى نظر « إبور » ” راعيا شفيقا “ كما تقدّم ذكره فيما سبق ، كما كان الناس فى نظر « مريكارع » كذلك كما سبق أيضا ” (قطعانه) التى من أجلها صنع الهواء والماء والطعام “ .

ولكننا نجد أن « إخناتون » يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يقول لإله الشمس : « أنت أب وأم لكل ما صنعت » .

وذلك التعليم هو الذى ينبئ عن كثير من التطور المقبل فى « دين القوم » حتى إلى عصرنا الحالى؛ فكان جميع العالم الحى فى نظر تلك الروح الحساسة التى كانت تدب فى نفس ذلك الخيالى المصرى يملؤه شعور قوى بوجود « آتون » وبالإعتراف بشفقته الأبوية ، فمستنقعات السوس تينع أزهارها بأشعاع « آتون » الأخاذ الذى تنشر الطيور أجنحتها فيه « تعبدا لآتون الحى » وفيه تطفر الماشية فرحة فى ضوء الشمس ، ويثب السمك فى النهر مرحبا بالنور العالمى الذى ينفذ أشعته حتى فى وسط البحر الأخضر العظيم .

كل تلك الأشياء تكشف لنا عن مدى إدراك ذلك الوجود العالمى لإله الطبيعة وعن اقتناع باطنى معترف بذلك الوجود عند كل المخلوقات .

ويوجد هنا تقدير لوحى الإله فى العالم الحى كما سنجده فيما بعد ذلك العهد بنحو ٧٠٠ أو ٨٠٠ سنة مذكورا فى المزامير العبرية وكذلك فيما جاء على لسان شعراء الطبيعة بيننا منذ عصر « وردزورث » (١) .

(١) «وردزورث» شاعر انجليزى (١٧٧٠ — ١٨٥٠ ميلادية) وهو مشهور بأشعاره فى وصف الطبيعة

وظاهر أن أعمق المصادر قوة فى تلك الثورة العظيمة — على الرغم من أصلها السياسى — يوجد فى ذلك الالتجاء إلى عالم الطبيعة :

« تأمل سوسن الحقول » . « فاخناتون » كان رجلا مأخوذا بالإله قد انقاد عقله بحساسية وإدراك مدهشين إلى البراهين المحسة الدالة على الإله الذى حوله .

وقد كان مأخوذا بجمال النـور الأبدى العالمى ولذلك ترى أشعته تغمره فى كل أثر صور عليه من آثاره التى بقيت لنا .

وقد كانت تلك الحال قاصرة عليه وعلى الملكة وأولاده، لأنه كان يدعى لنفسه علاقة لا يشاركه فيها أحد مع إلهه فهو الذى يدعو بقوله :

" ليت عينى تنشرحان بمشاهدته يوميا
حينما يشرق فى بيت « آتون » هذا و يملؤه
نفسه بأشعته هذه — ذلك الجميل فى حبه —
و يرسلها علىّ فى حياة راضية أبد الآبدين " .

و يمرح الملك وحتى يسكر فى ذلك النور الذى وحده أكثر من مرة مع الحب كما ذكرناه هنـا ، أو كذلك يوحده مع الجمـال بمثابة أنه البرهان الظاهر الدال على وجود الإله وذلك بنشوة قل أن يكون لها نظير ، وفرح يبلغ حد الوله مثل الفرح الذى تشعر به روح كروح « رسكن »[1] عندما شاهد النور بتدبر فقد وصفه «رسكن» كما رآه فى إحدى حالاته :

النور المتنفس الحى المبتهج .
الذى يشعر و يتسلم و يعمل .
و ينتخب شيئا و ينبذ آخر .
و يبحث و يجد و يفقد ثانية .

(١) هو «جون رسكن» الكاتب الانجليزى الشهير (١٨١٩ — ١٩٠٠) و يمتاز بنقده وطول باعه فى الكتابة عن الفن .

نافذا من صخرة إلى صخرة .
من ورقة إلى ورقة .
ومن موجة إلى موجة .
متوهجا أو بارقا أو متلألئا .
على حسب ما يصيب أو يكون ممتصا وغامرا ،
لكل شيء وملتفا حوله فى كمال سكونه العميق .
وعندئذ نراه يفقد ثانية فى دهشة وشك وظلمة .
أو يمحى ويختفى وتراه واقعا فى حبائل الضباب الجارف ،
أو يذوب فى الهواء مكتئبا ولكنه مع ذلك لا يزال متأججا .
أومنحرفا أو لامعا أو ثابتا .
فهو النور الحى الذى يتنفس فى أعمق سكونه ،
وأشدّه خلابة ؛
وهو النور الذى ينام ولكنه لا يموت أبدا .

فنجد فى هـذا الوصف الافتتان الحديث ببهجة النـور وهو الإنجيـل الحقيق لجمال النور . وأقدم تلميذ له عبر عنه هو ذلك الخيالى الوحيد « إخناتون » الذى عاش خلال القرن الرابع عشر ق.م ، وقد كان من الجائز كذلك فى نظر « إخناتون » أن النور ينام حينما كان .

" يذهب خالق الأرض ليستريح فى أفقه " غير أنه كان فى نظره كما كان فى نظر « راسكن » " أنه ينام ولكن لا يموت أبدا " .

وقد نجح الأستاذ « زيته » فى ترجمة فقرة مهشمة فى الأنشودة الكبرى تدل على أنه على الرغم من أن الظلمة قد خيمت ، والناس نامت فإن « إخناتون » يمكنه أن يشعر به حيث يقول ومع ذلك فإنك لا تزال فى قلبى .

فتلك الناحيــة من حركة « إخناتون » تدل إذا على أنهــا إنجيل الجمال والرأفة للنظام الطبيعى ، كما هو اعتراف برسالة وحى الطبيعة إلى روح الإنسان ممـا جعلها تعـدّ من أقدم النهضات التى نسميها "الرجوع إلى الطبيعة التى ظهرت فى أقوال أمثال الفنانين «ملت» و «بيرنز» الشاعر الإيقوسى ومدرسته، و « وردزوورث» وأخلافه ؛ فالرسامون فى ذلك الوقت كانوا يصوّرون حياة مستنقعات البرية بروح جديد يختلف عن روح السرور الهادئ الذى صوّر به رسامو «مصاطب الأهرام» قصور هؤلاء الهادئة التى تُمثل فيها نزهات الأشراف فى حقول البردى تحلى جدران مزارات قبورهم بالجبانة « المنفية » بسقارة" .

وأما الصور التى رسمت فوق الجص وهى التى تزين رقعة قاعة قصر «إخناتون» ذات الأعمدة « بتل العمارنة » فملوءة بمناظر سارة للحياة جديدة تشعرنا عند رؤيتها بشىء من العاطفة القوية التى أثارت يد المفتن حينما رأى بعينى ذهنه الثور الوحشى يقفز فى أدغال البردى ضاربا برأسه نحو الطيور الهلوعة المشقشقة فوق يراع المستنقع كأنها تؤنب ذلك الطفيلى الفظ الذى ينزل الضرر بأوكارها .

ولكن ممـا يؤسفنا أن تلك النقوش الفاخرة التى رسمت فيهـا الحياة والحركة يتألقان والتى طالمـا تمتعت بهما أعين الناظرين فى عصرنا الحالى « بتـل العمارنة » قد خربت إلى الأبد بأيدى أولئك المخربين الأحداث من أهالى تلك القرى المجاورة لبلدة « تل العمارنة » .

وهذا الروح الجديد فى عصر «إخناتون» الذى استمدّ إلهامه من جمال الطبيعة وفيضها كان كذلك ذا حساسية من جهة حياة الإنسانية والعلاقات البشرية ، فلم يزعجه مزعج من التقاليد إذ مثل بدون تكلف ولا تعمل علاقات « إخناتون » بأسرته باللون الطبيعى البهيج، وقد ظهر ذلك حتى فوق الآثار العامة . فقد عثر على تمثـال صغير غير تام الصنع فى مصنع أحد المثالين الملكيين بتل العمارنة ، لم يقتصر فيــه صانعه على تمثيـل الملك جالسـا فحسب مع ابنتــه الصغيرة فــوق حجره ،

وهو يضمها[1] كما يضم الأب الملكى أميرة صغيرة ، بل مثل الفرعون وهو يقبل ابنته الصغيرة كما يفعل ذلك أى والد عادى بابنته ، وليس من الصعب على الإنسان أن يتصوّر الحنق والهلع اللذين تبعثهما مثل تلك الصورة الملكية فى شعور طائفة المحافظين على التقاليد فى عصر « اخناتون » وهم أولئك الأشراف رجال التقاليد فى البلاط الملكى الذين يرون وجوب تصوير الفرعون كما كان يصوّر منذ ألفى سنة فى هيئة حضرة سامية جالسة فى جلال جامد أى صورة جامدة كأنها مقدّسة ، لا تشوبها أية خصلة أو إشارة من المشاعر البشرية أو جهات الضعف الإنسانية ، وقد بقى لنا للآن ذلك الكرسى الجميل الذى جىء به من قصر « تل العمارنة » فى مقبرة « توت عنخ آمون » وهو مزين بمنظر يظهر فيه الملك الشاب جالسا بحالة تدل على البساطة وعدم التكلف ، إذ نشاهد إحدى ذراعيه وهو يلقيها باستهتار فوق ظهر كرسيه فى حين أن الملكة الشابة الجميلة ممثلة واقفة أمامه وفى يدها إناء صغير من العطور تصب منه برشاقة أنيقة بضع نقط من الطيب فوق ملابس زوجها الملك . ونجد هنا لأوّل مرة فى تاريخ الفن منظرا موضوعه علاقة الإنسان بالإنسان .

علاقة الإنسان بالإنسان : نجد هنا أن الفن المترجم يتخذ الحياة الإنسانية موضعا لبحثه ، وهذان مثلان فقط من بين الأمثلة العدّة التى يمكننا ذكرها للاستدلال بها على شخصية « اخناتون » القوية ، واستعداده الذى لا يأبه لاطراح قيود التقاليد بجرأة وبغير أدنى تردّد حينما حاول تأسيس عالم من الأشياء على حقيقته الفطرية السليمة . ولذلك نرى من المهم أن نلاحظ هنا أن « اخناتون » كان رسولا لكل من عالمى الطبيعة والحياة الإنسانية فكان مثله فى ذلك كمثل « عيسى » حيث استقى دروسه من سوسن الحقل ، وطيور الهواء ، وسحب السماء من جهة ، ومن المجتمع الإنسانى

---

(١) هذه الصورة قد ترجمت بمعنى آخر إذ يرى البعض أنها تمثل إخناتون يقبل أخاه « سمنخكارع » . (راجع الصورة رقم ١٣ وما كتب عنها وهو رأى الأستاذ « نيوبرى » عن سمنخكارع .

الذى يحيط به من جهة أخرى كما يفهم ذلك من مثل قصة الابن المبذر[1] والطبيب السامرى[2] أو المرأة[3] التى أضاعت قطعة نقودها، وعلى ذلك النمط قد استقى ذلك الرسول المصرى المجدّد القديم تعاليمه من التدبر فى مشاهد عالمى الطبيعة والحياة الإنسانية معا .

ومع أن الفن المعبر عن تلك الحركة الثورية التى كان زمامها فى يد « اخناتون » قد وجد رضى جديدا فى الحياة الإنسانية، فإنه كان هناك شىء كثير لم يكن فى مقدور «اخناتون» أن يتجاهله من التجاريب المصرية الشائعة بالوراثة فى المجتمع البشرى، فقد قبل تماما « اخناتون » بالوراثة المذهب الشمسى الذى ينطوى على نظام خلقى عظيم؛ وإذا كنا قد خصصنا فى كتابنا هذا للأخلاق عند قدماء المصريين جزءا لا بأس به عن عقيدة « التوحيد » الثورية التى قام بها « اخناتون » فإن ذلك يرجع إلى أن تلك الحركة التوحيدية ليست إلا ذروة للاعتراف القديم بالنظام الخلقى الذى نودى به على لسان المفكرين المصريين القدماء الذين عاشوا فى عهد الأهرام وهم الذين أسسوا مملكة عظيمة من القيم الخلقية العالمية التى كانت تمثلها تلك الكلمة الشاملة الجامعة « ماعت » (العدالة) التى أوجدها إذ ذاك إله الشمس فى « هليو بوليس »؛ وقد انتشر ذلك التوحيد بوساطة أسس ثلاثة أولها، وهو كما رأينا كان سياسيا حتى أن اسم إله الشمس الجديد كان يوضع فى طغراء باعتباره شعارا ملكيا مزدوجا . والثانى فى ملاحظة أن سلطان إله الشمس وسيطرته العالمية بصفته قوّة مجسمة حاضرة فى كل مكان تظهر فيه حرارة الشمس ونورها فقط . والثالث كان فى الانتشار المنطقى لمذهب « هليو بوليس » الخاص بالنظام الخلقى الذى كان أقدم من عهد « اخناتون » بنحو ألفى سنة . وواجبنا الآن أن نفحص

---

(١) راجع إنجيل لوقه الاصحاح ١٥ — ٣٢

(٢) راجع إنجيل لوقه (اصحاح ١٠، ٣٠ — ٣٥) .

(٣) راجع إنجيل لوقه (١٥ . ٨ — ٩) .

آخر هذه الأسس الأصلية التى قام بها التوحيد عند «اخناتون» ، على أننا عند هذه النقطة نشعر بقلة المصادر المدوّنة وضآلتها . على أن المصادر النادرة التى بقيت لنا عن ذلك العصر تكشف عن مدى التقدّم فى تفكير ذلك الملك الشاب خلال نصف الجيل الذى حكمه ، ولا يمكن الباحث أن يفكر أن حركة نامية ذات تقدّم مثل الحركة التى قام بها « اخناتون » لم تكن أنتجت أبحاثا مدوّنة فيها تعاليمه .

وفضلا عن ذلك فإنه لا يزال لدينا برهان محس للدلالة على وجود مثـل تلك الأبحاث، ففى مقابر « تل العمانة » التى كان يرغب أشراف رجال البلاط الاخناتونى فى أن يرسموا فوق جدرانها ما كانت عليه علاقاتهم مع مليكهم ، نجد أنهم كانوا يشيرون باستمرار دائم إلى ذلك المذهب الجديد ، ولم يكن لديهم للتعبير عن ذلك إلا كلمـة واحدة وهى كلمة « التعليم » . وهذا التعليم لم يكن ينسب إلا للملك فقـط : وليس فى مقدورنا أن نشك فى أن ذلك التعليم لم يكن إلا الاسم العام للبيان الرسمى لمذهب « اخناتون » الذى كتب طبعا فى مقال من نوع ما على بردى .

على أنه بعد سقوط «اخناتون» لم يترك أعداؤه حجرا واحدا لم يقلبوه لإزالة كل أثر باق يدل على مدّة حكمه الممقوت عندهم . وقد أتلفوا بطبيعة الحال مخطوطات الملك هـذه المدوّنة على البردى ، وأما معلوماتنا عن تلك الحركة من ناحية العقائد الدينية فكانت مستقاة بأجمعها من نتف وقطع منتخبة وقعت لنا عرضا ، وبخاصة تلك الأناشيد التى زين بهـا أشراف رجاله جدران مقابرهم ، وحينما نقـرأ أنشودة (آتون) العظيمة لأوّل مرة يظهر لنا جليا أنها تعبر عن وحى دينى لا يشتمل إلا على إشارات قليـلة عن الأخلاق والسلوك الإنسانى وهو الذى كان قـد احتل مكانة بارزة — كما نعلم — فى تفكير الديانة الشمسية الهليوبولتية وهى التى تضرب اليها حركة « اخناتون » الدينية بوشائجها القوية .

ويرجع السبب فى قـلة ذكر شيء عن الأخلاق والسلوك إلى أن تلك القـوّة الرئيسية التى حركت روح «اخناتون» كانت العاطفة . والواقع أن ثورة «اخناتون»

كانت فى روحها أوّلا عاطفية بدرجة قوية . وهذه الحقيقة ظاهرة تماما فى الأناشيد كما نجـدها كذلك بارزة فى الفن ؛ فعنـدما يرسم لنـا أحد مفتنى « تل العمارنة » صورة «اخناتون» وهو يتعبد، أو يصوّر لنـا صورة أحد من رعاياه رافعا ذراعيه تضرعا إلى إله الشمس، فإن الصفة العاطفية التى تمثل تينك الذراعين المرفوعتين تبلغ فى شدّة جاذبيتها ذراعى «الونرادوز» (١) المستعطفتين حينما تبسطهما لاستقبال محبوبها « أرمندو »، غير أن الذى كان يعبـده « إخناتون » إذ ذاك جمال إله الشمس وفيضها ، وتلك العـاطفة التى نقلتها إلينا أناشـيد « تل العمارنة » لا تحتـوى على لاهوت أو خلقيات اجتماعية؛ وعلى الرغم من ذلك فإنه من الواضح تمـاما أن « إخناتون » قد قبل قبولا شاملا اعتناق الخلقيات الهليو بوليتية التى كانت إذ ذاك ذائعة ذيوعا ساميا . وقد نتـج عن ذلك فى الواقع أن صار النظام الخلقى للتعاليم الشمسية القديمة بارزا أكثر مما كان عليه فى أى وقت كان قبل حكم «إخناتون» . على أن علاقة حركة « إخناتون » هذه الوثيقة باللاهوت الهليو بوليتى ظاهرة فى كل نواحيها ، فقـد كان توحيد السـلالة الملكية بسـلالة إله الشمس على يد كهنة « هليو بوليس » فى « متون الأهرام » بجعل لذلك كل فرعون ابنـا لإله الشمس كما ذكرنا من قبل، فنقل إلى الإله « رع » الصفات البشرية لملك كريم تشبع بروحه فراعنة ذلك العهد الإقطاعى . وفى ذلك الحين كان قد صار الفرعون «الراعى الطيب» أو « راعى المـاشية الطيب » .

فهذه الصورة التى تعبر عن عطف ملكى أبوى حام لرعاياه قد نقلت إلى « رع » ، و بذلك اكتسب « رع » لنفسه بشكل مدهش صفات إنسانية . وعطفا أبويا ، وما كان ذلك إلا نتيجة لذلك التطـوّر الذى حدث فى تصـوّر الملكية فى العهـد

---

(١) « الونرادوز » ممثلة ذائعة الصيت فى الروايات المحزنة وهى فرنسية الأصـل عاشت فى أواخر القرن التاسع عشر . وقد كانت مشهورة بعمق عاطفتها ، والإبداع الذى كانت تمثل به أدوارها العاطفية ؛ أما « أرمندو » فهو بطل فى إحدى الروايات التى جعلت « الونرادوز » ذات شهرة عالمية .

الإقطاعى ، وبذلك كانت تلك القوى الاجتماعية التى أوجدت هـذا المثل الأعلى للملكية هى المؤثرات النهائية التى زادت بمعونة الملكية ، وهـذبت التصوّر السياسى لسلطان « رع » ، وهو ذلك التصوّر الذى كان قبل ذلك لا يخرج عن كونه فكرة آلية مهملة ، فالمعونة الإنسانية التى كان يتطلبها وقتئذ الملك « اخناتون » كانت على ذلك قريبة من التى كان ينشدها « أوزير » نفسه ، وكانت التعاليم الإخناتونية منجذبة بكليتها نحو ذلك الميل الذى ينعطف إليـه المذهب الشمسى . إذ فى عهد والد « اخناتون » عثرنا على أنشودة للشمس سمى فيها إله الشمس : "الراعى الشجاع الذى يرعى قطعانه" . وهذه إشارة تربط بوضوح مذهب آتون بالحركة الاجتماعية الخلقية التى ظهرت فى العهد الإقطاعى .

وحينما نعيد إلى ذا كرتنا الآن كما سبق بيانه الأصل « الهليو بوليتى » « لماعت » (الحق، الصدق، العدالة) التى صارت تمثل إلهة وهى بنت إله الشمس، نلاحظ أنه جاء فى « كتاب الموتى[١] » أن جماعة الآلهـة يجلسون فى قاعة « ماعت » حيث لا يوجد بأجسامهم إثم ولا بهتان، وهم يعيشون على الصدق («ماعت») حيث يؤكد الميت لأولئك الآلهة نقاءه بقوله :

"إنى أعيش على الصدق وأتزود من صدق (أو عدالة) قلبى" .

ونجـد وقتئذ أن هـذا المذهب الشمسى الذى يشـد أزره أولئـك الآلهة فى « هليو بوليس » قد اعتنقه « اخناتون » تماما ، حتى كان على الدوام يذيل اسمه الملكى فى كل آثار الدولة العظيمة بهذه الكلمات : "العائش على الصدق «ماعت»". وهـذا النعت الهام الذى ألحق باسم « اخناتون » قد صيره الممثل الرسمى والمعاضد للنظام الخلق القوى العظيم ، وهو نفس ذلك النظام الذى تصـوّره كهنة المذهب الشمسى قديما فى « هليو بوليس » فى عهد يرجع تاريخه إلى عصر الأهرام . وقد

---

(١) فصل ١٢٥ من كتاب الموتى .

ألبسه المفكرون الاجتماعيون ، ورسل العهد الإقطاعى المصرى أهمية خلقية أكثر مما كانت له فى أى زمن من قبل ، ولكن حينما نعيد إلى ذاكرتنا عدم كفاية «اخناتون» للتسلط على سائر العالم، فإنه يظهر لنا أنه ما كان يرمى من وراء إضافته تلك الكلمات إلى اسمه الملكى إلا إظهار رغبته فى امتداد سلطان النظام القومى الخلقى القديم حتى يصير مسيطرا على سائر العالم الدولى العظيم، الذى كان هو سيده إذ ذاك . وبذلك امتدت سيطرة مملكة إله الشمس للقيم الخلقية قديما إلى حدودها العالمية المنطقية ، وقد فسر بذلك « التوحيد » الذى كان منطويا فى أسرار تعاليم كهنة « هليوبوليس » تفسيرا لا إبهام ولا خفاء فيه ، على يد« اخناتون » .

وقد سمى « اخناتون » عاصمة ملكه الجديدة فى « تل العمارنة » مقر الصدق (ماعت) فى الأنشودة القصيرة متمشيا مع تلك الحقيقة . وقد كان أتباعه على علم تام بالاعتقاد الشديد فى «ماعت»، ولذلك كان رجال البلاط الملكى يعظمون « الصدق » كثيرا إذ يقول أحد أعلام معاضدى الملك وهو «آى» الذى تولى الملك بعد « توت عنخ آمون » :

” إنه (يعنى الملك) أحل الصدق فى جسمه .
والذى يمقته هو الكذب “ .

وإنى أعلم أن «وع — ن — رع» (يعنى إخناتون) يمرح فيه (الصدق)؛ ثم يؤكد نفس هذا الرجل أن إله الشمس :

« واحد قلبه مستريح للصدق، والذى يلعنه هو الكذب » .

كما يذكر لنا موظف آخر فوق جدران قبره فى « تل العمارنة » .

” سأتكلم لجلالته (لأنى) أعلم أنه يسكن فيه ... ...
وإنى لا أفعل ما يكرهه جلالته لأن الذى يمقته
هو حلول الكذب فى جسمى ... ...
لقد قررت لجلالته الصدق لأنى أعرف أنه يسكن فيه .

إنك « رع » والد الصدق ... ..

وإنى لم آخذ رشوة الكذب .

كما أنى لم أُقَص الصدق لأجل الرجل العسيف " .

ويجب أن نذكر هنا مرة ثانية — بمثابة دليل هام على إخلاص «إخناتون» للصدق — أنه لم يقصر فضيلة الصدق على السلوك الشخصى فحسب بل أدخله كذلك فى ميدان الفن حيث صارت له فيه نتائج ذات آثار باقية فى التاريخ .

وعلى ذلك كان لا يزال « رع » المنشئ المعضد للصدق أو الحق « ماعت » فى ذلك الانقلاب الذى قام به «إخناتون» ، يعنى النظام الخلقى والإدارى كما كان ذلك النظام قائما منذ أكثر من ألفى سنة مضت . وإذا لم نسمع عن حساب الآخرة فى مقابر « تل العمارنة » فمن الواضح أن ذلك يرجع سببه إلى نبذ الآلهة ، وأنصاف الآلهة وعلى رأسهم «أوزير» ، وهم الذين كانت تشملهم المحاكمة فى حساب الآخرة ، كما نجد ذلك مذكورا فى « كتاب الموتى» حيث سبق بيانه فيما تقدم . فأولئك الآلهة قد نفوا وقتئذ ، والظاهر أن منظر المحاكمة التمثيلى قد اختفى باختفائهم . ومع ذلك فإنه كان من الواضح أن المستلزمات الخلقية فى المذهب الشمسى — وهو المذهب الذى نشأت منه فكرة المحاكمة فى الآخرة ، وانتشرت — لم تنته المطالبة بها فى التعاليم الإخناتونية ولم تفتر . وكذلك فإن الحملة التى قام بها الكهنة على عالم الأخلاق بالعوامل السحرية الآلية لضمان براءة الميت فيما بعد الموت قد أقصاها « إخناتون » بداهة عن تعاليمه التوحيدية فصارت « الجعل » القلبية (الجعارين) التى كانت مألوفة من قبل لا ينقش فوقها التعاويذ السحرية لإخماد وحى الضمير عند المتهم ، بل صارت وقتها ينقش فوقها صلاة بسيطة موجهة إلى «آتون» طلبا لحياة طويلة سعيدة وعطف وطعام .

وما ذكرناه عن « الجعل » (الجعارين) ينطبق تماما على تماثيل المجاوبين التى هى تماثيل صغيرة كانت تقوم بالأعمال بدلا من الميت إذا طلب منه ذلك فيما بعد الموت فى الحياة الأخروية .

و إذا فكرنا مليا فيما ذكر نجـد أن أمثال تلك التغييرات الأساسية تبسط أمامنا عظم المـدّ الجارف من الفكر الموروث عن الأقدمين مع العادات والتقاليد ، ذلك المد الذى تحوّل عن مجراه على يد ذلك الملك الشاب الذى كان يقود ذلك الانقلاب.

على أننا نبدأ فى تقدير قوّة شخصية «إخناتون» العظيمة فحسب، عندما ندرك هذه الناحية من حركته التوحيدية إدراكا واضحا ، فقد كانت الوثائق الدينية قبل عهده تنسب عادة إلى الملوك القدامى والحكماء الأوّلين. وكانت قوّة العقيدة لا ترتكز بوجه خاص إلا على ادعاء أقدميتها الساحقة، وعلى قدسية العادة العريقة فى القدم. وقـد كان تاريخ العالم حتى عهد « إخناتون » لا يرتكز إلا على مجرّد سطوة التقليد الذى كان سلطانه لا يعارض . وليس لدينا استثناء بارز فى هـذا المضمار إلا ذلك الطبيب النطاسى، والمهندس العظيم « أمحوتب » الذى أدخل على فن العمارة البناء بالأحجار جملة، وأقام أوّل مبنى من الحجر وهو ذلك القبر الهرمى الشكل الذى يرجع تاريخه إلى القرن الثلاثين قبل الميلاد .

وغير هذه الشخصية من المصريين الأقدمين لم يكن الناس يعدّون بعـدها إلا نقطا من المـاء بجانب ذلك التيار الجارف العظيم .

فإذا استثنينا « أمحوتب » هذا ، كان «إخناتون» أوّل شخصية بارزة ظهرت فى التاريخ المصرى القـديم . فإنه قـد أحرز مكانة سامية بنفاذ بصيرته ، وحسن تدبيره وتفكيره العقلى ، ثم نهض بنفسه علانية ، وقام فى وجه كل التقاليد ونبذها ظهريا ولم يلجأ فى توطيد مذهبه الجـديد إلى أية وسـيلة من وسائل الأساطير أو الروايات العتيقة ممـا كان معترفا به لسلطان أولئك الآلهة اعترافا واسعا، بل لجأ إلى استعمال البراهين العتيدة الظاهرة الدالة بنفسها على سلطان إلهه، وهى أدلة بسطت أمام الجميع .

وأما من جهة التقليد فإنه إجتهد فى القضاء عليه أينما وجد فى أى مظهر مادى للآلهة الأخرى فى السجلات التى يمكن الوصول إليها ، على أن سياسته التى قوامها

التخريب إلى هـذا الحد كان لا بدّ لهـا من أن تصادف معارضة قوية فتاكة . وسنتكلم عنها فى حينها .

الفن فى عهد اخناتون والعهد السابق له

لم يكن الانقلاب الذى أحدثه « اخناتون » قاصرا على إحياء عقيدة التوحيد باسم « آتون » ، بل قد تخطت حركته إلى انقلاب عظيم فى الفن المصرى — لأنه كان جزءا من منهاجه — ، وخروج المفتنين على تقاليد القوم الموروثة منذ أزمان سحيقة فى القدم ، غير أننا نكون مغالين بعض الشىء إذا قلنا إن مذهب « آتون » هـو العامل الوحيد الذى أوجد هـذا الانقلاب فى الفن المصرى وطرائقه ، لأننا إذا رجعنا البصر كرة إلى عهـد الملكة العظيمة « حتشبسوت » وخلفها « تحتمس الثالث » وجدنا هناك روحا جديدا قد أخذ يتغلغل فى نفس المفتن المصرى ، فالقوّة الهائلة والوقار ، والخشونة ، وقوة التأثير التى كانت تمتاز بها أحسن القطع الفنيـة فى عهـد الدولة الوسطى بمـا تنطوى عليه من قوة غاشمـة قد أخذت تتسم بسمة النعومة ، وتتحـوّل تدريجا روحا جديدا ينم عن رشاقة وجاذبية ، ويظهر هـذا الروح حتى فى نحت التماثيل ؛ ففى الآثار الضخمة العظيمة كالتماثيـل الهائلة التى كانت فى الواقع تصنع لا لتمثل صـورة حقيقية بل لتمثل عناصر فنية عظيمة ، نجد فيها على الرغم من ذلك قوّة تعبير كما يلمس ذلك فى تمثـال « تحتمس الثالث » الموجود الآن فى المتحف المصرى إذ تنم تقاطيعه عن القوّة الغاشمة ، ولا شك فى أن مثل هـذه القطعة الفنية يسيطر على كل شىء حوله كما كان « تحتمس الثـالث » نفسه يسيطر على العـالم القديم الذى كان يعيش فيـه ، ومع ذلك نجـد فى نقش الأسرة التى عاش فيها «تحتمس» أن التغيير قد أخذ يدب دبيبه ، فنرى بجانب تمثال « تحتمس » فى نفس القاعة المعروض فيهـا بالمتحف البريطانى رأسا « لأمنحتب الثالث » متقن الصـنع يشف عن عظمة وجلال ومـع ذلك أخذ عامل النعـومة والليونة يدب فى تقاسيمه ، هذا إلى أن المفتن قد حاول أن ينفث فيه روح شخصية

مميزة ، ولكنا نلاحظ التغيير الذى يرمى إلى محاكاة الطبيعة فى قطع الحفر الصغيرة من التماثيل ، فما أعظم الفرق بين التمثال الفاخر « لسنوسرت الثالث » المصنوع من الجرانيت الأزرق الذى عثر عليه فى الدير البحرى والموجود الآن بالمتحف البريطانى ، وبين تمثال « تحتمس الثالث » المصنوع من الشيست الدقيق المحفوظ « بالمتحف المصرى » فكلا التمثالين ينم فى ملامحه عن شخصية وثابة ، ولكن مفتن الدولة الوسطى كان خشنا إلى درجة ما فى تمثيل ملامح « سنوسرت الأول » التى تدل على خلق مهيمن . فكل نقطة يمكن أن تظهر عبوسه وتقطيب شخصيته الصعبة المراس المرة قد مثلت فى تقاطيع وجهه تمثيلا بارزا ، والواقع أننا نقرأ فى تقاطيع وجه « سنوسرت » الجامدة الشعور بالقوة ، بل نلمس كذلك متاعبها الأليمة المرة ، على أن «تحتمس الثالث» لا يقل قوة عنه بما أوتى من أنف محدب ، ولكن هذا الجندى العظيم يرى مبتسما طلقا مما خفف من احديداب أنفه ، وأسبغ على ملامح وجهه جاذبية ناطقة ، ولا يفوت القارئ أن المادة التى صنع منها التمثال الأول ، وهو الأقدم هى مادة الجرانيت ، أما الثانى فقد نحت من الشيست ، وهما ينمان بوضوح عن التغير فى الطراز الذى انتهجه كل من المفتنين كما يدلان على عصريهما ، ومن ذلك يتضح أن فن التصوير قد بدأ منذ باكورة الأسرة الثامنة عشرة يفقد شيئا من خشونته ، وفى آن واحد أخذ يكتسب مرونة ورقة كانتا بعيدتين عنه من قبل ومع ذلك فإنه لم يفقد بصورة ظاهرة شيئا من الصدق فى التعبير أو القوة فى التأثير ، فالفن المصرى لا يحتوى إلا على قطع قليلة أكثر صدقا فى التعبير عن الحقيقة ، أو أعظم تأثيرا فى النفس كتمثال الجرانيت « لأمنحتب بن حابو » ذلك الرجل الحكيم الذى عاش فى عهد « أمنحتب الثالث » وهذا التمثال موجود الآن فى « متحف القاهرة » ، فلم يكن « أمنحتب » هذا جميل المحيا ، ولم يحاول مصوره أن يحسن شيئا من تقاسيم هذا الرجل العظيم التى ظهر فيها القبح والكفاية معا ، ولكنك لن تجد بسهولة صورة تمثل الحياة بعينها لرجل ذكى الفؤاد أريب عركته الدنيا مثل « أمنحتب » هذا على الرغم مما هو عليه من قبح بين .

فالمثال المصرى إذا كان قبل حلول عهد « اخناتون» ينحت تماثيله جاعلا نصب عينه الرقة والليونة فى إخراج قطعه الفنية ، وهو فى الوقت نفسه لم يجعلها تكاد تفقد شيئا فى قوة تأثيرها أو ترجمتها للطبيعة ، ويرجع هذا التغير فى تقاسيم محيا التماثيل فى هذا العهد إلى أن شكل الوجه قد بدأ يتغير وبخاصة فى علية القوم ؛ وذلك بإدخال عنصر دم جديد غريب عن البلاد ، ويرجع السبب فى ذلك إلى التزوج بأجنبيات فى عصر الفتوحات العظيم .

وهذا الاتجاه فى التصوير يلاحظ فى الرسوم البارزة على الجدران، وأحسن مثال لدينا من أعمال الامبراطورية من الطراز القديم هى الرسوم التى على معبد « حتشبسوت » بالدير البحرى ؛ ومع ذلك فإنا نجد فيها ما يشعر بسيطرة الروح الجديد ، ولكن عندما نصل الى عهد « أمنحتب الثالث » نجد فى الرسوم البارزة فى أمثال مقبرة « خع امحات » و « وسرحات » فى «طيبة» وحتى فى بعض الرسوم البارزة فى معبد الأقصر: ظرفا ونفاسة ورقة يعجزعن إظهارها مثالو العهد القديم، غير أن الإنسان فى ذلك لا يمكنه أن يُفضل مثال العصر الحديث عن مثال العصر الذى سبقه ، لأننا نجد فى القديم قطعا تمتاز عن مثيلاتها فى الحديث ، ولكنا نجد أن المثال الحديث قد أخذ يتعرف أكثر على مادته الجديدة ، وبذلك أصبح فى مقدرته أن يتصرف فيها كيف شاء ، وبخاصة عندما تخلص من القيود القديمة وشعر بحرية فى إبراز عمله ، وقد كان من نتائج تلك الحرية فى العمل أن أصبح المثال على استعداد أن يأخذ على عاتقه تنظيم صور أكثر تعقيدا عند وضع تصميم منظر صور بارزة .

على أن الاتجاه نحو الزيادة فى الحرية ، والحصول على جرأة واندفاع فى تمثيل المناظر مضافا إلى ذلك ميل أكثر إلى محاكاة الطبيعة يلاحظ بصراحة فى الصور الملونة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، ولذلك يعد من الخطل فى الرأى أن يقول الإنسان عن مناظر رقعة قصر « اخناتون » الملون وهو الذى عثر عليه فى مدينة

« اخناتون » إنها كانت أول محاولات من جانب المصور المصرى لمحاكاة الطبيعة فى حياة الهواء الطلق ومافيه من حركة ،ولاأدل على ذلك مما نشاهده مصورا فى سقف قصر « أمنحتب الثالث » من طيور تحلق، وفراش يرفرف، و بط يسبح فى رقعتها مما يدل على أن المثال فى عهد والد «إخناتون» كان فى مقدوره أن يحاكى الطبيعة ، ولكنه لم يكن عنده المران فى تأليف الصور المركبة وتنسيقها مثل خلفه ، على أن هذا الميل إلى محاكاة الطبيعة يمكن أن يرجع إلى زمن أقدم من ذلك، فالطيور التى تطير من المستنقعات فى مقبرة « أمنمحات » الكاتب فى عهد « تحتمس الثالث » ليست إلا خلفا للتى وجدت فى قصر « أمنحتب الثالث » ، وفى قصر « إخناتون » هذا إلى المناظر التى نشاهدها فى قبرى « نخت[1] » و « منّا[2] » والمناظر الموجودة الآن بالمتحف البريطانى المأخوذة من قبر « سبك حتب[3] » كل هذه تبرهن على النمو السريع لروح الحرية فى تمثيل الصور الطبعية . فمن بين المناظر الموجودة فى المتحف البريطانى صورة نجد فيها امرأتين تلتفتان بوجهيهما[4] تماما إلى الناظر إليهما ، وهذه الحركة لا نراها إلا نادرا فى التصوير المصرى . هذا إلى أنه يصعب أن توجد صورة تفوق فى براعتها صورة القطه التخطيطية الفائقة الحد فى التعبير التى نشاهدها فى إحدى مناظر قبر « نخن » بطيبة ، فإنها تكاد لفرط هزالها وجوعها تلتهم سمكة .

وهذه الصورة التى يحتمل أن يرجع عهدها إلى عصر « تحتمس الرابع » تبين لنا أن المفتن المصرى كان سريع الخطا فى سيره للوصول إلى تصوير طبعى أعظم شأنا وأكثر دقة قبل أربعين سنة من عهد « اخناتون » .

---

(١) راجع : Davies, "The Tomb of Nakht at Thebes".

(٢) راجع : Colin Campbell, "Two Theban Princes".

(٣) راجع : Budge, "Wall Decorations of Egyptian Tombs, Illustrated from Examples in the British Museum", P. 15. fig. 9, P. 14, fig. 7.

(٤) راجع : Budge, Ibid, Pl. IV.

ومن ذلك نرى أنه لا يوجد ما يبرر الاعتقاد بأنه لا علاقة بين فن عهد العمارنة ، والفن القديم التقليدى ، إذ الواقع أن عملية التغير لم تأت بجأة بل سارت تدريجا ، وكانت قد أخذت فى سيرها بوضوح منذ قرن قبل اعتلاء « اخناتون » العرش على أقل تقدير كما أوضحنا ، كما أن مذهب « آتون » لم يكن وليد ليلة بل كان يضرب بأعراقه إلى أقدم عهود العقائد المصرية ، كذلك كان الفن الذى سار مع « آتون » جنبا لجنب يضرب بأعراقه فى الماضى ، ولم تكن ظاهرة طبعية بل شجرة نمت وترعرعت ، وعلى أية حال فإن النمو يمكن إدخاله فى تدرّج العقل الإنسانى كما يمكن إدخاله فى الطبيعة ، فالعقيدة الآتونية ، وبخاصة رجال الفن فيها كانوا يعبرون باستمرار عن وجهة نظر الفرعون ، وهى التى دفعت العنصر العامل فى فن العصر إلى الأمام ، فنجد أن من بين الألقاب التى كان يتمسك بها «اخناتون» نفسه لقب « عنخ إن ماعت » (يعنى العائش فى الصدق) وقد أخذ المعنى الصريح لهذه العبارة وجعلها مبدأه فى الحياة . فقد كان المقصود منها لديه أن يتقبل حقائق الحياة اليومية ببساطة ، ومن غير كلفة ، فكان يعتقد أن ما مضى كان حقا ، وأن صلاحه كان ظاهرا من نفس وجوده ، ولا شك فى أن تأثير مثل هذا القانون على الفن كان عظيما ، ولذلك فإن التقدّم الذى كان سائرا بالفعل فى الفن المصرى قد شجعه هذا المبدأ ، وأسرع فى خطاه إلى حدّ بعيد فيصف لنا « بك » نفسه وهو كبير رجال الهندسة ، الملك ومثاله الأوّل على لوحة فى «أسوان» بأنه هو المساعد الذى علمه جلالته ليكون رئيس المثالين لآثار الملك الضخمة العظيمة ، على أنه لا يتحتم أن يفهم من هذه العبارة أن « إخناتون » كان متطفلا على الفن وأنه كان يسلى نفسه ، أو أنه كان يضايق رجال الفن برسم أشياء يفرض عليهم تنفيذها كما كان يفعل « تحتمس الثالث » ولكن الواقع أنه كان يبين لمثاليه أن " الحياة فى الصدق " كانت جزءا من تعاليمه الدينية ، وأن من واجبهم أن يأخذوها مرشدا لهم ، ثم يتركهم يعملون بمقتضاها .

وقد كانت نتائج هذا التوجيه إخراج قطع فنية من الطراز الفائق الحدّ فى طبيعته فقد وجد كل من المثال « بك »(١) وصاحبه « أوتو »(٢) وهما مثالا الملكة « تى »، وكذلك غيرهما من مثالى عصر « العمارنة » أنهم أصبحوا لأول مرة فى تاريخ الفن المصرى طليق الأيدى تماما يرسمون الشيء كما يرونه فلم يتقيدوا بالتقاليد القديمة التى كانت حجر عثرة أمام تقدّم الفن المصرى فى الماضى . ولذلك اختفى الوضع الكهنوتى المرسوم للتالين إلى حدّ بعيد ، ومن ثم مثل الملك والملكة والأميرات ورجال البلاط لا كما يجب أن يكونوا فى الاحتفالات العظيمة مزملين فى ملابس العظمة التقليدية بل مثلوا كما يعيشون بطبيعتهم مما جعلنا نراهم فى مواقف ليس فيها من جلال الملك شيء ، فيشاهد ذلك مثلا فى منظر « إخناتون »(٣) وهو يلتهم الأكل على مائدة الطعام، أو وهو يطوّق بساعده أخاه « سمنخكارع » ويداعبه — وإن كان فى هذه الصورة شك — أو ظهور الأسرة الملكية فى الشرفة وهم عرايا الأجسام؛ على أن أكبر مظهر للتحويل فى التصوير هو ما نشاهده فى تمثيل الأجسام البشرية، فيرى الإنسان فى تصويرها على حسب ما يتراءى له تقدّما أو انحطاطا . أما فى المجالات الأخرى غير الصور الإنسانية فإن التحول أو التغير على الرغم من أنه معلم ظاهر تماما فإنه لم يبلغ أقصى مداه كما يظن البعض أحيانا ، فالحياة فى الحقل مثلا لم تكن فى حياة الفن المصرى خاضعة يوما لقيود التقاليد التى غلت يده فى تصوير الجسم الإنسانى ، إذا الواقع أن الرسامين والمثالين المصريين كانوا منذ أقدم العهود ينقلون ما فى الطبيعة عند ما يصورون المستنقعات والنهر والصحراء بما فيها من حياة وحشية، ونباتات . ولقد خطا فنانو عصر «إخناتون» بهذه الرسوم خطوة

---

(١) راجع : De Morgan, "Cat. Mon.", I, P. 40, No. 174.

(٢) راجع : Davies, "El Amarna", Vol. III, Pl. XVIII.

(٣) راجع : Davies, Ibid. Vol. III, Pl. IV.

(٤) راجع : Davies, Ibid. Vol. VI, P. 22, Pl. XXIX.

أخرى إلى الأمام يمكن أن يقال عنها إنها ناتجة عن تعاليم «أخناتون»؛ وقد وصف الأستاذ «برستد» هذا الفن بأنه فن بسيط جميل ينم عن الحقيقة، ويرى ببصيرة ثاقبة ما لم يره أى فن آخر من قبل، غير أن فى هذا بعض المبالغة لأن المفتنين القدامى فى مصر لم يكونوا محجوبى النظر عن حقائق الطبيعة وأسرارها، أكثر من المفتنين «بلك» و«أوتو»؛ ولو لم يخلف عهد «أخناتون» لنا من نماذج أعماله الفنية إلا صور الحياة البرية بما فيها من نبات وحيوان، فانه يصبح من الصعب علينا جدًا أن ندرك منها حدوث أى فاصل أو تحول فى تقاليد القوم الفنية، بل على النقيض كما نرى فى هذا الازدهار الفنى الجديد تقدما مشروعا لخطط مألوفة ليس فيها تحول عن الطرق القديمة التى انتهجها المفتنون القدامى.

وعلى أية حال فان الأمر يختلف اختلافا تاما فى تصوير الجسم الإنسانى فى عصر العمارنة، وهذا فى الحقيقة أهم الأشياء التى خلفها لنا عصر «أخناتون» من الوجهة الفنية. وفى هذه الحالة يمكن الإنسان أن يتحدث عن فن عصر «تل العمارنة» وهو يشعر أنه يناقش وحده مميزة لها حياتها وشخصيتها الخاصة بها، فالرجل والمرأة يصورهما المفتن على طبيعتهما أى كما يراهما أمامه بالعين المجردة، وهو يخرج صورته بمعناها الحقيق حرة من كل قيد متوخيا فى ذلك إبراز التفاصيل بصدق مما كان غريبا عن الفن القديم الذى كان معتادا فى البلاد. فمنذ عهد «أخناتون» لا يرى الإنسان الصور الآدمية مرسومة فى وضع خاص فى مجموعة قليلة فى تنوعها، وتتناول موضوعا واحدا وهو ما سمحت به العادة، إذ كان يصور الإنسان بساقه اليسرى إلى الأمام وذراعه مدلاة بجانبه وراحتاه مقبوضتان ألخ. أما فى صور «تل العمارنه» فنرى أناسا جالسين وواقفين ومتحركين ومضطجعين بكل وضع طبعى يمكن للانسان تصوّره، وأحيانا يصور فى أوضاع لا يمكن قبولها أو تصوّرها، كما أنها غير طبيعية فى الوقت نفسه.

وأجمل نموذج كشف حتى الآن لهذه الحرية الجديدة فى الرسوم البارزة الصورة الملونة الصغيرة الرائعة الموجودة الآن بمتحف «برلين»[1] وهى التى رسم فيها «أخناتون» و«نفرتيتى» معا كما هى العادة؛ فنشاهد فيها الملك واقفا أو بعبارة أدق متراخيا فى وقفته فى وضع رشيق لا تكلف فيه ومتكئا على عصا تحت إبطه الأيمن، ويرى طرفا حزامه الطويلان وأهداب شعره المستعار يداعبها الهواء، وتقف أمامه الملكة «نفرتيتى» فى هيئة لا توصف إلا بالقحة وفى يدها اليسرى طاقة من أزهار البشنين المفتحة الأكمام وفى يدها اليمنى طاقة أخرى من أزرار الأزهار مقدمة إياها لزوجها ليشم رائحتها، وترتدى ثوبا من الكتان شفيفا يداعبه النسيم، ولولا أن «أخناتون» كان يحلى جبينه بالصل الملكى، والملكة ترتدى الصل المزدوج الذى كان يميز الملكة فى هذا العصر، ما كان أحد يظن قط أنه فى حضرة فرعون مصر أعظم ملوك العالم وقتئذ، والذى يتقمصه الإله العالمى، فالصورة فى مجموعها تعد من حيث بساطتها وسحرها من أندر ما أخرجه الفن القديم عامة، ولكنها فى الوقت نفسه تناقض الصور العادية للفرعون، إذ أنها قد فقدت كل مهابة الملك وجلاله.

وأعجب الثمرات التى أنتجها لنا فن «أخناتون» الرءوس التى تمثل الصور الآدمية، والتماثيل الصغيرة لهذا العصر، وقد كشفت البعثة الألمانية عددا عظيما منها؛ والواقع أن المثال المصرى كان قد أخذ فى اعتلاء مكانته الحقيقية شيئا فشيئا حتى أصبح يحتل مكانة وضعته بين قادة الفن فى العالم، وهى مكانة كان ينكرها عليه منذ سنوات قليلة مفتنو عصرنا بنوع من السخرية. ولقد جاء الكشف الألمانى لهذه الرءوس المنحوتة نحتا دقيقا مكذبا لتلك الادعاءات. وهذه الرءوس معظمها للأسرة المالكة، منها عدد عظيم «لإخناتون» نفسه، ومعظمها مصنوع

---

(١) راجع: Schafer, "Von Aegyptischer Kunst besonders der Zeichenkunst. Ein Einfuhrung in die Betrachtung Agyptischer Kunstwerke", P. 23.

من الحجر الجيرى الأبيض؛ ثم تماثيل صغيرة للملكة « نفرتيتى » تصور الحقيقة بدرجة فائقة الحد، وكذلك رءوس صغيرة للأميرات لها سحر عجيب، وصور لبعض رجال البلاط، من بينها رأسان ربما كانا للكاهن «آى» الذى ولى الحكم فيما بعد ولزوجه « تى » . على أن أعجب درتين فى كل هذه المجموعة هما الرأسان اللذان يمثلان الملكة « نفرتيتى » ، إحداهما من الحجر الجيرى الملون، ولها شهرة واسعة، ويعترف الجميع بأنها من أروع الأمثلة فى النحت فى العالم ، وإنها لجديرة حقا بتلك الشهرة التى نالتها ، ولا بدّ أن « نفرتيتى » نفسها كانت تفوق نساء عصرها فى جمالها



الصورة رقم ١٧ الملكة نفرتيتى

ورشاقتها، وسواء أكان المثال «بك» أو غيره قد نحتها فانه قد ارتفع الى القمة فى الفرصة التى سنحت له ؛ إذ الواقع أن هذا التمثال النصفى للملكة «نفر تيتى» لا تضارعه قطعة أخرى فى دقة تصويره، ورشاقة ملامحه التى تدل على التفكير، ولذلك يحق للمثال المصرى أن يسابق بشهرته وهو مطمئن البال فى هذا المضمار على هذه القطعة الفنية الخلابة؛ وأما القطعة الثانيــة فإنها أقل شهرة، ويرجع السبب فى ذلك إلى المـادة المصـنوعة منها ، وكذلك الى الحالة التى وجدت عليها ، فالناظر إليها لأول وهـلة لا تستهوى مشاعره . وهى للملكة « نفر تيتى » أيضا، وقد صنعت من الحجر الرملى الأسمر ولكنها فى الواقع لا تقل جمالا عن سالفتها فى عين المفتن الناقد ، فالقطعتان معالا نظير لهما ، و يدرك الإنسان عنـد تأملهما سر مالهما من شهرة تاريخية للجمال واسعة النطاق .

ومن القطع التى تتميز بها مدرسة الفن فى « تل العمارنة » و إن كان لم يعثر عليها فى « إخناتون » رأس الملكة « تى » المصنوع من الأبنوس والذهب ، وهى فى دقة صنعها آية من آيات الفن ، وقد عثر عليها فى «الفيوم» ، وهى الآن فى متحف «برلين» ، والواقع أنه لم يعثر على قطعة مدهشة مثلها فى الفن القديم أو الحديث يقرأ الإنسان فى تقاسيمها أخلاق صاحبتها ، وليست لفظة الجمال بالتعبير الصادق الذى يستعمله الإنسان عند وصفها ، ولكن هو التأثير المدهش الذى تتركه بما توحيه من شخصية مسيطرة ، وربما كان ماصوره المثال فى تقاسيمها من معاناتها الألم هو سر جمالها ، وهذا الرأس الفذ الصغير الحجم لا يزيد ارتفاعه عن بعض سنتيمترات ، ولكنه قطعة فنية أعظم تعبيرا ، وأقوى تأثيرا من معظم التماثيل الضخمة . (انظر صفحة ٦٢) .

وترتكز عبقرية الفن المصرى وقوته فى عصر « إخناتون » إذًا على الموضوعات التى تتعلق بالإنسان . ولا نزاع فى ذلك لأن هذه الشهرة تستند على حقائق يؤيدها

(١) راجع : "Chrônique d'Egypte", No. 31 (Jan. 1941), P. 46; Davies, Ibid, Vol. VI, Pl. XXXVIII.

(٢) راجع : Fechheimer, "Die Plastik der Agypter", P. 88, 89.

الواقع تأييدا واسع النطاق، ولكن مما يؤسف له أن صفات هذا الفن السامية بحق قد طمست معالمها إلى حدما، وأن ما أخرجته هـذه المدرسة قد أُوذى بخاصية مستهجنة، وليس فى استطاعتنا أن نحكم فيما إذا كانت هذه الهجنة ترجع إلى مبالغة « إخناتون » فى تمسكه بفضيلة الصدق التى نجدها فى تفكيره، وفى فنه، وفى تشبثه بأن ينتهج فنه هذه السبيل المعوجة، فنعلم أن الملك كان شاذ الخلق كما يتضح ذلك من تماثيله، وصوره الملونة بل إن أهم من كل ذلك غطاء الوجه الذى كان عليه بعد وفاته، فقد كان شذوذه يتمثل بوضوح فى ضخامة جمجمته بشكل خارج عن المعتاد، وكذلك نمو الجزء الأسفل من جسمه ونخذيه نموا غير مألوف، وقد دلت البحوث الطبية على أن الأسرة كان فيها هذا الشذوذ أو على الأقل فى إخناتون نفسه. ولما كان « إخناتون » يحب الحقيقة والصدق إلى أقصى حد، فإنه صمم أن يرسم بما فيه من شذوذ جسمى مطابق للحقيقة بدون ملق أو محاباة، فى تمثيل كل ما فيه من قبح وشذوذ، وكما يحدث عادة فى مثل هذه الحالة مثلت الأجزاء المراد إبرازها بشىء من المبالغة ازدادت بمر الأيام، ولذلك نجد أن هذه الطريقة المنكودة قد ظهر أثرها المبالغ فيه فى كل صور أفراد الأسرة المالكة فى هذا العهد، وليس من المعقول بتاتا أن الملكة « نفر تيتى » والأميرات كن مصابات بهذا الشذوذ الجسمى كالفرعون؛ ولا أدل على ذلك من جذع تمثال الأميرة الصغير المصنوع من الحجر الجيرى والموجود الآن بجامعة « لندن »[1] فإنه خال من كل هذا الشذوذ، ولكن العادة القبيحة فى التشبث بإظهار خاصيات الملك الجسمية قد أدى إلى خلق خاصيات من هـذا الطراز لا وجود لها، ولذلك فانا نجد الملكة والأميرات يمثلن فى كثير من الأحوال بدون مبرر بشذوذ جسمى قبيح لا ينطبق على الواقع قط، وهن منه بريئات قطعا.

---

(١) راجع: Fechheimer, "Die Plastik der Agypter", P. 94. & Ghalioungui, "A Medical Study of Akhenaton", A. S., Vol. XLVII, PP. 29 ff.

ولقد انتقلت هـذه البدعة القبيحة إلى رجال البلاط كما كان المنتظر، والناس على دين ملوكهم؛ حتى أن الأمر قد وصل إلى درجة من المجون فمثل الرجل قبيحا بقدر المستطاع تقليدا لصورة جلالته ، وهذا أمر كان لا يمكن تلافيه . ولقد كانت نتيجة هذا العبث أن أصبح جزء عظيم من فن « تل العمارنة » بكل ما فيه من محاسن يقرب من الصور الممسوخة الهزلية .

ولقد كانت الكارثة فى كل هـذا مزدوجة ، فإن هـذا الفن الذى كان رفيعا فى ذاته حقـا ، بل لا نغـالى إذا قلنا إنه أحسن زهرة تفتحت عن العبقـرية المصرية ، قد مسخت محاسنه بهذه المبالغات التى انتابته ، على أنه لمـا غُلب مذهب « آتون » على أمره بدا فى نفوس القوم اشمـئزاز من ذلك الشـذوذ الذى طمس محاسن فن « تل العمارنة » الرائعة حتى قضى على عبقرية الفن المصرى بدرجة عظيمة ؛ ولقد انزعج المصريون من نتائج انزلاقهم فى صـدق التعبير فى رسومهم ومحاكاة الطبيعـة ، ولذلك فإنهم أخذوا يتشبثون حتى آخر أيام تاريخهـم القومى فى حياتهم الفنية بأهداب طراز فنهم الثابت الذى كان متبعا فى غابر الزمن ، وكأن خلاصهم الوحيد كان متوقفا عليه . حقا إنه كان لا يزال فى عهـد الأسرة التاسعة عشرة أعمال فنيـة جميلة تحمل فى طياتها بوضـوح أثر فن العمارنة غير أنهـا كانت ضـئيلة .

أما فى العهد الساوى فقـد قامت نهضة عجيبة ظهر فيها بعض الأعمال الفنية الرفيعة على غرار الأساليب القديمة يصحبها صـدق التعبير ممـا جعلها جديرة بأن تضاهى بأعمال مفتنى عصر « إخناتون » ، غير أنه لم يعد يوجد قط ذلك التعبير الأول الجميل الذى ينطوى على فرط الفرح المستهتر الذى كنا نراه أيام «إخناتون» ، حينما كان يلقن أتباعه بأن ينظروا إلى الحياة والأشياء بأعينهم هم فحسب ، لا بوساطة التقاليد القديمة التى طبع على بصرها غشاوة .

الصناعات الأخرى فى عهد إخناتون

على الرغم من أن مدينة « إخناتون » قد أقيمت فى الأصل لتكون مدينة دينية وحصنا حصينا للمذهب الجديد وللبلاط الفرعونى، فإنه كان ولا بدّ أن يستند أهلوها — وبخاصة الطبقات الدنيا منهم — على إنشاء صناعات خاصة بهم ، وقد بينت لنا أنواع هذه الصناعات بدرجة عظيمة الأحوال التى أسست فيها هذه المدينة . والواقع أن مدينة « إخناتون » كانت تشبه فى حياتها النار التى أوقدت فى هشيم فارتفع لهيبها إلى عنان السماء ساعة ثم خبت وصارت ترابا هامدا، لذلك كان مقدرا لهذه المدينة التى أنشئت ما بين غمضة عين وانتباهتها، أن تجد مكانا فى محيطها لإقامة مقابر عدّة، ومقاصير وقصر ضخم للفرعون، ومساكن جميلة لكل الأشراف ورجال البلاط ، وكذلك مقابر ومقاصير لهم . وقد كان المصرى يعنى بها أكثر مما يعنى بمسكنه ، فكل هذه المنشآت كانت تتطلب بطبيعة الحال مقدارا ضخما من صناعة الزخرفة والزينة . أما نوع هذه الصناعة فقد كان القول الفصل فيه للذوق السائد فى هذا العصر ، وقد كان الذوق العام فى زخرفة المبانى مندفعا نحو الرسوم البارزة وتزيينها بالألوان الزاهية ، وهذا الذوق كان من خصائص الفن المصرى فى كل عصوره ، ولكنه أخذ يتجه فى عهد « إخناتون » إلى استعمال الخزف المطلى ، والزجاج الملون فى أعمال الزخرفة . ولقد كان أبسط وأسهل وأيسر على القائمين بالأمر أن ينشئوا معامل للخزف المطلى والزجاج الملون فى المدينة نفسها من أن يجلبوه من أماكن نائية كانت فى معظم الأحيان معادية للمدينة ، ولذلك كان من مميزات « إخناتون » ما أقيم فيها من مصانع لعمل الخزف المطلى والزجاج الملون ، وتدل بقايا ما وجد من هذه الصناعات على أنها ازدهرت وتقدمت تقدما عظيما فى «إخناتون»؛ وقد بلغت هذه الصناعة من التنوع والبهاء حدّا لم تصل اليه من قبل ولا من بعد ، وكان هذا العصر أعظم عصر بلغت فيه صناعة الخزف منتهى تقدمها كما وصلت إلى أعظم غاية فى تنوع استعمالها .

وقد كشفت أعمال الحفر عن موقع مصنعين عظيمين لصناعة الخزف المطلى، وكذلك عن عدة مصانع لعمل الزجاج على أن حجرات العمل فى هـذه المصانع قد اختفت نهائيا، غير أن بقايا هذه الصناعات لا تزال كائنة تظهر لنا فى القطع المتخلفة طريقة العمل فى إنتاج هـذه الصناعة فى حين أن مئات من قطـع أوانى الزجاج وأشياء أخرى تضع أمامنا شكل القطع التى تم صنعها .

ولمـا كانت الأذواق تختلف باختلاف العصور، فإن بعض القطع التى كانت تصنع من الزجاج الملون قـد يمجها ذوقنا ، فقد صنعت مثـلا تماثيل كاملة من الخزف المطلى، وهى لاتكاد تعد قطعاً فنية كما نفهم الفن الآن ، ففى أشياء أخرى كان الذوق الفنى فى عهـد « إخناتون » ناقصـا على الأقل فى نظـرنا ، ولكن لسنا فى شـك من القيمة الزخرفيـة للألوان الفنية التى كانت تستعمل فى صـورة خزف مطـلى لتزيين منازل الأشراف ، والقصـور الملكية والمعابد . وقـد وصل إلينا بعض قطع من أجمـل نماذج صناعة الزجاج الموجود فى العالم من هـذا العصر مثـل الابريق الأزرق الفيروزى المـزين بخطوط بيضاء وزرقاء قاتمـة ، وكذلك الآنيـة ذات أربعة المقابض بلونهـا الأزرق اللازوردى ، والمزينـة بخطوط متموجة صفراء و بيضاء وزرقاء خفيفة وهما فى مجموعة اللورد « كارنرفون » ، هذا إلى قـدح الشراب ذى اللون الفـيروزى الأزرق الخالص ، وهـو الآن بمتحف مترو بوليتان[١] بمدينة « نيو يورك » .

أما من جهة البهاء والفخامة فإن الدقائق الزخرفية والتفاصيل التى توجد على جدران قصر «إخناتون» التى استعمل فيها الزجاج الملون والذهب الوفير لتزين تيجان أعمدتها التى على شكل جريد النخل لدليل ناطق على مقدار ذوقهم ، ويقول الأستاذ «فلندرز بترى» إن تاج العمود فى هذا القصر كان صورة من عمل الميناء التى يحذقها الصائغ المصرى ، وهو عبارة عن رقعـة مقسمة أقساما دقيقة وضـع فى كل منها حجـر ثمين فى إطار

(١) راجع : Steindorff, "Die Kunst der Agypter", P. 276.

من الذهب ليخرج من المجموع رسم رائع يظهر فيه كل لون براق ، مفصول عن المجاور له بخيط من الذهب ، وقد استعمل المفتن تلك الصورة على نطاق أوسع فى فن العمارة ، ولذلك كانت تظهر تيجان الأعمدة وهى لامعة بهذا الذهب ، وبهذا الخزف المطلى الذى يشبه الجواهر. ولا شك فى أن التأثير الذى يحدثه صف من هذه الأعمدة المزينة بتلك الزينة لمما يأخذ بالأنظار لروعته وفخامته ، وبخاصة عندما تسطع عليها أشعة شمس مصر اللامعة . ولعمرى فإن مثل هذا المنظر فى عين السفير الأسيوى كان يزيده اعتقادا فى أن الذهب كان بمصر يفوق التراب. على أن الفرعون لم يكن مبذرا دائما فى بذل الذهب فى مثل هذه الأحوال ، ولا أدل على على ذلك من أنه استعمل فى قاعة المدخل فى جنة « مرو آتون » تقليدا رخيصا لتزيين عمدها ، فقد استعمل بدل الخزف المطلى عجينة مطلية ، وبدل الذهب طلاء أصفر يحاكيه .

أما المهارة فى الصناعة فى هذا العصر فيدل عليها نماذج الأثاث الجميلة التى عثر عليها فى مقبرة « آى » وفى مقبرة « توت عنخ آمون » . فالصناعة المصرية فى هذا العهد كانت لا عيب فيها من حيث الرسم والفكرة ، وصوغها بديع ، ولكنها كانت لا تروق فى عين عصرنا هذا لما فيها من الفخامة والبذخ المتناهى ، فخشب المقاعد وغيرها من أدوات الأثاث كثيرا ما كان يغطى كله بأوراق من الذهب مما يخفى بهجة القطعة من حيث الفن ، كما كان يغطى فى معظم الأحيان بطبقة من الجص المرسوم رسما بارزا ، وكانت الصناديق تزين بأحجار شبه كريمة ، وخزف ملون بسخاء ، وعلى الرغم من أن مثل تلك الزخرفة عندما تقع عليها عين الناقد الحديث تبدو أحيانا غير متقنة لا تصلح لتأدية الغرض الذى من أجله صنعت ، فليس من شك أن بعض قطع الأثاث مثل عرش « توت عنخ آمون » المشهور ، وبعض الصناديق من نفس المقبرة ، ومن مقبرة « آى »[1] تعد أمثلة منقطعة القرين فى جمال

(١) راجع : Davies, "El Amarna", Vol. VI, Pls. XXXIX, XL. etc.

رسومها كما أنها نماذج بديعة للصناعة المصرية نفسها ، على أن الانحراف عن الذوق السليم يحدث فى كل عصور الفن ، وعصر « تل العمارنة » لم يكن خاليا من إبراز قطع تنبو عنها الأعين ؛ وأى شيء أشـد قبحا من تلك الأسِرّة المذهبة التى عثر عليها فى مقبرة « توت عنخ آمون » ، وكذلك بعض تلك الأوانى المصنوعة من قطعة واحدة من المرمر ومزينة برسوم طبعية من النباتات النيلية[1] ، وقـد رصعت بقطع مستديرة من حجر الأبسديان ، فان العين حين تقع عليها لا تلبث أن تتحول عنها لمـا فى صورتها من انعـدام الذوق . وعلى أية حال فإن ذوق عصر « تل العمارنه » على وجه عام قـد احتفظ بخصوبة بالغة فى الجمال ، وصلاحية لا تضارعه فيهما عصور أخرى .

فمن الصناعات التى تلفت إليها الأنظار لمـا فيها من رشاقة وجمال فن صناعة الأدوات الصغيرة التى كان يستعملها الإنسان ، وبخاصـة أدوات الزينة كملاعق العطور والأوانى ، والمرايا وجعبها ، والأمشاط وغيرها من الأدوات الصغيرة التى كانت تصنع من أخشاب أجنبية ، أو من العاج أو من الشبه أو المرمر ، أو حجرا ستايتيت فكلها كانت قطعا فنية للاسـتعمال العادى ، ومن المحتمل أن توجد أشياء قليـلة تأخذ العين والعقل لبساطتها وقوتها معا . حقيقـة أن مصريى القرن الرابع عشر قبـل الميلاد كانوا فى مستوى أية أمة متحضرة فى الثقافة العالمية ، يشهـد بذلك هذه الأشياء الصغيرة بما يتجلى فيها من براهين تدل على تمتع القوم ، وسرورهم بكل ما هو جميل ، والحقيقة أن الأشياء الصغيرة الخاصة بحضارة القوم هى فى أغلب الأحيـان عنوان هـذه الحضارة ؛ والمطلع على تاريخ البـلاد يعرف تأثير الأفكار الأسيوية التى بدأت تتسرب إلى مصر فى بداية الفتوحات المصرية فى باكورة هذه الأسرة ، غير أنه على ما يظهر لم يكن للنماذج الفنية التى أُتى بها من سوريا ، وكذلك أصحاب الصناعات الذين نزحوا إلى مصر فى عهـد « تحتمس الثالث » ومن بعده من الفراعنة تأثير مستمر . وعلى أية حال فإن تأثير « سوريا » الفنى لم يكن ذا أهمية

---

(١) راجع : Carter, "The Tomb of Tutankhamon", Vol. II, Pl. XLVIII

فى فن « تل العمارنة » على الرغم من أننا وجدنا أن الفخار السورى كان يوجد بمصر بدرجة لا بأس بهـا فى ذلك الوقت ، ولكن أهم من ذلك هو ما يجب معرفته عن مقدار تأثير النمـاذج المنوانية (كريت) فى الصناعات المصرية ، لمـا بين البلدين من علاقات تجارية ، هـذا فضلا عن أن أساليب الفن المنـوانى كانت تنطوى على حيوية وجاذبية فى أشكالها وتصميم صنعها كما تكلمنا على ذلك من قبل .

ولا نزاع فى أن فخارا من العصر المنوانى الثالث قـد جلب إلى مصر فى عهـد العمارنة، وقد وجد منه قطع فى مدينة «إختاتون»[1] ، والظاهر أنه جلب إلى مصر من « كريت » و«رودس» وغيرها من جزائر بحر إيجه ، أو من بلاد الإغريق نفسها .

وقد كانت الأوانى المنوانية التى على شكل ركاب السرج ومصفاة الخمر منتشرة فى مصر فى ذلك العهـد ، وكان الصانع المصرى يقلدها فى الخـزف المطلى والمرمر والمعدن . ومن الجائز أن المصرى عندما عاد إلى حب الطبيعة وتقليدها وهو ما يتميز به فن عصر « العمارنة » ثم أخذ المفتن يطلق ليده العنان بمـا وهب من حرية وسهولة فى تصويره الأشياء ، قد تأثر بعض الشىء بروح الفن المنوانى ، ذلك الفن الذى لم يقيد بتقاليد قط بل كان قانون نفسه ، ونستطيع أن نقول إن هذا التأثير لم يكن إلا عنصرا ضمن عناصر عدة كان بمثابة روح تنفخ فى شخصية كانت فى عالم الوجود فعلا شاعرة بقوتها ، وبميلها الشخصى ، ولم تكن قـط ظلا لذوق أجنبى يفرض على عقول تقبلها بسهولة، لأنها خاوية بيضاء الصحيفة ؛ إذ الواقـع أن الحضارة المصرية كانت شيئا ضخما جدا ، وعريقة فى قدمها جدا وأصيلة فى شعبها أكثر ممـا يجب مما جعل تكييفها تكييفا جديدا بمؤثرات خارجية أمرا مستحيلا ، فالمصرى كان يعرف الشىء الحسن عنـدما كان يراه ، ولم يكن لديه أى مانع من انتحاله لنفسـه ، ولكنه كان فى ذات الوقت عنده قوة العبقرية الحقة التى تجعل ما ينتحله لنفسه — إذا اتفق أنه انتحل شيئا — ملكه وقطعة منه .

---

(١) راجع : Frankfort and Pendelbury, "The City of Akhenaton", II, P. 110

وخلاصة القول أن الرقى الذى حدث فى عهد « تل العمارنة » منبعه وصدق تعبيره عن الطبيعة من روح مصرية ، ومع ذلك لا يمكننا أن ننكر احتمال وجود تأثير منوانى إغريقى رائده الحرية وعدم التقيد بالتقاليد[1] الموروثة .

تدهور سلطان مصر فى سوريا — زحف البدو و «خيتا»

المصادر وترتيب تاريخ الحوادث : لقد كان النزاع بين الأمراء الخاضعين للسيادة المصرية فى « سوريا » لا ينقطع حبله ولا ينضب معينه ، إذ كان كل أمير يرغب فى توسيع رقعة إمارته ، ومد نفوذه على حساب جاره ، وبخاصة الضعيف ، وتلك سنة الطبيعة ، وقد كان موقف الفرعون وقواده فى مثل هذه المنازعات هو المحافظة على الدولة وبقاء كيانها ، ولذلك كانوا يقفون بجانب الوالى المخلص ، وينصرونه على الوالى المغتصب الثائر على العرش ، كما أنهم كانوا فى الوقت نفسه لا يألون جهدا فى صد غارات أقوام البدو الهمج ، الذين يغيرون على البقاع المتحضرة ويسلبون متاعها . .

ولقد بقى النشاط المصرى على هذا المنوال من اليقظة والشدة حتى تولى الملك « أمنحتب الثالث » ، وكان متساهلا فى أمر دولته فشل نشاط الجيش ، وانحلت قواه . والواقع أن هذا الفرعون قد أراد أن يترك الأمور فى مختلف بقاع دولته تجرى كما شاء القدر، فكان لا يعير أذنا صاغية لأى توسل أو رجاء يأتيه من مختلف بقاع امبراطوريته ، ولم يحركه أى إنذار ينبئه بدنو الخطر المحدق بممتلكاته فى «سوريا» فيعدّ حملة يقضى على الفتنة فى مهدها ، بل كان منغمسا فى ملاهيه بعاصمة ملكه « طيبة » . ومما زاد الطين بلة أنه لم يهتم بإصدار أوامر مشددة إلى هذه الأصقاع إلا بعد لأى وجهد ، يضاف إلى ذلك أن المنافسة ، والشره ، وجمع المال كانت مستحكمة بين عماله ، ولعبت دورها فى تقويض بنيان الامبراطورية التى

(١) راجع المقال الممتع الذى كتبه الأثرى « بندلبرى » عن علاقة مصر مع « كريت » وجزر بحر « إيجة » فى عهد الأسرة الثامنة عشرة (J. E. A. Vol. XVI, P. 75 ff.) .

بناها جده العظيم « تحتمس الثالث » فى « سوريا » وبذلك تخلخل الحكم فى هذه الولايات ، وانتشرت الفوضى فى أرجائها .

ويرجع الفضل فى كشف النقاب عن هذه الحالة إلى وثائق « تل العمارنة » . وقبل أن نتكلم عن أهمية هذه الوثائق نضع أمام القارئ كيف عثر عليها .

لقد كانت بقعة « تل العمارنة (١) » وهى « إختاتون » عاصمة « إختاتون » الجديدة معروفة منذ زمن بعيد للباحثين عن الكنوز القديمة ، كما كانت معلومة لرجال الآثار الذين كانوا يبحثون وراء العلم والدرس أمثال « لبسيوس » و «ولكنسون» وغيرهما ممن وقفوا حياتهم على التعمق فى درس تاريخ مصر وآثارها ، غير أن الأنظار قد اتجهت إلى هذه البقعة بصفة خاصة منذ عام سنة ١٨٨٧ م ، حتى ذاع اسمها ، وعلا ذكرها لدرجة تفوق المعتاد ، وذلك على أثر عثور امرأة فلاحة من القرى المجاورة لهذا التل الأثرى فى أثناء بحثها عن السماد فى خرائبها ، على حجرة صغيرة كانت فيما مضى مستعملة مخزنا ، وكان هذا المكان هو الذى تحفظ فيه سجلات الفرعون ، وقد عرفنا ذلك من أختام على لبنات تدل على ذلك .

ولقد وجدت تلك المرأة المحظوظة عددا عظيما من اللوحات المصنوعة من الآجر المحروق مكتوبة بالخط المسمارى البابلى ، فنقلت غنيمتها على ظهر حمارها ، وباعتها لجار لها بمبلغ عظيم فى نظرها وهو عشرة قروش ، ولقد ظنت فى بادئ الأمر أنها قد غبنت المشترى فى هذه الصفقة ، إذ وجد الأخير صعوبة فى بيعها ، ولا غرابة فى ذلك فإن هذه اللوحات لم يكن فى شكلها أو صنعها ما يغرى جامعى الآثار .

عرضت هذه اللوحات على تجار الآثار فقاموا بدورهم بإرسالها إلى الدكتور «أوبرت» فى «باريس» ولم يمض طويل زمن حتى جاءهم الجواب بأنها من صنع يد حديثة ، ثم أرسل بعضها إلى المسيو « جريبو » مدير مصلحة الآثار المصرية

(١) هذا المكان كان يسمى فى الأصل « التل » ، وهو قرية صغيرة ، غير أن علماء الآثار أطلقوا عليه « تل العمارنة » نسبة للقبيلة التى تسكن فى هذه القرية بنى عمران .

وقتئذ، فصمت عن إبداء رأيه كما كانت حالته . ولما شاع الخبر فى نهاية الأمر بأن هذه اللوحات قليلة القيمة حملت فى غرائر إلى «أخميم» ومدينة الأقصر حيث كان ينادى على بيعها . ومما يؤسف له جد الأسف أن معظمها قد حطم فى أثناء نقلها، وما بقى منها مما لم تنله يد التحطيم لا يعدّ إلا جزءا ضئيلا مما كانت تتألف منه هذه المجموعة فى الأصل ، على أنه لو أتيح لها فى هذه الفترة عالم يقدّر قيمتها، واستولى عليها فى الحال لكان لها شأن آخر أعظم مما هى عليه الآن. ولقد بدأت قيمة هذه اللوحات تعرف بعد أن تناولت يد التدمير معظم ما كان محفوظا فى هذا المخزن الثمين، فاشترى معظم ما بقى منها كل من متحفى «بريطانيا» و « برلين»، ثم استولى متحف «سنت بيترز برج»، ومتحف «باريس» على جزء صغير منها، هذا فضلا عما تسرب للجمعيات الخاصة ، أما المتحف المصرى فلم ينل منها إلا نصيبا ضئيلا[1] بالنسبة لما كان يجب أن تستولى عليه .

(١) ونجد الآن أن لوحات تل العمارنة موزعة على متاحف العالم كالآتى :

١٩٤ لوحة فى متحف « برلين » .
٨٢ « فى المتحف « البريطانى » .
٥٠ « فى متحف «القاهرة» .
٢٣ « فى متحف « اشموليان » اثنتان منها صحيحة فقط .
٧ « فى متحف « اللوفر » .
١ « فى متحف «القسطنطينية» من «تل الحسى» فى فلسطين .
٤ « فى حيازة « روستوفيتز » .
« فى متحف «لينجراد» .
١ « عند « أوبرت » .
٢ « فى متحف « متروبوليتان » .
١ « فى متحف « بركسل » .
٨ « قطع ملك جمعية الحفر الانجليزية .

وأوثق المصادر التى يعتمد عليها الآن لدرس هذه اللوحات اثنان وهما :

(1) Knudtzon, "Die el Amarna Tafeln"(1907 - 1715).
(2) Mercer, "The Tell el Amarna Tablets", (1939).

و يلاحظ أن كتاب الأستاذ « مرسر » قد ألف على ضوء كل التراجم الحديثة والاضافات التى عملت بعد سنة ١٩١٥، وسنعتمد عليه فى دراستنا هذه عند الإشارة إلى الخطابات .

هـذه هي القصة المحزنة لهـذا الكنز العظيم الذى بددته يد الجهل ، والذى يعدّ بحق أهم كشف حدث فى المـدة الأخيرة فى مصر ، بل فى كل بلدان الشرق القديم ، ولا غرو فإن هذه اللوحات التى وصلتنا من هـذه الذخيرة التى لا يتجاوز عددها الثلاثمـائة والستين ، والتى قـد أخطأت يد الجهـل تدميرها قـد أسفر حل رموزها عن أنها كانت المراسلات السياسـية للشئون المصرية الخارجية خلال عهد الملك «أمنحتب الثالث» ثم «أمنحتب الرابع»(١) وتعد مدّة حكميهما من أعظم عصور التـاريخ المصرى القديم . وقـد أسفرت المعلومات التى تمخضت عنها تلك الرسائل عن قبس من نور أضاء لنـا الطرق المظلمة، والمسالك المعماة، لا فى تاريخ مصر فى هذا الوقت وحسب بل فى كل تاريخ العالم القديم المتحضر فى تلك الفترة . فقـد كشفت لنا حقائق عن « بابل » وبلاد آمور، ومملكة الآشوريين، وبلاد متنى، و «قبرص» و «كليكيا» وكذلك كشف لنا عن بداية حركة اليهود ونزوحهم لأول مرة فى الأرض الموعودة وإن كان هناك ما يدل على وجودهم قبل هذا العهد فى عهد «أمنحتب الثانى» وما قبله كما ذكرنا من قبل . ولم تقتصر نفاسة هذه اللوحات على الناحية التاريخية فحسب ، بل لقـد رسمت أمامنا صورة عن الحياة الاجتماعية فى مختلف البلاد التى تناولتها . هذا غير ما بينته لنا من حياة هـذه الأمم العقلية ، وما وصل إليـه ملوكها وأمراؤها وحكامها من ميزان عقلى ، حتى أن القـارئ ليخيل إليه أحيانا، وهو يقرأ حركاتهم وتقلباتهم الخلقية والسياسية أنه يعيش معهم أكثر ممـا لو كانوا أناسا يعاشرهم ويخالطهم الآن .

---

(١) كتب الأسـتاذ « البريت » مقالا عن الخطاب رقم ١٥٥ فى هذه الرسائل ، وهو الخطاب الذى أرسله « أبيملكى » أمير « صـيدا » إلى ملك مصر وقد ظن الـكاتب أن الملك المقصود هنا هو « سمنخكارع » وأن اسم « مايا — آتى » هو « مريت آتون » زوجه — غير أنّ هـذا الرأى لا يزال يحتاج الى إثبات وتمحيص (J. E. A., XXIII, P. 190; Mercer, "The Tell el Amarna Tablets", No. 155.

وإنه لطريف حقا أن يقرن المؤرخ هـذه الرسائل التى أحيت لنا عصرا غامضا فى تاريخ العالم بعـد أن كان عظاما نخرة بالكشف الحـديث الذى أميط عنه اللثام عام ١٩٢٢ ذلك الكشف الذى هز أركان العالم وجعل الـكل يتحدث بضخامته وانقطاع نظـيره ، تلكم هى مقبرة « توت عنخ آمـون » وما عثر فيها من نفائس أثرية . على أن هذا المظهر من الاهتمام البالغ قد أنكره العالم على وثائق « تل العمارنة » ، ولا غرابة فى ذلك فإن كشف « توت عنخ آمون » أسفر عن ذهب وأحجار كريمة ، وتماثيل فنية فخمة ، أما لوحات « تل العمارنة » فهى قطع من الآجر تزور عنها العـين ، ويمجها الذوق السليم ، وقـد كتبت بأحرف ليس فيها ما يلفت النظر . ولكن شتان بين ما أسـداه كل منهما للعلم والتـاريخ . حقا قـد أهدى « توت عنـخ آمون » إلى العـالم ذهبا وتحفا فنية جميـلة وحسب ، وأما الألواح فكشفت لنا حياة العالم فى زمن قد انقطعت صلتنا به وكنا فى جهالة عمياء بالنسبة لتاريخه ، ومع كل هذا فقد بيعت الألواح بأبخس الأثمان ، (عشرة قروش) ، وتقدر تحف « توت عنخ آمون » بالقناطير المقنـطرة من الذهب . والظاهر أن هـذه الألواح كان مقر جزء منها فى « طيبة » فلمـا انتقل « أمنحتب الرابع » إلى مقره الجـديد فى « أختاتون » فى السـنة السادسة من حكمه نقل المراسلات التى كانت تجرى بين والده وبين المـلوك والأمراء ، ثم زاد عددها فى أيام حكمه هو ؛ ولكن مما يؤسف له أن هذه الراسائل لم تكن تؤرخ بتواريخ محدودة تدل على وقت كتابتها ؛ وقد كانت تتبادل كما ذكرنا بين مصر وبابل و « متني » و « آشور » ومملكة « خيتا » ، وكان يذكر فى كل رسالة اسم المرسل واسم المرسـل إليه ، وباستقرائها وجدنا أن ما يقرب من نصفها قد كتب فى عهد « أمنحتب الثالث » ، وأن نصفها قد أرسله الولاة الذين كانوا تحت حكم الفرعون فى « سوريا » و « فلسطين » .

ويلاحظ أن رسائل الولاة لم يذكر فيها اسم المرسـل إلا فى أربعة خطابات أرسلها « أكيزى » (Akizzi) أمير « قطنا » وكلها كتبت فى عهد « أمنحتب الثالث » ،

ونستخلص من رسائل «آكيزى» هذا أن الثورة التى قام بها «أيتاكاما» (Aitakama) ملك «قادش»، والزحف الذى قام به «أزيرو» حاكم أراضى «الأموريين»، وأول هجوم قامت به «خيتا» فى عهد ملكهم «شوبيليو ليوما» على شمالى «سوريا»، وهو ما جاء ذكره فى وثائق «بوغازكوى» كل هذا قد حدث فى عهد «أمنحتب الثالث»، بيد أننا نشاهد فى الوقت نفسه أن ملك «خيتا» قد أرسل خطابا ودّيا «لأمنحتب الرابع» يهنئه فيه بعرش الملك (الخطاب رقم ٤١)، وكذلك نجد بين الرسائل المؤرخة الأخرى خطابا من ملك «نوخاشى (٥١)» وآخر من ملك «تونب» (رقم ٥٩)، وبعض خطابات «ريبأدى» أمير «ببلوص» (جبيل) وقد كان يطلب فيها النجدة على «أزيرو» (راجع الخطاب ١٠٢ الخ).

ولم ينقطع تيار إرسال هذه الرسائل فى عهد «أمنحتب الرابع»، وهذه يمكن معرفتها على وجه التأكيد إذ أنها تذكر حوادث وقعت فى عهد والد المرسل إليه (راجع الخطابات ١٠٨ سطر ٢٨ الخ؛ ١١٦ سطر ٢١ الخ؛ ١٣١ سطر ٣٢ الخ؛ ١٣٢ سطر ١٠ الخ).

أما فى الخطابات التى كانت ترد من «فلسطين» فقد وجدنا فيها مستندا لتحديد تاريخها، فنجد فى خطاب «لا بايا» (٢٥٤) مكتوبا بالمداد بالخط الهيراطيقى ومؤرخا بالسنة الثانية عشرة من حكم «أمنحتب الرابع»، ومن ثم نعلم أن الخطاب الذى ذكر فيه موت «لا بايا» قد وصل إلى مصر بعد هذا التاريخ. أما أحدث خطاب وجد فى وثائق «تل العمارنة» (١٧٠) فيذكر لنا هجوم «خيتا»، ويرجع تاريخه على حسب وثائق «بوغازكوى» إلى ما قبل موت «أمنحتب الرابع» بزمن قصير جدّا.

ولدينا عن المدة التى قبل ذلك خطابات عن العصيان الذى قام به «عبدى أشرتا» والد «أزيرو»، وقد خصص لها «ريبأدى» نصف الخطابات التى أرسلها إلى الفرعون (٦٨ — ٩٥)، وكذلك الخطابات التى كان قد أرسلها «عبدى أشرتا» نفسه (٦٠ الخ). كل هذه قد أرسلت فى غضون حكم «أمنحتب الثالث».

ولدينا مصدر آخر هام لتحديد تواريخ هذا العهد، وهو سجلات «بوغاز كوى»[١] (خاتوس) عاصمة مملكة «خيتا»، وبخاصة ما نعرفه منها عن المقدّمات التاريخية التى كانت تفتتح بها المعاهدات التى أبرمها ملك «خيتا» «شوبيليوليوما» مع الأمراء الذين انتصر عليهم، ولكنا تنقصنا التواريخ فى هــذه أيضا ، بيــد أننا عندما نربط المعلومات التى نجــدها فى كلا المصدرين «الخيتى» و «المصرى» فإنه يصبح من السهل علينا الوصول الى تحديد الزمن أو التاريخ الذى وقعت فيه الحادثة على وجه التقريب .

ولدينا تاريخ محدّد ذكره «مورسيل» الثانى ملك «خيتا» وهو أنه فى أثنـاء ماكان والده «شو بيليو ليوما» يحاصر «كركميش» أرسل القائدان «لو با كى» و «تشوب سلمان» ليفتحا إقليم «عمق» (وهو الوادى الذى بين جبلى لبنان)، وكانت النتيجة أن ذعر المصريون، وولوا هاربين، هذا الى أن ملكهم «بيخوريا» قد مات (أى أمنحتب الرابع)، وأرسلت أرملته الى ملك «خيتا» ترجوه أن يرسل ابنه ليكون زوجا لهـا[٢]، لأنه ليس لها ولد يتولى عرش الملك، وقد قتل هذا الأمير

---

(١) كان أوّل من عثر على سجلات «بوغاز كوى» فى بلدة «بوغاز كوى» ونشرها فى عام ١٩٠٧ هو «هوجوفنكلر» (Hugo Winckler)، وهذه السجلات تبحث فى تاريخ «خيتا» فى ألف السنة الثانية قبل الميلاد . وبعد الحرب العالميــة الأولى مباشرة أخذ العلماء فى الاهتمام بهذه السجلات والبحث فى محتوياتها ، ونخص بالذكر منهم «هرزنى» (Hrozny)، و «فيدنر» (Wiedner)، و «سومر» (Sommer) وفى ١٩١١ جمع «مسرشمت» سجلاشاملالكل متون «خيتا» ، ولكن منذ ذلك الوقت نشرت وثائق كثيرة ، وبخاصة «فيدنر» فانه قام بعمل طبعة شاملة فى عام ١٩٢٣ (راجع Mercer, "The Tell el Amarna Tablets", II, P. 829; Meyer, "Gesch"., II, 1, P. 336. note 2.).

ولا يفوتنا أن نذكر هنــا أن الكثير مـن متون سجلات «بوغازى كوى»، وكذلك من خطابات «تل العمارنة» لا يزال غامضا ، غير أن ماحل منها تماما قد كشف النقاب عن علاقة مصر ببلاد «خيتا» وغيرها من البلدان المتاخمة التى كانت لها صلة بالدولة الأخيرة أو بمصر فى تلك الفترة .

(٢) راجع : Meyer, "Gesch. II, 1. P. 337, note 2.

فى مصر كما أشرنا الى ذلك من قبل ، وعلى أثر ذلك قام ملك « خيتا » ينتقم لابنه بإعلان الحرب على مصر ، وقد ذكر الغزو الذى قام به « لوباكى » فى « عمق » فى الخطاب الذى أرسل للفرعون (١٧٠) بين خطابات «تل العمارنة» ، وعلى ذلك فقد صار من المستحيل أن نجد بعد موت « أمنحتب الرابع » الذى تلاه نقل العاصمة إلى « طيبة » خطابات قد وضعت فى سجلات «تل العمارنة» ، وعلى ذلك فلا شك أن « بخوريا » هو لقب العرش الذى كان يحمله «أمنحتب الرابع» ، وهو بالمصرية «نفرخبررع» ، وأن الخطاب الذى أرسل إلى ملك «خيتا» قد أرسل فى آخر سنة من سنى حكمه ، ولدينا مستند آخر لتحديد هذا الحادث وهو ما جاء فى قول الملك « مواتلا » بأن جدّه « شوبيليو ليوما » قد ظل يحارب « الحارى » (متنى) فى « سوريا » ستة أعوام ، وفى خلالها امتدّ سلطانه على « قادش » وبلاد « آمور » ، وبأنه انتصر على المصريين ونصب ولديه ملكين على « حلب » و « كركميش » (١) ؛ وفى خلال هذه المدة مات «أمنحتب الرابع» ، ويرجح أنه مات فى نهايتها . وأكبر مدّة يظن أن « أمنحتب » قد حكمها ثمانى عشرة سنة ، وهو التاريخ الذى وجدناه على إناء من الحجر (٢) ، ولا يظن أنه قد حكم أكثر من هذه المدة . وعلى ذلك فالخطابات التى تنسب إليه من « تل العمارنة » تنحصر فى مدّة لا تتجاوز ثمانى عشرة سنة ، وفضلا عن ذلك نعلم من صور مقابر « تل العمارنة » أنه قد قدّم لهذا الفرعون الجزية والأسرى فى السنة الثانية عشرة من حكمه من بلاد « سوريا » ومن بلاد « النوبة » (٣) ، وفى نفس هذه السنة أرسل العاصى « لابايا » خطابه الذى

---

(١) راجع : Forrer, "Forschung" II, 10.

(٢) راجع : Gauthier, "L. R., II, P. 343.

(٣) راجع : Davies, "El Amarna" II, P. 40 ff, Pls. XXXVII – XL, Meryra II; Vol. III, P. 9 ff. Pls. XIII – XV.

يفيض بالولاء[1] (٢٥٤) . وكان قبل ذلك قـد أرسل جيش مصر إلى « سوريا » لتهدئة الثورة ويحتمل أنه أرسل فى السنة الحادية عشرة من حكم «أمنحتب الرابع» ، وقد انتصر انتصارا عظيما بعد جهد جهيد ، ومن الجائز أن هذا الجيش لم يشتبك فى حروب مع ملك « خيتا » نفسه بل كان يحارب العصاة الذين كان يحرضهم هذا العاهل .

وقد وضع لنا الأستاذ « فورر » تاريخا مؤكدا عن هذا العهد، وصل إليه عن كسوف للشمس حدث فى السنة التاسـعة من حكم ملك « خيتا »[2] « مورسيل » الثانى وذلك على حسب ما جاء فى سجـل تاريخ حياته ، وقـد كان يحارب فى بلاد « أزى » وقـد استمرت هـذه الحروب مدّة عشرة سـنوات ، وقد دلت البحوث الفلكية على أن هـذا الكسوف حدث فى مارس عام ١٣٣٥ ق . م . وعلى ذلك يكون « مورسيل » قد بدأ حكمه سنة ١٣٤٤ ، وعلى أية حال فإن أقصى تاريخ بدأ فيـه « شو بيليو ليوما » حكمه هو عام ١٣٤٦ ق . م . إذ قـد حكم بينـه و بين « مورسـيل » الثانى، « أرنواندا » الثالث مدّة قصيرة، يضاف إلى ذلك ما ذكره

---

(١) وفيه يقول : "إلى الملك سيدى وشمسى . هكذا يقول «لابايا» خادمك ، والتراب الذى تدوس عليه ، و إنى أركع عند قدمى الملك سيدى وشمسى سبع مرات ، ولقد سمعت الكلمات التى كتب بها إلى الملك . ومن أنا الذى ينبغى للملك أن يفقد أرضه من أجلى ؟ تأمل إنى خادم المـلك الأمين ، ولم أرتكب جريمة ولم أقترف ذنبا ، ولم أرفض دفع جزيتى ، ولم أعص طلب نائبى ، تأمل ! لقد هجيت وأسيئت معاملتى ، غير أن الملك سيدى لم يعلنى بجريمتى ، يضاف إلى ذلك أن جريمتى هو أنى دخلت «جازرى» وقلت : لقد استولى الفرعون على كل متاعى جميعا ، ولكن أين كل ما يملكه « ميلكيلو» ؟ أنى أعرف عمل ميلكيلو ضدى" . يضاف الى ذلك : أن الفرعون قد كتب عن أمر « دوميا » (يجوز أنه ابن «لابايا» نفسه) وأنى لا إعلم اذا كان « دوميا » قد ذهب مع أهل «ساجاز» (العبرانيون) ، غير أنى قد وضعته أمانة فى يد « أدايا » ، يضاف إلى ذلك أنه فى حالة ما إذا كتب إلى الفرعون أن أرسل اليه زوجى فهل أرفض ذلك ؟ و إذا كتب الى الفرعون أن أطعن صـدرى بخنجر من البرنز وأموت فهلا أنفذ أمر الملك ؟ (راجع Mercer, "The Tell el Amarna Tablets", II, No 254.

(٢) راجع : Forrer, ibid. P. 2 ff.

«شو بيلو ليوما» من أن «مورسيل» قد أقام عيدا فى السنة الخامسة عشرة من حكمه (١٣٣٠ ق . م) فى نهر «مالا» شكرا للإله الذى منع الطاعون الذى كان قد تفشى فى بلاده خلال الحملة التى قام بها والده على المصريين لقتلهم أحد أولاده، ويذكر أن هذا الطاعون قد استمر يفتك بالبلاد عشرين حولا كاملا، ومن ذلك نستنبط أن هذه الحرب قد شبت نارها عام ١٣٥٠ ق . م . أى قبل موت عاهل «خيتا» «شو بيليو ليوما» بخمسة أعوام، ونحن من جهتنا نعلم أن «أمنحتب الرابع» قد توفى حوالى عام ١٣٥١ ق . م .

غزو قبائل البدو السامية البلاد المتحضرة

الآراميون والإسرائيليون :

لقد كانت قبائل البدو العنصر الذى نزح إلى كل أنحاء «سوريا» منذ بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد جاء ذكر هذه القبائل فى خطابات «تل العمارنة» والواقع أنهم غمروا هذه البلاد وهددوا مدنها، واتخذهم الأمراء فى خدمتهم ليزيدوا من قوتهم، ومد سلطانهم فى حروب بعضهم مع بعض، ثم تركوا لهم البلاد المغلوبة على أمرها ليتخذوها مقرا لهم ومسرحا لنهبهم، وقد كان يطلق على هذه القبائل المغيرة اسم «خبيرى» [1] وكذلك كانوا يسمون «ساجاز» أو «جاز»

(١) جاء اسم هؤلاء القوم بلفظة «عبرو» فى اللوحة التى كشف عنها الدكتور «أحمد بدوى» فى «منف» وهم خبيرو الذين ذكروا فى خطابات تل العمارنة (راجع الجزء الرابع ص ٦٦٦ ، (Meyer, "Gesch. II, 1. P. 342.) ؛ ويقول أولبريت فى كتابه (Albright, "From the Stone Age to Christianity", P. 182.) إن البراهين تتراكم تباعا بما يشعر أن العبرانيين القدامى كان لهم صلة بالعبرو (خبيرو) الذين قاموا بدور هام فى الوثائق المسمارية التى يرجع عهدها الى القرنين التاسع عشر والثامن عشر، وكذلك فى الوثائق النوزية، والخيتية، وخطابات تل العمارنة فى القرنين الخامس عشر والرابع عشر . ففى «مسوبوتاميا» وسوريا ظهروا بأنهم جنود لا وطن لهم ، إذ كانوا ناهبين وأسرى وعبيدا من أجناس مختلفة ، وقد ذكروا كثيرا فى فلسطين فى الرسائل الكنعانية من القرن الرابع عشر بوصفهم مغيرين وعصاة على السلطة المصرية، وقد كان ينضم إليهم أحيانا الكنعانيون .

وحسب . وهـذه التسمية وجدت فى البـابلية أيضا ، ووردت كثيرا فى المتـون « الحيثية » ، وعلى الأخص فى أسماء مجموعة آلهـة فى وثيقة معاهدة فى نهـاية قائمة طويلة بأسماء آلهة حيثية ، غير أنها ذكرت قبل آلهة العالم السفلى ، وقبل كل مجموعة الآلهة الذكور والإناث لبلاد « خيتا » وميزت بأنها آلهة «لولاحى» وآلهة «خبيرى» ، ومما لا شك فيه أنها لا تدل على اسم جنس بل تميز اسم جماعة معينة من السكان . أما عن « لولاحى » فلا نعـرف شيئا أكثر من هـذا ، ولكن « خبيرى » هـم قبائل رحل من البـدو كما ذكر فى خطابات «تل العمارنة» ، وقد استوطنوا آسـيا الصغرى مع سكانها الأصليين ، وكان من الصعب على « خبيرى » وعلى الساميين أن يستوطنوا ، فى سهول «سوريا» وما بين النهرين ، والصحارى السورية العربية . وقد جاء ذكر قبائل « سوتى » (البدو) مع « خبيرى » فى وثائق « تل العمارنة » وقد كانوا يعملون جنودا مرتزقة أو يجتمعون جماعات للسلب والنهب . وهـؤلاء الساميون الذين أغاروا على البقاع المتمدينة فى « سوريا » وأرض «نهرين» ، قد ذكروا لأول مرة فى الوثائق الآشورية فى عهد الملك « أريكدنيلو » ، وقد حاربهم بوصفهم قبائل « أخلامى » وقبائل « سـوتى » (البدو) . وفى المتون التى جاءت بعد كانت قبائل «إخلامى» تسمى كثيرا الآراميين ، يضاف إلى ذلك أنه قد وصل إلينا متن مهشم جدا من خطابات « تل العمارنة » يتكلم عن هؤلاء القبائل بمناسبة الكلام عن « كاردونياش » (راجع خطاب ٢٠٠) ، وكذلك نعـرف أن المـلك « سلما نصر الأول » ملك « آشـور » (١٢٨٠ ق . م .) كان متحالفا مع مملكة « متنى » و « خيتا » وقوم « الاخلاميين » ، يضاف إلى ذلك أن « خاتوسيل

= أما لفظة « خبيرو » فقـد جاءت فى الخطابات التى كان يرسلها « عبدى خيبا » للفرعون (راجع الخطاب ٢٨٦ سطر ١٩ ، ٥٦) . أما عن توحيد لفظة خبيرى بلفظة « ساجاز » فقد فحصه الأستاذ «بول» (راجع Bôhl. "Kanaanâer und Hebraier", P. 87.) ، وأثبت فى النهاية أنهما كلمتان مترادفتان وحسب ، وإن كانت كلمة «ساجاز» تدل على معنى أوسع (راجع Mercer, "The Tell el Amarna Tablets", II, P. 844.) .

الثالث » (١٢٨١ ق٠م٠) ملك «خيتا» يقص فى إحدى كتاباته إلى ملك « بابل» غارة« الإخلاميين »[١] على رجال سفارته فى أثناء سيرهم فى هذه الأصقاع ثم بعد ذلك الوقت نشاهد أن كل شمالى بلاد « نهرين » و « حران » و « نصيبين » و « شمالى سوريا » إلى ما وراء دمشق ثم إلى منبع نهر « الأردن » قد احتلها « الآراميون » وأحلوا لغتهم محل اللغات القديمة التى كانت سائدة فى هذه الجهات ، وكذلك أخذ سلطانهم يمتـدّ بدون انقطاع فى بلاد « بابل » . وقـد تحدثت إلينـا خطابات «تل العمارنة» عن بداية طغيان هؤلاء القوم من الساميين الرحل على البلاد المتحضرة عنـدما هجروا وطنهـم المقفر، وتدل ظواهر الأحوال على أن الإسرائيليين كانوا مرتبطين ارتباطا وثيق العرى مع الآراميين فى تقاليدهم القومية، فنجد أن أجداد هؤلاء يرجع أصـل تكوين أساطيرهم وعاداتهم الدينيـة إلى أقصى بقاع جنوبى فلسطين وشرقى نهر الأردن (نهر العاصى)، وهم فى ذلك يتصلون فى سلسلة النسب إلى الآراميين، وهم على العكس من الكنعانيين الذين لا تربطهم بهم أية رابطة . فالاسرائيليون[٢] ليسـوا فلاحين متوطنين مثل الكنعانيين، بل هم قوم رعاة رحل، فقد نزح إبراهيم عليه السلام بعد ولادته إلى حوران ومن ثم إلى « حبرون » وقد جاء فى كتاب التشبه صحاح ٢٦ سطر ٥ فصل القربان، أن جد هؤلاء القوم آرامى (ثم تصرخ وتقول أمام الرب إلهك آراميا تائها كان أبى) . والواقع أننـا نعرف

---

(١) راجع : Keilschrifttexte aus Boghaz Koi. I, 10. Zl. 37, Winckler, "Mitteilungen der Deutschen Orient gesellschaft", 35, 22.

(٢) وتدل البحـوث على أنه من الجائز جدا أنه كانت توجد روابط بين العـبرانين و « خبيرى » وهـذه الروابط لغوية وتاريخية . غير أننا مع ما لدينا من معلومات فى هـذا الصدد لا يمكننا أن نجزم فى هذه الصلة بصفة قاطعة ، ومن المحتمل أن أحسن مخرج من هـذا المأزق أن نوكد بوجود علاقة بين العبرانيين (خبيرو) والاسرائيليين ، وفى الوقت نفسه نميز بينهما بأن كل الإسرائيليين كانوا من العبرانيين (خبيرى) ولكن ليس كل العبرانيين اسرائيليين (راجع : Selin, "Gesch. des Israelitisch- Judischen Volkers", I, P. 16-23).

أن الإسرائيليين قد تدفقوا على الأراضى الجبلية فى فلسطين (افرايم) فى القرن الرابع عشر إذ تدل الآثار على أنهم فى عهد « مرنبتاح » بن « رعمسيس الثانى » كانوا قد استوطنوا هذه البقاع فعلا، ومن أجل ذلك لا يمكن أن نرجع غزوهم فلسطين إلى عهد « سيتى الأوّل » أو عهد « رعمسيس الثانى » بل لا بدّ أنهم قد قاموا بغزوهم هذا فى عهد قبل « أمنحتب الثانى » ، والظاهر أنهم قبل ذلك الوقت كانوا يسكنون الشمال الغربى لبلاد العرب أى فى أرض « مدين » ، فكانوا يضربون خيامهم فى منطقة سينا البركانية، ومن ثمّ اعتنقوا عبادة التوحيد فى بيت الإله «يهوه» إله النار، وقد كان عرشه على صورة صندوق وهو تابوت «يهوه» ، وكانوا يحملونه معهم أينما ساروا ويسكن بينهم أينما حلوا .

ويعد استيطان بنى إسرائيل فى فلسطين وتوسع الآراميين فى احتلالهم بلاد سوريا وبلاد النهرين نتيجة لهجرة متتابعة لهؤلاء الناس ، وقد حفظت لنا وثائق تل العمارنة لمحة عند بدايتها «نهرين» ولا يبعد إذن أن الاسرائيليين كانوا فيما سبق فى الوقت نفسه يتكلمون لهجة آرامية أيضا ، وأن اللغة العبرية قد انتقلت إلى الكنعانيين لأنهم كانوا يقيمون معهم .

ومنذ ذلك العهد كان الأجانب الذين على اتصال بالإسرائيليين يطلقون عليهم اسم « عبرين » أى العبرانيين ومن ثمّ سميت لغتهم العبرية، وهذه التسمية ليست اسما لقوم من الناس بل نعتا لهم ومعناه قوم من العبر المقابل لنهر الأردن (وكلمة عبر فى العربية معناه شاطئ النهر أو البحر) . ومما يدل على أن العبرانيين كان لهم على مايظهر فى الأصل أهمية واسعة النطاق أن قبائل الألواح « يهوا » التى أنزلت على « موسى » قد أطلقوا كلمة « عابر » الجدّ الأوّل لجنسهم على كثير من القبائل العربية، وعلى الجدّ الأوّل « سام » (سفر التكوين الاصحاح العاشر سطر ٢٣ الخ) : (وسام أبو كل بنى عابر) . وبنو «سام» هم قوم لهم اسم يتسمى به أشراف البدو الذين لهم سلسلة نسب ، كما أن «بنى إسرائيل» لهم كذلك سلسلة نسب ،وذلك خلافا

لسكان المدن الذين ضاعت أنسابهم على الرغم من أنهم من أصل عريق . ومما سبق نجد أن كلمة « عبرى » لها علاقة وثيقة بكلمة « خبيرى » من جهة النطق ومن جهة المعنى ، لا يمكن التغاضى عنها هنا ، ذلك أن هناك وجه شبه بين كلمة « عبرى » وكلمة « خبيرى » فى النطق ، يضاف إلى ذلك أن الكلمة تدل على عنصر من الناس فى آسيا الصغرى الخيتية . ولكنا لا يمكننا أن نتكلم هنا بنفس المعنى المعتاد الذى نطلقه على العبرانيين ، فمن الجائز أن هذه التسمية التى كانت فى الأصل تطلق على قبائل البدو الجائلة فى فلسطين ، قد حرّف القوم اشتقاقها وجعلوها مشتقة من كلمة عبرى أى الذين من العبر المقابل لنهر الأردن .

وعلى أية حال فإنه ليس هناك مجال للشك فى توحيد كلمة عبرانيين أو اسرائيليين بقوم خبيرى الذين جاء ذكرهم فى خطابات تل العمارنة [١] .

الثورات فى عهد أمنحتب الثالث

إن أول تعدٍ قامت به مملكتا « خيتا » و « متنى » على الأملاك المصرية كانت باكورة الأخبار التى وصلت إلينا عن زحف خبيرى (العبرانيين فيما بعد) وقد جاءتنا عن طريق خطابات تل العمارنة التى أرسلها أمير «جبيل» «ببلوص» « ريبادى » (رب هداد) إلى الفرعون ، إذ كانت رسائله التى لا ينقطع معينها مفعمة بالشكوى عما كانت تحدثه عصابات اللصوص من الأضرار الجسيمة مما جعل بلده فى مأزق حرج حتى أن أميرها اضطر فى آخر الأمر أن يطلب المعونة من المؤن من دلتا النيل ، وقد نوه فى هذه الخطابات إلى أن الحال إذا استمرت على هذا المنوال فإن كل إمارته قد تصبح على وشك الإفلات من سيطرة الفرعون . وقد كتب للفرعون « أمنحتب الثالث » (الخطاب ٨٥ سطر ٦٩) يقول : " منذ ذلك اليوم الذى غادر فيه

---

(١) راجع ما كتب عن « خبيرى » و«ساجاز» فى خطابات تل العمارنة فى كتاب : Mercer, "The Tell el Amarna Tablets", II, P. 838 ff.

والدكم « صيدا » وأظهر فيـه عطفه على بلاد « خبيرى » لم يعـد فى استطاعتى أن أحصل على شىء" ، وهـذه العبارة تدل على ظاهرة وهى أن الاضـطرابات فى هـذه الأصقاع كانت قد شملت كل مدّة حكم « أمنحتب الثـالث » ، ولقد قام مرة « باخامناتا » (Pachamnata) قائد « سمـيرا » وحاكمها (ربيص) من قبـل الفرعون بتخليص « ببلوص » (جبيل) ، ولكن لم يمض زمن طويل حتى أصبحت « سميرا » نفسها مهدّدة[1] ، وقد كان المهاجم هنا « عبدى أشرتا[2] » أمير بلاد «الأموريين» ولكنه أرسل خطابا إلى «باخامناتا» «سيده» يبرر فيه هجومه بقوله إنه فى أثناء غيابه هاجم قائد بلدة «شخلال» «سميرا» ولذلك طار بجيشه من «عرقا» (إرقات irqaat) وخلص المدينة والقصر من يد الغاصب ، ثم هو يرجوه الآن أن يرسل إليه نجدة من الجنود . وكذلك أوضح للفرعون فى خطابه هذا أنه يحافظ على سلطان الفرعون فى كل بلاد الأموريين و «أولآزا» Ullasa و «سميرا» (راجع الخطابات ٦٢ ، ٦٠ ، ٦٤) ، والواقع أن هذا الولاء لم يكن إلا رياء ومداهنة ، إذ أنه قد صار بجيشه وهو لا يزال يعترف بسلطان الفرعون ، واستولى على كل بلاد الساحل ، ثم اتضح أنه كان على اتصال وثيق بعصابات المغيرين من « خبيرى » ، هذا إلى أنه كان يحرض سكان الولايات المصرية بالثورات على الحكم الفرعونى . ولقد كان لهذه التحريضات أثرها الفعال فى كثير من الإمارات فقد قتل أمير « أمبى » وأمير «عرقا» (Arqa) بسبب هذه الدسائس والفتن ، وكذلك أفلت «ريبادى» من أحبولة مؤامرة حيكت لقتله ، غير أنه جرح جرحا بليغا ، هذا إلى أن الأحوال قد تحرجت فى إمارة «ريبادى» إذ انتزعت منه بلادها الواحدة تلو الأخرى وانتهى الأمر بضياع (باترون Batrun) الواقعة شمالى « جبيل[3] » . ولما رأى الفرعون أن الثورات

---

(١) راجع خطاب ٦٨ (٢) راجع كذلك الخطاب رقم ١٣١ سطر ٣٢ الخ ، حيث نجد «ريبادى» يقص علينا أن أمنحتب الثالث أرسل «باخامناتا» بجيش صغير .

(٣) وهذه الحقائق نستخلصها من الخطابات ٧١ — ٩٣

لاينقطع حبلها بل تجدّد كل يوم أرسل عامله «أمانابا» (أمنوبى) الذى كان مقيما فى البلاط وقتئذ ، وكان قبل ذلك نائبا للملك على هـذه الإمارات ، وجهزه بجيش صغير، وتدل ظواهر الأمور على أنه وصل فعلا بجيشه إلى «سميرا» [1]، لكنه لم يعجز عن السيطرة على الموقف وحسب ، بل كان مجيئه نكبة على « ببلوص » (جبيل) التى كانت أكبر معقل للسيادة المصرية فى هذه الممتلكات(راجع الخطاب رقم ٧٩)؛ يضاف إلى ذلك أن «زيمريدا» أمير «صيدا» قد انحاز إلى جانب «عبدى أشرتا» ، على أنه لم يعق هـذا الخائن أن يرسل للفرعون « أمنحتب الثـالث » وإلى عماله خطابات ولاء ويطلب إلى الفرعون المعونة على «الخبيرى» ويرجوه إرسال جيش ، ومن جهة أخرى نعلم أن أمير « صور » قد قتل ومعه أخت «ريبادى» وأولادها الذين احتموا فى هـذه المدينة ، ومن ذلك يرى المرء كيف أن الضرورات قـد أحرجت مراكز الأمراء فى تلك الجهات إلى درجة جعلتهم يعقدون معاهـدات مع أى الفريقين المتناهضين على السلطة إبقاء على حفظ كيانهم ، و بقيت «ببلوص» معلقة فى يد القـدر يحفها الخطر [2] الداهم مدّة ثلاث سنوات ، وبخاصة أن المؤنة لم تكن تصل إليها من الدلتا إلا ببطء وتراخ ، وقد شكا « ريبأدى » من هذا الحال مرّ الشكوى حتى صرح بأنه سيضطر آخر الأمر إلى تسليم سكان بلاده ، وكذلك أولاده حتى يمكنه أن يدفـع ثمن ما يقتات به ، ثم يقول : "إن حقلى قد أصبح كالمرأة التى لا زوج لها لأنه يعوزه الزرع". وفى نهاية الأمر هدّد بأنه إذا لم يصله جواب ، أو يرسل جيش لنجدته فى خلال شهرين فإنه سيضطر لعقـد مهادنة مع « عبدى أشرتا » ، أو أنه يقتل نفسه وأهله ، و بذلك يتخلص من الحياة وأعبائها ، (راجع الخطابين ٨٢، ٨٣)، ولقد كان لهذا الخطاب أثره إذ وصف لنا «ريبأدى»

---

(١) راجع الخطاب ٨٥، سطر ١٩ الخ، حيث يطلب «ريبادى» ٤٠٠ رجلا و ٣٠ زوجا من الخيل كما كان قد أعطى «سوارتا» صاحب «عكه» لمساعدته . (أقرن الخطابات ٨٨، ٨٦٤، ٨٢٩، ٢٣٢).

(٢) راجع الخطابات ٨٥، ٨ الخ، و ٨٦، ٣٨

المخرج من المأزق فيما بعد بقوله : " عندما استولى « عبدى أشرتا » على « سميرا » وكانت المدينة تحميها ثلة صغيرة من الجنود ، وفى تلك الأثناء لم يكن معى جنود حامية كتبت آنئذ للفرعون سيدى ، فأمدنى بجيش استولى على «سميرا»[1] ، وكان قائده « ينخام » موضع ثقة الفرعون فى الأراضى السورية ، والظاهر أن «عبدى أشرتا» انضم إلى القائد ، وأصبح فى سلم مع مصر مما اضطره إلى إعادة « سميرا » وقصر حكمه على بلاد « آمور » " .

وفى خلال تلك الاضطرابات أخذت الأمم المجاورة تتدخل فى الممتلكات المصرية ، وبخاصة مملكة «متنى» ، وبلاد «خيتا» غير أن الخطابات التى تشير إلى ذلك كانت مختصرة ولم يفهم كنهها ، فقد كتب « ريبادى » بعد أن كان فى ضائقة شديدة أن ملك « خيتا » قد تم له النصر ، (راجع خطاب ٧٥ سطر ٣٦ الخ) ؛ وكذلك كتب للفرعون أمير مجهول الاسم أن ملك « متنى » قد خرج عليه بخيله ورجله ، وكذلك نعرف عن طريق « ريبادى » أن ملك « متنى » قد وصل فى زحفه حتى « سميرا » ، وأنه كان مواصلا زحفه نحو « جبيل » (ببلوص) ، ولم يجبره على النكوص على عقبيه إلا قلة الماء ، وفضلا عن ذلك كان يريد نهب أراضى الآموريين (الخطاب ٥٨) .

ولا ننسى أن نذكر هنا أن « دوشرتا » ملك « متنى » بعد أن استولى على عرش بلاده ، وأبعد قاتل أخيه جدّد العلاقات الوديّة التى كانت بين والده وبين « أمنحتب الثالث » ، وقد كتب له أن « خيتا » هاجمت بلاده ولكنه انتصر عليهم ، ولذلك فهو يرسل إليه هدية من الغنائم التى استولى عليها وتتألف من عربتين بجيادهما وغلام وفتاة[2] ، ونلحظ أن ملك « خيتا »

(١) راجع الخطاب رقم ١٣٨ سطر ٢٨ الخ .

(٢) الخطاب رقم ١٧ سطر ٣٨ الخ ، وفى هذا الخطاب نقرأ أنه قد أرسل هدايا لأخته «جيلوخيبا» تشمل عقودا وأقراطا وآنية مملوءة بالزيت الطيب وقد أرسل رسوله «جليا» وآخر معه ، ورجا ملك مصر أن يسرع فى عودتهما حتى يسمع بتهانيه له بهذا النصر ، وأن أواصر المصادقة قائمة بينهما .

« شو بيليوليوما » قد ذكر فى مقدمة المعاهدة التى أبرمها فيما بعد مع ابن «دوشرتا» النصر المؤقت الذى أحرزه هذا الأخير. ولقد كان من البدهى أن يستغل «دوشرتا» تدخله فى الحرب التى أعلنتها « خيتا » على شمال «سوريا » بحجة أنه حليف مصر، ولكن غرضه الثانى هو توسيع نفوذه بزحفه فى الجنوب، ولكن من جهة أخرى قام يعارضه «عبدى أشرتا» وتحالف مع « خيتا » [1] .

على أن تدخل الجيش المصرى بإمرة «يانخام» لم يأت بنتيجة حاسمة فى إعادة الأمن إلى نصابه، إذ نفهم إجمالا من خطاب غامض المعنى أن « عبدى أشرتا » قد قتله نفر من الجند، اجتاحوا بلاد الآموريين، وأن حصن جزيرة « إروادا » (ارواد) (التى لا نعلم قط أنها كانت تحت النفوذ المصرى) قد تدخلت فى هذه المعركة واستولت بسفنها على الأماكن الساحلية [2]، وقد طلب « ريبادى » إلى ملك مصر أن يحجز سفن هذه المدينة (أرواد) فى مصر، غير أن طلبه لم يلق أذنا صاغية ورجعت السفن إلى مينائها دون أية معارضة من جانب المصريين، هذا فضلا عن أن ممتلكات « عبدى أشرتا » قد آلت إلى ابنه « أزيرو » وإخوته، وكذلك كان فى مقدورهم أن يعيدوا الاستيلاء على « أولوزا » و « أرداتا » و « أمبيا » و « شيجاتا » وغيرها، ثم أخضعوا « عرقا » و « سميرا » (خطاب ١٠٥) . وقد كان أمير كل مدينة لا يخضع لرعوية « أزيرو » يعذب عذابا أليما [3] وقد أصبح كل الإقليم الواقع بين « ببلوص » حتى « أوجاريت » (رأس الشمرة) موحدا فى عدائه « لأزيرو » فى حين أن «ينخام» الحاكم المصرى كان لا يبدى حراكا أمام ما يرى، وقد كانت كل توسلات « ريبادى » وإنذاراته بالخطر

---

(١) ولذلك نجد ملك آلاشيا (قبرص) فى خطاب أرسله إليه (٣٥ ، ٤٩) بألا يعقد معاهدة مع ملك « خيتا » ولا ملك « سنجار » . أما من جهتى فإن أية هدايا قد أرسلها لى أخى فقد أرسلت لك ضعفها وقد أتى إلى رسولك فى ميعاده ورسولى سيأتى إليك فى ميعاده .

(٢) راجع الخطاب ١٠١ (٣) راجع الخطابات ١٢٥، ٣٥؛ ١٣٠، ٣٢ .

المحدق الذى كان بيديه الحاكم « ينخام » ليحفزه على إرسال طلب نجدة على جناح السرعة من مصر لحماية «جبيل» قد ذهبت أدراج الرياح (خطاب رقم ٩٨) ولما أعيت « ريبادى » الحيل، واستولى اليأس عليه انسحب من المدينة، وقد حاول «ينخام» فى خلال تلك المدة أن يأتى بنجدة من «سيميرا» ولكن بدون جدوى، وقد كان يحاصر المدينة أولاد «عبدى أشرتا» برا وسفن «أرواد» بحرا حتى أصبحت حبيسة كأنها طائر فى قفص[1].

يضاف إلى ذلك أن « زيمريدى » أمير «صيدا» تحالف مع أولاد « عبدى أشرتا » و « إرواد » وحاصر معقـل جزيرة « صـور » وقطع الميـاه عن المدينة وبعض المؤن كما قبض على رسول « أبيميلكى » ملكها، وبذلك قطع كل مواصلة بين « أزيرو » ومصر[2].

وفى نهاية تلك الحروب التى مكثت مستعرة مـدة عام وصل « أزيرو » على رأس إخوته إلى القوّة والسلطان اللذين كان يتمتع بهما والده، غير أن الحوادث كانت تجرى سراعا، إذ كان « أزيرو » قد أوثق عـروة التحالف مع « إيتاكاما » ملك مدينة « قادش » العظيم، الواقعـة على نهر « الأرنت » (نهر العاصى) وراء بلاد الأموريين، ومنهـا سار بجيشه نحـو « عمق » وهضبة البقاع الواقعـة بين جبلى « لبنـان » ثم أرض « أوبى » وسهل « دمشق » ليخضعها جميعـا، وفى إقليم « أوبى » نجـد أن « أرزاويا » أمير « روخيزى » و « تواتى » أمير « لابانا » قد تحالفا معه، وكذلك حذا حذوهما « داشا » فى « عمق » . أما الأمراء الذين

---

(١) ولذلك نجد أن «ريبادى» يمطر الفرعون وابلا من الرسائل (راجع ١٠٤؛ ١٠٥؛ ١٠٧؛ ١٠٦؛ ١٠٣ . وكذلك راجع الخطابات التى تبودلت بين «يباخ أدى» أو «ينخام» (٩٨؛ ١٠٢).

(٢) لا نزاع فى أن خطابات أبيميلكى صاحب « صيدا » (١٤٦؛ ١٤٧؛ ١٥١) قد كتبت فى هـذا العهد، ولا أدل على ذلك من أنه يقص هنا فى الخطاب ١٥١ سطر ٥٩ الخ أن «أيتاكاما» صاحب «قادش» وأزيرو قد هاجما « تامياوزا » .

بقوا على ولائهم لمصر ، فقد حرقت بلادهم على مرأى منهم ، وقد استجاروا بملك مصر ليرسل إليهم النجدة ، فلم يجدوا أذنا صاغية . هذا فضلا عن أن أمير « نميا وازا » المجاور لهـذه الإمارات قد رأى بعينه بلاده تخرب وأصبحت فى خطر ، وأغلقت بلدة « يا نو عام » أبوابهـا فى وجهه . وقـد انضم ضدّ صفوف العـدو كثير من الأمراء الآخرين مثل أمير « بوصرونا » (يحتمل أنها البصرة فى حـوران) وكان يسعى لحماية إقليم « تاخاس » و دمشق » وقلعة « كوميدى » عند مدخل « البقاع الجنوبى » ، ولكن على ما يظهر سقطت « دمشق » فى يد « أزيرو » أيضا .

وقد سهل النصر لكل من « إيتا كاما » و « أزيرو » تحالفهما مع خيتا » ، وقد بدأ « شو بيليو ليوما » ملك « خيتا » يوطد بهذا التحالف أوّلا قوة بلاده التى كانت قد ضاعت هيبتها فى آسيا الصغرى ، ثم وجه عزمه وقوته بعد ذلك إلى « دوشرتا » ملك « متنى » لينتزع منه ثمرة انتصاراتها فى « سوريا » الشمالية ، و بعد ذلك أخذ يصطدم مع الثائرين عليه . فبينما كان يخرب « سوريا » الشمالية ، كان « أيتا كاما » يسير بجيشه لمقابلته ، فقبض على « أكيزى » ملك « قطنا » وقـد حاول عبثا أن يضمه إلى جانب ملك « خيتا » وقد وصل ملوك « نوخاشى » و « نى » و « سنزار » و « توناتات » وبلدة « تونب » (بعلبك) إلى نفس المـوقف اليائس ، ثم طلب بإلحاح النجدة من فرعون مصر « هداد نيرارى » أمير « نوخاشى » و « أكيزى » ملك « قطنا »(١) ، وأخيرا طلبت مدينـة « تونب » أن ترسل إليها ولى عهدها ابن « اكيتشوب » بعـد عشرين عاما ، ولكن بدون جدوى ، وفضلا عن ذلك فإن « أزيرو » كان يتقدّم فى زحفه كذلك نحو الشمال فاستولى على « نى » و « تونب » بسرعة ، و بعـد ذلك قدم ملك « نوخاشى » ، و « إيتـا كاما » ملك « قادش » و « أزيرو » فروض الطاعة لملك « خيتا » « شو بيليو ليو ما » ، وقد كان يحق له الآن

---

(١) « قطنا » كانت مكان بلدة « مشرفة » الحالية غربى حمص .

أن يفخر بمدّه سلطانه حتى «لبنان»[١] ، وعلى الرغم من كل هذا فإنه قد بقى على اتصال ودّى مع مصر ، وتبادل مع « أمنحتب الثالث » الرسائل والهدايا ، وكان يرى أن هجومه على « سوريا » الشمالية أمر طبعى ، لأنه كان يعدها بدون سيد ، ولأنه كان صاحب الحق فى الاستيلاء عليها ، لأن جدّه قد انتصر على « حلب » . وليس لدينا ما يشعر أن « دوشرتا » قد حاول مقاومة ملك «خيتا» ، إذ الواقع أن مركزه وقتئذ كان حرجا ، لأن عرى الصداقة بين ملك مصر، وملك « خيتا » كانت موطدة ، ولما طلب إليه « أمنحتب الثالث » التزوج من ابنته « تدوخيبا » أرسلها إليه فى الحال وزودها بهدايا ثمينة ، وقد كان ينتظر بطبيعة الحال أن يهديه الفرعون ذهبا كثيرا مما كانت مصر غنية به[٢] .

تولى أمنحتب الرابع عرش الملك
وانتشار الفوضى فى سوريا

انتهى حكم « أمنحتب الثالث » بمفرده فى السنة السادسة والثلاثين ، كما أسلفنا والظاهر أنه كان عليلا ، ولذلك أرسل إليه « دوشرتا » الإلهة « عشتارت »[٣] إلهة « نينوى » وربة الأرض لتشفيه من سقامه ، وقد أعلنت بنفسها أنها تريد أن تذهب الى مصر تلك الأرض التى تحبها . ولما أرسلها ملك « متنى » قال :

---

(١) ومعلوماتنا عن هذه الحوادث مستقاة من خطابات « أكيزى » للفرعون أمنحتب الثالث (٥٢ — ٥٧) وخطاب أمير « تونب » رقم ٥٩ وخطاب « هداد نيرارى » أمير نوخشى رقم ٥١ هذا فضلا عن الخطابات الخاصة بمدن عمق (١٧٤ — ١٧٦) .

(٢) راجع الخطابات التى تبودلت بين « دوشرتا » و« أمنحتب الثالث » وبخاصة من ١٧ — ٢٤ حيث تجد تفصيلا شاملا عن العلاقات بين البلدين فى هذه الفترة والهدايا التى تبودلت بين ملكيهما ، وكذلك نجد فى الخطاب رقم ٢٥٥ شيئا خاصا بالمبادلات التجارية .

(٣) وهاك نص الخطاب (رقم ٢٣) : "إلى نموريا ملك مصر، أخى وصهرى الذى أحبه والذى يحبنى أقول : هكذا يتحدّث «دوشرتا» ملك «متنى» الذى يحبك وصهرك : "إن حالتى حسنة . وأرجو أن تكون حالتك حسنة ! وكذلك حالة بيتك و« تدوخيبا » ابنتى وزوجك التى تحبها أرجو أن تكون ناعمة البال ! وكذلك أرجو أن تكون حالة أزواجك وأبنائك وعظماء رجالك وعرباتك وخيلك وجنودك وبلادك ، وكل ممتلكاتك حسنة جدا . وإن عشتارت ربة « نينوة » وسيدة كل الأراضى تقول : إنى سأذهب الى مصر =

" ليت « عشتارت » ربة السماء تحمى أخى وتحمينى وتمنحنى وإياه حياة مداها مائة ألف سنة ، وتهبنى السرور العظيم " . على أن « عشتارت » لم يكن فى مقدورها أن تحقق ما وعدت به ؛ وعلى أثر تولى « أمنحتب الرابع » العرش ، كتب له « شو بيليو ليوما » ، ملك « خيتا » وكذلك « دوشرتا » يطلبان استمرار أواصر الصداقة والمهادنة بينهم ، وأن يرسل الهدايا التى وعد بها والده من قبل . وفى الحق كان يرى ملك « متنى » أن كيان بلاده يتوقف على بقاء العلاقات الودّية بينه و بين مصر . ولذلك أكد للفرعون من جديد اعتماد بلاده على مصر ، وحبه له إذ قال : " إن « خانيجالبات » (متنى) ومصر بلد واحد " . ثم ثنى باستعطاف الملكة « تى » والدة « أمنحتب » ، وكانت على علم أكيد بالعلاقات التى كانت بين البلدين، هذا فضلا عما كان لها من نفوذ على ابنها، غير أن «أمنحتب الرابع » كان على شىء من الشدّة(١) مع والدته، على الرغم مما يحفظه لها من احترام، إذ نشاهدها فى رسم مقبرة « خيروف » فى « طيبة » فى أول حكم ابنها ، وهى واقفة خلفه تتعبد للاله « آتوم » والإلهة « حتحور » . ولا شك فى أن « أخاتون » حافظ

= الأرض التى أحبها وسأعود منها ، وفى الحق لقد أرسلتها الآن وقد سارت فى طريقها . والواقع أنه فى عهد والدى ... ، ذهبت السيدة الى تلك الأرض وقد كانت مبجلة طول مكثها هناك ، ولذلك أرجو يا أخى أن تبجلها عشر مرات أكثر من قبل . وأرجو أخى أن يبجلها و يعيدها فى فرح ، و إنى أرجو أن تعود ، وليت « عشتار » إلهة السماء تحمى أخى وتحمينى ، وليت سيدتنا تمنح كل منا مائة ألف سنة وسرورا عظيما و بذلك سنفعل الخير . إن « عشتار » هى إلهتى . أليست إلهة أخى — السنة الخامسة والثلاثون الشهر الرابع من الشتاء كانوا فى الجبال الجنوبية... ... ".

ومن هذا الخطاب نعلم كيف كان الملوك يتراسلون فيما بينهم كما نعلم أن هذه الإلهة كانت تحمل نفس اللقب الذى كانت تحمله إلهة مصرية ، و إن لم يكن هناك فارق حقيقى بين أولئك الآلهة القدامى إلا فى الاسم والصورة أما الألقاب فكانت واحدة على أن من أهم ما يسترعى النظر فى هذا الخطاب وضيره الخضوع الذى كان يظهره الملوك الآخرون عند مخاطبة فرعون مصر .

(١) راجع : J. E. A., Vol. IX, P. 134, Pl. XXII.

على دوام الودّ بينه وبين ملك « متنى » إذ تزوّج من « تدوخيبا » التى كانت زوجا لوالدة أمنحتب الثالث من قبل، ولكنه من جهة أخرى لم يرسل إليه الذهب الوفير الذى كان يأمل فيه . فبدلا من تمثال الذهب المرصع باللازورد الذى وعد به والده من قبل ، أرسل تمثالا من الخشب المذهب[1] وحسب ، وقد كان الرسول الذى بعثه ملك « متنى » لهذا الغرض مكث زمنا طويلا فى بلاد الفرعون فى انتظار الهدية الموعودة .

على أن الروح الحربى الذى ملأ فى أجداد « أمنحتب الرابع » كان قد انطفأ سراجه تماما فى والده ، واتجهت ميوله ، وأغراضه إلى أمور أخرى ، فكان الولد هنا سر أبيه ، فلم يعبأ بالشئون الحربية قط ، ولذلك لم يقم وزنا للحوادث والثورات التى كانت تنشب أظفارها فى « آسيا » ، بل ترك الأمور تجرى فى أعنتها كما فعل والده من قبل مما أسفر عن الدمار والخراب فى تلك الأصقاع النائية ، ولقد كانت شكاوى أمراء «سوريا» وأناتهم تصل إلى آذانه بلا انقطاع ، وبخاصة الإنذارات الخطيرة التى كان يبعث بها « ريبأدى » مفسرا[2] فيها الحالة المضطربة التى كانت تقض مضجعه وتهز كيان بلاده ، والظاهر أن الرأى السائد وقتئذ عند رجال البلاط الفرعونى أن هذه المشاحنات القائمة بين أمراء الولايات المصرية ، ليست إلا أمورا عادية ، وأن كل واحد منهم يسعى فى الواقع وراء أغراضه الشخصية ، وأن مخاصمة بعضهم بعضا لا ضرر فيها على سلطان مصر ، بل على العكس يثبت أقدامها اتباعا للمذهب القائل : "فرق تسد" . على أن الأمراء المتهمين بالخيانة والغدر لمصر لم يعلنوا فى صراحة شق عصا الطاعة على الفرعون ، بل على العكس كانوا يكتبون له ولموظفيه معربين عن ولائهم راجين ألا يسمع

---

(١) راجع خطاب رقم ٢٧ وكذلك راجع الخطاب رقم ٤١ ، ٤٤ الخ حيث نقرأ أن رسول ملك متنى قد عيق فى البلاط الفرعونى .

(٢) راجع الخطابات : ١٠٦ ، ١٣ الخ ، ١١٧ ، ٧ الخ ، ١٢٤ ، ٣٥ الخ

ما يقال من وشايات بهم من جانب أعدائهم العصاة . فقد أكد «ايتاكاما» أمير « قادش » أن « نامياوزا »[1] أحد الأمراء قـد بدأ القتال وأحرق بلاده ، ولذلك كان ردّه على ذلك أن انتزع منه إقليمى (تاخاش Tachas) و (أوبى Ubi)، وردّهما ثانية إلى حماية الفرعون . والواقع أن كلا من هذين الأميرين كان يستعين بعصابات البدو لخدمته ، فكان الواحد منهما يهاجم خصمه ويغتصب منه أماكن يسلمها «للخبيرى» ، ثم يقوم الآخر بدوره ويقصيهم عنها ثانية[2] .

ولقد ظهرت هذه الحالة فيما بعد بين « زمريدا »[3] و « أزيرو » إذ سار الأخير بجيشـه نحو « سميرا » لحمايتها ، غير أن الأهلين لم يسمحوا له بدخولها[4] ، وطلبـوا إلى ملك «خيتا» يد المساعدة على صدّ الخطر الذى كان يتهدّد بلده ، على يد مملكة خيتا ، وعلى ذلك برر استيلاءه على تونب[5] .

وفى الحق لم يكن يقصد أى أمـير من هؤلاء أن يغير السلطة المصرية ليكون تحت نير دولة أخرى بأية حال من الأحوال ، بل كان كل منهم يرغب فى الاستفادة من الموقف السياسى ليمـدّ سلطان إمارته على حساب خصمه المجاور له مستعملا فى الوصول إلى ذلك الجنود البدو الذين كانوا فى خدمته ، هذا على أن يبقى طريق المفاوضات بينه وبين كل من مصر ومملكة « خيتا » مفتوحا .

---

(١) «نامياوزا» أحد الأمراء ويحتمل أنه ينسب إلى أسرة ملوك «متنى» (Mercer, "The Tell el Amarna Tablets", II, P. 577.)

(٢) راجع خطاب «أيتاكاما» رقم ١٨٩ وخطاب «نامياوازا» (رقم ١٩٧) ، وهو الذى أرسله للفرعون يعرب فيـه عن ولائه وإخلاصـه . إذ يقول : " تأمل إنى أخرج بجنـدى وعرباتى وإخوتى وقوم «ساجاز» (العبرانيون) التابعين لى ، وكذلك قوم «سوتى» (البدو) أمام الرماة إلى أى مكان يأمر سيدى (بالذهاب إليه) " .

(٣) راجع الخطاب رقم ١٤٤ الخ . (٤) راجع الخطاب ١٥٧ سطر ١١ .

(٥) وقد كتب للفرعون الخطابات ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦١ من مقرّه فى «تونب» دون أى مبرر ، يضاف إلى ذلك أن الفرعون لم يوجه له أى لوم فى الخطاب الذى أرسله إليه (رقم ١٦٢) .

على أن مصر لم تصبر على هذه الحال طويلا ، إذ تحركت بغأة وتدخلت فى قمع تلك الثورات ، ووقف تلك الحالة المحزنة عند حد .

وتدل ظواهر الأمور على أن هذا النشاط قد حدث عند اعتلاء « أمنحتب الرابع » العرش[1] . وكان القائد «ينخام» الذى فى يده القيادة العليا فى بلاد آسيا موجودا وقتئذ فى البلاط الفرعونى ، وكان «ريبادى» يطلب على الدوام بإلحاح إلى الفرعون أن يرسله على رأس جيش لكسر شوكة الثوار . وتدل الوثائق على أن هذا القائد ظل فى بادئ الأمر مقيما فى مصر ، ولكنه أرسل على مايظهر إلى «سوريا» جيشا بإمرة قائد يسمى «باخور» (بوخورو) ، وقد نشر على أثر ذلك أمرا لكل الأمراء التابعين للحكم المصرى بأن يعدّوا لهذا الجيش العدّة من الجنود والمؤن ، والذخائر ، فأظهر كل الأمراء صغيرهم وعظيمهم الطاعة[2] ، ولم يستثن من ذلك « أيتاكاما[3] » أمير « قادش » و « أرزاويا » أمير « روخيزى » ؛ غير أن هذه الحركة من جانب المصريين لم تأت بنتيجة حاسمة بل على العكس وجدنا أن «سميرا» استسلمت «لأزيرو» وكذلك قتل القائد المصرى «باوارو» على الرغم من تحذير «ريبادى» أمير « جبيل » له ، وكان موته نكبة عليه ، إذ أصبح فى نفس الموقف الحرج الذى كان فيه أيام محاربة «عبدى أشرتا» له ، يضاف إلى ذلك أن «أبيملكى» أمير «صور» لم يتحسس الموقف الذى كان فيه . حقا قد صدّت هجمة عن القلعة نفسها قام بها « زيمريدى » أمير «صيدا» بمعاضدة « أزيرو » و « أرواد » ، ولكن «زيمردى» استولى على « أوزو » الواقعة فى اليابسة وبذلك منع المياه وورود الخشب عن

---

(١) راجع الخطاب ١١٧ سطر ٢٢ عن تاريخ هذا الحادث .

(٢) راجع الخطابين ١٩٣ ؛ ١٩٥ الأوّل من أمير يدعى « دياتى » والثانى من « ناميوزا » .

(٣) إذ يقول «أيتاكاما» فى الخطاب رقم ١٨٩ للملك : أخدمك بهذه الحالة ومعى كل إخوتى وعند ما تكون حرب معلنة على الملك سيدى فإنى أذهب اليها بعرباتى وكل إخوتى الخ ؛ وفى الخطاب رقم ١٩١ تحدّث الينا « أرزاويا » ملك «روخيزى» بنفس النغمة أيضا .

قلعة الجزيرة، بجعل بذلك دفن القتلى مستحيلاً[1] (فى جبيل) ، وعلى الرغم من موقف « ريبأدى » الحرج فإنه لم يعر أذنا صاغية لإلحاح أسرته عليه فى طلب مهادنة « أزيرو » ومحالفته ، وذلك وثوقا منه فى وصول نجدة مصرية تحل بلدته من عقالها ، بيد أن شعبه لما رأى ألا أمل فى النجدة المصرية المزعومة شقوا عليه عصا الطاعة ، ولكنه أخمد الفتنة فى مهدها بعد أن أراق دماء غزيرة . ولما اشتدت به الحال عما كانت عليه، ولم يجد له أى مخرج، ولى وجهه شطر « خامونير » ملك « بيروت » وطلب النجدة منه ، ولكنه لما عاد وجد أن أخاه قد أغلق باب «جبيل» فى وجهه، وانضم إلى «أزيرو»، "وقد وقع ما لم يحدث منذ الأبدية إذ أخرجت آلهتنا من بلدنا" .

وقد أرسل « أزيرو » الطاعن فى السن بعد أن رأى أسرته فى يد أعدائه الرسالة تلو الرسالة للفرعون يتوسل إليه أن يرسل النجدة ، مظهرا له أهمية « جبيل » ومكانتها بالنسبة لأملاك مصر فى «آسيا»؛ ولما استحوذ عليه القنوط أرسل ابنه إلى البلاط الفرعونى رجاء أن يصل إلى حل ، ولكنه مكث أربعة أشهر فى العاصمة دون أن يرى وجه الفرعون[2] ، وفى خلال ذلك لم ينفك « ريبأدى » عن طلب المعونة، والنجدة من «أبيملكى» أمير « صور »، ولقد جاءته البشرى فى نهاية الأمر هو و « أمونير » أمير « بيروت » بأن جيشا مصريا فى طريقه لنجدته ؛ ومما يؤسف له أننا لا نعلم شيئا بعد ذلك عن أمر هذا الجيش[3] . ولكنا نعلم من رسالة بعث بها الفرعون فيما بعد إلى « أزيرو » — أن « ريبأدى » حين يئس من معونة

---

(١) وقد كتب « ابيملكى » للفرعون خطابا شرح له فيه هذا الموقف وطلب إليه المدد (راجع الخطاب رقم ١٤٩

(٢) يصف لنا « ريبادى » فى عدة رسائل بعث بها إلى الفرعون (١٣٤ — ١٣٨) موقفه من عدوه «أزيرو» والحالة اليائسة التى وصل اليها بعد طرده من «جبيل» .

(٣) الخطابات من ١٤١ — ١٤٣ التى تبودلت بين «أمونير» أمير «بيروت» وبين الفرعون ، وكذلك الخطابان ١٥٣ و ١٥٤ وقد تبودلا بين «ابيملكى» أمير « صور » والفرعون فى هذا الصدد .

الفرعون ولى وجهه شطر «صيدا»، وقد حاول هناك أن يصل إلى اتفاق مع عدوّه حتى يسمح له بالعودة إلى «جبيل» وطنه، ولكن ملك «صيدا» على ما يظهر سلمه لعدوّه فقتله[1].

ولا شك أن هـذه الحوادث المحزنة قد امتد أجلها عدة سنوات، غير أننا لا نعرف على وجه التحقيق مقدار تدخل «متنى» فى هذه الاضطرابات، ولا الى أى مدى كان تدخل «خيتا». ولكن مما جاء فى أخبار «شوبيليوليوما» ملك «خيتا» نعلم أن «دوشرتا» ملك «متنى» قد نقض ميثاق السلام بينهما بإرساله حملة الى «سوريا» الشمالية، وكان أهل «خيتا» يدعون حق التسلط عليها، وقد كان من نتـائج هذه الحرب أن طرد «ساروبايا» ملك «نوخاشى» من بلاده فلم يرض عن هذا العمل على ما يظهر وأرسل بعض الجنود لمحاربته[2]؛ وخلافا لذلك لم نسمع بأى تدخل من جانبه. وفى خلال السنين التاليـة لذلك نعرف أن طائفة كبيرة من المـلوك العاديين كانوا يحكمون فى تلك البقاع، وكانوا على صفاء وود مع السفراء المصريين أيضا، فنرى من بينهم «إيتاكاما» ملك «قادش»، وكذلك «أزيرو» ملك الآموريين قـد عادا الى الاعتراف بسلطان مصر[3]. أما عن تدخل «متنى» فى هذا الوقت، فلم نجد له ذكرا فى خطابات «تل العمارنة». وعلى أية حال فلا بدّ من الاعتراف هنا بأن رابطة الصداقة التى كانت بين مصر، «ودوشرتا» ملك «متنى» قـد أثرت تأثيرا فعالا فى سـير الحوادث بالنسبة لمصر فى تلك الفترة المليئة بالحوادث الجسام.

---

(١) والخطاب الذى أرسله الفرعون إلى «أزيرو» (رقم ١٦٢) أظهر فيه تألمه وعدم رضاه عن خيانته وأثرته، ثم يعده فيه بالمساعدة إذا هو أصبح مواليا مخلصا للفرعون، أما إذا جنح إلى الخيانة والتمرّد واستمر على ما هو عليه من التقلب والنفاق فإن الموت يكون مآله.

(٢) راجع : Meyer, “Gesch”. II, 1. P. 362, note 1.

(٣) فثلا نجد أن «أزيرو» قد كتب إلى الفرعون خطابا (رقم ١٦٠) يعد فيه بأنه سيقوم بتحقيق كل رغبات الفرعون، وأنه قد عيق فى بناء «سميرا»، وسيقوم ببنائها فى سنة واحدة. وقد رجا الفرعون ألا يصغى إلى ذم أعدائه فيه. راجع كذلك فى هذا الموضوع الخطابين ١٦١ سطر ٣٦؛ ١٦٩.

الحالة فى فلسطين

لم تكن الحالة فى فلسطين تدعو قط إلى الارتياح والطمأنينة ، بل كان الاضطراب ضاربا أطنابه فى نواحيها ، كما كانت الحالة فى إقليم نهر « الأرنت » وفى بلاد « فينقيا » تدعو كذلك الى القلق لانتشار الثورات فيها ، ومن أجل ذلك كانت الشكاوى تنهال على الفرعون مفعمة بالأنين من عسف بعض الأمراء ، وقيام الثورات فى بعض الأماكن ، هذا فضلا عن زحف قبائل «خبيرى » فى الولايات ، ونهبهم بلادهم ، وسلب متاعهم ، وقد كان الخطر منهم على الممتلكات المصرية عظيما ، ولذلك كان طلبهم المعونة من الفرعون لوقاية المدن لاينفك عن الإلحاح فى إرسال حملة و إمداد المدن بحاميات تتقى بها شر المغيرين ، يضاف إلى ذلك أن الشئون الخارجية الخاصة بإرسال الجزية وبخاصة العبيد والقيان ، و بحماية القوافل التى كانت تسافر إلى « خانيجالبات » (بلاد متنى) وإلى بلاد « بابل » كان لابدّ لتأمين طرقها والمحافظة على سلامتها ، وتأمين حياة الموظفين القائمين على حراستها من قوّة حربية لصدّ غارات اللصوص وقطاع الطرق . ولا أدل على سوء الحال من هذه الناحية من الشكوى التى أرسلها « بورنابورياش » ملك « بابل » الى « أمنحتب الرابع » يذكر فيها ماحاق بقافلتين من قوافل التجارة من السلب والنهب على أيدى أمراء المدن غير ما أنزله أمير « ساتاتنا » أمير « عكا » وأحد الأمراء المجاورين له فى مكان يدعى « خيناتون » فى إقليم « الجليل » وتجار بلاد « بابل » من النهب والسلب والتقتيل[1] . وليس ثمة شك فى أن هؤلاء الأمراء أنفسهم كانوا يبعثون الرسائل المفعمة بالولاء والطاعة لسيدهم الفرعون . أما فى شمالى « فلسطين » حيث

---

(١) راجع الخطاب رقم ٧ سطر ٧٣ الخ . إذ يقول : "أما من جهة «سالمو» رسولى الذى أرسلته إليك فان قافلته قد نهبت مرتين ؛ فنهب قافلة « بريا ماز » والقافلة الأخرى (نهبها) « باماخو » حاكم بلادك التابعة ، فالمرجو من أخى أن يفصل فى هذا الشجار أو عند ما يأتى رسولى إلى حضرة أخى فليأمر بإحضار « سالمو » أمام أخى ؛ واجعلهم يردّون إليه فديته و يعملون على ردّ ما خسره" .

كان « نامياوزا » يمثل مصالح الفرعون[1] كان مرجل البلاد يغلى ، والثورات تكشر عن أنيابها فى كل مكان ، فقد حاول أمير « خاسور » وهى معقل جبلى أن يتحد مع قبائل « خبيرى » ليمدّ رقعة إقليمه ، ونذكر هنا من بين الأماكن المأهولة التى استولى عليها ثلاثة بلدان من إقليم « إياب » وكان حاكمها يسيطر على بلدة (بلا Pella) الواقعة على مسافة بعيدة فى الجنوب على الضفة الأخرى لنهر الأردن، ويظهر أنه استولى[2] على «إياب» ذاتها بنفس الطريقة ؛ أما « لا بايا » فى الجهة الجنوبية فكان أشدّ وطأة وأعظم خطرا إذ أخذ يزحف بجيشه يعاضده «ميلكيل» و«تاجى» وهو والد زوجة الأخير فاستولى على ولايات « سهل يزرعيل » الواحدة تلو الأخرى مثل (شونم Sunem) و(بورقانا Burquna) و(جتريمون Gitrimmon) وغيرها . أما ، (شكيم Sickim) وأقليمها فقد أعطى لقبائل « خبيرو » ، وكذلك حاصر الأمير « بيريديا » ، وفى الجنوب استولى على « غزه » الواقعة فى سهل الشاطئ[3] .

---

(١) ففى الخطاب رقم ١٢٩ سطر ٨٢ والخطاب ٢٥٠ سطر ٢٤ الخ نجد أن الأوّل من « ريبادى » للملك والثانى من « أدو أورساج » للملك أيضا . ومما جاء فى الخطابين نفهم أنه هو الذى كان يقوم على مصالح الفرعون فى هذه الأصقاع .

(٢) إذ فى الخطاب رقم ١٤٨ سطر ٤١ الخ نقرأ أن ملك « خازورا » قد ترك بلده واتحد مع قوم « ساجاز » ، وليعرف الملك أنهم معادون للشاة ، وأن بلاد الفرعون قد أصبحت فى قبضة قوم « ساجاز » (العبرانيون) الخ .

(٣) ففى الخطاب رقم ٢٣٧ نجد أن كاتبه للفرعون « بيادى » (Bajadi) يشكو أن مدن الفرعون قد اغتصبت ومغتصبها هو «لابايا» وفى الخطاب رقم ٢٤٤ يكتب « بير يديا » أمير «مجدو» إلى الفرعون طالبا النجدة ليخلص « مجدو » من عدوان « لابايا » . وفى الخطاب ٢٤٩ نشاهد أن « أدو — أورساج » يكتب للفرعون يشكو من « ميلكيل » « وتاجى » وتحريضهما السكان على العصيان أما الخطاب ٢٥٠ فقد كتبه كذلك « أدو — أورساج» للفرعون وفيه يقول : "أن ابنى « لابايا » قد عزما على تخريب أرض الفرعون وأن «ميلكيل» مشترك معهما و يطلب المعونة من الفرعون و يظهر ولاءه" له . (راجع كذلك ٢٨٩ ، سطر ٢٢ و ٢٥٣ ؛ ٢٥٤) .

ولما تفاقم الأمر إلى هذا الحد هم الفرعون بالتدخل فى الأمر بجد ليضع الأمور فى نصابها . ويرجح أن هذا التدخل من جانب الفرعون كان فى السنة الحادية عشرة من حكم «أمنحتب الرابع» ، وكان القائد المصرى فى هذه الأصقاع آنئذ، هو «يانخام» أما فى «سوريا» فقد أرسل الفرعون «حانى» (١) بن «مرى رع» ، وكان يحمل لقب «ابن الملك» (نائب الملك) فى أرض «كنعان» ، وأمره بأن يأتى برءوس أعداء الفرعون . وعلى إثر وصوله لم يبد أى أمير مقاومة ما أو عنادا بعد إعلان أوامر سيده التى كانت تشد من أزرها جيوشه (٢) ، بل لقد كان كل أمير يتسابق لإظهار سروره ، وتقديم فروض الطاعة ، ويعلن انضمامه للفرعون ، ولم يستثن من ذلك ملك «خاسور» ولا الأمراء «لابايا» و «تاجى» و «ميلكيل» فقد آتوا إليه طائعين وقبل الفرعون خضوع «ميلكيل» و «تاجى» . أما «لابايا» فلم يغفر له خطيئته، ولم يقبل له شفاعة على الرغم من تضرعاته وتوسلاته للفرعون، وأخذه المواثيق على نفسه أن يكون عبدا خاضعا لسيده ، وأنه مستعد لتقديم زوجه أو طعن نفسه (٣) بخنجر، إن أمره الفرعون بذلك ، غير أن كل هذه التضحيات لم تحرك نفس الفرعون ، بل ظل حانقا عليه يتوق فؤاده أن يساق إليه هذا الغادر إلى مصر ، وقد وكل هذه المهمة إلى أمير «عكا» ، غير أن الرشوة لعبت دورها فأخلى سبيله خلسة وولى الأدبار ، ولكنه اغتيل فى أثناء هربه ؛ وكذلك هرب «ايابا» أمير «بلا» (٤) من قائد الملك . هذا واستولى «بيريديا» أمير «مجدو» على إقليم «سونم» وكان مشتركا فى مطاردة

(١) راجع الخطاب رقم ٣٠١ حيث يقول "شوباندو" فى خطابه للفرعون : "إن الملك سيدى الشمس فى السماء قد أرسل «خانى» الخ" ، وتأمل لقد أصغيت إلى كلمة الملك سيدى بانتباه ، وتأمل لقد قدمت ٥٠٠ ثور و ٢٠ جارية " الخ .

(٢) وقد ظهر من بين أسماء القواد الذين أرسلوا فى هذه الفترة «مايا» (راجع الخطابات ٢١٦ — ٢١٨ ؛ ٢٩٢ ، سطر ٣٣ ؛ ٣٠٠ سطر ٢٦ .

(٣) راجع الخطابات رقم ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، سطر ٢٧ ؛ ٢٨٠ سطر ٣٠ ، وكذلك ٢٥٢ — ٢٥٤

(٤) راجع الخطاب رقم ٢٥٦ .

« لابايا » بغــيرة وحمية ، وكذلك اســتولى على مدن أمراء آخرين ، وهؤلاء كانوا يفخرون بأنهم كانوا يستعبدون فلاحى البلاد المجاورة فى أعمال السخرة[١] .

وقد عادت الحملة المصرية ، التى أحرزت هــذه الانتصارات لمصر فى يناير من السنة الثانية عشرة[٢] من حكم « أمنحتب الرابع » ، وأحضر قائدها معه الأسرى من الساميين ، وليس بينهم أسير واحد من « خيتا » ، وكذلك جاء فى ركابه سفراء من « سوريا » يحملون الجزية التى قدموها إلى الفرعون ، وتدل الرسوم التى عثر عليها فى تل العمارنة على أن الغنائم لم تكن عظيمة بالنسبة لغنائم المــلوك السابقين ، هذا فضلا عن أن هذه الحملة التأديبية لم يدم أثرها زمنا طويلا ، إذ ما كادت تنتهى حتى أخذ الــبريد يمطر الفرعون وابلا من الشكاوى أكثر من ذى قبــل ؛ فكان ولدا « لابايا » يتميزان غيظا لقتل والدهمــا ويتحفزان للأخذ له بالثأر ، ومن أجل ذلك أخذا يحرضان القبائل التى كانت تدين لوالدهما بالطاعة ، وساعدهما فى ذلك « ميلكيل » و « تاجى » على الرغم مما كانا يبعثان به للفرعون من الرسائل معربين فيها عن ولائهما ، وخضوعهما له[٣] ، وذلك فى حين كانت قبائل « خبيرى » يتوغلون فى البلاد بقضهم وقضيضهم ناهبين الأماكن المأهولة ، وفارضين الضرائب الفادحة على مدن الساحل أمثال « غزة » و « إيالون » و « صرعا » و « لاكش » وحتى « عسقلان[٤] » لم تفلت من أيديهم ففرضوا عليها الجزية ، وكان الحاكم المصرى فى هذه البقاع عاجزا عن تقديم مساعدة تذكر حتى أنه اضطر أن يسحب جنود

(١) راجع : "Revue d'Assyriologie", XIX, P. 97.

(٢) راجع : Meyer, "Gesch" II, 1. P. 339.

(٣) راجع الخطابات ٢٥٥ الخ ؛ ٢٥٠ سطر ٣٢ ؛ ٢٨٧ سطر ٢٩ ؛ ٢٨٩ سطر ٥ الخ و ٢٥٠ .

(٤) راجع الخطابات ٢٨٧ سطر ١٤ الخ ؛ ٢٧٣ ، سطر ٢٠ ، (أما عن حالة «غزة» المحزنة) راجع كذلك ٢٩٢ ســطر ٤٢ الخ . (أقرن كذلك ٢٩٤ ، سطر ١٦ الخ) ؛ ٢٩٧ ، سطر ١٦ ؛ ٢٩٨ سطر ٢٠ الخ ، ٢٩٩ سطر ١٤

بعض المعاقل لحماية « غزة »[1] الواقعة عند الحدود المصرية . وهكذا ترك المدن وولاتها يدافعون عن كيانهم ، ففى « أورشليم » جاهد « عبدى خيبا » أن يصد هجوم قبائل « الخبيرى » و « ميلكيل » وأولاد « لابايا » على الإقليم الساحلى التابع «لشواردانا» أمير « كلتا » «قعلا» غرب «أورشليم» وكان يؤازره فى ذلك «سوراتا» أمير «عكا» و « انداروتا » أمير « أكشاب » ، وقد سار المتحالفون[2] فى بادئ الأمر بروح الوئام ولكن عندما ثارت بلدة « قعلا » على أميرها أسرع « عبدى خيبا » ومعه « شوارداتا » ليخلص المدينة من الوقوع فى يد « ميلكيل »[3] ، غير أنه سرعان ما دب بينهما دبيب الطمع والأثرة ، وبدأ كل منهما يعمل لحسابه ، فلما تمكن « شوارداتا » من الاستيلاء على المدينة أراد أن يستخلصها لنفسه على كره من « عبدى خيبا » ، ولذلك أعلن الأخير أنه « لا بايا » ثان ، انضم فى الحال إلى «ميلكيل» ولكن النصر حالف « شوارداتا » إذ أخذت المدن تخضع لسطانه الواحدة تلو الأخرى حتى بلغ ما استولى عليه ثلاثين مكانا ، وكان « ميلكيل » فى الوقت نفسه يحرض قبائل «خبيرى» عليه مما اضطره إلى طلب النجدة من الفرعون ، وانتهى الأمر أن ساءت حالة « عبدى خيبا »[4] فأصبح محصورا فى « أورشليم » ، ولذلك كتب إلى الفرعون يرجوه إذا لم يكن فى استطاعته إرسال جيش لإنقاذه أن يرسل فى طلبه هو وأسرته حتى يموت بجوار سيده الفرعون[5] .

وقد عملت يد القتل فى الأمراء[6] بدرجة عظيمة حتى صارت مدن الولايات الفرعونية لا ولاة لها . يضاف إلى هذا أن أقليم الجنوب الأقصى من فلسطين قد

---

(١) راجع الخطابات رقم ٢٨٧ سطر ٤٥ الخ ، ٢٨٩ سطر ٣٠ الخ . أقرن كذلك ٢٨٦ سطر ٢٥

(٢) راجع : "Revue d'Assyriologie", XIX, P. 98.

(٣) راجع ٢٨٠ ، ٢٨٩ سطر ٢٥ الخ ؛ ٢٩٩ سطر ١٠

(٤) راجع الخطابات ٢٧١ سطر ٩ ؛ و ٢٨١ — ٢٨٣ .

(٥) راجع الخطاب ٢٨٨ سطر ٥٧ الخ .

(٦) راجع الخطابات ٢٨٨ سطر ٤٠ الخ (= ٣٣٥) .

اكتنظ بقبائل « خبيرى »[١] وأصبحت كل مدن الداخل معادية للحكم المصرى أمثال «أودومو» (دوما) (راجع يوشع ١٥ سطر ٥٢)، و « ارارو » . و «خنيانابى» (يوشع ١١، ٢١ و ١٥، ٥٠) «مجدالم» وغيرها، وبذلك أصبحت كل المدن التى على منحدرات جبال يهودا جنوبى « حبرون » معادية لمصر[٢]، ولذلك كان « عبدى خيبا » يكرر فى رسائله للفرعون قوله : " إذا توانى الفرعون فى إرسال نجدة، فإن كل ممتلكاته ستقع فريسة فى يد قبائل خبيرى "[٣] .

وقد كان نتيجة هذا التهديد المتكرر أن أرسل الفرعون القائد « ينخام »[٤] الذى كان يثق به القوم إلى فلسطين . غير أنه عجز عن القيام بعمل حاسم فى هـذا الجو المضطرب . هـذا فضلا عن أنه فى السنين الختاميـة لحكم « إخناتون » كانت السيادة المصرية قد تفككت عراها وانحلت أواصرها فى خارج البلاد وداخلها .

سيطرة « خيتا » على سوريا

سقوط دولة «متنى» وظهور الآشوريين : بعـد أن تدخل الجيش المصرى فى قمع الثورات فى فلسطين أرسل الفرعون القائد «خانى» إلى الأقاليم الشمالية لإعادة النظام والأمن فيها بعد أن اختل ميزانها . وفى الحق كان القائمون بالأمور فى هـذه البقاع أصحاب حزم وعزم[٥] يقبضون على مقاليد الأمور بيـد قوية أكثر

---

(١) راجع الخطابات : ٣٠٥ سطر ٢٠ ؛ ٣٠٧ ؛ ٣١٣ ؛ ٣١٨ . وقـد ذكر مع الخبيرى كذلك قبايل البدو (سوتى) (٢٩٧ سطر ١٦ و ٣١٨ سطر ١٣) .

(٢) راجع ٢٥٦ سطر ٢٢ الخ، ولم يكن محميا إلا قلعتى «غزة» و«يافا» (راجع ٢٩٦ سطر ٣٢ ؛ اقرن كذلك ٢٩٤ سطر ٢٠ .

(٣) راجع ٢٧٢ ؛ ٢٧٣ ؛ ٢٧٤ ؛ ٢٨٦ ؛ سطر ٤٩ الخ ؛ ٢٨٧ سطر ٢٠ الخ .

(٤) راجع الخطاب ٢٧٠ سطر ١١ حيث نجد « ينخام» يطلب من « ميلكيلى» ٢٠٠٠ شكلا من الفضة ، وكذلك طلب إليه أن يعطيه زوجه وأولاده أو يقتله .

(٥) كان القائد هناك يدعى «خاى» وكان "أزيرو" يخاطبه بلفظة أخى (راجع ١٦٦ ؛ ١٦٧) .

من أولئك الذين كانوا فى فلسطين ، ولذلك لم تكن مهمة «خانى» شنّ حرب ، بل كان عمله ينفذ بالطرق السلمية ، ومن أجل هذا لم يكن فى هذه الجهات إلا قوة صغيرة من الجند وكان أكبر مشاغب هناك « أزيرو» أمير بلاد « آمور » وإن لم تصلنا معلومات وثيقة عن سلوكه وتصرفاته فى هذه الآونة بعينها ، ولكنا نجد أن الفرعون أرسل إليه أمره بإعادة بناء « سميرا » ، وكان عليه كذلك أن يقدّم نفسه فى الحال للبلاط الفرعونى ليبرر موقفه المشين فى الحوادث الأخيرة . ولما أحس « أزيرو » حضور رسول الفرعون ذهب فى الحال إلى « تونب » وآوى إليها حذرا من مقابلته . وقد مكث « خانى » مدة طويلة فى انتظار « أزيرو » ، ولما سئم الانتظار، عاد إلى مصر . ولا نعرف إلى أى مدى تدخل فى الأمور هناك . ومن المدهش أن « أزيرو » لم يرد أن يحفل برسول الفرعون كما حفل بمبعوث ملك «خيتا» ،ولكنه مع ذلك قدّم اعتذاره للفرعون عن عمله هذا بحجة أنه لم يكن يعلم بوصول «خانى » رسول الفرعون إلا متأخرا ، وأنه لم يستطع الوصول لمقابلته قبل مغادرته بلاده ، ومع ذلك فقد احتفل به أخوه وأكرم وفادته وأغدق له العطايا والهدايا الثمينة ، ثم أخذ على نفسه بأنه سيراعى ذلك فى المستقبل، أما عن إعادة بناء « سميرا » المخربة فقد طلب إرجاء ذلك ، إذ كان مضطرا لأن ملك «نوخاشى»قد شنّ عليه حربا عوانا ولا بدّ له من الدفاع عن كيانه . وأما عن استيلائه على ببلوص (جبيل) فقد أوضح للفرعون فى خطاب آخر أن ذلك لا يضر الفرعون فى شئ وليس فيه خسارة تلحق بالسيادة المصرية إذ يقول ”: إنى خادمك مثل كل الأمراء الذين كانوا قبلى فى المدينة (يقصد ريبادى)، وإنى على استعداد أن أقدم للفرعون ما كان يقدمه هذا (أى ريبادى)“. ولقد كانت الأحوال تضطر «أزيرو» ألا يعلن العصيان وقتئذ فى وجه الفرعون، إذ كان فى حاجة ماسة لمساعدة الجيش المصرى إذا ما هاجمه ملك « خيتا » الذى كان يظهر له الغدر، وقدم « أزيرو » الأمر الذى أصدره ملك « نوخاشى » إلى وكيله «خاتب» ليفصل فيه . وفيه يأمره ملك «نوخاشى»

أنه إذا لم ينضم إليه فإن بلاده ستنتزع منه و يغتصب منه معظم كنوزه المعدنية وتبقى فى حيازته [1] . وقد رجا « أزيرو » « خانى » أن يزوره مرة ثانية وحينذاك سيكون على استعداد لتسليمه كل أعداء الملك .

أما الفرعون « إخناتون » فقد أجاب على خطاب « أزيرو » برسالة حفظت لنا فى وثائق « تل العمارنة » وهى الرسالة الوحيدة التى يمكن للؤرخ أن يرى بين سطورها بصيصا ضئيلا عن أخلاق هذا الفرعون وقد بسط فيها سلوك « أزيرو » المشين ضد « ريبادى »، فقد تحالف مع « أيتاكاما » أمير «قادش» (كنزا) الذى كان يحقد عليه الفرعون و يبغضه . هذا إلى أن اعتذاراته التى بعث بها اليه محض كذب وافتراء ، وكل ما قاله بعيد عن الحقيقة كل البعد ، وكذلك حذره بأنه إذا أصر على عناده، فإنه سيقضى عليه وعلى جنسه بحد السيف، أما إذا رجع عن غيه فإنه سيكتب له الحياة ثم قال إنك تعلم أن الملك لما أظهر حيال كل بلاد كنعان الحقد والبغضاء قسا فى معاملتها قسوة شديدة وعلى ذلك يجب عليك أن تحضر فى الحال إلى البلاط أو ترسل ابنك ، وحينئذ ستشاهد الملك الذى تعيش كل الأراضى بنظرة منه . هذا إلى أن الملك قد أرسل مع « خانى » قائمة بأسماء المنشقين الذين يجب عليه أن يأتى بهم مكبلين فى السلاسل والأغلال ، ولم يسع « أزيرو » الا الخضوع لكل طلبات الفرعون ، وفى خلال تلك الفترة كان موقف « أزيرو » قد تحرج أكثر مما كان عليه من قبل لأن «شو بيلو ليوما» كان قد توغل بجيشه فى «نوخاشى»، ولكن على الرغم من ذلك فإنه حزم رأيه على الذهاب إلى مصر مع « خاتب » ثقة منه بالضمانات التى فاه بها الفرعون ، وسيده ووالده « دودو » الذى كان سنده العظيم بين رجال البلاط [2]، وقد انهال ملك

(١) راجع الخطابات ١٥٧ ؛ ١٦٠ ؛ ١٦١ ؛ ١٦٢ سطر ٧ الخ .

(٢) راجع الخطابات التى أرسلها « أزيرو » الى « دودو » (١٦٤ ، ١٦٥) وكذلك التى أرسلها « أزيرو » الى « خاى » ١٦٦ ؛ ١٦٧ والى الملك ١٦٨ .

«نوخاشى» باللوم على ابن « أزيرو » قائلا إنه قد باع والده بالذهب فى مصر وأنه لن يعود قط وأن البدو (سوتى) قد انقضوا على بلاده ، وأنه قد أصبح آلة[1] فى يد مصر ، غير أن هذه المخاوف لم يتحقق منها شيء إذ استقبل « أزيرو » فى مصر استقبالا حسنا ، وعاد إلى بلاد الآموريين معافى صحيحا وهو ممتلئ أملا بقدرته على صدّ زحف « خيتا » عن بلاده .

وقد كانت المصائب والويلات تحيق ببلاد«متنى»وتزلزل كيان عرشها. والواقع أنه منذزمن بعيد كان سقوط دولة «متنى» على يد أمراء آشور يلوح فى الجو حتى أصبح أمرا منتظرا فمنذ عام ١٣٩٠ق.م أى فى نفس الوقت الذى اعتلى فيه « دوشرتا » العرش جدّد «أشورناديناشى» ملك «آشور» علاقته الودّية بمصر فأهداه «أمنحتب الثالث » ثلاثين « تالنت » من الذهب (التالنت يقدر بـ ٢١٣ — ٢٥٣ جنيها) وكذلك أعطى مثلها ملك «متنى» . وقد كتب خلفه الثانى وهو «أشورو باليت»[2] إلى «إخناتون» يطلب إليه بطبيعة الحال مقدارا عظيما من الذهب ، وقد خاطبه على قدم المساواة بلفظة « أخ » ، ولكن ملك « كردونياش » (عاهل بابل) لم يرق فى نظره أن يخاطبه أحد الأمراء التابعين له كأنه ندّه ، ولذلك كتب « بورنابورياش » (١٣٩٠ ق م) إلى « أمنحتب الرابع » منوّها له بالمسلك الودّى الذى اتخذه والده « كوريجالزو » حياله عندما طلب الكنعانيون يد المساعد لمناهضة المصريين ، ثم استمر قائلا : "إن هذا الآشورى من رعيتى لم أرسله إليك فلماذا ذهب إليك وإلى أرضك من تلقاء نفسه ؟ فإذا كنت تحرص على مودّتى فلا تتعامل قط معه بل دعه يعد فارغ الأيدى[3]" . ولم يكن ملك « بابل » فى حالة تمكنه من مهاجمة الآشوريين فى تلك الفترة، ولكن على أثر زواجه[4] هو أو زواج أخيه من إحدى بنات « آشورو باليت» — وقد كان لهذا الزواج أثره

(١) راجع الخطاب ١٦٩ (٢) راجع الخطابين ١٥ و ١٦ (٣) راجع الخطاب رقم ٩
(٤) راجع .Meyer, "Gesch". II, 1, P. 154, note 3 .

فيما بعد فى الفصل فى مصير دولة « بابل » — قد سنحت له الفرصة عندئذ لمهاجمة بلاد « متنى » .

انتهز « شو بيليو ليوما » مهاجمة[1] « دوشرتا » لبلاد « نوخاشى »، وانقض على الأراضى الجبلية الواقعة على ضفتى نهر الفرات فى شمال «متنى»، وليس لدينا معلومات صريحة عن نتائج هذه الحرب ، ولكن هذه التقارير التى كان يضعها ملك «خيتا» عن حروبه وجدناها فى مقدمة المعاهدات التى كان يبرمها بينه وبين بلاد « متنى » و « نوخاشى » و « كزوتنا »، وكانت كلها مكتوبة بصورة واحدة، وكانت طريقة إنشائها مشوّهة ، وقد كتبها هو أو مستشاره باللغة الآكادية ، والظاهر أنه كان لا يجيدها، وقد كان يكتب فى كل مرة جزءا من الحوادث، أما الجزء الآخر فكان لا يذكر قط أو يذكر باختصار . ولكن على الرغم من ذلك أمكننا أن نصل إلى صورة عامة عن سير الحروب بربط الحوادث المنفردة بعضها ببعض .

ولقد كان أوّل ما اهتم به «شو بيليو ليوما» انهماكه فى تثبيت سلطان «خيتا» فى شرقى « آسيا » الصغرى ، وفى الأراضى الجبلية الواقعة على نهر « الفرات » وفى « أسوا » وفى المقاطعات التى ضمها لملكه ثانية . وهذا يفسر لنا السبب الذى من أجله لم يكن لهجومه فى « سوريا » الشمالية أثر باق ، فتوغل فى « إسوا » وطرد العناصر الأجنبية من بلاده، وضم إلى جانبه «سونا سورا» ملك « كزواتنا » . وقد ذكر لنا هذا الملك الأخير أنه قد أصبح سعيدا إذ لم يعد بعد الآن خادم «متنى» بل صار ملكا حرا طليقا؛ ويلاحظ أن المعاهدة تحتوى على مواد شديدة بالنسبة لأهل « متنى » وربطت بلاد « كزواتنا » وحاكمها بروابط وثيقة ثابتة مع مملكة « خيتا »، ونجد مظاهر هذه الروابط الدائمة بين البلدين فى المعاهدات التى كانت تبرم بين « خيتا » وأية أمة أخرى ، فقد كان يذكر دائما فى ذيل المعاهدة أسماء آلهة « خيتا » وآلهة «كزواتنا» جنبا لجنب بوصفهم شهودا .

---

(١) راجع Ibid, P. 370. note 4 .

أما فى بلاد « متنى » نفسها فقد أبرم « شو بيليو ليوما » معاهدة مع المطالب بعرش هذه البلاد، ويدعى « أرتاتاما » اعترف فيها بأنه ملك بلاد «متنى» الشرعى، وقام فى نفس الوقت « اشورو بالليت » ملك « آشور » بهجوم على « متنى » . هذا إلى أن « شو بيليو ليوما » بعد أن هزم « إسوا » هزيمة منكرة فى حملة ثانية أصبح ما تبقى أمامه فى ميدان القتال لعبة سهلة، وقد انضم إليه أمير « ألسى Alzi » الذى كان يسيطر على أعالى نهر دجلة ، وبذلك صار من السهل عليه الاستيلاء على « واسو — جانى » عاصمة مملكة « متنى » ونهب كنوزها ، ولم يكن فى مقدور « دوشرتا » وقتئذ أن يدافع عن بلاده بأية حال من الأحوال .

بعد ذلك ولى ملك « خيتا » وجهه شطر نهر الفرات متجها نحو الجنوب فاستولى على « حلب » وكذلك « تاكوا Takuwa » ملك « نى Ni » وقد حاول أخوه « إكيتشوب Akitesub » الذى كان يرأس جنود « الماريانى » أن يقاوم ملك « خيتا » بمناصرة « أكيا Akià » أمير « اراختى (إترخ) » وساق الثوار أسرى فى الأغلال، وكذلك ساءت الحال فى «قطنا »، فقد تحققت المخاوف التى كان يعلنها على الملأ أميرها منذ سنين مضت. بعد ذلك سار « شو بيليوليوما » بجيشه نحو « نوخاشى» واستولى على أسرة ملكها (ساروبسا Sarrupsa) وأخذهم أسرى [1]، وكان قد وعد فيما مضى أن يحمى هذا الملك، والظاهر أنه قد قتله تخلصا منه، وولى مكانه « تيتا » ملكا على «نوخاشى» وكانت هذه الحوادث تجرى فى الوقت الذى كان قد أرسل فيه «أزيرو» من «تونب» إلى الفرعون يطلب إليه العون ثم ذهب بنفسه الى البلاط كما ذكرنا آنفا .

ولقد كان مثل المصريين فى عدم القيام بأية مقاومة فى هذه الحروب كمثل « دوشرتا » « ملك متنى »، إذ أن الحاميات المصرية التى بقيت فى يد المصريين فى بعض الأماكن مثل «تونب» كانت ضعيفة خائرة القوى، ولذلك نزعت منه من

(١) راجع : Meyer, "Gesch", II, 1, P. 375. note 1.

غير مقاومة تذكر، ومن الغريب أن « شوبيليوليوما » ملك « خيتا » قد تجاهل في تقاريره الحربيـة ما استولى عليـه من الأماكن التي كانت تدين لمصر بالطاعة والسلطان، ويرجع سبب ذلك إلى أنه كان بعـد السلام مازال قائمـا بين البلدين بصفة رسمية .

أما « أزيرو » فإنه أخذ يتخذ العدّة لنفسه ويتهيأ للموقف الجديد الذي حتمته الأحوال، فعلى أثر عودته من مصر قدم لملك « خيتا » فروض الطاعة ووضع نفسه تحت سلطانه، وبقي على هـذه الحالة حتى وافاه الأجل المحتوم . وفي خلال ذلك الوقت كان « شوبيليوليوما » قد سيطر على كل أراضي «الأموريين» وفرض عليهم جزية يؤدّونها تقدر بمبلغ ثلثمائة شكل من خالص الذهب[١] .

غير أن « ايتاكاما » ملك « قادش » قد قام من جهة أخرى يسعى للمحافظة على استقلاله، ولكنه غلب على أمره وأسرت أسرته وجنوده من قبائل «المـاريانا» وكذلك اسـتولى على إقليم إمارة « أبينا » وإقليم « آبى » أو « أوبا » (الذي جاء ذكره في خطابات « تل العمارنة »)، وعلى سهول « دمشق » التابعة له؛ وقد رأى ملك «خيتا» أنه من الحكمة وحصافة الرأي أن يعفو عن « ايتاكاما » ويعيده على عرش ملكه، ولكنه قام فيما بعـد بثورة على « مورسيل » ملك « خيتا » وانتصر عليـه الأخير في السنة التاسعة من حكمه[٢] .

ومما سبق نعلم أن « شوبيليوليوما » قـد استولى من جديد في مدة عام على كل أراضي نهر الفرات حتى « لبنان » . هـذا في ميدان الحرب . أما في ميدان السياسة وبعد النظر في المحافظة على هذه الامبراطورية المترامية الأطراف، فإنه قيد

---

(١) وقد جاء ذكر ذلك في المعاهدة التي عقدت بين «خاتوسول» الثالث وبين (بسينا Bentesina أمير الأموريين . أما المعاهدة التي عقدت بين « شوبيلوليوما » و «أزيرو» فقد ضاعت بدايتها (راجع . (Meyer, Ibid. P. 375, note 2.

(٢) راجع : Forrer, "Boghaz Koi-Texte in Umschrift", P. 43.

كل هذه الإمارات الصغيرة فى تلك الجهات بمعاهدات عقدها مع « نوخاشى » ، وبلاد آمور ، ثم مع «تونب» فكان من واجب حكامها أن يهبوا فى وجه أية ثورة أو قيام أى عدو يناهض مملكة « خيتا » داخل البلاد ، أما ملك « خيتا » فكان عليه أن يمد يده لمساعدة هؤلاء الأمراء إذا أعلنت الحرب على واحد منهم . هذا الى أنه ولى ابنه « تليبينوس » ملكا على « حلب » وابنه « بياسيل » ملكا على « كركميش » ، غير أنه لم يتمكن من إخضاع « كركيش » إلا بعد كفاح دام مدة طويلة .

وفى خلال تلك المدة انقض « ارتاتاما » الذى اعترف به « شو بيليوليوما » ملكا على بلاد « متنى » على بلاد نهرين ، ومعه ابنه ، « سوتارنا » ، واستولى عليها ونهب عاصمتها ، بمساعدة ملكى « آشور » و «ألاشيا» (قبرص) . وتدل الشواهد على أن « سوتارنا » هو الذى قبض على مقاليد الحكم فى « متنى » فكان مما قام به هدم قصر « دوشرتا » فى « وسوجانى » عاصمة الملك ، ثم أعاد الباب المصنوع من الذهب الى ملك « آشور » ، وكان قد اغتصبه « سوساتار » ملك «متنى» من بلاد « آشور » ثم اعترف باستقلال مملكة « آشور » ، وكذلك أهدى إلى بلاد « ألاشيا » (قبرص) بعض الطرف من بلاده . وهكذا دفع « دوشرتا » ثمن بغيه وحنثه بالأيمان : «لقد ذهبت « متنى » إلى الدمار التام» ؛ فقد وقعت مذبحة عظيمة بين سكان بلادها وهدمت بيوتهم ، وشتتت بلدانهم ، أما أشرافهم فقد سيقوا إلى «آشور » و«ألاشيا» ليذوقوا أفظع ألوان العذاب . وأما « ماتيوزا » ابن «دوشرتا» فقد حاول بادئ الأمر الهرب إلى «بابل» : وقد رغب ملك هذه البلاد فى أن يحمى ذماره ، وينقذ حياته فبقى هناك آمنا مطمئنا إلى أن فر ، ولكن ليطأه « شو بيليوليوما » بقدمه . غير أننا نرى من جهة أخرى أن تصرف « سوتارنا » فى بلاد « متنى » لم يرق فى عين عاهل « خيتا » ، وبخاصة عندما رأى أنه نزل عن الأراضى الواقعة على الضفة الثانية لنهر الفرات لملك « آشور » ، وكان جوابه على

ذلك أنه رغب عن طيب خاطر فى إعادة « ماتيووازا » إلى عرش بلاد « متنى » فزوّجه أوّلا من ابنتــه، ثم أمر ابنه (بياسيل Byassil) أن يعود من « كركميش » وزوّده هو و « ماتيو وازا » بجيش عظيم انقضا به على جحافل جيش « ســوتارنا » غربى بـلاد « نهرين » وانتصرا انتصارا حاسما فسقطت بلدة « حران » ونكص « الآشــوريون » على أعقابهم ، واستسلمت « وســوجاتى » العـاصمة . وعقد «شو بيليوليوما» مع «ماتيووازا» معاهدة أقسم فيها الأخير ورعاياه يمين الإخلاص أن يكونوا على أهبة الاستعداد للساعدة . وقد سمح للملك « متنى » « ماتيووازا » أن يتخذ لنفسه زوجات أخر، على أن تكون الأميرة الخيتية هى الملكة الشرعية على عرش البلاد . أما الحدود التى كانت تفصل بين البلدين،فكان نهر الفرات الحد الفاصل لها ، وعلى ذلك اعترفت بلاد «متنى» بالتخلى عن «سوريا» . أما الأراضى الواقعــة على ضفة نهر الفرات حتى جنوبى مصب نهر « الخـابور » إلى ما وراء (تيرقا Tirqa) فيستولى عليه (1) « بياسيل » ملك « كركميش » (2) ، هذا إلى أن يكون « ماتيووازا » موطدا أواصر الصداقة والودّ معه ، وأن تكون « متنى » منفصــلة عن « سوريا » تمـام الانفصال .

وفى خلال تلك المدة لا نعــلم إلى أى مدى مدّت مصر سلطانها ثانية فى بلاد ساحل « فينقيا »؛ فقد ظلت « سميرا » و « ببلوص » فى قبضة « أزيرو » ، ولقد عنفه الفرعون على زحفــه ، غير أنه لم يسع إلى ردّه على أعقابه ، ولا نعــلم كذلك إذا كان قد أخضع « صيدا » ثانية إذ فى ذلك شــك عظيم . أما « صــور » فإنه أراد المحـافظة عليها ، ومن المحتمل كذلك « بيروت » أيضا . وخلافا لذلك كانت الأراضى الواقعــة بين سلسلتى جبال « لبنـان » (عمق) تدين لسلطان

---

(١) راجع : Forrer, "Forechung", II, P. 41 ff.

(٢) راجع : Forrer, "Boghaz Koi-Texte in Umschrift", No. 41, col. 2, § 10.

« أزيرو » ، وقد حاول بعد ذلك أن يضم إلى جانبه « قادش » فى أثناء محاصرة « شوبيليو ليوما » لبـلدة « كركميش » . ولمـا أحس ذلك « شوبيليو ليوما » أرسل قائده « لوباكو » ومعه قائد آخر على جناح السرعة للقضاء على « أزيرو » فخربت بلاد « عمق » بعـد حملتين . وبذلك انفصمت عرى الصداقة التى كان ملك « خيتا » يحافظ على دوامها بينه وبين مصر فأصبح البـلدان فى حالة حرب علنيـة .

وتعد الرسـالة التى وصلت إلى مصر معلنة خبر الغزو الذى قام به جيش ملك « خيتـا » بإمرة « لوباكو » فى « عمق » على المصريين آخر خطاب وصـل إلى « تل العمارنة » . وقد لخص لنـا « توت عنخ آمون » خلف « إخناتون » نتائج حكم أخيه فى « آسـيا » فى المنشور الذى أصـدره عندما تولى عرش مصر فى الكلمات التالية :

وعندما أرسلت الجنود إلى بلاد فينقيا لأجل مد حدود البلاد المصرية لم يكن فى استطاعتهم الوصول إلى النتيجة .

وعلى أية حال فإنه على أثر مهاجمة « خيتا » للأملاك المصرية تحرجت الأحوال فى مصر مما قلب سياستها فى الداخل والخارج رأسا على عقب .

آثار أخناتون الباقية

أقام «أمنحتب الرابع» آثارا عدة فى طول البلاد وعرضها غير مدينة «إختاتون» التى شيدها عاصمة لملكه ، وهى المعروفة الآن « بتل العمارنة » على مقربة من بلدة « ملوى » الحالية وقد فصلنا القول فيها فيما سبق .

منف : فى مدينة « منف » القديمة عثر له على بعض قطع من الحجر من معبد له بالقرب من مدخل معبد الإله « بتاح » أعظم آلهة هذه المنطقة . وقد وجدت هذه القطع مستعملة ثانية فى رقعـة هـذا المعبد ، وإحدى هذه القطـع محفوظة

الآن بمتحف « جامعة سدنى » باستراليا . (راجع Necholson. "On the Disk Worshipper of Memphis". Transactions of the Royal Society of Literature 2. Sec. IX, (1870) Pl. I, P. 197.) .

وله قطعة أخرى عليها جزء من منظر مثل فيه ملكان أحدهما أصغر من الآخر ويقال انهما «إخناتون» «وسمنخكارع» (راجع J. E. A, XIV, P. 8. Fig 3.) وقطعة ثالثة عليها طغراءات الفرعون (Necholson, Ibid. Pl. I, No. 4. P. 8.) وقد نشر «مريت» قطعة أخرى عليها متن خاص «بإخناتون» (راجع Mariette, Mon Divers. Pl. 27 (e)) .

وعثر فى «كوم القلعة» على قطع من الحجر نقوشها من عصر «اخناتون» كما وجدت صورة رأس هذا الملك فى نفس المكان وكانت كلها مستعملة ثانية فى مبان أقامها الفرعون « مرنبتاح » (راجع Mariette, Ibid Pl. 24 (e) 1-3 ; & The Eckley B. Coxe, Tr. Egyptian Expedition in Pennsylvania University Museum Journal, VIII (1917) P.P. 225-228 Fig. 88.) .

وقد وجدت بعض قطع استعملت ثانية فى مبان بالقاهرة بالقرب من جامع « الحاكم » ومن « بوابة النصر » ، ويحتمل أنهـا جلبت من « منف » أو من « هليو بوليس » (راجع Petrie, "History", II, P. 221, A. Z. XIX, P. 116) .

وفى «سقارة» وجدت لوحة لشخص يدعى «حوى» لقب عليها برئيس تجار معبد « آتون » (راجع Petrie, Ibid, P. 221) حيث يقول: إن وجود هذه اللوحة هنا قد اتخذت دليلا على وجود معبد فى «منف» ، ولكن من الجائز أن هذا الموظف كان مقر وظيفته « هليو بوليس » (راجع Mariette, Mon. Div. P. 56. 2) .

«هليو بوليس» : وجدت فى «تل الحصن» قطع نقش عليها اسم «اخناتون» ، وهى محفوظة الآن بمتحف «جلاسجو» بأسكتلنده (Petrie, "Heliopolis", Pl. VIII) ومن أثار هـذا الفرعون التى وجدت فى « هليو بوليس » كذلك لوحة مثل عليها هو وأسرته يتعبدون لقرص الشمس (آتون) . فنشاهد أعضاء الأسرة المالكة راكعين

أمام مائدة قربان أرسلت عليها أشعة «أتون» التي ينتهى كل واحد منها بيد بشرية وهذا الوضع (الركوع) ليس بالعادى، إذ فى الغالب ترى الأسرة المالكة يتعبدون لقرص الشمس وهم واقفون أمام مائدة القربان . وهذه اللوحة قداغتصبها لنفسه كاهن معبد «رع» الأكبر المسمى «بارع محب» وقد عاصر الفرعون «حور محب»، فنجده قد استعمل ظهر اللوحة الخالى من النقوش ودون عليه رسومه ونقوشه، فعلى الجزء الأعلى الفرعون « حور محب » يعبـد كلا من الإله « آتوم » والإلهة « حتحور » وعلى الجزء الأسفل نشاهد « بارع محب » ممثلا مرتين وكذلك نشـاهد صورتين للإله آتوم . (راجع Lacau, "Steles du Nouvel Empire", Pl. LXV.) .

وقد وجدت كذلك فى هـذه الجهة قطعة من الجرانيت الأحمر عليها اسم «مريت آتون» بنت «إخناتون»، وكذلك أشير عليها إلى مبان للإله «رع» فى «إيون» أى « هليو بوليس » (راجع A. Z. XIX P. 116; Rec. Trav. VI, P. 53) .

ويقول « ويجول » إن « إخناتون » قد أقام معبدا فى « عين شمس » يسمى « سرور رع فى هليو بوليس » ، وكذلك أقام لنفسه قصرا هناك Weigall, "Life & Times of Akhenaton", P. 166.

« كوم مدينة غراب » : تدل الآثار على أن «إخناتون» وأسرته قد أقاموا بعض المبانى الأثرية فى جهة « كوم غراب » . والواقع أننا نجد فضلا عن بعض الآثار للملك «أمنحتب الثالث» وزوجه « تى » آثارا أخرى للفرعون «توت عنخ آمون» وزوجه « عنخس إن آمون » . أما الفرعون «إخناتون» فقد وجدت له قطع من الحجر عليها اسمه وتدل على أنه قد أقام أثرا فى هذه البقعة ، وكذلك شوه معبد جده « تحتمس الثالث » وهو الذى محاه فيما بعـد « رعمسيس الثانى » (راجع Porter & Moss, Bilbliography IV, P. 122.) . ولدينا ورقة من «غراب» وهى عبارة عن خطاب مرسل للفرعون « أمنحتب الرابع » يخبره فيـه أن كل شىء فى معبد «بتاح» فى «منف» على ما يرام، وقد أرخ هذا الخطاب بالسنة الخامسة من حكمه

(راجع .Griffith "Kahun Papyri", (Text) P. 91)، وهـذا دليل على أنه لم يكن معتنقا بعد ديانة « آتون » فى السنة الخامسة من حكمه .

«إهناسية المدينة» : وجدت قطعة من الجرانيت الأحمر عليها اسم «إخناتون» فى خرائب إحدى البيوت التى تنتسب إلى العهد الرومانى، ويقع هذا البيت فى الجهة الغربية من المعبد الذى أقيم فى هذه الجهة (راجع Petrie, "Ehnasya" P. 20, 21. Pl. XVI. [Top].) والنقوش التى عليها ممحوة جدا ويعتقد « بترى » أن هذه القطعة وكذلك القطع التى عثر عليها فى بلدة « غراب » كانت فى الأصل فى مدينة « إخناتون » ثم نقلت هناك عن قصد عنـد ما قام أعداء مذهب إخناتون بهـدم آثاره وتشتيتها فى كل مكان .

«الأشمونين» : تدل الكشوف الحديثة على أن «إخناتون» أقام معبدا للإله « آتون » فى بلدة « الأشمونين » . فقد عثر على بعض قطع من الجرانيت نقش عليها مناظر وكتابات لهذا الفرعون وقد استعملت فيما بعد فى إقامة معبد الإله «تحوت» ، ويرجع المعبد إلى عهد متأخر، فنشاهد على إحدى هذه القطع الملكة «نفرتيتى» والأميرة « مريت آتون » يتعبدان «لآتون» ويقدمان القرابين التى كانت تتألف من طاقة صـغيرة من زهر اللوتس وضـعت على قاعدتين نخيلتين ، ويلاحظ هنا أن وجوه الأسرة المـالكة قد هشمت تماما، ولكن كل الطغراءات وقرص الشمس (اتون) والأشعة المرسلة منه قد بقيت سليمة . (راجع Roeder, "Vorlaufiger" Berecht uber die Deutsche Hermopolis Expedition 1931—1932. PP. 34-37 Abb. 16, 17. Pl. IV.) .

وكذلك وجدت فى هذه الجهة مائدة قربان من الجرانيت وقد وجدها «بريس دڤن » Prisse d'Avennes, "Lettre à M. Champollion Figiac". Rev. Archeol (1847) P.730.

وكذلك وجدت بعض القطع المنقوشة من معبد للملك « إخناتون » فى هـذه الجهة مستعملة ثانية فى بعض مقابر الدولة الحديثة وهى الآن « بالمتحف المصرى» (راجع Weill, "Monuments Piots", Vol.XXV P. 420) .

ومن بين القطع الهامة التى عثر عليها فى « الأشمونين » مستعملة ثانية فى مبان متأخرة قطعة منقوش عليها اسم أميرة بقيت مجهولة حتى الآن وتدعى «عنخس — ن — باأتون الصغيرة» وأمها هى الأميرة «عنخس — ن — باأتون» بنت « إخناتون» وزوج « توت عنخ آمون» فيما بعد (راجع Hellmut Bunner, "Eine Neue Amarna Princessin in A. Z. LXXIV, P. 104 ff) ، وقد استنبطت كاتبة المقال عن هذه القطعة كما وضحنا فيما سبق أن هذه الأميرة قد تزوجت والدها ووضعت منه ابنة صغيرة سمتها باسمها وميزتها عنها بلفظة « الصغيرة » .

وفى « تونه الجبل » لا تزال إحدى لوحات الحدود لمدينة « إختاتون » التى نحتها هذا الفرعون فى وجه الصخر . وقد أرخت بالسنة السادسة من حكمه كما ذكرنا من قبل .

الشيخ عبادة : (أنتوى) وجدت فى هذه الجهة قطع من محراب «لأخناتون» فى الناحية الشمالية من معبد «رعمسيس الثانى» ، وقد نقش عليها خراطيش الفرعون وبعض نقوش مهشمة الآن (راجع Gayet, "Compte Rendu des Fouilles. Annales du Musee Guimet XXVI, 3me Partie P.55) .

« تل العمارنة » : عثر فى « تل العمارنة » على بعض قطع من المرمر فى مقبرة « إخناتون » فى أثناء الحفائر التى قامت بها الجمعية الإنجليزية فى هذه الجهة بين عامى ١٩٣١ — ١٩٣٢ وهى الآن بالمتحف المصرى ، وبعد فحصها وجد أنها كانت تؤلف جزءا من صندوق من المرمر الجميل الذى كانت توضع فيه أوانى الأحشاء ، وإذا قرنا هذا الصندوق بصناديق الملوك الآخرين نجد أنه فريد فى بابه من بعض الوجوه . ويدل الفحص على أنه لم يستعمل فعلا ، كما أننا لا نعلم شيئا قط عن مصير تابوت هذا الفرعون ، كما أن مصير جثته لا يزال الى الآن سرا غامضا (راجع A. S. XL, P. 537 ff.) »

ويلاحظ فى نقوش هذا الصندوق أن « إخناتون » كان متمتعا ببعض الشعائر الدينية القديمة على الرغم من اعتناقه لمذهب « آتون » (؟) (؟) .

«أسيوط»: أقام «إخناتون» معبدا فى مدينة «أسيوط» وقد اغتصبه فيما بعد «رعمسيس الثانى» . والمناظر الأصلية والنقوش التى كانت على جدرانه قد أصابها عطب كبير، غير أن ما تبقى من النقوش يدل على فن رفيع من طراز العمارنة الخاص. وقد وجد على قطعة جزء من منظر هام يشاهد فيه بعض الأشخاص فى حضرة الفرعون يرتدون على رءوسهم مخاريط العطور مما يدل على أنهم كانوا فى وليمة . ونرى وجه امرأة ترفع يد الفرعون بخضوع وتجلة إلى شفتيها وتقبلها، وقد مثلت هذه الحركة بمهارة وإتقان. والواقع أنها على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا تعد الأولى من نوعها حتى الآن فى الفن المصرى، إذ الحقيقة أننا لم نعثر على صورة تمثل تقبيل اليد عند المصريين الى الآن فى غير هذا المنظر Gabra, "Un Temple d'Amenophis IV à Assiut" (Chronique d'Egypte, July 1931 P. 237, fig. 5.)

وقد عثر على هذا المعبد تحت مبانى أحد بيوت الأهالى فى شارع فاروق «بأسيوط»، وقد كان صاحب البيت الذى أرشد الى هذا الكنز ينتظر وجود قناطير من الذهب النضار، ولكن الأثريين والمؤرخين عثروا فيه على كثير من الحقائق التاريخية والفنية.

«المطمار» (بالقرب من البدارى): عثر «برنتون» فى أثناء الحفائر التى قام بها لحساب المتحف البريطانى عام ١٩٢٨ — ١٩٢٩ على بقايا قرية من عهد الأسرة التاسعة عشرة بالقرب من قرية «المطمار» ومن بين الآثار التى وجدها معبد للإله «ست» أقامه «رعمسيس الثانى» وقد وجد من بين أحجار هذا المعبد المخرب بعض قطع من معبد للإله «آتون» أقامه «إخناتون»، وقد استخدم «رعمسيس» أحجاره فى بناء معبد الإله «ست» السالف الذكر (راجع Chronique d'Egypte, July 1936 P. 224).

«قفط»: يوجد فى متحف «ليون» الآن قطع من لوحة صنعت من الجرانيت الرمادى عليها بقايا طغراءات للفرعون «إخناتون»، وقد عثر عليها فى «قفط» (راجع Reinach Catalogue P.P. 41 - 42 (3 a, 3 b)).

وتدل ظواهر الأحوال على أن « إخناتون » قد استغل محاجر « وادى الحمامات » ، إذ توجد بعض اللوحات المقطوعة فى الصخر منقوش عليها اسمه ونخص بالذكر منها لوحة مقدّمة إلى موظف يدعى « أمنحتب » (راجع Golenischeff, "Hammamat", I, 6.) . وكذلك نقش على الصخر دونه شخصا يدعى «أمنمس» (Gouyat & Montet,"Hammamat", P. 116, 251) ، ولا بدّ أن هذه النقوش قد عملت فى بداية حكم هذا الفرعون ، ويشاهد أن « سيتى » الأوّل قد محا منظرا ظهرت فيه عبادة الإله « آتون » ونقش مكانه منظرا له وهو يتعبد للإله « آمون رع » ، وقد ترك «سيتى» قرص الشمس الذى كان فى المنظر الأصلى دون أن يمسه بسوء وأضاف إليه فقط صلين متدليين منه (راجع Ibid. No. 94. Pl. XXIII.) .

«قوص» : وفى «قوص» وجدت قطع من الحجر الرملى منقوش عليها طغراءات « إخناتون » وزوجه « نفرتيتى » (راجع Wilkinson, "Modern Egypt and Thebes" II, P. 132. & Porter & Moss, Bibliogaphy, V, P. 135.) .

«الكرنك» : كان أوّل عمل قام به « إخناتون » بعد توليه العرش بناء معبد للشمس فى « الكرنك » وهو المكان المختار لعبادة الإله «آمون» . وقد أطلق على إله الشمس فى هذا المعبد اسم « رع حور أختى » ومعناه (رع هو حور فى الأفق) ، وأضاف إليه اللقب التالى : «الذى يفرح فى الأفق باسمه شعاع النور الذى فى قرص الشمس » . وقد أراد بذلك أن يصف هذا الإله بأنه هو الشمس نفسها لا أحد مظاهرها ، وقد عبر عن هـذا الاسم بكلمة « أتون » فيما بعد . وقد عبر عن نفسه فى اسمه الملكى بالكاهن الأكبر لهـذا الإله الجديد ، وكذلك فإن القصر الذى أقامه فى « طيبة » قد أطلق عليه « الفرح فى الأفق » ليكون منسجما مع لقب إلهه الجديد ، وقد اتخذ الأهبة لإقامة هـذا المعبد بسرعة مدهشة ، ولا أدل على ذلك مما جاء فى النقش الذى عثر عليه فى محاجر جبل السلسلة إذ أمر بحشد كل عمال قطع الأحجار من « الفنتين » فى أقصى حدوده الجنوبية حتى « تل البلمون »

فى أقصى حدوده الشمالية، وإرسالهم إلى هناك لقطع مسلة من الحجر الرملى لإلهه . غير أن هــذا المعبد الذى اهتم بإقامته فى « الكرنك » قد أزاله أعداء «أتون» بعد سقوطه، ولكن بقيت منه قطع عدة قد استعملها «حور محب» فى إقامة البوابتين التاسعة والعاشرة فى «الكرنك» منها واحدة عليها صورة «إخناتون» فى هيئة « بولهول» الذى كان يمثل إله الشمس، (راجع Prisse Mon. Egyp. X. 2) وقد وجد على إحدى هذه القطع كذلك صورة «أمنحتب الثالث» مثل عليها صورة شمس «حور أدفو» مما يدل على أن هذا الفرعون قد أخذ فى بناء معبد هنا، غير أن ابنه قد استعمل أحجاره فى بناء معبــده الجديد، وذلك لأن الصورة التى وجدت على يسار صــورة «أمنحتب الثالث» كانت لابنه «أمنحتب الرابع» .ويلحظ أن الأخير قد محا صورة والده واسمه، ووضع مكانهما اسمه واسم إلهه الجديد الذى صوره فى صورة إنسان برأس صقر وجعل أشعة الشمس ترسل فوق رأسه (راجع Schafer in "Der Amtl" . Berichten aus den preuss. Kunst-sammlungen. XLI (1920, 158 ff.) .

وقد عثر على قطع أخرى من أنقاض هذا المعبد (راجع Breasted A. R. II, & 932; & Schafer A. Z; 55, 28, 2, and Amtl Ber, XL, 1919, 225; Pillet, A. S. XXII P. 250 fig. 4. & ibid Pl. IV) .

وفى عام ١٩٢٥ قام المهندس «شفرييه» بحفر مصرف كبير حول معبد «الكرنك» من ثلاثة جوانب لمنع تسرب المياه . وفى أثناء القيام بهــذه العملية عثر على تمثالين ضخمين للفرعون «إخناتون» محفوظين بالمتحف المصرى (A. S. XXVI P. 121 ff.) وقد أدت أعمال البحث فى مكانهما الى الكشف عن بقايا أحد عشر تمثالا ضخما مثل التمثالين السابقين، وقد دل الفحص على أنها كانت مقامة بظهورها مستندة على عمد مستطيلة من الحجر الرملى على غرار العمد الخارجية العادية التى تقام فى المعابد، وكانت تكتنف ردهة واسعة لمبنى يحتمل أن «إخناتون» أقامه، وهذه التماثيل قد نحتت نحتا دقيقا ، غير أنهــا تمثل صــورة إنسان قبيح المنظــر شاذ الخلق لدرجة عظيمة . وعند الكشف عنها وجدت مهشمة قطعا وملقاة بوجوهها على الأديم ،

وكان كل واحد ملق أمام العمود الذى كان يحليه . وهذه التماثيل تصور لنا « إخناتون » واقفا وذراعاه على صدره وفى إحدى يديه صولجان وفى الأخرى زخمة وذلك على غرار تمثال الإله « أوزير » ، غير أن « إخناتون » هنا لم يمثل مزملا فى ملابسه مثل «أوزير» فى صورة مومية ، بل مثل فى هيئة ملك حى لابسا القميص الملكى القصير ومرتديا على رأسه الكوفية (نمس) والصل وعليهما التاج المزدوج أو لباس رأس آخر غريب فى بابه مؤلف من أربع ريشات وضعت عمودية وتظهر عند ما تشاهد من وضع جانبى مثل تاج الإلهة « ماعت » ، ويظهر لنا أحد هذه التماثيل على وجه خاص غريب فى شكله ، إذ يمثل هذا الفرعون وهو عارى الجسم تماما وهنا نشاهد أن جسمه قد صور فى هيئة جسم امرأة . ويلاحظ فى وضع كل هذه التماثيل أن الكتفين ضيقتان وأن والوسط نحيل وأن الحوض واسع والفخذين منحنيتان مما يشعر بصورة أنثى لا صورة ذكر . أما الوجه فطويل وضيق وخداه بارزتان . وعيناه ضيقتان ذواتا جفنين ضيقتين ، وفمه ذو شفتين غليظتين يطبع عليهما الشهوة البهيمية ويدل انحناؤهما على الرضا بهذا النقص الخلق والخلق . ويلاحظ على الوجه تجعيدة عميقة تبتدئ عند انحناء المنخرين حتى زاويتى الفم مما يزيد بدرجة عظيمة فى دمامة الوجه عامة . ولا نزاع فى أن هذه التماثيل تقدم لنا صورة صادقة لرجل شهوة خليع منحط التركيب والخلق . والواقع أن مظهر هذه التماثيل الشاذ وغيرها من تماثيل «إخناتون» وصوره كانت موضوع فحص طبى قام به الدكتور «غلينجى» (راجع "A Medical Study of Akhenaton", A. S. XLVII. P. 29 ff.) وقد فسر التحول الذى حدث فى الصور الجميلة (انظر الصورة رقم ١٢ . الصفحة ٢٥٤) التى كانت لهذا الفرعون فى صغره على الرغم مما فيها من بعض مظاهر التخنث فى صغر سنه حتى أصبحت فيما بعد صورا غاية فى القبح وسوء الخلق ، بأن ذلك يرجع إلى تغيير حقيق فى صورة هذا الفرعون ؛ وأن ذلك لا يعزى كما يدعى البعض إلى نزعة جديدة فى الزى الفنى ، واستدل على صحة قوله بأن صورة الملكة « نفرتيتى » لم يحدث فيها شىء من هذا الشذوذ قط . ويظن الدكتور «غلينجى»

أن المرض الذى أصاب «إخناتون» كان سببه انحطاطا فى وظيفة الغدد الجنسية جاء تدريجيا مما أدى فى النهاية إلى تحول جسمى محس وميل إلى التخلق بالأخلاق النسوية جسميا، وعقليا، ومن ثم يمكن تفسير كثير من أعماله المعروفة لنا فى أخلاقه وصفاته.

الأقصر: عثر الدكتور «كمبل» على قطع من الحجر فى ساحة معبد «الأقصر» فى عام ١٩٠٥، وعلى أحدى هذه القطع نقشت صورة جميلة لأخناتون وخلفه أشعة



الصورة رقم (١٨) تمثال إخناتون

«آتون» تعطى الحيـاة والسعادة . ويظن الدكتور «كبل» أن هذه القطع كانت فى الأصل من قبر «رعموسى» رقم ٥٥ «بطيبة الغربية» (راجع P. S. B. A. XXVIII (1906) P. 156.) .

«المدمود» : تدل الآثار التى عثر عليها فى منطقة «المدمود» على أن «إخناتون» قد أقام فيها معبدا على ما يظهر إذ عثر على قطعة حجر رسم عليها صورة «لإخناتون» يتعبد للاله «آتون» كما عثر على قطع أخرى قد استعملت فى إقامة مبنى رومانى فى «المدمود» أيضا (راجع Porter & Moss Bibliography V, P.144.) .

وكذلك عثر على حجـر جيرى منقـوش مستعمل فى بناء منزل فى قرية قبطية، والمنظر الذى على هذا الحجر يمثل ملكين يلبسان ملابس العيد الثلاثينى وفوقهما قرص الشمس مرسلا أشعته التى تنتهى بأيد إنسانيـة (راجـع Rappo rt sur Les Fouilles de Madmoud (1932) P. 5, 6.) .

«أرمنت» : تدل النقوش الخاصة بعهد «إخناتون» على أن هذا الفرعون قد أقام معبدا فى «أرمنت» فى الوقت الذى أقام فيه معبد «آتون» فى «الكرنك» أى قبل أن ينقل عاصمة ملكه إلى «إختاتون» ، إذ عثر على هرم صغير بالقرب من «الكرنك» تشير النقوش التى عليه إلى معبد يسمى «أفق آتون فى أرمنت» (راجع Rec. Trav. XXIII, P. 62.) وكذلك عثر على قطعة حجر فى معبد العجول عليها اسمه ، هذا إلى قطع منقوشة أخرى مهشمة ذكرها «نافيل» تدل على وجود معبد للاله «آتون» فى «أرمنت» (راجع Mond & Meyers, "The Temple of Arman" I, P. 3, 4.) .

وتوجد قطع أخرى عليها اسم «إخنـاتون» كانت مستعملة مبانى فى بيـوت «أرمنت» الحديثة (راجع Ibid.) .

«زرنيخ» : بالقرب من «إسنا» عثر «بلجران» على لوحتين مقطوعتين فى الصخر ونقشتا نقشا جميلا باسم «أمنحتب الرابع» ويظهر فى الجزء الأعلى من اللوحة الأولى يقدم الهدايا للالهة «نخبت» . أما المتن الذى فوق الملك والإلهة فتهشم تهشيما مريعا

ولا تميز منه إلا كلمة «نخبت» سيدة السماء، أما الجزء الأسفل من اللوحة فنشاهد فيــه مقدّم اللوحة راكعا يتعبد، وكذلك يشــمل نقشا مهشما ، غير أننا على الرغم من تهشمه نعلم منه ان موظفا يدعى «أبى» ابن « حور مأخت » قد جاء إلى هذا المكان فى ســنة ما من عهــد «أمنحتب الرابع» قبل أنّ يغير اسمه للقيام بالأعمال التى تخص «معبد الشمس» المسمى ”«حور اختى» يفرح فى الأفق باسمه النور الذى فى «آتون»“. وقد رسم تذكارا لهذه الرحلة الفرعون وهو يقدّم قربا للالهة «نخبت» كما ظهر هو نفسه وهو يتعبد .

وغنى عن البيان أن هذه اللوحة قــد أقيمت فى عهــد هذا الفرعون قبل أن تختمر تماما فى نفسه فكرة التوحيد و إطلاق اسم « آتون » على معبوده الواحد . أما اللوحة الثانيــة فأكثر حفظا من الأولى ولم يهشم إلا الثلث من سطحها الأيسر . وتقع بالقرب من اللوحة الأولى. ونشاهد فى المنظر الذى على اليمين فيها الإله «آمون» جالسا على عرش وأمامه طاقة من الأزهار وخلفه ثلاث موائد قربان محملة بالقرب وفوق «آمون» تقرأ : «آمون رع» ملك الإلهة ورب السماء، وفوق طاقة الأزهار نقرأ متنا يعدد القربان، وقد تبقى من المتن الذى نقش على هذه اللوحة سبعة أسطر لايخرج معناها عن معنى المتــون الأخرى التى تكتب على لوحات الموظفين الذين يقومون بمثل هذه البعوث، وقد كان يصحب «أمى» أو «آى» كما يقول «برستد» موظف يدعى « نفورنبت » . وعلى أية حال فان هــذه اللوحة لابد أنها قد نسيت عند ما أمر «إخناتون» بمحو اسم « آمون » أينما وجد، ومن جهة أخرى نعلم كما ذكرنا أن «أمنحتب» لابد أنه كان فى أوّل عهد حكمه عند ما أرسل «أبى» و «نفورنبت» الى « زرنيخ » ، إذ كان لا يزال يحافظ على عبادة الإلهة « نخبب » والإله « آمون » كما يدل على ذلك نقوش هاتين اللوحتين (راجع A. S. III P. 259-62) .

«الـكوم الأحمر» : (هيراكنيوبوليس) وجد الأثرى «كويبل» فى الحفائر التى قام بها فى «الكوم» الأحمر مائدة قربان باسم «إخناتون» فى داخل سور المعبد

المقام فى هذه الجهة ، بين بقايا الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة (راجع Quibell and Green, "Hierakonpolis" P.P. 11 – 15.) .

«جبل السلسلة» : (على الشاطىء الشرقى) توجد فى جبل «السلسلة» لوحة مقطوعة فى الصخر من عهد «أمنحتب الرابع» وتقع فى شمالى المحاجر على مقربة من «الجبانة العتيقة» ، وعلى الجزء الأعلى منها نشاهد قرص الشمس ناشرا جناحيه على منظر يرى فيه الملك يقدّم قربانا للاله «آمون» ، كما شاهدنا مثل ذلك على لوحة «زرنيخ» وقد كتب عليها إسمه الأصلى «أمنحتب الرابع» غير أنه عندما غير اسمه إلى «إخناتون» أمر بمحو اسمه «أمنحتب» وكذلك اسم «آمون» . والمتن المنقوش على الوجه هو ما يأتى :

يعيش حور الثور القوى صاحب الريشتين الساميتين محبوب الآلهتين ، عظيم الملك فى «الكرنك» ، حور الذهبى لابس التيجان فى «هليو بوليس» الجنوبية ، ملك الوجهين القبلى والبحرى ، الكاهن الأعظم فى المعبد المسمى «حور اختى الفرح فى الأفق باسمه الصور التى فى آتون» «نفر خبرو رع وع ن رع» بن رع «أمنحتب» الحاكم المقدّس لطيبه العظيم فى خلوده والعائش أبديا «آمون» رع رب السماء وحاكم الأبدية .

المرة الأولى لجلالته فى اعطاء الأمر ... لجمع كل العمال من «الفنتين» حتى «سما بحدت» (تل البلمون) وقواد الجيش لأجل أن يقوموا بعمل منجم كبير لقطع حجر رملى لأجل قطع بنبن (قطعة هرمية الشكل) كبير خاص بالإله «حور اختى» باسمه الضوء الذى فى اتون فى الكرنك . تأمل ! إن الموظفين والسمار ، ورؤساء حاملى المراوح كانوا هم المشرفين على العمل فى المناجم لنقل الأحجار . (راجع A. S. Vol. III, P. 262.) .

« صولب » : وفى صولب عثر على نقوش للفرعون « أمنحتب الرابع » على بوابة المعبد وفى هذا المنظر نشاهد هذا الفرعون يتعبد لوالده « امنحتب الثالث » الذى أسس هذا المعبد . ويلاحظ أن وجوه الأشكال قد أتلفت (راجع Pl. 110. L. D. III, K. VI, Baedeker, "Egypt" (1929) P. 447.) .

« سسبى » : يعتقد أن معبد « سسبى » (عند الشلال الثالث) الذى أقامه «إخناتون» هو نفس معبد «جم آتون» فى بلاد النوبة وهذا المعبد يقع فى الركن الشمالى الغربى من قلعة «جم آتون » ، وهو المعبد الوحيد الذى بقى للاله «آتون» فى بلاد النوبة وقد محا «سيتى الأول » كل النقوش الأصلية الخاصة « بإخناتون » ونقش مكانها أخرى باسمه وهو يتعبد للاله « آمون رع » (راجع Baedeker, bid· P. 447; L. D. III, Pl. 141 n.) .

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد اخناتون

انتقل مع « إخناتون » فى مقره الجديد « إختاتون » نفر من رجال الدولة العظام غير أنه رفع من شأن عدد عظيم من عامة الشعب . وقد كانوا يفتخرون فى نقوشهم بأصلهم الوضيع . وأبرز الرجال الذين خدموا هذا الفرعون هم :

نخت — با آتون : كان «نخت — با آتون» الوزير الذى خلف «رعموسى» على كرسى رياسة الوزارة فى عهد « أخناتون » ، وكان يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى ، والحاكم وحامل الخاتم والوزير . وقبره فى « تل العمارنة » (رقم ١٢) (١) وتدل شواهد الأحوال على أنه لم يتم بناؤه نهائيا . و كل ما أنجز من عمله فيه هو مدخله وواجهته ، أما فى داخله فلا ترى إلا جزءا صغيرا من رقعته ، والأجزاء العلوية من ثلاثة عمد قد فصلت من الصخرة التى حفر فيها هذا القبر . وعلى الرغم من أن نحته لم يتم فإن صاحبه قد دفن فيه . وقد كتب بالمداد متنين أو ثلاثة على عارضتى الباب الخارجتين بدلا من نحت النقوش اللازمة على جدرانه . ولا يبعد أن « نخت — با آتون » على الرغم من مكانته فى الدولة وتوليه أعلى وظيفة فيها قد أراد أن يضرب المثل لغيره باتخاذ مقبرة ساذجة لنفسه كى يظهر للملأ مقدار تواضعه وخضوعه . ويظن الأثرى « ديفز » أنه كان فى بادئ أمره رجلا مغمور الذكر ثم تسنم مرتبة الشرف عند سقوط الموظف العظيم « معى » فاتخذ من حياة الأخير درسا لنفسه وتجنب المظاهر الكاذبة كما فعل من قبله « أبى » و « رعموسى » ، وإذا كان « نخت » هذا هو نفس حاكم المدينة والوزير « نخت » كان يملك قصرا فاخرا غاية فى الأناقة فى « إختاتون » ، وبذلك يكون قد نقض القاعدة التى كانت متبعة عند قدماء المصريين ، وهى أن المصرى كان يقيم لقبره وزنا ويهتم بتنسيقه أكثر من اهتمامه ببيته الدنيوى (٢) .

(١) راجع : Davies, "The Rock Tombs of El Amarna", Vol. V. PP. 12, 13.

(٢) راجع : Peet and Woolley. "The City of Akhetaton", P. 41. Pl. VII, 4, 6.

« معى » المشرف على الجنود : يدل ما قصه « معى » عن نفسه — إذا صدّقنا ما جاء في نقوشه — على أنه كان رجلا فى بادئ الأمر مغمور الذكر ، وضيع النسب ، فقير الحال ، بل كان يتكفف لينال ما يسد به رمقه من خبز ، ولم يلبث أن بلغ من المراتب أعلاها ، غير أنه قد انطبق عليه المثل القائل « ضع متكففا على صهوة جواد فلن يلبث بعد ذلك أن يمتطى ظهر الشيطان » . والواقع أن « معى » قد أساء كثيرا استعمال حظوته لدى الفرعون ، فلا غرابة فى أن كان سقوطه من عليائه مفاجئا ومثيرا للعجب والدهشة ، وبخاصة إذا علمنا أن شهرته كانت قد بلغت عنان السماء ، وأن ثروته وقوته كانتا مضرب الأمثال .

وقد كان أيام ابتسام الدهر له وعز سلطانه يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، وكاتب الملك ، والمشرف على جنود رب الأرضين ، ومدير بيت « سحتب — آتون » ، ومدير بيت « وع — ن — رع » (أى إخناتون) فى « عين شمس » ، والمشرف على ثيران معبد « رع » فى « عين شمس » ، والمشرف على كل أعمال الملك ، وكاتب المجندين ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، وأذنى « حور » الحقيقيتين ، والمرافق للفرعون فى «قارب الصقر» . (راجع Davies Ibid, Pls. II, IV, PP. 4, 5.) . وتدل الحالة التى وجد عليها قبر « معى » فى «تل العمارنة» (رقم ١٤) على أنه لم يتم بناؤه نهائيا ، إذ لا بدّ أن صاحبه قد غضب عليه الفرعون قبل أن يتم زخرفته . ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن قبور عظماء عهد « إخناتون » كان يخصص جزء كبير من مناظرها لأعمال الأسرة المالكة ، فنشاهد هنا فى قبر « معى » منظرا صور فيه «إخناتون» والملكة «نفرتيتى» يتبعهما ثلاث من بناتهما ، وهما يقدّمان القربان للإله «آتون» ، كما نشاهد « موت بنرت » أخت الملكة يتبعها قزماها « بارع » و « رع نحح » وهما ذكر وأنثى . وأسفل هذا المنظر كان يوجد فى الأصل رسم « معى » وهو يتعبد ، غير أنه محى تماما ، وغطى مكانه بطبقة من الجص (Davies. Ibid. Pl. III.)

ولكن الصلوات التى كان مفروضا أن يتلوها قد بقيت . ولا غرابة فى ذلك لأنها كانت تمجيدا للإله «آتون» والملك (Davies ibid Pls. II, XIX, P. 16.). ونشاهد منظرا آخر، كان المقصود منه إظهار « معى » وهو يتسلم الهبات الملكية من الفرعون ، وهو مطل من شرفة قصره ، غير أنه قد خط بالمداد وحسب (راجع Ibid Pl. V.) ، ويشاهد فى الجزء الأمامى من المنظر القاربان الملكيان وقد رسوا فى الميناء .

وأهم ما يلفت النظر فى هذه المقبرة ترجمة « معى » لنفسه وهى : التعبد للإله « حوراختى » [آتون الذى يمنح الحياة] ، وللملك الجنوب والشمال العائش فى الصدق ، رب الأرضين ، « نفرخبرورع ، وع — ن — رع » ابن الشمس العائش فى الصدق ، رب التيجان « إخناتون » العظيم فى بقائه ، وللوارثه العظيمة فى القصر جميلة الوجه ، الفرحة بالريشتين ، محبوبة « آتون » الزوجة الملكية الأولى التى يحبها ، سيدة الأراضى « نفرتيتى » العائشة مخلدة . حامل المروحة على يمين الفرعون... ومن عظمه ملك الجنوب ... على الرغم من حلول الشيخوخة ، ومن جسمه سليم على الرغم من مرور الزمن ، والعظيم فى حظوته ، والسعيد فى ... ومن يسير فى ركاب سيده ، ومن كان رفيق قدميه طول الحياة ، ومن حبه دائم ، كاتب الملك ، وكاتب المجندين ، ومدير بيت «سحتب أ ب رع» ، ومدير بيت « وع — ن — رع » فى « عين شمس » ، والمشرف على أعمال الملك كلها ، والمشرف على جنود رب الأرضين ، « معى » يقول :

" استمعوا أنتم لما أقول ، أنتم يأيها الرجال كبارا وصغارا لأنى سأقص عليكم النعم التى أفاءها الحاكم على . ولا ريب فى أنكم ستقولون عندئذ حقا ! ما كان أعظم الأشياء التى عملت لهذا الرجل المغمور الذكر ! وعلى ذلك ستطلبون حقا له (أى للملك) أبدية من أعياد « سد » مدة لا نهاية لها بوصفه رب الأرضين ، وعندئذ سيعمل لكم حقا مثل ما عمل لى الإله الذى يتصرف فى الحياة !

كنت رجلا وضيع الأصل أبا وأما ، ولكن الأمير وطد مكانتى ، فقد جعلنى أعظم ... بفيضه ، عند ما كنت رجلا لا أملك شيئا ، وقد جعل عدد عشيرتى ينمو من أجلى ، وكثر عدد أخواتى ، وجعل كل أهلى يعملون لى ، ولما أصبحت سيد مدينة جعلنى أصاحب الأمراء والسمار ، على الرغم من أنى كنت فيما مضى أشغل المكان الأخير ، ومنحنى المئونة والجراية يوميا ، وإنى أنا ذلك الشخص الذى كان يسأل قوته ، وقد جعلنى ... ... " .

وعلى الرغم من كل ذلك المـدح والإطراء الذى كاله للفرعون فان صوره قد محيت محوا تاما من قبره . وقد غطى هذا النقش بوجه خاص بطبقة من الجص . وقـد يكون السبب الداعى إلى ذلك هو أن الفرعون ربما رأى أن بقاءه يكون هجاء أبديا لحظوة الفرعون له . ولا نعلم — فى الواقع — السبب فى سـقوط « معى » والغضب عليـه ، غير أن التاريخ قد قلب ظهر المجن لأخناتون » فكان الجزاء من جنس العمل، فقد محى اسمه من آثاره كلها، فى حين أن الحفائر الحديثة قد أعادت لذلك العصامى « معى » ماكان يرغب فيـه — وهو تخليد اسمـه — وأن يعرف الناس أن الأصل ليس هو كل شئ ولكن العمل والجد والمثابرة تغطى على كل شئ وترفع صاحبها إلى قمة المجد .

«مرى رع» الكاهن الأعظم : ولا نزاع فى أن « مرى رع » كان من أعظم رجال « إخناتون » شهرة لأنه كان يحمل لقب الكاهن الأعظم للاله « آتون » وألقابه هى : أعظم الرائين للإله « آتون » فى معبد آتون «باختاتون» ، وحامل المروحة على يمين الملك والأمير الوراثى والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، وقريب الفرعون (راجع Davies Ibid. Vol. I, P. 42) ، والظاهر أن « مرى رع » هو الكاهن الأكبر الوحيد المعروف لدينا للاله « آتون » . وقـد يكون السبب راجعا إلى أنه عند بداية حركة الانقلاب الدينى كان الفرعون نفسه هو الذى يشغل هـذه الوظيفة . على أن تركيب اللقب نفسه له أهمية فقـد كان — كما هو المنتظر — مكتوبا على غرار لقب الكاهن الأكبر للاله « رع » فى «عين شمس » وهو « أعظم الرائين » لا « الكاهن الأول » كما كان يطلق على رئيس كهنة « آمون» وغيره من الآلهة . أما عن التاريخ الذى عين فيه «مرى رع» كاهنا أعظم للاله « آتون » فليس لدينا شئ معين إلا بعض شواهد يمكن أن نعرف منها على وجه التقريب تاريخ تنصيبه ، وذلك هو عدد بنات « اخناتون » اللائى رسمن معه ، ومع زوجه « نفرتيتى » ، وهن فى هـذه الحالة كن أربعا ، وكانت صغراهن

لا تزال فى المهد ، ومن ذلك نعلم أن تزيين القبر كان على قدم وساق فى السنتين التاسعة والعاشرة من حكم هذا الفرعون، بالنسبة لسن أصغرهن . وقد عثر على اسم هذا الكاهن مكتوبا على زجاجة خمر مؤرخة بالسنة السادسة عشرة من حكم الفرعون ، مما يدل على أنه كان لا يزال يقوم بأعباء وظيفته فى هذا التاريخ .

ويحتمل أنه قد بقى يشغلها حتى وفاة « اخناتون » ، ولا نعرف عنه شيئا بعد ذلك الحادث على وجه التأكيد . وتدل حجرة دفنه التى لم يتم نحتها قط على أنه لم يدفن فى هذا القبر . ومن أهم ما يسترعى الأنظار فى قبره منظر تنصيبه كاهنا أول للإله «آتون» ، فنشاهد الملك والملكة تتبعهما الأميرة «مريت آتون» وهم متكئون على جدار الشرفة ومطلون منها ، وقد طلب « مرى رع » ليمثل أمامهم ، فنراه يصل و بصحبته أهل بيته، فيركع أمام الفرعون الذى يقلده تلك الوظيفة السامية ويغدق عليه ما يثقل كاهله من حلى الذهب بين هتاف المتفرجين (Davies Ibid. Pls. VI, VIII.) . وقد ألقى الفرعون خطابا لتنصيبه فى هذه الوظيفة، وقد كان ذلك الخطاب قصيرا مفيدا وفى صلب الموضوع وهو على عكس معظم الخطابات الرسمية فاستمع إليه : (Ibid P.P. 21, 22) "إن الملك الذى يعيش على الصدق رب الأرضين ، « نفر - خبرو، رع - وع - ن - رع» يقول للكاهن الأكبر لآتون «مرى رع» تأمل ! إنى قد نصبتك كاهنا أعظم «لآتون» فى معبد «آتون» فى «إخناتون» ، وقد عملت ذلك حبا فيك قائلا : «يا خادمى ، يامن يسمع لتعاليمى ، إن قلبى راض عن كل عمل تقوم به » ، وإنى أمنحك الوظيفة قائلا : ستأكل مئونة الفرعون (له الحياة والسعادة والصحة) سيدك فى معبد « آتون »".

وفى أسفل المنظر الرئيسى نشاهد عربة « مرى رع » فى انتظاره لتحمله إلى منزله . أما الهدايا التى منحها إياه الفرعون فقد تسلمها الخدم ليحملوها له . وقد جىء بطائفة من المغنيات والراقصات المأجورات للاحتفال بهذه المناسبة السعيدة أمام هذا الحفل العظيم، وقد حملت قائدتهن طاقة أزهار فى يدها، وغنت أغنية مدح وثناء مطلعها : "إن الهبات التى يمنحها « وع - ن - رع » مزدوجة" (Ibid P. 23, Pls. VI, IX) ولدينا منظر آخر يمثل زيارة ملكية لمعبد «آتون» ،

غير أننا لا نعرف مناسبتها على وجه التأكيد، ويحتمل أن الفرعون كان قد ذهب في عربته إلى المعبد ليقدّم الكاهن الأوّل لكهنة المعبد المجتمعين هناك. ومن جهة أخرى يجوز أن هذا يمثل «مرى رع» في وظيفة «كاهن أكبر لآتون» وهو يتقبل الملك والملكة في المعبد للصلاة ويقوم بعمله الديني هناك أمامهما (راجع Ibid, Pls. X-XXII). وهذا الحادث قد مثل من أوّل خروج الموكب الملكي من القصر إلى حيث يرى الفرعون يساعده « مرى رع » وهو يضحى للاله « آتون » . ومما هو جدير بالملاحظة هنا أننا لا نشاهد الفرعون وحده عند ذهابه إلى المعبد يسوق عربته بل كذلك نشاهد الملكة « نفرتيتي » والأميرات الكبيرات يسقن عرباتهنّ أيضا .

وإذا نظرنا إلى المعبد من أعلى نشاهد فيه تفاصيل عديدة . والواقع أنه ليس كالمعابد القديمة التي أقيمت في « طيبة » وغيرها في العهود السابقة، إذ نجد فيه قدس الأقداس يصل إليه الإنسان بدرج سلم ، وقد أقيم في ردهة غير مسقوفة في العراء، وهذا أمر طبعي بالنسبة لإله يمثل الشمس .

وقد كانت الموسيقا تلعب دورها في مثل هذه المناسبة إذ نشاهد طائفة المغنيات والضاربات على الآلات الموسيقية، قد حلت محلهنّ طائفة من الضاربين على العود من الذين كف بصرهم . كما نشاهد الموظفين يسوقون ثيران الضحية المسمنة والمزخرفة بالأطواق حول أعناقها ، وعلى رءوسها عصابات مزينة بالريش صفت بين قرونها ، وهناك حقيقة تستحق الملاحظة، وذلك أن الفرعون «إخناتون» على الرغم من أنه في عاصمة ملكه الجديدة كان محاطا بأشخاص قد وضع فيهم ثقته، واختارهم بنفسه ورغبته لخدمته، فإننا نجده مع ذلك وهو سائر في طرق المدينة — في مثل هذه المناسبة التي نحن بصددها — كان يحيط به حرس عظيم — فهل يا ترى كان ذلك الحرس مجرد مظهر من مظاهر الأبهة ، أو كان يخاف شر أعوان « آمون » الذين تغلب عليهم منذ زمن؟ والواقع أنه كان يخاف شر الاغتيال

والمؤامرة، وقد برهن سلوك «مرى رع» على أنه جدير بالثقة التى وضعها الفرعون فيــه ، عند ما خصه بأكبر وظائف الدولة الدينية، والآن قـد حل الوقت الذى يكافأ فيــه هذا الكاهن المخلص أمام الشــعب من مليكه العارف لجميــله (Ibid, XXV - XXX) . وقد كان من واجبات «مرى رع» بوصفه كاهنا أكبر الإشراف على مخازن الغــلال التى كانت تصرف منها القربان، وقد ظهرت مواهبه فى هــذه الإدارة . ولهذا نجد أن معظم هذا المنظر يمثل حظائر المــاشية وسفن الشحن التى كانت تحضر خراج « آمون » من أقاصى البلاد ، وكذلك صــور المخازن الشاسعة التابعة للعبد (راجع Ibid Pl. XXV) . وهنا نشاهد الملك وفى ركابه الملكة وبناتها يستقبلون « مرى رع » فى الردهة الخارجية للخزن العظيم . وكانت هذه هى اللحظة التى توج فيها بأعظم المنح ، إذ نشاهــد المشرف على كنوز الأطواق الذهبيــة رافعا يديه تحية و إذعانا لأمر سيده ومطوقا جيد «مرى رع» ،بهذه الإنعامات الملكية . إذ طوّقه بســتة عقود يشمل كل منها صــفين من حبات الذهب ، وكان لا يزال يغدق عليه هدايا أخرى، وقد قال الفرعون، وأريحية الكرم تهزعطفيه "دع المشرف على خزانة حلقات الذهب يأخذ «مرى رع» ، و يضع ذهبا حول رقبته حتى قمته ، وكذلك على قدميــه ، وذلك لإطاعته تعاليم الفرعون الدينية (له الحياة والسعادة والصحة) ، ولأنه يفعل كل ما قيل خاصا بهذه الأماكن الفاخرة التى أقامها فى بيت «بنبن» فى معبد «اتون» لأن «اتون» فى «إختاتون» قد ملأها بكل الأشياء الطيبة ، وبالشعير والقمح الكثير، مائدة قربان «آتون» «لآتون» (راجع Ibid, P. 36) .

وقد كان جواب « مرى رع » قصيرا : الصحة « لوع ــ ن ــ رع » للابن الجميل « لآتون » ! فليتفضل بأن يتم مثل خلودك (؟) امنحها إياه أبد الآبدين (أى الحياة الأبدية) (راجع Ibid. P. 36) .

ومن المحتمل أن « مرى رع » قــد تغلب عليــه العطف الملكى حتى عجز أن يزيد كلمة عما قال، كما يحتمل أن التقاليد الرسمية كانت تمنع الموظف أن يرخى للسانه العنان ليقول ما فى صدره !

«بانحسى» الكاهن الثانى : يحتمل أن «بانحسى» هذا كان يشغل المرتبة الثانية بعد « مرى رع » فى معبد « آتون »، إذ كان يحمل الألقاب التالية : (Ibid Vol. II, P. 29) الخادم الرئيسى للإله « آتون » فى معبد « آتون » فى «إختاتون»، والكاهن الثانى لرب الأرضين «نفر خبرو رع — وع — ن — رع» فى معبد « آتون»، والمشرف على مخازن غلال « آتون»، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى، وقريب الفرعون، وخادم سيد الأرضين «نفر خبرو — رع وع — ن — رع» فى معبد « آتون »، ومدير ماشية « آتون » .

وقد كان « بانحسى » مثله كمثل « مرى رع» نشأ من أسرة وضيعة، ووصل إلى مكانته العالية بعطف الملك عليه، وتدل ظواهر الأحوال واسمه على أنه كان من أصل نوبى أو سودانى، وأنه كان بعيدا عن المشاحات الدينية التى كانت قائمة فى هذا العهد ، وقد جذبه الملك إلى جانبه لأنه لم يكن له ماض دينى يمنعه اعتناق المذهب الجديد، وقد تحدث إلينا « بانحسى » فى نقش تركه لنا فى مقبرته يجمع بين الدين وبين حياته الشخصية إذ يقول (راجع Ibid. P. 29, 30) . "صلاة للإله « حوراختى » : الذى يمنح الحياة إلى أبد الآبدين، عند إشراقه على الأفق الشرقى، واستعطافا له عند غروبه فى الأفق الغربى . الحمد لك ! إنك تشرق فى السماء وتنير فى الصباح فى الأفق آتيا فى سلام يا سيد السلام . وكل بنى الإنسان يحيون عند رؤيتك، وكل الأرض تجتمع عند طلوعك، وأيديهم تحيي بزوغك . ما قاله الخادم الأول للإله «آتون» فى «إختاتون» «بانحسى» المرحوم : « الحمد لك يا إلهى يا من ذرأتنى وفعلت الخير لى، ومن شجعنى ومنحنى طعاما وأمدنى بالمؤن من روحه، وإنك الحاكم الذى أوجدنى بين الخليقة وجعلنى ضمن أصحاب الحظوة عنده، وجعل كل عين تعرفنى، ولقد جعلنى فى المقدمة بعد أن كنت فى المؤخرة، وصيرنى قويا بعد أن كنت مغمور الذكر، وكل جيرانى (فرحوا) لأنى أصبحت محظوظا عند من فعل ذلك لى، وقد أتت ؟ إلى مدينتى ، وكنت أرتجى، وبذلك أصبحت عظيما بأمر من رب الصدق الخ" .

وقبر « بانحسى » فى « تل العمارنة » كان فى الأصل قبرا جميلا، غير أنه قد أصابه عطب كبير على يد شيعة « آمون » أوّلا ، وعلى يد من سكنه من الأقباط فيما بعد الذين لم يكتفوا بتغيير معالم القبر بل محو النقوش بوضع طبقة من الجص

عليها . وعلى أية حال فان مناظر هذا القبر لم يكن من بينها ما يسترعى النظر بوجه خاص، وذلك لأنه على الرغم من إتقان صنعها ، فان موضوعاتها كانت عادية ، فنشاهد فى إحدى المناظر « بانحسى » يظهر أمام الفرعون يتسلم مكافآت الذهب مقابل الخدمات التى قام بها لمليكه . وقد كان من بين أولئك الذين حضروا هذا الحفـل اثنان من العبيد واثنان من الأسيويين ملتحيين ، ويحتمل أنهـم سفراء أو رهائن؛ (راجع : Ibid Pl. X.) ومما يلفت النظر الحركة الرشيقة التى قامت بها الملكة « نفرتيتى » عند تلفتها لكبرى بناتها «مريت آتون» كأنها تريد أن تقودها إلى الأمام لتتمكن من رؤية ما يدور فى الحفل فى أسفل النافذة التى كانوا يطلون منها . وبعـد الفراغ من الحفل يركب « بانحسى » عربته ويعود إلى بيته حيث يشاهد الشعب المتحمس يرحب به ، ومن بينهم أصدقاؤه وأفراد أسرته (راجع : Ibid Pl. XI·) وكذلك نشاهد الأسرة المـالكـة قد صوّرت فى منظر فى معبـد «بانحسى» وهم يسوقون عرباتهم كما شاهدنا فى مقبرة « مرى رع »؛ ولكن لما كان هذا المنظر قد ترك ناقصا ولم يكتب معه متون، فإنا لا نعرف الغرض من هذه الجولة الملكية ، ويشاهد فى هذا المنظر أن الحرس الفرعونى كان يحتوى سوريين ولوبيين بالإضافة إلى الجنود المصريين . ومما يلفت النظر فى هذا المنظر ما نشاهده فى الصف الثانى، وهو أن موظفا قد ضرب بكرامته عرض الحائط فقد ثنى نفسه وهو يقبض بيدية بهيئة جنونيـة على قضيب العربة منتظرا من لحظة لأخرى أن يصرع الأرض على أثر قفزة مباغتة (راجع : Ibid Pl. XVII,) .

«حويا» : تدل شواهد الأحوال على أن «حويا» كان قبل كل شىء موظفا لدى الملكة « تى » وألقابه هى : المشرف على الحريم الملكى، والمشرف على الخزانة (بيتا الذهب والفضـة) ، ومدير بيت زوج الملك العظيمة « تى » . وهـذه هى ألقابه الحكومية، ولكنه فضلا عن ذلك كان ينعت الممدوح من « وع — ن — رع » ؛ (Ibid Vol. III, P. 19. & Pl. III, XV) وقد حاول البعض توحيد اسم

« حـويا » مع « خعويا » الذى جاء ذكره فى خطابات « تل العمارنة » وهـو الذى ذكره « بورا بورياش » ملك « كاردونياش » (بابل) فى خطاب للفرعون « إخناتون » بوصفه رسول « خايا » ، غير أن هـذا الزعم لم يقبل على وجه عام (راجع : Ibid P. 19.) .

ويعـدّ قبر « حويا » من الوجهة الفنية ، وكذلك من الوجهة التاريخيـة من أهم المقابر التى عثر عليها فى «تل العمارنة»، وتدل الظواهر كلها على أن صاحبه قد دفن فيه ويوجد فيه منظران كبيران يدلان على أن الملكة « تى » قد وفدت بصحبة ابنتها الصغرى « بكت آتون » إلى مدينة «اختاتون» لزيارة «إخناتون» و «نفرتيتى» ، ولا نعلم إذا كانت هذه زيارة وقتية أو أنها قد اتخذت «إخناتون» مقرًا لإقامتها ؛ غير أنه مما يلفت النظر أن خادمها الأمين صاحب السلطان العظيم كان له قبر فى هذه البلدة، ويرجح أنه دفن فيه . هذا بالإضافة إلى أنه كان يوجد معبـد فى « اختاتون » يعـرف باسم « ظل رع الخـاص بالأم الملكية » والملكة العظيمة « تى » الحية (Ibid P. 8.) . وفى أحد المنظرين الكبيرين اللذين أشرنا إليهما الآن نشاهد الأم الملكية وابنتها الصغيرة على مائدة الطعام مع « إخناتون » و « نفرتيتى » واثنين من بناتهما، وهما « مريت آتون »، أما اسم الأميرة الثانية فقد محى (Ibid Pls. IV, V.) . وقد كانت موائد القربان مزدحمة بأنواع الطعام، ويلاحظ أن الأميرات الصـغيرات كنّ يتسلمن نصيبهنّ بوساطة والديهنّ . وممـا يلفت النظر هنا أن آداب المـائدة التى كانت مرعية دائما فى الرسوم المصرية القـديمة قد ألقيت ظهريا هنـا ، إذ كان الملك والملكة يأكلان بنهـم فنشاهد « اخناتون » ينهش عظمة يبلغ طولها ذراعا ، فى حين نرى « نفرتيتى » قابضـة بيـدها على بطة بأكملها وتأكل منها ، ولم تحاول قط أن تقطعها أقساما مناسبة كما تقتضيه آداب الطعام . أما الملكة « تى » فلا نعلم كيفية تناولها الطعام لأن اللقمة التى كانت تتناولها قد فقـدت بسبب كسر فى الرسم ، غير أنه على ما يظهر كانت

أكثر أناقة فى تناول طعامها . ولكنا لا نعرف ماذا قد صنعت بالبطة التى كان يقدّمها رئيس أتباعها « حويا » بوساطة أحد الخدم ! وتدل الصورة على أن هذه الوجبة كانت تؤخذ فى خلال النهار ، إذ نرى قرص الشمس فوق رءوس الحفل الملكى ، يفيض بنوره عليهم وعلى طعامهم .

ويشاهد أسفل المنظر الرئيسى الخدم وهم يحضرون الطعام فى حين أن طائفة من المغنين والمغنيات يضفون على الحفل بهجة ويزيدونه سرورا وأنسا بغنائهنّ .

وبجانب ذلك نشاهد منظرا مكملا صوّر فيه الملكة « تى » وإخناتون » و « نفرتيتى » وهم يعاقرون بنت الحان ، وقد كانت بناتهنّ حاضرات ، ولكنهنّ كنّ يأكلن فاكهة فقط . ويلاحظ أن « مكت آتون » قد استولى عليها الشره إذ كانت تقبض فى يدها على تينة كبيرة وتبحث فى طبق الفاكهة عن أخرى . وهنا يشاهد « حويا » وبيده عصاه (؟) يديربها الخدم ، وقد وقع هذا المنظر فى خلال الليل كما تدل على ذلك المصابيح المضاءة الموضوعة فوق قواعد خفيفة ، كما يشاهد زجاجات قد صفت مما يدل على أن شهوتهم إلى الشراب لم تكن بأقل منها إلى الطعام . وقد زاد المجلس سرورا وغبطة طائفة المغنين المصريين والمغنيات الأجنبيات . ومن أهم ما يلفت النظر فى قبر هذا الموظف عن الملكة « تى » أننا نراها تزور معبدا (أو جزءا من معبد) أطلق عليه اسم « ظل رع للملكة تى »[١] ؛ ورسم هذا المنظر فى القبر قد قسم ثلاثة أقسام نشاهد الملك «إخناتون» فى أعلاها وأكبرها وهو يقود والدته بيده نحو الباب العظيم الذى يرى من داخله مائدة القربان العظيمة التى يصعد إليها بدرج ، وكان فى صحبتهما الأميرة الصغيرة « بقت آتون » التى كان يرعاها مرضعتان . أما باقى الخدم رجالا ونساء فكنّ فى المؤخرة . وكان «حويا» منحنيا أمام الملك مباشرة ومعه طائفة من الموظفين . وكذلك يشاهد منظر عام للمعبد بما فيه التماثيل الملكية وموائد القربان . وفى أسفله قد انتظرت العربات الملكية لتحمل الملك وحاشيته إلى القصر الملكى .

(١) راجع : (Ibid Pls. VIII – XIII)

أما الصف الثانى فقد خصص لإظهار عظمة « حويا » غير أنه لسوء الحظ قد محى معظمه ، والظاهر أنه كان يمثل « حويا » وهو يقود ثمانى طبقات من الموظفين الصغار الهاتفين الذين تحت مراقبته قد كلفهم بالنداء بالثناء على الفرعون ووالدته . ومن النقوش المفسرة نعلم أن بعض هؤلاء الموظفين كانوا سائسين وحمالين « لحويا » المشرف على (الحريم) الملكى .

أما الصف الثالث وهو الأسفل فى المنظر فيظهر أنه لا علاقة له بالحوادث السالفة وهو عبارة عن شريط ضيق مهشم ويظهر فيه مناظر الريف وشاطئا النهر، وقد لونت كلها بالألوان الطبيعية الخالية من التقليد .

ولدينا منظر فى هذه المقبرة منقطع القرين فى كل الجبانة لأنه على ما يظهر يمثل لنا حادثة ربما كانت — حاسمة — فى تحديد جزء من تاريخ « اخناتون » ووالده « أمنحتب الثالث » والمنظر يمثل تسلم الجزية الآتية من البلاد الأجنبية (Ibid Pls XIII, XIV, XV, XVII.). وقد كتب معه هذا المتن تفسيرا له :

السنة الثانية عشرة الشهر الثانى ، من فصل الشتاء ، اليوم الثامن الحياة للوالد ، الحاكم المزدوج « رع اتون » الذى يمنح الحياة أبد الآبدين ، إن ملك الجنوب والشمال « نفر خبرو رع » والملكة « نفرتيتى » ، العائشين إلى الأبد مخلدين ، قد ظهرا للعيان على المحفة العظمى المصنوعة من ذهب لأجل أن يتسلما جزية « سوريا » وبلاد السودان « كوش » ، وكذلك جزية الغرب والشرق وكل الممالك مجتمعة فى وقت واحد ، وكذلك الجزر التى فى قلب البحر تحضر جزية للملك عندما كان على عرش « اخناتون » العظيم ، لأجل تسلم جزية كل قطر مانحا أهلها نفس الحياة". وبداية هذا المنظر يظهر فيها أن الموكب كانت طلعته من القصر .

وقد كان الملك والملكة جالسين فى محفة فاخرة محمولة على أعناق رجال الحاشية، وقد كان « إخناتون » يجلس الجلسة التقليدية الجامدة . أما « نفرتيتى » فكانت تطوق وسطه بذراعها فى حنان وحب، وهذا الوضع كان شائعا منذ الدولة القديمة وتشاهد الأميرات يمشين خلف المحفة يتبعهن وصيفاتهن . ولم يكن حاضرا منهن إلا اثنتان ، وكان يسير فى ركاب الموكب ثلة من الجنود الذين على ما يظهر قد

جندوا من قبائل البدو ، لأنهم كانوا مسلحين بالعصى الخاصة المعقوفة التى تحملها تلك القبائل ، كما كان كل واحد منهم يحلى شعره بريشتين ، ويرى « حويا » بين هذه الثلة من جنود الحرس ، ولكنه كان يلبس ملابس عادية ، ونشاهد كاهنا يحرق البخور أمام المحفة الملكية فى حين نجد على رأس الموكب طائفة من الغلمان والرجال يرقصون بحركات عنيفة ، وهؤلاء قد يكونون هتافين كما هى الحال فى كل زمان أو متفرجين يعبرون عن شعورهم بالفرح لهذه المناسبة ؛ وقد كانت تتبع الموكب الملكى عربات ملكية يحرسها سائسون . والظاهر أن الحفل كان مجرد استعراض أو تمثيل عودة الموكب الملكى .

أما الجزية التى أحضرتها الأمم الخاضعة ، فكانت محمولة أمام الموكب يحرسها الشرطة ، وجزية الشمال تحوى عربتين وأربع ركائز من النحاس وعددا عظيما من الأوانى المنمقة وأوانى أخرى عليها أغطيتها فى صورة رءوس حيوانات قد وضعت على قواعد لأجل أن يفحصها الفرعون . أما جزية الجنوب فخاصة بمدنية هذه الأصقاع ، وتحتوى على عبيد وضعوا فى الأغلال ، وقد ساروا فرادى وأزواجا ، وأولادهم ونساؤهم خلفهم . كما تحتوى على جلود فهود ، وحلقات من الذهب ، وحليات مزينة بالأزهار والنباتات أيضا . هذا إلى حقائب ملأى بالتبر والعاج وسن الفيل والقردة الحية والغزلان وفهد .

وقد كان عدد العبيد من السوريين يفوق عددهم من السودانيين ، إذ نجدهم قد مثلوا فى تسعة صفوف يختلف عدد كل صف من أربعة إلى ستة ، وكلهم ينتظرون مقدم الفرعون ، وقد كانت كل طائفة فى حراسة ضابط مصرى وحارس . ولما لم تكن هناك أعمال حربية فلا بد أنهم كانوا عبيدا أورهائن لضمان الجزية المفروضة على بلادهم . ومعظم هؤلاء المساجين كانوا عبيدا مصفدين بالأغلال . وقد لاحظنا حتى الآن أن معظم المناظر التى وصفناها كانت خاصة بالأسرة المالكة واستعراضاتها ، غير أن «حويا» لم ينس من يظهر نفسه فى أهم لحظة من لحظات

حياته الحكومية ، فقد صور لنا منظر تنصيبه فى وظيفة « المشرف على الحريم الملكى » والمشرف على الخزانة ، ومدير بيت الأم الملكية « تى » .

وقد كان من الطبعى أن تحتل صورة « اخناتون » المكانة الأولى فى هذا المشهد و بصحبته «نفر تيتى» ، وكانا يطلان من النافذة لمنح العطايا الذهبية المعتادة فى مثل هذه المناسبة . والظاهر أن الهدية لم تكن سخية ،وذلك لأن «حويا» لم يكن موظف الملك نفسه ، بل كان موظفا فى خدمة والدته يدير بيتها وأملاكها ، وقد أراد الفرعون فى هذه الحالة أن يوافق على هذا التعيين وحسب . وعلى أية حال فإن مكافأة « حويا » لم تكن بعيدة المنال ، إذ نشاهده فى مناسبة أخرى يتسلم هدية ملكية عظيمة من الفرعون نفسه ، فقد خلع عليه لقب «الممدوح من سيد الأرضين» (Ibid Pl. XVII) فنشاهد جيده قد أحيط بقلائد ضخمة من الذهب فى حين أن معصميه قد حليا بأساور من الذهب أيضا .

وفى أسفل هذا المنظر نشاهد « حويا » يفحص المصانع المختلفة للفرعون ، وذلك بوصفه المشرف على الخزانة ، غير أن معظم المنظر قد هشم ، ولكن لحسن الحظ قد بقى منه تحفة تحدثنا عن براعة النحات المصرى فى ذلك العهد وحسن ذوقه ، فقد أجاد فى إخراجها حتى ليخيل للإنسان أنه كان يعمل عشقا فى الفن ورغبة فيه . ولا يبعد أن « أوتا » المثال الذى يصور هنا كان هو المفتن المكلف تزيين القبر وزخرفته ، فلم يأل جهدا فى تخليد ذكراه بهذه الكيفية . فنشاهد «أوتا» رئيس المفتنين لزوج الملكة العظيمة « تى » جالسا على كرسى يقوم بعمل الزخرفة النهائية لتمثال للأميرة «بكت آتون» ، والواقع أن التمثال كان قد تم نحته وكان «أوتا» يلونه و يعطيه الصيغة النهائية ، و يلاحظ أن أحد تلاميذه كان فى أثناء ذلك ينظر بدقة إلى حركات يد معلمه وطريقة عمله ، وكذلك يلاحظ أنه كان بجانبه مفتنون آخرون مجدون فى عملهم ، فكان واحد منهم يعمل بقدومه ليكمل قائمة كرسى على هيئة أسد فى حين كان الآخر يعمل فى إخراج رأس تمثال الخ . على أن المنظر الذى

يعد غاية فى الأهمية من الوجهة التاريخية فى مقبرة «حويا» هو ذلك الذى نشاهده على كلا عارضتى الباب المؤدى إلى الحجرات الداخلية ، وهو يمثل صورة « حويا » والصلاة التى كان مفروضا أن يقرأها . وعلى العارضة اليمنى نشاهد كلا من «اخناتون» و« نفرتيتى » يعلوهما قرص الشمس بأشعته ، وعلى العارضة اليسرى « اخناتون » و«أمنحتب الثالث» والملكة «تى» وقد ذكر هنا «أمنحتب الثالث» بلقبه « نب ماعت رع » غير أنه لم ينعت بالمرحوم، مما يدل على أنه كان لا يزال على قيد الحياة، (Ibid P. 15) وكذلك يشاهد على عتب هذا الباب الملك « اخناتون » والملكة « نفرتيتى » على اليسار جالسين جنبا لجنب ، وعلى الجهة اليمنى نشاهد « أمنحتب الثالث » ، وزوجه « نفرتيتى » والأميرة « بكت آتون » وهذا المنظر يوحى بأن «أمنحتب الثالث» كان لا يزال حيا فى السنة الثانية عشرة من عهد حكم «اخناتون» ؛ وقد تناولنا بحث هذا الموضوع فى مكانه .

والغريب الذى يسترعى النظر فى رسوم مقبرة « حويا » أنه لم يحد عن الشعائر التقليدية التى كانت متبعة فى الدفن منذ أقدم العهود لدرجة أنه رسم موميته على صورة « أوزير » ، غير أنه عند الدعاء بطلب القربان من كل نوع وجه دعاءه للإله « آتون » ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى تمسكه بالقديم وعدم تأثره بمذهب «آتون» من كل وجه ، وبخاصة إذا علمنا أن سيدته « تى » كانت من اتباع الديانة القديمة على وجه عام (راجع Ibid P. 16) .

« أحمس » كاتب الفرعون الحقيقى : كان « أحمس » هذا من خدام الفرعون المقربين وكان متصلا به اتصالا شخصيا ، وألقابه الحكومية هى : كاتب الفرعون الحقيقى، ومحبوبه ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، والمشرف على قاعة المحكمة ، ومدير بيت «اخناتون» . وقد كان يحمل غير هذه الألقاب بعض ألقاب شرف وهى : « حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الذى على رأس السمار، والحارس لخطوات رب الأرضين . وعلى أية حال نلاحظ أن معظم موظفى « اخناتون » كانوا

لا يحملون إلا ألقابا حقيقية . أما ألقاب الشرف الجوفاء فقد اختصرت ، وأصبح عددها قليلا بالنسبة للعهود السابقة ، وهذا ليس بغريب عندما نعلم أن نظام هذا الملك فى الحكم كان على أسس جديدة ، ولذلك كان كل الرجال الذين فى خدمته يحملون ألقابا حقيقية .

وقبر « أحمس » يعد إحدى المقابر التى لم يتم نحتها ونقشها، ومما يؤسف له أن الجزء الذى لم يتم نقشه هو الذى كان قد خصص لنقوشه الشخصية وحياته الحكومية . ففى إحد المناظر التى تم نقشها نشاهد الملك والملكة ومعهما إحدى بناتهما فى عربة ذاهبة إلى المعبد دون أى حفل أو موكب فى صورة غاية فى البساطة، ومما يلحظ فى هذه الصورة أن الملكة قد مالت على الملك كأنها تريد أن يقبلها فى وسط الشوارع العامة . (Ibid. P. 28. Pls. XXXII, XXXII a)[1] .

وفى منظر آخر نرى أعضاء الأسرة المالكة قد ساروا يصحبهم حرس ظهر فيهم جنود من السوريين واللوبيين والسودان، (Ibid. Pl. XXXI) كما نشاهد الأسرة المالكة ثانية فى حفل أسرى، (Ibid. Pls. XXXII – XXXIV) فالملك والملكة جلس كل منهما على كرسى فى قاعة الطعام ، يقدم لهما الخدم المأكولات من موائد وضعت بالقرب منهما ، وكانا يلتهمان الطعام بشره ، فقد أمسك الملك بطة فنهشها نهشا، فى حين أن « نفرتيتى » قد قبضت بيدها على ضلع لحم وتأكل منه برغبة وشهية ! وقد جلست أميرتان بجانبه والتهمها على مائدة خاصة بهما فى حين أن أميرة صغيرة ثالثة كانت تجلس على حجر والدتها ، وكان الخادم يقدم « لنفرتيتى » قدحا من الخمر (؟) ، وخلف كرسى الملكة كانت تقف مربيات القصر وطائفة المغنيات ، وفى الخلف نشاهد جزءا من القصر بما فى ذلك حجرة المأكولات وحجرة (الحريم) حيث كانت النسوة يمتعن أنفسهن بالموسيقا والنوم على الفراش الوثير .

---

(١) راجع : Ibid. P. 33.

وهنا يشاهد الإنسان سريرا كدس بالفراش الوثير حتى كان من الضرورى لمن يصعد إليه أن يتسلق درج سلم ، هذا فضلا عن أن من يقضى ليلته فى هذه الحجرة لن يشكو جوعا أو عطشا ، إذ قد وضع بجانب رأس النائم مائدة مكدسة بالخبز الذى وضع فوقه أوزة مشوية وخسة ، وكذلك كان يوجد بجانبه إبريقان من الشراب (راجع Ibid Pl. XXXIII) .

والأماكن التى يظهر فيها «أحمس» هذا هى واجهة القبر وعارضتا الباب حيث نشاهده يتعبد للإله «آتون» (راجع Ibid. P. 31 & 32. Pls. XXVII — XXIX) .

«آنى» قريب الفرعون : كان «آنى» من المقربين كذلك إلى الفرعون كما يدل على ذلك ألقابه وهى : قريب الفرعون[1] الذى يحبه ، وكاتب الفرعون الحقيقى ، وكاتب مائدة قربان رب الأرضين ، وكاتب مائدة قربان «آتون» لأجل «آتون» الذى فى معبد «آتون» فى «إخناتون» ، ومدير بيت «أمنحتب الثانى» . وقد أهدى لذكرى هذا الرجل مالا يقل عن ست لوحات صغيرة ، ويحتمل أن الذين أهدوها إليه هم أشخاص من الذين كانوا فى خدمته إلا لوحة واحدة أهداها أخوه «بتاح معى» .

على أن هذه الظاهرة لم نجدها حتى الآن فى أية مقبرة من مقابر هذه الجبانة ، ومن ذلك نفهم أن «آنى» هذا كان رجلا رقيق العواطف حلو الشمائل مما جذب إليه قلوب من كانوا فى خدمته وأصدقائه . والواقع أن ما جاء من العبارات على هذه اللوحات يشعر بعطف وحنان وحب صادق ، ومما يلفت النظر كذلك أن تقاطيع وجه «آنى» قد مثلت تمثيلا صادقا على هذه اللوحات ، ومنها نفهم أن «آنى» كان مرتفع السن عند وفاته ، وأنه اعتنق مذهب «آتون» فى أواخر أيامه . وهذا يتفق مع اللقب الذى كان يحمله فى عهد «أمنحتب الثانى» وهو مدير بيت «أمنحتب

---

(١) راجع : Davies, "El Amarna", Vol. V. P. 7

الثانى» ؛ وذلك أنه إذا كان فعلا يشغل هذه الوظيفة فى عهد «أمنحتب » ، فلا بد أنه كان موظفا مدة لا تقل عن خمسين سنة وعاصر أربعة ملوك .

وقد دفن «آنى» فى قبره «بتل العمارنة» قبل أن يتم تزيينه ، اللهم إلا بعض أجزاء قليلة منه تم تزيينها ، (راجع Ibid. P. 7) فنجد على العتب منظرا للفرعون والملكة وثلاث من بناتهما يقدمن القربان للإله «آتون» ونشاهد «آنى» فى منظرين يتقبل القربان (راجع Ibid. Pls. IX, X) وفى ثالث نشاهده كأنه يدخل قبره (Ibid. Pl. XX) ؛ وكل هذه المناظر قد صورت بالألوان فقط ، ويظهر فيها رسمه الجانبى رسما متقنا يلفت النظر .

أما اللوحات التى أهديت إلى «آنى» فتستحق الذكر وهناك وصفها :

الأولى : لوحة قدمها « باخا » مدير الأعمال ويشاهد عليها وهو يقدم طاقة من الأزهار إلى « آنى » ويقول : إلى روحك طاقة من « آتون » ليمنحك النسيم ، وليضم أعضاءك معا ، وليتك ترى «رع» عندما يشرق وتعبده ، وليته يسمع ما تقول . (راجع Ibid. P. 10. & Pl. XXI) .

واللوحة الثانية : أهداها كاتب يدعى «نب وعوى» ، (Ibid. P. 10. Pl. XXI) ويرى فى أعلى اللوحة واقفا أمام « آنى » قائلا : تأمل الثور الذى قيل عنه « إحضره » ، وفى أسفل يشاهد « نب وعوى» يقود الثور إلى الأمام ويقول ، لقد رأينا الأشياء الطيبة التى فعلها الحاكم الطيب ، وكاتب موائد قربانه ، لقد أمر له بدفن حسن فى « إخناتون » .

واللوحة الثالثة : أهداها خادم كاتب الفرعون «آنى» الذى يسمى «آنى من» ويشاهد وهو يقدم إناء ضخما من الخمر إلى «آنى» قائلا دع الخمر تصب لك (راجع Ibid. P. 10, Pl. XXII) .

اللوحة الرابعه : يحتمل أنها كانت مهداة من سائق عربة «آنى» المسمى «ثاى» وإن كانت النقوش لا تذكر ذلك ، وقد مثل عيها «آنى» راكبا فى عربته وبجانبه « ثاى » يقود الجوادين (راجع Ibid.) .

اللوحة الخامسة : قد اهداها «بتاح معى» وهو أخو«آنى» ،ويشاهد الأخوان معا على اللوحة ، ويوجد بينهما وجه شبه كبير (راجع Ibid. P. II, Pl. XXIII) .

اللوحة السادسة : وقد أهداها الخادم «آى» ،ويرى مقدما طاقة لسيده «آنى» وهو يقول : لروحك (أو لحضرتك) طاقة من « آتون » الذى يحبـوك ويحبك (راجع Ibid.) .

« با آتون — محب » : كان « با آتون — محب » يحمل الألقاب التالية : مدير أعمال « إخناتون » ، ومدير بيت رب الأرضين ، والمشرف على جنود رب الأرضين (راجع : Davies Ibid, Vol. V, P. 15) وقبر هـذا الرجل لا يشتمل إلا على مدخل إذ قد ترك العمل فيه بعد ذلك ، وقد قيل إن «با آتون — أم — حب » كان الاسم المؤقت الذى انتحله « حور محب » فى عهد « أخناتون » وهو الذى أصبح فيما بعـد الفرعون المشهور الذى خلص مصر من الفوضى وأعاد لهـا بعض مجدها القديم .

« إبى » : إن تاريخ هذا الموظف يحيطه شىء من الغموض،وقد عثر على عقد باب من الحجـر الجيرى فى أحد بيوت مدينة « إخناتون » وعليه ألقاب موظف يسمى «إبى» وهى كاتب الملك ومدير بيت «منف» ومدير... ... ... له الحياة والسعادة والصحة فى « إخناتون » ومدير البيت (راجع Roeder, "Aegypt. Insch. Mus. Berlin" Vol. II, P. 399) .

وكذلك عثر على قبر لم يتم بناؤه بعد، ولم يدفن فيه أحد فى جبانة «تل العمارنة» باسم فرد يدعى « إبى » وكان يلقب : كاتب المـلك ومدير البيت أيضـا (راجع Davies, "El Amarna", Vol. IV, P. 101, Pl. XXXI) .

وتدل شواهد الأحوال على أن هذين الأثرين هما لرجل واحد،ولا نزاع فى أنهما «لإبى» ابن مدير البيت العظيم «أمنحتب»الشهير الذى تكلمنا عنه فيما سبق ،وذلك لأن « إبى » يحمل على اللوحة التى أهداها لوالده فى قبره «بمنف» الألقاب التالية :

كاتب الملك، والمدير العظيم لبيت «منف» ، (راجع .Schiaparelli, Cat. Mus
Florence No. 1617.) وحامل المروحة على يمين الفرعون، والمدير العظيم للبيت
(راجع .Lieblein Dic. Noms, II, P. 791, No. 2053) .

ومع كل فالظاهر أن « إبى » لابد قد أقام قبره فى «منف» بالقرب من قبر والده «أمنحتب» ، وقد وجدت أوانى أحشاء مصنوعة من المرمر كتب عليها اسمه وألقابه (راجع .Hayes, J. E. A. Vol. XXIV P. 24) ومن المحتمل أن «إبى» كان من رجال «منف» الذين لم يكن لهم ميل خاص لعبادة «آمون» فاعتنق ديانة «آتون» وهاجر مع الفرعون الى «إخناتون» حيث سكن بعض الوقت وقام بنحت قبر لنفسه هناك، ولكن عندما حدث انقلاب على عبادة «آتون» رجع إلى «منف» حيث دفن هناك على ما يظن فى عهد «توت عنخ آمون» أو «آى» أو «حورمحب» . وفى القبر الذى نحته فى «تل العمارنة» نجد أحسن المناظر المحفوظة التى تمثل أعضاء الأسرة المالكة، وهم يتعبدون «لآتون» ، ويحتمل أن هذا القبر كانت قد طغت عليه الرمال فأخفته عن الأعين فى عهد الانقلاب ، ولذلك بقى لنا هذا المنظر الطريف محفوظا ، وكان قد نحت بأحسن طراز ممثل لهذا العصر ، ونشاهد فيه (Davies, Ibid. Pls. XXXI, XLIV.) «اخناتون» و«نفرتيتى» وثلاثا من الأميرات وهن « مريت آتون » و «مكت آتون» و «عنخس با آتون» والجميع يقدمون قربا للإله «آتون» الذى كان يرسل أشعته فى صورة أيد بشرية على الفرعون وزوجه .

والواقع أن المنظر نفسه تقليدى ، ولكن ما يلفت النظر هو القربان الذى يقدمه الملك وزوجه ، فالذى يقدمه « أخناتون » هو قطعة مزخرفة نشاهد فيها طغراءى «آتون» يكتنفهما ويسندهما تمثالان صغيران يمثلان أميرتين. أما القربان الذى تقدمه «نفرتيتى» فهو من هذا الطراز نفسه، اللهم إلا أن الطغراءين يستندان على صورة واحدة صغيرة تمثل الملكة نفسها . والظاهر أن الفرعون لم يكن وحده هو الذى يقدّس اسم «آتون» بل كانت كذلك أسرته، كما يوحى بذلك هذا المنظر.

وقد ذكر اسم «إبى» على جعران فى متحف «تورين» ، ولكنه يحمل لقب المشرف على أعمال بيت الذهب (التحنيط) ومن المحتمل جدا أنه ليس هو نفس « إبى » المدير العظيم للبيت وكاتب الفرعون (راجع A. S. Vol. X, P. 108) .

«بنثو» الطبيب الأول : كان «بنثو» يحمل الألقاب التالية : "كاتب الملك، والمدير الفرعونى، والخادم الأول للإله «آتون» فى معبد «آتون» فى «اختاتون» ، والطبيب الأول والتشريفاتى، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى، والسمير الوحيد، ومقتفى قـدمى رب الأرضين، والذى يقترب من شخص الفرعون وعظيم العظماء، والممـدوح من الإله الطيب ، والسمير رئيس السمار . ومن هـذه الألقاب نعـلم أن هذا الموظف كان من الشخصيات البارزة فى هـذا العهد، ومن المقربين عند الفرعون، وبخاصة لأنه كان طبيبا ماهرا، ومما يؤسف له أن رسوم جدران مقبرة هذا العظيم وجدت فى حالة سيئة جدا، إذ قد تساقط معظمها، وكذلك لأن القبر كان قـد اتخذ مسكنا لبعض الأفراد الذين أرادوا أن يدخلوا بعـض التحسينات فى داخله ليجعلوه صالحا لسكناهم ، والصور التى على الجدران كلها صور تقليدية من جهـة الموضوع والفن ، فنشاهد منظر ذهاب الفرعون لزيارة المعبد، وكذلك مكافأة المخلصين له فى عملهم من الموظفين، ومنظر الأسرة المـالكة على المـائدة. ومن المدهش أن هذه المناظر التى كانت وقفا فى الأزمان السالفة على رجال من علية القوم مثل « بنثو » ، غير أنها أصبحت ترسم فى بعض مقابر الموظفين فى عهد « إخناتون » .

نفرخبرو حرسخبر : كان «نفرخبرو حرسخبر» عمدة «إختاتون» ، كما كان يحمـل لقب رئيس الأشراف، وقبره من الوجهـة الهندسية يعـد من أجمل المقابر فى هذه الجبانة (راجع Davies Ibid. P. 23.) ، غير أنه ترك ولم يتم نحته ونقشه إذ نجد أن بعض العمد لم تفصل بعد من أصـل الصخر ، وكذلك الزخرفة لم ترسم ، وكل ما وجدناه تذكارا لهـذا العظيم ، هو بعض نقوش خطت بالمداد على

جانبي المدخل ، ويدل عدم كتابة لقب الفرعون على الجانب الايمن على أن العمل في هذا القبر قد أوقف بغاءة .

«ماع نختوف » : لم يعثر حتى الآن على قبر هذا الموظف، وكل ما نعلمه عنه مستق من نقش عتب بابه الذى كشف عنه فى مدينة « اخناتون » (راجع Roeder, "Aegypt. Insch. Mus. Berlin". P. 127 - 129.) .

وتدل ألقابه على أنه كان رجلا مشغولا طوال مدة خدمته الحكومية، إذ كان يحمل لقب المشرف على البنائين الذين كانوا يعملون فى « إخناتون » ؛ والواقع أننا عند ما نفكر فى عدد المبانى الجديده التى كان عليه أن ينجزها للفرعون ، ورجال حكومته فى أقصر زمن ممكن، أدركنا أن أولئك الذين كلفوا هذا العمل لم يعد لديهم من الفراغ شيء وألقابه هى : مدير البنائين ، ومدير بنائى آثار جلالته ، ومدير بنائى رب الأرضين، ومدير البنائين فى « اخناتون » ورجل البلاط الذى يتبع تعاليم جلالته .

«محو» رئيس الشرطة : كان « محو » رئيس شرطة مدينة « اخناتون » (Davies, Ibid. Vol. IV, Pl. XXI.) وقد تكلمنا عن الدور الذى قام به فى المؤامرة التى دبرت حول العرش، وهذا الحادث قد مثل فى قبره بتل «العمارنة» ، (Ibid. Pl. XXVI.) وزخرفة هذا القبر لم تتم ، ولذلك نجد معظم المناظر قد خطت بالمداد فقط، والفن الذى نشاهده فى هذه المقبرة يعطينا صورة عن فن «تل العمارنة» فى نهاية مدته ، بما فيه من سوء استعمال النسب فى رسم أعضاء الجسم ، وكذلك رسم الوجوه الإنسانية القبيحة . غير أنه فى مقابل هذه النقائص نجد الرسام قد أعطى هبة وحرية مطلقة فى تمثيل الحركات السريعة ، وحسا ما كرا ينطوى على التنكيت . هذا فضلا عن أن مناظر قبر « محو » تشمل أشياء مبتكرة، مما لا نجده فى مناظر القبور الأخرى فى هذه الجبانة ، وقد يعزى ذلك إلى طبيعة وظيفة صاحبه وما ينطوى عليه من مناظر جديدة، فنجد المثال حتى فى المناظر التقليدية

فى هذا القبر قد أعطاها طابعا خاصا فمثلا نجد هنا منظرا آخر للفرعون، و «نفرتيتى» والأميرة «مريت آتون» راكبين معا، فى عربة، كما شاهدناهم فى قبر «أحمس»، ولكن يلفت النظر هنا أن «نفرتيتى» تظهر بمظهر الحب فتغازل الفرعون مما يربكه وهو يسوق عربته، وقد زاد فى ارتباكه أن الأميرة «مريت آتون» كانت مائلة على مقدمة العربة وتضرب الجوادين بعصا (راجع Ibid. Pl. XXII.) .

وفى المنظر الذى نشاهد فيه الملك والملكة مغادرين أبواب المعبد نجد ثلة من الشرطة فى ركابهما، وكذلك الوزير «محو» والكل يهرولون أمام العربة . حقا إن ذلك ليس بالشيء المتعب للجنود النشطين الذين كانوا يسرعون بعزم وقوة الشباب، ولكن «محو» كان يظهر عليه عدم الارتياح لهذا التمرين العنيف، وكان منظر الوزير البائس يثير الضحك وهو يتعثر فى جريه، وكأنا نسمع دقات قلبه وسخطه وهو يجهد نفسه فى السير بخطا واسعة مع رفاقه الذين كانوا يبدون نشاطا وحيوية فى جريهم .

غير أن من أهم الأشياء التى تلفت النظر فى المقبرة ما نشاهده فى المنظر الذى يمثل لنا فيه نظام الشرطة فى العاصمة الجديدة . وأول ما يلحظ هو عدم وجود سلاح مع حرس الشرطة الذين يتبعون الفرعون مما يدل على أنه كان محبوبا، على الرغم من المؤامرة التى قامت عليه فى مدينته، اللهم إلا إذا كانت قد وقعت بعد ذلك . وفى مكان آخر نشاهد أن محل الحراسة كان محصنا وليس له إلا باب واحد، والدخول منه كان محروسا بسياج من هيئة أعمدة يصل بعضها ببعض حبال حاجزة (راجع Ibid. Pl. XXIV.) . والظاهر أنه كانت توجد سلسلة بيوت حراسة صغيرة متباعدة حول المدينة وكان يحتل كل واحد منها حارس . وفى منظر آخر نشاهد «محو» وهو يقوم بأعمال وظيفته بنشاط، ففى مكان نشاهده يتصل بالوزير الذى كان لا بد أن يقدم له تقاريره . وفى جهة أخرى نجده يفحص معدات جنوده ويشرف على إحضار مواد الطعام (جراية الشرطة)، كما يشاهد مخزن أسلحة يحرسة ثلة من الجنود مسلحة تسليحا تاما .

وقد كوفئ « محــو » على إخلاصه ، إذ نشاهده خارج المعبد وهو يقدم شكره للإله على ما غمره به الفرعون من أطواق الذهب الكثيرة (راجع .Ibid. Pl. XVIII).

« باك » مدير أعمال محاجر الجبل الأحمر : كان « باق » هذا ابن أحد رؤساء النحاتين الذين قاموا بنحت الآثار العظيمة للفرعون « أمنحتب الثـالث » ووالده هو « مين » الذى تكلمنا عنه فى عهد « أمنحتب الثالث » (راجع .

وقد اقتفى «باك» خطوات والده فكان يشغل الوظائف التالية : مدير أعمال محاجر الجبل الأحمر، والذى علمه جلالته بنفسه، ورئيس النحاتين للآثار العظيمة للملك فى معبد « آتون » فى بلدة « اختاتون » .

وصورة هذا الموظف ونقوشه نشاهدها فى نقش على لوحة فى الصخر بالقرب من « أســوان » مع والده ، وقد ظهر فيها وهــو يتعبد لتمثال « اخناتون » (؟) وقد محـا اسمه ، واسم والده من هــذه اللوحة بعــد الانقلاب الذى حدث بموت « إخناتون » غير أن اسم « آتون » بقى ولم يصب بســوء (راجع .De Morgan Cat. Mon. P. 40 No. 17.4) على أن ما يلفت النظر هنــا فى لقبــه الأول أن « إخناتون » كان هو المعــلم الأول لهؤلاء المهندسين والنحاتين ، وذلك لتنفيــذ فكرته الخاصة بالفن فى تلك الفترة .

«مرى — إتى نيت» الكاهن المطهر الثانى : كان « مرى ، إتى ، نيت » أحد موظفى الفرعون فى الأقاليم ، ومعلوماتنــا عنه قد جاءت الينــا من قطعة حجر منزوعة من مقبرة خربت بالقرب من مصطبة الفرعون الواقعــة جنوبى «سقارة» ، وألقابه هى : الكاهن المطهر الثانى ، ومدير بيت معبد «آتون» ؛ ويمكننا أن نقول ببعض التأكيد إن « مرى — إتى — نيت » هــذا كان أحد موظفى معبد « آتون » فى « منف » (راجع Roeder, "Aegypt", Insch. Mus. Berlin Vol. II P. 121) .

«سارا بيجينا» المسمى «أبى» كاهن الآلهة «عشتارت» والإله «بعل»: هذا الموظف كان كما يدل اسمه أجنبيا، ولما كان اسمه تمجه الآذان فقد تسمى باسم مصرى خفيف على السمع واللسان. وكان مثله كمثل سابقه «مرى — إتى — نيت» أحد الموظفين فى معبد الشمس بمنف، وكان يحمل لقب كاهن الآلهة «عشتارت» والإله «بعل»، ومما هو معلوم أن هذه الآلهة كانت تعبد فى «منف» حيث كانت أحيانا يشار اليها بابنة الإلهة «بتاح» أعظم آلهة هذه الجهة. وقبر هذا الموظف يظهر أنه كان فى منطقة «سقارة» (راجع Petrie, "Memphis", I, PP. 8, 19 & L. D. Text. Vol. I, P. 16.).

«معى» المشرف على جياد الفرعون: ظهر «معى» هذا هو وطائفة عظيمة من كبار الموظفين فى مقبرة الوزير «رع موسى»، والظاهر أنه كان ضمن موظفى الفرعون «اخناتون» يقوم بأعباء وظيفته: المشرف على جياد رب الأرضين، ورسول الفرعون فى كل بلد والمقرب إليه (راجع Steindorff, "Kunst der Aegypter", P, 236.)

«رع نفر» المشرف على جياد كل الاصطبل: وكان «رع نفر» كذلك أحد الموظفين القائمين على صيانة جياد الفرعون، إذ كان يحمل لقب «المشرف على جياد كل الاصطبل».

ولم تصلنا أية معلومات عن هذا الموظف إلا ما جاء عنه فى نقش وجد فى إحدى كوات منزل بمدينة «اختاتون» (راجع Peet & Woolley, "The City of Akhetaton", I, Pl. IX. 6.).

«بارت نفر» ساقى الفرعون: كان «بارت نفر» ساقى الفرعون، وغاسل يدى جلالة الفرعون (؟) (راجع Davies, "El Amarna", VI, Pls. III, VII, P. 6) (أو نظيف اليدين على حسب رأى آخر فى الترجمة) ويوجد فى «الخوخة» «بطيبة الغربية» مقبرة تحمل رقم ١٨٨، وتؤرخ بلا نزاع بعهد «اخناتون» غير أن اسم

صاحبها قد محى عن قصد فى كل مكان وجد فيه على جدران المقبرة وصاحبه يحمل لقب ساقى الفرعون، ونظيف اليدين، ومدير البيت على حسب ماجاء فى ترجمة «جاردنر» و « ويجول » (Gardiner & Weigall, Cat. No. 188.) ، والفن الذى يشاهد فى نقوش هذه المقبرة يرجع إلى بداية عهد «اخناتون»، ويميل الإنسان إلى الاعتقاد بأن هذا القبر قد عمل « بارت نفر » رسمه ، ثم هجره ورحل مع سيده « اخناتون » إلى بلدة «اختاتون» وهناك أقام مقبرة ، وعلى الرغم من أنها صغيرة الحجم فإن الجزء الذى تم منها زخرف بكرم و إتقان . وتدل شواهد الأحوال على أنه قد جلب لنفسه غضب الفرعون لسبب ما . وذلك لأن القبر لم يتم زخرفته ، وكذلك محى اسمه فى كل مكان وجد فيه على الجدران ، ولا بدّ أن هذا الغضب له علاقة بما حدث فى القبر الذى نحت فى « الخوخه » . (رقم ١٨٨) والواقع أن قبر « بارت نفر » يحتوى مناظر غاية فى الإتقان ، وبخاصة التى تم نقشها . ومن المناظر النادرة منظر زيارة الأسرة المالكة زيارة غير رسمية لمقبرة هذا الموظف . وقد يجوز أن هذه حادثة حقيقية ، أو باعتبار ما سيكون قد نسجها خيال « بارت نفر » ، فيرى الملك والملكة يسيران على مهل و بتؤدة وساعد الملك مطوى حول رقبة زوجه ، ويداهما مشتبكتان معا (راجع Davies Ibid. Vol. VI, Pls. III, VII, VIII) ، وفوقهما قرص الشمس مرسل أشعته تتدلى منه الأيدى البشرية التى تمسك بالفرعون من تحت إبطه كأنها تحميه من التعثر فى حجارة الصحراء ، وأمام الفرعون تابعون يسيرون حاملين المظلات لوقايته من حر الشمس . وهكذا نشاهد فى منظر واحد « آتون» يحمى الملك من السقوط، ويحمى هو من حرارته، وبذلك يجتمع النقيضان .

ويأتى خلف الملكة ثلاث من الأميرات ومعهن مربيتهن ، و إثر هذا المنظر يشاهد الخدم يحملون الكراسى وأدوات الكتابة . ولم يذكر اسم « بارت نفر » فى هذا المنظر . وعلى أية حال فإن هذا الموظف قد كوفىء على إخلاصه ؛ إذ نشاهد الفرعون وزوجه السمحة الوجه يقدمان له ذهب الجدارة، وقد كان حاضرا فى هذه

المناسبة السعيدة الأميرات الثلاث و « موت بنرت » أخت « نفرتيتى » ، (راجع .Ibid .Pl. IV) وهـذا المنظر قد بقى مخطوطا بالمداد فقط فلم يحفر، وما تبقى منه يظهر فيه « بارت نفر » وهو عائد إلى بيته فى عربته وفى ركابه طائفة من أتباعه يحملون المنحة الملكية ، وعند وصوله تخرج زوجه من بيتها مهرولة نحوه رافعة يديها ،وكانت أول من حياه وهنأه ، وقد كان ثناؤها على الهدية الملكية عظيما، ثم جاء خلفها طائفة من العذارى يرقصن و يضربن على الدفوف . والظاهر أن بعضهن قد أسرعن لمقابلته حتى أنهن قد خرجن عاريات الأجسام . (راجع .Ibid. Pl. V) .

وفى منظر آخر يرى الفرعون وقد مثل جالسا على عرشـه تحت مظلة وأمامه موظفان لم يذكر اسمهما — أحدهما حامل إبريقا ومنديلا ، و يظهر أنه يقدّم شرابا للفرعون والثانى يرى راكعا ، ولا بدّ أن الأوّل هو ساقى الفرعون «بارت نفر» نفسه وهو يؤدّى وظيفته .(.Ibid. Pl. VI) والمنظر مهشم تهشيما كبيرا، غير أنه يمكننا أن نرى جماعات من المغنيات ، وصفا عظيما من الأباريق والأطعمة قد وضعت خلف القبر (؟) مما يبرهن على أنه كان ساقى الفرعون حقيقة .

« توتو » : لقد دل البحث العلمى على أن « توتو » هو نفس « دود » الذى ورد فى خطابات «تل العمارنة» وهو الذى لعب دورا مشينا على حسب ما توحى به هذه الخطابات التى تبودلت بين الفرعون وأمراء آسيا ممـا أدى إلى سـقوط الامبراطورية المصرية .

وألقابه كما جاء فى قبره هى : التشريفاتى ،وتشريفاتى سيد الأرضين ،والخادم الأوّل للفرعون، « نفرخبرو رع — وع — ن — رع » فى بيت ... ... معبد « آتون » فى « إختاتون » ، والخادم الأوّل للفرعون « نفرخبرو رع — وع — ن — رع » فى السفينة ، والمشرف على كل أوامر رب الأرضين ، ومدير كل أعمال جلالته ، والمشرف على كل الفضة والذهب ، ملك رب الأرضين ، والمشرف على الخزانة

فى « آتون » فى معبد « آتون » فى « إخناتون » الفم الأعلى لكل الأرضين ، والخادم الأعظم للفرعون ، والتابع الأول (؟) وخادم « وع — ن — رع » ومدير كل أعمال جلالته .

ومما يلحظ فى قبر هذا الرجل العظيم أن المناظر التى تصف رقيه والمكافآت التى نالها قد برزت بشكل واضح ، ولذلك نشاهد فيها كل الاحتفالات الضخمة التى أقيمت بكل أبهة ونخار لهذه المناسبات . وقد كانت المكافآت الملكية تشمل الماشية السمينة كما كانت تحتوى على الحلى الذهبى الفاخر (راجع Ibid, Pls. XVII - XXII.) ، وقد تكلمنا فيما سبق عن الدور الذى لعبه فى سياسة الدولة .

«رع موسى» المدير الملكى : كان «رع موسى» هذا يلقب المدير الملكى، والمشرف على جنود رب الأرضين ، ومدير بيت « أمنحتب الثالث » . وعلى الرغم مما يوجد من توحيد فى لقبه الأخير واسمه مع اسم «رع موسى» الذى خدم « أمنحتب الثالث » وأقام لنفسه قبرا فى جبانة « شيخ عبد القرنة » يحتوى على مناظر من عهد « إخناتون » وما قبله من الوجهة الفنية فإنه ليس لدينا ما يدعو إلى الاعتقاد بتوحيدهما . والواقع أن قبر «رعموسى» هذا المقام فى «تل العمارنة» كان قبرا صغيرا، والمناظر التى فيه يظهر فيها الملك «إخناتون» والملكة « نفرتيتى » والأميرة « مريت آتون » يتعبدون للإله « آتون » ، ويشاهد فيه صورة راكعة تمثل « رعموسى » وقد نقش أمامه وفوقه الصلاة التى يدعو بها ربه (راجع Ibid. Pl. XXXV.) .

«سوتى» حامل العلم : كان «سوتى» يلقب بحامل العلم لطائفة جنود الفرعون « نفر — خبرو — رع — وع — ن — رع » (إخناتون) وقبره فى «تل العمارنة»

ولم ينقش منه إلا عارضتا الباب ، والنقش دعاء جنـازى (Ibid. Pls. XXXVIII, XXXIX, PP. 25, 31).

«حاتياى» مدير مخازن معبد آتون : كان قد كشف عن مقبرة فى جبانة «شيخ عبد القرنة» فى عام ١٨٩٦ وعثر فيها على تابوت كبير، وعليه اسم «حاتياى» ويحمل الألقاب الآتية : الكاتب ومدير مخزن غلال معبد «آتون» ، وقد أرخ الأثرى «دارسى» هـذا القبر بعهـد الفرعون «أمنحتب الثالث» أو بداية عهـد حكم «إخناتون» (راجع .A. S. II, P. 2) . وبعد ذلك عثر فى مدينة «إخناتون» على عتب باب لشخص يدعى «حاتياى» ويحمل لقب مدير الأعمـال ، ومحبوب رب الأرضين (راجع .The City of Akhetaton", P. 109, Pl. XXIII, 4") .

ولذلك يحتمل أن يوحد هذا الرجل بصاحب المقبرة المذكور سالفا .

«سوتاوى» مدير خزانة رب الأرضين : كان «سوتاوى» يحمل لقب مدير خزانة رب الأرضين .

وقبر هذا الموظف فى «إخناتون» صغير جدا لم يتم العمل فى داخله ولا فى خارجه . والظاهر أن هـذا التعس لم يجد أملا حتى فى إتمـام حجرة دفنه المتواضعة ، وكل ما حاوله هو أن تخلد ذكراه وذكرى الملك على جزء من الجدار فى المدخل ، فعـلى أحد جانبى المدخل رسم أفراد الأسرة المـالكة وهم يتعبدون «لآتون» ، وأسفل ذلك رسم صورته ، وبعض النقوش التى تحدثنـا عن أن «سوتاوى» كان رجلا من أسرة متواضعة ، وقد رفعه الفرعون إلى درجة عالية من الغنى والثراء والنفوذ ، على أن حجم قبره وحالته لا يدلان على شىء من ادعائه العريض . (راجع Davies ."El Amarna", Vol. V, P. 14, Pls. XIV, XV") .

«مرى رع الثانى» كاتب الفرعون : كان «مرى رع» الثانى من كبار رجال بلاط «إخناتون» ، إذ كان يحمل الألقاب التالية ، كاتب الفرعون ، والمشرف

على (الحريم) الملكى ، والمشرف على الخزانة ومدير البيت ، والمشرف على (الحريم) الملكى للزوجة الملكية العظيمة ، « نفر نفرو آتون » « نفرتيتى » العائشة أبد الآبدين (Ibid. Vol. II, Pl. XXIX.)

والواقع أن مقبرة هذا العظيم كان مثلها كمثل المقابر الأخرى فى هذه الجهة لم يتم نحتها ونقشها تماما ، وعلى أية حال فإن الكثير من زخرفتها كان قد أنجز ويظهر فيه مناظر الأسرة المالكة ، و « مرى رع » وهو يتقبل الإنعامات الملكية من الملك والملكة شخصيا ، ويعتقد الأثرى « ديفز » أن كل مقابر « تل العمارنة » كانت قد نحتت بأمر ملكى ، وأن الملك نفسه هو الذى أمر برسم هـذه المناظر الملكية فى هـذه المقابر ، وهى التى يجب أن تكون فى قبر الملك نفسه وحده . وأهم منظر على جدران هـذه المقبرة هو مشهد استقبال الجزية الأجنبية (راجع Ibid. Pls. XXXVII - XLVII & P. 38 ff.) وتاريخ هذا الحادث قد محى ، والظاهر أنه كان مثل التاريخ الذى وجد على مقبرة « حويا » القريبة منه وعلى ذلك يمكن أن يكون السنة الثانية عشرة من حكم « إخناتون » . وهاك النص : " السنة الثانية عشرة ، الشهر الثانى ، من فصل الشتاء ، اليوم الثامن من حكم ملك الوجه القبلى والبحرى ، العائش على الصدق ، رب الأرضين « نفر — خبرو — رع » بن الشمس العائش على الصدق رب التيجان « إخناتون » العظيم فى بقائه ، والزوجة الملكية محبوبته « نفرتيتى » العائشة أبد الآبدين . ظهر جلالته على عرش الوالد المقدس والملك ، « آتون » الذى يعيش على الصدق ، وكل رؤساء الأراضى قد أحضروا جزيتهم (أو هداياهم ؟) ... وملتمسين العطف من يده (؟) حتى يستطيعوا شم نفس الحياة " . والواقع أن النقوش التى فى قبر «حويا» كما ذكرنا قد سجلت حادثة لجلب الجزية من «سوريا» و « كوش » والشرق والغرب ، وجزر البحر ، ومن المحتمل أن هذا الوصف كان مجرد تقليد . وهنا نشاهد الملك جالسا على العرش ومعه أسرته وعلى الجهة اليمنى ترى جزية الجنوب (Ibid. Pl. XXXVII - XL.) ، وعلى اليسار أمم الشمال . ويلاحظ أن الملك وزوجه يجلسان على كرسيين متحدين جنبا لجنب ، ومما يلفت النظر أنه حتى فى مثل هـذا الحفل العام الذى يظهر فيه وفود الأجانب نرى الملك

يجلس جلسة تدل على مغازلتـه لزوجه ، فالملكة تطوق الفرعون بذراعها الأيمن ، وذراعها الأيسر وضع على ذراعه ، وهنـا نشاهد ست أميرات قد حضرن فى هذا الحفل وهو عدد لم نجده فى أى رسم آخر ، والأميرتان الجديدتان فى هـذا المنظر هما « نفر نفرو رع » والأميرة « ستب — ن — رع » .

وأمام الفرعون رسم ستة صفوف تمثـل إحضار العطايا بوساطة قبائل عبيد الجنوب ، وفى الصف الأعلى نشاهد نماذج الهدايا ، وهذه كانت تقدم فى صورة مجاميع مزخرفة على حسب ذوق الأهالى ، فمثلا نجد هنا كومة مزخرفة بالجلود وذيول الحيوان ، والخواتم من الذهب مدلاة فى هيئة سلاسل طويلة ، فى حين نرى كذلك صفا من ريش النعام يزين الجانب الأعلى ، ويشاهد هنا كذلك جزية أخرى مؤلفة من الدوم يحتمل أنها صنعت من المعدن الثمين ، وخلف ذلك يوجد أطباق عظيمة عليها ركائز من المعادن ، وحقائب من التبر ، وخواتم من الذهب ، ودروع وسهام وأقواس ، وأسفل ذلك نرى هدايا مماثلة للسالفة مقدمة من رؤساء بلاد «واوات» أو « يام » فى بلاد النوبة ، كما نشاهد من بينها بعض الحيـوان مثل الفهود الأليفة والغزال (؟) .

وفى الصف الثالث نشاهد أسرى ضمن الجزية ، ومن بينهم نحو اثنتى عشرة جارية قد وضعت الأغلال فى أعناقهن وفى أيديهن ، وكل واحدة منهن كان يتبعها ثلاثة أطفال أو أربعة ، والكبار من الأطفال يسيرون بجانب الجوارى ؛ أما الصغار فقـد حملن على ظهورهن فى سلات ، وهـذه على ما يظهر كانت عادة شائعة . أما الصف الذى يلى ذلك فيمثل منظرا حربيـا ، ولكن من غير أسلحة ، والظاهر أنه منظر ألعاب رياضية ، ويشتمل على المصارعة ولعب العصا والملاكمة .

وفى هذه الأثنـاء نشاهد « مرى رع » ومعه أربعة من الموظفين ينزلون من الطوار ليقدّموا أنفسهم للفرعون ، ومعهم أتباعهم من حاملى المراوح وغيرهم ممن

اشتركوا فى هذه الحملة أو الرحلة ؛ وفى الوسط نجـد الصبية يحيونهم ، وكذلك نرى جماعة صغيرة يشتركون فى الاحتفال بمنح « مرى رع » عقدين من الذهب .

وعلى يسـار الطوار (راجع .Ibid P. 40) نرى أهـل الشمال (وهو الشرق بالنسبة لنـا) ويؤلفون ستة الصفوف التى تقع خلف السوريين (رتنو) مباشرة، وكلهم ذوو شـعر كثيف ولحى طويلة . وفى أعلى الصورة نشاهد جزءا عظيما من الهدايا ، وتحتوى على الأسلحة التى كان المصريون قد تعلموا قيمتها فى حروبهم مع «سوريا» منها القوس والنشاب والخناجر والحسام ، والحراب والدروع ، والزرود والعربة التى يجرها جوادان ، وكذلك هدايا يحملها الأسيويون فى أيديهم ، ومن بين هذه الهدايا ثلاث عذارى قد دفع بهن إلى الأمام ليستلفتن نظر الفرعون ، ثم نشاهد رؤساء البعثة راكعين أمام الفرعون ومقدمين أوانى من المعدن وقبعات وسن فيل وسهاما وأقواسا ، وثلاثة حيوانات — غزالا ووعلا وأسدا . وفى الصف الثانى نجد تسعة أسرى أو عبيدا مغلولى الأيدى .

وفى الصف التالى نشاهد بعثة من بلاد أخرى ربما كانوا الأموريين وهداياهم تشمل فتاتين وعربة وأوانى مختلفة جميلة الصنع . والصفان الأسفلان يحتمل أنهما يمثلان قبيلة أخرى من السوريين لا يمكن تحديدها . ثم نشاهد كذلك أهـل « بنت » على ما يظهـر يقدمون جزيتهـم (.Ibid. P. 41) ثم يأتى بعـد ذلك « اللوبيون » . ثم أهل « خيتـا » الذين كانوا يحملون هدايا لا بد أنهـا من صنع أهل « كريت » .

وبعـد موت « إخناتون » بقى « مرى رع » حائزا للعطف الملكى ، فنشاهد الملك « سمنخكارع » يستقبله هو وزوجه « مريت آتون » وأغدق عليـه الهدايا المعتادة من الذهب وثبته فى وظيفته (راجع .Ibid. P. 43) .

توت عنخ آمون



ولقد أدّى موت « سمنخكارع » أن يعتلى « توت عنخ آمون» عرش الملك ، ومعه زوجه « عنخس — ن — با آتون » بنت « إخناتون » و « نفرتيتى » .

وقد ظل كثير من الحقائق التاريخية التى تتعلق «بسمنخكارع » و« توت عنخ آمون» غامضا إلى أن كشفت مقبرة الأخير وفحصت كنوزها فحصا علميا دقيقا ، فاتضح أن كثيرا من الحلى والجواهر التى وجدت مع «توت عنخ آمون» كانت فى الأصل قد صنعت للملك «سمنخكارع» وحليت باسمه، ثم نرى أثر التغيير باديا عليها . فمحى اسم « سمنخكارع » ونقش مكانه اسم « توت عنـخ آمون » . وقد أرتنا هـذه الكشوف أن النقوش الدينية التى كانت فى الأصل «لسمنخكارع » لا تمت بصلة إلى ديانة « آتون » بل كانت الأناشيد الدينية فيها تتجـه إلى الإله « رع » ، كما وجدت أشكال آلهة لها رءوس حيوان ، وجسوم إنسان ، وهذه بداهة لم تصنع فى « إختاتون » مقر عبادة القوة الشمسية الواحدة ، بل إنها من صنع « طيبة » التى اتخذها « سمنخكارع » مقرا له بعد أن غادر عاصمة أخيه . وهذه الدلائل كلها تثبت لنا أن « سمنخكارع » قد عاد إلى الشعائر الجنازية القديمة الخاصة بالدفن .

والظاهر أن « سمنخكارع » قد حمل معه مقدارا عظيما من سبائك الذهب التى كانت توجد بكثرة فى « إختاتون » وأن دالته على أخيه وسلطانه عليه كانا كفيلين بإجابته الى كل مايرنو إليه، وهـذا يعلل لنا السر فى إسراع « توت عنخ آمون » ورائديه، وبخاصة « نفرتيتى » والكاهن « آى » بالعودة إلى « طيبة »، فقد رموا من وراء ذلك الاستيلاء على ذلك النضار الذى حمله معه « سمنخكارع » من « إختاتون» أوّلا والقضاء على التأثير الذي تركه «سمنخكارع» على كهنة «آمون» مدّة إقامته ملكا فى « طيبة » ثانيا بنشر فضائحه وعلاقته المشينة بأخيه كما يدعى البعض ، وقد تمّ لهم ما أرادوا ، فتملكوا أثاث « سمنخكارع » وجواهره ، واستولوا على النضار الذى جلبه من «تل العمارنة»، واستلبوا كل الهدايا التى أغدقها عليه « إخناتون » وبذلك حرموا « سمنخكارع » إقامة شعائر دينية تليق بملك مثله ، كما حرموه أثاثه الجنازى . وليس يخاف أن «توت عنخ آمون» ذلك الصبى الساذج الذى لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره يقصر عقله وتفكيره عن تدبير مثل هـذه المكايد لأخيه . أما الرأس المفكر والعقل المدبر فهو ذلكم الداهية الكاهن « آى » الذى كانت له أطماع واسعة ، وأهداف بعيدة يسعى إلى تحقيقها ، ولكنه كان يتستر ويتخفى فى كل خطوة يخطوها، لأنه ربما كان يخشى شخصية قوية هى شخصية القائد « حور محب » الذى كان يسيطر على جيش البلاد فى تلك الآونة ، وإن كانا فى الظاهر يعملان معا إذ أنهما من رجال الجيش كما سنرى بعد .

بدا على المسرح الآن أمامنا بطلان كلاهما طاعن فى السن وكلاهما طامع فى العرش، ولكل منها طريقته التى يراها توصله الى مطمحه؛ «فآى» يتخذ السياسة والدهاء ونفوذه فى بيت الملك ونقضه للدين الجديد ، وعودته لعبادة «آمون» والقوة أيضا وسائله لتحقيق ما تصبو إليه نفسه و « حور محب » يرى أن القوّة هى كل شىء ، وأنه مادام يأخذ بزمام الجيش فإنه لا بدّ واصل إلى ما يريد ، واحتدمت الغيرة الشديدة بين الرجلين ، واشتعلت نار الحقد بين القلبين وأخذ كل

منهما يعمل سرا فى هـدم صاحبه بدعوى الإخلاص للملك ، وما الملك فى أيديهما إلا ألعوبة يحركانها فتتحرك ، ويقفانها فتقف ، وليس لأحد منهما فى خدمة الملك رغبة وإنما لكل منهما فى ذلك غاية ، هى اغتصاب ملكه والوثوب على عرش آبائه .

عاد « توت عنخ » إلى « طيبة » كما قلنـا وبقى محتفظا باسمه المركب مع كلمة « آتون » مدّة ما فصار يدعى فيهـا « توت عنـخ آتون » ويعتقد بعض المؤرخين أنه غير اسمـه على إثر انتقاله إلى العـاصمة القديمة « طيبـة » فصار يدعى « توت عنخ آمون » اقتـداء بالكاهن « آى » الذى عاد وقتهـا إلى عبادة « آمون » ثانية ، وليس هناك ما يبرر هذا الإسراع فى تغيير الاسم فإن اسم « آتون » لم يكن ممقوتا فى « طيبـة » أو فى غيرها لأنه يدل على عبـادة « رع » الذى يؤمن به الجميـع ، وأكبر دليـل على عدم مقتهم لهـذا الاسم أن أعداء مذهب « إخناتون » لمـا أرادوا تشويه مقابر « إخنـاتون » (تل العمارنة) ومعابدهـا قصروا هذا التشويه على محو اسم « إخناتون » نفسه ، ولم يتعرضوا لرمز الشمس « آتون » بالمحو أو التشويه ، والظاهر أن « توت عنخ آمون » قد غير اسمه بعد تركه « إخناتون » واستقراره فى « طيبة » فإن أثاثه الجنـازى عدا أساس قصره الذى حمله معه فى قبره يحمل اسم « توت عنخ آمون » ، وأهم ما يسترعى النظر من التناقض فى نقش اسم هذا الملك ما شوهد على كرسى عرشه وكرسى آخر له نموذجى ، فقد نقش على الأوّل صورة الفرعون وزوجه باسميهما مركبين مع لفظة « آمون » ، ومع هـذا نرى فوقهما « آتون » مرسلا أشـعته التى ينتهى كل شعاع منهـا بيد إنسان ، فضلا عن أن قرص الشمس هذا يكتنفه طغراء « آتون » من جانبيه ، ونرى نفس الظاهرة بادية على ظهر الكرسى عينه ، فإننا نجد اسم الملك مركبا مع لفظة « آتون » كذلك . أما الكرسى الثـانى وهو النموذجى فنرى أن الاسم المنقوش عليه هو « توت عنخ آتون » أيضا أينما وجد الاسم . ولعل هذين الكرسيين قد صنعا فى « طيبة » قبل أن يغير الملك اسمه ، ولا داعى لأن نفترض أنهما صنعا فى « إخناتون »

ثم أرسلا إلى «طيبة» ، لأنه لم يكن ثم كما قلنا من قبل كفر وجحود في النطق بلفظة « آتون » فيهـا ، ومن الجائز أن يكون « توت عنخ آتون » قد غير اسمه على ظهر كرسي عرشه ، وهو الجزء البادي من الكرسي عند جلوسه عليه لأسـباب سياسية خاصة ، وترك اسمه الأصلي على الكرسي المثـالي ليدفن معه ، وهـذا الدليل على أن عبادة آتون لم تمح بسرعة جارفة بعد موت «إخناتون» كما سنشير الى ذلك فيما بعد .

وعندنا من آثار « توت عنخ آتون » لوحة صـغيرة من الحجر الجيري الأبيض محفوظة الآن بمتحف « برلين » وهي تمثل « توت عنخ آتون » بلباس فضفاض يقدّم القربان للإله « آمون رع » والإلهـة « موت » زوجه ، وهي لذلك ذات قيمة تاريخية عظيمة لأنها تصوّر بصفة قاطعـة رجوع الملك إلى عبادة آلهة طيبة مع احتفاظه باسمه الأصلي «توت عنخ آتون» . ولا يمكننا أن نحدّد بالدقة التاريخ الذي غير فيه هـذا الملك اسمه ، وكل ما نعرفه أنه كان قبل السنة الرابعة من حكمه لا يحمل اسمـه الأصلي المركب مع لفظه « آتون » ، إذ وجدنا في قبره زجاجة نبيذ مختومة وقد نقش على الختم السنة الرابعة من حكم « توت عنخ آمون » .

مكثت «طيبة» طيلة مدّة حكمه مسرحا للحكم بعد انتقاله إليها من «إخناتون» ، وعلى الرغم مما بين « حور محب » و « آى » من تشاحن على الملك إلا أنهما أخذا يعملان معا في الظاهر وكل منهما طامع في أن يتولى العرش بعد «توت عنخ آمون» وسنرى فيما بعد أن الذي تولى عرش الملك بعد « توت عنخ آمون » هو الكاهن « آى » ومن بعـده « حور محب » ثم استولى مكانه « رعمسيس الأوّل » وكلهم من رجال الجيش كما سنأتي على كل ذلك بالتفصيل .

(٥) «حور محب» الوصي على العرش والقائد المظفر في حروب « توت عنخ آمون »

تفزعت البلاد ووقف كل مصري خائفا يترقب «فالخيتا» بالمرصاد تهدّد الكنانة وما بقي من أملاكها بالغزو ، والشئون الداخلية في مصر مختلة نتيجة الارتباك الديني

والفوضى الاجتماعية التي أعقبت إصلاحات «إخناتون» فتطلعت البلاد إلى يد قوية حازمة تبسط سلطانها على شعب مصر، وترهب في نفس الوقت أعداء البلاد، ووجدت رغبتها في القائد العظيم «حور محب» فتولى زمامها، وصيا على عرش الملك الصغير.

والظاهر أن «حور محب» كان من عامة الشعب ولا ينتسب إلى أسرة عريقة في المجد من بلدة « حت نسوت » من أعمال المقاطعة السابعة عشرة من مقاطعات الوجه القبلي . وقد عاش في كنف إله مقاطعته المحلي المسمى « حور » . ولم يكن « حور محب » مغمورا في حياته أو ظهر بفجاءة في هذا الوقت العصيب بل كان فذا في كل عمل وكل إليه أمره فكان كاتب المجندين الموفق في عهد الفرعون «تحتمس الرابع»، ثم ارتفع في عهده أيضا إلى مرتبة «مرب قدير لإحدى بناته» ، ثم صعد إلى وظيفة « قائد لكتائب الفرسان » ثم عهد إليه مولاه بمهمة خطيرة لا ينهض بأعبائها على الوجه الأكمل سواه، تلك هي محاربة كهنة « آمون » وانتزاع الرياسة الدينية لكهنة القطرين من أيديهم ، وليس ذلك بالأمر الهين في هذا الوقت فهم أصحاب نفوذ كبير ، وإليهم آلت السلطة المسيطرة في البلاد ، هذا إلى أن إعلان الفرعون الحرب على كهنة « آمون » سابقة خطيرة لم يعتدها القوم ولم يألفوها من قبل، فإقدام الفرعون على ذلك يدل على أنه واثق تمام الوثوق من مقدرة ذلك القائد الذي عهد إليه بالأمر . وقد صدقت فراسته ، ولم يخيب « حور محب » ظنه فانتصر فعلا على هؤلاء القوم ، وانتزع منهم تلك الوظيفة التي كان شاغلها يسيطر على المرافق الدينية والاقتصادية في كل المقاطعات، وهي وظيفة « رئيس الكهنة لكل آلهة القطرين » ، وهنا ارتفعت منزلة «حور محب» في عين سيده فولاه راضيا هذه الوظيفة مكافأة له على إخلاصه وصدق عزمه ، وإن كان من رجال الجيش ، وليس من كهنة الدين ، على أن هذه الوظيفة لم تستطع أن تبقى طويلا خارج حدود الكهنة ، فقد اضطر « أمنحتب الثالث » أن يتنزل عنها مرغما إلى الكهنة فرجعت إلى حوزتهم مرة ثانية إلى أن جاء « اخناتون »

وانتزعها منهم إلى الأبد . وقد بقى « حور محب » — على ما يبدو — محتفظا بوظيفة قائد الجيش فى عهد إخناتون، كما كان كذلك مديرا لأشغاله . والظاهر أنه لما أحدث «إخناتون» ذلك الانقلاب الدينى غير «حور محب» اسمه مسايرة للجو الذى يعيش فيه، فسمى نفسه «آتون — محب» (يعنى آتون فى عيد) وقد رأينا هذا الاسم على قبر فى « تل العمارنة » يحمل صاحبه لقب « قائد الجيش » ثم محى ثانية، غير أننا لا نقطع بصحة هذا الاستنباط .

وقد زاد نفوذه ، وامتد سلطانه فى عهد الملك « توت عنخ آمون » كما قلنا ، فقد كان وصيا على العرش ، وقابضا على معظم السلطة الحربية فى البلاد ، وتدل نقوشه التى خلفها لنا ومقبرته فى «سقارة» على أنه صار فى ذلك العهد أرفع مكانة، وأقوى سلطانا، وإن ألقابه الضخمة التى وجدت على جزء من تمثال له تنطق بتلك المنزلة العالية التى وصل إليها ، فقد جاء فيها أنه : «عظيم العظماء، وقائد القوّاد، والرئيس الأعلى لمجلس الحكام ، والمنصب من الفرعون رئيسا للقطرين ، والقائد الأعلى لكل جيوش الملك ، ومدير بيت الفرعون » . كما قال فى هذه النقوش متحدثا عن نفسه : «لقد وضعت القوانين للفرعون ، وإن جلالته مسرور من كفايتى ، وحسن إدارتى للبلاد » . كما حدثنا عن نفسه فى وثيقة توليته أمور العرش فقال : « قد اغتبط الملك لحسن اختياره إياى ، ولذلك نصبنى رئيسا أعلى للبلاد ، ونفذت له قوانين هذه البلاد كلها ، ولم يشركنى أحد فى ذلك، وكان الناس يعجبون بما تنطق به شفتاى .

وإذا ما ناديت أحدا بصوتى أمام الملك اهتزت أركان القصر، ولكنى إذا حادثت جلالته مجيبا على أسئلته سر بعذب منطقى الذى وهبنى إياه الإله «تحوت» رب العلم، و « بتاح » (رب الحرف والصنائع والجمال)، وهكذا حكمت القطرين عدة سنين، وكان رجال مجلس الحكام ينحنون أمامى عند مدخل القصر الملكى ، وأمراء البلاد الأجنبية من الجنوب إلى الشمال يرفعون إلى أكف الضراعة كما يرفعونها للإله (أى الملك) ، وكل شىء يجرى وفق ما أريد ، والناس يتمنون لى السعادة والصحة ، والشعب يحبنى كما يحب رب الأرضين (أى الملك) » .

هذا معنى ماقاله «حور محب» ولا شك فى أن مثل تلك الألقاب الضخمة، وهذه السلطات الواسعة التى نسبها لنفسه لا تكون إلا لحاكم بأمره، ولم يصل إليها حتى

« سمنوت » الذى مر الكلام عنه ، و إن كان وجه الشبه بينهما عظيما . ولم يذكر لنا فى هذا النقش اسم ذلك الذى ولاه قيادة الناس ، وجعل له الأمر النافذ فيهم ، والهيمنة على شئون البلاد ، ولكن الآثار تدلنا بجلاء على أن ذلك الملك الذى أمدّه بكل تلك السلطة هو « توت عنخ آمون » فلقد وجدنا تمثالا « لحور محب » جالسا فى مقبرته وفى يده المرسوم الملكى الذى أعطاه فيه « توت عنخ آمون » كل هذه السلطة الواسعة ، وقد نقش فيه اسم هذا الفرعون .

وقد كان أهم عمل قام به « حور محب » فى عهد « توت عنخ آمون » هو الحروب التى أشعل نارها وظفر بالانتصار فيها نصرا مؤزرا ، ولقد اتخذ ذلك النصر فيما بعد ذريعة تؤهله لاعتلاء العرش بعد الملك « آى » كما سترى .

وكانت أولى حرو به تلك التى ادّعى فيها أنه بدأ بإعلانها على «خيتا» ،ومن جهة أخرى ادعى أهل «خيتا» أنهم هم البادئون بشنها على مصر ؛ ويزعم «حور محب» أنه انتصر على « خيتا » فى هذه الحرب كما ينقض « خيتا » هذا الزعم و يقررون أنهم هم المظفرون فيها .

و إذا استعرضنا الأمر فى شىء من التبصر أمكننا أن نزيل هذا التناقض ونخرج بوقائع نرتاح لصحتها بعض الارتياح . فإنه كان من البدهى أن تأخذ النعرة ملك « خيتا » و يقدم سيدها « شو بيليو ليوما » على الانتقام من مصر لقتلها ابنه الذى استدعى إليها ليكون زوجا وملكا ، فيشنّ الغارة عليها ، ويجىء من بعده خليفته « مورسيل » فيسير فى تلك الطريق التى اختارها سلفه انتقاما للشرف الضائع والكرامة المجروحة ، وأخذا بثأر الدم الزكى المسفوح .

أما التناقض بشأن نتائجها فيدّعى « حور محب » أن المصريين انتصروا على الأسيويين ، و يدّعى «مورسيل» أنه انتصر على الجيش المصرى رجالته وفرسانه ، وأسر منهم خلقا كثيرا[1] ، فتفسيره كما جاء فى تقرير « خيتا » أن الأسرى المصريين

(١) راجع : Forrer, "Forschung", II, P. 14.

قد نقلوا معهم وباء فتاكا[1] إلى بلاد « خيتا » نكبهم نحو عشرين عاما ، ولم يتمكنوا من متابعة انتصارهم على المصريين ، فاضطر لذلك ملكهم إلى وقف القتال ، وبقى السلام ناشرا ألويته بين الدولتين منذ ذلك الوقت إلى عهد «سيتى الأول»[2] . ومن هنا أخذ كل من المعسكرين ينظر إلى المعركة من الناحية التى ترضى عاطفته الوطنية ، فخلع على نفسه البطولة ، وادّعى أنه المنتصر المظفر .

على أن هذا السلام الذى ساد جوّ الدولتين : «خيتا ومصر» قد مكن المصريين من متابعة حروبهم التى شنوها على أهل « فلسطين » بسبب ثورتهم على الحكم المصرى ، ومحاربتهم الأمراء الموالين لمصر ، وكان أكثرهم إثارة للقلاقل قوم « خبيرى » (اليهود فيما بعد) ؛ ولكن « حور محب » تمكن من إخماد ثوراتهم ، وانتصر عليهم نصرا مبينا . وكان يرافقه فى هذه الحروب مليكه «توت عنخ آمون» ، ونستخلص ذلك من لقب « حور محب » الفخرى الذى خلعه على نفسه : " إنه مصاحب سيده فى المعركة فى ذلك اليوم الذى انتصر فيه على الأسيويين " .

وقد ترك لنا هذا القائد مناظر ممتعة على جدران قبره فى « سقارة »[3] تدور حول هذه الحروب فنشاهد فيها جماعات الأسرى الذين ساقهم معه من فلسطين ، وقد شاءت براعة المثال أن توضح جنسية كل فئة منهم ، فنستطيع أن نخرج منهم الأسيويين ، ونميز كذلك الأوربيين الذين كانوا فى « فلسطين » وقت هذه الحروب ، فنرى كذلك صورة مهشمة جدا فيها الملك والملكة وأمامهما « حور محب » يقدّم الأسرى ، ولما كانت هذه الصورة تمثل فن « تل العمارنة » فى روحها فقد نسبها بعض المؤرخين إلى عهد « إخناتون » ، ولكن فيها من الوقائع ما يفند هذا الرأى

(١) راجع : Forrer, "Forschung", II, PP. 11, 12, 14.

(٢) راجع : Meyer, "Gesch.", II, 1, P. 404, note 4.

(٣) راجع : Helck, "Der Eiufluss der Militarfuhrer in der 18. Agyptischen Dynastie", P. 78 note c.

فليس فيها أبدا مايدل على عبادة « آتون » ، بل إن فيها على العكس من ذلك «حور محب» يتعبد للإله « آمون رع » و يتعبد للإله «حور» ، و يتعبد للآلهة الآخرين ، ونقرأ عليها الصيغ الدينية الخاصة بالإله «أوزير» ، فلا محل إذا للادّعاء أنها من عهد « اخناتون » ، و إذا كان فيهـا روح فن « تل العمارنة » واضحا فذلك لأن « حور محب » كان قد استعان بكثير من الصناع ورجال الفن الذين جلبهم من «تل العمارنة» لتزيين قبره ونقشه ، فلا بدع أن تتغلب عليهم طبيعة بلدهم ، وأن تظهر فى أعمالهم الروح الذى ضروا عليه وامتزج بنفوسهم ، وصارت من مميزات بدائعهم .

ونشاهد فوق الصـور المذكورة جنودا من الأسيويين قد أرسلوا لحـاهم ، وجثوا يتوسـلون إلى « حور محب » أن يعفو عنهم ، وترى من بين المقهورين لوبيا ، وزنجيا ، وخلف هذين وأولئك أسيويون آخرون قد زالت لحاهم ، وأرسلوا ذؤابات من الشعر على أصـداغهم ، وارتدوا ملابس سورية ، ومعـهم خيلهم ، وأسبلوا خصـلات من الشعر تدل على أنهم آريون ؛ وترى نقوشا أخرى تصف ما حاق بهؤلاء المنكوبين من جراء ولائهم لمصر ، فتحدثنا بأن مساكنهم قد حرقت ، وحقولهم قد خربت ، واستولى عليها غيرهم ، وأصبحوا جياعا بلا مأوى يهيمون كالسائمة بين الشعاب والجبال ، ولذلك جاءوا إلى الفرعون يحتمون بسيفه الصارم ، و يعتزون بقوّته الغالبة ، وترى بجانب هذا الحديث مترجما يحمل إلى « حور محب » — وقد بدا فى جيده طوق من الذهب — ، قرار الفرعون فى صدد هؤلاء المغلوبين على أمرهم ، وهو يقضى بحمايتهم ، وضمان حدود بلادهم .

وهذه الحال السيئة التى يعانيها أتباع مصر فى البلاد الأسيوية هى نفس الحال التى كان يرسف فى أغلالها أهل « لوبيا » وأهل « كوش » الذين كانوا يدينـون لأهل مصر بالولاء والسلطان ، فلا عجب أن تأخذ النخوة « حور محب » و ينهض ليقوى نفوذ مصر فى هـذه الممتلكات ، ويرجع إليها هيبتها ، و يردّ لها ماضاع من ولاء القوم وخضوعهم . و يظهر أن « حور محب » قد أفلح فى إنجاز هذا العمل

فإننا نقرأ فى بعض النقوش بيانا بالأسلاب التى عاد بها من بلاد « النوبة » ، وفى أخرى أنه صعد بجيشه فى النيل سفيرا ملكيا لقهر العصاة من أهالى « كوش » ثم نراه يظهر بعد ذلك أمام الملك على رأس رجال المجلس الأعلى يقدّم الجزية ثم نشاهد جزية الشمال (آسيا) وجزية الجنوب (بلاد كوش) محمولتين أمامه ، و « حور محب » بين يديه يقدمهما لمولاه .

ولا نزاع فى أن الملك المذكور الذى قدّمت اليه الجزية ، ووقف « حور محب » بين يديه هو الملك « توت عنخ آمون » ، فقد رأينا منظرا مطابقا لهذا المنظر فى مقبرة « حوى » وقد استبدل باسم « حور محب » اسم « حوى » نائب الملك « توت عنخ آمون » فى بلاد « كوش » .

سلطان مصر فى بلاد كوش

تمتد بلاد « كوش » هذه من « نخن » (الكاب الحالية) إلى « نباتا » أو « كاراى » عند الشلال الرابع ، وقد كان « حوى » الذى سبق ذكره نائبا للملك فيها ، وقد أطلق عليه هذا الاسم وهو صغير ، فلما كبر سمى « أمنحتب » وقد برهن الأستاذ « زيته » على صحة ذلك[1] . ولما كانت المناظر التى رسمها فى قبره تكشف لنا عن بعض النواحى المظلمة فى تاريخ هذا العصر وبخاصة عن تعيينه نائبا للملك فى « بلاد كوش » آثرنا أن نعطيها جانبا من الاهتمام . فالمناظر الأولى[2] توضح كيف احتفل بتعيين « حوى » نائبا للملك فى « كوش » ، فنشاهد أوّلا « توت عنخ آمون » جالسا على عرشه وأمامه صفان من الرجال فى جماعات تقوم كل منها بعمل فى ذلك الحفل ، ثم نشاهد موظفا كبيرا يستقبل « حوى » وهو يتقدم نحو الفرعون تحف به طائفة من رجال البلاط ، ونرى هذا الموظف

---

(١) راجع : A. Z., XLIV, P. 89.

(٢) راجع هذه المناظر كلها فى مقبرة « حوى » :
Davies, "The Tomb of Huy" (1926).

الكبير يقدّم إلى « حوى » خاتما من الفرعون رمزا لتعيينه حاكما على القطر الذى يمتد من «نخن» إلى «نباتا» ويقول له : « خذ خاتم وظيفتك يا ابن الملك » وهو اللقب الذى كان يعطاه نائب الملك فى « كوش »، ثم يخرج « حوى » من القصر بعد الحفل بتعيينه فتستقبله أسرته وكبار الموظفين فرحين مهللين ؛ وفى منظر آخر نرى نائب الملك « حوى » منحنيا أمام سيده « توت عنخ آمون» ويقدّم له جزية الأسيويين الذين يحملون اليه الذهب والفضة والآنية الفاخرة والأحجار الثمينة ، وقد كتب فوق صورة « حوى » ما يأتى :

يقول ابن الملك صاحب « كوش » حاكم الأقاليم الجنوبية ، وحامل المروحة على يمين الفرعون : "ليت والدك « آمون » يحفظك لتستقبل أعيادا لا عداد لها ، وليته يمنحك الخلود مالكا للأرضين ، وحاكما لشعوب الأقواس التسعة . إنك « رع » وعنصرك عنصره ، والسماء ملكك وثابتة على عمدها الأربعة ، والأرض تحتك مدحوة ، وذلك بسبب سموك أيها الحاكم الطيب"[1] .

كما كتب فوق الأسيويين : إن رؤساء «رتنو العليا » الذين لم يعرفوا مصر منذ أيام الآلهة يلتمسون الصلح من جلالته ويقولون : "امنحنا نسيم الحياة الذى تهبه أيها السيد ، وسنتكلم عن قوتك الظافرة ، ولا يوجد ثوار بجوارك بل كل أرض فى سكينة" .

وفى منظر آخر قريب من السابق نرى «حوى» نفسه يقدّم جزية بلاد« كوش » التى يتولى أمرها ، وفيما يقدّمه ذهب وفضة وأوانٍ فضية وذهبية وعربة ، ودروع وأثاث، ثم نرى رؤساء « كوش » يقولون :

"الحمد لك يا ملك مصر يا شمس الأقاليم التسعة أعطنا نسيم الحياة الذى تهبه ، حتى نستطيع أن نعيش برضاك الطيب"[2] .

والغريب فى الأمر أن نائب الملك فى « كوش » يقدّم أيضا جزية بلاد « آسيا » مع جزية بلاد النوبة ، ولا توجد له علاقة بآسيا ولا الأسيويين، ولكن مما يخفف حدّة هذه الغرابة أن « حور محب » كان يقدّم أيضا جزية بلاد «آسيا»

---

(١) راجع : Ibid. P. 29.
(٢) راجع : Ibid. P. 24.

و « كوش » فى آن واحد ، وإذا كان « حور محب » وصيا على العرش ، فقد كان «حوى» نائبا للملك ويلقب بابن الملك ، فلا بدّ أن مكانته كانت عظيمة فى البلاط ، وقد لا تقل عن مكانة « حور محب » .

كل هذه المناظر التى سجلناها وفصلناها تدلنا على أن سلطان مصر كان لا يزال ممتدا على بعض أجزاء « آسيا » وبخاصة «فلسطين» ، وأن «لحور محب» وقوته الحربية الفضل كل الفضل فى إنعاش مصر ، وإرجاع ممتلكاتها إليها ، وامتداد سلطانها الذى كان قد تقلص عن آسيا كلها تقريبا فى عهد «إخناتون» ، كما بدأ وهو وصى على العرش يعيد إلى الكنانة الأمن والرخاء فى ظل قوانين عادلة محترمة كما سيجىء بعد .

أعمال توت عنخ آمون السلمية

لقد هال رجال البلاط والقائمين على شئون المملكة فى عهد «توت عنخ آمون» ما انزلقت إليه البلاد من الضعف والفساد فى أيام سلفه فصحت نيتهم على إنهاض البلاد من كبوتها فى الخارج وإنقاذ مرافقها فى الداخل ، فعملوا على أن يعيدوا إليها مجرى الحياة الطبيعية الذى كان قبل عهد « إخناتون » الزائغ عن دينه فى نظرهم ، فأعادوا عبادة الآلهة القدامى وأنقذوا البلاد من الفوضى الدينية المحزنة التى وقعت فيها ، ولذلك يقول « توت عنخ آمون » فى لوحة تذكارية « بالكرنك » يصف حالة البلاد عندما تولى أمرها ويتحدث بجهوده فى إصلاحها وتعميرها :

" لقد وجدت المعابد قاعا صفصفا ، والجيوش المصرية منهزمة فى فينيقية ، والآلهة قد ولت ظهورها للأهلين فى طول البلاد وعرضها ، فلا تسمع نداءهم ولا تستجيب دعاءهم ، ولكننى أصلحت الحال ؛ لأن الإله نفسه قد صوّرنى ، وأرواح «عين شمس» مجتمعة قد سوّتنى ، وإننى ملك رصين مخلد ، وحاكم يعمل لسعادة آبائه الآلهة ، ويسيطر على أرض «حور» (مصر) ، وتنحنى أمامى البلاد الأجنبية وغيرها إجلالا ، وقد أعدت بناء ما هدمته الأزمان الغابرة ، وقضيت على الكذب ودعمت الصدق .

ولقد رسم « توت عنخ آمون » هذه الخطة لنفسه فى جلسة ملكية فى قصر «تحتمس الأول» بطيبة مقر حكمه الجديد ، ولذلك كان أول عمل قام به أنه عظم شأن

الإلهين «آمون طيبة» و «بتاح منف» ، ولم يثنه ذلك عن التفكير فى الآلهة الآخرين ، فقد أرجع عبادتهم فى معابدهم ، ورصد لهم دخلا عظيما ، وبنى لهم سفن الآلهة التى كانت تقام فى عرض النيل لتستعمل فى المحافل ، وعند زيارة إله لآخر ، ونصب لخدمتهم كهانا وخدما من بين عظماء مدنهم ، ممن صح نسبهم ، وثبتت عراقتهم ، بخلاف أولئك الذين رقاهم « إخناتون» وقلدهم هذه الوظائف وهم من سوقة الناس وعامتهم ، كما وهب خزائن هؤلاء الآلهة مالا وفيرا ، ورصد للعابد من غنائم الحرب القينات والعبيد ، وخصص لهـا المغنيات والراقصات لينهضن بالشعائر الدينية التى كان لهنّ دور كبير فيها .

ولم ينس «توت عنخ آمون» أن يعيد مظاهر الدين القديم إلى معبد «الأقصر» فأرجع اسم الإله «آمون» الذى أزاله «اخناتون» وصوره التى محاها من هذا المعبد ومن غيره ، ثم أخذ فى إتمام بنائه بعد الجزء الذى كان والده قد أتم تشييده ، ودون اسمه على الجزء الذى بناه ، وزين جدران قاعة العمد بالمناظر والنقوش التى تصوّر الحفل بعيد رأس السنة الذى كان يقام لآلهة « طيبة » ، وبخاصة لثالوث «طيبة» المؤلف من الإله « آمون » وهو الأب ، والإلهة « موت » وهى الأم ، والإله « خنسو » وهو الابن . (راجع "Ancient Egypt", 1924, Part. III, P. 69.) ولقد أمر « توت عنخ آمون » كذلك بقطع تماثيل ضخمة لنفسه من حجر الكوارتسيت [1] ، تبدو فيها نفس القسمات البادية فى وجوه تماثيله التى نصبها لنفسه فى معبد الكرنك ، وفى غطاء الوجه الذى وجد فى قبره . والظاهر أنه قطع هذه التماثيل الضخمة تحتل مكانها فى معبده الجنازى (وهو معبد كان يقيمه كل فرعون من فراعنة الأسرة الثامنة عشرة على الضفة اليمنى للنيل فى « طيبة » قريبا من مكان دفنه لتقام فيه المراسيم الدينية ، وتقدم القربان فيه) .

(١) راجع : Legrain, "Statues et Statuettes de Rois et Particuliers, "I, Cat. Gen. Musee du Caire, Pls. LVII; A. S., Vol. XXXVIII, P. 24.

ومن الجائز أنه قد وضع تصميم هذا المعبد فى مدينة «هابو» ، ولكن مما يؤسف له أن هذه التماثيل[١] قد اغتصبها لنفسه خلفه الملك[٢] « آى » الذى كان من أكبر أعوانه مدّة حياته ، غير أن ربك بالمرصاد فسقاه من الكأس التى شرب منها « توت عنخ آمون» ؛ فاغتصبها منه بدوره خلفه « حور محب » كما اغتصب كل شىء أقامه سلفاه .

ومن المحقق أن ملكا مثل « توت عنخ آمون » يحكم تسعة أعوام طوال ، ويشيد جانبا كبيرا من معبد الأقصر الهائل ، ويجمع لنفسه أثاثا نفيسا وجد فى قبرة لخليق بأن يبنى لنفسه مقبرة فاخرة تتفق مع جلاله وغناه، تشابه على الأقل تلك التى بناها غيره من الملوك الذين حكموا مدّة تعادل مدّته أو تقل عنها ، ولكنا وجدناه فى مقبرة صغيرة حقيرة لا تتناسب مع الدفين الذى ضمته، ولا مع ما احتوته من فاخر الأثاث، وقناطير الذهب، مما يدل على أن هذه المقبرة ليست له ، وإنما دفن فيها بدافع الضرورة الملجئة، والموت الفجائى ؛ ومما يعزز هذا الرأى أن بعض الأثاث الذى دفن معه كان ضخما ، وكان من العسير أن تتسع له فتحة الباب ، فقاموا بتوسيعها ليسمح بدخول القطع الضخمة من الأثاث أمثال أجزاء المحاريب الكبرى التى وجدت فى هذا القبر، ولقد كان من نتائج هذا الإجراء أن بدا ترتيب المقبرة معكوسا ، فعكست لذلك المحاريب[٣]، واختلفت اتجاهاتها مع الشعائر الدينية، والمعتقدات المعروفة .

ويعتقد العالم « لوكاس » أن هذا القبر كان فى الأصل للكاهن « آى » صاحب الكلمة العليا فى « طيبة » من عهد « توت عنخ آمون » ، وليس معنى هذا أن

---

(١) راجع : Holscher, "Madinet Habu (Morgenland) Vol. XXIV, Pl. 14, fig. 33.

(٢) راجع : Holscher, "The Uuiversity of Chicago Oriental Institute" (ed. Breasted)' I, Pl. 33.

(٣) راجع : A. S., Vol. XL, Pls. XXI, XXII.

« توت عنخ آمون » لم يفكر فى بناء مثوى له يضم رفاته بعد مماته ، ولم يتخذ العدّة لنحت قبر يتفق مع مكانة صاحبه وجلاله ؛ بل تدل شواهد الأحوال على أنه قد أخذ فعلا فى نحت مقبرة له فى وادى الملوك ، وهى تلك التى وجد عليها اسم « آى » ممحوًا ، ولكنه ما كان يتعجل الأمر ، وهو لا يزال غض الشباب طرى الإهاب ، فقد تولى ملكه فى العاشرة أو الحادية عشرة من عمره فما الذى يتعجله وهو ما برح فى مقتبل السن ، ينتظره العمر الطويل ، والحياة الحافلة ، وما دام قد أعدّ كل أثاثه الجنازى فأى داع يضطره الى الإسراع فى بناء القبر ، والشقة بينهما طويلة الأجل ، ولكن الموت كان على قيد خطوة منه ، فاهتصر عوده اللدن وهو فى ميعة الشباب ، ودالة الصبا ، فمات بعد حكم تسع سنوات حافلات ، ولا ندرى أى ميتة لاقاها؟ أمات حتف أنفه على فراشه أم انتزعت حياته بفعل وغد أثيم ، ولكن الذى ندريه أن التاريخ قد أسدل ستارا كثيفا على هذه المأساه ، وقد يتبدّد هذا الستار بفضل كشف جديد فى « وادى المـلوك » أو بردية مطوية فى جوف الأرض توفقنا إلى ملاقاتها الأقدار .

والآن نضع هنا أمام القارئ ترجمة حرفية لوحة « توت عنخ آمون » وهى تصف لنا أحوال البلاد التى كانت عليها قبل توليه الملك والأعمال التى قام بها ، وقد اغتصبها « حور محب » عند توليته العرش لاعتقاده أنه هو الذى قام بكل ما جاء عليها من أعمال عظيمة .

لوحة إصلاح توت عنخ آمون

(١) فى السنة ... ... الشهر الرابع من فصل الفيضان اليوم التاسع عشر فى عهد جلالة « حور » الثور القوى — الجيل الولادة ؛ السيدتان [١] ، — صاحب القوانين الطيبة ، ومن يهدئ الأرضـين ، حور الذهبى — صاحب التيجان الرفيعة ، مرضى الآلهـة ، ملك الوجه القبـلى والبحرى — نب خبرو رع ، ابن الشمس — « توت عنخ آمون » ، حاكم « أرمنت » — معطى الحياة مثل رع أبد الآبدين .

---

(١) أى إلهتى الوجه القبلى والوجه البحرى : « نخبت » و « وازيت » .

(٢) محبوب آمون ، رب عروش الأرضين وسـيد « إبت إسوت » (الكرنك) « وأتوم » رب الأرضين «وعين شمس» ، و « رع-حور اختى » ، و « بتاح جنوبى جداره » وسيد «عنخ تاوى» (اسم حى فى منف)، «وتحوت» سيد كلام الإله ، وهو الذى يظهر على عرش حور الأحياء مثل والده «رع» كل يوم ، والإله الطيب ابن «آمون» ، وصورة « كفيس » (ثور أمه) والبذرة الفاخرة ، والنسل الجليل ، وسليل «آمون» نفسه ، [والد الأرضين ؟ ،] والمصوّر مصوّره ، وخالق خالقه ، والذى يجتمع من أجله أرواح «عين شمس» لأجل أن يهيأ ليكون ملكاً أبديا مثل «أبدية حور» الخالد ، الحاكم الطيب الذى يعمل أشياء نافعة لوالده ، ولكل الآلهة ، وهو الذى جعل ما كان قد خرب صالحا بمثابة أثر خالد ، مدى الدهر ، وقضى على الأعمال الخاطئـة فى كل الأرضين ، ووطـد الحق ، وجعل الكذب ممقوتا فى البلاد كما كان فى بادئ أمرها . وعندما أشرق جلالته الآن ملكا كانت معابد الآلهة ، والإلهات من بداية «الفنتين» حتى مناقع الدلتا ... ... قد أهمل شأنها ، إذ قـد أصبحت محاريبها خاوية ، وصارت أراضى تغشاها أعشاب كا [ث ؟] ومعابدهم أصبحت كأن لم تغن بالأمس ، وحجراتهـم كانت طرقا معبدة ، والبلاد كانت فى ارتباك ، وهجرت الآلهة هـذه الأرض ، وإذا أرسل جيش (؟) الى « زاهى ليمـد من حدود مصر لم ينل أى نجاح قط . وإذا دعا الله إنسان ليطلب اليه حاجة ، فانه لا يأتى اليه بأية حال ، وإذا تضرع إنسان لآلهة فانها كذلك لا تجيب تضرعه بأية حال ، لأن قلوبهم كانت ضعيفة من نفسها بالغضب ، فخربوا ما كان قد عمل .

وبعد أن مضت بضعة أيام على ذلك ظهر جلالتـه على عرش والده فحـكم ممالك «حور» ، وكانت الأرض السوداء والأرض الحمراء تحت سلطانه وكل بلد كانت تخضع لقوته .

انظر ! لقد كان جلالته فى قصره فى ضيعة «عا خبر كارع» (تحتمس الأول) (ذكر هذا المكان كذلك فى لوحة « آى » فى السنة الثالثة من حكمه . على أن الأهميـة التى يظهر بها « بتاح » هنا وذكر « عنخ تاوى » على هذه اللوحة من البراهين التى تدل على أن هذا المتن كتب فى «منف» أى أنها العاصمة وقتئذ كما يدّعى البعض، ولكن الحقيقة أنها كانت فى « طيبـة ») مثل « رع » فى السموات ، وكان جلالته يحكم هذه الأرض ، ويدير حركة شاطئ النهـر يوميا وبعد ذلك استشار الملك قلبه منقبا عن كل فرصـة ممتازة ، باحثا وراء ما يفيد والده « آمون » فيصنع تمثاله الفاخر من الذهب الخالص الجميل ، وأضاف الى ما كان قـد عمل له فيما سلف من الأزمان ، إذ نحت تمثال والده « آمون » ليحمل على ثلاثة عشر قضيبا ، أما تمثاله المقـدّس فصنع من الذهب الخالص الجميل ، واللازورد ، والفيروز ، ومن كل ماندر وغلا ثمنـه من الأحجار ، فى حين أنه فى الأزمان السالفة كان تمثال جلالة إلهه الفاخر يحمل على أحد عشر قضيبا ، وكذلك صنع تمثالا

للاله «بتاح القاطن جنوبى جداره» رب «عنخ تاوى» ، وكان تمثاله الفخم من الذهب الجميل [يحمل على أحد عشر قضيبا] وتمثاله المقدّس صيغ من الذهب الخالص واللازورد والفيروز ، فى حين أن جلالة هذا الإله الفخم كان يحمل على ستة قضبان ، وكذلك صنع جلالته آثارا للآلهة ، فصاغ تماثيله من الذهب الخالص من أحسن مافى الأراضى الأجنبية . وأعاد بناء معابدهم لتكون آثارا خالدة على الدهر ، ومنحها أملاكا إلى الأبد . وأسس لهم عطايا مقدّسة لتكون قربانا يوميا دائما ، وأمدّهم بقرابين من الطعام على الأرض . وأضاف الى ما كان لهم فى سالف الزمن . ففاق فى ذلك ما كان قد عمل منذ عهد أجداده . وعين كهانا وسدنة وخدام الإله من أبناء أشراف البـلاد ، وكان كل ابن رجل مشهور واسمه معروفا ؛ وقد ضاعف ثروتهم بالذهب والفضة ، والشبه ، والنحاس ، ومقادير لا حصر لها من كل الأشياء ، وملأ مخازنهم بالعبيد رجالا ونساء ، وذلك من ثمرة ما سلبه جلالته ، وتضاعفت كل ممتلكات المعابد فصارت ثلاث ورباع من الفضة والذهب واللازورد ، والفيروز ، وكل الأحجـار النادرة الغالية ، والكتان الملكى ، والنسيج الأبيض ، والكتان الرفيع ، وزيت الزيتون والصمغ والشحم [... ...] والعطـور وبخور « أهمت » «والمر» : مما لا يدخل تحت حصر من كل الأشياء الطيبة ؛ وقد صنع جلالته (له الحياة والفلاح والعافية) سفنهم التى تجرى على النهر من خشب الأرز الجديد ، وهو أحسن ما ينمو على منحدرات الجبال ، ونخبة بلاد «نجاو» (مكان بالقرب من جنوب «ببلوص») وغشى بالذهب ، وهو أحسن ما تنتجه البلاد الأجنبية ، وهى تضئ النهر . وقـد خصص جلالته « له الحيـاة والصحة والعافية » لها عبيدا وإماء ، ومغنـين وراقصات ممن كانوا خدما فى بيت الفرعون ، وكانت أجورهم تدفع من ... ... قصر رب الأرضين ، وقد قت بحمايتهم وحفظهم لآباء كل الآلهة وذلك رغبة منى فى إرضائهم بعمـل ما تحبه نفوسهم حتى يحفظوا « تامرى » (مصر) ، وأصبحت الآلهة والإلهات التى فى هذه الأرض قلوبهم فرحة وأصحاب المحاريب مبتهجين ، والأراضى فى أعيـاد تقيم الأفراح ، والسرور منتشر فى كل الأرض بعـد أن أصبحت حالة البـلاد مرضية .

وتاسوع الآلهة الذين فى معابدهم كانوا يرفعون أيديهم تعبدا ، وهى مفعمة بالأعياد الأبدية الخالدة وكل ما معهم من الحياة والفلاح قد أعطيه أنف «حور» الذى ولد ثانية (يشير إلى عيد سد) الابن المحبوب من [والده « آمون رع » سيد عرش الأرضين] ؛ وقد سوّاه (أى آمون) حتى يسـوّى هو نفسه ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «نب خبرو رع» محبوب «آمون» ومحبه ، وبكر أولاده الحقيق ، ومن يحمى الوالد الذى سواه حتى يكون مسيطرا على ملوك كل البلاد ، ابن الشمس «توت عنخ آمون» حاكم «أرمنت» . وهو ابن نافع لمن برأه ، غنى الآثار ، ثرى فى معجزاته ، ومن يقيم الآثار بقلب نقى لوالده « آمون » ، جميل الولادة ملك [تسلم التيجان فى «خميس» (المكان الذى وضعت فيه إيزيس «حور») ، فى هذا اليوم

(يوم تتويجه) كان الواحد (الفرعون) فى قصره الجميل فى ضيعة المرحوم (عا — خبرو — رع) . تأمل ! إن جلالته (أى آمون) (له الحياة والفلاح والصحة) قد تصبى ثانية ، ومن يقبض (أى على تاج الملك) قد أسرع من تلقاء نفسه (أى أسرع بنفسه للملك) ، وقد سواه «خنوم» عظيما ؟ ... فكان قوى الساعد ، عظيم القوة ممتازا على الشجعان ، عظيم البطش مثل ابن [نوت ...] ، قوى الساعد مثل «حور» ، ولا يوجد من يضارعه بين الأقوياء فى الأراضى قاطبة ، وإنه يعرف مثل «رع» والذى ... مثل «بتاح» والذى يفهم مثل «تحوت» ، والذى يسن القوانين الممتازة ، والذى يأمر [...] المتفوق فى نطقه . ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين ، ورب الشعائر ، والرب القوى الساعد «نب خبرو رع» الذى يرضى الآلهة ، ابن «رع» محبوبة من جسده ، وسيد كل أرض أجنبية ، ورب التيجان «توت عنخ آمون» حاكم «أرمنت» معطى الحياة والثبات والفلاح مثل «رع» أبد الآبدين (١) .

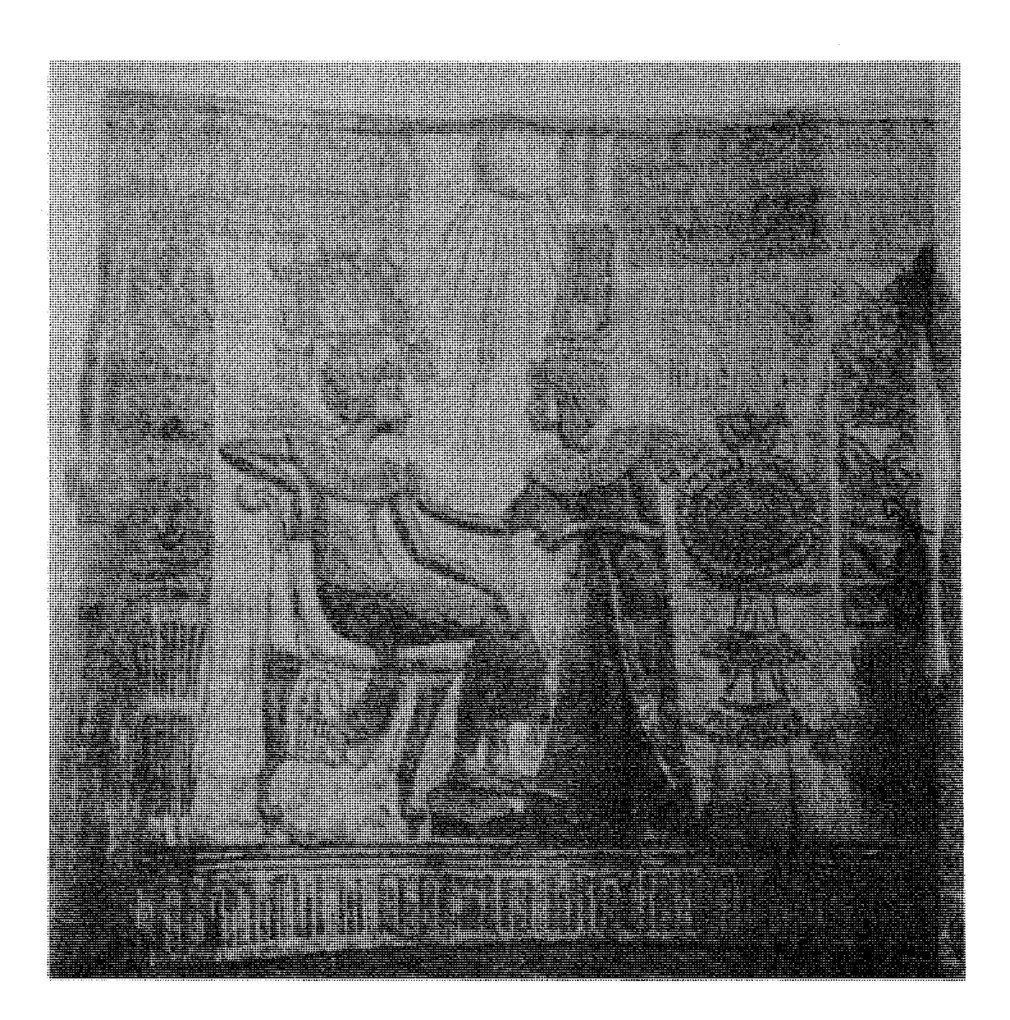
ولا نزاع فى أن نقوش هذه اللوحة تقدّم لنا صورة صادقة عن حالة البلاد وما كانت عليه معابد الآلهة ومحاريبهم فى طول البلاد وعرضها فى الفترة التى حكم فيها «إخناتون» ، إذ كان ينعق فيها البوم الغربان ، وأصبحت مأوى للحشرات ومرتعا للسائمة خاوية على عروشها لا يأوى إليها إنسان بعد أن كانت تزخر بالثراء وعامرة بالأعياد التى كانت تقام فيها ، والمحافل التى كانت لا تنفك تترى فى عرصاتها تؤمها الوفود من كل أرجاء العالم .

حياة توت عنخ آمون الخاصة من آثاره

ليس فى مقدور التاريخ أن يصدر حكما سليما على هذا الشاب ، فقد تولى أمر بلاده فى بداية العقد الثانى من عمره ، وتوفى ولما يبلغ ختام هذا العقد ، وهو غير مسئول بداهة عن الأعمال التى تمت فى مستهل حكمه ، إذ كان قاصرا ، ولم يكن له من الأمر شىء ، بل كان فى الواقع لعبة يتقاذفها الكاهن «آى» والقائد «حور محب» ، يتلقفها هذا مرة وذاك أخرى ، واستكانت اللعبة أخيرا فى يد القائد «حور محب» الذى سيطر على شئون الدولة ، وهيمن على كل مرفق داخل البلاد وخارجها ؛ فهذان اللاعبان اللذان تناوبا أمور البلاد فى هذه الفترة هما المسئولان عما جرى فيها ، ولقد كان من سوء طالع التاريخ أو من سوء طالع أمير البلاد الصغير أن القدر

(١) راجع : J. E. A., Vol. XXV, P. 8 ff.

لم يمهله حينما قارب النضوج ، وأخذ يدب فيه روح الرجولة ، فاختفى بغتة من مسرح الحياة دون أن يترك لنا كلمة عن حياته ونشأته ، ومراميه التي كان يهدف إلى تحقيقها ، وهو على سرير الملك ، ولكنه ترك لنا في الصور التي أمر بنقشها على أثاثه الجنازي ما يكاد يغني عن الكتب المخطوطة ، والوثائق المسطورة ، فعرفنا منها ميوله وأخلاقه ، وكثيرا عن حياته الخاصة إذا كان فعلا يقصد ما صوره .



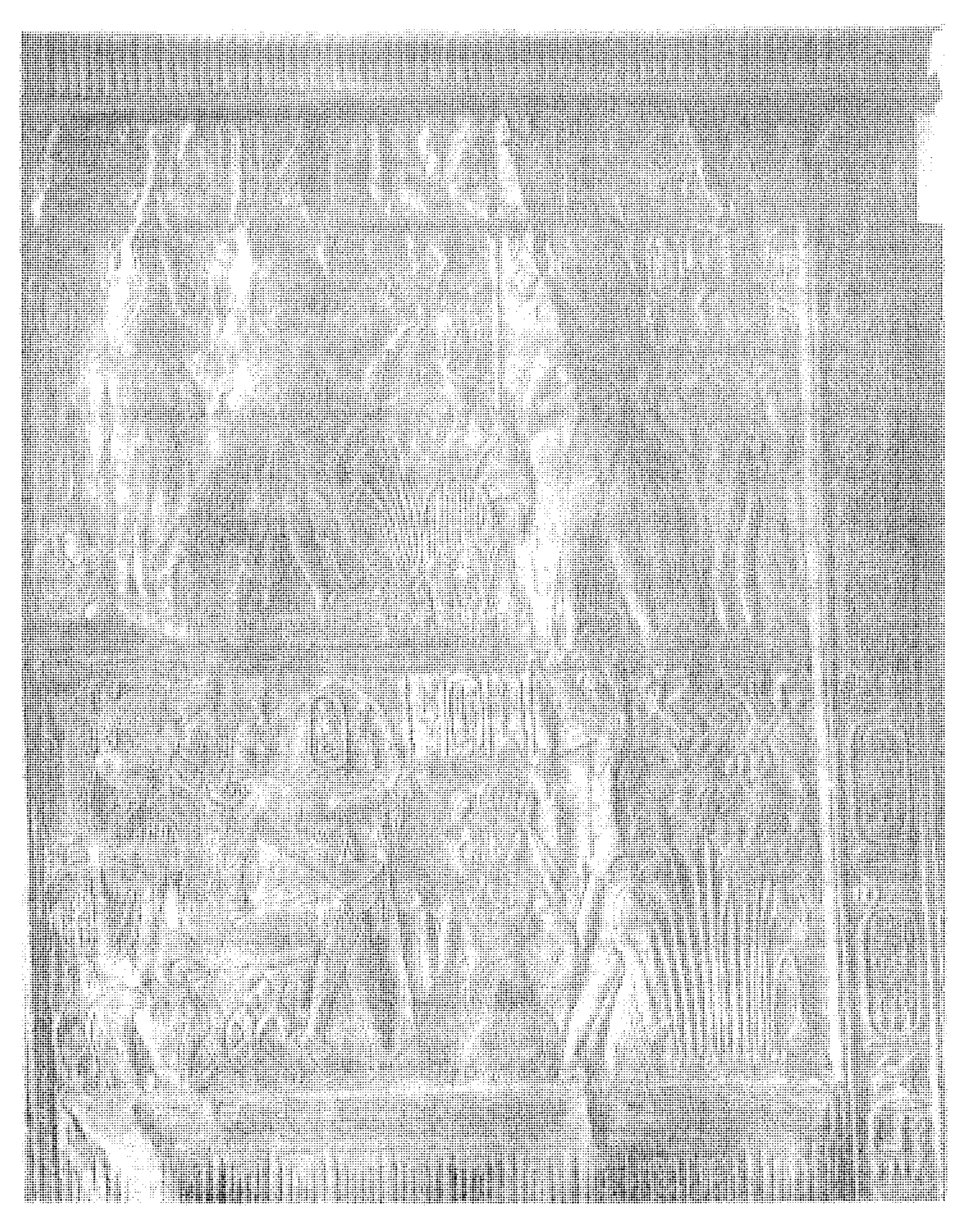
الصورة رقم (٢٠)

وإن من ينعم النظر فى تلك الصـور التى خلفها لنا « توت عنخ آمون » على آثاره ليؤمن بمام الإيمان بأن المصوّر المفتن لا يقل قدره عن إبراز أفكاره للناس من الكاتب اللبق . ترينا هذه الصور الناطقة مواقف « لتوت عنخ آمـون » تفيض بسالة وإقداما ، وأخرى تتـدفق حبا وحنانا ، تلمس فيها عاطفة العاشق ، ووله الزوجة المغرمة الوفيـة ، وبأس الملك الصغير الشهم ، تلمس فى تلك الصور حياة وحركة وقوة على التعبير تجعلك حائرا مشـدوها ، فهنا الملكة الشابة « عنخس إن آمون » تحسس بيدها صـدر زوجها الشاب تعطر ما أحاط به ثياب ، وتعـدّل ما شذ عن معيار الهندمة والتنسيق من ملابسه ، فى رفق وحنان وإعجاب ، حتى لا يغادر بعلها حجرته الخاصـة ليرأس اجتماع مجلس البـلاط ، إلا فى أتم زينـة وأجمل رونق[(١)] (انظر الصورة رقم ٢٠) .

ويظهر أنه كان سعيدا بحياته الزوجية فنراه ممثـلا على محرابه الذهبى ، ومعه شبله الصغير وزوجته المحبـوبة فى رياضة خلوية ممتعة ، يحمل فيها قوسه ونشابه ، ويلهو بصيد الوز البرى (انظر الصورة رقم ٢١) ، وزوجه الجميـلة تجلس أمامه على أديم الأرض تناوله بإحدى يديها سهما وتشير بالأخرى إلى وزة سمينة قد حطت على سوق البردى اليانع[(٢)]، وكأنها تقول لزوجها : "البدار يا زوجى المحبوب، فهذا صيد سمين ساقه الله إليك، فسدد نحوه رميتك تشبع رغبتك، وتكسب جولتك".
كما نرى على نفس المحراب هذه الزوجة الشابة تقدّم لقسيمها فى الحياة يانع الأزهار، وجميل القلائد، وتطوّق جيده بما يزينه من ملبس . وفى موقف آخر بدت الملكة تصحب « توت عنخ آمون » فى نزهة أخرى لصـيد الطيور ، يقضيها فى قارب[(٣)] من سـيقان البردى ، وقد استند ذراعه عليها كأنها تعينه على احتمال مهام الدولة التى

---

(١) راجع : Carter, "The Tomb of Tutankhamon", Vol. I, Pl. II.
(٢) راجع : Carter: "The Tomb of Tutankhamon", Vol. II. Pl. I. b.
(٣) راجع : Ibid, PP. 14-15.



الصورة رقم (٢١) توت عنخ آمون مع زوجه فى أوضاع مختلفة للصيد والتنزه

أنهكته . وقد رأينا فى صورة جميـلة ما يدل على ذلك الحب العميق الذى غرسه الله فى قلب هـذين الزوجين المتحابين ، فها هما ذان الزوجان يجلسان فى حجرتهما الخاصة فى جلســة أسرية هنيئة ، وها هو ذا الزوج يعـبر عن عاطفة نحو زوجته فيصب فى راحتها قدرا من العطر[1] الذكى الغالى .

فأى شيء يترجم عن هذه العواطف المشبوبة بين الزوجين أكثر من هذه المناظر التى استعرضناها (أنظر الصورة رقم ٢١) . وقد دلتنا تلك الصور وغيرها مما رأيناه على أنه كان يغرم بالصـيد ، ولعل ذلك قد نسـل إليه بالوراثة فآباؤه وأجداده ملوك الأسرة الثامنة عشرة لهم قدم سابقة فى هذا المضمار ، بل كانت هـذه الهواية موضع المناقشة بين هؤلاء الفراعنة ، وكان كل منهم يحرص أشدّ الحرص على تسجيل مغامراته فى هذا المضمار على ما خلفه من الآثار ، وبخاصة «أمنحتب الثالث» الذى أنفق جزءا عظيما من وقته فى صيد الأسود والظباء ومن قبله « تحتمس الثالث » ، وابنـه « أمنحتب الثانى » ، وقـد أسهبنا القول فى مناقبهما فى هـذا المضمار ؛ « فتوت عنخ آمون » لم يند عما كان عليه أسـلافه من الإغرام بالصيد والمباهاة بالتبريز فيه ، فنشاهده فى بعض نقوشه التى خلفها على مقبض[2] مروحته التى وجدت معه فى قبره خارجا من « منف » ليصيد النعام من صحراء « عين شمس » وليصنع من ريش ما يصطاده مروحة تعجبه ، ثم نراه فى نقش آخر على نفس المقبض ، وقد عاد من رحلته مظفرا منصورا يحمـل تحت إبطه ريش النعام ، وخلفه أتباعه يحملون صيـده المؤلف من نعامتين ، ويظهر أن ذلك الريش الذى تأبطه هو الذى صنعت منه تلك المروحة التى صاحبته فى قبره .

وقد وجدنا « توت عنخ آمون » فى بعض نقوش يمتزن على الصيد ، ومعه مجموعة من أدواته[3] وقد رصع بعضها بالأحجار الكريمة ، وغطى بصفائح من الذهب

---

(١) راجع : Ibid, Pl. I. a. (٢) راجع : Ibid. Pl. LXII.

(٣) راجع : Carter, Ibip. P. 15.

المطرز، ويدل حجم هذه الأدوات الصغير على أن الفرعون كان يستعملها منذ نعومة أظفاره ، وقد طغى إغرامه بالصيد على كل ما عداه ، فصوّر على قراب خنجره الذهبي الجميل وعلى قارورة[1] عطوره ثيرانا وأسودا وظباء ، وأرانب برية ، وكلاب صيد، ويظهر أنه كان لهذه الأخيرة شأن كبير فى هذه الرياضة ، إذ لا يكاد يخلو منها منظر من مناظر صيده التى سجلها على آثاره .

ولقد كانت صحراء « رستاو » التى تشمل « منف » و « الجيزة » وأرباضهما ، وبخاصة وادى الغزال تزخر بحيوان الصيد، فكان انتقال « توت عنخ آمون » إلى « منف » أحيانا فرصــة مكنته من إشباع رغبته ، كما كان من قبله ملوك الأسرة الثامنة عشرة يفدون إلى هذه المعالم على كل ضامر من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم فيصطادوا ويؤدّوا مناسك الحج لهذا الإله العتيق الرابض فى صحراء الجيزة «حور ام — أختى » (حور الأفق) الذى كان يمثــل إله الشمس « بو لهول »، وكان كل فرعون يحرص على أن يسجل هذه الزيارة الميمونة لهــذا المعبود العظيم عنــد توليته الملك، فيضع أثرا يخلد به ذكرى هذا الحج المبرور . ومن الذين حجوا إلى هذا المشعر المقدّس ، وسجلوا تأديتهم لهذه الشعيرة الدينية « أمنمس بن تحتمس الأول» ، وهو أوّل من سنّ هذه البدعة على ما نعلم، ثم «تحتمس الثالث» وابنه « أمنحتب الثانى »، ثم « تحتمس الرابع» ثم « أمنحتب الثالث» ثم بطلنا «توت عنخ آمون» ، فلم يمنعه صغر ســنه أن يؤدّى مناســك الحج ، ويصطاد فى حماه فى وادى الغــزال ويترك لنا لوحة تذكارية عثرنا على جزء منها فى حفائر الجامعة المصرية سنة ١٩٣٦، وقد بدا فيها « توت عنخ آمون » وزوجه « عنخس — ان — آمون » يتعبدان «لبو لهول» ، وقد محى من اللوحة صورة « بو لهول » وهشم جزء من اسم الملك كما محى اسم الملكة ، وشوّه وجهاهما ، ولا يبعد أن يكون هذا فعل بعض المتعصبين لعبادة « آتون » .

---

(١) راجع : Steindorff, "Die Kunsi der Agypter", PP. 305 and 273 ; Carter, Ibid, Pls. L, LI.

وقد ترك لنا « توت عنخ آمون » فى هذه المنطقة أثرا آخر وهو نزل من اللبن فى الجنوب الغربى من معبد الوادى ، و بابه من الحجر الأبيض ، وقد كتب عليه اسم « بو الهول » ثم اسم الملك ثم اسم الملكة ، ولكن اسم « توت عنخ آمون » قد غطى بطبقة من الملاط بأمر «رعمسيس الثانى» الذى نقش اسمه مكانه كما كانت عادته فى اغتصاب الآثار .

ومما يستحق التنو يه عنه هنا أن اسم « بو لهول » قد نقش على هذا الباب ، وأوّل ظهوره على الآثار المصرية المعروفة كان فى عهد « أمنحتب الثانى » وقد نقش بلفظ « حولنا » مما يدل على أن المستعمرين من أهل فلسطين الذين استوطنوا هذه المنطقة ، قبل عهد «توت عنخ آمون» كانوا قد بدءوا فى عبادة معبودهم «حولنا» أو « حول » وهو اسم إله الكنعانيين الذى يشبه « حور اختى » وهو اسم « بو لهول » الأصلى ، ومن ثم اشتق اسم « بو لهول » (فلفظ « بو » معناها (مكان، و « حول» أى المعبود حول) .

ومن الجائز أن هذا البناء وما حوله من الأبنية كان ديرا للكهنة ، واستراحة لرواد الصحراء الصائدين .

على أن النزل الذى كان يأوى إليه « توت عنخ آمون » بعد صيده كان مجهزا بحمام يأوى إليه مليكنا الشاب ليغتسل و يزيل آثار وعثاء المطاردة والصيد، و يعطى جسمه حقه من النظافة والاستجمام، بعد هذه الرياضة الشاقة فى تلك الصحراوات الرملية الحارّة . هذا وقد نقل بناء هذا الحمام بهيئته التى كان عليها إلى جهة أخرى بجوار الهرم الثانى ليحفظ هناك تذكارا من آثار هذا الشاب .

وإذا كان «توت عنخ آمون» مغرما هذا الإغرام بصيد الحيوان وطرده فلا بدّ أن يكون شجاعا جريئا ، وقد رأينا قطعة من الحجر الجيرى أمام مقبرة هذا الفرعون تؤكد لنا هذه الشجاعة الفائقة ظهر فيها هذا الملك يطعن بحربته أسدا[1] ضاريا طعنة

(١) راجع : Carter, Ibid, Pl. II.

نجلاء ، ويساعده فى مهمته كلبه الأمين ، والصورة تمتاز بقدرتها على تمثيل حركات الطعن تمثيلا رائعا ، وفيها من الحياة والحركة ما يعجب ويغسرب ، والعثور عليها أمام قبره كان بشيرا بما يحويه ذلك القبر من ذخائر الفن والتراث المجيد ، وقد صدقت البشرى ووجد القبر عامرا بكل تليد . فهـذا صندوق[1] صغير من الخشب المطلى ، وعلى وجوهه سلسلة من المناظر الملونة البديعة ، وهذا غطاؤه المحدب يزدان بمناظر صـيد مختلفة وبخاصة صـيد الأسود (أنظر اللوحة رقم ٢٢) ، وهـذه جوانبه ملأى برسـوم الوقائع الحربية يقاتل فيها « توت عنخ آمون » وحاشيتـه قتالا عنيفا ، ويرى على طرفى الصـندوق مليكنا فى صـورة أسد يدوس الأعداء بقدميـــه .

ولا نزاع فى أن الخيال وقوة التأثير والحياة التى ظهرت فى هذه المناظر تفوق حدّ المألوف بل ليس لها نظائر فى الفن المصرى ، وإن كانت لا تخـلو أحيانا من المبالغة ، فقد جاء فى بعضها صورة الملك النحيل وقد بدا فيها عملاقا ضخما حتى يتفق ذلك مع مانسب إليه من عمل جبار ، كما رأينا فى بعضها الآخر مليكنا يصوب سهامه من عربتـه فلا يكاد يصل إلى الأعداء حتى يحدث فى صفوفهم الرعب والفزع ، وتتساقط القتلى ، ويتلاحق الصرعى ، وتحل بالقوم الهزيمة ، كما رأينا من مناظر الصيد ما يدل على قسوته ، فنراه يطارد الحيوان على عربته التى تجرها الجياد المطهمة فى غير هوادة ، ونرى قطعانا تطلق لساقيها العنان هربا من سهامه الفتاكة ، وهو يلاحقها فى غير إشـفاق حتى يودى بحياتها أو يتركها تعانى الآلام وهى مضرجة بدمائها والسهام لا تزال عالقة بأجسامها .

على أن هذه الصرامة فى المعاملة لم تكن مسيطرة على خلقـه بل كانت له نواح أخرى أظهرنا جوانب منها تدل على رقة القلب ودماثة الطبع .

---

(١) راجع : Carter, Ibid. I, Pls. L – LIII, see also Pl. III.



صورة رقم (٢٢) توت عنخ آمون يصطاد الأسود

وقــد دل الفحص الطبي لجسمه[1] على أنه كان نحيل القوام عظيم الرأس تشبه ملامحه وجوه تماثيله التي عثر عليها في « الكرنك » ، كما أن في تركيب بعض أعضائه مايتفق مع أخيه « اخناتون » .

وبعد فهذا قل من كثر من تاريخ هذا الشاب العظيم ، وإنا لنعلق كثيرا من آمالنا في معرفة ما تخفى من تاريخ هذا الشاب على معول رجال الآثار ، وإن كانت تلك البوادر التي كشفناها وحققناها تدل على أن هذا الفتى الصغير كان شهما ، وقد خلد للبلاد مجــدا فنيا عظيما ، ولو كان القدر قد أمهله لأرانا كثيرا من عظمته ، فخايله في صباه كانت تبشر بمــا ننتظر منه في كهولته وشيخوخته .

وإذا رأيت من الهــلال نموه   أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

الموظفون في عهد الفرعون سمنخكارع وتوت عنخ آمون

« بـا ــ واح » أعظم الرائين : ليس لدينا معلومات تذكر عن الموظفين في عهد هذا الفرعون ، وذلك لا يدهشنا لأنه عندما تولى « سمنخكارع » عرش الملك منفردا كانت الامبراطورية المصرية آيلة للسقوط والتمزق السريع ، هــذا فضلا عن أنه لم يمكث على عرش الملك إلا فترة قصيرة ، وبطبيعة الحال لدينا بعض آثار خاصة قليلة ترجع إلى عهده ، ولا نزاع في أنه أبقى على معظم الموظفين الذين كانوا في خدمة سلفه ، وإذا كان قد أظهر رغبة في العودة إلى اعتناق مذهب « آمون » فإن هــؤلاء العظماء الذين كانوا في ركابه لن يتأخروا طرفة عين عن اقتفاء أثره عن طيب خاطر ولو ظاهرا ، وبخاصة إذا علمنا أن ديانة « آتون » كانت قد فرضت على بعضهم فرضا ، وبكار الموظفين على دين ملوكهم ، وعبيد لتنفيذ رغباتهم ، حتى نبذ دينهم إرضاء لهم .

---

(١) راجع : Ibid. II, PP. 143 ff.

ولدينا إطار من الحجر الجيرى لأحد بيوت « إخناتون » ويحمل اسم فرد يدعى « با — واح » وكان ضمن موظفى « اخناتون » ويحمل لقب « أعظم الرائين للإله « آتون » فى معبد « رع » ، ويحتمل أن هذا الرجل هو نفس الكاهن الذى كان يحمل الألقاب التالية فى « طيبة » فى عهد « سمنخكارع » فى السنة الثالثة من حكمه وهى : الكاهن المطهر وكاتب القرابين المقدسة للإله «آمون» فى بيت «عنخ خبرو رع» فى « طيبة » ، وإذا حكمنا بالكلمات المؤثرة التى نقشت من أجله على جدران قاعة « بايرى »[1] فى جبانة « شيخ عبــد القرنة » (رقم ١٣٩) فإنها تدل على أن رجوع « با واح » إلى عبادة « آمون » كان رائده الإخلاص . والظاهر أن هذا التعس قد أصابه العمى . وهذه المصيبة ربما عزاها إلى غضب « آمون » عليه ، ولذلك كان يعتقد أنه هو الذى فى استطاعته أن ينجيه منها ، وهذا المتن كان قد نقشه فى الواقع أخوه الرسام « باثاى » وهو :

السنة الثالثة[2] ، الشهر الثالث من فصل الفيضان اليوم العاشر من حكم ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «عنخ خبرو رع» محبوب «نفر خبرو رع» ابن الشمس ، «نفر نفرو آتون» محبوب «رع — ن — رع ؟ يقدم الثناء « لآمون » والخضوع أمام « ونفر » من الكاهن المطهر ، وكاتب القرابين المقدســة « لآمون » فى بيت « عنخ خبرو » فى « طيبة » « باواح » الذى وضعته « اتف سنب » يقول : إن قلبى يتوق لرؤياك أنت يارب شجر شاواب عند ما تأخذ حنجرتك ريح الشمال . وإنك تعطى الشبع بدون أكل ، والرى بدون شرب . إن قلبى لفرح يا « آمــون » يا ناصر الفقير ، وإنك والد من لا أم له ، وزوج الأرمــل ، والنطق باسمك محبب ، وإنه مثل طعم الحياة ، وإنه مثل طعم الخبز للطفل ، والكساء للعريان ، وإنك مثل طعم ... ... خشب فى فصل الحرارة ، وإنك مثل ... ... مع ... ... نفس الحرية إلى رجل كان فى السجن ، وإنه لآمن ... ... رجل الفضيلة ، التفت إلينا يارب الأبدية ، وإنك كنت هنا قبــل أن يوجد أى شىء فى الوجود ، وإنك هنا عنــد ما يكونون ... ... وإنك تجعلنى أرى ظلاما من عطيتك ، أضىء لى حتى أراك (؟) ، وإنى أستحلفك بقدر بقاء روحك ، وبقدر بقاء وجهك الجميل أن

---

(١) راجع : Le Tombeau de Pare in Mem. Miss.Arch. Fr. V, 581-90.

(٢) راجع : Stela in Brit. Mus. 1182, Hiero. Texts From Egyptian Stela Pt. VII, Pl. 7.

تأتى من بعيد ، وتجعل خادمك الكاتب « با واح » يستطيع أن يرى ، وأعطه بقاء « رع » ! حقا إن عبادتك حسنة . يآمون ، أنت يا من البحث عنه عظيم إذا كان فى الامكان الوصول إليه . ابعد الخوف وضع الفرح فى قلوب الناس ، وإن القوم الذين يرونك لفى سرور « يآمون » ، وإنه لفى عيد كل يوم . إلى روح « كا » الكاهن المطهر، وكاتب معبد « آمون » فى بيت « عنخ خبرو رع » « با واح » الذى وضعته « إتف سنب » . إلى روحك (كا) إمض يوما سعيدا فى وسط زملائك من أهل بلدتك ! (نقشه) أخوه الرسام « باتاى » التابع لبيت « عنخ خبرو رع » .

وهـذا مثل من الأدعية والتضرعات التى أصبحت فيما بعـد ذائعة فى جبانة « طيبة » ، وهى التى نرى فيها روح التقى والورع والتقرب من الآلهـة ، ولم تكن معروفة قبل ذلك العهد .

الموظفون فى عهد توت عنخ آمون

«حوى» : من أبرز الرجال الذين عاشوا فى عهد «توت عنخ آمون» حاكم السودان «حوى» وقد تكلمنا عنه فى مكانه (راجع ص ١٦٨) (راجع Davies & Gardener, The Tomb of Huy) .

« معى » : كاتب مالية بيت «توت عنخ آمون» : وجدت له لوحة فى معبد الملك «سحو رع» أحد ملوك الأسرة الخامسة فى « بوصير» وكانت مهداة للإلهة « سخمت » قدمها موظف يدعى « معى » وكان يشغل وظيفة خادم الإله « بتاح » وخادم الإلهة « سخمت » وكاتب مالية بيت « توت عنخ آمون » ولا بدّ أن قبر هذا الموظف كان فى هـذه الجهة ، أو أنه قدّم هذه اللوحة تقربا لهذين الإلهين فى هذه الجهة (راجع Borchardt Sahure Vol. I, Pl. 121, 122.) .

« باسر » بن « حوى » المشرف على الخيل : كان « باسر » أحد أبناء « حوى » نائب بلاد « كوش » فى عهد « توت عنخ آمون » وقـد تقلد وظيفة المشرف على الخيل وكانت ضمن الوظائف الرفيعة الشأن فى الدولة فى ذلك العهد ، وقد ظهر فى رسوم قبر والده، ويحتمل أنه هو الذى أصبح فيما بعد نائب «كوش» (راجع L. D. text III, P. 306) .

نهاية الأسرة الثامنة عشرة

عرض عام للنظم الحربية والادارية ونفوذ الجيش

فى عهد الأسرة الثامنة عشرة

كان «توت عنخ آمون» آخر فرعون تولى عرش مصر من سلالة التحامسة ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وبعد وفاته توالى على عرش البلاد ثلاثة فراعنة لم يكن يجرى فى عروقهم الدم الملكى، وهؤلاء هم الفرعون « آى » الذى خلفه « حور محب » ثم أعقبه « رعمسيس الأول » . وقد كان كل من هؤلاء قبل أن يقبض على زمام الأمور فى البلاد يحمل لقب « القائد الأعلى » لجيوش الدولة المصرية ، كما سنفصل ذلك بعد فى حينه ، على أن كل واحد منهم كان يبرر توليته عرش البلاد بزواجه أحيانا من إحدى أميرات هذا البيت المالك الذى انقرض نسل الذكور فيه .

موازنة بين الموظفين ورجال الجيش : ولا شك فى أن موضوع تولى قائد الجيش أعظم سلطة فى البلاد يكون مثارا للدهشة والعجب عند ما يستعرض الإنسان أمامه الدور الضئيل الذى كان يقوم به كل من الجندى وقائده فى بناء مجد المملكة المصرية الداخلى، فقد كانت حكومة الأسرة الثامنة عشرة تعتنق مذهب الحكم « البيروقراطى » وبعبارة أوضح كانت حكومة البلاد وقتئذ تتركز فى يد سلسلة من طوائف الموظفين درجات بعضها فوق بعض كل منها مسئولة أمام رؤسائها وحدهم ، بيد أنهم كانوا يقبضون فى الوقت نفسه على كل صغيرة وكبيرة ماسة بحياة القوم العامة والخاصة . ولم يكن فى يد الأشراف فى هذه الفترة أية سلطة لمناهضة هذا النظام البيروقراطى، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الفراعنة الأوائل من الأسرة الثامنة عشرة، قد أجهزوا على معظم فئة الأشراف من حكام المقاطعات ، أما البقية الباقية الذين أفلتوا من أيديهم ، فقد تلاشوا تدريجا على كر الأيام ، ومن ثم أصبحت طبقة الموظفين تعد أعلى طبقة بين أفراد الشعب فى كل البلاد، ولذا كان ينظر إليها بعين التبجيل والاحترام، أما الطبقات الأخرى من الشعب فقد كان ينظر إليها

بعـين الاحتقار والامتهـان ، ولا غرابة إذا رأينا أن الكتاب والموظفـين كانوا يقبضون على زمام البلاد وحدهم فيما بعد ، ويحتلون مكانة ممتازة فيها .

وقد بقى لنا صدى منزلتهم الرفيعة فيما دون فى كراسات تلاميذ من عهد «الرعامسة» فقد دافع حملة الأقلام عن هذه الفئة دفاعا مجيدا ، على حين أنهم كانوا يحتقرون وظيفة الجندى وغيرها من الحرف[1] ، ولا شك فى أن هذه ظاهرة تدل صراحة على مهاجمة مكانة الجندى والطبقة التى ينتسب إليها ، وقد كان هذا الروح العدائى بين طبقة الموظفين وطبقة الجند سائدا فى عهد الأسرة الثامنة عشرة حتى عصر «اخناتون» ، هذا على الرغم من أن الروح العسكرى كان سائدا فى عهد التحامسة الأول ، إذ على أعناق رجال الجيش وبحد سيوفهم تبوأت مصر المكانة الرفيعة بين دول العالم بعد أن استردت استقلالها وطردت الغـزاة الغاصبين من عقر دارها ، غير أنه لم يكن يدور بخلد أحد فى هذه الفترة أن هذه القوة العسكرية سوف تناهض السلطة البيروقراطية ، وتحتل مكانتها ، إلا أن الأقدار شاءت أن تتكون رابطة قوية بين الفرعون وبين جنوده الذين خاضوا جنبا لجنب معه غمار الحروب الطاحنة التى شنوها على الممالك المجاورة ، وهى التى أسفرت عن تكوين أمبراطورية مصرية مترامية الأطراف أغدقت على الشعب المصرى الخير العميم ، والأرزاق الوفيرة . ولقد كان من نتائج تكوين هذه العلاقات بين الفرعون وجنوده أن انتقلت السلطة الحكومية الفعلية تدريجا إلى يد القواد الحربيين فى هذه الفترة ، ولا بد لنا الآن من أن نبحث هنا الأسباب التى أدت إلى هذا الانتقال ، ونعرض صورة العصر الذى بدأ يظهر فيه اندماج الوظائف الحربية بالوظائف المدنية ؛ وكذلك يجب علينا أن نبحث الدور الحقيقى الذى لعبه القائد الحربى قبل انتقال السلطة المدنية إلى يده ، وما كان يقوم به خلال التمتع بها ؛ ولكن قبل أن نقف على حقيقة ذلك لا بد من الإجابة على السؤال التالى : من هو الموظف الخارج عن هيئة السلك العسكرى الذى يقوم بأعباء وظيفة لها ارتباط بالجيش ؟ ثم نتساءل كذلك كيف كان تدرج تلك الوظيفة ؟ والجواب على ذلك هو أن رجال السلك العسكرى كانوا ينقسمون طائفتين ،

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم ج ١ ص ٣٥٠ الخ .

طائفة الموظفين الحربيين ، (أى رجال الإدارة) وطائفة الجند العاملين ، وكان لكل من الموظفين الحربيين ، وضباط الميدان عمل خاص بهم . ولما كان بعض هذه الوظائف حربيا محضا و بعضها الآخر يجمع بين العمل الحربى والعمل المدنى أصبح من الضرورى أن نحدد أولا الفرق بين عمل الموظف الحربى ، وعمل الجندى المقاتل ، وعلى هذا يمكن وضع حد فاصل بينهما نعرف به الموظفين الذين كانوا فى زمرة الجنود العاملين فى الميدان ، ثم تقلدوا فيما بعد وظائف مدنية ، و بهذه الكيفية يمكننا أن نحدد الرقعة التى يمتد عليها هذا البحث ، ثم نعرف التأثير الذى أحدثه هؤلاء الموظفون فى قلب كيان الأداة الحكومية فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة . وأخيرا لا بد أن نجيب عن سؤال آخر وهو : من أية طبقة من طبقات الشعب نشأ القائد الحربى ؟

أمنحتب بن « حبو »

كان موظفو الإدارة الحربية هم الطائفة العظيمة الذين كانوا يسيطرون بنفوذهم على القيادة الحربية ، ومن أبرز رجال هذه الطائفة الذين عرفوا فى تاريخ الأسرة الثامنة عشرة « أمنحتب بن حبو »(١) وهو الذى اشتهر فيما بعد بحكمته وأصالة

(١) وأهم المصادر الأصلية التى سنعتمد عليها فى درس حياته هى ما يأتى :

تمثال من معبد آمون بالكرنك (راجع A. S. XXVIII, P. 141.)

تمثال من معبد الكرنك (راجع A. S. XIV, P. 17.) .

تمثال آخر (راجع A. S. XIV, P. 19.) .

تمثال نشره «لجران» (راجع Legrain, "Statue", I, No. 42127.) .

تمثال نشره « يورخاردت » (راجع Legrain, "Statues", II, P. 853.) .

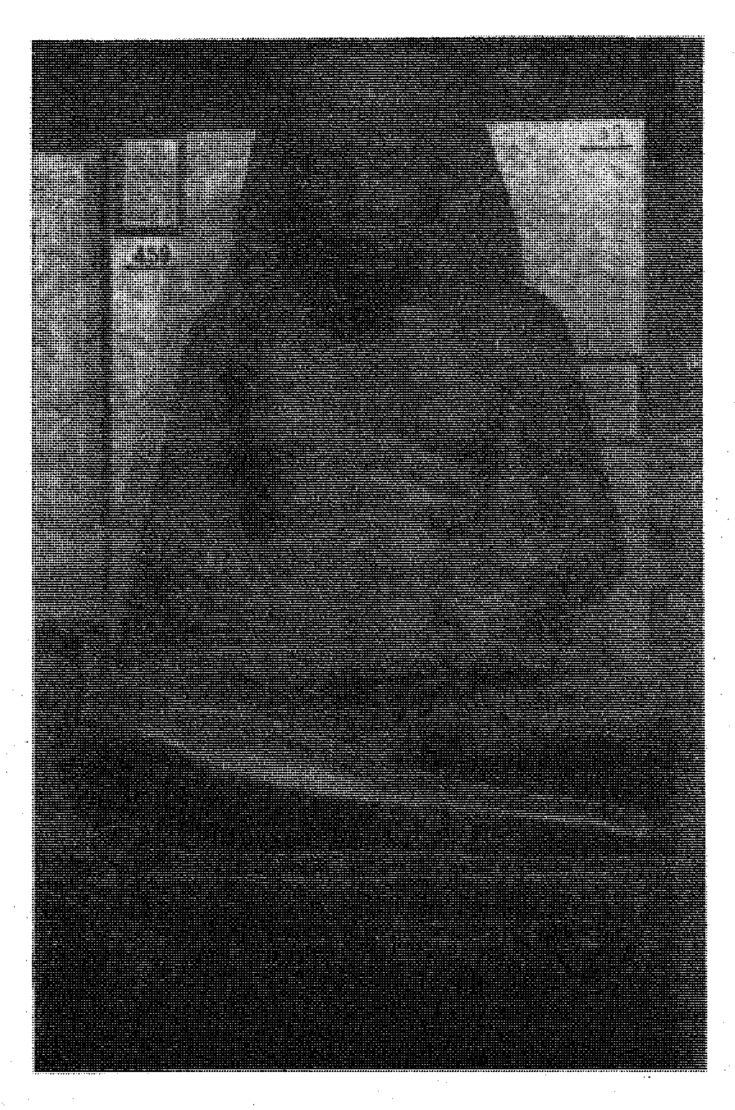
تمثال كتب عنه «جلانفيل» (راجع J. E. A. XV, P. 2.) .

(راجع Legrain, "Statues" IV, P. 942.) .

أما معبده الجنازى فقد كتب عنه «روبيشون» و «فارى» (راجع Robichon et Varille, "Le Temple du Scribe Royal Amenhotep fils de Hapoui, I, et Cone Funeraire (Robichon et Varille, Fouilles de l'Inst. Franç. du Caire", Vol. XI, 1936.)

راجع كذلك : "Revue d'Egyptologie", II, fasc. 1, 2; "Revue Egyptologique (1919) nouv. Serie, I, P. 74.

رأيه لدرجة أن الشعب قد رفعه في عهد البطالمة إلى مرتبة الآلهة ، وتاريخ حياة هذا الرجل العظيم يمثل أمام أعيننا حياة الموظف الذى تقلب فى أعمال الإدارة الحربية ، فبدرس حياته إذا نعلم حدود هذه الإدارة وما تشتمل عليه من الوظائف .



الصورة رقم (٢٣) «أمنحتب» بن «حبو»

حياة «أمنحتب» بن «حبو» : ولد «أمنحتب بن حبو» فى بلدة «أتريب» (بنها الحالية) من أعمال المقاطعة العاشرة من مقاطعات الوجه البحرى كما ذكر لنا ذلك فى ترجمته لنفسه التى تركها فى نقوش عدة [1]، ولذلك كان مما يفخر به أنه يحمل لقب «رئيس كهنة إله بلدته» الذى كان يدعى «حور ختنى ختى» [2]، على أن بلدة «أتريب» مسقط رأسه لم تكن ذات مكانة تحسد عليها فى خلال الأسرة الثامنة عشرة [3]، ومع ذلك فإن «أمنحتب» هذا كان كثير التفاخر بانتسابه إليها لأسباب لا تزال مجهولة لدينا . فنراه يذكر لنا بسرور ونغمة فى ترجمة حياته [4]، كيف أن الفرعون أجاب ملتمسه فزين هذه المدينة بأحسن الزينة وأفخرها . وتدل كل الأحوال على أنه ولد من أبوين فقيرين، أى أنه نشأ من عامة الشعب، فقد ذكر لنا اسم والده «حبو» [5] واسم والدته «إتو» مجردين عن كل لقب : ومن هذين الأبوين المغمورى الذكر نشأ «أمنحتب» وتدرج إلى معارج الرقى ، حتى أصبح يقبض على زمام أمور الدولة المصرية فى عهد «أمنحتب الثالث» أشهر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة، وقد أوتى الحكمة وفصل الخطاب مما وضعه فى مصاف الآلهة فى العصور المتأخرة ، فقد كان القوم يحتفلون بعيد ولادته فى اليوم العاشر [6] من الشهر السابع من كل سنة ، وقد عمر طويلا ، إذ بلغ على حسب بعض الأقوال الثمانين حولا فى نهاية حكم «أمنحتب الثالث» ، وأرجح الأقوال أنه ولد فى عهد الفاتح العظيم «تحتمس الثالث» . وقد حاول البعض أن ينسبه إلى أسرة أحد

---

(١) راجع : A. S. XIV, P. 19.

(٢) راجع : Legrain, "Statues", No. 42127.

(٣) راجع : A. Z. LXXIII, P. 44.

(٤) راجع : Borchardt "Statuen und Statuetten" II, P. 583. L. 5.

(٥) راجع : Spiegelberg, "Rec. Trav.", XXIII, P. 98; A. Z., XXV, P. 117.

(٦) راجع : Naville, "Temple of Deir el Bahari", V, Pl. 150.

أمراء المقاطعات بحجة أنه كان يحمل لقب الحاكم «المشرف على الكهنة»[١] وفى هذا من خطل القول ما فيه لأنه فى هذه الفترة من تاريخ البلاد لم يكن فى المقاطعات أمراء يحكمونها، لأن هذا النظام من الحكم كان قد قضى عليه نهائيا فى عهد الأسرة الثانيـة عشرة، هذا إلى أن والده « حبو » كما ذكرناه قـد وصل إلينا اسمه مجردا عن الألقاب ، مما يدل على أنه لم يرث أى لقب قط عن أجداده، بل على العكس نال مجده بجده وعبقريته الفذة .

لم يذكر لنا « أمنحتب » شـيئا ما عن حياته قبل اعتلاء سميـه « أمنحتب الثالث » عرش الامبراطورية المصرية، وأول وظيفة تقلدها فى حكم هذا الفرعون هى « مساعد كاتب الملك » .

ولا بد أنه كان قـد ناهز الخمسين من عمـره حينما تقلد أعباء هـذه الوظيفة الصغـيرة . ومن المحتمل أنه كانت توجد بينه وبين الملك الشاب رابطة جعلتـه ينخرط بسرعة فى سـلك الوظائف المدنيـة غير أن الآثار لم تمـدنا بأية معلومات فى هـذا الصدد كما أغفلت ذكر الوظائف التى كان يتقلدها قبل هذه الوظيفة التى وجدناه يقوم بأعبائها، فاستمع لما يقصه فى ترجمته عن نفسه وهو فى دور التكوين : "كنت قد رقيت إلى وظيفـة مساعد كاتب ملكى ، وكنت قـد تفقهت قبلها فى كتاب الإله، ورأيت قوة « تحوت » (إله العلم) فكنت بذلك ماهرا فى أسرار كتابه ، حتى أنى كنت أحل كل معضلاتها وكان كل إنسان يسألنى النصيحة[٢]

(١) مما هو جدير بالملاحظة هنا أن لقب الحاكم المشرف على الكهنة فى عهـد الأسرة الثامنة عشرة منذ عهـد حتشبسوت ، كان كل منهما لقب شرف وحسب (عدا حكام نخن، والكاب وطينة) يعطى لمن أحيلوا على المعاش وقد كان الحاكم الحقيق للـدن يدعى « الحاكم » (حات عا) أو «العمـدة» ولم يكن يوجد مثل هذا الحاكم إلا فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة فى « نخن » و « الكاب » وكما كان كذلك فى طينة) .

(٢) راجع : Borchardt, "Statuen und Statuetten, 483, 1, 12.

(المشـورة) " . ثم يذكر لنا فى نفس هـذه الوثيقة أن الفرعون قد رقاه بعد فترة من الزمن إلى وظيفـة « كاتب المجندين » برتبـة « رئيس كتبـة الملك » . وتلك كانت الوظيفة الرئيسية التى تقلدها « أمنحتب بن حبو » وسـنفصل القول عن نشاطه فيما بعد .

وقـد كلفه الفرعون بوصـفه « كاتب المجندين » أن يسهم فى إقامة المبانى الملكية ، ولهذا منحه لقب « مدير كل المبانى الملكية » ، وقد كان نطاق وظيفته هـذه بالإضافة إلى وظيفة « كاتب المجندين » قاصرا على الوجه البحرى [1] ، ولهـذا السبب كان يلقب بحق على أحد النقوش « مدير المحاجر للجبل الأحمر [2] » . وهـذه المحاجر واقعة بالقرب من «عين شمس» ، وكانت تعـد فى نظر ملوك الأسرة الثامنة عشرة أعظم محاجر تمتاز بفخامة الأحجار المستخرجة منها ، إذ كان يقطع منها الحجر الرملى الأحمر المحبب ، ومنه تصنع التوابيت [3] الملكية ، وتدل شواهد الأمور على أن « أمنحتب الثالث » كان معجبا بأحجار هـذه المحاجر ، ويقال إنه فى أول حكمـه لقب الأحجار المسـتخرجة منها « بالأحجار المدهشة [4] » . ومن المحتمـل أن سبب تفضيله هـذه الأحجار على غيرها يرجع إلى الذوق الشخصى من جهة ، وإلى الصعوبات التى كان لا بد من تجشمها فى نقل أحجارها الضخمة عن طريق النهـر إلى « طيبـة » من جهة أخرى ، وكذلك إلى الصعوبات الفنيـة التى كان لا بد للفنن المصرى من التغلب عليها فى نحتها ، وإخراجها فى صور متقنة بهجة . ولقـد عبر لنا « أمنحتب الثالث » عن كبريائه وعجبـه وقوته فى هـذا الصدد عندما فاه بالجملة العظيمة المعبرة عن نقل هذه الأحجار : من «عين شمس» الشمالية إلى « عين

---

(١) راجع : Anthes, A. Z., LXXII, P. 68.

(٢) راجع : A. S., XIV, P. 17; A. S. XXXIII, P. 85; Ibid, XXX IV, P. 10.

(٣) راجع : Sethe, "Festschrift fur Ebers", P. 30.

(٤) راجع : Ibid, P. 28.

شمس الجنوبية » (أى من هليو بوليس إلى طيبة) ، وقد دون « أمنحتب » ابن « حبو » هـذه العبارة على آثار سـيده الخالدة إلى الآن بنصها . وكذلك خلع « أمنحتب الثالث » على نفسـه فى نقوش تماثيله الضخمين المقامين أمام معبـده « بطيبة » الغربية لقب : صاحب الآثار العظيمة التى نقلها بقوته من « عين شمس الشمالية » إلى « عين شمس » الجنوبية (١) (طيبة)، كما ترك لنا « أمنحتب بن حبو » على التمثال (٢) الذى أهـداه إياه الفرعون ، وحباه بإقامته فى « معبد آمون » نقوشا تصف إقامة تمثال الملك العظيم بكلمات ملؤها الفخر والإعجاب، لا تقل عما سبق ذكره إذ يقول :

"لقد نصبنى الفرعون مديرا للأعمـال القائمة فى محجر الجبل الأحمر، وهى الآثار التى كانت ستقام فى «معبد الكرنك» للاله « آمون » ، فنقلت تمثاله الضخم الذى كان يمثل صورة جلالته بكل دقة فنية ، وقد أحضر من «عين شمس الشمالية» إلى «عين شمس الجنوبية» ، وهو لايزال إلى الآن رابضا فى مكانه وقد حبانى سيدى فسمح لى بإقامة تمثالى فى معبد « آمون » ، لأنه يعلم أنى ملك يديه أبديا" .

كذلك تدل اللوحة الجنازية التى جاء فيها ذكر إهداء المعبد الجنازى الذى أقيم فيه هـذا التمثال على أنه قطع من نفس المحاجر السالفـة الذكر ، إذ يقول الفرعون
لقد ملأ جلالتى المعبد بالآثار والتماثيل من الجبل الأحمر (٣) .

والظاهر أن « أمنحتب بن حبو » هو الذى كان يشغل وظيفة مدير الأعمال التى كانت تقام فى هذا المعبد، وإن لم يذكر لنا ذلك صراحة . ويمكن استخلاص ذلك من أن « أمنحتب بن حبو » قـد أقام معبده بجوار معبد سـيده مباشرة ، وقد كافأه الملك على ما قام به من جليل الأعمال فى إدارة المبانى الملكية، وقطع أحجار التماثيل ونقلها بالتصريح له بإقامة تمثاله فى معبد « آمون » . وهذا التمثال لا يزال

---

(١) راجع : Varille, A. S. XXXIII, P. 83. ff. وهذان التمثالان هما تمثالا «ممنون» المشهوران .

(٢) راجع : A. S., XIV, P. 18.

(٣) راجع : L. D. III, Pl. 72, line 4.

باقيا حتى الآن وقد عثر على تمثال آخر معه مشابه له فى نقوشه ، والتمثالان موجودان الآن بالمتحف المصرى[١] . والظاهر أنهما نصبا فى هذا المعبد فى وقت واحد ، وقد جاء على الأخير منهما ذكر عيد « سد » الأول للفرعون ، « أمنحتب الثالث » . وهذا العيد كان يقام فى الأصل كما يقال بعد مرور ثلاثين سنة من حكم الفرعون الجالس على العرش ؛ ولكن هذا التقليد لم يكن يعمل به دائما من جهة المدة كما ذكرنا . وعلى ذلك يظهر أن هذين التمثالين قد نحتهما « أمنحتب بن حبو » بمناسبة هذا العيد ، وكذلك تدل الشواهد على أن تمثالى «ممنون» قد نصبا فى خلال هذه الفترة ، لأننا نقرأ على واحد منهما الدور الذى لعبه « أمنحتب » فى إقامتهما .

ومما يؤثر عنه من جليل الأعمال التى قام بها لسيده كذلك فى أعمال البناء الضخمة التى لا تزال آثارها باقية حتى الآن ، نصب تمثال هائل بمعبد الكرنك[٢] : فيقول

"لقد نصبنى سيدى مديرا لكل المبانى الملكية ، فجعلت اسم الفرعون مخلدا ، لأنى لم أقلد أعمال السلف ، بل بنيت له جبلا[٣] من الحجر الرملى (أى أن معبد موت عامة كان مفعما بتماثيل من هذا النوع من الحجر حتى أصبح جبلا من هذا الحجر الرملى) ، لأنه وارث الإله « آتوم » ، وقد أقمت ذلك على حسب ذوقى الخاص ، فجعلت صورته فى معبده العظيم هذا من كل نوع ، وجعلته يناهض السماء فى علوه من الأحجار الصلبة ، ولذلك جاء عملى هذا منقطع القرين منذ الأزل" .

ولقد أشرفت على عمل تمثاله العظيم الشاسع فى عرضه والسامق فى طوله حتى فاق عمد المعبد الذى نصب فيه ، ولقد أشرق بجماله على بابه إذ بلغ طوله أربعين ذراعا ، أما مادته فقد قطعت من محاجر الحجر الرملى المقدس للاله « رع آتوم » ، وكذلك بنيت له سفينة خاصة وأحضرته فيها بالنيل ، وأقمته فى معبده العظيم الأبدى ، فكان يناهض القبة الزرقاء فى سموها ، وسيحكم من سيأتى بعدى على عملى العظيم الأبدى هذا . وكان الجيش بقيادتى ، وكان جنوده يعملون بسرور وقلوبهم فرحة لأنهم يقومون بتأدية واجبهم لإلههم الطيب مسبحين بحمده ، وقد أنزلوا هذا الأثر فى «طيبة» مهللين مستبشرين وهو رابض الآن فى مكانه أبديا » .

---

(١) راجع : A. S., XIV, P. 17, 19.

(٢) راجع : Borchardt, Statuen und Statuetten" II, 583.

(٣) راجع : Sethe, "Bauersteine", P. 31.

فنرى من الوصف السابق أن تمثال الملك هذا قد قطع من محاجر «الجبل الأحمر»، وقد أوضح لنا « أمنحتب » فى النقوش السالفة الذكر تفضيل الفرعون هذه المحاجر المقدسة، وتقع على مقربة من «عين شمس» وتنسب للاله « آتوم »، وهو الإله المحلى لهذه الجهة، ولما كان الفرعون يعد نفسه ابن الإله « آتوم » ووارثه على الأرض، فإنه كان بطبيعة الحال يفضل نحت تمثاله من أحجار هذا المحجر بوصفها موروثة عن أبيه « آتوم » .

والتمثال المشار إليه كان منصوبا فى معبد « الكرنك » وقد تعرف عليه الأستاذ « زيته » ثانية (راجع Sethe Festschrift fur Ebers P. 107 ff.) وقال إنه هو التمثال الضخم المنسوب إلى الفرعون «أمنحتب الثالث»، وهو الذى لا تزال قاعدته قائمة للآن أمام الواجهة الجنوبية للبوّابة العاشرة التى أقامها «حورمحب»، وهذا التمثال حقيقة منحوت فى الحجر الرملى المجلوب من الجبل الأحمر ولكن لا يبلغ ارتفاعه على حسب رأى الأستاذ «زيته» إلا نحو خمسة عشر مترا. وقد فسر ما جاء فى النقوش من أنه يبلغ ذرعه أربعين ذراعا بأن هذا الطول ينسب الى قطعة الحجر التى نحت فيها التمثال فى المحجر . ولا بدّ أن هذا التمثال هو أحد التماثيل الضخمة القائمة فى الجهة الشمالية من نفس البوّابة وهى التى اغتصبها « رعمسيس الثانى » لنفسه كما كانت عادته . يضاف إلى ذلك أن تمثال «أمنحتب الثالث» هذا ، ليس قائما فى مكانه الأصلى، وليس لدينا معلومات عن المكان الذى كان قد أقيم فيه أولا . هذا كل ما وصلنا عن أعمال البناء التى قام بها « أمنحتب بن حبو » . يضاف إلى ذلك تمثال آخر له فى معبد «الكرنك» ، ولكن هذا لا يدل على أنه قد أقام بها مبانى هناك، والظاهر أن التمثال المذكور قد أقيم فى هذا المعبد بعد أن تم بناؤه نهائيا .

أما المبانى التى أمر « أمنحتب الثالث »[1] بإقامتها فى « إتريب » (بنها الحالية) تكريما «لأمنحتب بن حبو» مدير مبانيه بوصفها مسقط رأسه، فلم يذكر لنا الأخير

---

(١) راجع : Borchardt, ibid. II, 583, Rs. line 5 ff.

أنه هو الذى أشرف على إقامتها ، وكل ما نعرفه أن الفرعون " أمر أن تحفر فى هذه البلدة بحيرة فى شمالها وأخرى فى جنوبها ، وأن تزين شواطئهما بالأزهار والأشجار ... ، وكذلك أقام معبدا لإله بلدتى ... وزاد فى قرابينه اليومية ، وبذلك أسدى سيدى الى بلدتى شرفا عظيما . هذا الى أنه أغدق من فيضه على أسرتى فى الحياة الدنيا" .

ويعزى لقب « كاهن سم فى بيت الذهب » (مكان التحنيط) الذى يحمله «أمنحتب» الى نشاطه بوصفه مشرفا على المبانى الدينية والآثار ، وهذا اللقب كان لا يحمله إلا امرؤ مقدس طاهر منحه الله قوة ربانيـة . لأنه كان لا يجوز لأحد غيره لمس أدوات العبادة ، وهذا هو السبب الذى من أجله قد عين «إخرنوفرت»[1] فى عهد الدولة الوسطى على حسب أوامر الملك «سنوسرت الثالث» ليضع صورا دينية ثانية فى «العرابة» للاله «أوزير» فيقول إخرنوفرت : « وكانت يدى طاهرة عند تزيين الإله بوصفى « كاهن سم » وأصابعى نظيفة ، وكذلك كانت الحـالة مع « منمسو »[2] الذى عاصر كلا من « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثانى » وكان يحمل لقب « مدير المبـانى الملكية فى الوجه القبلى والوجه البحـرى » لأنه منح وظائف فى كل المعابد التى كان يدير العمل فيها كهنة مطهرون .

وهذه الأعمال الجليلة المنقطعة النظير التى قام بها «أمنحتب بن حبو» لمليكه قد قابلها الفرعون بإنعامات عظيمة فريدة فى بابها أيضا ، فتفضل وسمح له بإقامة قبر على غرار قبر الفرعون ، فأقام لنفسه معبدا جنازيا على الضفة اليمنى للنيل فى « طيبة الغربية »[3] ،

---

(١) راجع : Schaefer, "Stele des Ichernofert", Line 17.

(٢) راجع : Bisson de la Roque, "Fouilles de Medamoud" rapport Preliminaire. IV, 2. P. 52. line 29.

(٣) راجع : Robichon et Varille, "Le Temple du Scribe Royal Amenhotep fils de Hapou, Tome I, (Fouilles de l'Inst. Franç. du Caire "XI. P. 1936.)

ونحت قبره على مقربة منه فى الصخور التى على حافة الصحراء ، كما كان يفعل الفراعنة . وهذه ميزة فريدة اختص « أمنحتب بن حبو » على كل أقرانه بها فقد تساوى بالفراعنة من هذه الناحية فى عهد الأسرة الثامنة عشرة وليس هناك من يضارعه فى هذا الانعام إلا « سنموت »[1] أكبر رجال بلاط الملكة «حتشبسوت» فقد سمحت له أن يقيم قبره فى منطقة معبدها بالدير البحرى كما فصلنا القول فى ذلك (راجع الجزء الرابع ص ٣٥٣) .

وفى خلال المدة التى كان يقوم فيها « أمنحتب بن حبو » بأعباء إقامة تمثالى « ممنون » ، ويشرف على بناء معبده الجنازى ، ومعبد الفرعون أيضا ، وكل إليه «أمنحتب الثالث» أمر القيام بمهمة أخرى خطيرة الشأن، وذلك أنه عند ما حل موعد أحفال العيد الثلاثينى ، أراد هذا الفرعون أن ينتهز من الحفل به فرصة سانحة ليقيم لإلهه «آمون» ولنفسه معبدا عظيما فى بلاد النوبة، فرأى أن خير من يقوم بهذا العمل الضخم هو « أمنحتب بن حبو » ، ولذلك كلفه أن يشرع بإعداد كل ما يحتاج من معدات دينية واقتصادية لتنفيذ ما أراد . وفى ذلك يقول[2] لنا «أمنحتب بن حبو» نفسه : لقد نصبت مندوبا فوق العادة لجلالة الفرعون لأجل أن أحضر له أناسى من «طيبة» وهم عبيد ممتلكات الفرعون لأقدمهم أبديا للإله آمون فى عيد «سد» الأول لجلالته ، وقد وكل إلى جلالته تنظيم إدارة الإله «آمون» فنصبت الكهنة فى وظائفهم ..... وعيننى الملك مدير عيد «آمون» فى كل أعياده فجهزت قربانا يوميا » .

وعلى الرغم من أن معبد بلدة « صولب » المقصود هنا لم يذكر بالاسم فى هذه النقوش فإن من الظاهر بداهة أنه قد أقيم فيها بهذه المناسبة، هذا فضلا عن أن الرسوم الواضحة التى تمثل « أمنحتب » فى هذا المعبد لا تدع أى مجال للشك فى أن معبد « صولب » هو المقصود هنا .

---

(١) راجع : M. M. A. (Feb. 1928) P. 12.

(٢) راجع : A. S., XIV, P. 19.

ونعلم أن « أمنحتب بن حبو » هو الذى حبس على هذا المعبد الحقول ، وخصص لها فلاحين ليقوموا بزرعها وصيانتها، وقد نقلت من أملاك الملك لتكون هبة للمعبد، وكذلك أعد ما يلزم لإقامة الشعائر الدينية من مغنين وراقصات ، هذا إلى أنه جهز كل ما يلزم لإتمام معدات المعبد، وكان أهم أمر لفت نظره هوتنصيب الكهنة الذين كانوا تمتعوا بأوقافه وهباته ، وقد كافأه الفرعون على ما قام به لإعداد هذا الحفل بالعيد الثلاثينى؛ ففضلا عن أنه جعله يقوم بتمثيل الفرعون قد خلع عليه رتبة « ربعت » (أى نائب الملك)؛ وهو لقب شرف عظيم القدر، ولهذا السبب وجدنا هذا اللقب العظيم منقوشا على تابوته بالصور التالية : « وظيفة نائب الملك » (ولى العهد) فى « عيد سد » ؛ ومما يلفت النظر أن « أمنحتب بن حبو » هو الفرد الوحيد الذى شوهد على ما بقى من نقوش هذا المعبد يمثل هذا الدور وحده فى هذا الحفل[1]، وتصفه النقوش بأنه «نائب الملك والكاتب الملكى» «أمنحتب بن حبو »، وقد استقبل هناك بوصفه ملكا عند المحراب المخصص للاله ، وقرع على بابه كما يقرع الملك بصولجانه . ويستدل من الآثار أن لقب « ربعت » (ولى العهد) لم يكن لقبا قديما يستعمل فى عيد « سد » لأننا لم نجده فى نقوش معبد الشمس للملك «نوسر رع[2] » من فراعنة الأسرة الخامسة، بل كان يطلق على من يمثل هذا الدور لقب آخر حل محله هذا اللقب واللقب القديم الذى كان يحمله من يقوم بهذا الدور يتفق فى الواقع اتفاقا تاما مع ما كان يقوم به «أمنحتب» بن «حبو» بوصفه منظما للعبد بمناسبة الحفل بأول عيد ثلاثينى لهذا الفرعون. على أن «أمنحتب» لم يكن الموظف الكبير الوحيد الذى أخذ بنصيب وافر فى الحفل بهذا العيد الثلاثينى للملك «أمنحتب الثالث»، إذ نجد فى نقوش «صولب» نفسها أنه قد ذكر بوجه خاص

---

(١) راجع : Sethe, "Festschrifte fur Ebers", P. 118; L. D., III, iPl. 83 ff, L. D· Text, V, P. 235.

(٢) راجع : Bissing – Kees, "Textband zum Re Heiligtum III, PP. ·29, 58

«وزير الجنوب» «رعموسى» والكاهن «مرى»[١]؛ يضاف إلى ذلك أن «إتن تحن» مدير بيت « أمنحتب الثالث » كان يقوم بدور فى هذا العيد[٢] مع « نفر سهرو » الذى كان يحمل لقب « مدير العرشين » . وكذلك نجد صورة « مدير الجنوب » « خع — محات » كاهن الإله « أنوبيس »[٣] بين الذين اشتركوا فى الحفل بهذا العيد . ونظن أن « أمنحتب بن حبو » لعب دورا آخر بعد نهاية هذا العيد الثلاثينى، ويرتكز هذا الظن على النقش الذى وجد فى قطعة حجر من معبده جاء فيها :

« السنة الثلاثون[٤]، الشهر الحادى عشر، اليوم الثانى من الشهر، تمييز كاتب الملك الحقيقى « أمنحتب » بلقب «عز مر» (حاكم مقاطعة) ؟ فى نهاية العيد الثلاثينى، ومنح حليا من الذهب وأنواعا مختلفة من الأحجار الكريمة الجميلة، فقد أهدى قلادة من الذهب، وزين جيده بأنواع كثيرة من الأحجار الكريمة، واعتلى كرسيا من الذهب، (الذى يقابل قاعة العرش)، وكسا جسمه بأحسن أنواع الكتان ... ... »

فهذا النقش يدل على أن « أمنحتب بن حبو » قد لعب دور «عز مر» فى نهاية عيد سد، وهذا الدور لم يعرف من قبل فى مناظر هذا العيد قط . أما الامتيازات التى اختص بها عن طريق الهبات الملكية فيمكن قرنها بالانعامات التى أنعم بها نفس الفرعون على « مدير الغلال » « خع — محات » فى العام الثلاثين من حكمه (أى فى عيد سد) والممثلة فى قبره[٥] .

وقد قص علينا « أمنحتب » فى النقوش التى على تماثله مقدار نشاطه فى هذا العيد إذ يقول : " إن الملك قد نصبه مشرفا على عيد «آمون»، وهو بذلك يقوم

---

(١) راجع : L. D., III, Pl. 84.

(٢) راجع : Statue Berlin Mus. No. 2293; Naville, "Bubastis", Pl. XXXV, G,; A.Z. LIX, P. 110; A.Z., XLVII, P. 91.

(٣) وقد تكلمنا عن « خيروف » والدور الذى لعبه فى هذا العيد من قبل راجع ص ٨٨ .

(٤) راجع : Robichon et Varille, "Le Temple du Scribe Royal Amenhotep", Pl. XXXV.

(٥) راجع : L. D. III, Pl. 76 b.

بنفس الدور الذى كان يقوم به الفرعون نفسه "؛ والواقع أن الفرعون كان يعين نائبا عنه فى الأقاليم من كبار رجال الدولة فى مناسبات الحفل بالأعياد فى هذه الجهات[١]. وكذلك فى معبد «الكرنك» كان ينوب أحيانا عن الفرعون موظف كبير من رجال البلاط المقربين[٢].

وقد قام « أمنحتب بن حبو » بدور الملك فى تبريك معبد « صولب » ولكن « أمنحتب » قد جمع إلى شرف تمثيل الفرعون فائدة مادية، فقد ذكر لنا نفسه : "[٣]أن سيده قونه ... ...، وسمح له بالخبز بعد العيد ... ..." فهو بهذا قد استولى لنفسه على نصيب القربان الذى كان خاصا بالفرعون، وثبت صحة هذا التفسير أن « دودو » الذى كان يلقب " بالفم الأعلى للملك « اخناتون » "كان يشغل هذه الوظيفة عن جدارة، وأنه كان يأكل نصيب جلالة الفرعون فى معبد «آتون» ببلدة «اختاتون»[٤]. وكانت ترقية « أمنحتب بن حبو » إلى وظيفة « مدير أملاك[٥] » كبرى الأميرات المسماة « سات آمون » إعلانا بأن حياته كموظف حربى قد ختمت، وأنه بذلك لن يرتقى قط الى رتبة « قائد جيش » . والظاهر أن الأميرة « سات آمون » قد لعبت دورا هاما فى البلاط الفرعونى وقتئذ، إذ لا يعد من طريق المصادفة

---

(١) راجع : Urk. IV, 208-9; Urk. IV, 981. A, Z. LXV, P. 85.

(٢) فقد مثله « سن نفر » عمدة المدينة فى عهد « أمنحتب الثانى » ، ومدير البيت العظيم « مرى رع » فى عهد تحتمس الرابع (A. Z. LXVII P. 132.) ، ومدير المالية « معى » فى عهد « حورمحب » (راجع .Davies Tomb of Thouthmes IV, p. 2374) .

(٣) راجع : Borchardt"Statuen nnd Stattuetten", II. 583, Rs. line. 8

(٤) راجع : Davies, "El Amarna", VI, P. 15; Davies, "El Amarna" I, P. 22, Pl. VI. حيث نجد الكاهن الأكبر « مرى رع » فى تل العمارنة يذكر أنه كان يأكل من نصيب الفرعون .

(٥) راجع : A. S. XXVIII, P. 141; J. E. A., XV, P. 2.

المحضة أنها كانت تملك ضياعا عظيمة ، ولكن الواقع أنها تزوجت[1] من والدها «أمنحتب الثالث» كما تنطق بذلك الآثار الباقية . ولا شك فى أنها كانت تتضاءل بجانب والدتها « تى » التى كانت تسيطر على « أمنحتب » وتلعب دورا خطيرا فى سياسة الدولة الخارجية والداخلية ، كما أنه لم يكن لها أى ذكر بعد وفاة «أمنحتب الثالث» ، وقد ظل «أمنحتب بن حبو» بعد هذا الزواج يدير أملاك هذه الأميرة .

وقد بقى « أمنحتب بن حبو » بعد اعتزاله أعمال الحكومة وتقاعده يشغل وظيفة «حامل المروحة على يمين الفرعون» فى البلاط ، و بذلك ظل مرتبطا بالبيت المالك تمام الارتباط . و يغلب على الظن أن « أمنحتب » هذا قد نال لقب « مدير ثيران آمون » فى الوجه القبلى والوجه البحرى فى آخر أيام حياته ، إذ من المحتمل أن القطعان التابعة لمعبد « آمون » كانت ترعى فى أملاك الأميرة « سات آمون » وهذا هو التفسير الممكن لحمله هذا اللقب .

وهنا يصل بنا المطاف إلى خاتمة حياة «أمنحتب بن حبو» ، ولا نزاع فى أنه قد وصل إلى ذروة مجده فى مجال حياته الحكومية فى السنة الثلاثين من حكم « أمنحتب الثالث » ، فقد أقام أفخر مبانى سيده ، وأشرفها ، ووصل بعمله هذا إلى أعظم الرتب التى لم ينلها إلا النزر اليسير من أمثاله من الموظفين . ومما يؤسف

---

(١) راجع : .Newberry, P. S. B. A., (1902) P. 247) وتدل النقوش التى على صندوق فى المتحف البريطانى أنه تزوجها Archeological Journal, "VIII, P. 396 "(5899 A) وهاك النص : " الإله الطيب رب الأرضين صاحب القرابين ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نب ماعت رع » ابن الشمس «أمنحتب» والابنة الملكية ، والزوجة الملكية « سات آمون » التى وضعتها الزوجة الملكية العظيمة « تى » معطاة الحياة والصحة مثلى « رع » أبديا" . ومن هذا المتن نفهم أنها كانت ابنته وزوجه فى آن واحد . اقرن ذلك بما ذكر عن رعمسيس الثانى وزواجه من بناته راجع : Maspero, "Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient", I, P. 50 (Inceste Ramses II. أما يقال عن ارتكاب « سنفرو » لمثل هذا العمل (Sethe, A. Z., 50, 57; 45, 54.) فلا يعترف به « ريزنر » (A. Z. LXIV, P. 97.)

له أننا لا نعرف تاريخ وفاته حتى الآن . أما ما وصل إلينا عن المرسوم الخاص بمعبده الجنازى وهو الذى ذكر فيه : "السنة السادسة ، الشهر الثامن ، اليوم الواحد والعشرون" فهو محض اختراع وضع فى الأسرة الحادية والعشرين ، وليس ثمة شك فى أنه قضى فى الحادية والثلاثين أو الثانية والثلاثين من حكم الفرعون « أمنحتب الثالث » .

ولا ريب فى أن ما حباه به سيده من الإنعامات وألقاب الشرف كان لها اثر بالغ فى الإشادة بذكره ، والرفع من شأنه ، والتعظيم لقدره ، كما ذكرنا من أن سيده «أمنحتب» الثالث قد صرح له بإقامة معبد جنازى لنفسه بجوار معبده ، ولم يجعله كعامة الموظفين ينحت لنفسه مدفنا فى تلال «طيبة» الواقعة على الضفة الغربية من النيل ، هذا إلى أنه قد نحت تابوته[1] على غرار توابيت الملوك ، ونقشه كذلك بنقوش ملكية . وكانت تقام له فى معبده الجنازى هـذا الشعائر الدينية كأنه ملك مؤله مثل الفراعنة الذين دفنوا بجواره فى أبواب الملوك ، ومن أجل ذلك نلاحظ أنه قد ظهر فى صورة ترجع إلى عهـد « رعمسيس » الرابع فى مقـبرة « انحورت خعو » الذى كان يدير شئون المعابد الملكية وفيها نشاهد أن « أنحورت خعو » هـذا يقدم القربان[2] للملوك المتوفين ، وفى نهاية قائمة هؤلاء الملوك نجد ملكا ممثلا يحمـل اللقب التالى : نائب الملك الكاتب الملكى « حوى » (وهو اسم مصغر لأمنحتب) .

ومما تجـدر الإشارة إليه هنا أن القوم كانوا يقدسون هـذا الرجل العظيم مدة حياته ، إذ كانوا يعدونه خارقا للعادة ، فلا غرابة إذا فى أن كانوا ينظرون إلى تمثاله بمثل هذه النظرة بعد وفاته . والواقع أن هيبة تمثاله كانت توحى فى نفوس الشعب الإجلال والاحترام فكان القوم يعتقدون فيـه أنه لسان حالهم ، وحاميهم والشفيع لهم فى معبد الإله بعد مماته ، كما كان الملجأ الذى يلجئون إليه مدة حياته ، ولا عجب فى ذلك فقـد وجدنا منقوشا على قاعدتى التمثالين اللذين وجدا أمام البوابة العاشرة

---

(١) راجع : Dawson, "Aegyptus", VII, P. 124.

(٢) راجع : (L. D. III, Pl. 2 d.

بالكرنك النص التالى : " أنتم يأيها الناس الذين يرغبون فى رؤية «آمون» ، تعالوا إلى لأنى بشير هذا الإله ، فقد نصبنى «أمنحتب الثالث» لأبلغ كلمات القطرين إذا قرأتم لى صيغة القربان وناديتم باسمى إنسانا محبوبا عمل خيرا " .

ومما يدعو إلى العجب أننا عثرنا على تمثالين آخرين لموظفين آخرين من رجال « أمنحتب الثالث » كل منهما يحمل لقب « كاتب المجندين الملكى » ويقوم بدور بشير الإله ، وهو الدور الذى كان يقوم به بطلنا « أمنحتب بن حبو » . فالتمثال الأول كان « لمن »(١) وقد عثر عليه فى معبد «آمون» بالكرنك وقد نقش عليه النص التالى : " إنى حاجب سيدتى «موت» (زوج الإله آمون) وإنى أجعل تضرعاتى تصعد إليها " . أما التمثال الثانى فكان لموظف يدعى « رعيا »(٢) وقد دونت عليه نقوش مماثلة للسابقة : «إنى رسول ربة السماء (ازيس فى قفط)، وإنى فى ردهتها(٣). قل لى تضرعاتك وإنى سأرفعها إلى ربة الأرضين لأنها تصغى إلى تضرعاتى » ومهما يكن من أمر فإننا فى هذا الموقف لا يمكننا أن نجد أية علاقة أو ارتباط بينهما وبين رجلنا العظيم « أمنحتب بن حبو » .

وعلى أية حال فإنه ليس من شك أو ريبة فى أن تماثيل « أمنحتب » بطلنا كانت موضع احترام وتقديس فى مدة حياته كما كانت عبادته بعد مماته فى معبده الجنازى المقام فى « طيبة الغربية » موضع سرور القوم وإجلالهم . ومن ثم يظهر لنا تدرج القوم فى احترامه وتعظيم شأنه، فقد كان فى بادئ الأمر ينظر إليه نظرة حكيم ورع، ثم ارتفعت درجته فى أعين الشعب على مر الأيام حتى عد فى مصاف الآلهة فى العهد البطليموسى(٤) .

(١) راجع : Benson and Gourlay, "The Temple of Mut in Asher", P. 331.

(٢) راجع : Cairo: 627.

(٣) فهذه التماثيل كانت توضع فى الردهة حيث كان يأتى المتعبدون لاستعطافها .

(٤) راجع : Sethe, "Hastings Encyclopedia of Religion and Ethics "IV, P. 651. (Heroes and Hero Gods).

موظفو إدارة الجيش — كاتب المجندين

تقلب «أمنحتب بن حبو» فى سلك الموظف الحربى العادى فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وقد أكدت لنا هذا الرأى النقوش التى تتحدث عن حياة موظفين حربيين آخرين من هذا العصر . والواقع أن حياته لا تختلف فى هــذه الناحية عن حياة أى موظف آخر . أما حياة جندى الميدان فكانت تختلف عن حياته اختلافا بينا ، وذلك أن الموظفين الحربيين كانوا يبدءون حياتهم بالتلمذة فى وظائف إدارية صغيرة ، فكان الواحد منهم يعمل بوصفه مساعد كاتب ملكى[١] ، وكان أمثال هؤلاء التلاميــذ يدرّبون على تصريف الأمور ، ويحذقون كتّاب الإله ، فيشاهدون قــوة « تحوت » (إله العــلم) ، وبذلك يصبحون مهرة فى أسرار الكتب . ولم تمدّنا الوثائق بالمدة التى كانوا يقضونها فى ممارسة هــذا الدور من التعليم ، وتدل شواهد الأحوال على أن وظيفة « كاتب الجند » كانت تقع فى دائرة الوظائف الصغيرة[٢] ، وكان هــؤلاء الكتّاب يجلسون فى مكتب إدارة الجيش وينفذون أوامر « رئيس الإدارة » دون أن يكون لهم دائرة عمــل محدودة . وكان لكل وحدة فى الجيش كاتب من هؤلاء . والظاهر أن هؤلاء الكتّاب الحربيين هم الذين نشاهدهم يمشون خلف رؤسائهم فى رسوم المناظر التى تصور توزيع الطعام ، والجرايات ، كما هو مشاهد فى رسوم[٣] مقــبرة « آمون احب » ومقــبرة « بحسونخر » ، وهؤلاء الكتّاب يختلفون فى ملابسهم عن ضباط الجيش العاملين ، إذ كانوا يرتدون فوق قمصانهم لباسا آخر .

وقد جرت العادة أن ينتخب الموظفون أصحاب الرتب العاليــة فى الجيش من كتّاب الجند فمنهم من يكون مديرا للكتّاب الحربيين ، وكاتب المجندين ، ثم القائد .

---

(١) راجع : Borchardt, "Statuen und Statuetten" II, 853, line 12.

(٢) راجع : Mariette, "Abydos" P. 1137.

(٣) راجع : Wreszinski, "Atlas", I, Pl. 94; Ibid. Pls. 279 - 280.

وقد كان عمل مدير الكتّاب[1] الحربيين هو تدوين التقارير عن كل ما حدث في خلال المعارك أثناء الحملات الحربية . فهو إذا كان الموظف الذى يدوّن اليوميات الرسمية عن سير المواقع . وقد دوّن لنا « ثنني » بكبرياء على جدران قبره أنه كان يسير فى ركاب سيده « تحتمس الثالث » خلال المعارك التى شنها ، « ودوّن أعمال الشجاعة التى قام بها فى كل بلد أجنبي، وقد دوّنها كما حدثت » ، وهذه الألفاظ التى ذكرها « ثنني » تنطبق على يومياته الحربية التى خلدت[2] ذكراها بمنتخبات منها لا تزال باقية منقوشة على جدران معبد الكرنك ، ومما يؤسف له أن نقوش ترجمة[3] حياته فى مقبرته قد وجدت مهشمة ، ولكنا نستخلص منها أنه كان يعمل كذلك فى عهد « أمنحتب الثانى » وفى عهد « تحتمس الرابع » ، وقد دوّن لها أسماء جنود كثيرين ومن أجل أعماله العظيمة رقى إلى منصب « كاتب المجندين » (راجع ص ٤٥)

كاتب المجندين : يظهر أن هذه الوظيفة لم تكن شائعة الاستعمال قبل عهد الأسرة الثامنة عشرة ، و إن كانت قد وجدت منذ الدولة القديمة ، ويقول البعض إنها أنشئت فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، أما فى خلال الأسرة الثامنة عشرة فنجد عددا عظيما من الموظفين يحملونها ، و بخاصة فى عهد « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثانى » و « تحتمس الرابع » و « أمنحتب الثالث[4] » و « أمنحتب الرابع[5] » ثم « حور — محب[6] »

---

(١) هذا اللقب كان يحمله «ثنني» فى عهد تحتمس الثالث (Urk. IV, P.1000-1017) وحور — محب فى عهد تحتمس الرابع "Mem. Miss. Arch. Franç" V, P. 415 ff.

(٢) راجع : Urk. IV, 662.

(٣) راجع : Urk. IV, P. 1014-1015.

(٤) راجع : Hermann, "Mitteilungen des Deutschen Instituts. Kairo VI, P. 38.

(٥) راجع : Davies, "El Amarna", V, Pl. IV, and Ibid. IV, P. 21.

(٦) راجع : A. S. XIX, P. 127.

والواقع أنه كان لكل من الوجه القبلى والوجه البحرى كاتب مجندين ، وقد كان تعدّد الموظفين الذين يحملون هذه الوظيفة معلوما واضحا من تعدّد درجة القائد التى تليها فى درجات الرقى ، ومع هذا فإن من المؤكد أنه لم يذكر لنا فى أية وثيقة تقسيم سلطة هذه الوظيفة فى الوجهين القبلى والبحرى ، وكذلك لم يظهر أمامنا على النقوش إلى الآن كاتبان للجندين أو أكثر فى وقت واحد أبدا .

ويدل ما جاء فى حياة « أمنحتب بن حبو » على أن هذه الوظيفة كانت فى الوجه البحرى الذى كان يعدّ أهم من الوجه القبلى من الناحية الحربية ، وما وصل إلينا عن كتّاب المجندين لا يدل قط على أن تقسيم هذه الوظيفة كان ممكنا ، وذلك لأن الترقيات التى كانت تلى هذه الوظيفة ليس لها أى أثر قط فى النقوش المصرية .

التجنيد : وصف لنا « أمنحتب بن حبو » فى النقوش التى تركها لنا نشاطه بوصفه كاتب المجندين ، فقد بدأ أحد نقوشه بالكلمات التالية : "لقد جمعت[1] المجندين لسيدى ، وأحصى قلمى عددا لا نهاية له . ووضعت الشباب مكان القدامى من الجنود ، فتصبح عصا الشيخوخة ممثلة فى أبدانهم الحية ، وأحصيت ضريبة بيوتهم على حسب عدد أفرادها وأعفيت بيوتهم من الضرائب ... ..." فمن وصف هذا التجنيد نعلم أنه ينقسم صنفين مختلفين ، ولكن لا يمكن أن نستخلص منه ما إذا كان هذا التقسيم يعالج الجنود النظاميين أم جنود الرديف ، إذ نعلم بدورنا أنه منذ تكوين جيش عامل فى عهد الدولة الوسطى كان تنظيم المجندين من هذين الصنفين من الناس مختلفا ، فقد عرفنا أنه فى « البرشة » فى عهد الفرعون «سنوسرت الثالث» كان شباب الجيش العامل منفصلا عن المجندين فى المقاطعة[2] .

---

(١) راجع : Borchardt, "Statuen und Statuetten", 583, line 13.

(٢) راجع : Newberry, "El Bersheh", I, Pl. XV. حيث نجد أن جنود كل مقاطعة اشتركوا فى جر تمثال « تحوتى حتب » قد ذكر كل فريق منهم على حدة .

والواقع أنه كان للجنـود النظاميين فى عهـد الدولة الوسطى أراض معفاة من الضرائب زمن الخدمة العسكرية وبعدها ، فكانت باب رزق أساسى لهم ولأسرهم، هـذا الى أن ملوك الدولة الوسطى كان لهم حرس ينتخبون من صنف من الضباط العاملين ، وهؤلاء خصص لهم حقول وماشـية وعبيد [1] ، وذلك لأن الفرعون كان مضطرا فى أوائل هذه الأسرة الى معونة عدد عظيم من الجنود فى الحروب التى كان يشنها لتحرير البلاد من جهة، وللمحافظة على الأقاليم التى فتحها وضمها لمصر فى سوريا والسودان من جهة أخرى . (وكان للفرعون فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة أراض شاسعة ، وبخاصة الأراضى التى استولى عليها من حكام المقاطعات بعد القضاء على سلطانهم وتشتيت شملهم، وكذلك الأراضى التى استولى عليها بعد طرد الهكسوس من البلاد) . ومن أجل ذلك نرى أن ضياع الجنود فى هـذه الفترة كانت منتشرة فى أنحاء البـلاد لدرجة عظيمة ؛ فكان ربان السـفينة «أحمس بن أبانا» يمتلك فى ذاك الوقت بهذه الوسيلة أراضى شاسعة فى مقاطعة « الكاب » وهو يقص علينا بنفسه أن معـدات سفينته كان ينفق عليها من أراض مُنحها . وفى عهـد حكم الفرعون « أحمس » كان مدير السفن المسمى « نسى » يملك حقولا فى « منف » تبلغ مساحتها نحو خمسة عشر ومائة أرورا قد وهبها إياه الفرعون، وقد أقيمت من أجلها قضية نزاع على ملكيتها فى عهد « حور محب » واستمرت فى يد القضاء حتى عهد « رعمسيس الثانى » [2] .

وكذلك عثر على لوحة حدود [3] جاء فيها أن « تحتمس الأول » قـد منح راكب العربة « كرى» حقلا تبلغ مساحته نحو خمسين ومائة أرورا (الأرورا = ٢٩٣٥ مترا

---

(١) راجع : Pap. St. Petersburg, 1116 A. Z. 59; A. S. XXIX, P. 5-14. line 11.

(٢) راجع : Gardiner, "The Inscription of Mes.", P. 42 - 43.

(٣) راجع : Berlin Mus. No. 14994.

أو ثلثي فدان)؛ وكان كذلك حامل العلم «نب آمون» يملك حقولا قبل أن يعين صاحب الشرطة في عهد «تحتمس الرابع» في «طيبة»[١] الغربية، ومن هذا يمكن القول بأن الإعفاء الذي ناله «نب آمون» عن أملاكه بوصفه رئيسا للشرطة يدل على أن الأراضي التي يُمنحها الجنود لم تكن معفاة من الضرائب، كما يمكن الإنسان أن يستنبط هذه الحقيقة من مضمون نقوش قضية «مس»، لأن وصف سير هذه القضية يشعر بأن ضرائب هذه الأطيان كانت تدفع إلى بيت المال وإلى «إدارة الغلات»؛ غير أننا نجد من جهة أخرى أن الإعفاء من الضرائب كان على ما يظهر شائعا بين الجنود فيما بعد، وبخاصة في عهد الرعامسة. يدل على ذلك ما جاء في قصيدة «رعمسيس الثاني» التي تصف لنا موقعة «قادش» (وهي المسماة «بنتاور» خطأ) إذ يقول الفرعون لجنوده مؤنبا: "لقد أعفيتكم من الضرائب". ويظهر كذلك أن هذه الأملاك التي كانت ضمن أملاك الحكومة لا يمكن تقسيمها بين أولاد الجندي القديم المستولي عليها إلا بوصفهم زرّاعا لها فقط، وكذلك كان لا يمكن لأولاد عمه الاستيلاء عليها إلا بهذه الكيفية[٢].

وكانت الأراضي التي تعطى هبة لهؤلاء الجنود تنحصر في قرى معينة وفي مناطق عسكرية. وبهذه المناسبة نذكر أن «أمنحتب الثالث» أمر في أثناء إحدى نزهاته لصيد الثيران الوحشية وهو بصحبة كل حرسه أن تجند الجنود الذين يسكنون في الجهة المجاورة لمحل الطراد (دندره)، وأن يكون على رأسهم قائدهم ليكونوا جميعا مرشدين لجلالته في هذه الجهة[٣]. هذا وقد جاء في رسوم الفرعون «حور محب» ذكر مستعمرات عسكرية، إذ نجد مع القوائم التي تحتوي على الأفراد

---

(١) راجع: Davies, "Tombs of Two Officials of Thothmes IV", Pl. XXVI.

(٢) راجع: Gardiner, Ibid, P. 25 - 26.

(٣) راجع: P. S. B. A. XXI, Pl. III, P. 156.

المدنيين قوائم تشمل جنودا عاملين يملكون سفنا[1] وحدائق . وذكر لنا كذلك « رعمسيس الثانى » كرة أخرى فى موقعة « قادش » بعض الحقائق فى هذا الصدد إذ يقول : " إنى صرحت لكم بالسكنى فى ضياعكم وأمددتكم مع أنكم لم تقوموا بالخدمة العسكرية[2] " فهذه الكلمات التى فاه بها « رعمسيس الثانى » كان يقصد بها منح هذه الأراضى المعفاة من الضرائب لتكون بمثابة أساس لإنشاء جيش عامل فى البلاد، إذ أنه قرن استغلالها بأن يكون مالكها على تمام الأهبة دائما ليقوم بواجبه العسكرى كلما دعا داعى الحرب للدفاع عن حياض الوطن، وإذا حدث أن أصبح مالك هذه الأرض المعفاة من الضرائب غير قادر على حمل السلاح، فإن ابنه الذى يرث هذا الإقطاع من بعده يجب عليه أن يحمل السلاح بدلا منه ، واذا اتفق أن ليس فى الأسرة ذكر قادر على حمل السلاح ، فإن الإقطاع يرجع ثانية ملكا للفرعون، فيعطيه بدوره غيره من القادرين على حمل السلاح .
ولا ريب فى أن الادّعاء الذى ذكره لنا « رعمسيس الثانى » من أن المبدأ القائل بأن المالك لمثل هذه الأراضى كان من حقه أن يستمر فى تملكها حتى ولو كان غير قادر على حمل السلاح ، وليس له ولد يحل محله ، مبالغ فيه ، وذلك لأن القانون الأصلى معروف تماما ، وهو يقضى بأن ملكية الأرض والانخراط فى سلك الجيش العامل كانا يتمشيان معا جنبا لجنب منذ أوائل الأسرة الثامنة عشرة، إذ يقص علينا فى هذا الصدد « أحمس » الذى أصبح فيما بعد مديرا لمعدّات السفن فى عهد آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة : "كان والدى جنديا فى جيش الفرعون « سقنن رع » ... ... ثم أصبحت جنديا بعده مع أنى كنت لا أزال صبيا[3] " . ومن ذلك نستخلص أن معظم جنود الجيش العامل كانوا أولاد جنود[4] . يضاف إلى ذلك أن « أمنحتب بن

---

(١) راجع : Muller, A. Z., XXVI, P. 70, lines 17, 34.

(٢) راجع كتاب الأدب المصرى القديم ص ٢٠٦ (٣) راجع : Urk. IV, P. 2.

(٤) راجع : Davies, "Two official" P. 23; Rec. Trav IV, P. 135, Brit. Mus. 215. حيث نجد أن الابن يرث والده فى وظيفته .

حبو » (كاتب المجندين) أعلن فى نقوشـه أنه يجعل المجنـد الصغير يحل محل سلفه لتكون بذلك عصا شيخوخته ممثلة فى ابنه الذى يحبـه ، وكان يشـير إلى أنه تحت سلطانه — بوصفه كاتب المجندين — الإدارة التى تجعل الولد يحتـل مكان والده فى الأملاك التى وهبهـا الفرعون إياه مقابل خدمتـه فى الجيش العامل ، وكذلك كان يقصد الكاتب « ثننى » نفس المعنى بكلماته التالية التى ذكرها لنـا فى تاريخ حياته ... " لقد رافقت الفرعون «تحتمس الرابع» ودوّنت له أسماء جنوده العدة "[١] . وكذلك نجد نقوشا تفسر لنا صورة تدل على تدوين أسماء كل جيوش جلالته "...... تسـجيل كل الجيش أمام جلالته، واقتراع المجنـدين من بين كل الشبان ، وجعل كل رجل يعرف واجبـه فى عامـة الجيش على يد كاتب الملك الحقيق محبوبه ، وكاتب الجيوش « ثنى » " وهـذان النصان يدلان على ما كان يحدث فى هـذه الإدارة الحربيـة : فقد كان من الواجب التأكد من هذه القوائم بمراجعتها ، وكذلك التحقق من قدرة كل جندى على الخدمة فى الجيش ، أو ممـا إذا كان ابنه سيحل محله فيأخذ أملاكه بدون ضريبة . ونجـد أمثال هذه المراجعات لقوائم الجنود فى نقوش قبر كل من « ثننى »[٢] و « حور محب »[٣] ، وكان كل منهما يحمل لقب « كاتب المجندين » ، فنجد فى المناظر الجنود مقسمين فـرقا بقيادة حامل العـلم أمام « كاتب الإدارة » فى صفوف ، ونشاهـد « كاتب المجندين » يراجع القوائم وهى التى كانت الأساس فى تنظيم الجيش ، إذ بها يستطيع الإنسان أن يتأكد عندما يوجد أى شك فى موضع أى جندى أو ضابط ، وكانت الجيوش تعبأ على حسب هذه القوائم[٤] . وعلى هذا الأساس من النظام أصدر ولى[٥] العهد فى حكم «رعمسيس الثانى» إلى الضباط : " أن ينادى الشبان من الشجعان المدوّنين فى قوائم جلالة الفرعون ، وأنه يجب عليهم أن يحملوا السلاح أمام جلالته" .

(١) راجع : Urk. IV, 1005 — 6.

(٢) راجع : Mem. Miss. Arch. Franc. V, P. 598.

(٣) راجع : Wreszinski, "Atlas" I. Pl. 245.

(٤) راجع : Pap. Anastasi I, 12.

(٥) راجع : Wreszinski, "Atlas" II, Pls. 110, 111.

والظاهر أن أولاد جنود الجيش العامل كانوا يدرّبون فى سنّ محدّدة ، ولكن مما يؤسف له أنه لم تصلنا نصوص صريحة عن ذلك فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، مع أننا كما سبق قد وجدنا « أحمس » قد حل محل والده وهو لا يزال صبيا ، غير أنه قد بين لنا أن حالته كانت حالة خاصة ؛ ومع ذلك فقد ذكر فى بردية من العهد الإهناسى ، (أى الأسرة العاشرة) أن سنّ التدريب كانت فى العشرين ، ولكن فى ذلك خلاف عند علماء الآثار[١] . وكان هؤلاء المجندون يجمعون فى فرق خاصة حيث كانوا يدرّبون كما يستخلص ذلك من لقب « حامل العلم » « سنى مسو[٢] » الذى كان يطلق عليه لقب « مدرّب فرقة البحارة » . وهذا الجندى بعينه هو الذى نراه مصوّرا على جدران مقبرة « كاتب المجندين » « ثننى » وقد رقى إلى وظيفة « كاتب المجندين » ، كما نجد كذلك فى نفس الصورة نظام سير هذه الفرق ذهابا وإيابا تحت إشراف ضابط يحمل لقب « حامل العصا » (أى أنه مسلح بالعصا) ، ولكن من الجائز أن تكون كل مناظر مقبرة « ثننى » تمثله نفسه فى وظائفه المختلفة .

وكان هذا التدريب العسكرى يجرى فى حاميات لا نعرف موقعها على وجه التحقيق ، فنعرف أن واحدة منها كانت فى «طيبة» حيث كان يدرّب حرس الفرعون ، وهؤلاء كانوا على حسب ترتيب الوزير[٣] لا بدّ أن يرافقوا الفرعون عندما يغادر «طيبة» وكان الفرعون يرافق الجيش بنفسه أحيانا كما ذكرنا ذلك من قبل عند ما خرج «أمنحتب الثالث» للصيد والقنص . وكانت توجد حامية أخرى كذلك فى «منف» التى كانت مقر القائد الأعلى لجيوش الدولة فى خلال الأسرة الثامنة عشرة كما سنرى بعد . هذا وقد وجد فى قبر الصائغ « أبوى » صورة تمثل بعض أقسام الحامية التى

---

(١) راجع : J. E. A. I, P. 27.

(٢) راجع : Urk. IV, P. 1006; Wreszinski, "Atlas" I, 23, 236.

(٣) راجع : Urk. IV, P. 1112, line 23.

كان يدرّب فيها المجندون . ويرجع تاريخ هـذه المقبرة الكائنة بسقارة إلى أواخر الأسرة الثامنة عشرة[(١)] .

وليس لدينا حاميات أخرى فى الدلتا إلا إذا استثنينا معاقل الحدود والحاميات التى فى المقاطعات ، ولا شك فى أن جزءا عظيما من هـذه الفرقة التى كانت تحمـل السلاح هم الجنود الذين يتألف منهم الجيش العامل ، ويقضون وقتا غير محـدود فى تلك الحـاميات يدرّبون تدريبا عسكريا قبـل أن يطلق سراحهم ويؤذن لهم بالعودة إلى إقطاعاتهم التى منحوها .

وكان تجنيد العساكر الرديف كذلك تحت إدارة « كاتب المجنـدين » ، وكانوا يشتغلون كثيرا فى خلال الأسرة الثامنة عشرة فى شئون النقل .

أما فى الحروب فكانوا لا يستعملون إلا عند الضرورة الملحة ؛ فنشاهـد مثلا على جدران معبـد الدير البحرى فرقـة الجنود الخاصـة ينقلون مسـلات الملكة « حتشبسوت » وعلى مقربة منهم مجنـدو الجيش أى الجنود الذين كانوا يدرّبون ليصبحوا جنودا نظاميين[(٢)] ، وهم الشباب المقـترعون . وفى نص آخر ذكروا بأنهم من بلدة « أطفيح[(٣)] » أى المقاطعة العاشرة من أعمال الوجه القبلى . ولا نعلم إن كان هذا التخصيص يدل على أنه كانت توجد نسبة مئوية للتجنيد أم لا . وكل ما وصل إلينا إلى الآن من معلومات فى هـذا الصدد وثيقة واحدة ترجع إلى عهـد الأسرة الثانية عشرة[(٤)] ، ذكر فيها أن النسبة كانت ١ ٪ ، وذلك حينما أريد جمع جيش من الرديف للقيام بحملة إلى الواحات[(٥)] . والواقع أنه لا يمكننا أن نحـدّد النسبة المئوية

(١) راجع : Quibell and Hayter, "Excavations at Sakkara", (1927) VIII, Pl. 12.

(٢) راجع : Naville, "Deir el Bahari", Vol. IV, Pl. XCI.

(٣) راجع : Ibid. VI, Pl. CLIV.

(٤) راجع : Erman-Schafer, A. Z. 38, 42.

(٥) راجع : Davies, The Tomb of Two Officials", Pl. XXV.

الحقيقية للجندين الذين كانوا يؤخذون من الأهلين لاختلاف أنواع المجندين أنفسهم، وبخاصة فى الجيش العامل الذى كان يتألف من عدد عظيم، ومن المحتمل أن هذا التجنيد كان ينفذ قهرا، إذ نجد فى مقبرة رئيس الشرطة « نب آمون » « بطيبة » الغربية منظرا يشاهد فيه عدد عظيم من الشباب قد جمعوا فى مكان واحد لينتخب منهم من تتوافر فيه شروط التجنيد وعلى مقربة منهم نشاهد ذويهم يرجون من أولى الأمر إعفائهم [1] .

وكان من الضرورى لهذا إعداد قوائم دقيقة بأسماء كل الأهلين ومكانتهم الاقتصادية وعلى حسب هذه القوائم كان يقرر « كاتب المجندين » ضرائب كل جهة تناسب عددها [2] . ويشاهد وضع هذه القوائم ومراجعتها فى منظر على جدران مقبرة « كاتب المجندين » « ثنى » وقد كتب معها الشرح التالى : " تسجيل كل البلاد أمام جلالته ، ومراقبة كل الأشياء ، ومعرفة الجنود ، والكهنة ، وخدم الفرعون ، وكذلك كل الصناعات فى جميع البلاد ، وكذلك الثيران والبط والماعز بوساطة ... ... « ثنى » [3] " .

ولا نزاع فى أنه كان فى مقدور الإنسان أن يعرف على وجه التقريب كل عمال البناء من « إلفنتين » (اسوان) حتى « سما بحدت » (البلمون الحالية) الذين جاءوا لقطع مسلة أقامها « أمنحتب الرابع » . هذا وكانت فرق الرديف هذه مقسمة وحدات على حسب القرى التى اقترعوا منها [4] .

---

(١) راجع : Borchardt, Ibid, 583, Vs. line 13.

(٢) راجع : Urk. IV, P. 1007.

(٣) راجع : A. S., III, P. 263.

(٤) وفى عهد الدولة الوسطى كان يقوم كاتب الجنود فى كل مركز بعملية التجنيد، وفى هذا الوقت لم تكن وظيفة كاتب المجندين قد وجدت بعد . (راجع A. Z. XXXVIII, P. 42; Griffith, Kahun Pap. IX, 11 a.

ولم تكن دائرة نفوذ «كاتب المجندين» تحصر فى الأمور الحربية الخاصة بفرق المجندين، بل كانت تمتدّ كذلك إلى فرق العبيد من أسرى الحروب، وهم الذين كانت تملكهم الحكومة . وقد بين لنا ذلك « أمنحتب بن حبو » فى تاريخ حياته حيث يقول : "لقد أنجزت أعمال السخرة برجال من أحسن الأسرى الذين أسرهم جلالته فى ساحة الوغى، وراقبت جنوده"[١] . ويقول : "لقـد أحصيت أسرى جلالتـه الذين كنت رئيسا لهم" . وكان يوزعهم على حسب أمر الفرعون على المعابد المختلفـة ، وكان هؤلاء الأسرى من العبيد يستوطنون ضياع الفرعون، أو يحتلون ضياع المعابد الموقوفة[٢]، عليها فكان الرجال منهم يفلحون الأرض أو يصيرون رعاة ، أو منظفين للذهب ، أو يعملون بنائين الخ . أما النساء من الأسرى فكن يحترفن الغزل ، أو يعملن غسالات ، أو يقمن بتقديم البخور وطاقات الأزهار . وقد كانت هذه القوائم تدوّن بدقة وإحكام ، ولا شك فى أن ذلك هو الأساس الذى تقوم عليـه كل إدارة محكمة النظام ، وقد كان يشـترط فى كل قسم منها أن يكون قائمـا بذاته ، فلا يتعدى قسم على آخر ، تجنبا لعدم الارتباك فى سـير العمل ، لأنه كان يطلب دائما من العبيد عدّة طلبات فى وقت واحد ممـا يخل نظام سير العمل . ومن الأمثلة النموذجية[٣] فى هذا الصدد الشجار الذى قام بين «انى» صاحب بيت المـال المشهور فى عهد الرعامسة، وبين مـدير بيت الفرعون بسبب توريد الكتان بوساطة الإماء والعبيد، فقـد تدخلت هنا كذلك الإدارة الحربية، وكان يمثلهـا قائد وكاتبه ، ووضعت قائمـة مضبوطة لذلك ، وكانت كل من هاتين الإدارتين تدعى حق السيطرة على هؤلاء الإماء .

---

(١) راجع : Borchardt, Ibid, 583, line 13.

(٢) راجع : A. Z., XXXVI, P. 84; "Rec. Trav.", XX, P. 37 ff. line. 7; "Rec. Trav.", XVI, P. 123. Kees, "Kulturgeschichte", 239, Anm. I; Bissing. A. Z. XXXVII, P. 39; Pap. Harris I, P. 10, 16, 8, 51 a, 7.

(٣) راجع : Pap. Anastasi VI, 1, 7 ff.

من كل هذا يتضح أنه لم يكن ثمة فرق بين إدارة الجنود ، وبين إدارة جماعات جنود العبيد، بل على العكس كانت إدارتهما موحدة فى يد موظف حربى كفء . وعلى هذا تنطبق الملاحظة التى ذكرها أحد كتاب الرعامسة فى خطاب نموذجى[١] ، أعلن فيه أنه كان يراجع فى « الفنتين » عدد الجنود ، وفرسان العربات المحاربين والعبيد[٢] ، وقد شرح لنا الأستاذ « ولف » (A. Z. LXV, P. 90 ff.) كيف كانت توضع هذه القوائم ، استنادا إلى ما جاء فى ورقة « بولونيا » رقم ١٠٨٦ . وهذه الوثيقة خاصة بقائمة عبيد « سوريا » ، وتشتمل هذه القائمة أولا على اسم العبد ووالديه، والمكان الذى نشأ فيه ، واسم من أحضره إلى مصر، واسم الإدارة التى سلم إليها . ولا نزاع فى أن أمثال هذه القوائم هى التى استقيت منها المعلومات التى تصادفنا أحيانا مرسومة أو منقوشة على جدران المعابد بمناسبة الاحفال التى كانت تقام وقتئذ ، ويظهر فيها السيد والمسود .

وقد وصلتنا ملاحظة فى نقوش « أمنحتب بن حبو » فى هذا الموضوع ، غير أنها مهشمة فيقول : " حيث كنت موزعا للعطور " ، وهذه الجملة المبتورة تذكرنا بما جاء فى نقش على جدران مقبرة الوزير « رخ مى رع » الذى كان يشغل منصب وزير الدولة ، ومدير الخاصة الفرعونية ، فى عهد « تحتمس الثالث » إذ يقول[٣] : " إنه كان مشرفا على توزيع الأنصبة من الكتان والعطور والإماء ، والعبيد الخاصة بمعبد آمون " . غير أنه لا يمكننا الجزم هنا بما إذا كانت كلمات « أمنحتب بن حبو » المبتورة تشير إلى موقف مثل هذا أم لا ، أو إذا كان من اختصاص كاتب المجندين تغذية المجندين بوصفه المدير المشرف على تنفيذ ما فى هذه القوائم ، وذلك لأن الإشارة إلى القيام بمثل هذا العمل لم تأت قط فى دائرة اختصاص كاتب مجندين غير « أمنحتب بن حبو » .

(١) راجع : Pap. Anastasi IV, 4, 8-9.

(٢) راجع : Borchardt Ibid. 583, Line 3.

(٣) راجع حياة «رخ مى رع» فى الجزء الرابع من هذا المؤلف ص ٥٥٤ ,.Urk. IV, P. 1147

حمـاية الحدود : تدل النقوش التى ذ كرها « أمنحتب بن حبو » فى تاريخ حيـاته ، وهى التى تصف لنـا إشرافه على التجنيد وإدارة جنود الجيش العـامل وجنود الرديف والجنود العبيد، على أن كاتب المجندين كان يشرف على دائرة حيوية أخرى إذ يقول : " لقـد[1] وضعت كذلك فرقا على الطريق لترد الأقوام الأجانب على أعقابهم إلى بلادهم . وهؤلاء الأقوام يحيطون بكلتـا الأرضين . كذلك كان من واجباتهم منع تنقلات البـدو الرحل ، وقمت بنفس العمل على الشواطئ عند مصبات النهـر التى كانت مغلقة إلا لبحارة الفرعون . تأمل ! لقـد كنت مرشد طرقهـم وكانوا طائعين أوامرى ، وكذلك كنت الفـم الأعلى (الرئيس الأعلى) الذى كان يرأس الشجعان ، وأدبت همج آسيا ... ... " .

ومما سبق يتضح أن الأماكن التى كانت فى حاجة إلى حماية من المغيرين على شواطئ الدلتا وحدودها أو بعبارة أخرى الجزء الشمالى من أرض الدلتا هـو الذى كان تحت إدارة « أمنحتب بن حبو » بوصفه « كاتب المجندين » . على أنه لم يرد فى نقوش الأسرة الثامنة عشرة ذكر حماية الشواطئ . حقا نعرف أنه كان لهـذه الشواطئ مشرف خاص يحمل لقب « مدير مصبات البحر » . هذا إلى أنه قد جاء ذكر موظف يحمل هذا اللقب فى عهـد الفرعون « تحتمس الثالث » وكان مكلفا بقيادة حملة إلى سينا فى « سرابة الخادم[2] » . وكذلك نجد فى الأزمان التالية لهـذا العصر الذى نحن بصـدده أن « رعمسيس الأول » كان قبل توليته الملك يلقب فى عهد الفرعون «حور محب» أو فى حكم الفرعون « آى » بلقب «مدير السواحل» وقائد الحامية فى « سـيلة » (تل أبو صيفة[3]) . هـذا إلى أننا لم نجد فى خطابات

---

(١) راجع : Borchardt, ibid. 583, Rs. line 14.

(٢) راجع : Gardiner and Peet, "Sinai", Pl. LXIV, No. 196; Urk. IV, P. 885 - 9.

(٣) (راجع مصر القديمة جزء ٤ ص ٧١) .

« تل العمارنة » ما يدل على حماية السواحل وكانت أوّل إشارة صادفناها والنقوش تشير إلى إغلاق مصبات النيل فى عهد «رعمسيس الثالث» خلال حروبه مع أقوام الشمال فقد تكلم أحيانا عن إغلاق مصبات النيل[١] . ومن المحتمل أن لقب « مدير حصن البحر » يدخل ضمن موضوع حماية السواحل التى كان مكلفا بالإشراف عليها فى عهـد الأسرة الثامنة عشرة شخص يدعى « سا أمنت[٢] » إذ يقص عن نفسه : " إنه كان يسيطر على كل جزية الأعداء[٣] " . ويمكن قرن هذا التصريح بما جاء فى ورقة " بولونيا " رقم ١٠٨٦[٤] التى دوّنت فى عهد الرعامسة ، وقد نص فيها على أن العبد كان قبل أن يسلم من بلاده إلى سيده الجديد لا بدّ أن يقدم إلى مدير القلعة ، ومن ذلك نعـلم أن مصبات النيل كانت مغلقة فى وجه السفن الأجنبية وكانت تجبر على الرسوّ فى مكان معين حيث كانت تجبى منها الضرائب . وكانت هذه القلاع إذن أماكن لجمع الضرائب أكثر منها حصونا حربية . من أجل ذلك كان قائد القلعة البحرية " سا أمنت " يقول : " إنه كان يحافظ على جمع الضرائب من الأجانب " . وهذا القول يطابق ما جاء فى مرسوم « نورى »[٥] الذى صـدر فى عهد « سيتى الأوّل » وهو خاص بمعبد «أوزير» بالعرابة ، إذ يقول إنه فى قلعة معينة على مقربة من الحدود النوبية المصرية كان يجب على كل سفينة آتيـة أن يستولى عليها وتسلم إلى القائد أو إلى الكاتب أو المفتش المشرف على القلعة ليحصل منها على الضرائب المفروضة .

---

(١) راجع : Edgerton and Wilson, "Historical Records of Ramses III", Pl. XLVI, 20, 23.

(٢) راجع : Speelers, "Recueil des Inscriptions Egyptiennes des Musees Royaux du Cinquantenaire à Bruxelles", No. 117, "Rec. Trav", XXII, P. 105 - 8.

(٣) راجع : Holscher, "Libyer", P. 34, 35. anm. 10.

(٤) راجع : A. Z. LXV, P. 89.

(٥) راجع : Griffith, J. E. A., XIII, P. 143. line 82 ff.

وكانت السفن الخاصة بمعبد « أوزير » بالعرابة بمقتضى نص هـذا المرسوم قـد أصبحت معفاة من كل الضرائب[١] .

على أن «سا أمنت» الذى ذكرناه آنفا كان يشغل بالإضافة إلى منصب «قائد قلعة بحرية » وظيفة « قائد قلعة الأراضى الأجنبية الشمالية » ، والظاهر أن هذا اللقب الذى لم يرد إلا فى هذا النص وحده لا يعزى إلى قلعة فى فلسطين أو سوريا ، بل إلى قلعة فى الشمال الشرقى من الحدود المصرية وهى حصن ضمن سلسلة الحصون التى أقيمت لحماية الحدود من هذه الناحية ، إذ كان لا بدّ لمصر من معاقل يعززها جيش عظيم عنـد حدودها الشرقية . أما فى الجنوب فكانت حدودها محميـة ببلاد النوبة التى كانت تحت حكم نائب ملك مصرى منفصـل بإدارتها . أما على جانبى الصحراء فى الوجه القبلى فكان يكفى لحمايتها رجال شرطة أقوياء عينوا لهذا الغرض وحسب .

والواقع أنه كان من الضرورى اتخاذ قواعد حربية على حدود الدولة من الشرق والغرب فى خلال الأسرة الثامنة عشرة ، وقـد كانت إدارة الحدود فى عهد الدولة الوسطى مقسمة تقسيما عظيما محكما فكان يشرف على الحـدود الشرقية أمير المقاطعة السادسـة عشرة (بنى حسن الآن)[٢] ، إذ كان يسيطر على قواعد المعاقل وعلى رجال شرطة الصحراء من الدلتا حتى مقاطعته ، وكان يحمل من أجل ذلك لقب « مدير الصحراء الشرقية » وهو اللقب الذى كان يحمله «ختى» قبل عهد «أمنمحات الأوّل» وكان يحمله « نختى » بعد عهد « امنمحات الأوّل » ، وكذلك « نترنخت » فى عهد « سنوسرت الأوّل » وكذلك كان يلقب به « خنوم حتب » فى عهد « سنوسرت

---

(١) راجع : Pap. Hood. Maspero, "Etudes Egyptologique", II, P. 1 ff. line 21 ff. راجع كذلك A. S. IX, P. 441 anm. 1, A. Z., L, P. 49 ff. Pap. Hood, 20 - 21. حيث تجد ألقاب المشرفين على مصاب النيل وقلاعه .

(٢) راجع : Newberry, "Beni Hassan", Vol. II. Tomb No. 17 etc.

الثانى » أما الجـزء الباقى بعـد المقاطعة السادسة عشرة حتى بلاد النوبة فكان على مايظهر يشرف عليه قائد الجيش فى الصحراء وهو المشرف العام على شرطة الصحراء[١] فقد جاء فى أحد النصوص إثباتا لهـذا الرأى أن قائد الصحراء « سعنخ » فى عهد «منتوحتب الرابع» آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة كان يسمى المنطقة التى بين بلدة «منعات خوفو» وبين بلدة «تاعو» (مكان غير معروف) منطقة نفوذه، ولايبعد أن تكون إدارة الحدود المصرية الغربية كانت تسير فى حمايتها على نفس الطريقة، فكان أمراء مقاطعة «البرشة» (المقاطعة الخامسة عشرة) يحملون لقب «مدير الصحراء الغربية» ومن المعروفين بين هؤلاء فى أوائل الأسرة الثانية عشرة «عحانخت»[٢] (مدير الصحراء الغربيـة) وبجواره فى عهـد « سنوسرت الثانى » كان يحمل « منتوحتب »[٣] لقب مدير الأقاليم الجبلية الغربية ومدير حصن ، وفى هـذه الحالة كان هـذا الموظف لا يحمل لقب أمير مقاطعة، ومن المحتمل أن مثل هذا الموظف كان موقفه كموقف «سعنخ» الذى كان مديرا للقسم الجنوبى من الجهة الشرقية، وكان هو بدوره قائدا للجزء الجنوبى فى الجهة الغربية، غير أنه لا يمكننا البرهنة على صحة ذلك، على أنه من المحتمل أن تغيير مقر الحكم من «طيبة» الى جوار «منف» قد تبعه تغيير كل هذه الإدارة ، ولـكن خلافا لذلك نجـد أن أمير مقاطعة « قفط » فى العهد الإهناسى كان يشرف على طريق القوافل التجارية فى بلدته، وبذلك كان المشرف على شرطة الصحراء فى منطقة « طيبة » القائمة بذاتها، ولكن منذ باكورة عهد الدولة الحديثة كان « كتّاب المجندين » هم القوّاد لحماية قواعد الحدود . وأهم هذه القواعد قاطبة

---

(١) راجع : Couyat et Montent, "Les Inscriptions Hieroglyphiques et Hieratiques du Ouadi Hammamat", No. 1.

(٢) راجع : Newberry, "El Berseh", Vol. II. Pl. XIII; Anthes, A. Z., LXV, P. 111.

(٣) راجع : Lange und Schafer, "Grab und Denksteine des Mittleren Reiches", II, No. 20539, line 16.

هى الحصون التى كانت تقع بين حدود مصر وآسيا، ولا غرابة فى ذلك فإن تلك الحصون[١] كانت قائمة هناك منذ فجر التاريخ المصرى، ويظهر أنها أقيمت فى عهد الملك «سنفرو» وقد جمع القائد «ونى» فى عهد الأسرة السادسة جنوده لمحاربة «سوريا» فى مكان يسمى «وعرت — حور[٢] — ماعت»، وكانت هذه الحصون قد اختفت بعد سقوط الدولة القديمة، ثم أقيمت ثانية فى العهد الإهناسى، وكانت وقتئذ تمتد من شاطئ البحر الأبيض المتوسط إلى المقاطعة السادسة عشرة[٣] من أعمال الوجه القبلى . وفى عهد الأسرة الثانية عشرة أصلحها «أمنمحات الأول» وزاد فيها مسميا إياها «سور الحاكم[٤]» وقد ظهر تأثير مناعتها فى الوصف الدقيق الذى جاء فى قصة «سنوهيت» (راجع كتاب الأدب المصرى الجزء الأول ص ٣٤ الخ) .

وكان قائد تلك الحصون فى عهد الأسرة الثامنة عشرة تحت إمرة «كاتب المجندين» للوجه البحرى، وكان يحمل لقب قائد حصن «سيلة[٥]» (تل أبو صيفة الحالية) . وكانت «سيلة» مقر الإدارة، وتعد بمثابة نقطة الوسط لكل خط الدفاع فى تلك الفترة . وكان فيها المركز الرئيسى[٦] للادارة . ومنها كانت تقوم الحملات التى يشنها الفرعون على بلاد «سوريا» ولهذا السبب كان يوجد جزء من معدات[٧] الجنود فى «سيلة» هذه . وكان قائد الحصن فيها يحمل لقب «فارس» .

---

(١) راجع : Sethe, "Die Altagyptischen Pyramidentexte", line 628 b.

(٢) راجع : Urk. I, P. 103.

(٣) راجع : Pap. St. Petersburg 1116 A, line 88 - 90; Kees, "Kulturgeschichte" P. 228. ff.

(٤) راجع : Pap. St. Petresburg 1116 b. line 66.

(٥) راجع : Gardiner, J. E. A., Vol. V, P. 244; Naville, J. E. A., X, P. 22 - 26.

(٦) راجع : (Urk. IV, P. 647.)

(٧) راجع : Erman und Lange, "Papyrus Lansing", 10, 1, P. 88.

وقد وصلت إلينا أسماء بعضهم فى خلال الأسرة الثامنة عشرة[١] ، وكان قائد الحصن فى بلاد النوبة يحمل مثل هذا اللقب ، ولكن نجد فيما بعد أنه كان يحمله لأول مرة فى عهد أحد أخلاف «إختاتون» ، وهو الذى أصبح فيما بعد « رعمسيس الأول » وكان قبل توليته الملك يعمل بمثابة ضابط لقواعد الدفاع على الساحل ، كما كان يشرف على الحدود الشرقيــة الشمالية[٢] ؛ ومن الجـائز كذلك أن « سأمنت » الذى كان مديرا للحصون البحرية ، والحصون التى فى شمالى البلاد الأجنبية كان من نفس هذا الصنف من هؤلاء الموظفين ، وبخاصة عندما نعلم أنه كان مثل « بارعمسيس» يدير حراسة الشواطئ ، وحماية الحدود ، وكان تحت إمرة قائد حصون « سيلة » كل ضباط الحاميات التى فى دائرتها ، فكان عملهم الإشراف على الحاميات والآبار[٣] المحروســة على طول خط الدفاع ، يضــاف إلى ذلك النقط التى كانت فى طرق الصحراء المؤدّية إلى «فلسطين» ، وكان كل ضابط منهم يحمل لقب «فارس الحامية»[٤] وكان من واجبهم ألا يدعوا شخصا غير معروف يدخل الحدود المصرية أو يغادرها ، وقد وصل إلينا فى هــذا الصدد يوميات[٥] أحد موظفى الحدود فى حصن « سيلة » نعلم منها أنه كان لا بدّ من مراقبة كل مارّ بدقة ، وكذلك مراقبة قبائل البدو الرحل

---

(١) راجع : Leiden V, 43, "Boeser, "Beschreibung der Aegyptischen Sammlung des Niederlandischen Reichmuseums in Leiden", VI, Taf. XIII, 22; Gardiner und Peet, "Sinai", Pl. XIX, No. 59; "Rec. Trav." XX, P. 178.

(٢) راجع : A. S., XIV, P. 30.

(٣) راجع : J. E. A. VI, P. 108; Ibid. P. 99; A. Z., LXV, P. 57; Harris Papyrus I, 77. 6 ff.

(٤) راجع : Pap. Anastasi. V, II, 7 ff; A. Z., LVI, P. 55; Pap. Anastasi V, 19, 2, 3.

(٥) راجع : Wolf, A. Z., LXIX, P. 39.

الذين كانوا يتسربون إلى داخل الحدود المصرية بحجة البحث عن مرعى[١] خصيب لماشيتهم ، هذا إلى مراقبة العبيد الفارين[٢] . وكان من واجب ضباط نقط الحراسة الفينة بعد الفينة الحضور أمام رئيسهم الأعلى فى « سيلة » ليقدموا له تقاريرهم عن سير الأمور فى النقط المختلفة ، وكان من نتائج تلك الحراسة اليقظة الشديدة المنظمة أن أصبحت « سيلة » مستعمرة صالحة للمجرمين ، وبخاصة أنها كانت واقعة على حدود الأراضى الزراعية ، كما ذكرنا « حورمحب » فى مرسومه العظيم . وكان « كاتب المجندين » فى الوجه البحرى هو الرئيس الأعلى لضباط نقط الحراسة ، وقائد حامية «سيلة » ، ولهذا نجد صورة على جدران قبر كاتب المجندين «حورمحب»[٣] تمثل عددا عظيما من هؤلاء الرؤساء فى ضيافته .

ومن الغريب أنه بينا نرى معلوماتنا عن حراسة الحدود الشرقية فى الدلتا تحتل مكانة عظيمة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، إذ نتضاءل معلوماتنا جدا عن حراسة الحدود الغربية فى الدلتا بالنسبة لنظيراتها ؛ على أننا من جهة أخرى نعلم أن « أمنحتب بن حبو » قد ذكرنا أنه أحاط شاطئ الدلتا بنقطة حراسة ، وهذا يدل على أنه كان على الشاطئ الأيمن للدلتا معاقل حربية وقد كانت نقط الحراسة هذه فى غرب الدلتا موجودة من قبل منذ الدولة القديمة ، فقد ورد ذكر لقب « مستشار[٤] ثغور البلاد الأجنبية فى شقى الدلتا » وكذلك لقب « حارس حصن باب الغرب[٥] » ؛ غير أن هذه المعاقل لم يأت ذكرها فى النقوش فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وكان أول ذكر لمعاقل الحدود الغربية فى عهد الفرعون « مرنبتاح » ثم

---

(١) راجع : Pap. Anastasi VI, 4, 11 ff.

(٢) راجع : Pap. Anastasi V, 19, 2 ff.

(٣) راجع : Bouriant, "Mem. Miss. Arch. Franç.", V, P. 426. Pl. II.

(٤) راجع : Borchardt, "Des Grabdenmal des Konigs Ne-user-Re" P. 113; Urk. IV, P. 16.

(٥) راجع : A. Z. XXXIV, P. 1, line 23.

فى عهد « رعمسيس الثالث » ، والظاهر أن النظام فى هذه الجهة كان يختلف عنه فى الجهة الشرقية ، يدل على ذلك أنه كان فى الجهة الغربية قائد يحمل لقب « قائد فرع النهر الأيمن » (الفرع الكانوبى) ونرى فيما بعد أن هــذا اللقب كان يحمله حاكم لمدينــة « طينة » والواحات اسمه « مين »(١) ، ومن المحتمل أن هذا الموظف كان يحمل فى الوقت نفسه لقب « حاكم فرع النهر العظيم » كما كان القائد الأعلى يحمل فى الجهة الشرقية لقب « حاكم سيلة » ، غير أنه مما يؤسف له أن هذا اللقب وصل إلينا مهشماً(٢) ، ومهما يكن من أمر فإن لقب « حاكم النهر العظيم » قد وصل إلينا فى نقوش الأسرة الثامنة عشرة(٣) ، ولكن من غير لقب حربى معه .

أما عن حدود الوجه القبلى من جهــة الصحراء فلم توجد أية معاقل بل كان يقوم بالحراسة هناك « شرطة الصحراء » ، وهم رجال خفاف الأجسام ، سريعو الحركة ، معظمهم نشأ فى الصحراء نفسها ، وكان يسيطر عليهم مشرف يحمــل لقب « مــدير الصيادين » . وهؤلاء المديرون هم الذين كانوا بدورهم فى عهــد الدولة الوسطى حكام مقاطعات(٤) ، أو قواد الصــحراء(٥) ؛ وفى خلال الدولة الحديثــة كانوا تحت سيطرة كاتب المجندين ، ولم تكن مهمة هؤلاء الحراس قاصرة على أعمال الشرطة ، أو الأمور الحربية ، وذلك بتعقبهم الفارين إلى الواحات(٦) ، أو حماية عمال قطع الأحجار(٧)

---

(١) راجع : Urk. IV, P. 982.

(٢) راجع : Urk. IV, P. 981.

(٣) لوحة نب آمون (راجع : "Rec. Trav." XXXII, P. 154; Gauthier; "Dict. Geog." I, P. 118.

(٤) راجع : Newberry " Beni Hassan", Vol. I, Pl. XXX.

(٥) راجع : Couyat et Montet, "Ouadi Hammamat", No. 114.

(٦) راجع : A. Z. LXV, P. 108 - 114.

(٧) راجع : Couyat et Montet, "Ouadi Hammamat", No. 114, line. 12.

من غارات البدو الجائلين الذين يعيثون فى الأرض فسادا ، أو صيانة الطرق المؤدية إلى مناجم الذهب ؛ فقد وجدنا فى قبر رئيس كهنة «آمون» المسمى «منخبررع — سنب» فى عهد « تحتمس الثالث » منظر مدير صيد ، ومعه جزية الذهب من «قفط»[1] ، بل كانوا كذلك على الرغم من كل هذه الخدمات التى يقومون بها باقين على حالتهم الأصلية يزاولون الصيد والقنص وهى مهنتهم الأصلية التى فطروا عليها ، من أجل ذلك نشاهد « رئيس البدو » و « مدير الصحراء » « نفرخاوت » ممثلا على لوحته التذكارية[2] حاملا أثقاله على كتفه ؛ وكان ابنه « منخبررع سنب » يلقب كوالده « مدير الصيادين » ومدير الصحراء و رئيس البدو[3] ، وكان مقر كل منهما بطيبة . على أن هذا الموظف كان يلقب « رئيس البدو » حينما يكون جنوده من سكان الصحراء لا من سكان المدن المصرية .

قائد الجيش

كانت السبيل ميسرة لكاتب المجندين أن يرقى فى وظيفته إلى أعلى رتبة فى الجيش ، وأعنى بذلك رتبة « قائد » ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فقد كان كل من « ثننى »[4] و « سات است »[5] و « رعمسو »[6] ثم « معى »[7] كاتب مجندين ، قبل أن يصبح قائدا . وكذلك كانت الحال مع القائد الأعظم «حور محب» ، فإنه على حسب ما وصل إلينا من المعلومات عن القابه كان فى بادئ أمره « كاتب مجندين » ، ولكن الأمثلة الأخرى

(١) راجع : Davies, "The Theban Tomb Series", Vol. V, Pl. IX.

(٢) راجع : Urk. IV, P. 989 - 991. من عهد « تحتمس الثالث » .

(٣) راجع : Urk. IV, P. 991 - 994;

(٤) راجع : Urk. IV, P. 1002 - 1017.

(٥) راجع : Mariette, "Abydos" II, 53. c. من عهد « أمنحتب الثالث » .

(٦) راجع : Davies, "El Amarna", Vol. IV, P. 21.

(٧) راجع : Ibid, V, Pl. IV.

التى لدينا لمن رقوا قوّادا لا نعرف منها عن سلك ترقيتهم فى الخدمة شيئا يخوّل لنا أن نحكم بأنهم شقوا طريق رقيهم المعتادة، فمن هؤلاء «تحوتى»(١) و«بتاح معى»(٢) الذى عاصر حكم «تحتمس الرابع» و«أمنحتب» فى عهد «أمنحتب الثالث»(٣) ثم «با آتون — محب»(٤)، ولم يشذ عن هذه الأمثلة إلا القائد الأعظم «أمنمأنت»(٥)، فانه رقى إلى رتبة قائد من الجيش العامل نفسه، وسنتكلم عنه فى الجزء الخاص بحياته. بعد عصر العمارنة، ولا بدّ أن نلاحظ هنا أنه قد ظهر عدّة قوّاد فى وقت واحد فى البلاد، وليس هذا بغريب فقد كان بطبيعة الحال لكل من الوجه القبلى والوجه البحرى قائد قائم يقود الجنود المدرّبين، وهم الذين كان لا يوجد منهم إلا نفر قليل فى المعسكرات، وهؤلاء هم الذين كانوا فى أغلب الأحيان يعفون من الضرائب التى كانت تفرض على إقطاعاتهم. أما مكانة القائد بين كبار رجال الدولة فقد عرفناها من منظر على جدران مقبرة «رئيس الكهنة» فى عهد الفرعون «توت عنخ آمون»(٦) يمثل مقرّ الإدارة العامة، فنجد الوزير يحتل المكانة الأولى، ثم يأتى بعده «مدير أملاك الفرعون»، ثم «مدير المالية فمدير محكمة العدل»، وخلف

---

(١) تحوتى (راجع Urk. IV, P. 999.) من عهد «تحتمس الثالث» وكان يحمل الألقاب التالية: كاتب الملك الحقيقى، المشرف على البلاد الأجنبية الشمالية والمشرف على الحامية والقائد.

(٢) بتاح معى (راجع "Rec. Trav." X, P. 150) من عهد «تحتمس الرابع» ويحمل الألقاب التالية: كاتب الفرعون وقائد رب الأرضين.

(٣) أمنحتب (راجع Champollion, "Not. Desc.", I, P. 161.) ويحمل لقب قائد جيش رب الأرضين.

(٤) با آتون محب (راجع Davies "El Amarna", V, P. 15, Pl. XIII.) من عهد أمنحتب الرابع، ويحمل الألقاب التالية: كاتب الفرعون وقائد رب الأرضين، ومدير الأعمال فى إخناتون ومدير البيت.

(٥) راجع: A. Z., P. LXVII, P. 78.

(٦) راجع: Erman, A. Z., XXXIII, P. 32; A. Z., LX, P. 56.

هؤلاء يأتى « مدير مكتب الوزارة » فدير بيت المال (وهو تحت إمرة مدير المالية)، ثم يأتى بعد كل هؤلاء « القائد » . ومما هو جدير بالذكر هنا أن هؤلاء القوّاد كانوا فى عهد « إخناتون » يرقون إلى وظيفتهم هذه من وظائف كتابية وحسابية . والواقع أن القائد لم يكن المجال فسيحا أمامه ليستعمل مواهبه ودرايته الحربية قط، على أنه إذا أتيحت له الفرصة، فانه كان يفوق عدوّه فى الحال، لأن ثقافته كانت أكبر عون له على ذلك، إذ كان من واجبات القوّاد أن يعرفوا طرق مواصلات جنودهم، والاعتناء بجراياتهم، وعدد الجنود اللازمة لهم، هذا إلى أن الجيش المصرى لم تكن مهمته القيام بالحروب وحسب، بل كان فى أغلب الأحيان يستعمل فى إنجاز مشاريع البناء، ونقل الأحجار اللازمة لأعمال الدولة، ومن ثم كان من الضرورى للقائد أن يكون ملما بكل ما يتعلق بهذه الأمور، مما جعل الأعمال الحربية المحضة تتضاءل أمام الواجبات الأخرى ، التى كان يضطلع بها القائد لتنظيم تلك الأعمال وتنفيذها . من أجل ذلك تمدّد لنا ورقة « انسطاسى »[(1)] رقم ١ المعلومات التى كان يجب على كل موظف حربى أن يُلم بها ، وفى قدرته حل معضلاتها إذا واجهته . وأهم شىء لفت اليه النظر مؤلف هذه الورقة ، هو ما كان يجب أن يقوم به القائد من أعمال البناء قبل قيامه بحملته ، فيجب على القائد أن يحسب حساب الجرايات اللازمة للرجال لحفر بحيرة أبعادها معلومة، أو لأجل نقل مسلة ذات أبعاد معينة وحجم معين ، وكذلك حساب منزلق لأجل بناء ما ، وكذلك عدد الرجال اللازمين لإقامة تمثال ضخم ؛ وبجانب هذه الأعمال يوجد عمل آخر خارج عن الأعمال الحربية ، ولكن لا يختلف فى جوهره عن الأمور السابقة، وهذا العمل هو توزيع حركات الجيش ، والمؤن اللازمة لحملة مسافرة إلى بلاد «سوريا»؛ هذا فضلا عن أن كاتب هذه الورقة يفرض فى وثيقته هذه على كل موظف حربى، أن يكون عالما بتخطيط البلدان التى سيخدلع فيها لهيب

---

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء الأول ص ٣٧٨ — ٣٩٥ .

الحرب، وأن يكون عالما بلغة أهلها، وأن يكون فى المستوى العلمى الذى نتطلبه وظيفته العالية .

على أن ما يدعو إلى الدهشة فى هذه الورقة التى ترجع إلى عهد الرعامسة إن الجزء الهام الخاص بمشروعات العمارة الذى كان لزاما على الموظف الحربى أن يسهم فيه لم يأت ذكره حتى عهد « أمنحتب الثالث »، إذ لم نجد بين ألقاب هؤلاء الموظفين لقب « مدير كل مبانى الفرعون »؛ على أن هذا اللقب لا يدل على أن حامله كان مسئولا عن أعمال هذه المصلحة الحكومية وحسب، بل كان على حسب المبدأ المصرى فى الوظائف يدير أعمالا أخرى كثيرة، فكان يحمل هذا اللقب رئيس الوزراء، ووزير المالية ومدير بيت المال، ورئيس كهنة « آمون » والكاهن الثانى، ومدير الأملاك والمعابد، وحاكم « طيبة » . وهؤلاء الموظفون كلهم لهم علاقة بأنظمة المبانى، ولذلك يلقب كل منهم « بالمشرف على المبانى »؛ ومع هذا فإنه كان ينظم هذه الإدارة، ويترك أمر الإشراف عليها لكاتبه . والواقع أن الإشراف الحقيقى عليها كان موكولا لضباط معينين، فنشاهد مثلا فى « سرابة الخادم » فى شبه جزيرة « سينا » أن قائد حصن « سيلة » (تل أبو صيفه الحالية) المسمى « نبى »[1] أو قائد مصب النيل[2]، كان يقوم كل منهما بقيادة حملة، ويلقب « بمبعوث الملك »، ومع ذلك فإنه لم يلقب واحد منهما بلقب « مدير المبانى »، أو ما يشبه ذلك تشريفا له، على ما قام به من خدمة أخلص فى أدائها، وأدهش من هذا أن رئيس البعثة، أى القائد الذى كان يشرف على نقل الأحجار بجنوده فى عهد الأسرة الثامنة عشرة لم يحمل هذا اللقب كما كان يحمله القائد فى عهد الرعامسة . والواقع أن هذا اللقب لم يكن كثير الظهور حتى عهد « أمنحتب الثالث » . وكان أول موظف كبير حربى معروف يحمل لقب « مدير المبانى » هو

---

(١) راجع : Gardiner and Peet, "Sinai", No. 59.

(٢) راجع : Ibid, No. 196.

كاتب المجندين « أمنحتب بن حبو »[1] ، وكان نفوذ وظيفتـه يمتدّ إلى كل الوجه البحرى ، وعلى ذلك كان يدير شئون المحاجر الواقعة فى « الدلتا » ، وكان العـاملون فيها فرقة من الجنود. وذكر لنا فى نقوشه أنه كان مديرا لكل الأشغال الفرعونية ، ووصف لنا أعمال النقل التى كان يشرف عليهـا مما كان فى دائرة الموظفين المدنيين حتى الآن ، وقد ظهر تغيـير مدهش منذ زمن « أمنحتب بن حبو » فى تقـدير مكانة الموظفين الذين كانوا يشرفون على أعمـال البناء ، وقد كان النصيب الأوفر من شرف هـذا العمل ينسب إلى « وزير المـالية » ومرءوسـه « مدير بيت المـال » ، ولكن منـذ عهد « أمنحتب الثالث » أصبح هذان الموظفان بالنسبة لأعمال البناء فى المؤخرة ، واحتل مكانهما الموظفون الحربيون ، إذ أصبحوا هم المشرفين الحقيقيين ، ولذلك كانوا يقـدّرون حق قدرهم لمـا يقومون به فى هـذا المجال . ومنذ عهد « إخناتون » كان معظم القوّاد ، وكتّاب المجنـدين ، يحملون لقب «مدير كل الأعمال الملكية» ، نذكر منهم فى حكم «أخناتون » القائد «معى»[2] والقـائد « با آتون[3] محب » وفى عهد « حـور محب » نذكر القائد « أمنمأنت[4] » ومن المحتمل أن « حور محب » نفســه كان يحمل لقب « كاتب المجندين » ولقب « مدير الأعمال الملكية فى محاجر الجبل الأحمر »[5] قبل أن يكون قائدا للجيش ، وبينما نجد أن أكبر موظف كان يحمل هذا اللقب بالإضافة إلى لقبه الأصلى ، إذ بنا نجـد فى خلال الأسرة التاسعة عشرة أن قوّاد الفرق كان كل منهـم يحمل اللقب نفسه عندما تكون الفرقة التى يشرف عليها تقوم بقطع الأحجار ونقلها ، ونفهم ممـا

---

(١) ثم لقب بهذا اللقب « حور محب » فى عهد تحتمس الرابع (مدير مبانى آمون) لا بوصفه كاتب المجندين بل بوصفه مدير كهنة كل الآلهة .

(٢) راجع : Davies, "El Amarna" V, Pl. I.

(٣) راجع : Ibid, V, P. 15.

(٤) راجع : A. Z. LXVII, P. 78.

(٥) راجع : Brit. Mus. No. 463.

جاء فى ورقة «أنسطاسى» الأولى الهجائية، وهى التى تنسب إلى عصر الرعامسة أن عمل قطع الأحجار كان عملا حربيا محضا . وكان ولى العهد هو القائد الأعلى للجيش ، وله اليد العليا فى الإشراف العام عليه ، ومن بعده يأتى القائد ، وهو الذى كان ينظم نقل الأحجار . من ذلك نفهم أن هذا الميدان قد أقفل فى وجه كل الموظفين إلا رجال الجيش ، فكان فى يدهم إدارته ، وكانت دائرة الموظفين الذين يعملون فى إدارة الجيش محددة ، فالموظف الذى يشغل وظيفة « كاتب كان يرقى بعدها إلى «مدير كتاب جنود» ، ثم إلى « كاتب مجندين » و بعدها يرقى قائدا . وهذه حقيقة هامة يجب ملاحظتها لأننا سنرى فيما بعد أن بعض الموظفين غير الحربيين قد احتلوا هذه الوظيفة . والآن نتساءل من أى طبقة من طبقات الشعب نبت هؤلاء الموظفون الحربيون ؟ والظاهر مما سبق أن هؤلاء الأفراد الذين انخرطوا فى سلك الجندية لم يكونوا من أبناء كبار الموظفين، أى أنهم ليسوا من علية القوم ونخبته، إذ لم نجد بين كل الموظفين الحربيين واحدا كان والده من عظماء رجال الدولة أو من الكهنة ، ولذلك نلحظ أن الجم الغفير منهم كان لا يذكر اسم والده ، مما يدل على أنه لم يكن ينسب الى أب ذى أرومة رفيعة الأصل ، وإذا حدث وذكر واحد منهم اسم والده ذكره مجرّدا عن كل لقب، هذا إلى أننا لم نصادف واحدا منهم ورث وظيفته عن والده إلا فى كتاب الجيش[1] وأبرز أسرة نال رجالاتها شهرة عظيمة من أول أمرهم هى أسرة « أمنحتب » كاتب المجندين ، ومدير بيت الفرعون العظيم فى عهد « أمنحتب الثالث » فى « منف » ؛ فقد كان أحد إخوته الوزير « رعموسى » وكان أخوه الثانى « معى » قائد الفرسان ، ومع كل ذلك فإن كل واحد منهم قد أغفل ذكر والده «حبو» ، اللهم إلا فى مناسبات نادرة جدا ، وفى هذه الحالة كان يذكره عاريا عن أى لقب شرف . وهذا دليل على أن رجال هذه الطبقة من الموظفين كانوا من الطبقة الوسطى، وربما كان هذا

---

(١) راجع : Louvre C. 140 - 142; "Rec. Trav.", IV, P. 132.

هو السبب الذى لم يجعل كبار الموظفين يرغبون فى الانخراط فى سلك الوظائف الحربية ، ومع ذلك فإن من الأمور المحببة إلى نفس الموظف الذى لم يكن قد نشأ من دوحة عريقة فى المجد أن يفتخر بأصله الوضيع فيذكر ذلك جنبا لجنب مع مناله من الإنعامات الملكية والوظائف العالية التى رفعه اليها الفرعون لما قام به من عظيم الأعمال فى ميادين القتال وغيرها من نواحى الحياة الأخرى ، ولا أدل على ذلك من القائد « معى » (1) الذى كان يتغنى بذكر أصله الوضيع ، وبما حباه الفرعون من رفع شأنه على ما أتاه من عظيم الأعمال وما تحلى به من جميل الخصال والمقدرة الفذة .

القائد الأعلى

كان الفرعون الرئيس الأعلى لكل القواد كما كان هو أعلى قائد فى الجيش ، وعلى أية حال فإنه كان يظهر أمام العالم فى الوثائق الرسمية بهذا المظهر ، وكان لا يعين بدلا منه قائدا للجيش إلا نادرا ، إذ كان لا يحدث ذلك إلا فى الحملات الصغيرة التى كان يتولى قيادتها « نائب الملك » فى بلاد « كوش » (2) (ابن الملك) . وحقيقة الأمر أن الفرعون كان يعين نائبا عنه أو ممثلا له ، يقوم بكل ما يقوم به القائد الأعلى ، وكانت العادة المتبعة أن يعين ولى العهد فى خلال الأسرة الثامنة عشرة ، كما كانت الحالة فى عهد الدولة الوسطى . ففى عهد « تحتمس الأول » مثلا كان أكبر أولاده « أمنمس » (3) هو القائد العام لكل الجيوش ، إذ وجدت وثيقة تبرهن على ذلك جاء فيها : " بكر أولاد الملك القائد الأعلى لجيوش والده « أمنمس » " . وقد عثر على هذا النقش مدونا على صندوق صغير من الحجر فى معبد « بو الهول » ، وأول هذا النقش — وهو كل ما تبقى من الوثيقة — يشبه فى مغزاه

(1) راجع : Davies, "El Amarna", V, P. 4, Pl. IV.

(2) راجع : Breasted, A. R. II, § 851-55 ff.

(3) راجع : Urk. IV, P. 91.

لوحة « تحتمس الرابع » المقامة فى معبد « بو الهول » إذ يقص علينا موضوعا مماثلا لما جاء على هذه اللوحة فيقول : " وخرج الأمير فى عربته ليسافر للتدرّب على الرماية بالقوس والنشاب " ثم يلى ذلك قصة حلم بجوار « بو الهول » . والواقع أن حملات الصيد التى كان يقوم بها ولى العهد لم تكن لمجرّد التسلية وحدها بل كان لها غرض آخر ، وهو التدريب على الرماية حتى يكون أهلا لقيادة الجيش ، ولا أدل على ذلك مما جاء على اللوحة التى كشف عنها حديثا بجوار «بو الهول» للفرعون « أمنحتب الثانى » وقد وصف فيها قدرته على التجديف ،وركوب الخيل و إصابة المرمى مما سبق ذكره فى موضعه .

وهذه الأقاصيص تدل دلالة واضحة على أنّ الفرعون كان يرسل أكبر أولاده لينوب عنه فى قيادة الجيش العليا فى « منف » التى كانت تعدّ القاعدة العامة للجيش ، ولذلك كان لزاما على ولى العهد بوصفه القائد الأعلى أن يتدرّب عمليا على الفنون الحربية ، وكانت العربة وقتئذ أحسن أداة للحرب[١] . ومن المحتمل جدا أن أولياء عهد غير من ذكرنا كانوا يشغلون مركز القائد العام للجيش ، و إن لم تسعفنا الوثائق بما يثبت ذلك . وقد ظهر فى عهد « أمنحتب الثالث » أمير صغير يحمل لقب «ابن الملك القائد العام للجيش » اسمه « نحت مين»[٢] . أما فى عهد «أمنحتب الرابع » فلا نعرف من كان القائد الأعلى ، لأن هذا الفرعون لم يعقب ذكرا . هذا إلى أن خطابات « تل العمارنة » لم يأت فيها ذكر لاسم القائد العام . ومما لاشك فيه أن « حور محب » لم يكن وقتئذ قائدا أعلى للجيش ، إذ لم يأت اسمه

(١) وقد كان رجال سلاح العربات والرجالة معسكرين فى الصحراء الواقعة بجوار « منف » للتمرن على الأعمال الحربية . (اقرن المناظر التى تدرب فيها الجنود بالتى نشاهدها على جدران مقبرة الصائغ «ابوى»)
Quibell, "Excavations at Sakkara", VIII, Pl. XII.

(٢) راجع : Borchardt, "Statuen und Statuetten", 779; "Rec. Trav.", XXVIII, P. 177; XXIX, 225 - 6.

فى النقوش بما يدل على ذلك . ومن الجائز أن « تحوتى مسو »[(١)] الذى كان يحمل وقتئذ لقب «قائد الجيش الأعلى» ، وكذلك لقب « الإمارة » كان يشغل هذا المنصب ، و بخاصة إذا أضفنا إلى ذلك أن سوطه قد وجد فى حجرة دفن الفرعون «توت عنخ آمون » . أما فى عهد « توت عنخ آمون » نفسه فقد تولى هــذا المنصب الرفيع « حور محب » ، وكان مركز قيادته مدينــة « منف » كما سيأتى ذكره . ولقد كان لتعيين أفراد من غير الأسرة المــالكة فى هــذه الوظيفة الحربية — وهى التى كانت حتى الآن لا يشغلها إلا ولى العهد أو أمير — أوّل مبرر لاتخاذ الخطوة الأولى لقيام الأسرة التاسعة عشرة واختفاء الأسرة الثامنة عشرة .

وظائف المسنين

لقــد كانت السنة المرعية حتى عهد « إخناتون » أن يحال كل موظف حربى إلى المعاش بمــا فى ذلك القائد الأعلى للجيش ، إذا كان من غير البيت المــالك . غير أن الفرعون لم يترك أصحاب الكفايات منهم يتقاعدون نهائيا ، فقــد كان يوجد للكفء منهم عملا مفيدا فى وظيفة ما من الوظائف التى تليق برجل عظيم حنكته التجارب ، وضحى بثمرة حياته فى خدمة بلاده والذود عن حياضهــا ؛ فكان القائد مثلا يعين بعد تقاعده عن العمل فى الجيش فى وظيفة «مدير أملاك» وغالبا ما كان يعين مدير أملاك الفرعون نفسه ، أو مــدير أملاك إحدى نساء البيت المــالك ، وبذلك يصبح وفى يده وظيفة تشــعر بالثقة فى شاغلها ، وأحيانا كان يعين الواحد منهم مديرا لأملاك المعبد ، ويتساوى فى هذا معبد الإله أو معبد الفرعون نفسه ،

---

(١) راجع : Carter, "Tomb of Tutankhamon", Pl. III, P. 121.
قد يجوز أن هذا القائد هو نفس الأمير والكاهن «سم» والكاهن الأكبر للاله «تحوتى مسو» الذى عثر على قبره فى «منف» ويحتمل أن يكون ابن «أمنحتب الثالث» (؟) . اقرن بذلك ما ذكره «دارسى» "Rec. Trav.", XIV, P. 174. وما جاء فى J. E. A., XIV, P. 83 وفى A. Z., LXVII, P. 8.

وهذا المركز كان يستمد سلطانه من الحكومة التى تضمن من جانبها للموظف المتقاعد معيشته المادية ، فتجعل له دخلا يضمه إلى معاشه . وبهذه الطريقة كانت الحكومة تضم دخل المعابد فتستولى على بعض رأس المال الذى كان محجوبا عنها اغتصابا . ففى عهد « إخناتون » كان مدير أملاك الفرعون هو القائد (با ـ آتون ـ محب)[1] وكان القائد « معى »[2] مدير أملاك « بيت آتون » كما كان فى الوقت نفسه « مدير أملاك معبد رع » فى عين شمس .

وكان « أمنحتب بن حبو » فى آخر مجال حياته مدير أملاك أكبر بنات « أمنحتب الثالث » « سات آمون » وهى التى قد تزوجت من والدها كما تقص علينا النقوش ، وبذلك بقى « أمنحتب بن حبو » مدير أملاكها بعد زواجها[3] . وكان يدير أملاك الملكة « تى » زوج « أمنحتب الثالث » كاتب حربى يدعى «نخت مين»[4] . أما فى إدارة أملاك المعابد فكان يتولى شئونها القائد «سا إست»[5] بوصفه مديرا لمعبد الإله « أوزير » فى عهد « أمنحتب الثالث » بالعرابة . وكذلك كان يتولى نفس الوظيفة فى المعابد الجنازية لكل من الفرعون « أحمس » و « تحتمس الثالث » ثم « تحتمس الرابع » ؛ وكان « رع ـ مسو » قائد الفرعون « أخناتون » مديرا لمعبد « أمنحتب الثالث » الجنازى[6] وكذلك كان « أمنأنت » قائد الفرعون « حور محب » مديرا لمعبد « تحتمس الثالث »[7] ، وقد ثبت أنه حتى كاتب الجنود « سبك نخت »[8] كان يشغل وظيفة « مدير أملاك معبد

---

(١) راجع : Davies, "El Amarna", V, P. 15.

(٢) راجع : Ibid. V, P. 1.

(٣) راجع : Legrain, "Statues", No. 42127.

(٤) راجع : Louvre, C. 203.

(٥) راجع : Mitt. Deutsch. Inst. Kairo" ,VI, P. 38.

(٦) راجع : Davies, "El Amarna", V, P. 21, 22.

(٧) راجع : Ranke, A. Z., LXVII, P. 78.

(٨) راجع : "Rec. Trav." IV, P. 132.

آمون » ، ولكن هذا العمل كان فريدا فى بابه فى خلال الأسرة الثامنة عشرة، فقد كانت العادة أن يعين الموظف الحربى القديم بعد انتهاء مدّة خدمته فى الجيش العامل فى وظيفة إدارية ، وقد بقى هذا النظام متبعا إلى عهد الرعامسة، إذ ذكر لنا فى ورقه «هرس » رقم ١ أن أملاك المعبد كانت تحت إدارة رجال من قوّاد الجيش الذين أحيلوا إلى المعاش[١] ، ومن الغريب المدهش أن الوظائف التى كان يتولى إدارتها المتقاعدون من الموظفين الحربيين لم تكن ذات أهمية كبيرة . وتدل الظواهر على أن المصالح الحكومية والإدارات التى كان فيها للتعليم أو التخصص وشرف المحتد شأن، كان يقصى عنها المتقاعد، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا «حور محب » كاتب المجندين فى عهد «تحتمس الرابع»، فقد كان على اتصال وثيق بالبيت المالك ، إذ عينه سيده « تحتمس[٢] الرابع » مربيا لإحدى بناته ورقاه فى الوقت نفسه على ما يظهر إلى رتبة « قائد فرسان » ، إذ كان يجد فيه خادما مخلصا، فهو الذى قاد جيوش الفرعون لمحاربة كهنة « آمون » لأوّل مرة . وقد وصفت هذه الحروب على إحدى لوحات الحدود التى أقامها «إخناتون» على تخوم بلدة «إخناتون» عاصمته الجديدة ، غير أن هذا النقش قد وصل إلينا مع الأسف مهشما ، ولم يبق منه إلا بعض كلمات تمكننا أن نتلمس منها ما كان يقصده هذا الفرعون[٣] : [...أعمال الكهنة لا بدّ كانت أقبح مما سمعت « إخناتون » فى العام الرابع وكانت أقبح مما سمعت عام [......] ... وكانت أقبح مما سمع « أمنحتب الثالث » بل كانت لا بدّ أقبح مما سمعه الفرعون « تحتمس الرابع »[٣] .]
ويفهم من هذه الجمل المبتورة الأدوار التى تقلب فيها النزاع بين الفرعون وبين رئيس كهنة « آمون » فى خلال الأسرة الثامنة عشرة ، أن هذا الخلاف بدأ فى عهد

---

(١) راجع : Pap. Harris I, 61 a, 12; 61b, 1-2; "Kees", A. Z., LXXIII, P. 86; A. S., XI, P. 172 (XIX Dynasty).

(٢) راجع : Bouriant, "Mem. Miss. Arch. Franç. V, P. 413 - 434.

(٣) راجع : Davies, Amarna, V, P. 28 ff. Line 20 21; A. Z. LV, P. 4.

« تحتمس الرابع » ، وقد كان هذا الكاهن الأعظم يلقب برئيس كل كهنة آلهة الوجه القبلى والوجه البحرى[١] .

على أننا لا نعلم بالضبط من النقوش مقدار نفوذ هذه الوظيفة لأنه لم يصل إلينا نص صريح فى ذلك ، ومع ذلك يمكن القول بأن صاحبها كان يسيطر على وظائف الكهانة فى طول البلاد وعرضها ، وعلى مرافق الكهان الحيوية والاقتصادية فى كل مقاطعات القطرين ، وكانت هذه الوظيفة حتى عهد « تحتمس الرابع » فى يد رئيس كهنة « آمون » فى « طيبة » ، ولكن لما أعلن هذا الفرعون الحرب على الكاهن الأعظم وانتصر عليه استولى على هذه الوظيفة وقلدها « حور محب » كاتب المجندين، ومربى الأميرة ابنة الفرعون لما كان يعهده فيه من الإخلاص والولاء . ومن ذلك يتضح أن الفرعون قد عاد ثانية واتخذ من موظفى الجيش رجلا من المخلصين له يقوم بأعباء هذه الوظيفة الخطيرة . على أن تولى «حور محب» منصب رئيس كهنة القطرين لم ينه الحرب بين البلاط والكهنة ، إذ أعادها ثانية «أمنحتب الثالث» للكاهن الأعظم للإله « آمون » (بتاح مبسو[٢]) ولكنه لم يلبث أن نزعها مضطرا من كهنة « آمون » ثانية كما لمح بذلك « إخناتون » فى لوحة الحدود السالفة الذكر ، وقلدها هذه المرة الكاهن الأعظم للإله « بتاح » بمنف ، وهو « تحوتى مسو » ابن « بتاح مسو[٣] » السابق الذكر ، وكان يرمى من وراء ذلك أن يبعد هذه الوظيفة عن كهنة « آمون » بطيبة مقر حكمه ، وبذلك يستريح باله من مناوآتهم ومشاركتهم إياه السلطة . وسنرى فيما بعد أن هذا الفرعون أقصى كذلك « مدير البيت العظيم » للأملاك الفرعونية عن مقر ملكه ، وجعل مركزه « منف » عندما شعر بازدياد سلطانه ونفوذه فى العاصمة ، لذلك نجد أن « مدير

---

(١) راجع : A. Z., LXVII, P. 7; LXXII, P. 68.

(٢) راجع : A. Z., LXXIII, P. 60.

(٣) راجع : A. Z., LXVII, P. 7.

البيت العظيم » للأملاك الفرعونية « أمنحتب » ثم « إبى » من بعده كان يتكلم فى صراحة عن مقر وظيفته فى « منف » ، ومن ثم أصبح نفوذ هذه الوظيفة محدودا .

أما منصب رئيس كهنة كل القطرين فقد عادت بلا شك فى أواخر عهد « أمنحتب الثالث » إلى « طيبة » وكان يديرها الوزير « رعموسى »(١) .

وخلاصة ما سبق ذكره عن مجال حياة الموظف الحربى وما كان يقوم به من الأعمال بعد التقاعد ، أنه كان لا يعد فى سلك كبار الموظفين ، وإن كان صاحب سلطان مدّة خدمته العسكرية ، ولا يمكن التقليل من شأنه ، غير أنه عندما كان يترك العمل فى الجيش ، لم يكن يقلد وظيفة ذات نفوذ محس ، وذلك لأنه لم يكن من فئة الموظفين الذين كانت تسند إليهم وظائف ذات نفوذ فى البلاط الفرعونى ، أو الذين كان لهم قوة عظيمة خارج حدود وظيفتهم فى أواخر الأسرة الثامنة عشرة ، مما يمهد لهم الطريق للاستئثار بالسلطة لأنفسهم ، لذلك كان يلزم للوصول لجمع كل السلطة ، والقبض على زمام الأمور فى البلاد صنف آخر من رجال الجيش ، وهؤلاء هم رجال الجيش العامل .

جندى الميدان

يجب أن نستعرض هنا أوّلا باختصار أطوار حياة ضابط الميدان أيضا . كان الجندى يقترع من بين طائفتين مختلفتين من الشعب ، فطائفة منهم كانوا يجندون من بين أولاد الجنود القدامى ، وهؤلاء كان لزاما عليهم أن يحلوا محل آبائهم ، وكانوا أحيانا يحتلون مراكزهم ، وطائفة أخرى كانوا يجندون من بين الشبان الذين قضوا فترة طفولتهم فى البلاط الفرعونى يتلقون العلم ويدرّبون مع أمراء البيت المالك أنفسهم ، فكانوا بذلك يؤلفون فرقة مختارة من الغلمان المثقفين ، ومن ثم نشأت العلاقات الشخصية بين الفرعون وضباط الميدان ، وهذه العلاقات كان لا ينقطع

(١) راجع : Weil, "Die Veziere des Pharaonen reiches", P. 86.

سبيها فى الميدان ما دام الفرعون يقود جيشه فى ساحة الوغى، وهذه الوسيلة كانت سبيا هاما لا يستهان به فى ترقية هؤلاء الضباط، لأن الفرعون كان قد تربى معهم فى صغره، كما كان يقودهم فى رجولته.

وكان آباء هؤلاء الأطفال الذين ينشئون فى صغرهم فى بلاط الفرعون يحملون لقب «غلام بيت التعليم الفرعونى»[١] أى الأطفال الذين تعلموا مع الأمراء فى قصر خاص فى أثناء طفولتهم. وكان هؤلاء التلاميذ يحملون هذا اللقب بكل فخار وكبرياء مدة رجولتهم ويدعون به كما كانوا يحملونه وهم لا يزالون غلمانا[٢]، فكان «سن من»[٣] أخو «سنموت» أكبر رجل فى الدولة فى عهد الملكة «حتشبسوت» يلقب بهذا اللقب، على أن موجة تحقير كل فرد غير موظف جعلنا نفهم بداهة أن السواد الأعظم من هؤلاء الأطفال كانوا ينتسبون إلى طبقة صغار الموظفين والكهنة والمستخدمين، إذ نجد والد أحدهم كان كاتب ثيران[٤]، وآخر كان والده حارس باب الإدارة، وثالثا كان والده رساما الخ. ولكن لما كان معظم أولاد الأمراء الذين كانوا فى المرتبة الثانية بين الأمراء يصبحون ضباطا عاملين فى الجيش[٥] كان الجم

(١) راجع : Gardiner and Weigall, "Topographical Catalogue of the Private Tombs at Thebes, P. 38, No. 241.

(٢) وقد فحص هذا اللقب بعض العلماء (راجع Bergmann, "Rec. Trav." XII, P. 11 - 12; Lefebure, P. S, B. A., XIII, P. 458; Loret, P. S. B. A., XIV, P. 205; Gardiner, P. S. B. A., XXXIX, P. 32; Gauthier, B. I. F. A. O., XV, P. 197; XVI, P. 178.

(٣) راجع : Davies, "Five Theban Tombs", P. 31; P. S. B. A. XXXV, P. 283.

(٤) راجع : Helck, "Der Einfluss der Militarfuhrer in der 18 Agyptischen Dynastie", P. 34, note 4.

(٥) مثال ذلك «إبنى» من عهد «حتشبسوت» (Urk. IV, P. 465) و«ورن تب كار» (راجع Holscher, "Chefren - Heiligtum", P. 108.) وكلاهما كان قائد فرسان.

الغفير من هؤلاء الغلمان المدرّبين أولاد الطبقة الدنيا ينخرطون معهم فى هذا السلك[١] الحربى، هــذا إلى أنهــم كانوا يشغلون معهــم مراكز صغيرة تتناسب مع طبقتهم فى البلاط الفرعونى[٢] يضاف إلى ذلك أنه قد ظهر بين هؤلاء الغلمان عدد ضئيل جدًا ممن كانوا يشغلون وظائف حكومية[٣]، هذا إلى أنه كان يوجد بينهم بعض الأجانب ويحتمل جدًا أنهم أرسلوا رهائن إلى مصر، وقد شغل بعضهم فيما بعد وظيفة مرب فى البلاط الفرعونى، فكان الواحد منهم يحمل مع وظيفته الممتازة لقب مرب لأميرة أو أمــير فى القصر . وقــد كان عدد هــؤلاء المربين عظيما جدًا فى عهــد الأسرة الثامنة عشرة[٤] .

أما عن كيفية تعليم هؤلاء الصبية فــلم نجد فى الرسوم التى عثر عليها حتى الآن إلا صورا تمثل تدريبهم على الرماية[٥] بالقوس والنشاب . وعلى أية حال فإن أحسن ما كان يتفاخر به المــلوك فى هــذا العصر هو التــدريب الرياضى كما جاء فى لوحة « أمنحتب الثانى » التى كشفنا عنها حديثا بجوار « بو الهول » وتكلمنا عنها، وكان هؤلاء الغلمان يشاطرون الملوك فى هذا التدريب .

---

(١) مثال ذلك الفارس « أمنمحب » (Urk. IV, P. 899) من عهد تحتمس الثالث ، وحامل العلم (nbnkmt) نبنكمت (راجــع .Urk. IV, P. 996) ، وحاكم « سـيلة » المسمى « نبى » (راجع Gardiner and Peet, "Sinai", No. 59) ؛ والفارس « باسر » L. D. Text, III, P. 274) من عهــد « أمنحتب الثانى » ، وحامل العلم « أون أرتى » Iwn - irti (راجــع "Rec. Trav." IV, P, 136 من عهد الأسرة الثامنة عشرة) .

(٢) ففى عهد « تحتمس الثالث » نجد الساقى « منتو أوى » mntw iwi (المقبرة رقم ١٧٢) والساقى « نفر برت » (Cairo Mus. 42121.) وحامل المروحه « ماى حر برى » Myhrpry

(٣) مثال ذلك « وسر ساتت » Wsr-satt نائب الملك فى بلاد كوش من عهد « أمنحتب الثانى » (راجع "Rec. Trav." XXXIX, P. 192، وحاسب الخبز « وسرحات » من عهد أمنحتب الثانى أيضا (المقبرة رقم ٥٦) .

(٤) وقد ذكرنا معظمهم أثناء سردنا لحوادث ملوك هذه الأسرة .

(٥) راجع ما ذكرنا عن « مين » مدرّب الفرعون « أمنحتب الثانى » (الجزء الرابع ص ٦٤٥) .

وأما حياة الضابط العامل فى الميدان فكانت عادية ، إذ كان يبدأ مجاله فى الجيش جنديا بسيطا فى أحد الفرق لعسكرة فى حامية من الحاميات أو فى سفينة من السفن ، وكان يعرف بجندى تابع لفرقة كذا بحامية كذا ، أو جندى تابع لبحارة كذا فى سفينة كذا ، ثم يرقى بعد مدّة إلى رتبة حامل العلم فى فرقته ، أو على ظهر سفينته ، وعندئذ كان يلقب حامل العلم فى فرقة كذا أو حامل العلم فى سفينة بحارة كذا .

وتدل كل النقوش على أنه لا توجد رتبة بين لقب الجندى ولقب حامل العلم . وقد ظهر فى النقوش التى عثر عليها أن حامل العلم كان يقود فرقة يبلغ عددها فى عهد الرعامسة ما لا يقل عن مائتى جندى محارب (١) ، وهذه الفرق كان كل منها يحمل اسما خاصا بها بعضها يركب تركيبا مزجيا مع اسم الملك ، وكان لكل منها علم يختلف عن الأخرى وتدل الشواهد على أن جنودها كانوا مصريين لا أجانب ، وكانت تنظم فرق خاصة من المصريين لتقوم بأعمال الشرطة وحرس الفرعون الخاص ، وهذه الفرق كانت دائما تحت السلاح ، ولم يدخل فى عدادها الفرق الجنود المرتزقة الذين كان يؤتى بهم من الخارج ، ولكنا لا زلنا إلى الآن نجهل العلاقة التى كانت بين ضباط فرقة ما وموظفيها ، ولسنا متثبتين حقا — إلا إذا كانت الأشياء تقاس بأشباهها — فيما إذا كان يوجد بجانب حامل العلم قائد للجنود البرية كما هى الحال فى السفن أوّلا ، إذ نجد مع حامل علم السفينة مديرا للبحارة (٢) كما هى الحال فى مقبرة « حوى » (٣) حيث نجد قائدا وحامل علم يقودان بحارة السفينة .

أما الخطوة الثانية فى مجال رقى الضابط العامل بعد رتبة حامل العلم فهى ترقيته إلى رتبه « فارس » وقد وضحنا هذه النقطة عند ذكر الوظائف التى جاءت مرتبة

(١) راجع : Pap. Turin IV, 6 – 7.

(٢) راجع : (Urk. IV, P. 8.).

(٣) راجع : Davies, "The Tomb of Huy", P. 13.

(٤) راجع : J. E. A., Vol. XIII, P. 193 ff., line 35, 42.

على حسب تدرجها فى مرسوم « نورى » الذى صدر فى عهد « سيتى الأول » وكذلك جاء هذا الترتيب على نخارة[1] ؛ غير أننا نلاحظ فى مرسوم « نورى » وجود رتبة أخرى قبل رتبة فارس، وعلى ذلك يكون مجال رقى الجندى كما يأتى : أولا حامل العلم ثم رئيس اصطبل ثم رتبة فارس .

وكان الفارس يظهر بوصفه قائد جنود فى الحاميات التى على حدود الدولة أو فى المقاطعات . على أننا لا نعرف بصفة قاطعة إلى أى مدى كانت سيطرة هذا القائد على الجنود الأسرى ، كما لا نعرف على وجه التحقيق عدد الفرق التى كانت بقيادته ، هذا إلى أننا لا نعرف إذا كان الجنود الذين كانوا بقيادته يشملون جنودا مرتزقة من غير المصريين أو أن كل ما يقودهم من جنود كانوا مقسمين فرقا تحت إمرة حامل العلم . وقد سبق الكلام عن مكانة هذا الفارس أو القائد بوصفه قائدا لمعاقل الحدود فى الشمال الشرقى للدلتا . أما فى بلاد النوبة فكان يعمل هذا الفارس بإمرة نائب الملك فى « كوش » ، وكان يحمل هناك اللقب الثانوى « مدير البلاد الأجنبية الجنوبية » وكان فى الوقت نفسه يحمل لقب قائد معقل فى النوبة[2] .

أما فى « سوريا » فكان القائد يحمل لقب « قائد، ومدير البلاد الأجنبية الشمالية » أى قائد الجنود الذين كانوا يعسكرون فى المدن والحاميات فى بلاد « سوريا » . والواقع أن « سوريا » لم تكن منظمة تنظيما دقيقا كما كانت الحال فى بلاد النوبة ولم يكن يحكمها نائب ملك يسيطر على عامة أمورها، كما ذكرنا من قبل، ومن أجل ذلك كان من أوّل واجبات هؤلاء الضباط أو القوّاد أن يراقبوا الأمراء الوطنيين الذين كان فى يدهم حكم البلاد ، لهذا كان الفارس « امنمسو » يطلق عليه لقب « أذنى الملك » فى عهد الفرعونين « تحتمس الثالث » وابنه « أمنحتب الثانى »[3] .

---

(١) راجع : A. Z., XVIII, P. 96 = Pap. Lansing, 9, 4 - 7.

(٢) راجع : J. E. A., Vol. VI , P. 73; Ibid. III, P. 155, 184.

(٣) راجع : Davies, "The Theban Tombs Series", Vol. V, P. 27 - 34.

وهذا اللقب يعيد إلى الذاكرة بوجه خاص لقب « رابيصو » (أى المتربص) الذى جاء ذكره فى خطابات « تل العمارنة » التى كتبت بالبابلية، وهذا اللقب بعينه كان يعطاه قائد المدينة (معناه المتربص أو المتسمع) . وهذا الربيصو كان يقابله فى المصرية وقتئذ لقب «فارس» إذ نجد أن القائد «معى» كان يلقب « ربيصو » فى خطابات « تل العمارنة »[1] وكان هو نفسه يلقب فى عهد « أمنحتب الثالث » بالمصرية « الفارس مبعوث الفرعون فى الأراضى الأجنبية »[2] مما يدل دلالة واضحة على أن اللقبين كانا يحملان معنى واحدا . ولكنا لا نعلم بصفة مؤكدة من كان تحت إمرته . ومن الجائز أن هذه البلاد الشمالية كانت بإمرة قائد ويستند هذا الاستنباط إلى أن القائد « تحوتى »[3] الذى عاصر الملك « تحتمس الثالث » كان قائدا فى هذه الجهات، وفى آن واحد كان مديرا للأراضى الأجنبية الشمالية، وبهذا يكون قد ظهر بوصفه قائدا له الكلمة العليا فى هذه الممتلكات ؛ هذا وقد وجدنا فى خطابات « تل العمارنة » أن قائدا كتب لأحد الأمراء السوريين بلهجة الأمر مما يشعر بأن القائد كان هناك هو صاحب القول الفصل، ولكن المدهش فى الأمر أن هذا القائد لم يذكر هنا، ولم تذكر لنا خطابات « تل العمارنة »[4] موظفا كان يسيطر على بلاد « سوريا » ميطرة حقيقية إلا « يناخومو »[4] وكان يلقب « حامل المظلة على يمين الفرعون » وهو من ألقاب الشرف العالية فى البلاط الفرعونى ؛ على أننا لا يمكننا بأية حال من الأحوال التحقق من هذه الوظيفة التى كان يقوم بها ولا من مقر وظيفته « يريموتا » ولا شخصيته هو، وكذلك جاء ذكر « أمنوبى »

(١) راجع : Knudtzon, "Die El-Amarna Tafeln", No. 261, 8, 292, 300 etc.

(٢) راجع : Brit. Mus. No. 1210. ff. A. Z. XXX, P. 299.

(٣) راجع : Urk. IV, P. 999 ff.

(٤) راجع : Knudtzon, Ibid, No. 82, 6; 102, 105, 6; 116, 8 etc. and Steindorff, A. Z., XXXVIII, P. 15.

الذى كان يسيطر على ما يظهر تمام السيطرة على ممتلكات مصر فى « سوريا » ، وقد جاء ذكره فى خطابات « تل العمارنة » فى خطاب أمير « تاعنك » باسم « أمان حتبى »[١] . والظاهر أن مقر إدارة الحكومة المصرية لهذه البلاد كان فى غزة فى الجنوب ، وعلى أية حال فإن كل الشواهد تدل على أنه كان صاحب السيطرة فى الممتلكات « الأسيوية » فى « مجدو » : كما كان له نفس السلطة فى الجنوب فى « غزة » . ومما يؤسف له أنه لم يصلنا أى لقب من الألقاب التى كان يحملها ، ويجب أن نشير هنا أيضا إلى جنود الحاميات التى كانت خارج الحدود المصرية ، فقد كانوا على حسب ما جاء فى ورقة « ساليه »[٢] يسيرون على نظام الجنود فى البلاد نفسها يتألفون من جنود وضباط أعلام ومديرين ، ونذكر من وثائق الأسرة العشرين أن هؤلاء الجنود كان يشرف عليهم « فارس » ، والظاهر أنهم كانوا يقيمون هناك فى مستعمرة كما يدل على ذلك مخصص الكلمة الدالة على اسمهم فى موقعة « قادش » فى رسوم الواقعة « بأبى سمبل » (سطر ٢٤)[٣] . أما فى عهد « تل العمارنة » فكان هؤلاء الجنود يتألفون بصفة قاطعة من جنود أجانب فى كل المستعمرات المصرية كلها[٤] ، والظاهر أن المدير المسيطر عليهم كان يحمل رتبة أكبر من رتبة « فارس »[٥] ولم يصلنا حتى الآن من أسماء المديرين الذين كانوا يشرفون على الجنود الأجانب فى الأسرة الثامنة عشرة إلا اسم القائد « تحوتى »[٦] ويحمل لقب القائد ومدير الأراضى الأجنبية فى عهد « تحتمس الثالث » أما الجنود فقد جاء ذكرهم فى عهد هذا الفرعون أيضا[٧] .

---

(١) راجع : Denkschr. d. Kais. Akadem. Wien. 52. (Phil.-hist. Kl.), P. 36.

(٢) راجع : Pap. Sallier I, 7, 4.

(٣) راجع : Kadesh records in Abu Simbel.

(٤) راجع : Davies, "El Amarna", VI, P. 17 - 18.

(٥) راجع : Gardiner, "Inscriptions of Mes", P. 7.

(٦) راجع : Urk. IV, P. 999.

(٧) راجع : Urk. IV, P. 656.

ومن كل هذا يمكننا أن نستخلص أن النظام الذى كان قائما فى الأقاليم الغربية (لوبيا) التى كانت تحت سيطرة مصر يشبه تمام الشبه النظام الذى كان قائما فى « سوريا » ، على الأقل فى عهد الأسرة التاسعة عشرة فقد كان القائد الذى على رأس القوات هو الفارس ومدير البلاد الأجنبية فى « لوبيا » [١] .

ألقاب الشرف فى الجيش

لا نزاع فى أنه كان من بين هؤلاء الجنود العاملين نفر يسترعون النظر بما يأتونه من ضروب الشجاعة والمهارة فى فنون القتال مما كان يستهوى نظر الفرعون ويثير إعجابه ، فيكافئهم على حسن عملهم وإقدامهم بما كان يعبر عنه عند المصريين بعبارة « ذهب الشجاعة » أو « ذهب الثناء » فكان الفرعون يهبه شجعان جيشه فى صور تحف مختلفة الأشكال منها : مشابك ذهب ، وفئوس ، وخناجر وأساور ونياشين فى صور ذباب وأسود ، وصدريات الخ . وهذه كانت أشكال هدايا الشرف المادى ، أما الشرف الأدبى فكانت الألقاب التى يمنحها الفرعون من فاق من رجاله برجحان عقله وحسن تدبيره للأمور ، وأهمها لقب « شجاع الفرعون» ، غير أن ألقاب الشرف الأدبية لم تكن قاصرة على الجندى [٢] العامل ، بل كان يمنحها كذلك الموظفين الذين يصحبون الفرعون فى غزواته ، ويقومون بأعمال مجيدة تدل على الشجاعة ، أو كان ينالها موظف وهو يؤدى خدمته بهمة فى أثناء معاملاته التجارية بروس أموال أخذت من الأعداء [٣] . فكان بعض الضباط يمنحون لقب « صاحب الغنائم » ، وقد حمل هذا اللقب الفارس « آمون محب » الذى أصبح فيما بعد نائب الجيش (Urk. IV, P. 898) الملك فى « كوش » ، وكذلك

(١) راجع : A. Z., LXIV, P. 95, Grabstein Berlin. Inschr. II, 176.

(٢) راجع : Urk. IV, P. 974; Urk. IV, P. 32, Ibid, P. 955, P. 528.

(٣) مثال ذلك « سن نفسر » وزير المالية السابق الذكر ، و « مين » الذى عاصر تحتمس الثالث (A. Z., LXIII, P. 114.) و « بتاح مسو » الذى عاصر أمنحتب الثالث Schiaparelli, "Cat. Florence" P. 207.

كان يتقلده حامل العلم « سو — منوت » فى عهد « أمنحتب الثانى » [(١)] .
ومن هذه الألقاب كذلك لقب « محارب الحاكم » (أى الفرعون) وكان يحمله الضابط «أحمس» فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، وكان يمنح الجندى الشجاع لقب « المحارب القديم » . وقد منح الفرعون هذا اللقب حامل العلم « نب — آمون » وهو الذى رقى فيما بعد فى عهد « تحتمس الرابع » إلى وظيفة رئيس شرطة «طيبة الغربية » . وكان الفرعون يختار من بين هؤلاء الضباط العاملين فى الجيش حاشيته الحربية وبخاصة حملة السلاح ، فمثلا كان الأمير « إنبنى » [(٢)] يحمل لقب فارس ، ثم عين فيما بعد « مدير سلاح الملك » ، على أنه كان هناك ضباط آخرون يشرفون على شرطة الحرس الملكى مثال ذلك الفارس « باسر » [(٣)] الذى عاصر « أمنحتب الثانى » وكذلك مدير « شرطة الصحراء » « نفرخاوت » [(٤)] وقد عاصر « تحتمس الثالث » ثم الفارس «أمنحتب» [(٥)] وهو الذى رقى فى عهد «آمون محب» إلى رتبة نائب الملك فى الجيش وكان فى الوقت نفسه المشرف على حراسة شخص الفرعون .

ومن كل هذا نستخلص أن الفرعون كان يرغب عن طيب خاطر فى الاستئثار بشغل المراكز الحربية الخاصة بنفسه مباشرة بضباط من رجال الجيش العامل .

الجندى العامل فى وظائف البلاط

لم يقتصر الضابط الحربى بعد انتهاء خدمته فى الجيش القائم على العمل فى حاشية الفرعون بل كان يضم إلى ذلك عملا آخر فى الإدارة الحكومية فى البلاط أو فى تولى إدارة شئون الخاصة الملكية ، ومن ثم نشاهد تغيرا خطيرا فى النفوذ العظيم الذى انتهى إلى بعض هؤلاء الضباط .

---

(١) راجع : Cone funeraire 124.
(٢) راجع : Urk. IV, P. 464.
(٣) راجع : Piehl, "Recueil", I, P. 116. 1.
(٤) راجع : Urk. IV, P. 990.
(٥) راجع : Urk. IV, P. 897.

والواقع أن كل الضباط العاملين حتى الذين كانوا يحملون رتبة «فارس» لم تكن لهم وظائف، وكانوا يعدّون خارج الطبقات الاجتماعية المحترمة فى نظر رجال الحكومة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة، والسبب فى ذلك راجع إلى أن طبقة الموظفين كانت تنظر إلى طبقة الجنود العاملين وضباطهم نظرة الأصيل للخسيس، ولذلك كانوا يعدّون أنفسهم أرفع منزلة وأعلى قدرا، كما كان الموظفون ينظرون إلى رجال الجيش نظرة الرئيس للمرءوس، وذلك لأنه لم يكن بين ضباط الجيش من ينتمى إلى أسرة عريقة فى المجد؛ ولهذا لم يرق من بين رجال الجيش إلى مناصب عالية فى الحكومة غير نفر قليل شملهم عطف ملكى أو قربهم الفرعون لما شاهده فيهم من الكفاية والإخلاص. ولا نزاع فى أن أمثال هؤلاء الضباط الممتازين كانت تتأجج فى نفوسهم نار الطموح ليثبوا إلى أعلى المراتب، وكذلك لا بدّ أنهم كانوا معروفين بين رجال الإدارة، غير أنه كان لزاما عليهم أن يتخلوا عن ألقابهم الحربية التى كانوا يحملونها فى الجيش. وما من شك فى أن هؤلاء الضباط كان لهم من الصفات الفاضلة، والأخلاق العالية، والقوّة الكامنة فى نفوسهم ما جعلهم يصلون إلى هذه المناصب، وما اضطرّ رجال الإدارة الحقيقيين إلى أن يعترفوا بكفايتهم الإدارية، ولذلك كان يستفيد الفرعون بهذه الكفايات، فكان يعين هؤلاء الضباط فى مناصب متصلة به مباشرة، إما لثقته بهم، وإما لاعتبارات أخرى ذات أهمية خطيرة، وأهمها هو أن هذه الفئة لما كان أفرادها لا يستندون على أصل رفيع يشدّ أزرهم، ولا على ممتلكات ضخمة تحمى ظهورهم، ولا على علم غزير يرفع من شأنهم فإنهم تجنبوا كل ما يحول بينهم وبين عطف مليكهم، فلم يفكر واحد منهم فى أن يأتى عملا يغضب مولاه، هذا إلى أن من كان من بينهم يشغل منصبا خطيرا فى الدولة من المناصب المتصلة بالفرعون لا يجسر أن يعارضه فى أمر من الأمور صغر أو كبر. وفضلا عن ذلك كان للفرعون فى الوقت نفسه طائفة من أولاد هؤلاء الضباط العاملين فى الجيش فى الإدارة اتصلوا به اتصالا وثيقا ليحتلوا وظائف آبائهم فى مسلك الإدارة العامة للدولة.

ومما تجدر ملاحظته أن التعيين فى هــذا الوظائف كان فى بادئ الأمر ضئيل الأهمية إذا قرنا هذه الوظائف بالمراكز التى كان يتولاها الموظفون الحربيون الذين أحيلوا إلى المعاش من الخدمة العسكرية ، ففى عهد « تحتمس الثالث » مثلا نجد أن حامل العلم « آمون مسو » قد رقى إلى مدير القصر الملكى فى « طيبة »، وبقى يشغل هذا المنصب حتى عهد « أمنحتب الثالث »[1]، وفى عهد هذا الفرعون نفسه رقى الفارس « قن آمون » مدير الحقول زوج الإله ، وكذلك رقى قائد حامية « سيلة » « نبى»[2] إلى منصب « مدير بيت الملكة » وفى عهد «أمنحتب الثالث» كان حامل العلم « سو — منوت » يشغل وظيفة « مدير الاصطبلات » ثم « مدير سفن الملك »، وأخيرا رقى إلى وظيفة «وصيف الفرعون» . وفى عهد « حتشبسوت » تولى « سنموت » وظيفة مدير أملاك الملكة ، وبهذا المنصب أخذ يرقى حتى أصبح من أعاظم رجال الأسرة الثامنة عشرة قوة ونفوذا وسلطانا . ولا يبعد أنه كان من رجال الجيش العامل، غير أنه لم يصلنا أى لقب حربى نسب إليه، ومع ذلك فإنا وجدنا فى النقوش القليلة التى على جدران قبره ما يصف لنا أعماله فى الحروب التى شنها « أمنحتب الأول » و « تحتمس الأول والثانى » وتشعر هذه النقوش بأنه كان فى باكورة حياته العملية ضابطا ثم أصبح بعد ذلك موظفا ، هذا إلى أنه عندما كان يصحب الفرعون إلى ساحة القتال لم يحدثنا عن الحرب بل كان يقص علينا نشاطه الإدارى ، ولم نجد له إلا نقشا واحدا تكلم فيه عن نشاطه بوصفه ضابطا حربيا إذ يقول : " إنه كان مواطنا ، قوى الساعد مرافقا للفرعون فى البلاد الأجنبية الشمالية والجنوبية والغربية والشرقية نقى الأعضاء بين القوسين ، نال ذهب الشرف[4] . وقد ذكرلنا « سنموت » أنه ولد من أبوين

---

(١) راجع : Urk. IV, P. 1021 – 5.

(٢) راجع : Gardiner and Peet, "Sinai", No. 59.

(٣) راجع : Cone funeraire 123 – 4. A. S., I, P. 106.

(٤) راجع : Urk. IV, P. 399.

رقيق الحال لا يرتكنان على حسب ولا نسب ، ولهذا لم يذكر لوالده أى لقب من ألقاب الشرف، هذا إلى أنه لم يخجل من فقره ووضاعة أصله ، يدل على ذلك أن أخاه « سن من » كان غلاما فى البلاط الفرعونى، وهذا ما يؤكده لنا « سنموت » نفسه . وتدل الأحوال على أنه قبل أن يتولى منصب مدير أملاك «حتشبسوت» لم يكن يشغل أية وظيفة أخرى من وظائف الإدارة فى الحكومة ولقد تغير مركزه فى لمح البصر وأصبح ذا أهمية عظيمة على إثر وفاة «تحتمس الثانى»، إذ أصبحت « حتشبسوت » زوجه صاحبة السلطان فى البلاد من بعده ، فقد كانت أولا الوصية على العرش لابنتها « نفرورع » التى أصبحت زوجة « تحتمس الثالث » وكان زمام الأمور فى يدها منذ ذلك العهد ، و بعد هذا التغيير فى الحكم أصبح يلقب « سنموت » « المدير العظيم لإدارة زوج الإله » أى الملكة .

وكان « سنموت » فى الوقت نفسه المدير العظيم لأملاك ولية العهد «نفرورع» ولكن عندما أعلنت « حتشبسوت » فى العام السابع ملكة على البلاد أصبح كذلك « سنموت » المدير العظيم لأملاك الفرعون . وقد تطورت هذه الوظيفة فى خلال الأسرة الثامنة عشرة تطورا خطيرا حتى أصبحت من أهم وظائف البلاد التى لها نفوذ عظيم فى كيان الدولة، وقد لعب حاملها دورا هاما فاصلا فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة .

المدير العظيم لبيت الفرعون (مر — بر — ور)

بدهى بعد ما ذكرنا من تعيين الضباط فى الوظائف الهامة المتصلة بالفرعون نفسه أن وظيفة المدير العام لأملاك الفرعون كان ينتخب لها ضباط من الجيش العامل، يدل على ذلك أن «قن آمون»[1] الذى كان يحمل هذا اللقب فى عهد «أمنحتب الثانى » قد عثر له على نقش يدل على أنه كان قبل أن يكون مديرا عاما لأملاك

---

(١) راجع : Davies, "The Tomb of Kenamon", Pl. LIV.

الفرعون يحمل لقب « فارس » ، وهذا اللقب الأخير قد وجد فى جزء مستور على جدران قبره ، (راجع Ibid Pl. 54) وذلك لأن هذا اللقب لم يكن من الألقاب المشرفة التى تتناسب مع رجل أصبح فى مركز عظيم مثل مركز «المدير العام لأملاك الفرعون» . من أجل هذا نجد أن كل من عين فى هذا المنصب الرفيع يسدل الستار على ألقابه الأولى والأخرى التى كان يحملها قبل ذلك ، حتى أصبح من الصعب علينا أن نعرف من من الذين شغلوا هذا المنصب كانوا ضباطا فى الجيش ، ولكن يجوز لنا فى حالة كل من « أمنحتب » الذى عاصر « حتشبسوت » و « وسر » الذى عاش فى عهد « تحتمس الأول » أن نستنبط من لقب « شجاع » الذى كان يحمله كل منهما أنه كان لكليهما ماض حربى ، ولكن لا يغرب عن ذهننا أن هذا اللقب كان يمنحه الفرعون كلا من الجندى العامل ، والموظف المدنى على السواء لما كانا يأتيانه من جليل الأعمال كل فى دائرة عمله . وعلى الرغم من ذلك فإنه يحتمل أن الجم الغفير ممن تقلدوا هذه الوظيفة السامية المرتبطة بالبلاط مباشرة لم يكونوا من طائفة الموظفين المدنيين ، وقد أثبتت النقوش صحة هذا القول فى مثالين . أما فى الأمثلة الأخرى فيجوز أنهم كانوا ضباطا فى بادئ حياتهم بالجيش ، والأمثلة على ذلك متعددة جدا فى عهد فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ، وبخاصة منذ حكم «تحتمس الأول» حتى عهد « حور محب » [1] .

والواقع أن دائرة نفوذ المدير العام لأملاك الفرعون كانت تحصر فى سيطرته على دائرة أملاك الفرعون الخاصة ، ولكن من جهة أخرى كان الفرعون بمقتضى القانون هو المالك لكل أرض مصر وكنوزها ، ومن أجل ذلك كان من الضرورى نزع جزء من إدارة مالية الدولة ، وتخصيصها لنفقات بيت الفرعون ؛ وكان القابض

---

(١) راجع : Helck, "ner Eidfluss der Militarfuhrer in der 18. Agyptischen Dynastie", P. 43 - 48. حيث نجد قائمة بأسماء الرجال الذين تقلدوا وظيفة المدير العظيم لبيت الفرعون . وقد جاء ذكر معظمهم فيما سبق .

على زمام هذه الإدارة هو « المدير العام لممتلكات الفرعون » . والظاهر أن هـذا الوضع قـد جعله تحت إدارة وزير المـالية[1] . أما علاقتـه بوزير الدولة فلا نعرفها على وجه التحقيق ، إذ بكل أسف وجد الجزء من النقش الذى يتكلم عن علاقة المدير العام لأملاك الفرعون بهذا الوزير مهشما ، كما شاهدنا من قبل هذا ، وتدل النقوش التى على جدران مقابر هؤلاء المديرين ، على أن هم اختصاصاتهم هى دائرة بيت ماليـة الفرعون وممتلكاته ، والظاهر أن بيت مالية الفرعون هـذا كان منفصلا عن دائرة بيت مالية الدولة العام ، والدليل على ذلك أنه كان له عمال خاصون به ، فكان للقصر الملكى مصانع خاصة به كالتى لمعابد الآلهة ، وكان يشرف هذا المدير على صناعة الأشياء الثمينة كلها فى القصر الملكى كما كانت الحال فى المعبد ، هذا وكانت تقدم الحسابات الخاصة بأملاك الفرعون وكذلك الموقوفة على المعابد لمدير البيت ، وقـد حفظت لنا بعض المقابر مناظر للأشخاص الذين يقـدمون[2] للفرعون الأشياء كلها التى كانت تصنع فى هذه المصانع ، وكانت تعرف باسم « هدايا السنة الجديدة » . وهذا يدل على أنه كان من الضرورى تقديم حساب جديد عن السنة المنصرمة ، ويلاحظ كثيرا فى نقوش المقابر وصورها أن الرسوم الخاصة بأملاك الفرعون كانت عدة وواضحة[3] . فنجد ممثلا فيها المدير العام لأملاك الفرعون ينتقل من ضيعة إلى ضيعة أخرى مشرفا على محصـول كل غلة حتى السمك ، وصـيد الطيور . وكذلك نجد أحيانا أن قطعان معبد الإله « آمون » ترعى فى أرض أملاك بيت الفرعون ، ولذلك كان يلقب « مدير بيت الفرعون » ومدير ثيران الإله « آمون » .

---

(١) وهذا الموقف يذكرنا بعلاقة وزير المـالية فى عهد البطالمة بمرءوسه Idios Logos الذى كان يعمل بمثابة أمين صندوق الفرعون الخاص .

(٢) راجع : Davies, "Tomb of Kenamon", Pls. XI, XXIV; Amonhotep. Urk. IV, P. 455 - 61 ; Amenemhat Swrr ; Borchardt, "Allerhand Kleinigkeiten" Blatt 11, Tnwna; Champollion, "Not. Desc.", I, P. 481;

(٣) راجع : Davies, Ibid. Pls. XXVI ff. urk IV, 458 ; Wresz I, 244.

وتدل شواهد الأمور على أن المدير العام لأملاك الفرعون كان يسيطر على جزء من تجارة البلاد فيما وراء البحار ، وإن لم يذكر ذلك صراحة إلا أنه عثر على حسابات مرفأ عظيم خاص بضيعة كبيرة « بمنف » تسمى « برو نفر » فى عصر « أمنحتب الثانى » ؛ وهذه الحسابات كانت خاصة ببناء السفن التجارية[1] . والآن يتساءل المرء عن المركز الإدارى لأملاك الفرعون ؟ هذا مع مراعاة أننا على علم تام بأن معظم أملاك الفرعون كانت فى أراضى الدلتا . والجواب على ذلك لا يحتاج إلى بحث طويل، إذ تنحصر الإجابة عن هذا السؤال فى معرفة هل كان يوجد فى البلاد مديرون عامّون لأملاك الفرعون على حسب تقسيمها منذ أقدم العهود إلى الوجه القبلى والوجه البحرى ؟ والواقع أن كل ما لدينا من المعلومات يدل على أن دائرة نفوذ هذه الوظيفة لم تقسم قط ، لأنه إذا حدث تقسيم مثل هذا ، فإن إدارة مالية هذه الأملاك تكون فى العاصمة «طيبة» ، على حين أن أهم جزء فى إدارة هذه الأملاك كان فى الدلتا ، وبذلك تكون أقسام إدارتها منفصلة انفصالا مختلفا تمام الاختلاف . فالواقع أنه لم يكن للملك إلا إدارة أملاك واحدة .

غير أن المسألة تصبح دقيقة جدا عندما نصادف أفرادا معينين ممن يحملون لقب «مدير البيت العظيم» تخصص وظيفتهم باسم مكان معين صراحة ؛ من ذلك أن « قن آمون » كان يلقب بالمدير العظيم للبيت فى « برو نفر » كما كان « أمنحتب » وكذلك ابنه « إبى » كان يلقب كل منهما بالمدير العظيم للبيت فى « من نفر » (منف) . على أننا من جهة أخرى نلحظ أن كل من كان يحمل هذا اللقب عدا من ذكرنا لا تخصص وظيفته باسم مكان . هذا الى أن مكان « برو نفر »[2] كان اسم ضيعة هامة بالقرب من « منف » فى عهد الفرعون «أمنحتب الثانى» وهذا يدل على أن هذا التخصيص لهذا اللقب يشير إلى الوجه

(١) راجع : Glanville, A. Z., LXVI, P. 105; LXVIII, P. 7 ff.

(٢) راجع : Glanville, A. Z., LXVI, P. 105; LXVIII, P. 7. 28 - 30; "Revue de l'Egypte Ancienne", I, P. 215.

البحرى كما يشير مباشرة إلى « منف » بوصفها مركز الإدارة لهذه الوظيفة ، وقد كان من الواجب فى هـذه الحالة أن ينتظر الإنسـان تخصيص مثل هذا لمدينـة «طيبة» ، إذا كان يوجد هناك فعلا مثل هذا التقسيم ، ولكنه لا أثر له ، ولم نجد تخصيصا لطيبة إلا « بالمدير العظيم للبيت للدينة الشمالية وهذا يعنى مديرا للقصر ، ففى عهـد كل من « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثالث » نجد « امنمسـو »[1] وفى عهد « حور محب » نجـد « تجوتى مسو »[2] . وفى نهاية عهد الرعامسة عندما تغيرت الأحوال نجـد لأول مرة لقب « المدير العظيم للبيت للدينـة الجنوبية » .

ومن أجل ذلك نعتقد أن هـذه الإضافة أو هـذا التخصيص لهـذا اللقب بعبارة فى « برو نفـر » أو فى « منف » يدل على ازدواج هـذه الوظيفة . وقد يظن أن « المـدير العظيم للبيت » أجدر بأن يخصص بإضافة عبارة للقبـه دائمـا حتى يميز عن « مدير البيت للوجه القبلى » . بيد أننا نجد أن « حور محب » الذى كان يحمل هذا اللقب فى عهد «توت عنخ آمون» وكان مركزه مؤكدا فى «منف» لم يخصص لقبه بأية إضافـة له كما يدل على ذلك ما وصل إلينا من الكشوف الأثرية . هذا فضلا عن أنه فى الإمكان تفسير هـذه الإضافة أو هذا التخصيص على وجه آخر ، والواقـع أن الفراعنة بدءوا فعـلا فى النصف الثـانى من الأسرة الثامنة عشرة يقصون الموظفين أصحاب النفوذ عن « طيبة » عاصمة الملك ، وقـد كانت أوّل محاولة من هذا النوع هى نقـل مقر « المدير العظيم للبيت » إلى «برونفر» فى « منف » ، وقد قام بهذا العمل الفرعون « أمنحتب الثانى » على أنه هو نفسه كان قد اتخذ مقره فى « منف » حينما كان وليـا للعهد[3] .

---

(١) راجع : Urk. IV, P. 1021.

(٢) راجع : Davies, "The Tomb of Thotmes IV", Pl. XXXIV, J. E. A. XIV, P. III; L. D. Text IV, P. 45.

(٣) راجع : A. Z. LXVI, P. 106.

وقد اتخذ على ما يظهر هذه الضيعة الهامة بعد توليته الحكم بمثابة مقر ثان له فقد جاء فى لوحة الكرنك[1] فى سطر ٣٣ ما يأتى : "وفى اليوم السابع والعشرين اتفق خروج جلالته من « برونفر » متجها نحو « منف » ومعه الأسلاب التى استولى عليها من بلاد «سوريا» "، وعلى ذلك كان المركز الرئيسى لإدارة أملاك الفرعون الخاصة قد أصبح قريبا من الجزء الهام من ممتلكاته التى كانت فى الدلتا . على أنه فى عهد « تحتمس الرابع » وفى الفترة الأولى من عهد « أمنحتب الثالث » لم تكن فكرة نقل مقر « المدير العظيم للبيت » على مايظهر من الأمور المتبعة بعد، ولكنا على حين غفلة قد طالعتنا الآثار فى نهاية حكم « أمنحتب الثالث » بظهور مديرين للبيت العظيم فى « منف » وهما « أمنحتب » وابنه « إبى » . والظاهر لنا من حياة «أمنحتب » أنه كان كاتب مجندين وأحيل إلى المعاش ثم عين "مديرا للبيت فى«منف»" وبعد سقوط المدير العظيم للبيت «أمنمحات سورر» الذى كان مقره فى « طيبة » عين الفرعون « أمنحتب الثالث »أمنحتب«مديرا عظيما للبيت» وجعل مقر وظيفته « طيبة » حيث كان يعمل حتى الآن ، ومن ثم ظهرت فكرة نقل هذه الوظيفة من «طيبة» ، وقد كان هذا التغيير ضروريا ليقضى على المشاحنات التى كانت قائمة هناك . وكان المدير العظيم للبيت له ضلع كبير فيها . وقد كان من جراء نقل هذه الوظيفة أن زيد فى استقلالها ، وبخاصة أنه قد أدخل تغيير أساسى فى شغلها ، ولأجل أن يكون فى مقدورنا تفسير سبب هذا النقل يجب أن نناقش أولا مدى نفوذ المدير العظيم للبيت عند الفرعون ثم تأثيره فى حكومة البلاد .

نفوذ المدير العظيم للبيت فى حكومة البلاد

والواقع أن مركز « المدير العظيم للبيت » كان مركزا خاصا ، وإن كان نائيا عن الوظائف الحكومية فقد كان حتى أول عهد « أمنحتب الثالث » لا يعد موظفا حكوميا ، وذلك لأن أعظم مدير عظيم للبيت فى هذا الوقت لم يكن يحمل لقب «كاتب الملك» ، ولم نجد من يحمل هذا اللقب الممتاز أى لقب "كاتب الملك"

(١) راجع : A. S., IV, P. 132.

إلا "وسر" فى عهد « تحتمس الأول » ، و بعد ذلك نجد أن كلا من « امنمحات سورر » و « أمنحتب » و « إبى » يحملونه ثانيــة . ولا غرابة فى أن يحمل هــذا اللقب « أمنحتب » لأنه كان قبل ذلك « كاتب المجنـــدين » ومن المحتمل أن ذلك ينطبــق على « ســورر » لأننـــا لا نعــرف تاريخ حياته فى الوظائف الحكومية ، وقد كان « المدير العظيم للبيت » يبقى شاغلا وظيفته ما دام الفرعون الذى يدير أملاكه على عرش الملك ، ولم نصــادف مديرا عظيما لبيت واحد ظل يدير أملاك البيت الملكى فى زمن ملكين متعاقبين إلا « إبى » فقد كان فى عهـــد « أمنحتب الثالث » مدير البيت العظيم فى « منف » وفى عهد « أمنحتب الرابع » كان يلقب « مدير البيت فى منف » فحسب ، وربمـــا كان ذلك قبـــل أن ينتقل هـــذا الفرعون إلى « تل العمارنة » . وقد بقيت الرابطة الوثيقـــة التى بين « المـــدير العظيم للبيت» وبين الفرعون معمولا بها حتى عهد حكم «حتشبسوت » ، وقد كان « سنموت » آخر من أضاف إلى لقبـــه وظيفة اسم الملك ، و بعـــد ذلك كان هذا الموظف يدعى « مدير البيت العظيم للملك» وحسب .

ولقـــد كان النفوذ الذى استحوذ عليـــه « المدير العظيم للبيت » فى خلال عهد الأسرة الثامنـــة عشرة عظيما جدا حتى أنه ليفوق ما تستحقه هذه الوظيفة ذاتها من نفوذ ، فقـــد كان فى بادئ الأمر ينحصر عمـــله فى تمثيل الفرعون فى إدارة ممتلكاته ، غير أنه تخطى ذلك وأصبح الآن يطلب التـــدخل فى أمور خارجة عن دائرة وظيفته الأصليـــة التى وكل المـــلك أمرها إليـــه ، وعلى العكس من ذلك بدأ الفرعون الآن يصـــدر أوامر على يد مدير بيته العظيم فقـــد حدث منذ عهـــد « سنموت » أن أصبح « مدير البيت العظيم » يمـــيز بلقب « الفم الأعلى » وبذلك أصبح من المعـــلوم أن إرادة الملك وأوامره كانت تنتشر بين النـــاس على يد هـــذه الشخصية ، وأنه كذلك كان المسئول عن تنفيذ هذه الأوامر . وقد أوضح لنا ذلك

« سمنوت » فى كلمات له عند ما يقول[١] : " لقد رفعنى الملك أمام الأرضين ونصبنى « الفم الأعلى » لقصره لأجل أن أحكم البلاد كلها " وكذلك نجد « حور محب » يصف قوته ونفوذه فى أواخر الأسرة الثامنة عشرة بما يقرب من هذه الكلمات نفسها بوصفه مدير البيت العظيم[٢] حيث يقول : " لقد نصبنى الفرعون الفم الأعلى للبلاد لأجل أن أدير قوانينها بوصفى وصيا على عرش البلاد كلها (ربعت) " ، وفى عهد « أمنحتب الثانى » كان « قن آمون[٣] » يحمل لقب « الفم الأعلى فى البلاد » كما كان يحمله كذلك « ثنى[٤] » فى عهد « تحتمس الرابع » ، وكذلك كان يحمل هذا اللقب فى عهد « اخناتون » « خادم حجرته » الخاص ، والفم الأعلى « دودو[٥] » الذى لم يكن يحمل لقب « مدير البيت العظيم » بعد ، ولكن على ما يظهر كان هذا اللقب الأخير قد حل محله .

وتظهر لنا الرسوم التى عثر عليها فى قبر « حور محب » مدير البيت العظيم للفرعون « توت عنخ آمون » كيف أصبح هذا الموظف « الفم الأعلى »[٦] ، إذ نشاهد فى تلك الرسوم مبعوثا أسيويا حضر الى البلاط الفرعونى راجيا مساعدة حربية فيقابله « مدير البيت العظيم » هذا ويبحث الموضوع معه ثم يضع الأخير الأمر أمام الفرعون للفصل فيه ، ثم يعلن « المدير العظيم للبيت » قرار الفرعون الى المبعوث ، ونجد « دودو » فى وصفه لوظيفته ، وهو « الفم الأعلى » للملك « إخناتون » يردد لنا بالألفاظ ما جاء فى هذه الرسوم السالفة الذكر[٧] حيث يقول : " لقد أعلنت كلمات المبعوث

---

(١) راجع : Berlin Statue, Vs, line. 25", The American Journal of Semetic Languages and Literatures", XLIV, P. 52.

(٢) راجع : Turin Statue, line 5.

(٣) راجع : Davies, "The Tomb of Kenamun", Pl. VIII, line 2.

(٤) راجع : "Rec. Trav." XI, P. 157.

(٥) راجع : Davies, "El Amarna", VI, P. 7 – 14.

(٦) وسنشرح ذلك فيما بعد .

(٧) راجع : Davies, Ibid. Pl. XIX.

الأجنبي فى القصر الملكى لأنى كنت مع الملك كل يوم ، وكنت أخرج من عنده ثانيــة بوصفى « رسول الفرعون » ومعى كل أوامر جلالته" . هذا هو ما نجده على الصور المرسومة ، غير أن الحقيقة فى عهد « حور محب » كانت تظهر بمظهر آخر مختلف تمــاما ، فقد كان « توت عنخ آمون » وقتئذ لا يزال طفلا لا يمكنه أن يصدر قرارا فى شىء ما من تلقاء نفسه ، بل كان « حور محب » بطبيعة الحال هو الذى يعطى الجواب باسم الفرعون للبعوث . وقد وصف هذه الحالة على تمثال له محفوظ الآن فى « تورين»(١) صنع بعد توليته العرش . وقد وضع أمامنا صورة عن نشاطه قبل إعلان نفسه فرعونا على البلاد ، وكان يقصد بذلك إثبات حقه الشرعى فى الاستيلاء على العرش فيقول :

"... وقد أحضر إليه كل شىء ، وقد حضر إليه المستشارون مطأطئ الرءوس عند باب القصر ، وقد وفد أمراء البلاد الأجنبية من الجنوب والشمال بأيد مرفوعة تضرعا له كأنه إله يعبد ، وكان كل شىء يعمل وينفذ على حسب أمره" .

ومن ذلك نعلم أنه فى عهد الملك « توت عنخ آمون» الذى كان لا يزال قاصرا ، كانت سلطة الحكومة فى يد « حور محب » المدير العظيم للبيت ، والفم الأعلى للبلاد قاطبة ، ومع ذلك فإن هناك ملوكا آخرين قد سلكوا هذه الطريق تخلصا من متاعب الحكم وهمومه . ففى عهد «إخناتون» كان صغار أمراء «سوريا» «وفلسطين» يرون أن « دودو » الفم الأعلى هو الذى يفصل فى رسائلهم ، فقد كتب إليه « أزيرو » الآمورى يطلب إليه إرجاء سفره إلى البلاط ، وكان « دودو » هذا قد أصدر إليه الأمر بالحضور(٢) . والواقع أنه فى نهاية الأسرة الثامنــة عشرة أصبح « مدير البيت العظيم » الممثــل للفرعون ، على أننا لا زلنــا نخمن كيف أن « سمنوت » وهو أول « مدير بيت عظيم » أصبح يلقب « الفم الأعلى للملك » .

---

(١) راجع : Davies, "The Tomb of Harmhabi and Tutankhamon", P. 8 ff.

(٢) راجع : Knudtzon, "El Amarna Tafeln", Nos. 158, 164, 167.

ولقد كان نفوذ « سنموت » على الملكة « حتشبسوت » قد بلغ ذروته فعــلا فى عهد وصايتها لا فى عهد «تربعها» على العرش، وإذا قرن الإنسان بوجه خاص ألقاب «سنموت» قبل زمن تولى «حتشبسوت» الملك وبعده أى فى أواخر السنة السابعة بعد موت «تحتمس الثانى»[1] لعرف الحقائق التالية فى تاريخ حياته الحكومية؛ إذ ظهــر أن « سنموت » كان يحمــل أوّلا لقب « مدير بيت حتشبسوت أرملة تحتمس الثانى » . وكانت هى التى تقوم بأمر الوصاية على ولية العهد « نفرو رع» القاصرة، وهى التى كانت بزواجها المنتظر من «تحتمس الثالث» تجعله ملكا شرعيا على البــلاد . وقد أصــبح « سنموت » فى الوقت نفسه مدير أملاك وليــة العهد « نفرو رع » ، كما أصبح يحمل لقب « مربيها » . ،قد كان يشــغل بجانب هاتين الوظيفتين وظائف أخرى مختلفة فى داخل إدارة معبد « آمون بالكرنك » كما سبق ذلك، ومن المحتمل أن «سنموت» قد وصل فى إدارة معبد « آمون » الى ماوصل إليه « أمنحتب بن حبو » فيما بعد فى عهد « أمنحتب الثالث » ، فقد كان الأخير بوصفه مدير البيت للأميرة « سات آمون » يشرف على أراضى معبد « آمون » . والظاهر أنها كانت أرض المراعى، وبذلك كان يحمل لقب « مديّر ثيران آمون » ، ولقد كان من السهل على « سنموت » أن يستولى على إدارة أملاك « آمون » لأنه كان يدير أملاك كل من « حتشبسوت » و « نفرو رع »، وكانتا تعدّان زوجتين للإله ، وليس هناك حواجز كبيرة بين أملاك الإله وزوجه، غير أنه لم يحمل بعد لقب « مدير أملاك معبد آمون » . إذ الواقع أن هذا اللقب لم يكن معروفا فى عهده ، ومن المحتمل أنه أنشئ أوّلا « لسنموت » ، ولا بدّ أن يكون ذلك بعد تولية « حتشبسوت » العرش فى نهاية السنة السابعة . وقد بقى « سنموت » أوّلا محافظا على وظيفته «مدير البيت العظيم لحتشبسوت» بعد توليها الملك، غير أن لقبه أصبح «المدير العظيم لبيت الملك» عامة بدلا من التخصيص بلفظة «حتشبسوت» ،ولكنا

---

(١) راجع : M. M. A. (Jan. 1937) P. 37.

لم نجد هـذا اللقب إلا على تمثـال واحد ، وعلى جُعلٍ وحسب ، ممـا يدل على أن هـذه الوظيفة قد استغنى عنها بسرعة . وكذلك فقـد « سنموت » مركزه بوصفه مدير أملاك الأميرة «نفرورع» بعد وفاتها ، وعلى هذا عندما تولت «حتشبسوت» العرش أصبح لقب «زوجة الإله» خاليا ، ومن ثم تغير وضع أملاكها من أساسه ، على أننا لا نعلم على وجه التحقيق من كان يدير ممتلكاتها ، ومن المحتمل أنه «سن من» أخو « سنموت » إذ وجدنا فى قبره لقب «مدير البيت ومربى زوج الإله» ، غير أن البعض ينسبه إلى « نفرورع »[1] ؛ وعلى أية حال فإن « سنموت » لم يحمل قط لقب مدير أملاك زوجة الإله «نفرورع» ، ولكنه قد بقى بطبيعة الحال مربيها ومن أجل ذلك كان يسمى أيضا مربى زوجة الإله « نفرورع » ؛ ونجد الآن على الآثار بعد توليـة « حتشبسوت »[2] العرش أنه قـد ظهر لقب مدير أملاك معبـد « آمون » وهو أهم لقب كان يحمله «سنموت» منذ ذلك الوقت . على أننا نجد من تتابع هذه الألقاب الحقيقة المدهشة وهى أن « سنموت » كان فى عهد ترمل «حتشبسوت» وقبل أن تعتلى العرش بوصفه مديرا لممتلكاتها يقبض على أعظم سلطة فى البـلاد ، وبخاصة أن ولية العهد كانت تحت نفوذه ، ولكنه بعد تولى «حتشبسوت» العرش مبـاشرة حرم وظائفه ذات النفوذ الواسع ، ويمكن الإنسان أن يفهم من سـلوك « حتشبسوت » هذا معه أنها أرادت أن تتحرّر من نفوذ « سنموت » وقبضه على زمامها . والواقع أنه لم يبق فى يديه من الوظائف ذات النفوذ فى البيت المـالك إلا وظيفـة مربى « نفرورع » . ولمـا ماتت هـذه الأميرة فى تاريخ يتراوح بين عامى ١١ ، ١٦ من حـكم « حتشبسوت » قضى على آخر ما فى يديه من نفـوذ وقوة ، وأصبحت قوّته ونفوذه تنحصران فى وظيفته وهى مدير بيت « آمون » ، ومن المحتمل كذلك أن سـقوطه السياسى كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بموت الأميرة

(١) راجع : P. S. B. A., XXXV, Pl. 53.

(٢) هذا خلافا لمـا قاله وتلك (راجع : M. M. A. (Feb 1928.) .

« نفرو رع »؛ ويدل قبره الثانى على أن هذا السقوط قد حدث قبل موت « حتشبسوت » . ومما سبق يمكن الإنسان أن يفهم أن « حتشبسوت » بعد توليتها العرش كانت تفكر فى القضاء على سلطان « سنموت »، وأنها كانت سائرة فى طريقها إلى تنفيذ خطتها هذه ، وأن آخر عقبة كانت تعترضها فى طريقها هى الأميرة « نفرو رع » ، وقد زالت بموتها ، وبذلك تخلصت من ذلك الرجل الذى كان يقودها فيما مضى، وسير أمور البلاد بإرادته وما لديه من سلطان .

ولقل ظل هذا النضال الصامت بين الملكة ومدير بيتها العظيم على السلطة بقية مدة الأسرة الثامنة عشرة . وفى الحق كان الملوك يسعون لوضع حدّ لتجمع السلطة فى يد «مدير البيت العظيم» حتى أنهم كانوا ينصبون فيها رجالا لا يرتكزون على نسب، كما أنهم كانوا يتحاشون أن يشغلوها برجال من طبقة الموظفين العريقين فى النسب، ومن جهة أخرى كان شاغل هذه الوظيفة يعمل جهد الطاقة على ازدياد سلطانه، على أن ذلك كان لا يعنى أنه كان يسعى للتدخل فى أمور الحكم وحسب ، بل كان كذلك يزج بنفسه فى إدارة الحكومة التى كان على رأسها الوزير، ويشترك معه فى كل الأوامر المتصلة بالفرعون،ولقد كانت نهاية محاولة المدير العظيم للبيت لتقوية مركزه على حساب رجال الإدارة والملك سقوط هؤلاء الرجال الذين شغلوها ، ولا زال أثر ذلك ماثلا أمامنا حتى يومنا هذا فى القضاء على ذكرياتهم ، وتخريب قبورهم . وقد كان أوّل من أصابه هذا التدمير هو «سنموت» ثم خلفه «أمنحتب» و « قن آمون » و « ثننى » و «أمنحات — سورر» ، وكلهم أصابهم ما أصاب «سنموت»؛ وبعد سقوط « سورر» أدخل تغيير فى شغل هذه الوظيفة، والظاهر أن الوزير « رعمبوسى » قد توصل لدى الفرعون بما له من نفوذ أن يولى أخاه « أمنحتب » الذى كان فيما مضى موظفا حربيا منصب المدير العظيم للبيت ،وعلى ذلك أدخل تغييرا فى المبدأ الذى تشغل به الوظيفة لأن ملئها كان فيما مضى لا يتوقف على الجاه والكفاية فى العمل ، ولكن « أمنحتب الثالث » اعتقد أنه

بتولية « أمنحتب » هذا وهو أخو وزيره، ومن طبقة الموظفين، يمكنه أن يقضى على النضال الذى كان يقوم به « المدير العظيم للبيت » على الملك ورجال الحكومة من أجل السلطة ، ولأجل أن ينتزع الفرعون من « المدير العظيم للبيت » كل نفوذ عدائى له — وهو ذلك النفوذ الذى كان محسا فعـلا فى طبقة الموظفين الطيبيين ، وكذلك فى رجال الكهنة — شرع فى إبعاد مقر «المدير العظيم للبيت» من «طيبة» فنقله إلى « منف » وكان ذلك ضروريا ، لأن وظيفة «المدير العظيم للبيت» كان يشغلها الآن من له صـلة بطبقة الموظفين وعلى ذلك كان من الواجب أن يقصى مدير البيت العظيم عن البلاط ،وحينئذ تكون فرصة تأثيره على الملك ضئيلة ، وأظهر علامة على إبعاد حامل هذه الوظيفة عن البلاط ،وتضاؤل نفوذها مانشاهده من أن المـديرين العظيمين للبيت « أمنحتب » و « إبى » اللذين كان مقرهما « منف » فى عهد «أمنحتب الثالث» لم يحمل واحد منهما لقب «حامل المروحة على يمين الملك» ، وهو لقب كان يتحلى به كل من كان يشغل هذه الوظيفة منذ عهد «أمنحتب الثانى» ؛ وفى الوقت نفسه لم يلقب واحد منهما « بالفم الأعلى » . ومن هـذا يرى الإنسان الجـواب على السؤال : لمـاذا اتخذ المديران العظيمان للبيت مقرهما فى « منف » فجاءة، ولقب كل منهما « المدير العظيم للبيت فى منف » ؟ وقد كانت فكرة إبعاد الوظائف ذات النفوذ العظيم — وهى التى كانت فى الوقت نفسه تحتاج إلى نضال — من عاصمة الملك إلى الأقاليم لتهدئة الحـال ، للحضد من شوكة نفـوذ شاغلى هذه الوظائف — هى التى حملت الفرعون « أمنحتب الثالث » على توجيه عنايته لإبعاد وظيفة رئيس كهنة كل الآلهة فى الوجه القبلى والوجه البحرى عن «طيبة» كما سبقت الإشارة إلى ذلك . فقد وكل أمر الإشراف على هذه الوظيفة الى الكاهن الأعظم للإله « بتاح » فى « منف » ، وذلك لأن بقاءها فى « طيبة » كان مدعاة لطموح كهنة « آمون » إلى جمع السلطة فى يدهم .

ويرى القارئ فى البحث الذى بسطناه عن وظيفة المـدير العظيم للبيت أن « أمنحتب الثالث » كان يناهض بكل ما يملك من قوة — كما فعل من سبقه من

ملوك الأسرة الثامنة عشرة — هو وطبقة الموظفين ، كل رجل يريد الاستيلاء على السلطة ، ولو كان من رجال بلاطه . وقد كان أوّل من حتمت عليه الأحوال أن يتبع سياسة مضادة لذلك هو ابنه « أمنحتب الرابع » ، وذلك حينما أراد أن يتخذ له عضدا من رجال خارج رجال حكومته لأن سياسته الدينية كانت تحتم عليه أن يناهض كهنة « آمون » ورجال حكومة بلاده .

ضباط الميدان فى الإدارة الحربية

كانت توجد طائفة من وظائف الدولة يعين فيها ضباط الميدان بعد انتهاء خدمتهم العسكرية ، وهـذه كانت مراكز معينة فى الإدارة الحـربية ؛ وكان لا يشغلها إلا من له ماض مجيد فى ساحات الوغى . مثـال ذلك « أمنمحاب » ويسمى « مح » الذى حارب مع « تحتمس الثالث » فى غزواته[1] ، وقد ترقى خلال حروب هـذا الفرعون من جندى بسيط إلى أن تقلد لقب « فارس »[2] ، وعندما احتفل «أمنحتب الثانى» بعيد « أوبت » (الأقصر) بعد توليته العرش كان « أمنمحب » هذا يدير سكان قاربه ، فطلبه الفرعون للمثول بين يديه فى القصر وخاطبه قائلا : "إنى أعرفك منذ ذلك العهد الذى كنت لا أزال فيه صبيا فى المهد فقد كنت وقتئذ رفيق والدى ، من أجل ذلك أكل إليك الآن نيابة الجيش ، ويجب عليك أن تعدّ نفسك مسئولا عن حرسى الخاص من الآن" . فهذا الضابط كما نرى قد وصل على حسب هذه النقوش بخدمته الطويلة إلى مرتبة نائب الجيش . وخلافا « لأمنمحاب » هذا نجد ضباط ميدان آخرين ممن كانوا يشغلون وظيفة «فارس» ، رقى كل منهم إلى نائب

---

(١) راجع : "Mem. Miss. Arch. Franç." V, P. 224 (Tomb No. 85); Urk. IV, P. 889 ff; Stela. "Brit. Mus. Stelae", VII 23; Cone. funeraire Paris Bibl. Nat. 1337; Stuhlfragm.Munchen 487; Sethe, A. Z., XLIV, P. 87.

(٢) راجع : Porter and Moss, "Bibliography", I, P. 182; Wegner, Mitt. Deutsch. Inst. Kairo", IV, Pls. 28 a, 29 a (?)

للجيش فيما بعد؛ ففى عهد « تحتمس الثالث » نجد نائب الجيش المسمى « تحوتى مس »[١] وفى عهد «أمنحتب الثانى» نجد «أمنمحاب» السابق الذكر، ثم «بح سونحر» فى عهد « أمنحتب الثـانى » أيضا، وفى عهد « تحتمس الرابع » نجـد « باسر »[٢] و « باتونر »[٣] وغيرهم .

ولكن ما يلفت النظر هو أن هؤلاء وبخاصة فى الأمثلة القديمة لا يحملون لقب « كاتب » ، وهو اللقب الذى كان يدل على أن صاحبه من عداد الموظفين، ومن لا يحمـله لا يعدّ حاصـلا على ثقافة الموظف الحكومى فى ذلك الوقت ، بل فى كل زمن، لأن إتقان فن الكتابة كان المؤهل الوحيد لتولى وظائف الحكومة، ونشاهد ذلك بوجه خاص فى حالتى «أمنمحب» و «بحـ سونحر» فقد كان كلاهما ضابط ميدان وحسب، ولكن من المدهش أن « رعموسى » على الرغم من أنه كان يحمل لقب « فارس » فإنه مع ذلك كان يتمتع بلقب كاتب .

وأهم عمـل يقوم به ممثـل الجيش هو الإشراف على المؤن الخاصـة بالجنود والحاميات ، ولذلك نجـده مصوّرا على جدران قبور هؤلاء الرجال الذين يحمـلون هذا اللقب، وقد عثر على صورهم بالتأكيد فى مقبرة «أمنمحب»[٤] وفى مقبرة «بحـ سونحر»[٥] ، ومن الجـائز كذلك أنه مصوّر فى مقبرة « تحوتى مسو »، فاستمع لمـا جاء فى المتن الذى فى مقبرة «أمنمحب» ومقبرة «بح سونحر»[٦] : "إحضار الضباط والجنود إلى القصر لإطعامهم الخبز والحسم والنبيذ والفطير والخضر وكل شىء جميل مفرح ... ... على يد نائب

---

(١) راجع : Mem. Miss. Arch. Franç'., V, P. 287.

(٢) راجع : Bapyrus (Munchen), A. Z., LXIII, P. 105.

(٣) راجع : A. Z, 63, P. 105

(٤) راجع : Wreszinski, "Atlas", I, Pl. 94.

(٥) راجع : Ibid, Pls. 280, 281.

(٦) راجع : Urk. IV, P. 911; Mem. Miss. Arch. Franç., V, P. 289.

الجيش « فلان »" . ومناظر هذه القبور التى تتشابه فى الرسم وفى التركيب ترينا نائب الجيش واقفا أمام موظف المـؤن وأمامه كاتب وهو يستعرض المشـاة والفرسان يقودهم ضباطهـم . ويلحظ أن الجنود لا يحملون سـلاحا ما بل حقيبة للطعام ؛ ويشاهد الفارس وهو يقود جواده من عربته . وفى إدارة المؤن نشاهد سلات الخبز وأباريق الجعـة معدّة ليأخذ منها الجنود جرايتهـم . على حين أنه يشـاهد الضباط فى نفس الزمان والمكان وهم يأكلون من أنصبتهم الوفيرة . أما المكلف بملاحظة توزيع هذه المـؤن فهو كاتب حسابات الخـبز[1] . ومن الجائز أن توزيع هذه المؤن كان يتم على ثلاث دفعات فى الشهر، إذ وجدنا فى مرسوم « حور محب » النص التالى : "لقد حضر إلى موظفى « قنبت » ... ... ثلاث دفعات فى الشهر ... كأنه عيد وكل إنسان يجلس أمام نصيبه من كل مالذ وطاب ... ... ويمدحون كل شىء جميل ... ... وقائد الجيش وكل ضابط وكل رجل ... ..."[2]. ويلاحظ هنا أن تهشيم المتن كان عائقا للإدلاء بأى حكم فاصل .

على أن ذكر نائبين للجيش فى مرسوم « حورمحب » فى هذا الصدد الذى وجد متنه مهشما لا يمكننا استنباط شىء حاسم منه : "وعندما توجد سفن لتسليم الجزية لمخازن ولإدارة جلالته ، وهى التى تحت إشراف نائب الجيش ... ... و ... ... وحاملو الجزية للحريم . وحاملو القربان الذين يسلمون الجزية لنائبى الجيش ... ... " . هذا الكلام يبحث بلا شك فى مخازن المؤن[3]، ولا نزاع فى أن جرايات الخبز كانت تأتى من إدارة مخازن الغلال ولهذا السبب نجد فى مقبرة «أمنمحاب» ، أن مدير مخازن الغلال مصوّر فى منظر توزيع المؤن و يصحبه التفسير التالى[4] : "مدير مخازن جلالته يحسب الجرايات المخبوزة". ومن ذلك نستنبط أنه كانت توجد إدارتان موزع عملهما بين

---

(١) راجع : Wreszinski, "Atlas", Pl. 186.

(٢) راجع : Harmhebdekret B. 8 a - 8.

(٣) راجع : Ibid. line 16.

(٤) راجع : Urk. IV, p. 912.

نائب الجيش ومدير المخازن، وكلاهما ينحصر فى عمل واحد، أما فيما يخص مواد المعيشة الأخرى مثل اللحم والخضر والسمك والجعة ... الخ فيظهر بحسب ماجاء فى منشور «حور محب» أن قرى وضياعا معينة كانت تورد جزيتها إلى مخازن نائب الجيش مباشرة لا الى مدير مخازن الغلال . وهذا الوضع نفسه نلاحظه فى تغذية رجال الشرطة ، إذ كانت ترد اليهم المؤن مباشرة من القرى[١]، ولا نعرف على وجه التحقيق الجهة التى تتبعها الإدارة التى تمدّ الجنود بالمواد الغفل مثل الجلود وكل المواد اللازمة لإصلاح السلاح، أتتبع إدارة نائب الجيش هى الأخرى أم لا . على أنه كان هناك عقاب خاص بجمع الجلود خلسة ذكر فى منشور[٢] « حور محب » .

وتدل النقوش على أنه كان يوجد فى البلاد نائبان للجيش فى آن واحد ويثبت هذا ما ذكرناه فى نص منشور « حور محب » وكذلك ما جاء فى نص قانون يرجع إلى عهد «تحتمس الرابع»[٣] والظاهر أن أحدهما كان للوجه القبلى والآخر كان للوجه البحرى . ولا نعلم على وجه التأكيد إذا كان هذا التقسيم هو الذى دعا الى الاختلاف فى تركيب صيغة اللقبين اللذين كان يحملهما كل من « أمنحاب » وكان يلقب نائب الجيش و«بح سونحر» الذى كان من المحتمل يلقب «نائب الملك»[٤] أولا ويصف لنا «نب آمون» حامل العلم فى السفينة المسماة «مريت أمون» كيف أنه ذات يوم بعد حملة مظفرة أرسل الفرعون « تحتمس الرابع » أمرا لأمير البحر خاص بـ « نب

---

(١) راجع : Davies, "El Amarna", IV, Pl. XXIV.

(٢) راجع : Horemhebdekret line 25 28.

(٣) راجع : Schafer, A. Z., LXIII, P. 105.

(٤) راجع : Vierey, " Mem. Miss. Arch. Franç.", V, P. 8, 216.

(٥) راجع : Davies, "Tomb of Two Officials", PP. 19 - 38, Pls. XIX - XXXVIII.

آمون » الذى كان قد وصل إلى شيخوخة موقرة فى خدمة جلالته بمهارة، لأنه كان يقوم بعمل كل ما قد أمر به دون حدوث أية شكاية منه ... ...، وفيه أمر جلالته بتعيينه رئيس شرطة «طيبة الغربية»، فقد أعلن هنا بصراحة تامة أن مركز رئيس شرطة « طيبة الغربية » قد شغله جندى قديم ظهر حتى الآن بأعماله العظيمة، ويؤكد لنا ذلك حياة « ددى » الذى سبقه فى عهد كل من « تحتمس الثالث » « وأمنحتب الأول » إذ عين رئيسا للشرطة فى « طيبة الغربيـة » مع أنه كان جنديا بسيطا. ومن المدهش أن ترقيته تشبه كل الشبه ترقية « نب أمون » السابق الذكر، إذ فى الواقع أنه رفع من رتبـة حامل العلم فى حرس الملك الخاص إلى هذه المكانة العالية وهذا مما يدلنا على أن رئيس الشرطة كان ينتخب من الضباط الحاملين رتبة العلم . وكانت وظيفة رئيس الشرطة فى مرتبـة « فارس » ، وكان معظم الجنود الذين تحت إمرته من المصريين والنوبيين الذين كانوا فى البلاد بمثابة جنود شرطة على الحدود وفى الجبانات ، وأكبر دليل محس على ذلك شرطة « طيبة » وشرطة « تل العمارنة »[1] . والظاهر أنه كان يوجد فى أمهات البلاد فرق كل منها تحت إشراف رئيس شرطة ، وقد عرفنا من ذلك « منف »[2] و « قفط »[3] وكانت الأخيرة من الأهميـة بمكان ، لأنها كانت الطريق لجلب الذهب من « وادى الحمامات » ولذلك كان من الضرورى وضع نقطة شرطة قوية هناك ، وفى العهـد الاهناسى نعلم أن أمير المقاطعة فى هـذه الجهة المسمى « وسر » كان يلقب مديرا للبلاد الأجنبية الغربية والشرقيـة[4] . وفى عهـد الأسرة الثامنة عشرة كان رئيس شرطة « قفط » يعمل باتصال وثيق مع مدير مناجم الذهب التابعة

(١) راجع : Davies, "El Amarna", IV, P. 12 - 18.

(٢) راجع : Quibell, "Excavations at Sakkara", (1907 - 8), Pl. LXXXI, (XIX, Dynasty).

(٣) راجع : Davies, "The Tomb of Menkheperra snob", Pl. IX.

(٤) راجع : Cairo Mus. No. 1442.

« لقفط » وقد ظهر هذا الموظف فى الرسوم التى على مقبرة « من خبر رع سنب » عند تسليم الذهب لرئيس الكهنة (إقرن كذلك تمثال) مدير مناجم الذهب المستخرج من « قفط » الخاصة «بآمون» والمسمى « ورسو » فى عهد « أمنحتب الثانى »[1] ، وهذا الذهب كان يورد ضريبة لمعبد « آمون »[2] كانت تجبى فعلا فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وكذلك كانت الشرطة فى « بروسير »[3] وهى بلدة « أبوصير » الحالية ، وبلدة « روزت ـ ن ـ با ـ رع » على الحدود الشرقية من الدلتا[4] . ولقد كان الجزء الغربى من « طيبة » ذا أهمية عظمى لما يشتمل عليه من المعابد والمعاهد التى كانت مكدسة بالذخائر، هذا فضلا عن أنه كان يوجد فى هذه الجهة عمال يشتغلون فى الجبانات هناك بأعمال العمارة ، ولهذا السبب كان رئيس شرطة غربى «طيبة» يحتل المكانة الأولى؛ على أننا من جهة أخرى لا يمكن أن نجزم بوجود رئيس شرطة فى « طيبة الشرقية »[5] . وفى عهد الرعامسة حينما كانت حكومة مدينة « طيبة » يديرها عمدتان أو حاكمان أحدهما لطيبة الشرقية والآخر لطيبة الغربية ، كان الأخير لا يزال يحتفظ بلقب رئيس شرطة الجبانة المقدسة العظيمة لملايين السنين لجلالة الملك فى طيبة الغربية ، وقد كان تحت إمرته قواد فرق ، كل منهم يسمى كذلك « رئيس شرطة الجبانة »[6] ، وفى عهد الأسرة الثامنة عشرة ظهر بجانب قواد الفرق هؤلاء الذين كانوا يسمون رؤساء شرطة ضباط آخرون يلقب كل منهم « حامل علم الشرطة »[7] وكان الوزير هو المشرف على رئيس الشرطة فى « طيبة الغربية » فى عهد

(١) راجع : J. E. A. II, P. 5.

(٢) راجع : Kees, "Kulturgeschichte", P. 255.

(٣) راجع : A. Z., XLIII, P. 40.

(٤) راجع : Pap. Anastasi V, 25, 3.

(٥) راجع : Pap. Abbot I, line 9 ff.

(٦) راجع : J. E. A., XIII, P. 30, Pl. XV, 15.

(٧) راجع : Davies, " Tomb of Two Officials", P. 29.

الأسرة الثامنة عشرة، وكذلك على عمدة « طيبة الغربية » الذى كان فى يده السلطة على الشرطة فى عهد الرعامسة بوصفه « مدير المدينة »، وقد كانت تعرض عليه كل قضية[١] وإذا اتفق أنه تغيب فى مكان ما كان لزاما أن يرسل خلفه شرطيا يحمل له الأخبار[٢]، وقد كانت العلامة المميزة لجنود الشرطة فى « طيبة الغربية » علما مصوّرا عليه غزالة[٣]، أما فى « تل العمارنة » فكانت درعا مستطيل الشكل رسم عليه عدوّ يضربه الفرعون[٤]. (راجع كذلك موضوع الشرطة « مزاى » Gardiner Onomastica I, 73 ff. & II, 269 ff.) .

ويشاهد رؤساء الشرطة ممثلين على جدران مقابرهم وهم يتسلمون التقارير التى كان يأتى بها رجال الطواف، إذ يرى رئيس الشرطة واقفا مع آخرين وهو يفتش الحى، ويميز مكانته عن الآخرين أنه يحمل سهما عظيما بدلا من العصا التى تحمل عادة[٥] وبجانب هذا نراه يراقب — كما نشاهد فى « إختاتون[٦] » — نقط الشرطة للحراسة التى وضعت حول العاصمة، وكان يقبض على المجرم ويقدّمه للمحاكمة[٧]، وكذلك كان يشترك فى تجنيد المقترعين[٨].

والظاهر أن تموين الشرطة بالمواد الغذائية كان يشبه فى نظامه تموين الجيش، إذ كان لرجال الشرطة نائب يسمى « نائب رجال الشرطة » وقد ظهر ممثلا على جدران مقبرة «نب أمون» بوصفه مرءوسا له[٩]، ونشاهد على مقبرة «معحو» فى تل

(١) راجع : Davies,"El Amarna", IV, Pls. XXIV, XXVI.
(٢) راجع : Pap. Abbot III, P. 22.
(٣) راجع : Urk. IV, P. 994.
(٤) راجع : Davies, Ibid. IV, Pl. XVII.
(٥) راجع : Davies, "Tomb of Two Officials", Pl. XXI.
(٦) راجع : Davies El Amarna, IV, Pl. XXII.
(٧) راجع : Ibid. IV, Pl. XXVI.
(٨) راجع : Ibid, Pls. XXIV - XXV.
(٩) راجع : Ibid, Pl. XXVII.

العمارنة صورة تدل على المواد الغذائية التى كان يقدمها الأهلون ضريبة إلى مخازن رئيس الشرطة مباشرة ، وهو نفس النظام المتبع فى تموين الجيش[(١)] ، وهذه السخرة لتغذية الجنود كانت جارية فى البلاد منذ عهد الدولة القديمة[(٢)] .

الجنود الفرسان

لقد ظهر فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة سلاح جديد وهو العربة التى تجرها الجياد ، ويعزى فى العادة إدخال عربة القتال وكذلك الخيل فى مصر إلى عهد الهكسوس[(٣)] . وقد جلبت من بلاد سوريا التى أخذتها عن أقوام الشمال وكانت قد استعملت فعلا فى عهد الملوك الأول من الأسرة الثامنة عشرة ، وهم « كامس » و « أحمس » ، و « تحتمس الأول » وقد استعملها الملوك والأهلون على السواء لأغراض سلمية[(٤)] وحربية[(٥)] ، وقد دخلت العربات والجياد البلاد أولا بمثابة أسلاب حرب وجزية ، ومن ثم كانت تحتفظ بأسمائها الأجنبية التى سميت بها فى بلادها الأصلية[(٦)] ، غير أنه لم يمض طويل زمن حتى أنشئت صناعة خاصة فى البلاد المصرية تصنع

---

(١) راجع : Davies, "El Amarna", IV, Pl. XXIV.

(٢) راجع : A. Z., XLII, P. 9, lines 19 - 20.

(٣) راجع : "Alt Volker und Staaten", P. 33. Kees, "Kultur-geschichte", P. 235, Bissing, "Archiv fur Orient frschung", 11, P. 325.

(٤) راجع : Urk. IV, P. 3; Scarab Thothmes I, Newberry, "Scarabs", Pl. XXVII, 4.

(٥) لوحة « كنارفون » التى سبق ذكرها فى الجزء الرابع (راجع أيضا J. E. A., III, P. 106, line. 16.) حيث تجد على ما يظهر ذكر عربات حرب معادية فى عهد « كامس » . و إذا كانت كلمة « سنن » تعنى حرب العربات ، فان ذلك يدل على أنه كانت قد تكونت فرقة خيالة فى عهد « تحتمس الأول » (راجع Berlin Mus. No. 14994.) ، وكذلك يظهر أنه قد ذكرت أعلام خيالة فى عهد « حتشبسوت » . (راجع Wresinski, "Atlas", I, Pl. 94 b.) .

(٦) راجع : Wegner, "Mitt. Deutsch. Inst: Kairo", IV, P. 80 ff; Klebs, III, P. 73.

العربات[١]، ولكن المواد اللازمة لهذه الصناعات كانت تجلب من الخارج[٢]، ولقد كان من الأمور الشاقة تربية الخيول فى مصر، وكانت على ما يظهر تربى فى ضياع الفرعون وضياع معابد الآلهة الكبيرة وحسب، وقد بدأ الأفراد يملكون الخيل فى خلال الأسرة الثامنة عشرة بازدياد مطرد، فقد عثر على عربة فى قبر « باحرى » الذى عاش فى عهد « تحتمس الأول »، ومع هذا فيظن أنه فى عهد « حتشبسوت » كان لا يزال للخيل قيمة عظيمة إذ نرى « سنموت » قد دفن جواده على حسب القواعد المتبعة[٣]، وكان لا بدّ من تكوين إدارة خاصة للخيل وعربات القتال، وكان على رأس[٤] هذه الإدارة بضع قوات فرسان، ولكن من المحتمل أنهما كانا قائدين فقط. أحدهما للوجه القبلى والآخر للوجه البحرى، وقد وصلت إلينا أسماء كثير من هؤلاء القواد من أول عهد « تحتمس الثالث » حتى عهد « حور محب » آخر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة[٥]. وقد كان المظنون من مدلول أول قائد فرسان أن هذه الوظيفة كانت مدنية محضة، ومع ذلك فان تفسيرها فى هذا الوقت بقائد فرسان كان يدل فعلا على معنى حربى، وقد كان « مين نخت[٦] » موظفا إداريا مدنيا يحمل لقب مدير مخزن الغلال، وكان بجانب هذه الوظيفة الرئيسية يدير إدارة خيل الحكومة، ومن الجائز أنه كان قد بدئ فى عهد « تحتمس الثالث » لأول

---

(١) راجع : Wegner, ibid. P. 66.

(٢) خشب من السودان فى عهد حتشبسوت (راجع : Urk, IV, P. 457.) وخشب من بلاد النهرين (راجع Davies, "Tomb of Kenamon", Pl. XXII.)

(٣) راجع M. M. A. (Jan. 1937) P. 10. 15, fig. 17.

(٤) راجع : Davies, "El Amarna", VI, Pls. XVII – XVIII. حيث نقرأ لقب المشرف على الخيل.

M. M. A. (Jan. 1937) Y. 10, 15, fig. 17.

(٥) راجع : Helek, "Der Einfluss der Militarfuhrer in der 18 Agyptischen Dynastie", P. 59 - 61.

(٦) راجع : Urk. IV, P. 1176 - 90.

مرة فى تكوين جنود لعربات القتال، وقد ظهرت فعلا فى عهده العربات فى ميدان الوغى[1] ولكن سرعان ما ظهر كذلك فى الوظـائف قائد فرسـان من جنود القتال الذين أحيلوا على المعاش .

والواقع أن مثل هذا الموظف قـد وصل إلى أعلى رتبة فى صفوف الميدان ، وهى رتبة « فارس » عند نهاية خدمته العسكرية ، وبعد ذلك منح لقب « قائد فرسان » بعد إحالته على المعاش ، فالوظيفة إذن كانت رتبة شرف تمنح بعد الإحالة على المعاش، ولم يكن يستخدم فى قيادة عربات القتال هذه من الجنود إلا من كان من أهل اليسار وهم الذين يكون فى مقدورهم أن يقتنوا لأنفسهم العربات ويصرفوا عن سعة على جيادها[1] ويخصصون الخدم للعناية[2] بها . وظهر فى الوقت نفسه أنهـم كانوا لا يقبلون فى فرقة الفرسان إلا بوساطـة أقرباء عريقين فى المجـد . ومن ثم ارتفعت مكانة هذا الصنف من الجنود على كل أنواع الجنود الآخرين المقاتلين ، وعلى ذلك كانت وظيفة قائد الفرسان شرفا لحاملها ، ولكن الفرعـون على العكس كان يشغل هذه الوظيفة بأفراد يريد أن يرفع من شأنهم، فقد رقى «تحتمس الرابع» كاتب المجندين « حور محب » إلى مرتبة « قائد فرسان » بعد أن كان قد نصبه فى وظيفتين خطيرتين وهما (مربى الأميرة «امنمآبت») والمشرف على كل الكهنة، وذلك فى لحظة كان الخلاف فيها على أشدّه بين الملك وحزب كهنة آمون. وإذا كان اسم قائد الفرسان « حقا — ر — نحح » مربى الأمير فإن ترقيته ترجع إلى مهمته الأخيرة . وواضح للعيـان أن منح « يويا » صهر الفرعـون « أمنحتب الثالث » لقب قائد فرسان كان مجرّد ترقية فخرية وحسب، إذ كان يشغل على ما يظهر قبل ذلك وظيفة كاهن الإله «مين» فى مدينة «أخميم»، ولكن من المحتمل أنه قد نال شرف هذا اللقب بفضل زوجته؛ لأنّ ابنتها كانت وصيفة استحوذ عليها ولى العهد

---

(١) راجع : Pap. Anastasi III, 6, 7 - 8.

(٢) كان الفرعون يعتنى بخيله (Ibid. 6, 5.)

وتزوج منها على غير المألوف ورفعها إلى مرتبة ملكة شرعية للبلاد . وفى هذه اللحظة كان من الضرورى أن يمنح الفرعون والد زوجته رتبة تفوق الرتب التى كان يحملها حتى الآن ، فخلع عليه رتبة « قائد الفرسان » .

على أن تتبع سير ترقية « آى » إلى هـذه الوظيفة فى عهد « إخناتون » يظهر من الأمور الصعبة ، ولكنه فى الحقيقة كان فى الأصل من ضباط القتال وهم الذين يرقى منهم قواد الفرسان . ولا نزاع فى أن علاقته بالبلاط جعلت مسألة رفعه إلى هذه المرتبة أمرا ضروريا بل عاديا ، وذلك لأنه تزوج مرضعة الملكة «نفرتيتى» ، ولكنه على ما يظهـر فضلا عن ذلك كانت له علاقة أخرى تربطه بالبـلاط لا نعرف كنهها على وجه التأكيد ، وكل مايقال فى هذا الصدد أنه حصل على لقب « والد الإله » .

أما الذين كانوا يعملون تحت إمرة قائد الفرسـان فهم رؤساء الإصطبلات . وكان لديهم عدد محـدود من الجياد يرعونها ، هـذا إلى ما يتبعها من الرجال الذين كان من أهم واجباتهم العناية بهـذه الحيوانات وإطعامها ، إذ قـد ذكرت لنـا فى خطابات التلاميذ التى ترجع إلى عهد الرعامسة هـذه الواجبات عند ما كانت تتناول الكلام على رؤساء الاصطبلات . فقد كان لزاما أن تساق الجياد إلى المراعى وترعى هناك ، وقد كان عقاب كل من يهمل فى أمر هذه الحيوانات أن يقصى الى حاميات الجنـود المقيمة فى البلاد الأجنبيـة (١) . وكذلك كانت تخصص على ما يظهر حقول يؤخذ محصولها علفا لهذه الخيل (٢) ، فقـد صرح لنا رئيس الإصطبل «امن — م — إوا» "... من اصطبل القصر العظيم « لرعمسيس » : وقد أعطيت حقلا ، مساحته ثلاثون أرورا فزرع شعيرا لخيل الفرعون التى كانت تحت إدارتى". وقد كان يخصص لهذه الحقول فلاحون (٣) وكان رؤسـاء الاصطبلات هم المكلفون

(١) راجع : Pap. Sallier I, 7, 2 - 4.

(٢) راجع : Pap. Bologne 1094, 28 - 31. Pap. Sallier; I, 9, 2 - 9.

(٣) راجع : Pap. Bologne 1094, 3, 1-3

بانتخاب ما يصلح منها لميدان القتال[١] . أما مكانة رؤساء الاصطبلات بالنسبة لغيرهم من الموظفين فيمكن استنباطها من مرسوم « نورى » الذى وضع فى عهد « سيتى الأول » فقد عدّت فيه الوظائف على حسب درجاتها من أعلى إلى أدنى[٢] . فنجد تبعا لذلك أن وظيفة رئيس الاصطبلات أقل من وظيفة « فارس » وأعلى من وظيفة « حامل العلم » . على أننا مع ذلك نعرف مكانة بعض رؤساء الاصطبلات من الآثار ، فقد كان رئيس جواد الفرعون « سو — منوت[٣] » قبل توليه هذا للنصب يشغل وظيفة رئيس الاصطبل وقد ذكر هذا اللقب كثيرا على جدران مقبرته . على أنه قد صمت عن ذكر لقب حامل العلم لأنه لقب صغير جدا فلم يذكره إلا مرة واحدة[٤] ، ومن المحتمل أن ذلك يظهر بوضوح أكثر فى عهد كل من « تحتمس الثالث » وابنه « أمنحتب الثانى » إذ عثر على قبرين لموظف يدعى « نب — ن — كمت » أحدهما فى « طيبة[٥] » والثانى فى « سد منت[٦] » ، وإذا صح أن القبرين له فانه كان يلقب فى قبره الذى فى « طيبة » بلقبى « حامل العلم ورئيس الإصطبل » على حين أنه كان يلقب فى قبره « بسد منت » بلقبى « فارس وحامل العلم فى السفينة « خع — م — ماعت » » ، ومن ذلك نعلم أنه قد رقى فيما بعد إلى رتبة فارس عندما نقل إلى « اهناسيا المدينة » فى مصر الوسطى . وكذلك نعلم أن حامل علم آخر قد رقى إلى رئيس اصطبل وهذا هو « باسر ابن حوى » نائب الملك فى عهد « توت عنخ آمون[٧] » ، وهذا الترقى من رئيس اصطبل إلى درجة فارس

---

(١) راجع : Pap. Koller I, 1

(٢) Griffith J. E. A. XIII, P. 183 f. f.

(٣) راجع : Tamb 92 (W. B. Theb. Grab 972 Abschrift 310, 89: Con. fun. 123; A. S. I, P. 106-107.

(٤) راجع : Con. funeraire No. 124

(٥) راجع : Urk. IV. P. 996-997

(٦) راجع : Petrie, "Sedment", II, Ph, LII

(٧) راجع : Davies, "The tomb of Huy". Pl. XI

يجب أن نقبله ، لأن كليهما ذكر الواحد تلو الآخر فى ترتيب ألقابه ، وكذلك نشاهد فى استعمال كلا اللقبين فى مقبرة « امنمسو »[1] . فإنه يستعمل دائما لقب فارس ولا يستعمل لقب رئيس الاصطبل إلا نادرا جدا مما يدل على أن اللقب الأخير صغير ولا يستحق الذكر . ومن ذلك يمكننا أن نستنبط تاريخ مجال حياة الضابط فانه كان ينخرط فى ذلك الجيش جنديا بسيطا ثم يرقى إلى حامل علم ، ثم يدرج إلى وظيفة رئيس اصطبل ثم يرتفع إلى رتبة فارس ، وأحيانا يرقى إلى رتبة قائد فرسان . وعلى ذلك نجد أن الترقى إلى وظيفة رئيس الاصطبل ليست خارجة عن سلك مجال ضباط الميدان كما هو الحال فى رتبة قائد الفرسان .

على أننا نميز درجات فى داخل حدود وظيفة رئيس الاصطبلات فهناك الرئيس الأول لاصطبلات[2] الفرعون ومن المحتمل أنه كان مدير الاصطبل الملكى وهو المكان الذى يقيم فيه جنود الحرس الذين فى ركاب الملك ، و يوجد قسم خاص يسمى اصطبل الغيار حيث تجهز الخيل للغيار وحيث يمرن المقترعون[3] . وفى هذا القسم نجد مثلا أن « بق ن خنسو » الذى أصبح فيما بعد الكاهن الأعظم « لآمون » كان يشتغل من سن الخامسة حتى السادسة عشرة وفى نهاية هذه المدة حصل على لقب « فارس » وكذلك كاتب الورقة الهجائية المشهورة التى تسمى الآن « ورقة انستاسى الأولى » كان يسمى نفسه : "الذى يعلم جياد الحاكم" . وكذلك تدلنا هذه الورقة فى الوقت نفسه أنه كان يلقن الجنود المقترعين المعلومات لتثقيفهم فى حرفتهم ، وهذا على النقيض التام من جنود المشاة . وهذا مفهوم بطبيعة الحال لأن الجنود الفرسان كانوا ينتخبون من أحسن الأسر المصرية ، ولذلك كانت توجه

---

(١) راجع : Davies, "The Tomb of Menkheperrasonb", pp. 27-34

(٢) راجع : Davies, "The tomb of Huy", Pl. XI « ثر » بن « حوى » نائب الملك فى بلاد « كوش » .

(٣) راجع : Brugsch, "Thesaurus" P. 1242.

إليهم تلك العناية الممتازة . وكان السواد الأعظم من هـذه الطبقة يرغبون فى خرط أبنائهم فى سلك الفرسان . ولهذا نجد كذلك أن المعلم الذى نقل الخطابات النموذجية التى وصلتنا فى ورقة «انستاسى الثالثة» كان يلقب الرئيس سائق عربة جلالته على أن وظيفة السائق الأوّل لعربة جلالة الملك التى ذكرناها الآن كانت ذات مرتبة عالية ويستدل على قيمتها من مدلولها ، أى أنه كان يقود العربة الملكية ، وبذلك كان يشغل وظيفة خطيرة جدًا. وإذا فحصنا هذه الوظيفة من حيث ترتيب مكانتها فى منشور «نورى» الذى كتب فى عهد «سيتى الأوّل» نجد أنها أكبر من وظيفة «رئيس الاصطبل» ولكنها كانت فى الوقت نفسه أقل من مرتبة «فارس» . وكذلك نشاهد فى نقوش «وادى الحمامات» التى من عهـد «رعمسيس الرابع» أنّ مكانة السائق الأوّل تحتل مكانة قبـل رئيس الاصطبل بين الموظفين . وفى نهاية الأسرة الثامنـة عشرة نرى أن اثنين من سائق عربة الفرعون قـد رقيا إلى رتبة «فارس» وهما «را نفر»(١) فى عهد «إخناتون» و «بارعمسسو» فى عهد «حور محب» (راجع .A. S, 14. p. 30 ff) .

وكان الفرعون يكلف سائق عربته الأوّل بالقيام ببعثات خاصة لجلالته فى الخارج وفى هذه الحالة كان يسمى «مبعوث الملك فى كل أرض أجنبية» فمثلا قام رئيس الاصطبل «امنمابت» بتفتيش فى بلاد كوش ، أو نشاهد سائق عربة الملك الأوّل المسمى كذلك «امنمابت» يحمل لقب مبعوث الملك إلى سوريا من «سيلة» حتى «يافا» ، ومن المحتمل أن «خانى» الذى أرسل فى عهد «أمنحتب الثالث» إلى سـوريا ليهدئ الأحوال هناك كان يحمل هـذا اللقب وهو مايعادل (وكيل «ربيصو») فى اللغة الآشورية(٢) . غير أننا لسنا على يقين من أن لقب «وكيل ربيصو» يعادل رئيس الاصطبلات . ومن المحتمل أنه كان يرسل فى تلك الفترة عدد من قوّاد

---

(١) راجع : Peet City of Akhenaton I, Pl. 9, 3.

(٢) راجع : Rev. D'assyr. 19, 100; 31, 126.

الفرسان إلى الخارج لشراء الخيل من سوريا وذلك لأنه قد ظهر أن تربية الخيل فى مصر لم تعط نتاجا أصيلا .

أما الجنود الذين كانوا يحاربون بالعربات فهم السائقون وكان تحتهم فى المرتبة المحارب الذى يقف فى العربة على ما يظهر [١] . ويتضح لنا ذلك من ذكر هذه الوظائف الحربية التى دوّنت بالترتيب على حسب درجاتها فى ورقة « هود » [٢] وكما جاء ذلك أيضا فى موقعة « قادش » [٣] وقد كان للسائقين نظام داخل اصطبلاتهم ، غير أنه يلاحظ هنا أن كل الخدم وأتباع عربات جنود القتال الذين ذكروا فى عهد الرعامسة لم يكونوا قد عرفوا بعد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

أما مركز معسكرات الفرسان فى عهد الأسرة الثامنة عشرة فكان فى عاصمتى البلاد وهما « طيبة » و « منف » حتى عهد « إخناتون » . أما فى « تل العمارنة » التى انتقل إليها « إخناتون » فكانت الثكنات مجهزة بساحات عظيمة للتمرين ، وقد عثر فى « منف » على صورة تمثل تمرين حرب العربات . أما الذين نشاهدهم واقفين فى هذه الصورة من جنود الفرسان فانهم يتسلمون طعاما مثل المشاة على يد ممثل الجيش ولذلك نجده ممثلا معهم فى صور توزيع الأغذية كما نجدهم واقفين صفوفا أمام ممثل الجيش ومعهم خيلهم (راجع J. E. A, 20. p. 135; Quibell Saqqara Excav. 8. Pl. 12.) .

والظاهر أن العلم الذى كان تحمله فرقة الخيالة فى « طيبة » كان يتألف من قضيب عليه تمثال جواد ، وقد عثر على جزء من منظر فى الدير البحرى عليه رسم علم مُثّل عليه جوادان وجها لوجه ، ومن الجائز أنه خاص بفرقة الخيالة وهذا أقدم رسم لعلم من هذا النوع .

---

(١) راجع : Helk, Ibid p. 65.

(٢) راجع : Mariette etudes egypt II, 1 ff. Line 17 - 18.

(٣) راجع : Selim Hassan Poême de Pentauer. Line 25.

وقـد كانت رتبة قائد الفرسان آخر ما يناله ضابط القتال من الرقى بعد ختام خدمتـه العسكرية، ويجب علينا أن نذكر هنا أن وظائف الكهانة كان يمكن أن يشغلها أفراد من الجنود القدماء، وإن لم يحدث ذلك كثيرا على وجه التحقيق . فنشاهـد مثلا أن « معى » الذى خدم فى عهـد « تحتمس الثالث » ونال مكافأة من الذهب لأنه أظهر كثيرا من ضروب الشجاعة قـد وضعه الفرعون فى وظيفـة فخرية وهى الأمـير الوراثى ومدير كهنة المقاطعة العاشرة من الوجه القبلى (راجـع Schafer amtl Ber. Kgl. Kunstsamml. (1911) Sp. 186. & Ibid Sp. 188, Auch. S. 4. Anm 9.) . هذا إلى أن رئيس اصطبلات «أمنحتب» الذى كان يرافق جلالة الملك « تحتمس الرابع » فى البلاد الأجنبية كلها من بلاد النوبة حتى بلاد النهرين قد رقى ترقية حقيقية إلى مرتبة دينيـة عظيمة وهى رئيس كهنة الإله «أنوريس» فى «طينة» (راجع A. Z, 73. p. 77.). وسنرى فى عهد «حور محب» التغيير العظيم الذى حدث فى تقدير جندى القتال مما أدّى إلى شغل وظائف الكهنة بضباط من الجيش عن قصد، وقد أخبرنا بذلك « حور محب » نفسـه على تمثاله الموجود الآن فى « تورين » إذ يقول : "وقد مدّت المعابد بكهنة مطهرين وكهنة مرتلين انتخبوا من خيرة رجال الجيش" (راجع Davies Tomb ot harmhabi. p. 40. line 25.) .

وظائف القصر

لقـد كان الفرعون « أمنحتب الثانى » عنـدما رقى الفارس « أمنحتب » إلى رتبـة ممثل له فى الجيش يرتكن على أن هـذا الجندى كان خادما أمينا فى عهد والده «تحتمس الثالث» ، وأنه نظرا لمـا قام به من خدمات جليلة لا بدّ أن تختم حياته فى خدمته بالإنعام عليه بهذه المكانة الرفيعة[1] على أننا نلاحظ وجود نفس هذه الفكرة بوضوح أكثر فى نقوش حامل العلم « نب آمون » فى عهد « تحتمس الرابع »

(١) راجع : Urk. LV, P. 897.

عندما يقتبس لنا هو خطابا أرسله إليه الفرعون يبشره فيه بترقيته إلى وظيفة « رئيس شرطة طيبة الغربية »[1]. حقا يظهر كل هذا بوضوح إذا ألقينا نظرة على علاقات أمثال هؤلاء الرجال بالبلاط الفرعونى فقد كان «أمنحتب» زوج مرضعة الملك . ولأجل أن نعرف مدى تأثير قرابة الموظف بمرضعة الملك أو أحد أعضاء الأسرة المالكة فى سير ترقيته سنذكر هنا أسماء بعض مرضعات الفراعنة ومقدار قرابتهم بالموظفين الذين نالوا المراتب العالية لاتصالهم بهؤلاء المرضعات[2] . وهؤلاء

(١) راجع : Davies, Two Officals; Pl. 26.

(٢) وهؤلاء المرضعات كان بعضهن معلوما أزواجهن وأولادهن وبعضهن لم نعرفه حتى الآن : وأهم أولئك المرضعات :

« رعى » مرضعة الملكة « أحمس نفرتارى » Urk. IV. P. 77 - 78

« تتى حت » مرضعة الملكة « أحمس نفرتاى » J. E. A. XI, P. 14.

« إن » المرضعة العظيمة لربة الأرضين «حتشبسوت» Urk. V, P. 241

« تنت إيونت » مرضعة « حتشبسوت » زوج حاكم « طينة » « سانب إحو » Stela, Cairo Mus. 34080.

« نفراعح » مرضعة «حتشبسوت» وزوجها كاتب الفرعون « بو يا » وابنها « بوم وع » الكاهن الثانى للإله آمون (راجع Davies, "The Tomb of Puyemre", Pl. XXIX

« إبو » مرضعة تحتمس الثالث (؟) وابنتها الزوجة الملكية العظمى « سات اعح » .Urk. IV, P. 604

« تا إيونت » مرضعة تحتمس الثالث (؟) زوجها أمنمحات وابنها كاهن آمون الأول « منخبر رع سنب » (راجع .Davies, "The Tomb of Menkheperresonb, P. 1 - 26) .

«بكت» المرضعة العظيمة لرب الأرضين زوجة «أمنمحاب» نائب جيوش الفرعون وابنه رئيس أتباع جلالته « إمو » Urk. IV, P. 889 - 925

«معنزت» مرضعة «أمنحتب الثانى» زوجها « بحوسخر » وزوجها رئيس الرماة لرب الأرضين ووكيل الفرعون ، وابنها « أمنمسو » (راجع .Mem Miss. Arch. Franç", V, P. 224 ff") .

« أمنمأبت » مرضعة « أمنحتب الثانى » ووالدة « قن آمون » المدير العظيم للبيت الملكى (راجع Davies, "The Tomb of Kenamon" Pl. IX, P. 19.) .

« حناى » مرضعة « أمنحتب الثانى » (؟) وزوجها الكاهن الأول للإله « مين » المسمى «رع نب بحتى» وابنها الكاهن الأول لآمون المسمى « مرى » (راجع .Lefebvre, "Grands Petres", P. 236 - 7) .

« مريت » مرضعة الملكة « قى عا » وزوجها حامل الخاتم المسمى « مين » ، وابنها حامل الخاتم « سبك حتب » = (راجع .A. Z, 63. p. 114) . =

النسوة كنّ فى الواقع مرضعات لا مربيات وحسب كما كان يظنّ البعض[١]، ولقد كان المنتظر إذن فى مثل هــذه الحالة أن زوجات أكبر الموظفين رتبة كنّ اللائى يقمن بأمر الرضاعة ، بيد أن ظاهر الأمر لا يدل على ذلك .

وقــد كان غير أولئك المرضعات مربون للأمراء والأميرات، ولذلك نشاهد هؤلاء النسوة فى صــور نقوش « تل العمارنة » وهنّ يحملن الرضــيعات الملكية على أذرعتهنّ و يلحظنهنّ بكل عناية عندما يصبحن أطفالا يمشين[٢] .

أما ابن المرضــعة الذى يُرَبّى مع الملك فكان يحمــل لقب « أخ المــلك من الرضاعة » أو « أخت الملك من الرضــاعة » إذا كانت أنثى . فمثــلا كان « قن آمون[٣] » مدير البيت العظيم الذى ترعرع مع «أمنحتب الثانى» يحمل هذا اللقب، وكذلك تربت بنت « سن نفر[٤] » عمــدة « طيبة » مع الملك « أمنحتب الثانى » ولذلك كانت تعرف بأخته من الرضاعة، كما نجد جدّة الكاهن الأعظم لمعبد الكرنك «من خبر رع — سنب» المسماة «نبت — تا[٥] » كانت تحمل هذا اللقب، ومن ذلك نستنبط أنها كانت بنت مرضعة ملك لم يعرف اسمه بعــد . وعلى العموم نجد أن

= «سن أم أعح» ، و «سنفرت» ، و « سن تاتى » مرضعات الفرعون «أمنحتب الثانى» وكلهنّ كنّ زوجات لحاكم المدينة الجنوبية «سن نفر» وابنة مغنية آمون « موت توى» (راجع "Rec. Trav." XX. P. 211 - 223; XXI, P. 127 - 133; XXII, P. 83, 97.) .

« نبت كابنى » مرضعة « سات آمون » بنت «أمنحتب الثالث» وابنهــا « حقا نفر » كاتب معبد «أوزير» (راجع Stela, Mariette, "Abydos" II, Pl. 49, Cairo. No. 34117.) .

« تى » . مرضعة «نفرتيتى» وزوجهــا رئيس الخيل المســمى « اى » (راجــع Davies, "El Amarna" VI, P. 16 ff.) .

(١) راجع : Sottas Monuments Piot XXV P. 412 ff. & Maspero P. S. B. A. 14, 311.

(٢) راجع : Davies, "El Amarna", II, Pls. II - IV, P. 7, 17, 26; Ibid, V, P. 5, 7 etc.

(٣) راجع : Sottas, "Monuments Piot", XXV, P. 411 ff.

(٤) راجع : A. S., II, P. 199.

(٥) راجع : Davies, "The Tomb of Menkheperrasonb", P.15, Pl.XIV.

زوجات ضباط وموظفين متوسطي الحال يؤخذن مرضعات لأطفال البيت المالك ، فإذا تولى الأخ من الرضاعة عرش الملك فإن المرضعة وكل أسرتها في الغالب ينالهم شرف كبير ، فقد كان الفرعون يمنح مرضعته قبرا كانت تظهر فيه صورتها بارزة عن كل الصور الأخرى وهي تعطى ثديها للملك الرضيع (١) . وكذلك نشاهد في مناظر « تل العمارنة » المرضعة ممثلة بصورة بارزة إذ نشاهد « تى » زوج « آى » ومرضعة الملكة « نفرتيتي » أنها المرأة الوحيدة التي منحت مع زوجها ذهبا عندما كان الفرعون يوزعه في احتفال خاص علنا على رجال بلاطه (٢) . ولقد كان أبناء المرضعات كذلك يخلدون ذلك الشرف العظيم الذى نالته أسرتهم بتصوير والدتهم مع الفرعون وهو يرضع من ثديها على جدران مقابرهم (٣) .

وبمقدار ما لمرضعة الملك من نفوذ على ابنها من الرضاعة كان يظهر تأثير نفوذها هذا في رفع شأن أفراد أسرتها الآخرين ، وقد كان من أثر هذه العلاقة أن رأينا فعلا كلا من الضابط « أمنحاب » و « بح سوخر » قد وصل عن طريق زوجته إلى رتبة نائب الجيش كذلك كانت الحال مع « تى » مرضعة الملكة « نفرتيتي » فإنها كانت السبب في ترقية زوجها من رتبة « فارس » إلى مرتبة « قائد فرسان » ، يضاف إلى ذلك أن الفرعون « أمنحتب الثاني » لم يجد من عظماء دولته من يقلده وظيفة المدير العظيم للبيت الملكى وهي من أهم وظائف الدولة كما شاهدنا من قبل غير أخيه من الرضاعة « قن آمون » والواقع أن هذه الترقيات لم تكن على حسب مكانة الرجل ومقدرته بل كانت كذلك لأن الرجل كان زوج مرضعة الملك أو الملكة وحسب . على أننا لا يمكننا أن نتتبع خطوات كل الذين ترقوا عن طريق مرضعات الملوك الآخرين ، ولكنا لا نكون قد حدنا عن جادة الصواب إذا قررنا أن رقى « مرى » أو « من خبر رع — سنب » إلى مرتبة

(١) راجع : L.D. Text III, P. 261; "Mem. Miss. Arch. Franç.", V, P. 277.

(٢) راجع : Davies, "El Amarna", VI, Pl. XXIX.

(٣) راجع : Davies, "The Tomb of Kenamon", Pl. IX.

الكاهن الأعظم للاله « آمون » بالكرنك أو ترقية « بو — م — رع » إلى وظيفة كاهن ثان كان نتيجة لهذه العلاقة سواء أكانت المرضعة الملكية فى هذه الحالات زوجته أم والدته . ومما تجمل الإشارة اليه هنا أن الفرعون « تحتمس الثالث » قد تزوج من بنت مرضعة ملك، والظاهر أنها كانت أخته من الرضاعة وقد رفعها هذا الفرعون إلى مكان أعلى إذ جعلها زوجته الشرعية وهى الملكة « سات اعح » بنت المرضعة الملكية العظيمة المسماة « إبو » .

وكانت ترقية « نب آمون » حامل العلم فى السفينة المسماة « مريت آمون » إلى وظيفة رئيس شرطة « طيبة » الغربية لحسن إدارته ومهارته ، ولكن من غير شك كانت علاقته بالبلاط فى هذا الوقت لها ضلع عظيم فى الترقية ، فقد كانت ابنته وصيفة فى قصر الفرعون . والواقع أن العذارى اللائى كنّ يعملن لقصر وصيفة الملك لم يكن من بيوتات عريقة فى الحسب والنسب فقد كانت الفتاة « سجرت — توى » بنت حامل العلم « نب آمون »[1] والعذراء « حنت تانب » وهى بنت حارس باب المخزن المسمى « أمنحتب وسر »[2] وكذلك الفتاة « أمنحتت » وأخوات لها كنّ بنات قياس الأراضى « منا »[3] وكانت العذراء « حنت نفر »[4] بنت كاتب مخبز . ومن ثم يمكننا أن نستخلص أن أولئك الفتيات لم يكنّ ينتمين إلى طبقة عريقة يمكن بها الرجوع لمعرفة مركزهم الأسرى ولا غرابة فى ذلك فإنهن كنّ ينتخبن لجمالهن لا لأصلهن وأسرهن ، وقد مثلت صور طائفة من هؤلاء الغانيات على جدران حجرات برج مدينة « هابو » يسمرن ويلهين مع الفرعون « رعمسيس الثالث »[5] وأولاء الوصيفات كنّ يقمن فى القصر بدور هام إذ كنّ بمثابة رفيقات الأميرات يلهين ويلعبن معهن .

(١) راجع : Davies, "Tomb of Two Officials", Pl. XXI.

(٢) راجع : Berlin Mus. No. 2298. (قبل عهد إخناتون) .

(٣) راجع : Wreszinski, "Atlas", I. Pl. 25. (من عهد تحتمس الرابع) .

(٤) راجع : Porter & Moss I, p. 87 - 89. Tomb No. 56.

(٥) راجع : Holscher, "Hohes Tor", Abb. 7 – 8, 40 - 42. "Work in West Thebes", (1931 - 32), P. 96 - 97, fig. 50 - 51.

كذلك كان الأمراء يتخذون لأنفسهم إخوانا ورفاقا من سنهم من بين أولاد الموظفين الذين لم يكونوا من أسر عريقة فى المجد .

وقد كانت العذارى الوصيفات يتساوين مع الأميرات فى لباس الرأس كما كنّ ينشأن تنشئة الأميرات من حيث التربية والتعليم[١] ، ولذلك كان يرغب فى التزوج منهنّ أكبر موظفى الدولة ، وكهنة من أعلى رجال الدين مكانة . وإذا اتفق أن تزوج أحد الموظفين من إحدى الوصيفات قبل أن يبلغ مرتبة عظيمة فى سلك وظائف الحكومة فإن هذا الزواج كان بمثابة ضمان لرقيه وحسن طالعه حتى أعلى درجة ، وذلك لأن الفرعون كان يعمل فى أناة وتؤدة وروية عندما يريد ملء أهم وظائف الدولة سياسية كانت أو دينية فكان لا ينتخب عماله إلا من الرجال الذين تربطهم بالبلاط روابط أسرية من هذا النوع ، ولهذا السبب نجد بعض وصيفات القصر قد أصبحن زوجات الوزراء فى الدولة . فنجد مثلا أن وزير « تحتمس الثالث » «رخ مى رع» الذائع الصيت قد تزوج من الوصيفة «مريت» وأن الوزير « أمنآبت » تزوج « ورت ماعتف » فى عهد «أمنحتب الثانى»[٢] ، وكذلك كنّ يتزوجن من موظفين حربيين[٣] وكهنة من الطبقة الثانية[٤] ومن كهنة آخرين فى طيبة[٥] ، ومن حكام ضياع[٦] معبد آمون أو البلاط[٧] الفرعونى أو موظفين فى البلاط[٨]

---

(١) راجع : Davies, Tomb of Neb-amun", Pl. XXII; Wreszinski, "Atlas"I. Pl. XXV; Berlin No. 2298; Holscher, ibid, Abb, 8, Prinzessin: Wreszinski; "Atlas", I, Pl. 39.

(٢) من عهد «أمنحتب الثانى» Weil. P. 79

(٣) « ثنى » تزوج من « موت ارى » (راجع .Urk. IV, P. 1011)

(٤) « كام حرى إب سن » زوجة « حنت تارى » (راجع .L. D. Text. III, P. 278) «أمنحتب ساسى» زوجة «رعى» (Urk. IV, P. 1215)

(٥) راجع : Cairo Mus. No. 34048; Urk. IV, P. 1119; Anthes, "Orientalistische Literaturzeitung (1931 sp. 523.)

(٦) « وسرحات » تزوج من «حنوت نفرت» .W. B. Theb. Grab. 546 Abschr. Sethe, 8, 24.

(٧) مدير ضياع زوج الإله «أحمس نفرتارى» المسمى «أحمس مسو حمى» زوجة «نب» (راجع .(Weil, "Viziere", P. 79.

(٨) راجع : A. S. VI, P. 75;

وكذلك من مدير مصلحة « عين حور »[1] وإذا اتفق أن توفيت إحدى الوصيفات قبل أن تتزوج دفنت فى مقابر « وادى الملوك[2] » .

على أن هـذه الرابطة بالبيت المـالك بوساطة وصيفات القصر كانت تجعل الفـرعون يثق ثقة عظيمة فى إسناد أعلى المناصب إلى أفراد من نسل هـؤلاء الوصيفات ، ولا غرابة إذن اذا وجدنا أن أبناء الوصيفات قد أصبحوا يتقلدون أعلى مناصب الدولة فكان منهـم الوزراء مثل الوزير « رخ مى رع » بن « بتا » والوزير « حبو سنب » ابن الوصيفة «اعح حتب» فى عهد « حتشبسوت » ، وكان منهم كهنة وموظفون فى المعابد ووزراء مالية وموظفون فى البلاط . ونجد فى بعض الأحيان أن بنـات الوصيفات يصبحن مرضعات لأقارب الفرعون . [وهـذا يفسر التناقض القائل بأن المرضعات لم يؤخذن من طبقات وضيعة ، ولكن الواقع أننـا نشاهد حالات خاصة كانت تؤخذ فيها زوجات بعض كبار الموظفين ليصبحن مرضعات للملوك . وفى هـذه الحالة تكون علاقة هؤلاء الموظفين العظام شفيعا لذلك] .

ومما سبق نرى أنه على مر الأجيال قد نشأت أسر ارتبطت بالفرعون وبقى هذا الارتبـاط دائمـا وبذلك أصبح رجالها لهم فضل السبق فى تولى الوظائف الحكومية المسئولة التى تحتاج إلى ثقة غالية .

وقد ظهرت فى هذا الوقت بوادر تحول فى الحالة الاجتماعية بين ضباط الميدان والموظفين الحربيين وذلك أن حامل العلم « نب أمون » قد نزل عن أخته لتكون بين نساء القصر ، وأن كاتب الجندين «ثننى» قد تزوج من إحدى وصيفات القصر بوصفه من كبار الموظفين فى الدولة .

---

(١) راجع : Urk. IV; P. 547.

(٢) راجع : A. S., IV, P. 138 ff.

ومن ثم نلحظ أن ضابط الميدان كان يرغب عند انتهاء مدة خدمته العسكرية فى أن يتقلد وظيفة إدارية رفيعة أو يصبح من رجال البلاط الفرعونى . على أن عدم قدرته على القيام بأعمال وظيفة رفيعة فى الحكومة لما كانت تتطلبه تلك الوظائف من تعليم خاص كان يغطى عليه تنصيبه فى مركز رفيع له صلة مباشرة بالفرعون ، ولكن كان تنصيب مثل هؤلاء الضباط فى وظائف مدنية يجعلهم خطرا عظيما على الفرعون نفسه بما لهم من وثيق الرابطة الأسرية به وبما آل إليهم من سلطان وقوة فى وظائفهم . وقد شاهدنا فعلا أن وظيفة « المدير العظيم للبيت الملكى » الضخمة ووظيفة « رئيس شرطة العاصمة » ووظيفة « تموين الجيش » ووظيفة قائد الفرسان التى كانت فى معظم الأحيان ينتخب رجالها من بين طبقة الموظفين أصبح ينتخب رجالها من بين ضباط الجيش الذين احيلوا إلى المعاش ، وقد بلغ من سلطانهم أنهم أصبحوا يمثلون إرادة الفرعون ، ولذلك كانت أية محاولة للقضاء عليهم تؤدّى حتما إلى انقلاب خطير فى حكم البلاد .

والواقع أن موظفى الحكومة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة حتى عهد « أمنحتب الثالث » قد قاموا بأداة الحكم خير قيام بما كان لديهم من قدرة وبما اكتسبوه من ثقافة وتعليم خلال سنين طوال وبتوارثهم الوظائف فى أسرهم أبا عن جدّ . وقد كانت هذه القدرة على إدارة الحكم هى التى جعلت طبقة الموظفين ينظرون إلى الضباط وغيرهم نظرة احتقار ، وأنهم لن يكونوا بحال مّا قادرين على إدارة سكان الحكومة ، ولذلك كانوا لا يعدّون الموظفين الحربيين رجالا عسكريين ، بل مجرّد موظفين ، وأكبر دليل على ذلك ما ذكره « أمنحتب بن حبو » فى ترجمته لنفسه فقد كان نفوذه وفضله هما اللذان جلبا له وظيفته ، أما كفايته الحربية فلم يكن لها دخل فى ذلك .

ومن أجل هذا كان جل هم ضابط الميدان أن يترك عمله الحربى وينخرط فى زمرة طبقة الموظفين ، فإذا وصل إلى وظيفة حكومية فإنه لا يلبث أن ينبذ صراحة ماضيه الحربى ويحس أنه قد تخلص من كابوسه ، ولذلك نراه عند

مايذكر المناصب التى تولاها كان يمر مر الكرام على وظائفه الحربية بمهارة وحذق ، فلا يذكرها ما استطاع لذلك سبيلا ، ولا تعوزنا الأمثلة على ذلك فقد صمت « قن آمون » و « سنموت » و « آى » (الذى أصبح ملكا فيما بعد) عن ذكر ألقابهم الحربية . وعلى الرغم من المبالغة فى علم طبقة الموظفين وثقافتهم ، وعلى الرغم من الاعتقاد بأنهم هم الذين كان فى مقدورهم القيام بأعباء الحكم فى البلاد وحدهم ، فإنه لا يفوتنا أن نفهم أن الجيش فى مركزه الثانوى كان لا يزال قوة فعاله يعتمد عليها فى البلاد . على أنه عندما بدئ فى تحطيم هذه الأوهام ، وتلك المعتقدات العالقة بأذهان القوم عن طبقة الموظفين وثقافتهم أخذ الطريق ينفسح أمام رجال الجيش ليوغلوا فى وظائف الدولة .

وهذه الحقيقة قد وقعت نتيجة للاصلاح الذى قام به « إخناتون » ، وذلك أن هذا الفرعون عند ما كان يسعى للقضاء على سلطان كهنة « آمون » ونفوذهم الذى كان يقف عقبة كأداء فى طريق القيام بإصلاحه الدينى المنشود كان لا بدّ له كذلك من القضاء على طبقة الموظفين الذين أوجدوا ارتباكات داخلية ضدّه بانضمامهم إلى الكهنة . وهذا العداء من جانب الموظفين أجبر الفرعون على أن يقضى على هذه الطائفة مع ما لها من ماض مجيد وتجارب عظيمة فى إدارة الحكومة ليحل محلها رجال جدد فى أهم وظائف الدولة ليس فى نفوسهم روح العداء والمعارضة الذى يملأ نفوس الموظفين السابقين ، ولم يكن علم الموظف أو ثقافته بالشىء الذى يرفع من مكانته ويعلى من شأنه ، بل كان التسليم بقبول تعاليم الملك دون تفكير أو مناقشة هى الطريق إلى المناصب العالية ، ولذلك نجد أفرادا لم ينالوا قسطا من الثقافة يؤهلهم للقيام بوظائفهم قد احتلوا أهم مناصب الدولة ، وأدهى من ذلك أنهم كانوا يتفاخرون بحرمانهم الثقافة ، وكان الواحد منهم يعلن أنه قد نشأ من أبوين فقيرين .

ولم يمض طويل وقت حتى أخذ الفرعون ينتخب من طبقة الضباط موظفيه الجدد ، وهؤلاء لم يكن يستحوذ على نفوسهم روح التفاخر بالمعرفة الذى كان يستولى

على مشاعر طبقة الموظفين ، على أنهم كانوا فى الوقت نفسه قوّاد القوة كلها التى كانت تشدّ أزر الفرعون نفسه وأعنى بذلك قوة السلاح . وقد أصبحوا الآن محترزين من توهم أن الفرد لا يصل إلى النفوذ فى الحكومة إلا إذا كان مندمجا فى طبقة الموظفين ؛ وكذلك شعروا بأنهم يمكنهم أن يكونوا السند الأكبر للأسرة المالكة وللحكومة معا بما لديهم من القيادة الحربية، وفى الوقت نفسه كان من الواجب على الموظف الحربى ألا يطمح بعد الى أن يكون موظفا بالمعنى القديم بل يعمل فى وظيفته بوصفه قائدا حربيا بالمعنى الحقيق .

وليس من المدهش إذن أن يصل الآن ضابط الميدان بالطريق المعتادة إلى وظيفة من الوظائف ذات النفوذ العظيم بجانب الفرعون وأن يأخذ فى إدارتها بوصفه جنديا معروفا، ومن ثم فقد اختفت تماما الفكرة القائلة بأنهم كانوا ضعفاء غير قادرين على القيام بهذه الوظائف وبخاصة أن المراكز الإدارية الحربية التى كان يشغلها ضباط الميدان أصبحت هامة وذات نفوذ عظيم، وبذلك أصبحوا يعيشون فى ظل تلك الفكرة الجديدة لا كما كانت تحتمى طبقة الموظفين من قبل بما لهم من مجد عريق وثقافة ممتازة . هذا فضلا عن أن وظيفة قائد الفرسان لم تصبح بعد وظيفة شرف أهلية بل صارت وظيفة حربية حقيقية وسرعان ما ظهر فعلا قائد فرسان من هذا الطراز، وكان من طبقة الموظفين القدامى، ولكنه بتغير الآراء وصل إلى السلطة واعترف بالانقلاب الجديد، إذ أدرك أنه لا بدّ من إدخال القوّة الحربية لتقوم عليها دعائم نظم الحكومة ولتكون سندا ترتكن عليه الأسرة المالكة؛ وهذا الرجل هو « آى » وقد قاد البلاد فى ظل هذا النظام الجديد الذى كان قد اتخذه « إخناتون » وسيلة ضرورية للقيام بانقلابه الدينى المنشود، حتى جعله نظاما ثابتا، وقد بقى فى الانتشار والنمو بعد « آى » إذ اعتنقه « حور محب » ووطد أركانه « رعمسيس الأول » من بعده حتى أصبح فعلا النظام الجديد الذى سارت على نهجه حكومة عهد الرعامسة .

الملك آى



مما لا شك فيه أن « آى »[1] لم يكن من الأسر العريقة فى المجد التى كان يرث فيها الأبناء الوظائف الرفيعة أبا عن جد، ولا أدل على ذلك من أنه قد أغفل والديه، وصمت عن ذكرهما فى النقوش التى تركها لنا صمتا تاما فى كل مناسبة من المناسبات التى كان يحسن فيها التمدح بهما، كما جرت العادة عند عامة المصريين الذين ينتسبون

---

(١) راجع : Davies, "El Amarna", VI, P. 16 - 24, 28 - 29, 34 - 35, Pls. XII - XXIV, XXVI b - XLIV; Berlin Mus. No. 17555; Davies, "The Tomb of Harmhabi", P. 128, 133; J. E. A. XVIII, P. 52; L. D. III, Pl. 113; D. T, III, 222.

إلى أسر عريقة الأصل . أما عن الرتب التى وصل إليها فقد ذكر لنا فى نقش على صندوق صغير يوجد الآن بمتحف « برلين » أنه كان يحمل لقب « فارس » ، ومن ثم نعلم أنه كان فى أوّل حياته قد انخرط فى سلك الجندية وأنه كان من الضباط الذين حاربوا فى ميدان القتال وترقى حتى وصل إلى رتبة فارس . ولا شك فى أنه قد نال هذه الرتبة بمكانة زوجه « تى » التى كانت المرضعة العظيمة للملكة « نفرتيتى » .

ومما لا نزاع فيه أنه كان يخجل من إثبات ألقابه الحربية على الآثار عندما انخرط فى سلك الإدارة الحكومية ، يدل على ذلك أنه لم يذكر لنا رتبه الحربية فى مقبرته « بتل العمارنة » ، هذا إلى أنه قد وصل بما لزوجه « تى » من النفوذ والرابطة القوية فى البلاط إلى نيل لقب آخر وهو لقب « والد الإله » والظاهر أن هذا اللقب كان من الأهمية بمكان فى عين « آى » حتى أنه ضمه إلى اسمه فى طغرائه عندما اعتلى عرش الملك ، غير أن علماء الآثار لا يزالون عاجزين عن تفسير معنى هذا اللقب أو معرفة كنه هذه الوظيفة ومنشئها . فيرى بورخارت أن هذا اللقب يعنى « صهر الملك » أى والد زوجته ، وذلك لأن صهر الملك «أمنحتب الثالث» المسمى « يويا » يحمل هذا اللقب . غير أنه إذا صح القول بأن « نفرتيتى » كانت بنت « يويا » و « تى » فإن ذلك لا ينطبق على « آى » و « تى » . لأن « تى » هذه لم تكن ام « نفرتيتى » إلا من الرضاعة . ولذلك عندما تناول الأستاذ « إدوارد مير » هذا الموضوع فى تاريخه وقال إن هذا اللقب فى هذه الحالة ينسب إلى الرضاعة لم يحل المشكلة ، لأننا لم نصادف إلى الآن فى النقوش المصرية أن زوج مرضعة الملك يحمل لقبا كهذا . على أننا من جهة أخرى يمكننا أن نقول بتحفظ إن هذا اللقب يعنى أن « آى » كان والد امرأة ثانية للفرعون لم تكن من نساء البلاط أى من الوصيفات ، وعلى هذا الزعم يحتمل أن « آى » كان له بنت فى القصر الملكى غير أننا بكل أسف لانعرف له ابنة قط . على أن هذا اللقب «والد الإله» ليس فى نظرنا من الألقاب الطنانة الجوفاء التى كانت تمنح فى كل عصور التاريخ

المصرى مثل لقب « حات حا » أى الأمير الوراثى أو « سمروعتى » أى السمير الوحيــد بل كانت له قيمــة ذات وزن فى ألقــاب الدولة . ولا أدل على ذلك من آن « آى » عند ماتولى العرش وأصبح ملكا فعليا على البلاد وضع هذا اللقب فى طغرائه الملكى . هكذا : والد الملك « آى » [(١)] .

أما عن نشاط « آى » ونفوذه فى عهد « أخناتون » فإن ما لدينــا من الآثار لايشــفى غليلا إذ قــد صمتت صمتا تاما ، ولم يذكر هو نفســه أى شىء على وجه التحقيق ، وقد أراد الأستاذ « برستد » [(٢)] أن يستخلص من اللوحة المنشورة فى مجلة المتحف المصرى وهى الخــاصة بعهد « إخناتون » أن الاسم المهشم الذى لم يبق منه إلا بقايا إشارات ضئيلة غامضة هو اسم « آى » ، وقد لقب على هذه اللوحة بلقب «مديرالمبانى» ، غير أن الدكتور «أحمد فخرى» [(٣)] أكدلنــا أن «آى» كان ابن رجل يدعى رو ... ، ولكن لا نعرف أن « آى » هذا هو نفس «آى» الذى أصبح فيما بعد ملكا على البلاد . يضاف إلى ذلك أن الملك « آى » لم يذكر لنا شيئا عن أعمال فى العمارة قبــل أن يلى الملك ، هذا ويظنّ البعض أن « خايا » الذى ذكر فى خطابات « تل العمارنة » هو « آى » الذى نحن بصدده الآن [(٤)] . غير أن هــذا الرأى مشكوك فيه جدا إذ لا توجد وثائق تدعمه .

---

(١) وآخر بحث كتب فى موضوع والد الإله هو ما كتبه الأستاذ جاردنر فى سفره المسمى =
Gardiner, "Ancient Egyptian Onomastica", I, P. 47 - 53.
وقد خرج بالخلاصة التاليه :

وعلى ذلك رأينا أن عبارة "إت نتر" (والد الإله) أو "إت" « نترمرى نتر » (والد الإله ومحبوب الإله) أو إت نتر مريف (والد الإله ومحبــوبه) تطلق على فرد ملكى وغير ملكى على الســواء ؛ والعامل المشــترك فى كل هذه التراكيب أن كلمة نتر فى كل منهــا تعنى الملك العائش الذى يكون حامل اللقب يعد بمثابة والده ســواء أكان ذلك حقيقة أو عن طريق الزواج (أى المصاهرة) أو لمــا له من منزلة سامية أو سنّ متقدّمة ، أو حكمة ممتــازة أو ما شاكل ذلك . ثم يقول أما عن اللقب « والد الإله » فى المعــابد فإنه يحتمل أنه كان يمنح أى كاهن متقدّم فى السنّ يمكن أن يعدّ الفرعون ابنا له الخ .

(٢) راجع : Breasted, A. R. II, §. 933.

(٣) راجع : A. S., XXXVII, P. 32.

(٤) راجع : Weber bei Knudtzon, P. 1030 f.

ولما اختفى « إخناتون » من مسرح الحياة المصرية الصاخب الذى خلفه حوله مدة حكمه لم يظهر أمامنا « آى » للعيان وقد كان من أكبر أنصار مذهبه، غير أن الباحث فى تاريخ هذا العصر ليبصر يد « آى » وهى تلعب دورها فى الخفاء إبان هذه الفترة المضطربة المتزاحمة بالأحداث الخطيرة [1] .

والواقع أن « آى » كان هو الموظف الوحيد من كبار الموظفين أصحاب النفوذ الذى بقى فى عمله من بين كل رجال « إخناتون » عندما تولى الفتى « توت عنخ آمون » عرش الملك . والظاهر مما لدينا من الآثار أن ما تبقى من رجال « إخناتون » الذين اشتركوا معه فى نشر مذهبه الدينى قد اختفوا جملة من مسرح السياسة على الأقل، إذ لم نسمع عن واحد منهم قط فكأنه قضى عليهم سياسيا واجتماعيا بموت سيدهم .

وإذا ذكرنا الدور العظيم الذى لعبه « آى » فى عهد « توت عنخ آمون » بما كان يملك من نفوذ عظيم وجدنا بلا شك أنه بمساعدة جنوده الذين كان ضلعهم مع الحزب الذى يعاضده فى الأسرة المالكة قد حقق له النصر . إذ الواقع أنه قد دب دبيب الخلاف والشقاق بين أفراد الأسرة المالكة بعد موت « إخناتون » فنجد من جهة أن « سمنخكارع » الذى كان شريك « إخناتون » على العرش يناصره « آى » فى تثبيت أركان ملكه ، ومن جهة أخرى نشاهد الملكة «نفرتيتى» لا تعترف بالملك للفتى « سمنخكارع » [2] .

ولسنا نعلم إذا كان أولو الأمر قد ظلوا على نشر الإصلاح الذى وضع أساسه «إخناتون» أم لا ، إذ قد خلت جميع الوثائق التى وصلت إلينا من الإشارة إلى ذلك مطلقا . اللهم إلا اشارات عابرة سنذكرها فى حينها ، وقد بدأ النضال بين الحزبين

---

(١) راجع : Newberry, J. E. A. ,XIV, P. 3 - 9; Wolf, A. Z., LXV, P. 100.

(٢) راجع : Frankfort and Pendebury, "The City of Akhenaton".

عندما أراد « سمنخكارع » أن يقضي على « نفرتيتي » ويدل على ذلك مانشاهده من محو اسم « نفرتيتي » وصورها من قصر « مروآتون » في « اخناتون » حيث وضع بدلا منها اسم الملكة « مرت آتون » زوج « سمنخكارع » . وقد كان رد « نفرتيتي » على فعلة « سمنخكارع » هذه أن أرسلت خطابها المشهور إلى ملك اخيتا « شوبيليوليوما » تطلب منه أن يرسل إليها أحد الأمراء من أولاده ليكون بجانبها وليتولى عرش البلاد المصرية (١) .

وفي خلال هذه الفترة أصبح من الواضح للملك « سمنخكارع » ضرورة إيجاد سند جديد ترتكز على معونته الأسرة المالكة ، والظاهر كما تدل التطورات التي أعقبت ذلك أن « آى » هو صاحب هذه الفكرة . والواقع أن « إخناتون » كان قد قضى على أساس الحكم القديم في البلاد بالقضاء على طبقة الموظفين معتمدا في ذلك على القوة . ولم يعد يدور بخلد أحد من القائمين بالأمر الرجوع إلى نظام الحكم الذي كان أساسه طبقة من الموظفين البيروقراطيين ، إذ كان معنى ذلك العودة إلى التسليم التام من جانب الحكومة . هذا فضلا عن أن أهمية القواد الحربيين قد أصبحت معروفة ، وأنهم لا يرضون أن يعودوا بحكومة البلاد إلى سيرتها الأولى .

وعلى ذلك لم يقم « آى » بتغيير أي شيء في نظام الحكم الذي اتخذه « إخناتون » وسيلة إلى تنفيذ فكرته الدينية ، بل على العكس أراد أن يجعله نظاما قائما لحكومة البلاد . وعلى ذلك كان من الواجب عليه أن يجعل قواد الجيش عمادا ترتكز عليه الأسرة المالكة بضمهم إلى جانبها ، ومعنى ذلك أن النفوذ القديم الذي كان في يد طبقة الموظفين ورجال الدين لن تقوم له قائمة كرة أخرى ، وفي الوقت نفسه تكون إدارة الحكومة والأسرة معا في يد القائد الحربي . وقد كان هذا الموقف يتطلب شجاعة سياسية من جانب الفرعون ، وبخاصة بعد أن قضى على السياسة الخارجية

---

(١) راجع : Sturm, "Rev. Hittite et Asiatique", II, P. 161 ff; Fiedrich, "Der Alt Orient", XXIV, P. 13 ff.

التى كانت حتى الآن سياسة سلبية لا تميل الى الحرب ، وكان من الضرورى لتنفيذ هـذه السياسة و إرسال حمـلة حربية وكان يترتب عليهـا إبعاد جنود الجيش عن داخل البلاد وهم الذين كانوا حتى الآن كانوا يحافظون فيها على الأمن والسكينة . وقد كان من الواجب أن تسود البلاد حالة سـلام واطمئنان إذا أريد الاستغناء عن هؤلاء الجنود لقمع كل معارضـة والقضاء على كل ثورة داخلية لذلك كان من المحتم إلغـاء كل القوانين الحربية التى سنها « إخناتون » ليتمكن من القيام بثورته الدينية ، وقد كان يتطلب ذلك قبل كل شيء إعادة عبادة « آمون » و إعادة مرتبات المعاشات الى أربابها . و إرجاع الكهنة إلى مناصبهم . ولقد كان الغرض من القضاء على الجزء الأساسى من إصلاح « إخناتون » أن تجد الأسرة المـالكة والحكومة فى الجيش عضدا جديدا يمكن الاعتماد عليه[1] ولهذا السبب نجد أن عبادة « آمون » أعيـدت ثانية فى عهد « سمنخكا رع »[2] ، وقـد جاء على أثر ذلك اضطهاد اسم « إخناتون »[3] وقـد أصبحت الحرب فى الوقت نفسه جهارا بين « آى » و بين حزب « نفرتيتى » ، ومن الجائز أن المكاتبات التى دارت بينها و بين ملك « خيتا » « شو بيليو ليوما » كانت قبل هذه الآونة . و يظهر أن كل أمل فى مد يد المساعدة قد ضاع أدراج الرياح .

هـذا من جهة ومن جهة أخرى نرى أنه مما يدعو إلى التساؤل والعجب أن « سمنخكا رع » و زوجته « مريت آتن » قد اختفيا عن الأنظار بغاءة دون أن يتركا أى أثر ما فيما تبقى لدينا من الآثار حتى الآن . ومع ذلك لم يكن فى مقدور « نفرتيتى » أن تنتصر وتغتصب مقاليـد الحكم فى يدها ، والدليـل على ذلك أن البرنامج الذى

---

(١) راجع : Kees, "Gott Gelehrte Anzeig" (1928) No. 11 P. 529.

(٢) راجع : Gardiner, J. E. A., XIV, P. 10 ff.

(٣) وتدل الآثار على أن اسم « إخناتون » قد بدأ يمحى فى حياة « نفرتيتى » (راجع : "City of Akhenaton", II, P. 64.)

وضع فى عهـد « سمنخكا رع » قـد ظل متبعا مناهضا للإصـلاح الذى قام به « إخناتون » وأن واضعه وهو « آى » لم يبعد عن الحكم .

والظاهر أن قوة السـلاح التى كانت تشدّ من أزر قائد الفرسان « آى » قـد لعبت دورها هنا بضربة حاسمة . ولا نزاع فى أنه قـد حدثت فى ذلك مأساة لأن « آى » كان مضطرًا أن يشهر السلاح فى وجه المـرأة التى كانت تربطه بهـا أوثق الروابط الشـخصية والتى يدين لها بكل ما كسبه من رقى فى مجال حياته . وعلى أثر ذلك وضع « آى » « توت عنخ آمون » على العرش بعد أن زوّجه من ثالثة بنات « إخناتون » المسماة «عنخس ـ ن ـ با ـ آتون » وقد بقى « آى» يستغل اسميهما لتنفيذ ما كان يرمى إليه من إصلاح . وبعد أن وضعت الحرب الدينية أوزارها ، قام بإعادة أملاك « آمون» إليه فى السنة الأولى من حكم « توت عنخ آمون »[1] .

وبعد ذلك غير الفرعون اسمه من «توت عنخ آتون» إلى «توت عنخ آمون» وكذلك غيرت الملكة اسمها من « عنخس ـ ن ـ با ـ آتون » إلى عنخس ـ ن ـ آمون ، « وأخيرا عاد الملك مع مرشده إلى « طيبة » كما ذكرنا آنفا .

ولعل أكبر دليل على أن الدافع إلى هذه الإجراءات هواعتبارات سياسية، أن اسم « إخناتون » لم يمح من جدران القصر الملكى بل منعت الأسرة المـالكة ارتكاب مثل هذا العمل من التخريب، وكذلك حمت ذكريات « سمنخكارع » الذى سارت البلاد على خطته السياسية التى رسمها أو بالأحرى التى رسمت فى أيامه على يد « آى » ، فقد نقلت جثته فى السنة السادسة من عهد « توت عنخ آمون » من « إخناتون » إلى « طيبة » وكذلك وجدت فى مقبرة « توت عنخ آمون » آثار من آثاره باسم « سمنخكارع » وكذلك باسم زوجه « مريت آتون » ، وحتى آثار من آثار «إخناتون» وكل هذه لم تتناولها يد التدمير . وبعد ذلك دبر « آى » باسم « توت عنخ آمون » فكرة إبعاد

---

(١) راجع : Carter, "The Tomb of Tutankhamon", III, P. 175; Denkstein Berlin, No. 14197.

رجال الجيش من مصر ، وذلك بإعطاء الأوامر للجيش للقيام بتحقيق سياسة البلاد الخارجية ، وكان غرضه من ذلك مزدوجا ، إذ أراد أولا إعادة ما كان لمصر من مركز قوى فى سوريا ، وثانيا — وهو الأهم — إفساح الطريق له لوضع أساس نظام الحكومة فى داخل البلاد ، ولذلك كان من الضرورى أولا أن يضع « آى » على رأس هذا الجيش رجلا ممن عرفوا بقوة الشكيمة ويجمع إلى هذا إخلاصه للعرش والأسرة المالكة . وشاءت الظروف فى هذه الآونة بعينها ألا يجد « آى » من بين أمراء البيت المالك أميرا يضعه على رأس الجيش كما كانت العادة المتبعة فى هذا العصر ، ولكن المقادير ساقت له من جهة أخرى الرجل الذى يمكنه أن يقود الجيش بالمعنى الذى يقصده « آى » إذ كان يريد رجلا تجتمع فيه الصفات التى تؤهله لأن يقبض على إدارة دفة الحكم فى البلاد مع الإخلاص والولاء للملك الفتى . ولقد عثر على ضالته المنشودة فى موظف حربى يسمى «حور محب» وكان يشغل من قبل وظيفة كاتب المجندين كما ذكرنا ، وعلى الرغم من أن الآثار لم تنطق صراحة بأن «آى» هو الذى نصب «حور محب» قائدا أعلى للجيش فإن التطورات التى وقعت بعد تنبئ عن ذلك بجلاء . هذا إلى أن المصادر التى لدينا من قبل عهد « توت عنخ آمون » وكذلك من عهد « إخناتون » لم تذكر لنا شيئا مطلقا عن هذا القائد . أما موضوع توحيده مع شخص يدعى « حرى (١) ساكت حور محب » بن « منمسو » الذى ذكر مع شخص آخر يدعى على لوحة « حنوت » فإنه غير صحيح إذ لا يمكن أن يكون قد انتقل من ضابط ميدان إلى كاتب مجندين ، وكذلك ليس من المحتمل ما قاله الأستاذ « برستد » وما ردده « ادوارد ميير » إن قائد « إخناتون » « با اتن م حب » المحال على المعاش هو نفس قائدنا الأعلى « حور محب » .

---

(١) راجع : Wijngarden Oudheidk Mededael Rijksmus Leiden 1926, 1-3. & Breasted, A. R. III, § 22; Ed. Meyer, "Gesch." II, I. P. 402.

وقد نصب « آى » بماله من بعد النظر «حور محب» فى أعلى مرتبة فى الجيش إذ جعله القائد الأعلى لكل الجيوش ، وبعد أن قضى على كل بذور طبقة الموظفين الذين كان فى يدهم نفوذ عظيم فى داخل البلاد عهد إلى « حور محب » بمنصب « المدير العظيم لبيت الفرعون » « توت عنخ آمون » كذلك ، وجعل مقره فى « منف » وكان قد اتخذها من قبل مقرا لمعسكرات جنوده .

يرى « فلوجر »[1] فى رسالته عن « حور محب » و « عصر العمارنة » (١٩٣٦) أن حوادث هذا العصر كانت قد جرت على نمط خلاف ذلك إذ يرى أن « آى » كان مناصرا لفكرة ثورة من الثورات الاجتماعية وهى التى يقول عنها إنها ثورة الطبقة المتوسطة ، وكان « حور محب » يقف فى هذه الثورة على النقيض منه ، إذ كان يعاضد الطبقة الأرستقراطية ويدافع عن مبادئها ، ولذلك قام بينهما النزاع على السلطة . غير أن الأستاذ « ولف » عند مناقشته هذا الموضوع[2] أشار إلى أنه لم تصلنا أية وثيقة من عهد الأسرة الثامنة عشرة تدل على أنه كانت توجد طبقة متوسطة أى من أصحاب الصناعات والحرف الذين يعملون لحسابهم ولا يعتمدون على أناس آخرين لكسب معاشهم ، هذا إلى أنه كان لا يوجد فى الوقت نفسه فى هذه الآونة طبقة أرستقراطية . بل على العكس قد ظهرت مصر وقتئذ بأنها بلاد موظفين وحسب ، وكان رجال الجيش وقتئذ يطمحون للاستيلاء على السلطة ، هذا فضلا عن أنه ليس لدينا أدلة على الدور الذى نسب لكل من « آى » و «حور محب» ، فلسنا على تأكيد من أن « آى » كان قائد ثورة الطبقة الوسطى . حقا إنه نشأ من هذه الطبقة لأنه صمت صمتا تاما عن ذكر اسمى والديه ، بيد أن هذا هو نفس ما فعله «حور محب» . والظاهر أن هذا الرأى يرجع إلى الاعتقاد بأن

---

(١) راجع : Pfluger, "Harembeb und die Amarnazeit", (1939).

(٢) راجع : Wolf, "Orientalistische Literaturzeitung", (1937) Sp. 677-678

« آى » كان مناهضا «لحور محب» من بداية الأمر ولكن هذا الرأى لا أصل له وليس لدينا من المبررات التاريخية ما يقيم لهـذا الرأى وزنا ، وقد بينـا فيما سبق أن وظيفة المـدير العظيم للبيت الملكى فى خلال الأسرة الثامنـة عشرة كانت تزداد قوة على قوة بجانب الملك و بين الموظفين . ولم يكن إلا نهـاية حكم « أمنحتب الثـالث » حتى أخذ الفـرعون يخفف من وطأة حامل هـذه الوظيفة وذلك لأن حاملها قبل ذلك الوقت كان يطغى فى تصرفاته على طبقة الموظفين ونفوذهم ولذلك لمـا تولى « أمنحتب الرابع » عرش الملك أخذ أمر سلطة هـذا الموظف يشغل الأذهان لأنه بموت « أمنحتب الثالث » اختفت معه هذه الوظيفة بطبيعة الحال لأنها كانت وظيفة شخصية لكل ملك كما أسلفنـا من قبل . والواقع أنه كان من الواجب أن يعين « أمنحتب الرابع » مدير بيت عظيم لأملاكه كما جرى العـرف ومع ذلك فلم يكن فى إمكانه أن يضع فى هذه الوظيفة موظفا كما فعل أبوه من قبل، ففى المدة التى مكثها فى « طيبة » لا نعلم شيئا عن هـذا الموضوع ، أما فى عهـد « إخناتون » فالظاهر أنه وجد لنفسه مخرجا للاستغناء عن هذه الوظيفة، والدليل على ذلك أننا لم نجد فى « إخناتون » من يحمل هذا اللقب بين كبار رجال الدولة ، أما ما كان يقوم به المدير العظيم للبيت بوصفه الفم الأعلى للبـلاد كلها من الأمور السياسية فقـد منحها « إخناتون » خادم حجرته الخـاص « دودو » ، وهو رجل سورى المنبت، و بذلك نرى أن أحد رجال البـلاط من أحقر أصل قـد شغل وظيفة هامة لأنه كان الوحيـد الذى يظهر أمام الملك، وكان له به اتصال وثيق؛ و بهـذه الطريقة كذلك يظهر أنه منح وظيفـة « مدير كهنة الوجه القبـلى والوجه البحرى » أحد وصـفائه ؛ ومن ثم لم يعـد هناك موضوع للمعارضـة بين الملك والفم الأعلى و لا بينهما و بين طبقة الموظفين . ومنذ عهد « إخناتون » رئى أنه لا يمكـن الاعتماد على طبقة الموظفين، ولذلك كان لزاما على الفـرعون أن ينزع وظيفة « الفم الأعلى » من بين الوظائف ويضم عملها إليه و يقوى القـائم بأعبائها

بمنحه سلطة واسعة ، ومن أجل ذلك ظهر « دودو »(١) وهو سورى بوصفه خادم الحجرة الملكية لا بوصفه موظفا فى يده كل إدارة الأمور السياسية « لإخناتون » ولكن « آى » رأى مع ذلك جريا على سياسته التى كانت قائمة على أساس القضاء على إصلاح « إخناتون » الدينى أن يعيد وظيفة « المدير العظيم للبيت » ويمنح حاملها كل ما كان له من سلطان فيما مضى ، وأراد أن يستفيد من حاملها فى وضع أسس نظام الحكومة . وقد كان يظنّ أنه فى استطاعته أن يجعل البلاد وحكومتها متماسكة بتوحيد القوّة فى يده ، وقد حدا به ذلك إلى تنصيب «حور محب» القائد الأعلى للجيش فى هذه الوظيفة ، وبذلك وضع فى يده كل السلطة التى كان يصبو إليها حاملها فيما مضى(٢) .

وعلى الرغم من أن الإصلاح الدينى لم يصب هدفه فإن الفكرة السياسية التى دفعته لم تتراخ ، بل بقيت فى سيرها . فقد رأينا فعلا أن إخماد الإصلاح الدينى قد مهد السبيل — كما أشرنا إلى ذلك من قبل — إلى تغيير نظم الحكم نهائيا إذ انتقل الأمر من مجرد موظفين حكوميين مدنيين إلى نظام كان تسيير الأمور فيه فى يد رجال الجيش وكان كبارهم هم أصحاب الكلمة العليا والقول الفصل ، ولكن فضل « آى » فى تنفيذ هذا النظام يرجع إلى أنه كان ضابطا قديما وكان قد فهم مقدار

---

(١) راجع : Davies, "El Amarna", VI, P. 7 — 14; Knudtzon, "El Amarna" Tafeln, 158, 164, 167, (?), 169; Bisson, "Fouilles de Medomoud", XIII, (1936) P. 24. Fig. 34.

(٢) وهذه الفكرة التى أريد تسيير الحكومة بها وهى تركيز السلطة الحكومية فى وظيفة واحدة مستقلة كان من المستطاع بل من اليسير أن تكون خطرا إذ قد توضع فى وقت معين فى يد شخص موال ، ولكن ربما كانت لا تلبث أن تنتهى إلى يد شخص آخر غير موال فيستغلها استغلالا كبيرا على حسب أطماعه . فقد وجدنا أن « حور محب » تخطى بما لديه من معارضة الملك إلى طبقة الموظفين إذ نشاهد أنه جعل نائبه وخلفه « بارعمسيس » وزيرا له فى الوقت نفسه وهذا نفس ما حدث فى نهاية عهد الرعامسة عندما عين « نائب » « بانحسى » ضابطه «حرحور» رئيس كهنة لمعبد «الكرنك» ، وفى كلتا الحالتين قفز كل منهما إلى عرش الملك .

القــوة التى كانت فى يد كل موظف من الموظفين المدنيين منــذ عهد الإصــلاح وبخاصــة تلك الوظائف التى وصــل إليها حاملوها عن طريق الحسب والنسب أو عن طريق مركزه باعتباره قائد الفرسان أو نائبــا للجيش ؛ ولذلك كان لا بدّ له من قوة السلاح لتشدّ أزره فى تنفيذ غرضه . وقــد جمع « حور محب » أعظم مقدار من القوة والسلطة فى يده ، فقد كان فى قبضته أعظم قوة خارج الوظائف الإدارية (مدير البيت العظيم) ، هــذا بالإضافة إلى أنه كان يشغل أرقى رتبــة فى الجيش .

ومن الغريب أننا لا نعرف المركز الذى كان يشغله « آى » فى عهد « توت عنخ آمون » ، وتدل ظواهر الأمور على أنه كان قد قذف «بحورمحب» إلى المكانة الأولى فى الدولة عن قصد، وقنع هو فى بادئ الأمر بمركز «أمين الفرعون» تعاضده فى ذلك فرقة حامية فرسان العاصمة . هذا إلى أن الآثار التى تنسب[1] إلى هذا العصر لا تذكر أى لقب جديد « لآى » ، ومن المؤكد أنه قد عثر فى[2] « وادى الملوك » على صفائح من الذهب كتب عليها اسمه قبل تولى الملك، وكذلك وهو ملك، ومن بينها صفائح نقش عليها ألقاب وزير دون أن يذكر اسمه و يعزى بعضهم هذا اللقب إلى « آى »[3] .

ولكن لا يوجد دليل قاطع على صحة هذا الزعم ، و بخاصة إذا علمنا أنه ليس هناك أى أثر يدل على وزارة « آى » فى عهد «توت عنخ آمون» ، ولهذا لا يمكننا الأخذ بما جاء على ورقة الذهب هذه بمثابة برهان حاسم .

---

(١) راجع : "Rec. Trav.", III, P. 127; Davies, Tomb of Harmhabi", P. 18.

(٢) راجع : Davies, Ibid. P. 133.

(٣) راجع : Davies, Ibid; Newberry, J. E. A., XVIII, P. 52.

حور محب قبل توليته العرش

لقد وضع فى يد « حور محب » عنـدما أعلن تنصيبه المدير العظيم للبيت ، والقائد الأعلى للجيش ، قوة وسلطان لم ينلهما رجل فى الأسرة الثامنة عشرة خارج الأسرة الملكية ، فقـد أصبح ممثـل الملك الفعلى فى كل مهام الأمور ، ولذلك كان يلقب « ممثل الفرعون فى الأرضين » ، وقـد عبر بتعبير خاص فى اللغـة المصرية القديمـة عن مركز النيـابة الذى يشغله « حور محب » فى حكومة البـلاد فلقب « ربعت » ، وهـذا اللقب قد خولته له وظيفة « المدير العظيم للبيت » التى صار يشغلها الآن[١] .

وهـذا اللقب الذى وصل إليـه « حور محب » للـرة الأولى كان له مدلول حقيقى فى الأزمان السحيقة فى القدم ، إذ كان يعنى « أمير القبيلة » (فم الناس) ؛ والظاهر أن معناه كان محمولا على نشاطه من الناحية القضائية بوجه خاص ، وقـد وجدنا أن الإله « خنسو » (إله القمر) وابن « آمون رع » كان يقوم بوظيفـة القـاضى بين الآلهـة فى الأسرة الثامنـة عشرة[٢] ، ولكنا نجد أن هـذا اللقب أخذ يفقد مدلوله وأصبح مثل غيره من الألقاب القديمة قد هوى من مكانته العالية ، وأصبح لقب شرف وحسب .

والواقع أن لقب « ربع حات عا » كان لقبا يحتل المكانة الأولى بين ألقاب كل الموظفين ، ولذلك كان يوضع فى مقدمة كل الألقاب التى يحملها أى موظف كبير . وقد وجدنا أن حامل لقب « ربعت » فى ألقـاب عيد « سـد » (العيد الثلاثينى) كان يدل على معنى حقيقى بين الممثلين فى هـذا العيد[٣] ، ولكن نشاهد أن

---

(١) راجع : J. E. A., Vol. X, P. 1.

(٢) راجع : Urk. IV, P. 1186.

(٣) راجع : Newberry, "Beni Hasan", I, P. 35; Urk IV, P. 404; Davies, "The Tomb of Kenamon", Pl. XXV, H

هذا اللقب قد أعيد استعماله ثانيـة فى آخر الأسرة الثامنة عشرة ليـدل على الوصى على العرش الذى يقوم بإدارة سكان البلاد فى المدّة التى يكون فيها الملك قاصرا ، ولم يشترط أن يكون حامل هـذا اللقب من البيت المـالك . والظاهر أن الكلمة « ربعت » فى هـذا المقام يرجع استعمالها هنـا للدلالة على الوصى تذكارا لمدلولها الأصلى « فم النـاس » ، (ومن المحتمل أن عبـارة « ربعت » من قبـل الصل والعقاب أى الملك ، التى نجـدها أعطيت الوزير منتوحتب خلال الأسرة الثـانية عشرة يمكن تفسيرها على هذا الوجه (راجع .Cairo 20539) .

ولكن السلطة التى أصبحت رسمية فى يد « حور محب » بوصفه « ربعت » أى وصيا ، هى نفس السلطة التى كانت فى يد المدير العظيم للبيت فيما مضى . ومن ثم نرى أن وظيفة « المدير العظيم للبيت » قـد تطوّرت إلى لقب « ربعت » أى الوصى الجديد . ولا نزاع فى أن هـذا كان بمثابة إقرار رسمى للسلطة التى كان يهيمن بها « المدير العظيم للبيت » فى البلاد ، ويدل على ذلك بوضوح تام موازنة العبارتين اللتين فاه بهما كل من « سنموت » و « حور محب » عنـدما أراد كل منهما أن يصف لنـا عظم مركزه ، فاستمع لمـا يقوله « سنموت »[١] " لقـد نصبنى الملك « الفم الأعلى لقصره » لأجل أن أقضى فى أمور البـلاد كلها " . ثم استمع لمـا يقوله « حور محب »[٢] : " لقـد نصبنى الفرعون « الفم الأعلى على الأرض » لأوجه قوانين البلاد بوصفى « ربعت » للأرض كلها " .

على أن ظهـور « حور محب » حامـلا لقب الكاتب الملكى والـوصى وقائد الجيش فى نقوش قـبر أحد رجال الكهنة[٣] العظام فى « منف » دليل على أن نفوذ وظيفة « المدير العظيم للبيت » قـد ظهر فى لقب « ربعت » أى الوصى . وعلى

---

(١) راجع : Berlin Mus. Statue, Vs. line 25.

(٢) راجع : Turin Mus. Statue, line 6.

(٣) راجع : Louvre C 70

ذلك لم يمض طويل زمن حتى رأينا أن وظيفة «المدير العظيم للبيت» قد انحطت قيمتها ، إذ انتقلت سلطتها إلى وظيفة « ربعت » (الوصى) ، ومن ثم رجعت قيمة وظيفة « المدير العظيم للبيت » إلى سيرتها الأولى فلم تعد سلطتها تتعدّى « رئيس الضياع الملكية » وحسب .

على أنه مما يدعو إلى الدهشة أن « حور محب » لم يظهر اهتماما كبيرا لاستعمال لقب «ربعت» مدّة وصايته، إذ كان لا يذكر بين ألقابه إلا نادرا، وكذلك كانت الحال مع لقبه « المدير العظيم للبيت » فلم نصادفه إلا قليلا . أما لقب « القائد الأعلى » فكان دائما يذكر فى طليعة ألقابه بكثرة، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى ارتباط الحقائق بعضها ببعض، لأن مدّة وصايته كانت محددة بسنوات معدودات وأن « آى » كان يفكر فى أنه عند بلوغ «توت عنخ آمون» سنّ الرشد ستنتهى مدّة وصاية « حور محب » ولا يبقى له بعد ذلك من الوظائف إلا لقب « المدير العظيم للبيت » ولقب « القائد الأعلى للجيوش » ، وعلى ذلك لم يكن موت « توت عنخ آمون » المفاجئ نذيرا « لحور محب » بانتهاء مدّة وصايته وحسب بل كان نذيرا بضياع مركز « المدير العظيم للبيت » من يده أيضا ، وذلك لأن بقاءه فى إدارة هذا المنصب كان مرتبطا بحياة الفرعون ، ولما تولى « آى » الحكم لم يكن فى يد « حور محب » من السلطة إلا القيادة العليا للجيش .

وعندما ثار « حور محب » على « آى » فيما بعد وخلعه من عرش الملك ، كان فى مقدوره أن يأتى من الأسباب ما يبرر شرعيته لتولى عرش الملك ، فقد استغل « حور محب » وقتئذ لتبرير استيلائه على العرش وظيفته بوصفه وصيا على عرش الملك فى عهد « توت عنخ آمون » ، وقد دوّن لنا على تمثاله المحفوظ الآن «بتورين» ، وهو الذى نحته بعد تولى الملك ، تاريخ حياته الرسمى فوصف لنا فيه الحقائق التى تحتم على الإنسان أن يرى فيها أنه كان صاحب حق فى وراثة الملك بعد « توت عنخ آمون » ، فقد كان يضيف إلى حسن ارادة الإلهة لتوليته

العرش وظيفـة « وصايته على العـرش » التى ذكرها مرارا وتكرارا ويبرر لقبـه « الوصى على العرش » فى البلاد كلها للعيان . والواقع أنه لم يحمل هـذا اللقب قط فى صورته هذه قبل توليه عرش الملك، إذ لم نعثر عليه أبدا فى الآثار التى تركها قبل تنصيبه ملكا . وعلى العكس من ذلك نجد أنه تجاهل لقب «القيادة العامة للجيش»، وهو اللقب الذى كفل له النجاح لاعتلاء أريكة الملك . وقد كان تفسـيره لتبرير موقفه هـذا هو أنه كان الوصى على العرش للـملك القاصر « توت عنخ آمون »، وعلى ذلك أصبح بطبيعة الحال بعد موته أوّل مستحق العرش، وبخاصة أنه لم يبق فى الأسرة المـالكة ذكر يرث الملك، إذ كان قد انقرض منها نسل الذكور جميعا.

على أن « آى » من جهة أخرى حينما اعتلى أريكة الملك كان يعتمد فى ذلك على لقبه «والد الإله» ولذلك وضعه داخل طغرائه الملكى عندما تولى الملك. والواقع أنه من الصعب علينا معرفة كنه هـذا اللقب ولكن الظاهر أن له علاقة أسرية بالبيت المـالك وأن وضـع « آى » لهذا اللقب فى طغرائه يؤكد لنا أن له صـلة بالأسرة الحاكمة [1].

ولـما كان « آى » يشعر أن لقب « والد الإله » قد لا يكون كافيا لادّعائه عرش الملك سعى من جهة أخرى أن يثبت اسـتحقاقه للملك بالزواج من أرمـلة الملك «توت عنخ آمون»، وقد وجد لها فعلا خاتم عليه اسماهما معا [2]. على أنه ليس لدينا دليل على زواجه من « عنخس ان آمون » غير هـذا النقش . وخلافا لذلك نجـد أن « آى » كان دائما مصوّرا على الآثار مع زوجه « تى » بوصفها ملكة، ومن المحتمل أن « حور محب» قد اعترف بشرعية « آى » على عرش الملك عندما تم الزواج بينه وبين « عنخس إن آمون » ، وعلى ذلك نزل عن مركز وصايته .

(١) شرح الأستاذ جاردنر تطور هذا اللقب وما يمكن ان يقصد منه سواء أكان ذلك فى معناه الفعلى أو معناه المجازى كما أسلفنا (راجع Gardiner, "Onomastica", I, P. 47 ff.)

(٢) راجع : J. E. A., XVIII, P. 50.

ومن المحتمل أن ثورة «حور محب» التى خلع بها «آى» عن عرش الملك لم تحدث إلا بعد موت « عنخس أن آمون » ، لأنه بموتها قطعت الرابطة التى كانت تربط « آى » بالأسرة المالكة . أما لقب «والد الإله» فكان لا يعترف به على ما يظهر، وعلى ذلك أصبح فى مقدوره الآن أن يدعى لنفسه الملك بوصفه «الوصى على العرش» غير أن هذه النظرية الخلابة ينقصها بكل أسف حتى الآن البراهين المحسة التى تبررها فعلا .

وقد وضح لنا «حور محب» مدلول لقب « ربعت » (الوصى) عند ما منحه لوزيره ونائبه « بارعمسيس » هو الذى عينه خليفته على الملك من بعده . وقد كان أول تطور لاستعمال هذا اللقب ما نشاهده فى لقب «ولى العهد» فى عصر الرعامسة : أى ابن الملك ولى العهد وقائد الجيش . وقد حمل هذا اللقب فعلا «سيتى الأول» ابن « رعمسيس الأول » بوصفه ولى عهده ، إذ نجد ذلك على لوحة ربعمائة السنة التى سبق شرحها (راجع الجزء ٤ ص ٧٠ الخ) .

وكذلك كان يحمله ابنه « بارعمسيس » الذى كان سيخلف والده (١) .

ومنذ هذا العهد أصبح هذا اللقب يطلق على ولى العهد، هذا على الرغم من أنه كان على ما يظهر يعنى فى الأصل معنى آخر . والدليل على ذلك أن «رعمسيس الثانى» قد فصل بوضوح مرة الفرق بين لقب «بكر أولاد الملك» وبين لقب « ربعت » (٢) .

على أن « حورمحب » وإن كان قد تمكن بمساعدة مركزه بوصفه وصيا من أن يسجل حقه فى تولى العرش، إلا أنه كان مكبلا بعلاقته مع سلفه، وقد كان من

---

(١) راجع : Petrie, "Gurob", P. 20 ff.

(٢) راجع : Gauthier, ‚'La Grande Inscription Dedicotoire d'Abydos'', line. 44. ولدينا مواضع أخرى ذكر فيها هذا اللقب غير أنه لا يعنى (وصى) وكذلك لا يعنى ولى عهد (راجع Gardiner, "Egyptian Hieràtic Texts", P. 17. Pap. D'Orbiney, 19, 2, 6; Pap. Harris I, 42, 8; Pap. Turin, 17, 1, 102; 2, 9; V. Bissing, "Acta Orient". VIII, P. 154; Pap. Hood, I, P. 12 - 13.)

الواجب عليه بوجه خاص أن يعترف بالملك « توت عنخ آمون » الذى عينه شرعا وصيا على العرش . على أنه لو فعل ذلك لكان اعترافا منه بتأييده لسياسة « آى » فى الوقت نفسه . والواقع أن « آى » هو الذى كان يحمى ظهر « توت عنخ آمون » ويقوم له بتصريف مهام الدولة ، وكان هـذا مانعا له فعـلا إذا أراد أن يسقط « آى » مباشرة ويتولى هو عرش الملك . ومن هذا النزاع نستخلص الحل التالى وهو أننا نجد حقا على تمثال « تورين » ملكا وهـذا الملك لا يمكن أن يكون إلا « توت عنخ آمون » غير أن اسمه لم يذكر ، وهذا الخلاف أدى كذلك إلى أن « حورمحب » عامل آثار « توت عنخ آمون » معاملة تختلف عن معاملتـه لآثار الملك « آى » فحافظ على آثار « توت عنخ آمون » وتركها ثابتة كما هى ، لأنه كان يعدّ نفسه المؤسس لهـا . غير أنه محا طغراء « توت عنخ آمون » ووضع مكانه طغراءه هو ، وبذلك لم يكن « حورمحب » بعيدا عن الحقيقـة ؛ لأنه هو الذى فى مدة وصايته أعطى الأوامر بإقامة المبانى والآثار كلها ؛ والدليل على ذلك أنه لم يخرب مقبرته ، وكذلك لم يضع اسمه على آثار « توت عنخ آمون » الخاصة . أما عن سلوكه مع « آى » فإنه قد أظهره بمظهر المغتصب للعرش الذى كان من حقه هو لمـا كان لديه من الأسباب القوية التى تخول له هذا الحق .

ولذلك كان من الواجب فى نظره القضـاء على كل آثار « آى » وعلى عكس ذلك المحـافظة على آثار « توت عنخ آمون » ، فهدم قبر « آى » ومحا[1] اسمه أينما عثر عليه . أما معبده الجنازى الذى اغتصبه « آى » من توت عنخ آمون » فقد استولى عليه « حورمحب »[2] بدوره لنفسه . ومع كل فإن كل ماقيل عن كيفية تولى « جور محب »

---

(١) راجع : Borchardt, "Das Grabdenkmal des Konigs Sahu-re", I, P. 121 - 2.

(٢) راجع : Nelson and Holsher, "Oriental Institute Communications", No. 18 (Work in Western Thebes", 1931), P. 50, 51; (1931 - 1933) P. 106 - 118.

الملك وشرعيته لا يخرج عن الحدس والاستنباط ؛ إذ الواقع أنه لا يمكن للمرء أن يستخلص نتيجة ما حاسمة عن موقف «آى» الحقيقى بالنسبة «لحور محب» قبل توليه العرش ؛ فما لدينا من المعلومات إنما كان بعد إعلانه فرعونا ، هذا ويلحظ أن اضطهاد آثار «آى» ليس له دخل بمناهضته الإصلاح الدينى لأن ذلك قد انتهى فى السنة الأولى من عهد «توت عنخ آمون» ؛ إذ الواقع أن ما لدينا هنا هى حرب أسرية ، وليس لذلك أى دخل بعهد الكفر والزيغ الذى قام به «اخناتون» كما يسميه أتباع آمون لها ، على أنه ليس هناك شك فى أن هـذه الاضطهادات كان لا يمكن حدوثها دون قيام ثورة «إخناتون» التى كان غرضها الاصلاح الدينى . وعلى أية حال ليس لدينا حقائق ثابتة عن النشاط الذى قام به «حور محب» خلال مدة وصايته ، إذ لم يقص علينا هو بنفسه فى هذا الصدد شيئا اللهم إلا جملاً صغيرة لا تشفى غليلا .

أما عن نشاطه بوصفه قائدا أعلى للجيش ، فنجد فى المناظر التى أبقتها يد المخربين على جدران قبره بعض صور تكاد تحكى قصتها بنفسها . والواقع أنه كما ذكرنا فيما سلف أن الحالة فى الممتلكات المصرية الأسيوية كانت دائما مليئة بالمخاطر والثورات وقد خابت كل المحاولات الضئيلة الهزيلة التى بذلت لاعادة النظام والأمن فى هذه الربوع إلى نصابه . وبسبب هذه الفوضى حانت الفرصة لمملكة «خيتا» ، وبخاصة على إثر موت «إخناتون» للانقضاض على «عمقا» والاستيلاء عليها ، والظاهر أن «حور محب» جهز حملة وساقها إلى بلاد سوريا لمنازلة «خيتا» ، ولكن قد حال بينهم وبين متابعة الحرب مع الجيوش المصرية انتشار وباء عظيم فى بلادهم وجيوشهم ، وقد اختلف المؤرخون فى القطع بأن المصريين هم الذين أرسلوا حملة على بلاد خيتا ، إذ يظن الأستاذ «ادوارد مير» أن المصريين لم يرسلوا حملة على هؤلاء القوم ، على أن الأستاذ «كيس» من جهة أخرى يقول أنه قد ذكرت عبارة "حقول «خيتا» فى منف" مما يدل على أنه قد جىء برجالها من الحروب التى

نشبت مع «خيتا» طبعا (راجع .Rec. Trav. 29, P. 162. line 8) . هذا فضلا عن أننا نشاهد رسـوم أسرى من «خيتا» فى عهد « إخناتون » ، وعلى أية حال فإننا نرى مناظر هـذه الحروب فى رسوم قبر «حور محب» حيث نجـد السوريين يطلبون من الفرعون أن يتدخل لحمايتهم من الغزاة فاستمع إليهم وهم يقولون :
"لقد طرد الذين فى البلاد الأجنبية ، غيرأن غيرهم قد احتل مكانهم . وهم يفدون الآن ... وقد أصبحت خالية ، ومدنهم قد خربت وألقيت فى النـار [... يرجون] صاحب القوة والبطش إرسال سيفه الجبار ، لأن ... بلادهم تتضوّر جوعا وهم يعيشون كحيوان الصحراء، وأطفالهم يموتون ... ومن أجل ذلك أتوا قائلين : لقد أتى قوم لا يمكنهم أنفسهم أن يعيشوا ليطردونا من بلادنا ، فأرسل جيشا من جيوش الفرعون كما كان يفعل آباء آبائك منذ القدم" .

على أن الغرض من تخليد هذه الشكاية كلها هو أن « حور محب » قام بحمـلة مظفرة على هذه القبائل التى انقضت على فلسطين بغاءة وهى قبائل « خبيرى » بلفظة « عبرو » التى جاء ذكرها فى لوحة « منف » الجديدة من عهد « أمنحتب الثانى » وفى خطابات « تل العمارنة » كما ذكرنا من قبل .

وكذلك قام «حور محب» بحملة على بلاد النوبة ، إذ قد جاء وصف له على حجر من أحجار قبره بسقارة يقول (٢) : لقد أرسل نائب عن الملك إلى نهاية ما يشرق عليه « آتون » ... ... ولذلك أقلع شمالا ، ثم ظهر جلالتـه على العرش الخاص باحضار الجـزية وعلى ذلك أحضرت أسـلاب الجنوب والشمال . ثم تقدّم الوصى « حور محب » بالقرب من العرش ... ..." .
ونجـد على حجر آخر رسما عليـه (٣) أسرى من الزنوج ذكر فوقهم : « إحضار الجزية الى مكانها وانتخاب حاملى المراوح من بينهم (... ... وأسرى الجيش قـد ملئوا مخازن قربان الإله [... ...] وكانوا من السوريين ... ...)" .

---

(١) راجع : .Leiden. Boeser, Ibid, IV, Pls. XXIII - XXIV b

(٢) راجع : .Wiedemann, P. S. B. A., Vol. II, P. 424

(٣) راجع : .Bologna V, Bissing, "Denkmaler" 81 A

ومن المحتمل أن هذه الأسلاب العظيمة التي نجدها مصوّرة في مقبرة «حور محب» هي نفس الأسلاب التي قد رسمت في مقبرة نائب الملك في كوش المسمى «حوى»(١) في عهد «توت عنخ أمون» وتدل النقوش التي في المقبرة الأخيرة على أن عرض هذه الجزية كان في «طيبة» .

أما عن حياة «حور محب» بعد تولى «آى» عرش الملك أى بعد أن ذهبت عنه وظيفة الوصى فلانعلم شيئا البتة، ومن المحتمل أنه اشترك في جنازة «توت(٢) عنخ آمون» بوصفه قائدا للجيش. وقد كان «آى» يتقدم هذه الجنازة بملابس الملك ، والواقع أننا نشاهد على الجدار الشرقى لحجرة دفن الملك «توت عنخ آمون»، وهى التى رسم عليها مشهد لجنازة أحد رجال البلاط بمفرده فى مرتبة أعلى من مرتبة الوزير؛ ولا بدّ أن يكون هذا الرجل هو «حور محب»؛ وقد كان «آى» مرسوما فى هذا المنظر بملابس الفرعون . ومن هذا نرى أن ما قام به «آى» حين تولى الملك لم يترك فى نفس «حور محب» شيئا من الحقد ؛ هذا على حسب تفسير «آى» نفسه، أما ماحدث بعد ذلك فعلا فقد أسدل عليه ستار كثيف من الظلام الحالك وكل مانعلمه أن «آى» زار «منف»(٣) فى السنة الأولى الشهر الحادى عشر اليوم الثالث منه وكانت وقتئذ مقر الجيش ومقر «حور محب» أما آخر تاريخ عرف للفرعون «آى» فهو السنة الخامسة الشهر الثانى عشر اليوم الأوّل منه .

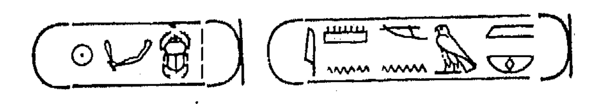
ولا بدّ أنه قد قامت ثورة بعد هذا التاريخ مباشرة على «آى» انتهت بخلعه من عرش الملك ، غير أن قصتها لا تزال مجهولة تماما حتى الآن، وكذلك لا نعلم شيئا عن الأسباب التى أدّت الى قيام «حور محب» على الرجل الذى رفعه بنفسه إلى أسمى مناصب الدولة .

---

(١) راجع : Davies, "The Tomb of Huy", Pl. XIX.

(٢) راجع : A. S., XXXVIII, Pl. CXV.

(٣) راجع : "Rec, Trav." XVI, P. 123.



حور محب على عرش الملك



حـور محب الملك

يدل ما كشف عنه من آثار باقية حتى الآن على أن الملك «آى» السالف الذكر لم يحكم أكثر من خمس سنوات ، كما أننا لم نعرف من آثاره كذلك كيف كان مصيره ، فهل مات حتف أنفه أو أعلن عليه القائد الأعلى للجيوش «حور محب» العصيان وقتله ؟ .

وتدل ملابسات الاحوال على أن الرأى الأخير هو المرجح . إذ كان «لحور محب» بلا شك شيعة يناصرونه فى « طيبة » على الرغم من أنه كان قد اختار « منف » مقره بوصفه قائدا للجيوش المصرية ، وكذلك بوصفه الوصى على الفرعون « توت عنخ آمون » مدة حياته . وقد كان «حور محب» صاحب رأى صائب ، وفطنة سديدة فى اختياره هذا ، إذ كانت « طيبة » فى الواقع بعيدة عن وسط الملك ، وعن الامبراطورية الأسيوية التى كان يريد أن يعمل جهده لاستردادها لمصر كاملة بعد أن أضاعها « إخناتون » لاشتغاله بإصلاحه الدينى العظيم .

ويلاحظ أن « حور محب » قد تجاهل عهد سلفه « آى » فى نقوشه التى تركها لنا عن كيفية توليه عرش مصر ، وهذا هو السبب الذى من أجله نعتقد أنه ثار على الفرعون « آى » وانتزع منه الملك ، وكل مانعلمه فى هذا الصدد هو أنه عندما أعلن موت « آى » كان « حور محب » فى مدينة « منف » ، وأنه خرج منها فى موكب حافل ، وأن ذلك حدث على يد الإله «حور» رب «حت نسوت» عاصمة المقاطعة الثامنة عشرة بالوجه القبلى « الكوم الأحمر » جنوبى « شارونا » الحالية ، على حسب رأى الأستاذ « كيس » (راجع A. Z, 58. pp. 97 ff, Gauthier Dic Geogr. IV, p. 86.) .

وقد قص علينا « حور محب » نفسه قصة صباه وحياته الحكومية وتتويجه فى «طيبة» ، وبداية عصر حكمه على تمثال مزدوج من الجرانيت الأسود يمثله هو وزوجه الملكة «موت نزمت» ، والتمثال محفوظ الآن «بمتحف تورين» ، (راجع Br. A. R. III: §§ 24 ff.) وسنترك المتن يحدثنا عن قصة هذا الفرعون العظيم فاستمع لما جاء فيه .

شبابه : يعيش « حور » ، الثور القوى ، حاضر الخطط ، محبوب الإلهتين ، عظيم المعجزات فى « الكرنك » ، حور الذهبى ، الراضى بالصدق ، منشئ الأرضين ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، رب الأرضين ، « زسر خبرورع » « ستبنرع » ابن الشمس ، رب التيجان ، محبوب « آمون » « حور محب » ، ومحبوب « حور » سيد « حت نسوت » ...... ثور والدته ، وابن « آمون »

ملك الآلهة ، وهو الذى نشأه « حور » بن « إزيس » وحرسه ، كما كان الحامى لأعضائه . ولما خرج من الفرج كان متقمصا القوّة ، وكانت تعلوه صبغة الإله ، وقد صنع ... ... ومن يحنى له الذراع وهو لم يزل طفلا ، ومن يقدّم له الطاعة العظماء والصغار ... ... الطعام وما يؤكل ، وهو لا يزال طفلا ، بدون نصيحته ... ... عظيم أمام الأرض كلها ، ومن كانت فى لونه صورة إله ، ومن كانت فيه قوّة والده « حور » ، وقد وضع نفسه وراءه (حماية) ، والناس قد أحضروا كل ... ... وقد عرف يوم رضاه ليمنحه مملكته .

تعيينه فى الوظيفة : تأمل ! إن هذا الإله قد رفع شأن ابنه أمام الأرض قاطبة ، وأراد أن يمد فى خطاه حتى حلول اليوم الذى يجب أن يتسلم فيه وظيفته ، وكان قلب الملك راضيا بشئونه ، ومسرورا باختياره ، وقد نصبه ليكون رئيس الأرض ، وليدبر قوانين الأرضين بوصفه أميرا وراثيا على هذه الأرض كلها ، وقد كان هذا منقطع القرين ، وكان الناس يسيرون على حسب أمره وقد أدهش الناس بما خرج من فمه . وعندما كان يطلب للمثول أمام الفرعون كان الخوف يدب فى القصر . وعندما كان يفتح فمه ، وعندما كان يجيب الملك فإنه كان يسره بما كان يخرج من فيه ، وهو الوحيد الممتاز الذى لا مثيل له .

......وكانت كل خطوة له هى خطة «إبيس» (تحوت) وقراراته جزء من قرارات رب "الأشمونين" وكان ينعم بالعدالة مثل « خنتى » (الإله أوزير) وقلبه مسرور بها مثل الإله « بتاح » ، وكان عندما يستيقظ فى الصباح يعطيها حقها . والطريق ... أحواله . وأما من كان يسير على نهجها (العدالة) فانها هى التى كانت تحميه على الأرض مخلدا .

تعيينه نائبا للملك : تأمل ! لقد أدار شئون الأرضين سنين عدّة ، وكان المراقبون يبلغونه...... وانحنى المجلس أمام أبواب القصر خضوعا له كما كان يأتى اليه هناك رؤساء الأقواس التسعة والجنوب والشمال ، وكانت أيديهم تبسط فى حضرته مقدمين لمحياه التحيات كما يقدّم لإله (ملك) ، وكل شىء ينفذ كان بأمر منه . وعندما كان يحضر كان الخوف منه عظيما فى أعين الناس ، وكان الفلاح والصحة يطلبان إليه ، كما كان يرحب به بوصفه والد الأرضين والممتاز النصيحة التى وهبها إياه الإله ليدبر ...

تتويج «حور محب» فى طيبة : وبعد أن انقضت عدّة أيام على ذلك عندما كان أسنّ أولاد « حور » هو الرئيس ، والأمير الوراثى فى كل هذه الأرض تأمل ! فإن هذا الإله الفاخر « حور » رب « حت نسوت » كان قلبه يتوق إلى أن يمكن ابنه على عرشه الأبدى ، وقد أمر ... « آمون » وقد سار « حور » نحو « طيبة » مدينة رب الأبدية فى ابتهاج ، ومعه ابنه فى أحضانه إلى « الكرنك » ليقدمه أمام «آمون» ، ليقلده وظيفة الملك ، وليقضى حياته ملكا تأمل لقد حضروا فى ابتهاج فى وقت عيد الأقصر

الجميل . وقد رأى « آمون » جلالة هذا الإله « حور » رب « حت نسوت » ومعه ابنه بوصفه ملكا فقدمه ليمنحه وظيفته على العرش، تأمل ! فإن « آمون رع » كان مفعما بالسرور عندما شاهده آتيا فى يوم تقديم قربانه . وبعد ذلك قدّم نفسه لهذا الأمير ، والحاكم الوراثى، ورئيس الأرضين «حور محب» .

زواج « حور محب » من الأميرة « موت نزمت » : وتوجه « آمون » نحو القصر وأتى به أى (الملك) أمامه إلى محراب كبرى بناته ، فقدّمت له الخضوع، وقبلت جماله وقعدت أمامه .

فرح الآلهة بهذا التتويج : وكان الآلهة أسياد « بحيرة النار » فى ابتهاج بسبب هذا التتويج، كما أن الآلهة « نخبت » و « بوتو » و «نيت» و « إزيس » و « نفتيس » و « حور » و «ست» وكل تاسوع الآلهة الذين يشرفون على العرش العظيم قد رفعوا أكف المديح حتى عنان السماء ، مبتهجين برضاء «آمون» . تأملوا ! إن « آمون » قد حضر وابنه أمامه إلى القصر ليضع تاجه على رأسه، وليطيل له حياته كلها ، ولقد اجتمعنا سويا لأجل أن نمكن له . دعنا نعد له كل حلى « رع » (أى التى كان يتحلى به «رع» عندما كان ملكا على مصر)، ودعنا نشكر «آمون» من أجله : لقد أحضرت لنا حامينا، فامنحه أعياد « رع » الملكية الثلاثينية وهى سنى « حور » بوصفه ملكا ، لأنه هو الذى سيرضى قلبك فى وسط « الكرنك » ، وكذلك فى « هليوبوليس » وفى « منف » وإنه هو الذى سيجعلها فى بهاء .

الإلهة تقرر ألقاب «حور محب» : ! دع الاسم العظيم لهذا الإله الطيب وألقابه تكتب مثل اسم جلالة رع كما يأتى :

(١) «حور» : الثور القوى، حاضر الخطط ، محبوب الإلهتين، عظيم المعجزات فى«الكرنك» ، «حور» الذهبى، الراضى بالصدق، وخالق الأرضين، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى، «زسر خبرو رع » « ستبنرع » ، ابن « رع » ، محبوب « آمون » « حور محب » معطى الحياة .

العيد فى الأقصر : وبعد ذلك خرج هذا الإله المبجل «آمون» ملك الآلهة إلى خلف قصره، وأمامه ابنه، فضم جلالته وهو متوج بتاج الملك ليسلطه على مايحيط به قرص الشمس، والأقواس التسعة تحت قدميه، والسماء فى عيد ، والأرض فى فرح ، وقلوب تاسوع آلهة مصر سعيدة . تأمل ! لقد كانت كل الأرض فى سرور ، وعلت أصواتهم حتى السماء ، والعظماء والسوقة أخذوا فى أسباب المسرات ، والأرض كلها كانت فى ابتهاج . وبعد الانتهاء من عيد الأقصر هذا عاد « آمون » ملك الآلهة فى سلام إلى « طيبة » .

إصلاح المعابد : وبعد ذلك انحدر جلالته فى النيل كأنه صورة الإله « حور اختى » . تأمل ! فإنه قد نظم شئون هذه الأرض، إذ أعاد العدالة فيها كما كانت فى عهد الإله « رع » ، فأصلح المعابد من

أوّل برك المستنقعات (فى الدلتا) حتى بلاد النوبة ، ونحت تماثيل لهم عددها أكثر من ذى قبل ، وزاد فى جمال ماقد صنعه . وقد فرح عندما رآها بعد أن كان قد وجدها أخنى عليها البلى فيما سلف ، ورفع بنيان معابدهم (الآلهة) ، وسوّى مائة صورة بأجسامها محكمة الصنع من كل حجر ثمين فاخر، ثم بحث عن حدود أملاك الآلهة التى كانت فى الأقاليم فى هـذه الأرض ، ثم أمدّها بما كانت تمـدّ به منذ الزمن الأزلى ، وخصص لهم قرابين يومية ، أما أوانى المعابد جميعها ، فقد صنعت من الفضة والذهب ، وجهزها (المعابد) بالكهنة المطهرين والكهنة المرتلين ، وبخيرة رجال الجيش ، ومنحهم أراضى وماشية مجهزة بكل جهازها .

الصلاة للملك : فكانوا يستيقظون مبكرين لينشدوا لرع الأغانى فى صباح كل يوم : ليتك ترفع لنا من شأن مملكة ابنك الذى يرضى قلبك « زسر خبرو رع » « ستبرع » « حور محب » . ليتك تمنحه عشرة آلاف من الأعياد الثلاثينية الملكية ، وتجعله منتصرا على الأراضى كلها مثـل « حور بن إزيس » بقدر ما أبهج قلبك فى « هليوبوليس » متحدا مع التاسوع المقدس .

التعليق : وعلى الرغم مما جاء فى هذا المتن من فجوات بسبب تهشيم الحجـر فإنه يقدّم لنا صورة واضحة عن أصل هذا الفرعون الغامض النسب ، وكيف تسلق مدارج الرقى بما ناله من حظوة مستمرة فى البـلاط بذكائه ومهارته لا بحسبه ونسبه ، وتدل شواهد الأحوال كلها كما ذكرنا من قبل ، على أن الملك الذى يتحدّث عنـه « حور محب » فى هـذا المتن هو الفرعون « توت عنخ آمون » ، ولا نزاع فى أن « حور محب » كان من أسرة ليست عريقة النسب ، ولا أدل على ذلك من أنه أغفل فى نقوشه كلها ذكر والديه . وقد شـق طريقه بعد كفاح طويل حتى وصل إلى عرش الملك . وكان على ما يظهر من أتبـاع شيعة « آمون » ، ولذلك كانت الأمور كلها مهيئة له لاعتلاء العرش بعد موت « آى » ، وبخاصة لأنه كان القائد الأعلى للجيش .

وقد تغاضى « حور محب » بعـد أن وصف لنا حياته قبل تولى العرش عن التحدّث إلينا عن كيفية توليـه الملك بل قال : « بعـد أن انقضت عدّة أيام على ذلك عنـد ما كان بكر أولاد « حور » هو الرئيس الأعلى والأمير الورّاثى ... الخ ، ونسب نفسـه بأنه ابن الإله « حور » إله « حت نسوت » وهى بلدة من

أعمـال المقاطعة الثامنـة عشرة من مقاطعات الوجه القبلى ، ثم جعل هـذا الإله المحلى يقوده إلى « طيبـة » ليتوّج على يد ملك الآلهـة « آمون رع » الذى كان يعـدّ الإله الأعظم للدولة ، وهو الذى ناضل من أجله « حور محب » ليعيـد مجده ، وقد قبل هذا الإله العظيم أن يزوّجه من ابنته « موت نزمت » التى لا نعرف لها نسبا قط ، ولا يبعـد أنها كانت من البيت المـالك لتكون محللا ومبررا لاعتلاء « حور محب » عرش الملك . ولا نزاع فى أن مثل هـذا الزواج الذى تم على هذه الكيفية يعـدّ ابتكارا جديدا من الابتكارات التى كان يخترعها ملوك مصر لجعـل شرعيتهم لتولى الملك قانونية فى نظـر الشعب ، فها نحن نجـد هنا إله مقاطعة يقود أحد أبنائها إلى الإله الأعظم ليزوّجه من ابنته ، وليس لهذا الملك الجديد أى مبرر لاعتلاء العرش إلا قوة ذكائه ومعاضدته لكهنة «آمون» الذين عضهم الدهر بنابه فترة لا يستهان بها فى عهـد « إخناتون » وخلفه ، هذا إلى أنه كان صاحب القول الفصل فى الجيش الذى كان يشد أزره ، ويسيطر على البـلاد به ، ثم توّج « حور محب » ملكا على البلاد ، وقد كان ذا فطنة فى اختيار ألقابه إذ جعلها تنسجم مع مقتضيات الأحوال التى وجد فيها ، فوصف نفسه بأنه حاضر الخطط ، وأنه عظيم المعجزات فى « الكرنك » ، مشعرا الكهنة بأنه سيقوم فى هذا المعبد بالأعمال المدهشة إكراما لوالده « آمون » . ثم قال لنـا إنه خالق مصر ، وهذا حق كذلك ، لأنه قد أحياها بعـد أن صارت كأن لم تغن بالأمس ، وأعاد لها شيئا كثيرا من مجدها فى الخارج بالفتوح ، وفى الداخل بإصـلاح قانونها ، وبناء معابد الآلهة التى قضى عليها «إخناتون» . وبعد التتويج أقيمت الأفراح والأعياد ، ودعا الآلهة لهذا الملك العظيم . ولم تكد تنتهى هـذه الأعياد التى كانت منتشرة فى طول البلاد وعرضها ، حتى امتطى « حور محب » متن سفينته ، وانحـدر فى النيل ليتفقد أحوال المعـابد المخربة والتماثيل المهشمة ، فأعاد لها بهجتها ، وزاد فيها عما كانت عليه ، وحبس عليها الأوقاف وحفظ لها أملاكها ؛ مما جعل طائفة الكهنة تلهج بذكره وتمدح بعظيم أعماله ، ويقيمون له الصلوات فى كل أمهات المدن على لسان الآلهة .

حالة البلاد عند تولى حور محب :

والواقع أن حالة البلاد عندما اعتلى العرش الملك «حور محب» كانت لاتبعث على الرضى . حقا كان أخلاف « إخناتون » قد أخذوا فى إعادة امتيازات «آمون» التى كان يتمتع بها من قبـل ، غير أن الأحوال فى داخل البلاد وخارجها كانت غاية فى الارتباك لا من الناحية الدينية وحسب ، بل كذلك من الناحية السياسية ، وبخاصة التطاحن على عرش الملك بعد موت «إخناتون» . ولسنا مبالغين إذا قلنا إن ديانة « إخناتون » على الرغم من عدم حب الشعب لها لبعـدها عن تقاليدهم ، الموروثة كانت قد تأصلت فى نفوس فئـة عظيمة من المفكرين ، وتركت أثرها فى نواح كثيرة من حياة القوم ، ولذلك نجد أن هذه الفئة مع عودتهم إلى ديانة الآباء القديمة فإنهم لم يفعـلوا ذلك عن طيب خاطر ، بل دفعهم إلى ذلك سيل التحول الجارف ، فتمشوا مع الأحوال السياسية ، إذ الواقع أن بعض أخلاف «إخناتون» كانوا يعتنقون ديانته ، وإن لم يكونوا من جنوده الظاهرين ، وحتى «حور محب» نفسه لم يتحول بسرعة إلى ديانة «آمون» ، وقد كان معبد «آتون» البغيض لم يزل قائما جنبا لجنب مع معبد «آمون» فى الكرنك فكان ذكرى أليمة لأتباعه .

ولمـا تولى «حور محب» مقاليد الأمور كان همه إعلاء شأن «آمون» وآثاره ، ولذلك كانت بداية عهده تعد نهاية الأيام السود فى عهـد ديانة «آمون» ، وفاتحة عهد جديد زاهر لها ، فقد عاد « آمون » سيدا «لطيبة» وملكا على الآلهة فى جميع الإمبراطورية المصرية ، ثم أخذ «حور محب» يتبارى تدريجا مع سلفه «أمنحتب الأول» فى غيرته على مصلحة والدة « آمون» فنجد أنه قد قام بهدم مسلات «إخناتون» وإزالة المبانى التى أقيمت أمامها تلك المسلات ، ثم عمـل على ألّا يبق منهـا حجر واحد فى مكانه ، فهـدمها ، وأقام بأحجارها البوّابتين التاسـعة والعاشرة كما جعـل منها أساس مبانى أحجار البوّابة الثـانية التى أقامها هو فى « الكرنك » وإن كانت من أحجار هذا المعبد أيضا وتنسب إلى « رعمسيس الأوّل » خطأ (راجع Keith

Seele. The Coregency of Ramses II, P. 11.) . ولقد بقيت أحجار معبد «إخناتون» محتجبة عن الأنظار إلى أن حدث زلزال عظيم فى عام ٢٧ ق . م فتصدّعت مبانى البوّابتين ، وظهر ما على أحجارها المغتصبة من نقوش تدل على أنها من مبنى للفرعون « إخناتون » ، فنجد فى كل مكان فى الخرائب التى تحيط بهاتين البوابتين أو عند قواعد التماثيل الضخمة المهشمة الرءوس ، أكواما من الأحجار المتناثرة من هذه المبانى نقرأ عليها بقايا صلوات لقرص الشمس «آتون» ومناظر عبادة ، وطغراءات للفرعون «إخناتون» و « آى » و «توت عنخ آمون» ، وقد جمع بقايا هذه النقوش الأثرى « نستور لا هوت » وكذلك « بريس دفن » وغيرهما مثل « لبسيوس » (راجع Nestor L'Hote Papiers Inedits Vol. III, p. 80, 96, 97, 101, 104, 105, in Presse D'avennes Monuments Pls. X, XI, & L. D. III, 110 c – g, 119 a b; Keïth Seele Coregency P. 11.) .

وقد كان العمل الذى شرع فيه «حور محب» فى «طيبة» بحماس وغيرة و إخلاص يسير بنفس القوّة ، وبنفس الحماسة فى جميع أنحاء الوادى دون هوادة و بلا انقطاع وهذا هو ما قصه علينا فى لوحة تتويجه .

وفى استطاعتنا أن نفهم مقدار ما قام به من إصلاحات فعلية فى عهده المفعم بالاضطرابات ، مما نشاهده مدوّنا من النقوش على صخور جبانة «طيبة» ، إذ الواقع أن ما تنطوى عليه هـذه المتون من معان لا تكشف لنا عن سرقة القبور فى ذلك العصر وحسب ، بل كذلك تكشف لنا النقـاب عن مدى الفوضى التى أعقبت الانقلاب الدينى الذى قام به « اخناتون » . ولقد كان من الطبعى أن مثل هذه الأعمال لا يمكن أن تحدث فى طيبة «إلا فى مثل هذا الوقت ، ومن ثم يمكننا أن نفهم الأحوال المضطربة التى خلص منها «حور محب» البلاد . فاستمع لمـا جاء فى بعض هذه النقوش مما يدل على الاستهتار بالقانون وبالدين والأخلاق : « السنة الثامنة ، الشهر الثالث من الفصل الأوّل ، اليوم الأوّل فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « زسر خبرو رع — ستبنرع » بن رع «حور محب » محبوب «آمون» ، أمر جلالته له الحياة والفلاح والصحة بارسال حامل

المروحة على يمين الملك ، وكاتب الفرعون ، والمشرف على الخزانة ، ومديرا لأعمال فى المقر الأبدى (الجبانة) ومدير أعياد «آمون» فى «الكرنك» «ميا» ابن القاضى «يوى» الذى وضعته السيدة «ورت» لأجل إصلاح مدفن الملك «منخبرورع» المرحوم فى البيت الفاخر (قبره) غربى «طيبة» (راجع .Br. A (R. III, § 31.

فإذا كانت مقابر ملوك الأسرة الثامنة عشرة تنتهك حرمتها على الرغم من شدة حراستها والقيام عليها فى ذلك الوقت فأى فوضى تكون أبشع من هذه .

إصلاح القوانين : وكذلك لم يكن عهد «حور محب» محصورا فى إصلاح المبانى ، و إقامة أخرى جديدة لإرضاء كهنة «آمون» ، بل كانت لديه مهمة شاقة أقضت مضجعه وشغلت باله ، لأنها كانت تمس نظام الحكم ونزاهته ، وحسن سيره ؛ وذلك أن التراخى المشين ، والتهاون المخزى ، والتغاضى المقصود فى ملاحظة الموظفين ، وما يرتكبونه من اختلاسات ، كل ذلك كان من خصائص عهد «أخناتون» وأخلافه فى داخل البلاد وخارجها ، مما أضاع أملاكها فى الخارج وأتعس أهلها فى الداخل ، يضاف إلى ذلك أن رجال الجيش ، كانوا يعيثون فى الأرض فسادا ، وبخاصة أنهم كانوا منتشرين فى طول البلاد وعرضها فى تلك الفترة التى أصبح فيها لرجال الجيش السيطرة التامة على مرافق الحكومة ووظائفها كما شرحنا ذلك من قبل ، وهذه الرذائل التى تكون دائما عرضة للتفشى فى وقت الانقلابات العظيمة كانت قد استفحل خطرها ، وامتد طغيانها إلى حد مشين فى مصر وممتلكاتها . فقد كان الموظفون المحليون والجنود الذين كانوا بعيدين عن أعين مفتشى الحكومة المركزية يتمتعون بحياة ناعمة بما ينتزعونه من أفراد الشعب الذين كانوا يرزحون تحت عبء الظلم أمدا طويلا حتى أصبح النظام المالى والإدارى مفعما بالرشوة ، والاختلاس من كل صنف ، وعلى الجملة فالبلاد قبل عهد «حور محب» كانت متعطشة إلى العدالة ، وكان الفساد ضاربا بأعراقه فى نواحى الحياة المختلفة ، ومظاهر الظلم والعسف كانت منتشرة فى ربوع المملكة المصرية ، ومن أجل ذلك كانت ألقاب العدالة من أبرز الألقاب التى تمتدح بها جلالته

فى لوحتــه ، ومن أجل ذلك أيضا قضى ليـله ونهاره فى البحث عمــا كان صالحا لأرض الكنانة ، فتعقب الظـلم والإثم ، وقضى عليهما فى مظانهما ، وقطــع دابر الكذب والرشوة وكتب جلالته بيده دستور العدالة وأشرف بنفسه على تنفيذه .

ولا بدّ أن « حور محب » كان قــد وقف بنفسه على نواحى الخلل والفساد فى الدولة ، وهو لا يزال موظفا فوضع لكل حالة قانونا يكفل ردّ الأمور إلى نصابها الصحيح ، ويعــرّض من يحاول الخروج عليــه لعقوبات مادية تنــاله فى جسمه أو فى ماله أو فى كليهما ببتر عضو من أعضائه ، أو بالقضاء عليه فوق ذلك بالإبعاد والنفى ، وردّ الرشوة المغتصبة .

ويظهر أن الطريقــة التى كانت متبعة فى جمــع الضرائب هى أن يحمــل كل مواطن ما فرض عليه من ضرائب فى سفينته ويوصلها إلى الفرعون ، ويظهر كذلك أن السفن كانت تتعــرض كثيرا لأعمــال السلب والنهب ، وكان هــذا لا يحرّك ساكنا عنــد أولياء الأمــور فى الدولة المنحلة المتداعية قبل عهــد « حور محب » ولا يعفى المسلوب من دفع الجزية ، فجــاء « حور محب » فعرّض المعتدى الأثيم لعقوبة تتمثل فى جدع أنفه ونفيه إلى «سيلا» (تل أبو صيفه الحالية) وعدّ المعتدى عليه معافى من دفع الجزية .

وإذا وجد الموظف مواطنا بدون سفينة يريد توريد ما فرض عليه من جزية ، فإنه يجب على ذلك الموظف أن يحصل له على سفينة من أى مواطن آخر، لأن كل مواطن يجب عليه أن يخدم الفرعون مهما حدث .

ولا نستغرب على «حور محب» بعد ما رأينا غيرته الدينية أن ينظر إلى أملاك المعابد والالتزامات التابعة لهــا نظرته إلى شىء مقدس ، وأنه كان يحيطها بسياج منيع من القدسية والجلال حتى جعل أى اعتداء على الضرائب التى تخصها ، اعتداء على حق مقدس يعد مرتكبه مجرما يعاقب بنفس العقوبات السابقة .

ولم تكن قوانين « حور محب » مدنية بحسب، تحدد علاقات بعض الوطنيين ببعض بل كانت شاملة للقوانين الدستورية التى تحـدد علاقة الفرد بالسلطة الحاكمة، وكان أفراد الشعب كثيرا ما يتعرضون لحيف طبقة الموظفين الذين كانوا محميين بسلطانهم ونفوذهم — كما هى الحـال فى كل عصر — فجعل لكل موظف يخرج عن حدود سلطته أو يسيء استعمالها عقوبة تتناسب وجرمه ، فأى موظف يحاول الاستيلاء على نبات « كث » بدون حق مشروع أو يستدعى لتنفيذ مآربه عبدا أو عبيدا بدون رغبة سيدهم، فإن هذا العمل من شأنه أن يعرض هذا الموظف للعقوبة .

وطالما وقع الأهلون فريسة لرجال الإدارة الذين كانوا يشرفون على الوجه القبلى والوجه البحرى ؛ فكانوا يسرقون منهـم جلود قطعان الماشية التى كان مفـروضا عليهم أن يقـدموها جزية لسيدهم الفرعون كل سـنة عن قطعانهم المستأجرة من الدولة، فوضع « حور محب » لذلك قانونا صارما يتمثل فى جلد المجرم مائة جلدة ، وجرحه خمسة جروح دامية، ورد الجلد إلى صاحبه، أو إعفائه من توريد ما فرض عليه من جلود للخزانة .

ولقد كان من مظاهر الظلم والعسف وتفشى الرشوة قبل عهد « حور محب » أن العمد كانوا يفرضون الأتاوة على الأهلين ويجمعونها منهم ظلما وعدوانا ، فكان مثلا كتاب مائدة بيت الزوجة الملكية، وكتاب مائدة الحريم الذين كانوا يقتفون أثر العمد على استعداد للتفتيش السطحى والتغاضى عن كل اختلاس لقـاء قدح من النبيذ يقدم لكل منهم . وعلى مثل هذه الأحوال السيئة كانت تسير الأمور فى البلاد فكان العثـور على المجرم والقضاء على الجريمـة أمرا بعيد المنال لأن منفذ الشرهو حامى القانون ومرتكب الجرم هو رجل الإدارة .

ولذلك نجـد « حور محب » بعد أن سنّ قوانينه للضرب على أمثال هـؤلاء المختلسين يقوم بنفسه برحلة تفتيشية للإشراف على تنفيذها بمناسـبة عيد الأقصر

الفاخر الذى كان يقام كل عام، فيجوس فى أثنائها خلال الديار ، ويأمر باستئصال الشر فى مكمنه ، وكان أمره مقضيا ، ولقد نهج « حور محب » فى طريقته هذه منهج سلفه « تحتمس الثالث » ، الملك الجبار الذى اجتث هذه المساوئ من جذورها فضرب على أيدى المجرمين من هـذا الصنف ، وكان يقوم بنفس هذه الرحلات التفتيشية فى طول البلاد وعرضها للإشراف على تطبيق قوانينه وتنفيذها كما سلف ذكره . ولقد كان نظر « حور محب » ثاقبا فقد نفذ إلى كل صغيرة وكبيرة فى الدولة كما يؤخذ ذلك من النقوش التى تركها على لوحته ، فها هـو ذا يحيط خبرا بما كان يجرى من غش واختلاس قبل عهده من رجال السلطة فكثيرا ما استولى هؤلاء على نبات « سم » باسم دخل الفرعون ، وكثيرا ما طففوا المكيال لأنفسهم وأخسروه لحق من حقوق الدولة نظير رشوة ينالونها ، وكثيرا ما استولوا على الكتان والخضر وباكورة المحاصيل ، مما حرم الأهلين ثمرة جدهم وكدهم ؛ فخزم « حور محب » كل ذلك ووضع القوانين الصارمة ، وأشرف بنفسه على تنفيذها فاستأصل بذرة الشر من جذورها .

ولم يكن سبيله الإرهاب والتخويف وتعذيب المجرم فحسب ، بل كذلك كافأ الأمناء والشرفاء بجمع بين الرغبة والرهبة وأتاح لكل مخلص أمين سبيل الترقى والعلو ، واختار طائفة عدهم من أماثل القوم فأسند إليهم المناصب الخطيرة فى الدولة وزودهم بنصائحه الغالية ، وحذرهم مما وقع فيه من قبلهم ، فأمرهم ألا يقبلوا قعب نبيذ من أحد ، وألا يتخـذوا لهم أصدقاء حتى لا يدفعهـم الهوى إلى الميل والانحراف ، وعلمهم طريق الحياة ، وأرشدهم إلى كل ما هو عدل وبسط لهم فى الرزق لعلمـه أن كل تشريع يتناول الناحية الروحية فحسب من شأنه أن يعرض أحكام المشرع للمخالفة والامتهان ، فكان كل واحد منهم يتسلم مرتبه بدون أى تأخير ، كما رفع عنهم ما كان مفروضا على مرتباتهـم من ضرائب الذهب والفضة ليمنعهم استصفاء أية ضريبـة على السلع لأنفسهم .

ولتحقيق السعادة لسكان مصر وضمان تنفيذ قوانينه كما يريد ، أسس فى كل البلاد مجالس قضائية تفصل فى الخصومات بين الناس كأحدث التشاريع فى العصر الحاضر ،

وأوصى القضـاة أن تكون العدالة رائدهم ، فلا يقبلوا رشوة من أحد ، ولا يميزوا أحد المتخاصمين على الآخر ، ومن يتعدّ هذه الحدود فعليه إثم نفسه وعقوبة جريمته .
ولحرص « حورمحب » على تحقيق العدالة وتنفيذها ، رغب فى أن تكون علاقته برجال جيشه وضباطه ورجال إدارته علاقة ودّ وحب مباشرة فكان يتصـل بهم بنفسه ويدعوهم إلى مائدته التى ينفق عليها من أمواله الخاصة فيأكلون ويشربون ، وفوق ذلك ينقلبون إلى أهليهم حاملين الحقائب بهـداياه الوفيرة ، التى كان يوزعها عليهم بنفسه فيناديهم بأسمائهم ، ويلقيها عليهم من نافذة قصره ، فلذلك كانت إدارة المليك شريعة الأمة ، وجاءت إصلاحاته مطابقة للحز مصيبة للمفصل .

ولسنا فى حاجة بعد ذلك إلى تقرير أن «حورمحب» قد تربع على عرش القلوب ونال محبة شعبه وتقديره ، بل نقرر أنه ارتقى مكانا عليا فى تاريخ حكومة الإنسان لأخيه الإنسان ، وبخاصة إذا علمنا أن المساوئ التى كان يعالجها ويعمل على اقتلاعها من جذورها لم تزل مشاهدة فى البلاد على الرغم من الاصلاحات السطحية التى يقوم بها بعض الذين يريدون القضاء على الأمراض المتأصلة ، وهى لا يمكن أن تزول إلا بنهضة قوية على يد فئة درست الإصلاح على وجهه الصحيح ، كما فعل «حورمحب» وأفلح فلاحا عظيما هيأ لأخلافه إعادة مجد الامبراطورية الغابر بعد سقوطها فى فترة الانقلاب الدينى .

ولعل سائلا يسأل عن السبب الحقيقى الذى جعل « حورمحب » ينجح هـذا النجاح المؤزر؟ سواء فى سنّ قوانينه ، أم فى تطبيقها ؛ والجواب عن ذلك لا يختلف باختلاف الأشخاص ولا يتغير بتغير العصور ، وتباين المجتمعات ، فهو السبب نفسه الذى جعل قادة الشعوب الذين أفلحوا فى بعث الحيـاة فى أممهم التى كانت أشلاء متناثرة ، وجسما هامدا ، وهو السبب عينـه الذى جعل الأمة المصرية تلتف حول القادة والزعماء الذين نشئوا من بينهـم ، وتجعل اعتناق مبادئهم من الأمور المحببة إليهم .

ذلك أن « حورمحب » نشأ من بين أبناء الشعب، وانصهر فى بوتقته، فكان ملما بكل رغباته وميوله، عالما بكل ما كان يحيق به من عسف وظلم، فأحسن التعبير عن رغباته، والترجمة عما يتطلبه، ووقف بنفسه على العلل والأدواء، فكان دواؤه ناجعا، وبلسمه شافيا. والتاريخ يفيض بأمثلة كثيرة من هذا النوع من القادة، ويدلنا على أن ذلك هو السبب الحقيقى الذى من أجله نجح كثير من الزعماء والمفكرين، كما أن كثيرا من الزعماء والملوك كان سبب إخفاقهم عدم استطاعتهم الترجمة عن رغبات الشعب وميوله، وما يصلح له من نظم وقوانين، وتخبطوا فى تطبيقها لبعدهم بالفوارق الاجتماعية والمعيشية عن أفراد شعوبهم.

ويعزى نجاح « تحتمس الثالث » ذلك الملك الفذ إلى أنه عاش بين الشعب وإن انحدر من أسرة ملكية، فلقد كانت نشأته بين رجال الدين فى الدير والمعبد، وكان رجال الدين يدعون إلى الفضيلة وهم يدنسونها، ويحثون بالابتعاد عن المنكر وهم يقترفونه، فوقف بنفسه على زلاتهم وعثراتهم، ورأى عن كثب أحوال الشعب وما يجرى فى خلاله من مساوئ ورذائل، فأمكنه أن يفلح الفلاح كله فى القضاء على أمراض كانت متأصلة، ويجتث رذائل كانت خبيثة، ولا يستغرب هذا إذا علمنا بالإضافة إلى ما تقدم أنه رضع من ثدى امرأة شعبية، بل إن أمه نفسها كانت منحدرة من أبناء الشعب، وقد تعلم جنبا لجنب مع أبناء الشعب، وبذلك لم يكن هناك كبير فارق بينه وبين « حورمحب »، غير أنه ولد ملكا متوجا أما الآخر فسعى إلى تاج الملك حتى وضعه بيده على رأسه. وهاك ما تبقى لدينا من نصوص قوانين « حورمحب » التى استخلصنا منها ما سبق على حسب أحدث الآراء، وسيجد القارئ أنها مهشمة لا تشفى غلة للقارئ العادى، ولعل رجال القانون يمكنهم أن يستخلصوا منها شيئا جديدا غير الذى قد نوهنا عنه (راجع Journal of Near Eastern Studies of Chicago (Jan–Oct) 1946 Vol. V, No. 4. p. 260–270.)

مقدّمة [فجوة أربعة أسطر ونصف] « حورمحب » معطى الحياة مخلدا أبدا. بداية الخلود حيث يتقبل (الملك) السرور، ومئات آلاف السنين، وملايين أعياد ثلاثينية، وهو على عرش من

فى السماء (أى رع) ، ومملكة « رع » . و إليه ينسب عرش « حور » ... ، والبلاد تفيض بحبه . والعدالة قد عادت ، وامتزجت معه ... والمصريون يفرحون ، وأرض الكنانة تعيد شبابها ، والأرض السوداء قلبها فى سرور وفى غبطة ... قد رأى ، وعلى ذلك أتى ممتلئا بالفخار ، وملأ الأرضين بجماله ، لأن الإله الطيب قد أنجبه رع ... بإقامة العدالة على الشاطئين ، و إنه يصبح فى عيد عندما يكون جمالها (العدالة) قد أصبح ممجدا .

والواقع أن جلالته فكر فى قلبه ... عن الطريقة التى يقضى بها على الإثم ، و ينفى الكذب . وتدابير جلالته تعدّ مأوى ممتازا ، وذلك بكبح جماح العسف أينما وجد ... والظلم الذى كان منتشرا بينهم . والواقع أن جلالته قد قضى نهاره وليله فى البحث عما كان صالحا لأرض الكنانة ، وكذلك فى متابعة القيام بالأعمال [الممتازة] ... جلالته . فأخذ الدواة والقرطاس وكتب كل ما فاه به جلالته .

وقد أصدر الملك نفسه الأوامر التالية :

... حالات الاضطهاد فى البلاد .

(ب) الانظمة التشريعية

(١) المواد التى سنت لمنع التعدى على سفن النقل التى تستخدم لتوريد الضرائب :

إذا صنع مواطن سفينة بمعدّاتها ليستطيع بها خدمة الفرعون (له الحياة والسعادة والصحة) ، [واغتصبت منه هذه السفينة فأصبح غير قادر على توريد] الجزية ، وأصبح مسلوبا متاعه ، ومحروما ثمرة جهوده العدّة [... فقد أمر جلالتى بعدّه معافا] لحسن مقاصده .

و إذا وجد إنسان ما يرغب فى توريد الجزية لمعامل الجعة ، ومجازر الفرعون له الحياة والسعادة والصحة ، من قبل ضابطين من ضباط [الجيش ... و إن إنسانا يعمل له عراقيل ، و يغتصب سفينة عضو من الجيش (أو) ملك أى شخص آخر من أهل البلاد قاطبة ، فإن مثل هذا الشخص يطبق عليه القانون ، وذلك بجدع أنفه ونفيه إلى « سيلة » (تل أبوصيفة الحالى) ...

ومع ذلك إذا وجد موظف مواطنا بدون سفينة ، فإن له الحق أن يحصل له على سفينة من آخر ليتمكن من توريد الجزية ، و يرسل صاحب السفينة الأصلى لأجل أن يحمل الخشب إلى مكانه ، لأن من واجبه أن يخدم الفرعون مهما حدث .

(٢) الإجراءات المتخذة للقيام بمساعدة أصحاب السفن الذين سرقت حمولتها المرسلة للفرعون :

[إذا وجد موظف مواطنا صاحب سفينة قد سلب متاعه ، وأن حمولة هذه السفينة قد فرغت بالسرقة ، و بذلك أصبح هذا المواطن مسلوبا متاعه ...] وأمسى لا يملك شيئا ، فنظرا لأن هذا التقرير الدال على عمل فيه خسارة كبيرة ليس بالعمل الحسن ، فإن جلالتى قد أمر بأن يعدّ معافا . انظر... ...

(٣) الإجراءات المتخذة ضد الذين يعرقلون توريد الضرائب للحريم والقرب الإلهيـــة :

إذا أقام إنسان ما عقبات فى سبيل أولئك الذين ... وسبيل أولئـك الذين يقومون بالتوريدات للحريم ، وكذلك لمـائدة القربان الخاصة بقرب الآلهة المختلفين ، فى حين أنهم يدفعون الضرائب لضابطى الجيش ، وأنهم ... فإن القانون يطبق عليه بجدع أنفه ونفيه إلى « سيله » أيضا .

(٤) الإجراءات المتخذة لمنع الاستيلاء على نبات « كث » وكذلك لمنع تسخير عبيد الأفراد فى هذا العمل :

إذا قام موظفون من إدارة قربان الفرعون (له الحياة والسعادة والصحة) بطلبات رسمية للاستيلاء على نبات « كث » ، وكذلك إذا استدعوا لهذا العمل عبيدا يملكهم أفراد لمدة ستة أو سبعة أيام دون أن يكون لهم الحق فى الذهاب أحرارا ، فهذا عمل مجحف ، فيجب أن تتخذ معهم الإجراءات على حسب خطورة المسألة . أما فى أى مكان[... ... حيث] يسمع الناس يقولون فيه : إنهم يستدعون الناس لأجل الاستيلاء على نبات كث ، وكذلك حيث يأتى إنسان آخر معلنا : لقد استولى على عبدى أو أمتى فلا بدّ من تطبيق القـانون بـ ... ...

(٥) الإجراءات المتخذة لمنع اغتصاب جلود الحيوان من الفلاحين — مادة فى صالح دافعى الضرائب :

إذا استولت فرقتا الجيش المعسكرتان فى الريف ، وهمـا اللتان تقيم واحدة منهما فى الوجه البحرى والأخرى فى الوجه القبلى ، على جلود الحيوان فى كل البلاد دون أن يتركوها مدة سنة واحدة لأجل أن يتمتع بها الفلاحون ... ويأخذون من بينها الموسومة (أى المكوية) ، فى حين أنهـم يذهبون من بيت لبيت طارقين أبوابها ومنتهجين السعف دون أن يتركوا جلودا للفلاحين ... ...] .

وإذا جاء بعض ... من قبل الفرعون (له الحياة والسعادة والصحة) لعمل إحصاء ماشيته ، وحققوا معهم (أى مع الفلاحين) ولكنهم لم يجـدوا عندهم جلودا ، بل فوق ذلك يتضح لهم أن الذين ركبهم ، وأنهم قد اكتسبوا ثقتهم (أى ثقه مديرى حيوان الفرعون) فيقولون لهم : « لقد أخذت منا » .

ولمـا كان ذلك يعدّ عملا خطيرا فلا بدّ من الفصل فيه على حسب فداحة العمل . إذا قام مدير حيوان الفرعون له الحياة والسعادة والصحة ، لتسلم إحصاء الحيوان فى كل أنحاء البلاد — لأنه هو الذى يقوم بجمع جلود الحيوان الميتة التى ... فإن جلالتى قد أمر أن يعدّ الفلاح معفى بسبب حسن نيته .

أما فيما يخص أى جندى يسمع عنه أنه قد ذهب للاستيلاء على جلود منذ تاريخ هـذا اليوم ، فلا بد من تطبيق القانون عليه ، بجلده مائة جلدة ومسببة جروح دامية ، والاستيلاء منه على الجلد الذى اغتصبه بوصفه مالا مكتسبا من وجه غير مشروع » .

(٦) الإجراءات المتخذة ضـد ابتزاز الأموال وضـد الرشـوة فى إدارة الدخـــل :

أما عن نوع تلك الجريمة الأخرى التى تعزى إلى ... كتاب مائدة بيت الزوجة الملكية ، وكتاب مائدة الحريم الذين كانوا يقتفون أثر العمد ملحين عليهم وطالبين إليهم إبريق خمر مما يحمل فى النيل شمالا أو جنوبا ، على حسب ما كان يطلب قديما من العمد فى عهد الفرعون « منخبر رع » « تحتمس الثالث » .

— أما من جهة ما كان يحمل فى النيل شمالا أو جنوبا ، وكان العمد يستولون عليه ، فإنه على أثر وصول العمد فى عهد « تحتمس الثالث » فى كل سنة كانوا يفرضون الأتاوة على الأهلين فى خلال رحلتهم ، وكذلك كان يصل خدام الحريم عند العمد قائلين لهم : « فليقدم لنا إبريق من الخمر مقابل تفتيش سطحى » ، ولكن تأمل ! الآن ترى الفرعون له الحياة والسعادة والصحة يقوم برحلة تفتيشية بمناسبة عيد « أبت » (الأقصر) فى كل عام دون إظهار أى إهمـال ، بل على العكس تعمل الترتيبات قبل وصول الفرعون ... خدام الحريم ... ... بحيث يكون الاستعداد متقنا . ولكن ما الذى حدث فى هذه الإجراءات المستمرة لاستنزاف إبريق الخـمر منهم — فلأجل ذلك كان العمـد يصحبون الملك فى رحلته ، وذلك لفـائدة المواطنين ... ... ولما كانت هـذه حالة خطيرة فإن جلالتى أمر بألا يسمح بالعمل على هـذه الصورة منذ هذا اليوم . أما من جهة ... ... الذين كانوا كذلك يستولون على سـفينة تكون فى الميناء فانه كانت تحرر محاضر ضدهم .

(٧) الإجراءات المتخذة لمنع الاستيلاء على نبات « سم » بغير حق :

وكذلك فان الذين سيستولون على نبات « سم » لأجل معامل الجعة ... ... المواطنين مغتصبين عشبهم « سم » يوميا قائلين : إنهـا مقابل دخل الفرعون ... ... وإنه لا فائدة للمواطـنين الذين يستولون عليه فى العمل الذى يقومون به — ولما كانت هذه حالة ضارة فان جلالتى قد أمر ... ... وأن الموظفين الذين يسـتولون على أعشاب « سم » لأجل دخل الفرعون له الحيـاة والسعادة والصحة فى حدائق الفرعون وضـياعه له الحياة والسعادة والصحة ... ... الفرعون له الحياة والسعادة والصحة ، التى تحتوى على أعشاب « سم » ، فاذا سمع أنهم يستولون على متاع أى جندى أو أى شخص آخر فى أى جزء ما من أجزاء البلاد ... ... فان القانون سيطبق عليهم ؟ لأنهم أناس قد تعدوا حدود التعليمات .

(٨) الإجراءات التى تتخذ ضد الذين يستولون بدون حق على حيوان وخضر الخ :

أما ما يتعلق بحراس القردة الذين يستولون ... و...] فى الاقليم الجنوبى ، وفى الاقليم الشمالى ، ويستولون اغتصابا على غلال أهالى القرى فارضين خمسين « هنا » على كل بيت ، ومخسرين مكيال خزانة الغلال العامة (؟) ، وكذلك يستولون بدون حق على الكتان والخضر وباكورة المحاصيل ... ... وبما أن هذه حالة مضرة فإن جلالتى قد أمر بمنع هذا العمل (؟) ... ... والذين يسلبون من الضياع بغير حق ، ويستولون قسرا على السفن ، ثم يأتى أناس آخرون ... ... فى الإقليم الجنوبى ، والإقليم الشمالى ، ويغتصبون بدون حق مكيال خمسين « هنا » عن كل بيت من المواطنين ، أما أولئك الذين يكونون أمناء فانهم سيكافئون . أما المواطنون الذين ... ... من الخبز المورد لهم ، فإن جلالته أمر بإعادته كله لمنع ... ... المواطنون ... ...

(٩) إجراء متخذ ضد نوع آخر من سوء التصرف :

أما عن الحالة الأخرى الإجرامية التى يكون التقرير عنها سيئا ، فإذا كان أولئك الذين ... ... كل الضيعات التى هم فيها ، وهم ... ... من الملك ... ... فإن مدير البلاد الأجنبية يقدم ذهب الملك... ... إلى الذين هم ... ...

(١٠) الإجراءات المتخذة لمنع استغلال العبيد فى العمل ظلما :

... ... إذا ذهب رسل الحريم ليعطوا رسميا الاستيلاء على عامل فقير مهما كان قد عين لهم بالذات ، فإن مع ذلك ... ... مع غسل (؟) ؛ وإذا سمع مرارا ... ... كل ... ... فإنها جرائم ... ... فإن رسل الحريم الذين يذهبون ليستولوا فى المكان ... ... سكان القرى (؟) ... ... صيادو السمك ، وصيادو الطيور ... ... يحملون ... ...

إجراءات إدارية

(١) مقدمة : ... ... لقد أصلحت هذه البلاد كلها ... ... وإنى جبتها بعناية حتى الجنوب ، وقد فحصتها ... ... قاطبة ، وإنى أعرف على وجه التأكيد ما فى داخلها لأنى قد زرتها أولا من الداخل .

(٢) إعادة تنظيم المجالس : لقد بحثت عن أفراد ... ذوى حزم وأخلاق جميلة ، يعرفون كيف يحكمون على الآراء ، ومتيقظين لأقوال القصر ، وإلى قواعد الإداره ، وقد عينتهم ليحكموا فى أمور القطرين ، وليرضوا سكانهما ... وقد نصبتهم فى المدن الكبيرة فى الجنوب وفى الشمال ، وكان كل واحد

منهم يتسلم مرتبه بدون أى تأخير، وقد وضعت لهم نصائح وقوانين فى قائمة أعمالهم ... صادقة، وعلمتهم طريق الحياة، لأنى أرشدتهم إلى ما هو عدل، وقد أوصيتهم قائلا: لا تتآخوا مع أناس آخرين، ولا تقبلوا قعب نبيـذ من آخر لأنه لا يوجد ... إذ ما الذى يظنّ الآخرون فى أشخاص مثلكم مكلفـين بالقيام مكان آخرين، مع ذلك إذا كان من يحكم من ينتهك حرمة العدالة ؟ . أما عن الضريبة من الفضة والذهب ... فإن جلالتى قد أمر بإعفائكم منها، لأجل أن يمنع جباية أية ضريبة على أية سلعة بوساطة مجالس «قنبت» الجنوبية أو الشمالية .

أما أى حاكم أو أى كاهن يشاع عنه : أنه جلس ليحكم بالعدل فى المجلس «قنبت» الذى أسس للحكم ومع هـذا وتعدى فيه العدل فإنه يتهم من أجل ذلك بجريمة كبرى؛ لأن جلالتى قد ألف هذا (المجلس) لأجل إعادة توطيد مصر، ولأجل منع حدوث ... آخر ... من المجلس (قنبت). وكهنة المعبد (خدام الإله) وموظفو مقر الحكم فى هـذه البلاد، وكذلك الكهنة المطهرون، الخاصـون بالآلهة، فهم الذين يتألف منهم كل مجلس (قنبت) فهم الذين سيفصلون فى قضايا مواطنى كل مدينة .

وإن جلالتى قد أجهد نفسه من أجل مصر لتكون حياة سكانها سعيدة، لأنه يظهر كل يوم على عرش «رع». تأمل فانه قد أسس مجالس قضائية فى البلاد كلها ليحكموا بين الناس، وليعقدوا جلسات فى المدن على حسب الخطط الممتازة التى وضعها جلالتى .

(٣) علاقة الفرعون بضباط جيشـه : ... كلية . لقد وضعت هذا النظام لأن جلالتى يرغب فى حماية كل الناس؛ وكانوا يجتمعون حول جلالتى ثلاث مرات شهريا : وكان هذا عيدا لهم، إذ أن كل فرد منهـم يجلس ومعـه جرايتـه من كل شىء لذيذ، تشـمل خبزا طيبا ولحما وفطائر من ممتلكات الفرعون ... وأصواتهم تصل إلى عنان السماء معظمين كرم سيد الأرضين .

وقد كان كل واحد من رؤساء الجيش، وكل ضباط المشاة يكافأ كما كانت الحال من قبل . وقد كان الفرعون نفسه يلقى عليهم الهدايا من النافذة مناديا كل واحد منهم باسمه، وكانوا يمرون أمامه مهللين، وكانوا يتسلمون الهدايا التى تصرف من ممتلكات القصر الملكى . والواقع أنهم كانوا يحملون معهم مؤنا من المخازن . فكان كل منهم ينصرف ومعه الشعير والشوفان دون أن يوجد واحد من بينهم لم يتسلم نصيبه ... لأجل أن يعمل له الباقى ... مدنهم، دون أن يعطوا وقت فراغ مدة هذه الأيام الثلاثة ليتمتعوا بالراحة .

ورجال «ختخت» (طائفـة من الناس) يسـعون وراءهم إلى المكان الذى يكونون فيـه، وكل ما يجدونه هناك هو ملك سيدهم أبدا ... الرغبة ... فى إدارة سيد الأرضين ... ...

(٤) إعادة تأسيس بعض احتفالات البلاط التى كانت قائمة قبل عهد العمارنة :

... ... حاملوا النعال ، وكانوا يسيرون فى قاعة الإدارة الواسعة ذهابا و إيابا من أبوابها ... ... وأتى الشريف . و يدخلون من باب القصر بسرعة بالعربة ذاهبين نحو الباب الفاخر ، وفى ركابهم كلب سلوقى ... ... قاعة العرش لابسين ... ... ومنتعلين أحذية وعصا فى هيئة التى فى قبضته مثل ... ... إلى مكانهم ، كما كانت الحال قديما ، وقد حدثت التغييرات . الخاصة بالقصر العظيم الخاص ، ونظام بيت الأمراء، ومنحت بيتا لتوين [الإله] ... ... وحجاب قاعة العرش على حسب مناهجهم و ... ... نفحت فى كل البيت . ورجال بلاط الملك فى مكانهم ، وأعضاء مجلس الثلاثين يتبعون النظام ... ...

الخاتمة : و إذا مد فى أجلى على الأرض لأنى أقوم ببناء آثار للآلهة ... ... فإنى سأجدد ولادتى مثل القمر ... ... منضما إلى الحياة والخلود والسعادة .

وقد شع جسمه على أقاصى البلاد مثل قرص « رع » ، وقد أضاء جسمه مثل ضوء «رع» عندما يظهر فى فصل الفيضان ، وجماله قد أصبح غاية فى البهاء ، وقوته صارت فى قلوب الناس .

ليتكم ترعون هذه المراسيم التى جددها جلالتى لإعادة تنظيم البلاد كلها بعد أن فكر جلالتى فى أعمال العسف التى كانت ترتكب فى هذه البلاد ... ... (راجع Chronique D'Egypte No. 44. (Juillet 1947) p. 230 ff.) .

وتدل صور « حور محب » التى عثر عليها حتى الآن على أنه كان رجلا صاحب خلق عظيم جمع بين النشاط والشدّة ولين الجانب، وأجمل هذه الصور قطعة من الجرانيت حفظت لنا عليها صورة محياه، والواقع أن الناظر إليها لا يجد فيها شيئا من الجاذبية أو ما ترتاح إليه العين ، فالوجه كان لم يزل يعبر عن نضرة الشباب، غير أنه كان يشتم منه ريح الكآبة، وهو تعبير قل أن نجده على وجوه الفراعنة الذين عاشوا فى أزهى عهود مصر، ويلاحظ أن أنفه الرفيع المستقيم قد ركب فى صورته بإتقان ، وعينيه المستطيلتين لها جفنان ثقيلان ، وشفتيه الغليظتين المنقبضتين بعض الشىء عند طرفى الفم قد سويتا بصورة مرهفة ينبعث منهما نشاط فذ ، كما أن ذقنه المتماسك المحكم الصنع قد فقد بعض شكله باللحية المستعارة التى ركبت فيه، وفى الحق نجد أن كل تفصيل فى أجزاء وجهه قد عالجها المفتن بدرجة عظيمة

من الحرية ، حتى ليخيل للإنسان أن المثال كان ينحت تمثاله فى مادة لينة، لا فى حجر تكاد تقاوم صلابته آلة النحات ، غير أن السيطرة التامة قد أظهرها المثال على هذا الحجر بما نشاهده من نتيجة ممتازة جعلت الإنسان ينسى صعوبة العمل فيه ، وما لاقاه المفتن من مشقة مضنية فى إخراجه .

على أن ملامح وجه « حور محب » ، الحالمة لم تعقه على أية حال من إظهار نشاطه الفذ فى خارج مصر كما أظهره فى داخلها . إذ على الرغم من أن مصر لم تنزل قط عن حقها فى السيطرة على كل وادى النيل حتى « الشلال الرابع » فإنها منذ عهد « أمنحتب الثالث » على ما يظهر لم يسر أى فرعون بشخصه على رأس حملة الى قبائل أعالى النيل . وقد كان « حور محب » يرغب فى إحياء تلك العادة التى كادت تكون مفروضة على الفراعنة عند توليهم العرش ، وهى القيام بحملة الى بلاد « كوش » . ولذلك انتهز فرصة خروج بعض القبائل هناك وسار على رأس جيش الى هذه الأصقاع كما ذكرنا من قبل . وكان قد أمر فى هذه الفترة بإقامة البوابتين الجنوبيتين فى معبد الكرنك ، ولذلك كانت أعمال قطع الأحجار سائرة على قدم وساق فى محاجر « سلسلة » . وكذلك كان قد أصدر أوامره بنحت مقصورة ضخمة تذكارية فى هذه المحاجر فى صخور الحجر الرملى ، وهى التى أهداها لوالده « آمون رع » ، وإلى الإلهين المحليين « حابى » و « سبك » رب « أمبوس » . وهذه المقصورة أو الكهف قد حفر إلى عمق بعيد فى جانب التل ، وقد حليت حجراته الداخلية المظلمة بمناظر العبادة العادية ، غير أن المدخل المقبب الذى يؤدى إلى هذه الحجرات قد رسم على جداره الغربى انتصارات هذا الفرعون على هذه الأصقاع ، فنشاهد فى هذا المنظر صورته وهو يتقبل من « آمون رع » رمز حياة سعيدة طويلة ، وصورة أخرى له وهو يفوق سهامه على جم غفير من الأعداء الفارين ، وكذلك نشاهد السودانيين رافعين رءوسهم إليه متضرعين ، كما نشاهد جنودا يمشون ومعهم الأسرى . ويلحظ فوق أحد الأبواب اثنا عشر قائدا

سائرين ، وهم حاملون الفرعون على محفة فى حين نشاهد جماعة من الكهنة والأشراف يحيونه و يطلقون له البخور (راجع Br. A. R. III, § 40; L. D. III, 211. a — b.) .

الحملة إلى بنت : وفى عهد الأسرة الثامنة عشرة نعلم أن السفن المصرية كانت تمخر عباب البحر ، والظاهر أنه فى عهد « حور محب » أخذت مصر تعيد علاقاتها مع بلاد « بنت » بعد أن استقر فيها الأمن وسادها السلام ، إذ نشاهد منظرا ممثلا على الجدار الذى يوصل بين البوابتين اللتين أقامهما « حور محب » فى معبد « الكرنك » ، ظهر فيه الملك على اليمين عاقدا مجلسا و يستقبل رؤساء بلاد « بنت » ، وهم يقتربون منه من جهة الشمال يحملون حقائب مفعمة بالتبر وريش النعام ... الخ ، وقد نقش فوقهم المتن التالى :

خطاب رؤساء « بنت » العظام : السلام عليك يا مليك مصر ، يا شمس الأقواس التسعة ، بحياة حضرتك إنا لا نعرف مصر ، وإن آباءنا لم تطأ أقدامهم أرضها فأعطنا النفس الذى تمنحه ، وإن كل الأراضى تحت قدميك . (راجع Mariette Monuments divers 88; Brugsch Recueil de Monuments II, 57, 3. — Brugsch Recueil XVII, 43) وفى منظر آخر (١) نشاهد « حور محب » يقدّم محاصيل بلاد « بنت » التى استولى عليها حديثا للإله « آمون » كما يدل على ذلك النقش التالى : "إحضار الجزية (الهدية) بوساطة جلالته لوالده « آمون » وهى جزية بلاد « بنت ... ... بقوّتك المظفرة . وإنك قد صيرت رؤساءهم فى خوف بسبب الفزع منك ... ... حاملين كل جزيتهم على ظهورهم ، وإن قوّتك لعظيمة فى كل أرض" .

ولا غرابة فى أن نرى «حور محب » يرسل مثل هذه الحملات التى كانت على ما يظهر سلمية إلى بلاد «بنت » ، كما أرسل أخرى إلى بلاد « كوش » لإخضاع الثوار وجعلهم يدفعون ما عليهم من جزية ، إذ لو فحصنا السبب الحقيق لوجدنا

---

(١) راجع : L. D. III, 121. a — b.

أن الدافع لها كان الإله « آمون » ، لأن هذا الإله قد قضى عليه بالإهمال والترك في زوايا النسيان نحو ربع قرن من الزمان ، وكان بعد أن استرد سلطانه فى حاجة إلى الذهب والفضة لتملأ بهما خزائنه فى هذا الوقت أكثر من أى وقت آخر مضى، فقد كان فى حاجة إلى بنائين لإقامة مبانيه، وعبيد وماشية لمزارعه، وعطور وبخور لإقامة شعائره اليومية ، ولذلك نجده حفز « حور محب » ليقوم بحملاته إلى تلك البلاد التى ترد منها تلك الخيرات مما جعله يولى وجهه نحو الجنوب كما ذكرنا ، وقد عاد منه بالأموال الوفيرة والخيرات العظيمة .

أما حروبه فى الشمال (آسيا) فليس لدينا إلا قائمة أسماء منقوشة على الجانب الشمالى من بوابة الكرنك الحادية عشرة (راجع Champ. Notices Desc. II, 178; Br. A. R. III, § § 34 – 36.) . ولم يبق منها إلا إثنا عشر اسما محفوظة نقرأ من بينها « خيتا » ، وإلا نقش نشاهد فيه « حور محب » يقود بيده ثلاثة صفوف من الأسرى مقدما إياهم للالهة « آمون » و « موت » و « خنسو » وهم ثالوث « طيبة » ؛ وملابس الأسرى وسحنهم تدل على أنهم أسيويون . والنقوش التى على الصف الأوسط هى : — أمراء حينبوت (جزر البحر الأبيض المتوسط) الخاسئون يقولون : " مرحبا بك ! إن اسمك قد احاط بطرفى الأرضين بين كل الأراضى، وكل أرض تخاف بسبب بعد صيتك ، و رهبتك فى قلوبهم " . أما الصف الأسفل فكتب فوقه : " الأمراء الخاسئون من ... يقولون مرحبا بك مثل العظيم — والخوف قد دب فى أجسامهم والرعب فى قلوبهم " .

والواقع أنه ليس فى استطاعتنا أن نحكم مما جاء فى هذه النقوش عما إذا كانت قد قامت حروب فعلية جديدة بين «حور محب» وبلاد «خيتا » ، أم لا ، إذ لم تصلنا حتى الآن نقوش مباشرة عن هذه الحرب لا فى النقوش المصرية ولا فى النقوش الخيتية ، ويقول الأستاذ « ادوردمير » فى هذا الصدد : إن الفصل فى هذا الموضوع يتوقف على الحكم فيما إذا كان « خاتوسيل » ملك « خيتا » عند إبرام معاهدته مع «رعمسيس الثانى» ، وهى التى أشار فيها إلى : "المعاهدة القديمة التى أبرمت فى عهد

«شو بيليوليوما » وعهد والدى «مواتال»" ، إنه قد استعمل لفظة « والد » بدلا من لفظة « أخ » فى هذا النص ، وحينئـذ يكون التعبير الصحيح " وبين والدى مورسيل" ، وإذا كان الوضع الأخير هو الصحيح فإن المعاهدة تكون قد أبرمت إذن بين «مورسيل» وبين «حور محب » و بذلك تكون قد نشبت بينهما حرب (راجع Ed. Meyar Gesch II, 1. p. 412.) . وعلى أية حال فإن ظواهر الأمور لا تدل على قيام حروب كبيرة بين « حور محب » عندما تولى الملك ، لأن الأحوال لم تكن فى الواقع مهيئة له لإعلان حرب على مملكة «خيتا» التى كانت وقتئذ عظيمة السلطان. حقا كانت مصر ذات ثروة عظيمة فى عهد « أمنحتب الثالث » ، ولكن الحروب الخارجية والانقلابات الداخلية التى هزت أركانها فى عهـد « اخناتون » وأخلافه الضعفاء لم تغر «حور محب» على القيام بحملات ضخمة على أمة كانت واسعة السلطان عظيمة القوة ، ولذلك فطن أن الوقت لم يحن بعد لمثل هذه المشروعات الحربيـة الخطيرة، بل وجه همـه للإصلاحات الداخلية التى وضعته فى مصاف عظماء رجال الإنسانية الحقة ، وميزته عن عظماء ملوك مصر الذين امتازوا بعلو الكعب فى كبح جماح الظلم والعسف والرشوة التى كانت تئن تحت عبئها البلاد، وترزح تحت أثقالها فى عصور التاريخ كلها و بخاصة مدّة فترة الانحلال الخلقى العظيم الذى طغى على البلاد من أقصاها لأقصاها ، وهو العصر الذى تلا وفاة « أمنحتب الثالث » حتى عهد « حور محب » ، وقد كان هـذا الانحلال يتمثل فى طبقة الموظفين ورجال البلاط فقضى عليه جملة كما فصلنا القول فى ذلك .

أهم الآثار التى خلفها حور محب قبل تولى الملك

(١) وجد له تمثال فى معبـد « آمون » « بالكرنك » وهو محفـوظ الآن بالمتحف المصرى (راجع سجل المتحف رقم ٤٢١٢٩) .

(٢) تمثال من معبد « تحوت » فى « منف » (راجع J. E. A. Vol. 10 p. 1 — 5; B. M. M. Part. II, October (1923) p. ff.) .

(٣) وقد أقام «حور محب» لنفسه مقبرة فخمة فى «سقارة» تعدّ من الطراز الأوّل فى النقش، ويظهر فيها فن عصر العمارنة بصورة واضحة . ومما يؤسف له أن هذه المقبرة قد مزق شملها المخربون، ولذلك توجد أجزاؤها فى مختلف متاحف العالم وهى :

متحف ليدن : وتوجد فيه قطعة (راجع Leiden Boeser Beschiyv IV, Pl. XXIII — XXIV b.) .

متحف «فينا» : وفيه قطعة باسم هذا الفرعون (Breasted. A. Z, 38. p. 47.) .

متحف «برلين» : يوجد فيه كتلة Berichte Aus Berl Mus. 49. heft 2. p. 34.

متحف «بولونيا» : وجد فيه قطع كذلك من جدران هذا القبر عليها مناظر مختلفة (راجع Capart J. E. A, 7. p. 31; & Von Bissing Denkmaler.) .

المتحف البريطانى : يوجد فيه عارضتا باب (راجع Guide Sculptures p· 130 — 1., & Gauth. L. R. II, p. 383.) .

المتحف المصرى : يوجد فيه عارضتا باب وعمود كان فى قبره من سقارة (راجع De Rougé Insc. hierog p. 107 - 8. & Gauth. Ibid.) .

متحف «اللوفر» : يوجد فيه عارضتا باب وواجهة، كما يوجد فيه قطعة من جدار (راجع Louvre c. 68 — 70; Mem. Miss. V, p. 486.) .

متحف الاسكندرية : كانت فيه قطعة من هذا القبر، غير أنها قد اختفت (راجع Wiedemann. P. S. B. A, II, p. 424.) .

متحف «لينجراد» : يوجد فيه لوحة (راجع A, Z. 72, p. 311 ff.) .

وخلافا لذلك نجده قد مثل فى نقوش قبر كاهن أعظم فى «منف» وهذا النقش موجود الآن فى برلين (راجع Spiegelberg A. Z. 60. p. 56.)، كما نجده ممثلا على

الجدار الشرقى من حجـرة دفن الملك « توت عنخ آمون » غير أنه لم يذكر بالاسم
بل تدل شواهد الأحوال على أنه « حور محب » كما ذكرنا من قبل .

آثار حور محب الملك :

الواقع أننا لا نعرف إلا القليل عن آثار الفرعون « حور محب » فى أثناء توليه
عرش الملك غير ما ذكرنا . ففى السنة الأولى من حكمه وصلت إلينا وثيقة عرفنا
منها حسن مقاصده بالنسبة لعبادة الإله « بتاح » (راجع Mariette Karnak, 47
d. in Mariette Karnak Plan G.) .

وفى السنة الثالثة من عهده أقام « نفرحتب » مدير أملاك الفرعون مقبرته .
أما حروبه التى شنها على أهل الجنوب فى السودان وحروبه مع أقوام «حايونبوت»
فى الشمال (سكان جزر البحر الأبيض) فلا نعلم على وجه التأكيد موعد حدوثها بعد
توليه العرش أو قبـله ، ومن المحتمل أنها تعزى إلى الجزء الأول من حياته كما
سبق الكلام عن ذلك . أما التواريخ التى تدل على طول مدّة حكمه منفردا، فقد
عثرنا منهـا حتى الآن على « استراكون » مؤرّخة بالسنة السابعـة من حكمه ، وقد
كتب عليها تظلم رجل يدعى « حاى » يشـكو فيه من أن قبر والده كان قد منحه
فى السنة السابعة من حكم « حور محب » ، وأنه الآن فى السنة الواحدة والعشرين
(لم يذكر اسم الملك) ولم يتسلم بعد وثيقة الملكية . على أنه ليس لدينا برهان على
أن السـنة الواحدة والعشرين تعود إلى حكم الملك « سيتى الأوّل » . غير أنه من
الجائز أن « حور محب » بعـد أن ألغى عبـادة « آتون » أرّخ حكمه بوصفه ملكا
منذ توليه قيادة الجيش .

وعلى الرغم من أن عبـادة « آتون » قد أقصيت من مكانتها الممتـازة فى عهد
« توت عنخ آمون » إلا أنها لم تكن قد محيت تماما من البلاد، يدل على ذلك حفر
اسم « حور محب » على معبد « آتون » فى «تل العمارنة» (Petrie. Amarna XI, 5.)

وكذلك وجود التعبير "إن جسم « رع » هو « آتون » "حتى السنة الثالثة من حكم هذا الملك (راجع Miss. Arch. Franç, Caire, V, p. 499.) .

ولكن لم يلبث « حور محب » أن محا كل أثر من هذا النوع حتى أسس مبانى « إخناتون » فى « طيبة » كما استعمل أحجارها، وكذلك أحجار مبانى « توت عنخ آمون » والملك « آى » فى إقامة بواباته بالكرنك .

وفاته :

وقد قضى « حور محب » فى سنّ متقدّمة ، وشيخوخة موقرة، ودفن بقبره فى « طيبة »، والواقع أنه أقام لنفسه ثلاث مقابر، الأولى فى « تل العمارنة » (وأن كان ذلك فيه شك)، ولكنه لم يتقدم فى بنائها كثيرا، والثانية فى «منف»، وكانت من بدائع ما أخرجته يد كل من المهندس والمفتن المصرى ، وتصوّر لنا حياته الحكومية وكيف مهد السبيل إلى اعتلاء عرش الملك، والقبر الثالث فى « أبواب الملوك » على الضفة الغربية من النيل ، وهو مزين بالرسوم التقليدية ، والمتون الدينية الخاصة بالعالم السفلى بوصفه ملكا ، وفى الحجرة الداخلية من هذا القبر نجد تابوته المصنوع من الجرانيت الأحمر لم يزل موجودا فى مكانه الأصلى، وقد حليت جوانبه بصورة أربعة الآلهة الحامية للتوفى ، كما كانت العادة فى تزيين مثل هذه التوابيت ، ويلاحظ أنها كانت ناشرة أجنحتها على الأركان الأربعة للتابوت .

أما صندوقه الخشبى فقد نهب ولم يعثر فيه على شىء قط ، كما أن مومية هذا الفرعون قد اختفت، ولا نعرف عنها شيئا قط .

ولا نزاع فى أن « حور محب » قد وضع أمامنا صفحتين فى التاريخ يكاد يمتاز بهما عن كل ملوك مصر، ففى قبره فى « منف » صفحة عن الرجل الموظف وحياته، ولما اعتلى الملك طوى هذه الصحيفة ونشر أمامنا أخرى تمثله وهو ملك، ولم يجاره فى هذا المضمار إلا الملك « آى » سلفه ، ومن ثم نستطيع أن نقول بحق إنهما هما

الرجلان اللذان مهـدا السبيل إلى استعادة مجد مصر بعـد أن ضيعه « إخناتون » فى عهد إصلاحه الدينى .

و يعدّ « حور محب » فى نظر المصريين وفى نظر التاريخ عامة ملكا شرعيا نشأ من لا شىء ، ومات ملكا متوجا ، وحقق لبلاده مالم يحققه ملك من الذين نشئوا من دم ملكى ، ولم يترك للعرش وارثا ، ولذلك كان هـذا الروح الفريد ، والعقل الفـذ الذى حرك سكان الحـكم فى مصر بروية وحزم فى الطريق القويمة ثانيـة ، بعد أن ضلت السبيل فترة من الزمن ، نعمة عظمى لمصر والرجل المثالى الذى شيد للعدالة صرحا لا نزال نترسم خطاه .

أما آثاره التى تركها لنا بعـد توليه العرش فهى قليلة بالنسبة للملوك الآخرين ، ور بمـا يعزى ذلك لأن حكمه الحقيقى لم يدم طويلا ، ومع ذلك فإنا نجدها منتشرة فى طول البلاد وعرضها ، وسنذكرها على حسب الترتيب الجغرافى بقدر المستطاع .

منف (مدافن العجل أبيس) : فى عهد « حور محب » دفن العجل الثالث والعجل الرابع ، وقد دفنا فى قبر مزدوج . ففى الحجرة الأولى دفن العجل أبيس الثالث ، وقـد زينت جدرانها بالآلهـة ، و بصورة العجل أبيس نفسـه (راجع Mariette Serapeum Pl. 3.) ، وفى الحجرة الثانية دفن العجل الرابع ووجد معه أوانى الأحشاء ، وهى فى « متحف اللوفر » الآن (راجع Porter & Moss III, p. 205.) .

قرية بوصير : وجدت قطع مختلفة تحمل طغراء « حور محب » (راجع L. D. Text. I, p. 139.) ؛ وفى معبد « بتاح » « بمنف » وجد له تمثال وهو الآن بمتحف « مترو بوليتان » « بنيو يورك » (راجع J. E. A. X, Pls. 1 — IV, p. 1 — 5.) وكذلك وجدت قطعة من الحجر الجيرى فى « منف » عليها طغراء « أمنحتب الرابع » و « حور محب » (راجع Porter & Moss. Ibid p. 224.) ووجد تاج عمود فى ضرب الحماميز ، و يحتمل أنه جىء به من « منف » (راجع Wiedemann Gesch· p. 409.) .

« غراب » : وفى قرية « غراب » وجدت له خواتم عدّة باسمه (Petrie Kahun XXIII, & Petrie Illahun XXIII).

وفى « القاهرة » : جزء من لوحة كبيرة للفرعون « حور محب » يحتمل أنها من «هليو بوليس» وقد استعملت أسكفة (راجع A. S., IV, P. 103 — 4.)، وكذلك وجدت زاوية باب من الحجر الرملى عليها طغراء « حور محب » (راجع A. S., IV, P. 103.)، وقد عثر عليها قبالة جامع السلحدار .

« العرابة » : و بالقرب من معبد «سيتى الأوّل» عثر على مجموعتين من التماثيل باسم هذا الفرعون : واحدة منهما من الحجر الجيرى الأبيض، والثانية من الجرانيت تمثل كل منهما « حور محب » ومعه « أوزير » و « إزيس » و « حور » وهما بالمتحف المصرى الآن (راجع الدليل : A Brief Desc of Monuments (1932) P. 85.) .

« طيبة » فى « الكرنك : « أقام هذا الفرعون ثلاث بوّابات كما ذكرنا آنفا فى معبد الكرنك ، وكانت تمتدّ أمام البوّابتين التاسعة والعاشرة طريق كباش تشمل ثمانية وعشرين ومائة تمثال فى هيئة « بوطول » برأس كبش ، وقد وصفت بأنها أجمل شيء من نوعه حتى الآن فى «طيبة» (Champ Notices Desc. II, p. 172.) هـذا إلى أنه أقام جدارا من الجـرانيت بين البوّابة الخـامسة والمحراب الجرانيتى بالكرنك أيضا (راجع Ibid p. 139.) .

وفى معبد « الأقصر » : وضع « حور محب » اسمه على عمد « أمنحتب الثالث » الكبرى الموجودة فى قاعة العمد التى بمعبده (راجع Baedeker p. 129. (1929)؛ وكذلك نقش « حور محب » على كل الجدار الغربى من معبـد الأقصر مناظر عودته إلى الأقصر من « منف » .

وفى معبد بتاح : ترك لنا بعض نقوش باسمه (راجع Mariette Karnak, 74d.)، كما وجدت له لوحة فى معبد الكرنك أيضا (A. Z. XXVI, p. 70.) . وفى الكرنك وجد « لحور محب » تمثال صغير من الخشب المتحجر (Legrains; Statues No. 42095.)

وتمثال آخر فى نفس المعبد فى صورة « بوطول » (Legrains ibid 42096)، وعثر على قطعتين من مسلة صغيرة باسم «حورمحب» (راجع Legrains. Repertoire No. 321.) ولوحة له أيضا (راجع A. S. IV, 9-10.) .

وفى معبد آمون : وجدت له لوحة لاتزال فى مكانها (راجع Legrains ibid p. 107-14.)، ومتن مؤرخ بالسنة الأولى من حكم هـذا الفرعون ، ولم يبق منه إلا ثلاثة أسطر (راجع Brugsch Thesaurus 1223 — 4.)، وقطعة حجر فى معبـد « خنسو » وعليهـا اسم « حور محب » (Champ. Notices p. 217.) وكذلك نجد أن « بينوزم » قد نقش مناظر له كانت فى الأصل لحور محب (راجع Ibid. p. 221.) .

وفى « طيبة الغربية » :

ترك لنا نقوشا فى الدير البحرى ادّعى فيها أنه أصلح آثار والد آبائه « تحتمس الثالث » ، ولا يبعد أن تكون إعادة حفر المنـاظر التى محاها « تحتمس الثالث » من عمـل « حور محب » كما يقول « بترى » ، لأن تحمسـه لعبادة « آمون » قد يكون السبب الذى دعا لذلك . وكذلك أصلح بعض منـاظر «بنت» (راجع Petrie History of Egypt II, p. 254; Champ. Notices I, p. 574.

(٢) وفى مدينـة « هابو» ترك لنـا نقوشا ادّعى فيها أنه قام بإصـلاحات فى المعبد الصغير ، وهـذه النقوش توجد على كلا جانبى المدخل الرئيسى فى النهاية الشمالية من الردهة (راجع L. D. III, P. 202 d) .

(٣) وفى متحف «برلين» (Berlin Mus. No. 1497) جزء من تمثال لإله النيل وكذلك أجزاء من متن من تمثال ضخم للفرعون « حور محب » (راجع L. D., III, 112 c, d, e & Text III, pp. 147) .

« أرمنت » : وفى مدفن العجول بجهـة « أرمنت » عثر على قطع من الحجر الرملى عليها متون باسم « حور محب » و « آتون » وهذه القطع مبنية فى الجـدار (راجع Porter & Moss, V, P. 159.) .

« كوم امبو » : وفى « كوم امبو » وجدت قطعة مستعملة فى بناء المعبد الرئيسى من عهد البطالمة ، وعليها طغراء « حور محب » (راجع Procktesch Van Osten Nil fahrt P. 479) .

« اسوان » : وفى إحدى مقابر أسوان المنحوتة فى الصخر وجد فى حجرة الدفن مع أشياء أخرى خاتم باسم « حور محب » (راجع A. S., VI, P. 282) .

كوبان : وعثر له فى «كوبان» على تمثال برأس أسد (Murray Guide to Egypt Ed. 1889 p. 538.) .

جبل عدّة : وفى جبل عدّة حفر « حور محب » لنفسه محرابا نخما ، ويلاحظ أنه لم يرسم مناظر حربية كعادة الملوك الفاتحين بالنسبة لبلاد النوبة ، وهذا مما يحمل على الظن أن « حور محب » لم يقم بأعمال حربيـة فى آخر أيامه بل كانت حروبه كلها فى الجزء الأوّل من حياته (L. D. III, 122 a – f; & Plan Champ. Notices Desc. II, p. 5.) .

تماثيل الفرعون « حور محب » : ولدينا من تماثيل هـذا الفرعون أمثلة تدعو للإعجاب فى دقة الصنع و براعة الفن فى تفصيل أجزاء الجسم وتمثيلها للواقع :

(١) ومن أهم ما لدينا الجزء الأعلى من تمثـال ضخم عثر عليـه فى مدينـة « هابو » وهو الآن فى « متحف برلين » (راجع L. D. III, 112 c. وقد تكلمنا عنه فيما سبق) .

(٢) مجموعة تماثيل من الحجر الجيرى الأبيض مثل فيها الملك والإله «آمون» وهى الآن بمتحف « تورين » .

(٣) تمثال ضخم فى فندق الأقصر (Wiedemann Gesch p. 411.) .

(٤) تمثال نصفى من البازلت الأحمر (؟) فى متحف « فلورنس » الآن ، ولا بدّ أنه جزء من تمثال راكع (Schiaparelli. Cat. Flonence 1225.) .

(٥) تمثال للفرعون بوصفه «حابى» إله النيل (Budge Guide Sculp. 125) .

(٦) مجموعة تمثل هــذا الفرعون مع الإله « حور » فى « كاستل كاتچو » (Castel Cattajo)(راجع.Wiedmann Gesch p. 411)هذاعداماذكرناهفيماسبق .

أما عن آثاره الأخرى الصغيرة مثل الخواتم والتعاويذ والجعارين فموجودة بكثرة (راجع .Wilkenson Manners & Customs ed-Birch II, 342 ff) .

أما زوجه فقد عثر لها على تمثال معه ، كما سبق ذكر ذلك ، كما وجد لها خواتم (راجع .Flinders Petrie Coll. Scarabs; Berl. Mus) .

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على آثار هــذا الفرعون نجد أنه على الرغم مما ينسب إليه من طول مدة الحكم أحيانا بما يقدّر بنحو ربع قرن، وأحيانا بأنه لم يحكم بوصفه ملكا إلا سنين قلائل ، فإن آثاره كانت منتشرة فى طــول البلاد وعرضها بدرجة لا بأس بها ، غير أننا مع ذلك نميل إلى الرأى القائل بأنه لم يحكم بوصفه ملكا فعليا إلا مدّة قصيرة .

الموظفون فى عهد حور محب

إن ما لدينا من معلومات عن رجال أواخر الأسرة الثـامنة عشرة لا يمكننا من تميــيز الرجال البارزين الذين خدموا فى عهــد الفرعون « حور محب » بصفة قاطعة ، وقد يعزى السبب فى ذلك إلى تلاحق الملوك بسرعة على عرش البلاد بعد موت « إخناتون » . ومن جهة أخرى لقصر المدّة التى تولى فيها « حور محب عرش البلاد منفردا . وأهم الشخصيات البارزة فى عهده ما يأتى :

« نفرحتب » : الكاهن « والد الإله » .

كل ما نعرفه عن هذا الكاهن مستق من مقبرته الجميلة المعروفة المنحوتة فى صخور « العساسيف » فى « طيبة » الغربية (راجع — Mem. Miss. Fr, V, pp. 489 540, Pls. 1 — VI) .

وألقابه هى (١) والد الإله «لآمون رع» ، وقاضى المكان العظيم ،وتشريفاتى والدته (؟)، وساقى الإله « آمون » .

وقبر هذا الموظف يحتوى على مناظر ونقوش لها أهمية عظمى من الوجهة الدينية من حيث إقامة الشعائر الجنازية، هـذا إلى أنه يحتوى على منظر تاريخى ذى قيمة عظيمة، إذ نشاهد « نفرحتب » وهو يتقبل الإنعامات الفرعونية من يد الملك « حور محب » نفسه .

فنرى فى قاعة مزار قبره على الجدار من جهة اليمين الفرعون « حور محب » فى منظر واقفا فى الشرفة الملكية مرتديا قبعة الملك الخاصة، وفى يده سوط ملكى ويسير خلفه تابعان، وأمامه تشريفاتى البلاط ويصحبه وزيرا الدولة، وخلف هؤلاء نشاهد « نفرحتب » رافعا يديه بسرور، وكان يطوق جيده بقلائد من الذهب تابعان، ونرى كذلك أساور من ذهب وقلائد كانت مجهزة على منضدة أمام الشرفة ليحلى بها جيده، والمتون التى تتبع هذا المنظر هى :

(١) فوق صورة أتباع الملك : المشرف على أملاك الفرعون، وساقى الملك وتابع الملك فى كل مكان .

امام الملك : السنة الثالثة فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى زسرخبرورع (حور محب) .

تأمل ! فإن جلالته قد ظهر مثل الشمس فى قصره صاحب الحياة المرضية، بعد أن قرب الخبز لوالده « آمون »، وعند خروجه من بيت الذهب انتشر الحبور فى كل الأرض ووصل الفرح إلى عنان السماء، وقد طلب « نفرحتب » والد الإله « آمون » ليتقبل الإنعام فى حضرة الملك ، وهو عشرات آلاف من كل شىء من الفضة والذهب والملابس والعطور والخبز والجعة واللحم والفطائر عند طلب سيدى آمون الذى يحفظ لى حظوتى فى الحضرة (الملكية) .

الكاهن المرتل الذى يسر قلب آمون « نفرحتب » يقول: ” ما أعظم أملاك من يعرف عطايا هـذا الإله ملك الآلهة، وإن من يعرفه لذو حكمة ، ومن يخدمه محظوظ ، ومن يتبعـه فإن نصيبه الحماية ، وإنه شمس جسمه ، وقرص الشمس

المخلد ملكه أبدا " . ولا نزاع فى أن القارئ يشتم من هـذا المتن رائحة بقايا عبادة « آتون » التى لم يكن فى الاستطاعة اقتلاعها من جذورها دفعـة واحدة ، وبعد هـذا الإنعام نشاهد « نفرحتب » متقلدا قلائد من ذهب ، ثم يقابل أخاه « أمنحتب » وقد نقش فوق رأسه اسمـه والألفاظ التالية : " كوفئ بالفضـة والذهب من الملك نفسه "، ثم يتبعه كاهن آخر يلبس قلائد مشابهة ، ونقش معه الكلمات التالية : " وصول والد الإله « لآمون » « برننفر » المرحوم، فى سلام حاملا إنعام الملك .

أما المنـاظر الجنازية التى نشـاهدها فى هـذا القبر فهى التى كنا نشـاهدها فى القبور التى من قبل عهد «أخناتون»، إذ نرى المتوفى فى وليمة مع أسرته وكذلك القربان التى كانت تقـدّم ، ومتونا خاصة بالأعيـاد، غير أن الشيء الجـديد الذى نلحظه هنا هو ظهور متن يشبه المتون التى كنا نقرؤها فى عصر التشكك الذى جاء على أثر الانقلاب الاجتماعى العظيم الذى تلا سقوط الدولة القديمـة (راجع كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الثانى ص ٢٢٢ — ٢٢٨)، ولا غرابة فى ذلك إذ لو أنعمنا النظر لوجدنا أن الانقلاب الذى أحدثه «إخناتون» قد أثر فى نفوس القوم، وخلخل عقائدهم ، وجعلهم ينظرون للحياة نظرة تجعلهم يتجهون إلى التمتع بمناعمها ولذائذها لأنهم لا يعرفون، ماذا سيكون مصيرهم بعـد الموت . وسنرى أن هـذه السحابة المليئة بالتشكك لم تمكث طويلا بل ستهدأ النفوس ثانية ، ويعود إيمانها عنـدما يعود الأمن الى نصابه، وتسود السكينة فى البلاد .

و إنا من جانبنا لنلتمس لمصرى هذا العهد بعض العذر بل كل العذر، إذ نجده فى نفس الموقف الذى كان يقفه كاتب أغنيـة الضارب على العود الذى كان يرى مقابر العظماء والملوك تخـرب وتنهب على مرأى منه ، وهـذا هو نفس ما شاهده « نفرحتب » فقد رأى قبـور الملوك العظام تهدم وتسرق على مرأى من رجال الحكومة وليس فى مقدورهم عمـل أى شيء لإصلاح ما تهدّم منهـا ، إلى أن قام

« حور محب » بوضع القوانين الفذة ، وأمر بإصلاح ما خربه الطغاة ، وهاك نص هذه الأغنية :

ما أهدأ هذا الأمير الصالح . إن مصيره الطيب قد حان حينه .

إن الأجسام ينتهى أجلها منذ وقت الإله ، ويحل محلها جيل آخر .

والإله « رع » يشرق فى الصباح ويغيب « آتوم » فى «مانوم» (جبل خرافى تغرب وراءه الشمس كل يوم) ، والرجال تلقح والنساء يحملن ، وكل أنف تتنسم الهواء . ويطلع النهار وأطفالهم يذهبون فرادى وجماعات إلى أماكنهم .

أمعن اليوم فى متاع أيها الكاهن ! ضع العطر والزيت الجميل معا فى خياشيمك ، وتيجان الأزهار ، وأزهار البشنين حول عنق أختك التى تحبها الجالسة بجانبك ! . وليكن الغناء والموسيقى أمامك ! واطرح كل الآلام وراء ظهرك ، وفكر فى السرور إلى أن يأتى ذلك اليوم الذى تصل فيه إلى الميناء فى الأرض التى تحب الصمت ... اقض يومك فى سرور يا « نفرحتب » ، أنت أيها الكاهن ذو اليدين الطاهرتين لقد سمعت ما جرى ... جدرانهم قد خربت ، وبيوتهم كأن لم تغن بالأمس كأنهم لم يكونوا منذ وقت الإله ... ... " .

« رى » : (روى) : رئيس الحكومة المركزية . كان «رى» يلقب الكاتب الملكى ومدير أملاك « حور محب » ، وكذلك مدير ضياع الإله «آمون» . والظاهر أنه كان معاصرا لهذا الفرعون .

وقبره فى « جبانة ذراع أبو النجا » . ومزار هذا القبر قد حليت جدرانه بالمناظر الجنازية العادية حيث نشاهد المتوفى واقفا أمام الآلهة ومنظر الحساب والموكب الجنازى .

ولكن أهم ما يلفت النظر فى هذه المناظر مشهد فى ثلاثة صفوف نرى فيها أولا « حور محب » وزوجه ثم « أمنحتب الأول » وزوجه « نفرتارى » يتعبدون للآلهة ، وأخيرا نشاهد المتوفى نفسه تطعمه آلهة تتقمص شجرة (حتحور) (راجع Porter & Moss I, pp. 159 — 160.) .

« أمنأنت » : عثر لهذا القائد العظيم على عدّة قطع من جدران قبره وتوجد الآن فى عدّة متاحف أوربيـة كما توجد بعضها فى المتحف المصرى ، وقد درسها الأثرى « انكا » ويظن أن قبره فى « منف » فى الجزء الشمالى (راجع A. Z., 67. pp. 78 - 82.) .

وعلى الرغم من عدم ذكر الملك الذى عاش فى عهده هـذا القائد فإنه بطريق الموازنة أمكنه أن يستخلص أنه عاش فى عهد الفرعون « حور محب » ، وبخاصة أنه كان يحمل لقب القـائد الأعلى لرب الأرضين ، وكذلك لقب المشرف على كل الموظفين فى الوجه القبـلى ، والوجه البحـرى ، واللقب الأخير كان يمتاز به « حور محب » قبل توليتـه الملك ، وهاك ألقابه ومناقبه كما جاءت على القطع التى وصلتنا من قبره :

(١) الأمير الوراثى والرئيس الأوّل لمقاطعة « منف » .

(٢) مدير عبيد الإلهة « ماعت » .

(٣) المشرف على الأعمال فى معبد « رع » .

(٤) المشرف على الوظائف كلها فى الوجه القبلى والوجه البحرى .

(٥) مدير كل أعمال الفرعون .

(٦) الممـدوح كثيرا من الإله الطيب (الملك) القائد الأعلى لجيـوش رب الأرضين .

(٧) صاحب الفرعون الأوّل .

(٨) رئيس الرماة .

(٩) مدير بيت الفرعون « تحتمس الثالث » (أى معبده) .

وأهم ما يلفت النظر فى القطع التى عثر عليها من قبر هذا الموظف الكبير قطعة يشاهد فيها « أمنأنت » راكعا يتعبد وقـد نقش أمامه صـلاة يتضرع بها لحور إله الشمس ممـا يدل على أن القـوم كانوا لا يزالون متعلقين بعبادة الشمس وإن

كانت عبادة « آمون » قــد أخذت تتغلب على عبادة كل إله آخر، وما تبقى من هذه الصلاة أو الأنشودة هو : « السلام عليك يأيها الإله الطيب، ياحور صاحب التيجان الجميلة ، أنت يا شمس كل عين ، ويا شمس كل من يتبعه» . ومن هذه الأنشودة نلحظ أن النقوش كانت لا تزال متأثرة بعبـادة إله الشمس التى كانت تمثل « لإخناتون » فى قرصها الذى كان يسميه « آتون » .

« معى » : لم يكشف بعد قبر هذا الموظف،وكل ما لدينا من آثاره هو تمثال عثر عليه «بلحوان» فى معبد الكرنك على مقربة من جنوبى مسلة الفرعون «تحتمس الأول» بالقرب من المكان الذى عثر فيه على تمثال «أمنحتب بن حبو» السالف الذكر، وهذا التمثال وجد مهشما وقد مثل جالسا القرفصاء، وعلى حجره ورقة مبسوطة يقرأ فيها، وقد نقش على صــدره لقب الفرعون « حور محب » . ومما يؤسف له أن نقوشه قد وجدت مهشمة كذلك ، غير أنه قد تبقى منها ما يدلنا على ألقابه وهى : حامل المروحة على يمين الفرعون، ومدير كل أعمال « آمــون » فى « الكرنك » ، والكاتب الملكى ، والمشرف على الخزانة . وهذا الموظف معروف لنا من قبل فقد ذكرنا أنه هو الذى كلفه الفرعون « حور محب » بإصلاح مقــبرة الملك « تحتمس الرابع » ووضع موميته فى مقرّها الفاخر. وفى استطاعتنا أن نفهم مقدار عظم مكانته عنــد الفرعون حينما نعلم أن حاكم « طيبة » نفسه كان تحت إدارته بوصفه سكرتيرا له . والخطاب الذى وجهــه « معى » للفرعون وهو المنقوش على تمثاله من الأهمية بمكان لأنه يذكر لنا الأعمال التى تمت فى هذا العهد وما نال الآلهة منها .

يقول : «إن اسمك مضاعف جماله ضعفين يا ملك الأرضــين ، وإن والدك «آمون» قد أنجبك ، وإنك أنت الذى قد شيدت له بيته من جديد، وجعلته ثابتا أبدا . وإن الآلهة قــد أنجبوك ، وأنت تزيد فى مؤنهم ، وأنت الذى أقمت لهــم معابدهم التى قد ذهبت إلى البــلى ، وقلوبهم قد ابتهجت بما فعلته لهــم ، وإنك

منعم تقيم الشعائر، وقد حفظوك حيا ثابتا معافى بمئات آلاف السنين فى سلام ، وإنك روحنا ، والأنفاس تخرج منك ، وأنت تعمل لبقائنا ، واسمك يبقى كما تبقى الأبدية » .

والواقع أن الدور الذى كان يقوم به « معى » فى خدمة « حور محب » هو دور رئيس الوزراء، وهو فى ذلك يشبه « أمنحتب بن حبو » وما قام به من جليل الأعمال للفرعون « أمنحتب الثالث » . وتدل شواهد الأحوال على أنه هو الذى ساعد « حور محب » فى كل الإصلاحات البنائية التى قام بها فى طول البلاد وعرضها كما ذكرنا من قبل .

والظاهر أن « معى » هـذا هو الذى كان يشرف على حفر مقصورة السلسلة التى حفرها « حور محب » فى هذه الجهة ، غير أن الألقاب التى وجدت للوظف الذى كان يشرف على هذه المقصورة ، ليست موحدة مع ألقـابه التى نقشت على التمثال ، ولا مع التى على الصخرة ، هذا إلى أن اسم صاحب النقش على مقصورة « حور محب » فى « السلسلة » قد وجد ممحوا فى كل مكان ؛ ويفسر «بلجران» هـذا الاختـلاف بقوله : إن « معى » كان رئيس كل أعمال « آمون » عندما كان فى «الكرنك» ورئيس الأعمال فى الجبانة عندما عين لتجديد مومية « تحتمس الرابع » ، وعنـدما ذهب إلى « السلسلة » وكان العمال يقطعون الأحجار العظيمة من الجبل كان يحمل لقب المشرف على الأعمال العظيمة لسيده ، أى أنه كان يحمل فى كل مكان اللقب الذى يتفق معه .

ولكن الأمر المدهش فى نقوش «السلسلة» أن اسم هذا الموظف قد محى ، ولا نعرف لذلك سببا قط (راجع A. S. p. 213 — 218.) .

« نب وع » : الكاهن الأول للاله « آمون » . وجد لهذا الكاهن تمثال ، وكذلك قطعة من تمثال ، وقاعدة تمثال ، وتمثال مجيب ؛ وقـد جاء عليها ذكر اسم زوجه « موت نفرت » ووالده « حسوى » ، وكانت الأولى تشغل وظيفة مغنية

الإله «آمون رع» . أما والده «حوى» فكان يحمل لقب القاضى ، والكاتب الماهر .
ويلاحظ أن «نب وع» كان يحمل لقب الكاهن الأكبر للإله «آمون» هكذا :
الكاهن الأول «لآمون» البحيرة ، والكاهن الأول «لآمون رع» البحيرة ، الكاهن
الأول «لآمون رع» ملك الآلهة للبحيرة . والكاهن الأول «لآمون رع»
فى «سمابحدت» عاصمة المقاطعة السابعة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى
(راجع Histoire des Grands, Pretres d'Amon de Karnak (P. 245.
Legrain Repertoire P. 192.) .

لمحة عن ممالك الشرق التى جاء ذكرها

فى خطابات تل العمارنة

(١) « بابل »

يدل ما جاء فى رسائل « تل العمارنة » وفى قائمة ملوك الكاسيين على أن لفظة « كارايندداش » كانت علما على بلاد « بابل » ؛ ويظهر أن هذا الاسم كان مرادفا فى الأصل لاسم « أرض البحر الجنوبية » التى كان يحتلها قوم « الكاسيين » ؛ وهذه البلاد بعينها هى التى أطلق عليها فيما بعد أرض « كلديا » ، ولكن عند ما وسع الكاسيون أملاكهم شمالا أطلق على كل هذه البقاع اسم « كاردونياش » ، ولذا نجد مثلا الملك « سنخريب » استعمل هذا الاسم للدلالة على «أرض البحر» . وكلمة « كارايندداش» كاسية الأصل، غير أن معناها ليس معروفا لنا تماما. ويظن بعض المؤرخين أن معناها « أرض البحر » (راجع Husing, Orientalistische, Literatur - Zeitung (1915) P. 1 – 4.) .

ومما يلفت النظر فى خطابات « تل العمارنة » أن اسم « بابل » كان يذكر غالبا فيها باسم « كاشى» مثال ذلك ماجاء فى الخطاب ٧٦ سطر الخ : "أن « عبدى أشرتا » الكلب الذى يبحث لنفسه على الاستيلاء على كل المدن ، يأيها الملك ، ويأيها الشمس ، فهل هو ملك « متنى » أو ملك « كاشى » الذى يبحث للاستيلاء على أرض الملك نفسه ؟ . «وفى الخطاب ١٠٤ سطر ١٧ الخ حيث نجد» : من هم أبناء « عبدى أشرتا » عبيد الكلاب؟ فهل هم ملكا « كاشى» وملك « متنى » . ؟

غير أنه مما لا شك فيه أن لفظة « كاشى » فى نفس خطابات « تل العمارنة » تدل على بلاد النوبة الأفريقية ؛ ويحتمل أن هذا المعنى يوجد فى الخطابات التالية (راجع ١٢٧ سطر ٢٢ ، ١٣١ سطر ١٣ ، ٢٤٦ سطر ٨ ، ٢٨٧ سطر ٧٢) .

ولكن تدل على وجه التأكيد على بلاد « كوش » فى الخطاب ١٣٣ سطر ١٧ ، حيث نجد الاسم « ملوخا » مرادفا للفظة « كاشى » . هذا على زعم أن التصحيح

الذى أجرى فى هـذين اللفظين معترف به ؛ إذ الواقع أن لفظة « ملوخا » معناها بلاد النوبة بمـا فى ذلك « أثيوبيا » ، كما أن لفظة « ماجان » معناها « مصر » (راجع .Winckler in Keilinschriftliche Bibliothek. V, P. XXX, Note 1)

ومن المحتمل أن لفظة « كاشى » قـد نشأت فى « بابل » ثم نقلت الى بلاد العرب وأخيرا الى شمال شرقى أفريقية .

ويجوز أنه فى عهـد تاريخ بلاد « بابل » المتأخر أو فى بابل فى عهـد الأسرة الكاسية قد أطلق على البـلاد اسم « كاشى » ، واتفق أن هـذه التسمية كانت تدعى بهـا الأسرة التى جاء أسماء ملوكها فى خطابات « تل العمارنة » .

على أننا من جهـة أخرى لا يمكننا أن نعرف على وجه التأكيد من هم هؤلاء الكاسيون ، وعلى أية حال يظهر أنهم كانوا جنسا من « الهنود الجرمان » ، وهم قوم عرفوا بتربية الخيل ، وكذلك كانوا طائفة حكام ، أو طبقة أرستقراطية ، بينهم وبين أهل « متنى » الذين حكموا البـلاد فيما بعد قرابة جنسية ، وقـد استوطنوا فى « بابل » حوالى عام ١٧٥٠ ق م ، وبقوا يقبضون على زمام الأمور فيها حوالى خمس وستين سنة وخمسمائة ، وهؤلاء القوم لم يكونوا أصحاب ثقافة بل كانوا أميين ، وكل ما وصل إلينا من لغتهم بعض مفردات قليلة (راجـع Delitzsch, Die Sprache der Kossaer P. 25.) .

ومنـذ حكم الملك « سمسو الونا » المبكر نصادف قبائل من الكاسيين مغـيرين على تخوم «بابل» الشرقية (راجع .King, Letters III, 242) ، غير أن فتحهم لبلاد « بابل » كان قد حدث تدريجا وعلى مهل . ويعـد « جا نداش » (أو جدّاش) المؤسس لأسرتهم فى « بابل » ، وقـد حكم بعده على أقل تقـدير ثلاثة عشر ملكا قبل أن يقبض « كارايندااش الأوّل » على زمام الأمور فى هذه البلاد ، ويعد أوّل ملك كاسى كانت له علاقات بمصر على قدر ما وصلت اليه معلوماتنا . وقد استهل « كاريانداش » حكمه حـوالى عام ١٤٦٠ ق م ، وبذلك كان معاصرا للفرعون

« تحتمس الرابع » (حوالى ١٤٢٠ — ١٤١١ ق م) ؛ ومن المحتمل أنه الملك الذى كتب اليه الفرعون « تحتمس الرابع » يقـول : " مكن الإخاء الطيب بيننا " ؛ وكذلك راسل « كارانداش » « أمنحتب الثالث » (حوالى ١٤١١ — ١٣٧٥ ق م) ، وزوجه من ابنته .

وأوثق تواريخ يمكن الاعتماد عليها للتاريخ الكاسى أو الأسرة البابلية الثالثة هى التى اقترحها الأسـتاذ « البريت » (A Revision of the Early Assyrian and Middle Babylonian Chronology. Revue d, Assyriologie etd, Archeo- -logie Orientale XVIII, 82—94.) .

وهاك التواريخ المقارنة التى وضعها :

مصـــر	بابـــل	آشـــور
تحتمس الثالث ١٥٠١ق م	كارانداش الأول ١٤٦٠ق م	آشير-رابى الأول ١٤٨٠ق م
		آشيرنيرارى الثالث ١٤٦٠ق م
أمنحتب الثانى ١٤٤٧ق م		آشير بل نيششى ١٤٤٠ق م
تحتمس الرابع ١٤٢١ ق م	كوريجالزو الثانى ١٤١٠ ق م	آشير-رم نيششى ١٤٢٠ق م
أمنحتب الثالث ١٤١١ق م	كاداشمان أنليل الأول ١٣٩٠ ق م	آشور-نادين-آخى ١٤٠٠ق م
أمنحتب الرابع ١٣٧٥ ق م	بورابورياش الثانى ١٣٧٥ ق م	اريبا — اداد ١٣٨٠ ق م

ونجد من بين خطابات « تل العمارنة » أحد عشر خطابا تخص بلاد « بابل » مباشرة منها صورتان لخطابين أرسلهما « أمنحتب الثالث » للملك « كادشمان أنليل الأول » وثلاثة خطابات تسلمها « أمنحتب الثالث » من « كادشمان أنليل الأول » وخمسة كتبها الملك « بورابورياش الثـانى » للفرعون « أخناتون » ، وكذلك لدينا خطاب يحتمل أن « بورابورياش الثانى » قد أرسله للفرعون « أمنحتب الثالث » ؛ هذا ويلحظ فى خطابات أخرى من هـذه الرسائل إشارات غير مباشرة عن أحوال

« بابل » . وأقدم ملك بابلى جاء ذكره فى خطابات « تل العمارنة » هو الملك « كارايندش » الأول ، وهو الذى كان يراسله « أمنحتب الثالث » ، وذلك على حسب خطاب من «بورابورياش» للفرعون «أمنحتب الثالث» ، وهذا الخطاب قد افتتح بتذكير الفرعون أنه منذ عهد الملك « كارايندش » عندما كان والداهما يتراسلان سويا فإنهما كانا دائما صديقين متحابين ؛ وليس لدينا خطابات فى مجموعة هذه الرسائل من عهد الملك « كوريجالزو » الثانى ، ولكنا نعرف من الخطابين التاسع والتاسع عشر أنه كان والد الملك « بورابورياش » الثانى ، كما نعرف من الخطابين الحادى عشر والتاسع عشر أنه راسل مع الفرعون « أمنحتب الثالث » وتسلم منه ذهبا كثيرا ، وكذلك لدينا من الأدلة ما يشير إلى أنه كان على صفاء وودّ مع « أمنحتب الثالث » لأنه كما ذكرنا من قبل قد رفض ما عرضه عليه الكنعانيون ، وهو محالفتهم على « أمنحتب الثالث »(1) . ومعظم الخطابات التى تتناول بلاد « بابل » كانت فى عهد الملكين « كادشمان أنليل » الأول ، و « بورابورياش الثانى » ؛ إذ نعرف أن أخت الملك « كادشمان أنليل الأول » قد تزوجت « أمنحتب الثالث »(2) . وبعد ذلك تزوج نفس الفرعون من بنته(3) . وقد رغب « كادشمان أنليل الأول » فى التزوج من إحدى بنات «أمنحتب الثالث»(4) . فلم يجبه إلى مطلبه ؛ غير أنه فى نهاية الأمر قنع بالتزوج من إحدى علية القوم من المصريين ، ويفهم مما جاء فى الخطابين الثانى والثالث أن الملك « كادشمان — أنليل » كان يسعى جهد طاقته لإرضاء فرعون مصر ، غير أنه لم ينل مقابل ذلك إلا الشىء القليل ، إذ قد أرسل له ابنته ، ولكنه لم تصله هدايا ثمينة كما كان ينتظر ، وقد شكا من أن الهدايا لم تكن مثل التى أرسلها « أمنحتب » لوالده من قبله ، وكذلك تألم من أن « أمنحتب » قد حجز رسله مدة طويلة فى بلاطه ، هذا فضلا عن أنه لم يدعه لوليمة كان يأمل أن يذهب إليها .

---

(1) راجع الخطاب ٩ سطر ١٩ — ٣٠ . (2) راجع الخطابين ١ ، ١٢ .
(3) راجع الخطاب الرابع سطر ٣٣ . (4) راجع الخطاب الرابع .

ونحن نعلم من جانبنا أن «أمنحتب الثالث» لم يكن من رجال الحرب العظام، لأنه لم يوقد نار حرب إلا مرة واحدة فى مدة حياته، وهى التى شنها على بلاد النوبة فى باكورة حكمه، ولكنه من جهة أخرى كان محبا لإقامة المبانى العظيمة؛ وقد أراد أن يعقد المحالفات بين الدول المجاورة بالزواج، ولذلك بنى بأخت «كادشمان أنليل»، وكذلك تزوج من أميرتين متنيتين، وهما «جليوخيبا» بنت الملك «شوتارنا»[1]، والأميرة «تدوخيبا» بنت الملك «دوشرتا»[2] وكذلك تزوج بنت «كادشمان أنليل الأول»[3]، وكانت زوجه الرئيسية الملكة «تى».

ومما يسترعى النظر أن الفرعون «أمنحتب الثالث» قد أرسل خطابا إلى الملك «كادشمان أنليل» يشكو فيه أن الرسل التى أرسلها ليسوا من طبقة راقية، كما شكا من حقارة الهدايا التى بعث بها إليه، وقد أرسل من جانبه هدايا ثمينة للملك «كادشمان أنليل» ووعده بإرسال أخرى عندما تصل ابنته إلى الديار المصرية لتكون زوجا له[4]. ويشير كذلك «أمنحتب» إلى المراسلات التى تبودلت بين «بابل» و «مصر» فى عهد «تحتمس الرابع»، وكان «بورابورياش» ابن الملك «كوريجلزو الثانى»[5]، ويحتمل أن جده هو «كارايينداش الأول»[6]، وأن ابنته كانت زوج «أمنحتب الرابع»[7].

ونعرف أن «بورابورياش الثانى» كان يشكو فى بداية حكمه من أن «أمنحتب الرابع» لم يتبادل معه التهانى والهدايا، وكذلك نجده يطلب تعويضات عن قوافله التجارية، كما جاء فى الخطاب السابع من هذه الرسائل، وهاك نصه لما فيه من أشياء طريفة تلقى بعض الضوء على العلاقات بين ملوك مصر وجيرانهم فى تلك الفترة المظلمة من تاريخ العالم :

---

(١) راجع الخطاب ١٧ سطر ٥.
(٢) راجع الخطاب ٢٢.
(٣) راجع الخطاب ٣ سطر ٥.
(٤) راجع الخطاب الخامس.
(٥) راجع الخطاب التاسع سطر ١٩.
(٦) راجع الخطاب ١٠ سطر ٨.
(٧) راجع الخطاب ١١.

" إلى نبخورور يا (إخناتون) الملك العظيم ، ملك مصر أقول . هكذا يقـول « بورابورياش » ملك « كاراينداش » أخوك : إن الحالة على مايرام من جهتى ، ومن جهة بيتى وخيلى وعرباتى وكبار رجالى وأرضى ، وإنه منـذ اليوم الذى جاء إلىّ فيه رسول أخى ، كانت صحتى ليست بالحسنة ، ولذلك فإن رسوله لم يتناول قط طعاما أو نبيذ بلح فى حضرتى ، وفى الحـق لو سألت رسـولك فإنه سيخبرك بأن صحتى لم تكن طيبة ، و .. ... ليس لدى شىء يجعلنى (صحيح الجسم) ، وعند ما كانت صحـتى سيئة ، ولم يرفع أخى رأسى (بالسؤال عـنى) فإنى عنـد ذلك صببت جام غضبى على أخى قائلا « ألم يسـمع أخى بأنى كنت مريضا ؟ لمـاذا لم يرفع رأسى (أى يواسينى) ؟ لمـاذا لم يرسل رسوله ، وينظر فى ذلك ؟ " . وقد تكلم رسول أخى كما يأتى قائلا : " إنــ الطريق ليست قصـيرة ، وإذا كان أخوك قـد سمع ، فإنه لا بدّ كان يرسـل إليك التحيات ، والطريق لأخى بعيدة . فمن الذى كان قد بلغـه حتى كانــ يرسل إليـك بسرعة تحياته ؟ وهل أخوك قـد سمع بأنك عليل ، ولم يرسل إليك رسـوله ؟ وقد أجبت عليه هكذا : هل توجد لأخى الملك العظيم طريق طويلة أو طريق قصيرة ؟ فأجاب هكذا : سـل رسولك فيما إذا كانت الطريق طويلة ، ومن الجائز أن أخاك لم يكن قد سمع ، وعلى ذلك لم يرسل شيئا لتحيتك . وعلى ذلك عند ما استخبرت من رسولى وقال لى إن الطريق طويلة ، فإنى لم أصب جام غضبى على أخى . وكما يقـولون " إنه يوجد كل شىء فى أرض أخى ، وإن أخى ليس فى حاجة الى أى شىء ، وكذلك فانه يوجد فى أرضى كل شىء وإنى لست فى حاجة الى أى شىء ، وقد توارثنا من الملوك علاقة طيبة من قديم الزمن ، وإنا على ذلك نبعث التحيات متبادلة ، وهـذه العلاقة ستدوم حقا بيننا . سـلامى عليك ... ... " . لقد حجزت رسولى ، وقد أعطيت رسولك قرارا وسيرته ، فأعط رسولى قرارا عاجلا واسمح له بالعودة . ولمـا أخبرونى أن الطريق طويلة جدا وأن مورد المـاء قد قطع ، وأن الجو حارّ فإنى لم أرسـل

إليك هـدايا جميلة كثيرة ، وقد أرسلت فقط هـدية جميلة صغيرة من اللازورد الجميل لأخى ، وكذلك أرسلت خمسة أزواج من الجيـاد ، وإذا صار الجو حسنا ، فإنى سأرسـل عن طريق رسولى من قبـلى ، سأرسله لأخى بهدايا جميلة ، وكل ما يحتاج إليه أخى » . دع أخى يكتب لى ! وسيحضرونها له من بيوتهم ، ولقـد شرعت فى عمل ، وعلى ذلك كتبت لأخى ، فليرسل إلى أخى ذهبا كثيرا لأجل أن أنفذ بها عملى . والذهب الذى سيرسله أخى لا يجعله أخى فى يد ضابط ، بل تلحظه عينا أخى ، وليختمه أخى ويرسـله ! وذلك لأن الذهب الذى أرسله أخى من قبل ولم يفحصه بنفسه ، بل ختمه ضابط من ضباط أخى وأرسله — والأربعون مينا من الذهب التى أحضروها عند ما وضعتها فى الفرن لم تكن وافيـة الميزان (بعـد صهرها) ، أما « سالمو » رسـولى الذى أرسـلته إليك فإن قافلته قد نهبت مرتين إذ قد نهب « بيرياماز ا » واحدة وقافلته الأخرى قد نهبت وناهبها هو « باخمو » ... ... حاكم بلادك وهى أرض تابعة نهبها . وعلى ذلك فليفصل أخى فى هذا النزاع !

وعندما يحضر رسولى إلى حضرة أخى دع «سالمو» يحضر أمام أخى ! ودعهم يدفعون له فدية ويعوضونه عن خسارته " .

ونجد ثانيـة « بورا بور ياش » يشكو من أن تجارا قد نُهبوا فى « كنعان » (1) ، ولكن على ما يظهر لم يجبه « إخناتون » . وقد كان « بورابور ياش » بطبيعة الحال يتوق بدرجة خارقة الحد للذهب المصرى (2) ، وقد كان غيورا إلى حدّ بعيد على حقوقه فى أعين الفرعون المصرى ، فمثلا نجده يشكو من الآشوريين لأنهم قد أرسلوا رسلا للفرعون « أمنحتب الرابع » على غير علم منه ، ولذلك كتب إليه أن يعيدهم فارغى الأيدى . وفى الخطاب رقم ١١ نعـلم أن « إخناتون » عنـدما عرف أن الأميرة البابلية التى كان يرغب فيها قد وافاها الأجل المحتوم ، أرسل إليه « بورابور ياش »

---

(١) راجع الخطاب رقم ٨ (٢) راجع الخطاب رقم ٩

يطمئنه قائلا إنه سيرسل إليه أخرى مع «خعا» وهى امرأة مصرية كانت فى قصر « بورابورياش » لتكون فى خدمة تلك الأميرة ، والسهر على راحتها .

أما الخطاب الثالث عشر فقد ذكرت فيـه الهدية التى أرسلها ملك « بابل » مع ابنته بمثابة مهر للفرعون « أمنحتب الرابع » ، وكذلك الخطاب الرابع عشر فإنه يحتوى على قائمة الهدايا التى أرسلها ملك مصر صداقا لابنه ملك « بابل » .

ولدينا خطاب طريف (١٢) كتبته أميرة بابليـة لسيدها فى مصر عن أمور منزلية محضة .

وقد كانت الهدايا العادية التى يرسلها ملوك «بابل» إلى فراعنة مصر تشمل الفضة[١] ، واللازورد ، والمواد الخشبية المموّهة بالذهب ، والزيت ، والعربات والخيل ، والعبيد ، وقد كانت المنافسة فى كل زمان بين الدولتين العظيمتين مصر و « بابل » شديدة ، وتشير خطابات «تل العمارنة» إلى هذه المنافسة فى كثير من رسائلها ، غير أن مصر فى عهد «إخناتون» كانت قد أهملت تلك المنافسة التى كانت بينها ، و بين «بابل» والبلاد الأخرى الأجنبية ، وهذا ما نفهمه من المراسلات التى دارت بين «إخناتون» والملك « بورابورياش الثانى » ، ولكن هـذا الفتور كان لانصراف « إخناتون » الى بث الآراء الدينية السلمية ، التى كان يقوم بنشرها .

مملكة اشور وخطابات « تل العمارنة »

لم تذكر لفظة « آشور » فى خطابات « تل العمارنة » إلا مرتين فى الخطابين الخامس عشر ، والسادس عشر ، ولكن ممـا يؤسف له أن كلمة « آشور» وجدت مهشمة بعض الشىء فى كلا الخطابيـن ، و يلاحظ أن سلسلة النسب فى ملوك « آشور » حتى عهد الملك « آشور و باليت الأوّل » وهو الذى ينسب إليه هذان الخطابان ، لا يمكن تنسيقها على وجه التأكيد لمـا يعترض المؤرّخ فيها من عقبات ،

(١) انظر الخطاب رقم ٥ ، ٢ ، ٧ ، ٨ ، ١ ، ٣ ، ٩ ، الخ .

وتدل شواهد الأحوال على أن بلاد « آشور » منذ عهد «تحتمس الثالث» كانت على أية حال ترسل الجزية إلى مصر باسم رئيس « آشور » ، ومن المحتمل أنه الملك « آشور رابى الأول » ، وقبل ذلك نعلم أن الملك «بوزور — آشير الرابع» قد عقد معاهدة مع الملك « بورابورياش الأول » عاهل « بابل » (راجع Synchr History I, 16; Comp. Olmstead, History of Assyria p. 36.) . ومنذ عهد الملك «شوشتار» ملك «متنى» حوالى عام ١٤٣٠ ق م ، وهو الذى غزا بلاد «آشور» فى عهد الملك « آشير — بل نشنى » وفتح مدينة « آشور » حتى عصر الملك « دوشرتا » (حوالى عام ١٣٩٠ — ١٣٧٠ ق م) كانت بلاد « آشور » تابعة لدولة «متنى» .

ولما ارتقى عرش الملك «آشور — باليت الأول» ملك « آشور » المقدام ، وهو الذى كان معاصرا لعاهل « بابل » « بورابورياش الثانى » وفرعون مصر أمنحتب الرابع » ، خلع عن بلاده نير الحكم «المتنى» ، وكذلك أوعز لملك «بابل» أن بلاد « آشور » قد صممت على أن تقف وحدها محافظة على استقلال عرشها .

ويمكن ترتيب ملوك « آشور » فى هذه الفترة على الوجه الآتى :

(١) آشير — رابى — الأول ١٤٨٠ ق م .
(٢) آشير — نيرارى — الثالث ١٤٦٠ ق م .
(٣) آشير — بل — نشنو ١٤٤٠ ق م .
(٤) آشير — ريم — نششو ١٤٢٠ ق م .
(٥) آشور نادين — آخى ١٤٠٠ ق م .
(٦) أريبا — أداد ١٣٨٠ ق م .
(٧) آشورو — باليت الأول ١٣٧٠ — ١٣٤٠ ق م .
(٨) أنليل — نيرارى ١٣٤٠ — ١٣٢٥ ق م .

والواقع أن «آشورو — باليت» كان أوّل أولئك الرجال العظام الذين أسسوا الامبراطورية الآشورية، وكانت آشور عند توليه عرش الملك تشمل مساحة قليلة حوالى بلدة « آشور »، ولكن عند وفاته كانت قد أصبحت « آشور » تعدّ ضمن ممالك الشرق العظمى، وكان من أوّل أعماله أنه عقد تحالفا مع «آلاشيا» (قبرص)، ثم أخضع بلاد « متنى » وبقيت تحت سلطانه إلى أن جاءت بلاد « خيتا » وخلصتها من نيرها، ووضعت على عرشها ابن الملك المسمى « ماتيـو وازا » . وفى خلال عهد الملك «آشورو باليت» أصبحت « نينوى » التى كانت فى قبضة بلاد «متنى» آشورية ثانية، وقد ذكرنا من قبل أنه فى عهد «أمنحتب الثالث» قد أرسل «دوشرتا» الإلهة «عشتار» ربة «نينوى» الى مصر لشفاء هذا الفرعون، وكذلك لما رجعت الإلهة « عُشتار » إلى حظيرتها الأصلية احتفل الآشوريون بعودتها احتفالا عظيما، وذلك بإقامة معبدها من جديد بعد أن كان قد أخنت عليه الأيام . أما الخطابات التى تشير الى « آشور » فى رسائل « تل العمارنة » فإنا نشاهد فيها عظمة ملكها ، فقد سمى نفسه « آشورو — باليت » ملك آشور الملك العظيم ، وكان يعمل على مساواته تمام المساواة مع ملك مصر ، ولذلك كان يخاطبه بلفظة « أخى » . ونراه كذلك يذكر أن « أمنحتب الرابع » عندما أرسل جدّه « آشـور — نادين أخى » الى مصر ، فإن الفرعون أهداه ٢٠ تلنتا من الذهب، ولذلك فهو لا يرى بأسا من طلب مثلها هدية له أيضا، وقد احتج الملك «بورابورياش الثانى» وقتئذ على البلاط الفرعونى، على وضع الآشوريين فى تلك المنزلة مع أنهم من أتباعه وتحت سلطانه[1]، غير أن فرعون مصر لم يعر هذا الاحتجاج أى التفات[2]، ولكن نرى فيما بعد أن الملك «آشورو — باليت» قد انتقم لنفسه، وذلك بأن أرغم « كارايندا‌ش الثانى » خلف « بورابورياش الثانى » على الزواج من ابنة «آشورو — باليت» كما جعله فضلا عن ذلك يخضع لقبول طائفة جديدة من

(١) راجع الخطاب التاسع السطر ٣١ الخ . (٢) انظر الخطاب رقم ١٥

الأنظمة الخاصة بالحدود بين البلدين ، وبعد ذلك بزمن قصير كانت الجيوش الآشورية من القوة بحيث ترك لها الخيار فى وضع رجل على عرش « بابل » وهو الملك « كوريجالزو الثالث » (١٣٤٤ — ١٣٢١ ق م) ؛ وقد أرسل « آشورو — باليت » رسلا إلى فرعون مصر معهم العربات وجيادها وكذلك من اللازورد (١) . وقد ردّ الفرعون التحية بأقل منها ، إذا أرسل بعثة للملك « آشورو — باليت » ببعض هدايا لم ترق فى عينه ، وطلب إلى الفرعون أن يغدق عليه بأحسن منها (٢) .

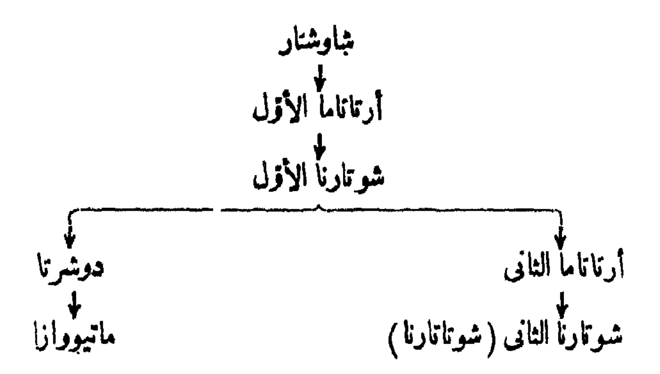
مملكة « منتى » فى خطابات تل العمارنة

منذ عهد الفرعون «تحتمس الثالث» نصادف فى المتون المصرية اسم «متن» وقد ذكر لنا «ملر» أنها على نهر الفرات (Muller A E. p. 284.)، والظاهر أن مملكة « متنى » قبل الفتح الذى قام به « تحتمس الأول » ومن بعده « تحتمس الثالث » كانت تقع على الضفة الشرقية من نهر الفرات وقد وحدت ببلاد «نهرين» (راجع Gardiner Onomastica I, p. 180.) ؛ ومن المحتمل أن بلاد «متنى» يرجع أصل نشأتها الى مدينه واحدة وهى «متن» (وإن كنا لم نعرف قط أين موقعها)، وذلك لأنه ذكر فى المتون عبارة: "أرض مدينة «متن»"، ويجوز أنها كانت ملكا لبلاد «خيتا» لأن هذا التعبير الخاص لا يطلق إلا على «الخيتيين» (٣) . ويظنّ الأثرى «فنكلر» (Vorlesung und Nachrichten p. 46.) أن قوم «متنى» هم أقدم عنصر فى شعوب « خيتا » وعلى أية حال يظهر أنهم فى الأصل فرع من جنس « خيتا » ولكن فى عهد « تل العمارنة » نجد أنهم كانوا يتميزون عن « خيتا » الذين كانوا غالبا معهم فى مخاصمات وحروب ، ويعتقد الأستاذ « برك » Bork Mitteilung der Vorderasiatischen gesellschaft (1909) 1, 2) أن لغة « متنى » من أصل قوقازى ، وتشبه فى تركيبها لغة الام .

(١) انظر الخطاب رقم ١٥ (٢) انظر الخطاب السادس عشر .

(٣) راجع الخطابات ٤١ سطر ٢ ، ٣ ؛ ٤٢ سطر ١٠ ، ٤٤ سطر ١ ، ٨ ، ١٩

أما عن الأستاذ «ينسن» Jensen Z. A., V, 166 ff. VI 34 ff. فيعتقدا أن لغتهم ليست بالحيثية ولا بالهندية الأوربية، بل هى لغة ڤانية (Vannic) وقوقازية وأحدث الآراء على أية حال ترى فى اللغة المتنية أنها أقدم لغة فى بلاد «مسوبوتاميا» وأنها تشبه كثيرا اللغة الحيثية، على أن أسماء الأعلام التى حفظت لنا فى اللغة المتنية يظهر عليها الصبغة الآرية، وقد وضع لنا «فنكلر» بعد دراسة عميقة، سلسلة نسب الملوك الذين عاصروا فراعنة الأسرة الثامنة عشرة كما يأتى :



وتدل الكشوف الحديثة بما فى ذلك كشوف الأثرى «أونجاد» (Mitteilung derDeutschen Orientgésellschaft 21, pp. 34. 39; 26, pp. 66 ff; V. S. VII; B. A. VI, 6.) على أن قوم «متنى» كانوا فى «بابل» منذ عهد أسرة «حورابى» وكذلك كانوا هم المؤسسين لمدينة «آشور» . هذا إلى أنهم أقدم سكان استوطنوا بلاد «آشور» . غير أنه مما يؤسف له توجد فجوة عظيمة فى معلوماتنا عن بلاد «متنى» تمتد منذ تلك الأزمان الغابرة حتى حوالى ١٤٣٠ ق.م، وذلك عندما فتح «شاوشتار» مدينة «آشور»، ومن المحتمل أن الملك «شاوشتار» كان معاصرا للفرعون «أمنحتب الثانى» (حوالى ١٤٤٨ — ١٤٢٠ ق.م) . ومنذ تلك الفترة حتى حكم الملك «دوشرتا» كانت بلاد «متنى» خاضعة لسلطان بلاد «آشور»، وقد خلف «شاوشتار» «أرتاتاما الأول» . وقد جاء اسمه فى المتون المصرية (اقرن Z. A. VIII, 385,

« دوشرتا » M. V. A. G. (1900), p. 7. A) فقد جاء ذكره فى خطاب من
(ص ٢٩ سطر ١٦) أنه زوّج ابنته للفرعون «تحتمس الرابع» . أما الملك الثانى فهو « شوتارنا » وقد زوّج ابنته من « أمنحتب الثالث » [1] . ومن المحتمل أنه قد خلفه ابن له يدعى [أرتاشومارا Artassumara]، ولكننا لا نعرف عنه شيئاً [2] . أما الملك « دوشرتا » الذى خلفه فهو ابن « شوتانا »، ويعد أحسن ملك معروف لنا من بين ملوك « متنى » . فلدينا غير قوائم الهدايا التى نجدها فى خطابات «تل العمارنة» سبعة رسائل كتبها « لأمنحتب الثالث » ، وخطاب بعث به لأرملة هذا الفرعون، هذا إلى ثلاثة خطابات للفرعون « اخناتون » . وكذلك نعلم من وثائق « تل العمارنة » أن رجلا يدعى « توخى » كان وصيا على الملك « دوشرتا » عندما لم يكن قد بلغ سن الحلم وأنه لسبب ما قد قتله « دوشرتا » فيما بعد . وهذا الملك كان فى الواقع على جانب عظيم من النشاط، فقد شن حربا على بلاد « خيتا » [3] . ولكن قبل نهاية حكمه انتشرت الفوضى فى بلاده مما أدّى إلى انفصال « آشور » عن بلاده، وخلع النير الذى ظل يثقل عاتقها مدة طويلة، وقد زاد الأحوال تعقدا إعلان أخيه « أرتاتاما » العصيان ، وانضمامه إلى جانب « خيتا » كما فعل حفيده « شوتارنا » ونعلم كذلك أن الملك « دوشرتا » قد زوّج ابنته « تدوخيبا » من « أمنحتب الثالث » ، ثم بعد وفاته زوّجها من ابنه « أمنحتب الرابع » . والظاهر أن «دوشرتا» ؛ قد قضى عليه بمؤامرة فى البلاط أعقبتها فوضى فى بلاد « متنى » وكذلك سنحت الفرصة للملك « شوبيليوليوما » عاهل « خيتا » للتدخل فى شئون بلاد « متنى » فوضع « ماتيوازّا » أحد إخوة « دوشرتا » المنفيين على عرش ملك «متنى» وزوّجه من ابنته، وجعل نفسه ملكا على هذه البلاد (راجع M.D.O.G, 35, p. 36; Bohl in Theol Tridschrift 1916 pp. 170 ff; Figulla Weidner Keilschrifttexte I, obv. II, 48 ff.) وكان عهد حكم « ماتيووازا » عهد فوضى،

(١) راجع الخطاب ٢٩ سطر ١٨ (٢) راجع الخطاب رقم ١٧ سطر ١١
(٣) راجع خطاب رقم ١٧ سطر ٣٠

وقد استمرت الحال كذلك حتى عهد « أرتاتاما الثانى » أحد إخوة « دوشرتا » ، وقد خلفه ابنه «شوتارنا الثانى» ، ويحتمل أن الملك الذى خلفه هو «اتيوجاما» ؛ غير أننا لا نعرف عنه شيئا قط ، وكما ذكرنا نعلم من المصادر المصرية أن «تحتمس الأول» و «تحتمس الثالث» و «أمنحتب الثانى» قد شنوا حروبا مظفرة على « نهرين » أى (بلاد «متنى») . ومن أعظم الشخصيات فى التاريخ المصرى فى عهد « العمارنة » الملكة « تى » زوج « أمنحتب الثالث » والدة « إخناتون » وقد فصلنا القول فى تاريخها فى مكانه ونعلم أنها كانت صاحبة قدم راسخة فى أحوال البلاد السياسية من رسائل « تل العمارنة »[1] . وقد تراسلت مع « دوشرتا » لمصلحة ابنها « اخناتون »[2] ، وكذلك كان لها أثر فى توجيه سياسة كل من زوجها وابنها[3] . وقد أرسل لها الملك « دوشرتا » هدايا خاصة باسمها[4] وأرسل لها التحيات فى مناسبات عدة فى مكاتباته مع ابنها وزوجها[5] .

ديانة «متنى» : إن معلوماتنا عن ديانة قوم «متنى» ضئيلة جدّا بالنسبة لممالك الشرق القديم الأخرى ، والظاهر أن إله هذا القوم كان يدعى « تشب » ، ويمثل هذا الإله واقفا على فهد قابضا فى يده على (بلطة) مزدوجة ، ونراه فيما بعد ممثلا بمنشار فى إحدى يديه ، وفى الأخرى يحمل صاعقة ذات ثلاث شوكات وله لحية وشعر طويل . وفى زمن متأخر عن السابق كذلك نراه ممثلا يحمل (بلطة) مزدوجة ، وصاعقة ، ويقف على ظهر ثور ، وأقدم ذكر لهذا الإله «تشب» فى أسماء الأعلام نجده فى المتون التى حلها « أونجاد » مثل « تشب — آرى » (راجع V. S. VII, 72, 10; Cf. Knudtzon, 24. IV, 36.) .

(١) راجع خطابات ٢٦ سطر ٧ — ١٨ ؛ ٢٤ سطر ٤٢ الخ ؛ ٢٩ ، ٨ ؛ ٩ ؛ ٤٥ الخ ، ١٤٣ .

(٢) راجع الخطاب ٢٦ سطر ٢٠ (٣) أنظر خطاب ٢٩ سطر ٦٦ الخ .

(٤) أنظر الخطاب ٢٧ سطر ١١٢ (٥) راجع ٢٧ سطر ٤ ، ٢٨ سطر ٧ ، ٢٩ سطر ٣

والظاهر أن اسم إلهة « متنى » هي « خبا » التي لا نعرف عنها شيئا البتة .

وقد وصلتنا معلومات كثيرة عن بلاد « متنى » غير التي جاءت في خطابات «تل العمارنة» من نقوش « بوغاز كوى » وبخاصة عن الملك « دوشرتا » وخلفه . فنعلم من خطابات « تل العمارنة » أن اسم « خانيجلبات » يطلق على بلاد « متنى » غير أنه في مصادر أخرى على ما يظهر كان يستعمل لجزء من أمبراطورية « متنى » (راجع Tiglathpileser I, Prism V, 34.) .

أما في مصر فكان المصرى يستعمل كلمة « نهرين » مرادفا لبلاد « متنى » ، أما عن شئون « متنى » الصغيرة فإن خطابات « تـل العمارنه » ليس فيها ما يشفى غلة ، والخطابات المتنية حوالى اثنى عشر خطابا (١٧ — ٢٩) ، وأهم ما يلفت النظر من بينها الخطاب الســابع عشر الذى يتناول عهــد « دوشرتا » والوصى على العرش « توخى » حيث نعلم شيئا عن قتل « أرتاشومارا » أسنّ إخوة « دوشرتا » . وكذلك يحدثنا عن قتل « توخى » على يد « دوشرتا » وكما يشير إلى الحرب التي قامت بين « دوشرتا » ومملكة « خيتا » وعن علاقته الودية مع مصر .

والظاهر أن « توخى » كان رئيس الوزراء مدة حكم « أرتاشومارا » القصير، وكذلك فى المدّة التي لم يكن فيها « دوشرتا » قد بلغ الحلم . والظاهر أن « توخى » قد قتل « أرتاشومارا » وعمل على قطع العلاقات الوديّة بين « متنى » و « أمنحتب الثالث » ، ومن أجل ذلك عندما تولى الحكم قضى على « توخى » وشيعته ! وهاك النص الخاص بذلك : " وعندما اعتليت عرش والدى كنت حدث السنّ ، وقد قام «توخى» بإتيان المظالم فى بلادى ، وقتل سيده ، وعلى ذلك لم يعمل عملا صالحا لى ، ولا لمن كان على مصافاة معى . وإنى على وجه خاص بسبب هـذه المساوئ التي كانت ترتكب فى بلادى ، لم أتأخر عن قتله وقتل أخى « أرتاشومارا » .

هذا ويتناول الخطاب الثامن عشر العلاقات الطيبة بين مصر و « متنى » ويتميز الخطاب التاسع عشر من هذه الرسائل بما أظهره « دوشرتا » بحبه المفرط للذهب

المصرى ، وهذا نفس ما نراه فى الخطاب العشرين بالإضافة إلى أن هــذه الرسالة الأخيرة تلقى كثيرا من الضوء على الطريقة التى كان يتبادل بها ملك «متنى» الأميرات فى مقابل الذهب المصرى. ونلحظ هذه التجارة الفريدة فى بابها كذلك فى الخطاب الواحد والعشرين ، كما نجد فى الخطاب الثانى والعشرين قائمة بالهدايا التى أرسلها الفرعون صداقا للأميرة « تدوخيبا » . أما الرسالة الثالثة والعشرون فتحدثنا عن كيفية عزم الإلهة « عشتار » إلهــة « نينوى » على زيارة مصر ، وأن ملك « متنى » نصح للفرعون أن يحسن وفادتها ويقابلها بما يليق بها من تجلة وتكريم .

ومما يلفت النظر فى هذه الخطابات الرسالة الرابعة والعشرون ، إذ قد كتبت بالخــط المسمارى ، ومــع ذلك فإن ألفاظها باللغــة المتنية . والظاهر أنهــا تبحث فى موضوع مدينتين وهما « خارواخا » و « ماشرينا » وقد جرت المفاوضات على أن تعطى مصر الأولى والملك « دوشرتا » الأخرى . والخطاب الخامس والعشرون يعدّ قائمة بما أرسله « دوشرتا » للفرعون « أمنحتب الرابع » من هدايا متنية جميلة تكشف لنــا عن مقدار ما كانت عليه هذه البلاد من حضارة ، وصناعات راقية ، وبخاصة فى اللازورد الذى كان فيها كثيرا . وكل هذه الهدايا كانت مهرا لابنته التى تزوّجها هذا الفرعون .

أما الخطاب السادس والعشرون فعــلى جانب من الأهمية ، إذ نجد فيــه أن الملكة « تى » تلعب فيــه دور الوسيط بين مصر و « متنى » وتعمل على توطيــد أواصر المصادقة والمهادنة بين البــلدين ، وقد كان « دوشرتا » يرى أن كل هذا لا يتأتى إلا إذا أرسلت له مصر الهدايا العظيمة من الذهب المصرى البراق ، ولذلك نجد أن كثيرا من الخطابات تضرب على هذه النغمة .

ولدينا خطاب غريب فى بابه قد يعدّ « جواز سفر » يحتمل أن كاتبه هو ملك «متنى » لملوك « كنعان » وقد حث فيه كاتبه ملوك « كنعان » على السماح لرسوله المسمى « أكيا » ليذهب إلى أخيه ملك مصر ليواسيه .

---

(١) راجع الخطابات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩

ويعتقد البعض أن هذا الخطاب قد أرسله « دوشرتا » للفرعون « تحتمس الرابع . وبذلك يعدّ أقدم خطاب غير أن هذا مجرد تخمين (راجع Metrcer, The Tell El Amarna Tablets I, p. 182.) .

وقد جاء ذكر «متنى» كذلك فى خطابات أخرى من رسائل «تل العمارنة » ، ففى الخطاب الثامن والخمسين مثلا نجد أن أحد الأمراء يكتب لفرعون مصر أن ملك« متنى » قد شنّ عليه غارة ، ويحتمل أن هذا الخطاب كان موجها للفرعون « أمنحتب الثالث » (راجع .Mercer Ibid I, p. 243) .

ويشير الخطاب الخامس والسبعون إلى تقرير كتبه « ريبادى» إلى ملك مصر يخبره فيه أن الخيتيين قد فتحوا بلاد « متنى » .

ولدينا عدّة خطابات نلحظ منها تدخل بلاد « متنى فى « فلسطين » والإغارة عليها فمنها الخطاب الخامس والثمانون الذى نفهم منه أن ملك .« متنى » قد زحف بجيشه فى بلاد « فلسطين » حتى وصل « سومورا » ؛ وقد كان على وشك الاستيلاء على «جبيل » نفسها لولا أن قلة المـاء قد عاقته فقفل راجعا إلى بلاده ، وكذلك نجد فى بعض الخطابات[(١)] أن ملك «متنى» كان يساعد« عبدى اشرتا »وقوم ساجاز(خبيرى) على « ريبادى » كما نلحظ أنه كان يريد أن يتولى على بلاد « آمور » . والظاهر أن « جبيل » بعـد أن أعيتها الحيل فى وصول النجدة من الفرعون اضطر أميرها لدفع جزية لدولة « متنى »[(٢)] . والظاهر أن أطماع بلاد « متنى » وعداءها لمصر كان من قديم الزمن ، إذ نجد فى الخطاب التاسع بعد المـائة أن «ريبادى» يكتب إلى الفرعون يذكره بهذا العداء الذى كان بين « متنى » و بين آبائه ، وأن أباءه لم يتخلوا عن صداقة أجداده ؛ ولذلك لا ندهش إذا وجدنا عدة إشارات على حسب ما ذكره « ريبـادى » نفهم منها أن ملك « متنى » كان على أهبة الاستعداد للزحف على أملاك مصر فى الخارج عندما كانت تسنح له الفرصة ، حتى أن « ريبـادى » جعل

(١) راجع ٨٦ سطر ١٢ ؛ ٩٠ سطر ٢٠ (٢) راجع ٩٥ سطر ٢٧ الخ .

هذه البلاد هى و بلاد « بابل » و بلاد « خيتا » مضرب الأمثال عنده للدول القوية التى كان يمكنها أن تغير على أملاك مصر، وتستولى عليها كما جاء فى بعض خطاباته[1]، فقد جرى على لسانه عندما كان يتحدث عن « عبدى أشرتا » عدوه الألد فيقول : « من هو « عبدى أشرتا » الكلب الذى يجرى وراء الاستيلاء على كل المدن ؟ هل هو ملك « متنى » أو ملك كاشى (بابل) حتى يعمل على الاستيلاء على أرض الفرعون لنفسه » ؟ وقد تكلمنا عن كل ذلك فى موضعه .

الاشيا « قبرص » فى خطابات تل العمارنة

وردت كلمة « آلاشيا » فى خطابات « تل العمارنة » فى مواضع كثيرة ، وقد وصلنا من هذه البلاد عدة خطابات (٣٣ — ٤٠) وكلها قد سطرها ملك « آلاشيا » لملك مصر إلا خطابا واحدا وهو الأخير (٤٠) ، وتدل شواهد الأحوال على أنها فى أغلب الظن قد أرسلت الى « أمنحتب الثالث » أو « إخناتون » واسم هذا المكان ورد فى المصرية فى قائمة « الكرنك » التى تركها لنا « سيتى الأول » بلفظة « إرس » .

وتدل البحوث الحديثة المتفق عليها أن هذا الاسم يطلق على جزيرة « قبرص » وبخاصة لأنه قد أشير فيها الى إله « أبوللو الاسيوتاس » (Apollo Alasiotas) وجد فى قبرص (ZA, X, 380) .

وكذلك فى « قبرص » الحالية نجد الاسم « الاسوس » و « و إيلاسيكا » (راجع Ailasyka & Alassos) (Knutzon p. 1077.) .

وقد كانت جزيرة « قبرص » منذ عهد « تحتمس الثالث » تابعة لمصر (راجع Cambridge Ancient History II, p. 78) .

واستمرت كذلك على ما يظهر حتى جاء عهد « إخناتون » إذ نراها فى هذه الفترة متحررة من النير المصرى ، وأصبح ملكها يخاطب الفرعون مخاطبة الأخ لأخيه ،

(١) راجع الخطابات ٧٦ سطر ١٤ ؛ ١٠٤ سطر ٢١ ؛ ١١٦ سطر ٧ .

كما نشاهد ذلك فى الخطاب الثالث والثلاثين، إذ يفتتح الخطاب بالكلمات التالية : "هكذا تكلم ملك «آلاشيا» إلى ملك مصر : أخى اعلم أنى على ما يرام، وأن أرضى على ما يرام الخ" .

وكانت بلاد «آلاشيا» موطنا للنحاس فى عالم البحر الأبيض المتوسط ، ولذلك كان أهم هدايا تقدمها لأرض الكنانة هو النحاس كما يدل على ذلك عدة خطابات . وكانت تتطلب فى مقابل ذلك هدايا من المصنوعات المصرية ، على أن هدايا ملك «قبرص» لم تقتصر على النحاس، بل كانت ترسل كذلك الصاج وخشب الصناديق .

وكانت مقادير النحاس التى ترسلها «قبرص» عظيمة جدا . فقد أرسلت مرة مائتى تلنت (التلنت وزنه ٥٧ رطلا) وأخرى مائة «تلنت»، وثالثة خمسمائة «تلنت» . وقد اعتذر فى المرة الأخيرة على قلة ما أرسله بأن «ترجال» إله الموت، قد قضى على العمال فى بلاده، وليس لديه من يستخرج هذ المعدن (١) .

ونجد غير الخطابات السالفة إشارات فى رسائل «تل العمارنة» لبلاد «آلاشيا»، فمثلا نعلم من الخطاب الرابع عشر بعد المائة أن «ريبادى» ملك «جبيل» كتب «لأخناتون» ملتمسا منه أن يسأل الضابط المصرى فيما إذا كان «ريبادى» لم يرسل إليه (الضابط المصرى) من «آلاشيا» ليخبره عن حالة البلاد، وما قام به «أزيرو» من المؤامرات عليه .

والواقع أن العلاقات بين «اخناتون» وبين «قبرص» كانت على أحسن ما يكون من الودّ والمصادقة، إذ نجد أن ملك «آلاشيا» يرد على خطاب أرسله إليه «اخناتون» يعاتبه فيه، على أن ملك «آلاشيا» لم يرسل إليه رسولا لتهنئته، فكتب

(١) ع الخطابات ٣٣ سطر ١٦ ، ٣٤ سطر ١٨ ، ٣٥ سطر ١٠ ، ٣٦ سطره الخ، ٤٠ سطر ٧ ، ١٣

إليه معتذرا بأنه لم يعـلم بعيد تنصيبه الذى أقامه الفرعون ، ولذلك فإنه يرجوه ألا يأخذ ذلك عليه، وألا يكون ذلك سببا فى تكدير صفو العلاقات الطيبة التى بينهما ، وأرسل إليه رسولا يحمل الهدايا الجمة،وطلب إليه أن يغدق عليه من خيرات بلاده. هذا ولدينـا خطاب آخر يدل على ما كان بين البلدين من التحالف الوثيـق ، إذ فى الخطاب الخامس والثلاثين نقرأ أن ملك « آلاشيا » كتب إلى الفرعون يحذره من التحالف مع «خيتا» و بلاد «سنجار» (بابل)، غير أنه لم يذكر السبب لذلك؛ وفى نفس الخطاب نجد هذا الملك يطلب إلى فرعون مصر أن يرسل إلى «آلاشيا» متاع أحد رعاياه الذى مات فى مصر. ولا شك فى أن مثل هذه التلميحات العابرة على قصرها تدل دلالة واضحة على ما كان بين البلدين من روابط وثيقة من الناحيتين السياسية والاجتماعية ، هـذا فضلا عن الناحية التجارية ، إذ لدينا خطابات تدل على أن التجارة كانت قائمة بين البلدين ، فقد كانت مصر تسـتورد النحاس منها ، وفى مقابل ذلك ترسـل إليها الفضة التى كانت معـدومة فى « آلاشيا » (راجـع الخطابين ٣٦ ، ٣٧) .

والظاهر أن ملك مصر قـد شك فى إخلاص ملك « آلاشيا » واتهمه أنه يقوم بدسائس على مصر مع بلاد « لوكى » (لوسـيا) ، ولذلك كتب إليه ملك « آلاشيا » مبرئا نفسه من تلك التهمة مدّعيا أن بلاد «لوكى» كانت تغير على بلاده نفسها (راجع الخطاب ٣٨) .

وأخيرا من الخطابات الهامة الخطاب الأربعون الذى كتبه وزير « آلاشيا » لوزير مصر يطلب إليـه تبادل السلع ، وكذلك يلتمس منه أن يفك عقال سـفينة وبعض الناس لأنهم ملك عاهل « آلاشـيا » . ويعتقد الأستاذ « ڤيبر » (راجع Knudtzon pp. 1085 ff.) أن هؤلاء الناس هم أعوان بلاد « لوكى » الذين اتهـم الفرعون ملك « آلاشيا » بالتواطؤ معهم على مصر .

بلاد خيتا فى « خطابات » تل العمارنة

كان قوم « خيتا » منذ ستين سنة يعدّون ضمن القبائل السورية الصغيرة التى ذكرت فى التوراة، وكان كل مايعرف عنهم مستقى من كتاب «العهد القديم» أيضا. وقد ظلت الحال كذلك حتى عام ١٨٧٢ عندما ظهر مؤلف الأستاذ « وليم ريت » الانجليزى عن أصل هؤلاء القوم ، وكان أول محاولة علمية فى هذا الصدد ، غير أن علم الآثار الخيتية لم يبتدئ فعلا إلا فى عام ١٨٨٦ عندما ظهرت الطبعة الثانية لهذا المؤلف الفريد فى بابه . وقد جاءت المحاولة الثانية فى كشف النقاب عن هذه الأمة على يد الأثرى « هوجو فنكلر » (عام ١٩٠٦—١٩٠٧ م)، وذلك عندما عُثر على سجلات « خيتا » فى بلدة « بوغاز كوى » ومنذ هذا الوقت وبخاصة بعد الحرب العالمية الكبرى أخذ شغف العلماء وميولهم تتجه إلى هذا العلم ، ونخص بالذكر من بينهم « هروزنى » و « فيدنر » و « سومر » فقد كانوا من أعلام الفاتحين فى هذا المضمار . وفى عام ١٩١١ قام « مسر شمت » بوضع سجل شامل لكل المتون الخيتية المعروفة حتى زمنه ، ولكن منذ عصره ظهرت متون كثيرة أخرى . وعلى أية حال فإن الأخيرة مكتوبة على وجه عام بالخط المسمارى فى حين أن سجل « مسر شمت » لا يشمل إلا متونا هيروغليفية .

ويوجد غير هذه المتون الأصلية التى كتبت بالهيروغليفية والمسمارية التى يقوم العلماء بدرسها مصادر أخرى عن « خيتا » وأهمها الرسوم المصرية والمتون الفرعونية التى خلفها لنا المصريون على جدران المعابد والمقابر، وكذلك توجد أسماء خيتية فى المتون البابلية ، كما توجد أسماء خيتية وفهارس فى خطابات « تل العمارنة » .

ولفظة خيتيين وصلتنا من كتاب العهد القديم، وقد وجدت فى الخط المسمارى بلفظة « خاتى » وفى المصرية « ختى » . أما اشتقاق كلمة « خاتى » فليس مؤكدا عند الباحثين ، ويظن البعض أن كلمة « خاتى » تعادل كلمة « خانى » وهى بلدة واقعة على نهر الفرات ، واللفظة الأخيرة هى اختصار لكلمة « خانيجالبات »

(راجع M. O. D. G, 21.pp, 50 f ; M. G. A. II, 1, 29.) . وإذا كان هـذا الرأى يمكن الأخذ به فإن أقـدم مركز للدنيـة الخيتية يكون موقعـه إذا على نهـر الفرات ، ثم انتقل فيما بعـد إلى « بوغازكوى » بآسيا الصغرى . وعلى أية حال تدل البحوث الحديثة الآن على أن دولة « خيتا » كانت تحتوى على عدّة إمارات أو ممالك تمتد من غربى «آسيا الصغرى» حتى السهول الواقعة شرقى نهر «دجلة» ومن البحر الأسود حتى « دمشق » .

وقوم « خيتـا » على حسب ما جاء فى المناظر المصرية القديمـة كانوا رجالا ذوى أنوف مقوّسة بعض الشيء وجبهة غائرة وفكين عظيمين ، وذقن قصير مستدير مزدوج وجلد أحمر ، وكانوا من جنس مختلط يجرى فى عروقـه الدم الآرى والقوقازى معا ، وقد نشئوا من خمسة أقوام وهم : (١) قوم «خيتا الأوّل» الذين كانوا يسكنون جبال « كابادوشـيا » ، (٢) وقوم اللوبين الذين كانوا يسكنون شمال آسيا الصغرى وكليكيا (٣) وقوم « باتا » الذين كانوا يسكنون « بافالاجونيا » (٤) وقوم الحورانيين الذين كانوا متوطنين فى الشمال الشرقى من « مسو بوتاميا » (٥) وأخيرا قوم الكانيسيان (Kanisian) وقد نزحوا من إقليم بحر «مرمرة» وأسسوا ما يسمى الآن الإمبراطورية الخيتية ، وقد كتبت معظم نقوش «بوغازكوى» بلغتهم .

وقد أسس قوم «الكانيسيان» الذين وفدوا من إقليم بحر « مرمرة » لنفسهم دولة منذ النصف الثانى من الألف سنة الرابعة قبل الميلاد ، ويحتمل أن عاصمتهم كانت « خانيجالبات » إذ فى هـذه البقعة قامت دولة ، ولكنها فى نهـاية الأمر انقسمت قسمين ، وهما الحورانيون فى «أرمنيا» والمتنيون فى الجنوب الغربى منها .

وحوالى عام ٢١٠٠ ق م انفصل عن قوم « متنى » دولة سميت باسم اختصر من اسم العاصمة اى أنهـا سميت « خانى » أو « خاتى » وهى دولة « خيتا » . وهـذه الامبراطورية كانت فى الواقـع من عمل الملك العظيم « لابارناش » الذى

كان مقره « كوشار » ، وكان أول ظهور « خيتا » على مسرح التاريخ فى ساحة الوغى فى عهد الملك « سامسو ديتانا » البابلى حوالى ١٩٥٦—١٩٢٦ ق م (راجع King, Chronicles II, 22.) .

فقد اجتاحت جنودها « بابل » ومهدوا الطريق لسقوط أسرة « حمورابى » واستيلاء الكاسيين على البلاد . ومنذ ذلك العهد حتى عام ١٣٠٠ ق م كان قوم « خيتا » أصحاب نفوذ عظيم جدا فى العالم الشرقى القديم . وبعد هذا التاريخ بحوالى ثلاثة قرون نجد إشارة لغزو « خيتا » هذه البلاد « بابل » وذلك أن «أجومكا كريم» حوالى ١٦٥٠ ق م قص (راجع King, Chronicles I, p. 149.) .

علينا أنه استولى ثانية على صور الإله «مردوك» ، « وسار بانيتم » وهى التى كانت قد حملت فيما مضى إلى بلاد « خانى » ، وفضلا عن ذلك يظهر أنه يوجد براهين على أن «خيتا» قد اتصلوا بالآشوريين قبل حكم الملك « سامسو ديتانا » ، وذلك لأن بانى مدينة «آشور» فى مملكة « آشور » وكذلك مؤسس معبد «آشور» فى نفس المدينة كانا يحملان الاسمين الخيتيين، وهما « أوشبيا » و « كيكيا » (راجع Beitrage Zur Assyriologie VI, Heft 5. p. 12.) .

على أننا لا نعرف الملك الذى خلف (لابارناش Labarnas)، ولكن على مايظهر كان الملك الثالث فى هذه السلسلة هو « خاتوسيل الأول » ، وكذلك يحتمل أن الملك الخامس هو « مورسيل الأول » الذى حكم البلاد حوالى عام ١٩٠٠ ق م، واتخذ « بوغازكوى » عاصمة لملكه . وقد خلفه على عرش الملك « تليبنوش » . والظاهر أنه كان آخر هؤلاء الملوك العظام لمدة الخمسين والثلثمائة السنة التى تلت وفاته فى تاريخ البلاد . وحوالى عام ١٧٠٠ ق م نجد دولة « خيتا » تظهر على مسرح التاريخ كرة أخرى عزيزة الجانب قوية الشوكة ، ويظهر أن الهكسوس قد هاجروا من جزئها الغربى ليفتحوا سوريا ومصر حوالى ١٦٥٠ ق م .

وقد ظل تاريخ بلاد « خيتا » غامضا بعـد تلك المدّة قرابة قرنين من الزمن؛ وكان أول ما عرفنا عنهم شيئا بعـد ذلك فى عهـد الفرعون « تحتمس الثالث » إذ نجد أنهم كانوا يدفعون له الجزية كما تكلمنا عن ذلك فى مكانه .

وقـد كان اتصال المصريين بهم اتصالا معروفا لنـا فى عهد ملكهم المسمى « شو بيليوليوما » ، والظاهر أن جدّه كان ملكا على مدينة ، وقد سمى نفسه بالاسم الضخم « الملك العظيم ملك خاتى » ، ويحتمل أن هذا الملك هو « خاتوسيل » الثـانى ١٤٠٠ ق . م . ومهما يكن من أمر فإن « شـو بيليوليوما » كان رجلا ذا سطوة وبأس ، فقد فتح بلاد « متنى » فى عهد ملكها « دوشرتا » ونصب مكانه « ماتيوازا » على عرش متنى ، وقد اعترف « أزيرو » بسـلطانه ، وكذلك أصبح من القوة بحيث جعـل « ريبادى » يحـذر الفرعون « أمنحتب الرابع » من عظم قوته . وقد حكم من ١٣٨٠ إلى ١٣٥٠ ق . م . تقريبـا أى أنه عاصر كلا من « أمنحتب الثـالث » و « إخناتون » ، وقـد كتب للفرعون « أمنحتب الرابع » خطابا يخطب فيه وده و يطلب تجديد العلاقات القديمة التى كانت بين البلدين .

وقد خلف « شو بيليوليوما » ابنه «ارانداس» (١٣٥٠ — ١٣٤٥ ق . م .) ولكنه لم يحكم طويلا إذ توفى بعـد أن حكم خمس سنوات ، وتولى العرش بعده « مورسيل الثانى » (١٣٤٥ — ١٣١٥ ق . م .) . وهـذا الملك أصبح ذا قوّة وسلطان وعقد معاهدة مع ممالك « أرزاوا » و « جاسجا » و « تيبيا » و «زيخريا» ، وهو الذى حارب « رعمسيس الثانى » فى موقعة « قادش » وقد أشير إليه فى متون « بوغازكوى » . وقد رزق أربعة ذكور وابنة واحدة ، وقد امتدّ حكمه إلى ما بعد عهد خطابات «تل العمارنة» (راجع Hrozny Hethitische Texte pp. 156 ff. & M. D. O. G, 58, 53 ff.) .

وقد تولى الحكم بعد «مورسيل الثانى» ابنه «موتالو» (١٣١٥ — ١٣٠٠ ق.م.) و « خاتوسيل الثالث » (١٣٠٠ — ١٢٧٠ ق . م .) على التوالى . وقد جاء ذكر كل منهما فى المعاهدة الشهيرة التى عقدها « رعمسيس الثانى » مع « خيتا » .

وقد ذكرت لنا وثائق « بوغازكوى » أن « مورسيل الثانى » هو فاتح بلاد الآموريين، هذا ونعلم أن معظم وثائق « بوغازكوى » التى وصلتنا ترجع الى عهد « موتالو » . وقد اعتلى عرش « خيتا » بعد هذا العاهل ملكان لهما شهرة عظيمة فى التاريخ وهما « دودخليا » (١٢٧٠ — ١٢٥٠ ق . م .) ثم « أرنوانتا » (١٢٥٠ — ١٢٤٠ ق . م .)، غير أنه قبل حكم أولهما تحدثنا الآثار أن آشور فى عهد الملك «سلما نصر» الأول (١٢٧٠ ق.م.) ذبحت جموع الجيوش الخيتية، وقد كانت أمبراطورية « خيتا » فى تلك الفترة آخذة فى التدهور حتى أنها فى نهاية القرن الثامن فقدت معظم أملاكها ، وانتهى آخر نفوذ-وقوة لها فى عهد الملك « سرجون » عاهل « آشور » الذى فتح « كركميش » عام ٧١٧ ق . م . وهكذا ختمت حياة دولة عظيمة حكمها ما لا يقل عن أربع وأربعين ملكا لا نعلم الآن إلا القليل عنهم ، ولكنا نأمل أن تكشف وثائق « بوغازكوى » بعد حلها عن الكثير من مجد هؤلاء الملوك العظام .

والواقع أن أهل « خيتا » شعب مختلطة أجناسه ، وتدل البحوث الحديثة تدريجا على أن لغتهم كذلك كانت مزيجا من لغات مختلفة . ولا نزاع فى أنه توجد عناصر آرية فى لغتهم . هذا ولدينا أدلة على وجود لغات عدة أخرى. ويعتقد الأستاذ « فورر » أنه توجد ثمانى لغات فى نقوش « بوغازكوى » وهى (١) لغة أهل « خيتا » الأول (٢) اللغة اللووية (٣) اللغة البالية (Balâin) (٤) اللغة الحورانية (٥) اللغة الكانيسية أو (الإزاوانية Azawan) (٦) اللغة السومرية (٧) اللغة البابلية (٨) اللغة (الماندانية Mandaian) .

ومنذ أن نشر « هروزنى » رأيه عن لغة « خيتا » مبرهنا على أنها لغة هندية جرمانية نقده الكثير من علماء اللغة بما له وما عليه، غير أنه إلى الآن لم يكن فى مقدور أى عالم أن يضحد رأى «هروزنى» تماما، وعلى أية حال فإن الموضوع لايزال معلقا وسيبقى كذلك مدة طويلة حتى تظهر بحوث جديدة .

ولا نعلم إلا القليل عن ديانة « خيتا » . حقا لدينا أسماء آلهة كثيرة من آلهتها ويلاحظ أن عقيدة وجود الإله فى كل شىء كانت منتشرة، ولا أدل على ذلك من وجود ألقاب مثل سيدة الجبال والأنهار، ونجد أحيانا أن الإله نفسه يحمل أسماء مختلفة فى أماكن مختلفة ، فمثلا إله الشمس كان يسمى (تلبينوش Telibinus) بين قوم الكانيسيين ويدعى (ووى Woi) بين قوم الخيتيين الأول، وينادى باسم « هبات » بين قوم الحورانيين .

وكان يوجد عندهم شياطين كثيرة، وإليها كان ينسب ما يصيب الإنسان من سوء الحظ، وكان للقوم معابد وصور كائنات مقدسة، كما كان يحتفل بالأعياد تكريما للآلهة . وكان كلما اتصل قوم « خيتا » بالأمم الأجنبية العظيمة اتخذت آلهتهم أربابا لها ، فمثلا الإله « رع » المصرى ، و « آشر » و « اسخارا » الآشوريان و « مترا » و « فارونا » و « اندرا » ويحتمل « ناساتيا » آلهة الهند.

وأكثر الآلهة معرفة لنا من بين آلهة « خيتا » هم إله الشمس « تشب » وإله العاصفة « ما » (؟) والأم العظيمة و « ساندان » ابنها و « تارخو » و « خبا » و « سالو » و « تيللا » .

ولدينا دلائل عديدة تشير إلى أن شعب « خيتا » كان لهم أدب عظيم يشمل أناشيد وصلوات وأساطير وخطابات ملكية وتواريخ وعقود ورسائل ، وغير ذلك من الموضوعات الأدبية ، والأمل عظيم فى أن المستقبل سيكشف أمامنا أن قوم « خيتا » من أعظم شعوب العالم القديم مدنية وثقافة .

وبعد هذه المقدمة القصيرة عن هؤلاء القوم فى استطاعتنا أن نتحدث عن الفقرات التى وردت فى خطابات « تل العمارنة » خاصة ببلادهم .

والواقع أن كلا من قوم « خيتا » وقوم « متنى » قد انفصل بعضهما عن بعض منذ زمن طويل قبل عهد «تل العمارنة» ، وفضلا عن ذلك أصبحا يتناضلان على السلطة، وامتداد النفوذ فى الأقاليم المجاورة .

وقد ذكرنا من قبل أن «شوبيليوليوما» المؤسس لأسرة خيتية جديدة فى زمن حكم « أمنحتب الثالث » قد فتح بلاد « متنى » فى عهد الملك « دوشرتا » ووضع على عرشها «ماتيوازا»، والظاهر على أية حال أنه قبل هذه الفترة كان «دوشرتا» منتصرا على « خيتا » (راجع الخطاب ١٧ سطر ٣٠) . وقد أشار إلى هزيمة « دوشرتا » الوالى « ريبادى » فى خطاب من الخطابات التى كان يرسلها للفرعون (٧٥ سطر ٣٦) ، وفيه يحذر الفرعون من سطوة « شوبيليوليوما » ، وقد كان من نتائج ذلك أن أصبحت الصداقة متينة العرى بين مصر و « متنى » فترة من الزمن، ونرى صداها فيما دار من مراسلات بين البلدين فى أثناء ذلك[١] . وعلى أية حال نرى فيما بعد أن ملك « خيتا » كان على وئام عظيم مع كل من « متنى » وملك « كاشى» (بابل) لدرجة أنهما قد مؤنوا «ريبادى» بالذخائر التى جعلت فى استطاعته أن يهزم « عبدى أشرتا » وأولاده[٢] ، ولكن أولاد « عبدى أشرتا » كان لهم يوم نصرهم لأنهم أصبحوا فيما بعد أقوياء بفضل سلطان الملك القوى ، بعد أن أهدوه الذهب والفضة[٣] . ولا نزاع فى أن عبارة « الملك القوى » تشير هنا إلى ملك « خيتا » أو ملك « متنى » غير أن الرأى الأول هو الأفضل .

وتدل شواهد الأحوال على أن « خيتا » كانت دائما فى عداء مع المصريين وإن كان الفرعون لم يفطن لذلك فى كل الأحيان، إذ قد حذر من شرهم فى كثير من المناسبات ، ولا أدل على ذلك مما جاء فى خطاب ملك « قبرص » السالف الذكر . يضاف الى ذلك أن الخيتيين قد حرضوا ملك « أوجاريت » ، (رأس الشمرة) على أن يهجر الفرعون[٤] ، وساعدوا قوم « أوبى » فى خروجهم

(١) راجع الخطابين ٥٤ سطر ٤٠ ، ٥٦ سطر ٣٩ الخ

(٢) راجع الخطاب ١١٦ سطر ١٧ .

(٣) راجع الخطاب ١٢٦ سطر ٦٦ .

(٤) راجع الخطابين ٤٥ سطر ٢٢ ، ٣٠ ؛ ١٥١ سطر ٥٥ الخ .

على الفرعون[1] ، وكذلك أغروا خدما وممثلين للفرعون على الانفصال عنه[2] ، هذا إلى أنهم كانوا لايتأخرون متى سنحت لهم الفرصة عن حرق أرض الفرعون وتخريبها[3] ، ومع كل ذلك فإن ملك « خيتا » كان لا يتأخر فى التحالف مع الفرعون ، متى وجد ذلك فى مصلحته ، ولا أدل على ذلك من أن « شوبليوليوما » عندما كان العداء بينه وبين « دوشرتا » طلب إلى فرعون مصر أن يجدّد العلاقات الودّية التى كانت بينه و بين « أمنحتب الثالث » (راجع الخطاب ٤١) .

ومن جهة أخرى كان الخيتيون معادين « لأزيرو » ، على الرغم من محالفته لهم على « قطنا » (راجع الخطاب ٥٥) ، وكان « أزيرو » يخشى بأس ملك « خيتا » (راجع ١٥٧ سطر ٢٨) ، وقد كتب « أزيرو » للفرعون أنه لا يمكنه أن يأتى « لدودو » فى البلاط المصرى لأن ملك « خيتا » كان فى « نوخاشى » (راجع ١٦٥ سطر ١٨ ، ٣٩ ؛ ١٦٦ سطر ٢٢ ، ١٦٧ سطر ١١ ، ٢٠) ، ومع كل ذلك فإن « أزيرو » كانت تضطره الأحوال إلى التحالف مع « خيتا » كما فعل ذلك على الأقل فى حالة من الحالات (راجع ٥٥) ، وذلك لأننا نعرف من الخطاب ١٦١ سطر ٤٩ أن الفرعون قد وبخه لأنه استقبل رسل « ملك خيتا » والظاهر أن جنود « خيتا » كان عليها إقبال عظيم ، فقد استعملوا فى فتح جبيل (٢٦ سطر ٥٩) بقيادة رجل يدعى « لو باكو » وهم الذين استولوا على مدينتى « عمق » و « عادومى » (راجع ١٧٠ سطر ١٤) ، كما كانوا مصدر رعب للاموريين (راجع ١٦٥ سطر ٢٠ ؟ ٣٥٠ ، ١٦٦ سطر ٢٤) ولأهل « تونب » (١٦٥ سطر ٣٩ ؛ ١٦٦ سطر ٢٥ ، ١٦٧ سطر ٢٣) .

---

(١) راجع الخطاب ٥٤ سطر ٢٩ ، ٣٣

(٢) راجع ١٩٦ سطر ١٧ ؛ ١٩٧ سطر ٢٤

(٣) راجع ١٣٦ سطر ٥١ ؛ ١٧٤ سطر ١١ الخ ؛ ١٧٥ سطر ١١ ؛ ١٧٦ سطر ١١ .

والواقــع أن أهم رسائل « تل العمارنة » الخاصــة بقوم « خيتا » خلافا لمـا ذكرناه هما الخطابان الواحد والأربعون ، والثـانى والأربعون ، وكلاهما من ملك « خيتا ، » وقد تكلمنا عن أولها وهو الذى كتبه « شــو بيليوليوما » لملك مصر ، ويطلب فيــه نفس المصادقة التى كانت بينه وبين الفرعون السابق ، وبعــد ذلك يعدّد لنا الهدايا التى أرسلها لملك مصر، أما الخطاب الآخر٤٢ فيحتمل أن مرسله هو نفس ملك « خيتا » الذى أرسل الخطاب الأوّل، وإن كان ذلك ليس محققا لأن اللوحة مهشمة . والظاهر أن هــذا الخطاب يتناول بعض سوء تفاهم كان بين العاهلين ، وقــد أراد كاتب الخطاب أن ينهى هــذا الخلاف ، ويقلل من أهميته بإرسال هــدية خففت من وطأة غضب الفرعون ، وأسدلت عليه ستارا زينته تلك الهدية .

وعلى أية حال فإن هــذين الخطابين على الرغم من أنهما رسالتان تبــودلتا بين العاهلين العظيمين فإنهما لم يضــيفا الشيء الكثير لمعلوماتنا عن أى واحد منهما . وكل ما استفدناه تاريخيا منهما أننا علمنا أسم ملك خيتا « شوبيليوليوما » العظيم، وكذلك عرفنا أن لفظة « نبخوريا » الخيتية تقابل اسم ملك مصر (اخناتون) ، وكذلك عرفنا من هذين الخطابين كيف كانت ترسل التهانى ، وكيف كانت تبعث الرسل ، وتعود ثانية بالتحيات والهدايا ، كما تضع أمامنا صورة ناطقة عن حرص الملوك على استيفاء التحالف والمصادقة بينهم ، وكيف أن « شو بيليو ليوما » حكم فى عهد كل من الفرعونين « أمنحتب الثالث » و « اخناتون » .

وختاما فإنه على الرغم من ضآلة هــذه المصادر التى وجدناها فى خطابات « تل العمارنة » عن الخيتيين ، فإنا مدينون بالشكر لهـا إذ لابدّ أن تحتــل مكانتها يوما ما في بناء تاريخ حياة وأخلاق شعب عظيم من شعوب الشرق القديم .

دوّنا هــذه اللمحة العاجلة عن دول الشرق القديم الناشــئة وعلاقاتها مع مصر وامبراطوريتهــا الضخمة ليتسنى للقرّاء بهــا تتبع الحوادث التى سردناها فى هــذا الجزء من تاريخ مصر فى عهد الأسرة الثـامنة عشرة من جهة وليستطيع من جهة أخرى اقتفاء أثر تلك العلاقات والحروب التى نشبت بين مصر و «حيتا» فى عهد الأسرة التاســعة عشر عندما أراد فراعنتها استعادة مجــد مصر فى آسيا بعد أن كاد يقضى عليــه بجملة فى أواخر عهــد إخناتون وأخلافه الضعفاء ، لولا أن قيض الله للبلاد نخبــة من رجال الحرب العظام اعتــلوا عرش مصر متلاحقين على رأسهــم « حور محب » ثم تلاه ملوك أسرة الرعامسة الذين أسسوا الأسرة التاســعة عشرة وعلى يدهم استعادت مصر بعض مجدها وعزتها القومية .

فهرس الموضوعات

تمهيـــد :

الدولة الحديثة

الأسرة الثامنة عشرة

الموظفون والحيـاة الأجتماعيـة فى عهد « تحتمس الرابع »

الأشكال الإيضاحية

فهرس الأعلام والآلهة والأماكن وغيرها

(أ)

(ت)

(ح)

(خ)

(د)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(ل)

(ن)

(هـ)

(ى)

(ملاحظة) حدثت بعض أخطاء فى الأعلام فصححت فى الفهرس

مختصر المصادر الافرنجية

List of Abbreviations

A. A. A. = "Annals of Archeology and Anthropology". (Liverpool, 1908 —).

A. A. S. O. R. = "Annual of the American Schools of Oriental Research". (New-York, 1920 —).

A. J. S. L. = "The American Journal of Semetic Languages and Literatures". (Chicago, 1884 —).

Am. = Knudtzon, "Die El-Amarna Taflen". (Leipzig, 1907—1915).

Arundale and Bonomi, "Gallery". = Arundale and Bonomi, "Gallery of Antiquities Selected from the British Museum". (London).

A. S. = Annales du Service des Antiquities de l'Egypte". (Cairo, 1901 —).

A. Z. = "Zeitschrift für Agyptische Sprache und Altertumskunde" (Leipzig, 1863 —).

Baikie, "History". = Baikie, "A History of Egypt". (London, 1929).

B. A. S. O. R. = "Bulletin of Schools of Oriental Research". (South Hadly, Mass., 1919).

Benson and Gourlay, "Temple of Mut". = Benson and Gourlay, "The Temple of Mut in Asher". (London, 1899).

B. I. F. A. O. = "Bulletin de l'Institut Française d'Archeologie Orientale". (Cairo, 1901 —).

Birch, "Pottery". = Birch, "History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman". (London, 1858).

Bisson de la Roque, "Medamoud". = Bisson de la Roque, "Les Fouilles de Medamoud", (Cairo).

Boeser, "Leyden". = Boeser and Holwerda, "Beschreibung der Aegyptischen Sammlung des Niederlandischen Reichmuseums du Altertumer in Leiden". (Copenhagen, 1908 — 1918).

Borchardt, "Statuen". = Borchardt, "Statuen und Statuetten von Konigen und Privalu'eten". Catalogue General des Antiquities Egyptien du Musee du Caire, (Berlin, 1911 — 1925).

Breasted, A. R. = Breasted, "Ancient Records of Egypt." (Chicago, 1906 - 7).

Brugsch, "Thesaurus".=Brugsch, "Thesaurus Insciption um Aegyptiacarum". (Leipzg, 1883 - 1891).

Brugsh, "Recueil". = Brugsch and Dumichen, "Recueil de Monuments Egyptiens". (Leipzig, 1865 - 1885).

Budge. "Guide". = Budge, "A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum". (London, 1909).

Budge, "Sculpture". = Budge, "A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture)", (London, 1909).

Budge, „The Book of Kings". = Budge, "The Book of the Kings of Ehypt". (London, 1908).

Budge, "History". = Budge, "A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII, B. C. 30". (London, 1902).

Champollion, "Notices". = Champollion, "Notice Descriptive des Monuments Egyptiens du Musee Charles X." (Paris, 1827).

Champollion, "Letters". = Champollion, "Letters à M. le Duc de Blacas d'Aulps relatives au Muse Royal de Turin". (Paris, 1824).

Coregency of Ramses II. = Coregency of Ramses II with Seti I and The Date of The Great Hypostyle Hall at Karnak, By Kieth C. Seele.

Davis, "Tomb of Hatshepsut". Davis, "Excavations at Biban el Moluk. The Tomb of Hatshepsut". (London, 1906).

Evans, "Palace of Minos". = Evans, "The Palace of Minos at Knossos". (London, 1921).

Fraser, Coll. = Fraser, "A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser", (London, 1900).

Gardiner, "Onomastica". = Gardiner, "Ancient Egyptian Onomastica", (Oxford, 1947).

Gardiner and Peet, "Sinai". = Gardiner and Peet, "The Inscriptions of Sinai". (London, 1917).

Gardiner and Weigall, "Catalogue". = Gardiner and Weigall, "A Topographical Catalogue of the Private Tombs of Thebes". (London, 1913).

Gauthier, "Dict. Geog" = Gauthier, "Dictionnaire des Nom Geogradhiques Contenus dans les Textes Hieroglyphiqnes". (Cairo, 1925).

Grilith, Kahun Papyri". = Griffith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob". (Loudon, 1898).

Hall, "Catalogue of Scarabs". = Hall, "A Catalogue of Scarabs in the British Museum". (London, 1913).

Hall, "Ancient History". = Hall, "The Ancient History of the Near East". (London, 1920).

J. E. A. = "The Journai of Egyptian Archaeology". (London, 1914 — 1947).

J. P. O. S. = "The Journal of the Palestine Oriental Society", (1923 —).

Helk = Hans Wolfgang Helk; Der Einfluss Militarfuhrer In der 18 Agyptischen Dynastie

Lanzone, "Cat. Turin". = Lanzone, "Catalogo generale dei Musei di antichita: Regio Museo di Torino".

L. D. = Lepsius, "Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien. (Berlin, 1894).

Legrain, "Stalues". = Legrain, "Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers" Catalogue General des-Antiquities Egyptiens du Musee du Caire. (Cairo, 1906 — 1914).

Legrain, "Repertoire". = Legrain, "Repertoire Geneologique et Onomastique du Musee Egyptien du Caire". (Geneva, 1908).

Lepsius, "Auswahl". = Lepsius "Auswahl der wichtigsten Urkunden des agyptischen Altertums" (Leipzig, 1842).

Lepsius, "Letters". = Lepsius, "Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai". (London, 1853).

Lieblien, "Dict. Noms". = Lieblien, "Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Ordre Genealogique et Alphabetique". (Christiania, 1871).

Macallister, "Gerza". = Macallister, "The Excavation of Gerza". (London, 1912).

Mariette, "Abydos". = Mariette "Catalogue General des Monuments d'Abydos Decouverts pendan les Fouilles de cette Ville". (Paris, 1880).

Mariette, "Abydos II.". = Mariette, "Abydos. Description des Fotilles Executees sur l'Emplacement de cette Ville" (Paris, 1869 - 1880).

Mariette, "Monuments". = Mariette, "Monuments Dilers Recueilles en Egypt et en Nubie". (Paris, 1889).

Maspero, "Bib. Egypt". = Maspero, "Bibliotheque Egyptologique", OVII. (Paris, 1904).

Maspero, Temples Immerges". = Maspero, "Les Temples Immergés de la Nubie Fapports relatifs à la Consolidation des Temples". (Cairo, 1909 - 1911).

Maspero, "Guide". = Maspero, "Guide du Visiteur au Muse du Caire". (Cairo, 1915).

Maspero, "Momies Royales". = Maspero, "Les Momies Royales de Deir el Bahari". (Paris, 1889).

Maspero, "Melanges d'Arch". = Maspero, "Melanges d'Archeologie Egyptien".

Massi, "Description". = Massi, "Description des Musees de Sculpture Antique Greque et Romaine. Musee du Vatican". (Rome, 1891).

Mem. Miss. Franç. = Memoires Publiés par les Membres de la mission Archeologiques Française au Caire.

Mercer, "Amarna". = Mercer, "The Tell el Amarna Tablets". (Toronto, 1939).

Meyer, "Gesch". = Meyer, "Geschichte des Altertums". (Stuttgart, 1928).

Meyer, "Hist. de l'Antiq." = Meyer, "Histoire de l'Antiquite". (Paris, 1912 - 1926).

M. M. A. = "The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art". (New York, 1909).

Morgan (De), "Cat. Mon.".=Morgan (De), "Catalogue des Monuments et Inscriptions de l'Egypte Antique". (Vienna, 1894-1909).

Murray, "Handbook". = Murray, Handbook for Travellers in Egypt". (London, 1880).

Newberry, "Timins Collection". = Newberry, "The Timins Collection of Ancient Egyptian Scarabs and Cylinder Seals". (London, 1907).

O. I. P. = "The Chicago University. The Oriental Institute. The Oriental Institute Pnblications". (Chicago, 1924 —).

"Paintings". = Davies, Paintings from the Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes". (New York, 1935).

Petrie, "Scarabs".=Petrie, "Scarabs and Cylinders". (London, 1917).

Petrie, "Six Temples". = Petrie, "Six Temples at Thebes, 1896". (London, 1897).

Petrie, Illahun". = Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob" (London, 1890).

Petrie, "Hist. Scarabs". = Petrie, "Historical Scarabs". (London, 1927).

Petrie, History". = Petrie, "A History of Egypt". (London, 1927).

Petrie Season". = Petrie, "A Season in Egypt, 1887". (London, 1888).

Petrie "Kahun". = Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara". (London, 1890).

Petrie "H. I. C.". = Petrie, "Hyksos and Israelite Cities". (London, 1906).

P, E. F. Q. S. = "The Palestine Exploration Fund Quarterly Statement". (London, 1869 —).

Piehl, "Recueil". = Piehl, "Inscriptions Hieroglyphiques recueillies en Europe et en Egypt". (Stockholm, 1886 - 1903).

Pierret, "Rec. d'Inscriptions". = Pierret, "Recueil d'Inscriptions Inedites du Musee Egyptien du Louvre'. (Paris, 1874 - 1878).

Porter and Moss, "Bibliography I". = Porter and Moss, 'Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs and Paintings", I. "The Theban Necropolis". (Oxford, 1921).

Porter aud Moss, "Bibliography II". = "The Theban Temples". (Oxford, 1929).

Porter and Moss, "Bibliography III". = "Memphis" (Oxford, 1931).

Porter and Moss, "Bibliography IV". = Lower and Middle Egypt. (Oxford, 1934).

Porter and Moss, "Bibliography V". = Upper Egyptian Sites". (Oxford, 1937).

P. S. B. A. = "The Proceedings of the Society of Biblical Archaeology". (London, 1879 — 1918).

R. E. A. = "Revue de l'Egypte Ancienne". (Paris, 1929).

Rec. Trav. = "Recueil de Travaux Relatifs à la Philologie et à l'Archeologie Egyptiennes et Assyriennes". (Paris, 1870 - 1923).

Rev d'Arch. = "Revue d'Archeologie".

Rouge (De), "Monuments". = Rouge (De), "Notice des Monuments Exposés dans la Galerie d'Antiqutíes Egyptiennes au Musee du Louvre. (Paris, 1885).

S. A. O. C. = "Chicago University. The Oriental Institute. Studies in Oriental Civilization". (Chicago, 1931 —).

Schafer. "Aeg. Insch. Berlin". = Schafer, "Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin". (Leipzig, 1924).

Schiaparelli, "Catalogue". = Schiaparelli, "Catalogo Generale dei Musei di Antichita di Firenze", (Rome, 1887).

Sethe, "Das Hatschepsut-Problem". = Sethe, "Das Hatschepsut-Problem noch Einmal Untersucht". (Berlin, 1932).

Sethe, "Untersuchungen". = Sethe, "Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Aegyptens". (Leipzig, 1896-1917).

Sethe, "Urkunden IV, or Urk. IV". = Sethe, "Urkunden des Agyptischen Altertums". (Leipzig, 1906 — 1914).

Sethe, "Pyramidentexte". = Sethe, "Die Altagyptischen Pyramidentexte" (Leipzig, 1908 - 1922).

Sethe, "Achtung". Sethe, "Die Achtung feindlicher Fursten - Volker und Dinge auf altagyptischen Tongeffasscherben des Mittleren Reiches". (Preussische Akademie der Wissenschaften Philos - Hist. Klass, 1926),

Sharpe, "Inscriptions". = Sharpe, "Egyptian Inscriptions". (London, 1837 - 1855).

V. S. = Vorderasiatische texte. Berlin.

W. B. = Erman and Grapow, "Wörterbuch der Aegyptischen Sprache". (Leipzig, 1925).

Weigall, "Guide". = Weigall, "A Guide to the Antiquities of Upper Egypt". (London, 1913).

Weigall "History". = Weigall, "A History of the Pharaohs" (London, 1925).

Weigall, "Lower Nubia". = Weigall, "A Report on the Antiquities of Lower Nubiain 1906 - 1987". (Oxford, 1907).

Weil, "Vezierè". = Weil, "Die Veziere dès Pharaonenreiches". (Leipzig, 1908).

Wiedemann, "Geschichte". = Wiedemann, "Agyptische Geschichte". (Gotha, 1884).

Wiedemann, "Kleinere Agypt. Insc.". = Wiedemann. "Kleinere Inschriften aus der XIII - XIV Dynasie". (Bonn, 1891).

Wilkinson, "Thebes". = Wilkinson, "Topography of Thebes and General View of Egypt". (London, 1835).

Winlock, "Dier el Bahri". = Winloek, "Excavations at Dier el Bahri". (1943).

Wreszinski, "Atlas". = Wreszinski, "Atlas zur Altagyptishen Kulturgeschichte", (Leipzig, 1923 — 1936).

W. D. V. O. G. = "Deutsche Orient-Gesellschaft, Berlin Wissenschaftliche Veroflentlichungen". (Leipzig, 1900 —).

كتب للمؤلف

بالعربيــــة :

(١) مصر القديمة : الجزء الأول فى عصر ما قبل التاريخ الى نهايه العهد الإهناسى .

(٢) مصر القديمة : الجزء الثانى فى مدنية مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الإهناسى .

(٣) مصر القديمة : الجزء الثالث فى العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الأسيوية ولوبيا .

(٤) مصر القديمة : الجزء الرابع فى عهد الهكسوس وتأسيس الأمبراطورية .

(٥) مصر القديمة : الجزء الخامس فى السيادة العالمية والتوحيد ويبحث فى علاقات مصر مع ممالك آسيا وسيادة مصر عليها، وأول عقيدة للتوحيد بالله .

(٦) جغرافية مصر القديمة : (محلاة بإحدى وأربعين خريطة) .

(٧) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الأول فى القصص والحكم والتأملات والرسائل .

(٨) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الثانى فى الدراما والشعر وفنونه .

(٩) تاريخ مصر من الفتح العثمانى الى قبيل الوقت الحاضر : بالاشتراك مع عمر الاسكندرى .

(١٠) تاريخ أوربا الحديثة وحضارتها : (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندرى .

(١١) صفوة تاريخ مصر والدول العربية : (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندرى والشيخ أحمد الاسكندرى .

(١٢) تاريخ دولة المماليك فى مصر : (تعريب) بالاشتراك مع محمود عابدين .

(١٣) ديانة قدماء المصريين : (تعريب) .

(١٤) صفحة من تاريخ محمد علي : (تعريب) بالاشتراك مع طه السباعى .

بالفرنسية :

(1) "Hymnes Religieux du Moyen Empire"; 199 pages (1928, Cairo).

(2) "Le Poeme dit de Pentaour et le Rapport Officiel sur la bataille de Qadesh". 162 plaies. Université Egyptienne, Faculté des Lettres. (1929, Cairo).

بالإنجليزية :

(3) "Excavations at Giza", Vol. I. (1929)-1930); 119 pages, 81 plates, 187 illustrations in the text, Plan (Oxford, 1932).

(4) "Excavations at Giza", Vol II. (1930-1939); 225 pages, 83 plates, 251 illustrations in the text, 2 plans (Cairo, 1936).

(5) "Excavations at Giza", Vol. III. (1931-1932); 229 pages, 71 plates, 227 illustrations in the text, 2 plans (Cairo, 1941).

(6) "Excavations at Giza", Vol. IV, (1932 - 1833); 218 pages, 62 plates, 159 illustrations in the text, 3 Plans (Fourth Pyramid) (Cairo, 1943).

(7) "Excavations at Giza", Vol. V. (1933 - 1934); 325 pages, 79 plates, (3 coloured), 169 illustrations in the text, 2 plans (Cairo, 1944).

(8) Excavations at Giza", Vol. VI, Part I, The Solar Boats. (1934 - 1935); (Cairo, 1947).

(9) Excavations at Giza", Vol. VI, Part II, The Offering-list in the Old Kingdom 504. pages, 174 Plates, and numerous illustrations in the text, (Cairo, 1948).

(10) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part III, A Description of the Mastabas and their Contents, (in the Press).

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/٥٠٠٠

ISBN 977-01-3069-9